

مَعَالِجُ التَّفَكُّرِ

وَدَقَائِقُ التَّدَبُّرِ

تَفْسِيرُ تَدْبِيرِيٍّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ
وَفُقَ مَنْهَجِ كِتَابِ «قَوَاعِدِ التَّدَبُّرِ الْأَمْثَلِ» لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

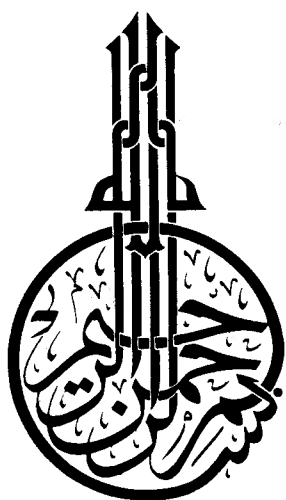
المجلد الرابع عشر

تفسير سور

إبراهيم / ٧٢ الأنبياء / ٧٣ المؤمنون / ٧٤ السجدة / ٧٥
الطور / ٧٦ الملك / ٧٧ الحاقة / ٧٨ والمعارج / ٧٩

عبد الرحمن حسن جبنة الميذاني

دار القلم
دمشق



مِغَارِجُ التَّفَكُّرِ
وَدَقَائِقُ التَّنَبُّرِ

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عبر طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ٢٨٩٥ :

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

١٤ مصحف ٧٢ نزول

وهي سورة مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا

وقيل إِلَّا الْآيَتَيْنِ (٢٨) و(٢٩) فَمَدَنِيَّتَانِ

(١)

نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ
 الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ
 مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي
 ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ
 لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
 بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
 ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

١ - سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الْأَلِفِ، وَاللَّامِ، وَالرَّاءِ، فَقَرَأَهَا: (أَلِف - لَام - رَا).

١ - قَرَأَ قُنْبُلٌ، وَرُوَيْسٌ: [صِرَاطٌ]، وَقَرَأَهَا خَلْفٌ عَنْ حَمْرَةَ بِإِسْمَاءِ الصَّادِ زَايَا.
 وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ [صِرَاطٌ] بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ.

١ - ٢ • قَرَأَ نَافِعُ وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [الْحَمِيدِ اللَّهُ] بِرَفْعِ الْهَاءِ وَضَلًّا؛ وَابْتِدَاءً.
 وَقَرَأَهَا رُوَيْسٌ: بِرَفْعِهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَخَفْضِهَا فِي الْوَصْلِ.
 وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَضَلًّا وَابْتِدَاءً.

أَنجَحَكُمْ مِّنْ أَلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِثُونَ
 أَسْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
 وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا
 أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ
 يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
 وَالَّذِينَ مِمَّن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا
 كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ
 رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ

٩ و ١٠ • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُهُمْ] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسُلُهُمْ] بضم السين.

١٠ • قرأ وزش، وأبو جعفر: [وَيُخْرِجُكُمْ] وضلاً ووقفاً. وكذلك قراها حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَيُخْرِجُكُمْ] في الحالين.

١١ • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُهُمْ] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسُلُهُمْ] بضم السين.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا إِلَّا
 نَنُوكِّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا
 عَازَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي
 مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ
 الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ
 ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ
 جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
 يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَمِيتٍ
 وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
 مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ

١٢ - • قرأ أبو عمرو: [سُبُلَنَا] بإسكان الباء.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [سُبُلَنَا] بِضَمِّ الباء.

١٣ - • قرأ أبو عمرو: [لِرُسُلِهِمْ] بإسكان السين.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [لِرُسُلِهِمْ] بِضَمِّ السين.

١٤ - • قرأ يَنْقُوب: [وَعِيدِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.

وقراها وَرَثَتُكَ كَذَلِكَ فِي الْوَقْفِ فَقَط. وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [وَعِيدِي]

بِحذف ياء المتكلم وصلأ ووقفأ.

١٨ - • قرأ نَافِع، وَأَبُو جَعْفَر: [الرَّيَّاحُ] بِالْجَمْع.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [الرَّيْحُ] بِالْإِفْرَاد.

تَرَأَىٰ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَيَرْزُقُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۚ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

١٩ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]، وقرأها باقي القراء العشرة: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

١٩ - قرأ أبو جعفر: [إِنْ يَشَأْ] في الوصل والوقف. وكذلك حمزة، وهشام في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِنْ يَشَأْ].

٢٢ - قرأ حفص: [لِي عَلَيْكُمْ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان: [لِي عَلَيْكُمْ].

٢٢ - قرأ حمزة: [بِمُصْرِخِي] بكسر الياء المشددة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بِمُصْرِخِي] بفتح الياء المشددة.

٢٢ - قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: [أَشْرَكْتُمُونِي] بإثبات ياء المتكلم وضلاً.

وكذلك قرأها يعقوب وضلاً ووقفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَشْرَكْتُمُونِ] بحذف ياء المتكلم.

يَاذِنْ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ
 مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
 السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَاذِنْ رَبِّهَا وَيَضْرِبْ
 اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
 كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
 ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا
 يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
 وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ
 الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا
 فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا

٢٥ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: [أَكْلَهَا] بإسكان الكاف.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ: [أَكْلَهَا] بِضَمِّ الْكَافِ.

وهما لغتان.

٢٦ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة: [خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ] بِكَسْرِ التَّوْنِ. وَكَذَلِكَ
 ابْنُ ذَكْوَانَ بِخُلْفِ غَنَّةٍ، وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ فِي الْوَصْلِ. وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ

بِضَمِّ التَّوْنِ فِي الْوَصْلِ، وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي لِابْنِ ذَكْوَانَ.

٢٩ - • قرأ ورش، والسُّوسِي، وأبو جعفر: [وَيَبْسُ].

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ: [وَيَبْسُ].

٣٠ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وَرُوَيْس: [لِيُضِلُّوا].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ: [لِيُضِلُّوا] وَبَيْنَ الْقُرَّاءِ تَكَاثُلٌ فِي آدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

٣١ - • قرأ ابْنُ عَامِرٍ، وَحَمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَرُوْح: [قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ] بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

الصلوة وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ
 لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ
 وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ
 لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن
 تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ
 ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي
 وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ
 النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ
 بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ

٣١ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ]. وقرأها باقي
 القراء العشرة: [لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ].

وهما وجهان نحويان جائزان.

٣٥ - • قرأ هشام: [إِبْرَاهِيمَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ]. وهما نطقان عربيان.

٣٧ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي أَسْكَنْتُ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان.

٣٧ - • قرأ هشام بخلف عنه [أَفْعِدَةً]، وقرأها باقي القراء العشرة [أَفْعِدَةً]. وهو
 الوجه الثاني لهشام.

٣٧ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [إِلَيْهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمْ].

تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا
 إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
 الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ
 اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾
 رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾
 وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
 لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا
 يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ
 يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
 نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ

٤٠ - • قرأ ورش، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر: [دُعَائِي] بإثبات ياء المتكلم وضلاً.

وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا الْبِزْزِيُّ، وَيَعْقُوبُ وَضلاً وَوَقْفاً، وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [دُعَاءٍ] وضلاً ووقفاً.

٤٢ - • قرأ عاصم، وابنُ عامر، وحمزة، وأبو جعفر: [وَلَا تُحْسِبَنَّ] يَفْتَحِ السِّينَ.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [وَلَا تُحْسِبَنَّ] يَكْسِرِ السِّينَ.

وَهُمَا لَعْنَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الظَّنُّ التَّوَهُُّمِيُّ الضَّعِيفُ.

٤٤ - • قرأ أبو عمرو: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] يَكْسِرِ مِيمَ «يَأْتِيهِمْ». وَكَسَرَ الْهَاءَ قَبْلَهَا.

وقرأها حمزة، والكِسَائِيُّ، ويعقوبُ، وخَلَفٌ: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] بِضَمِّ الْهَاءِ والميم بعدها.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] يَكْسِرِ الْهَاءَ وَضَمَّ الْمِيمَ بَعْدَهَا. وَيَعْقُوبُ عَلَى أَضْلِهِ فِي ضَمِّ الْهَاءِ وَقْفاً.

مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
 لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ
 وَإِن كَان مَكَرُهُمْ لِيَرْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ
 اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ
 تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾
 سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
 كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا
 بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ
 أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦ - • قرأ الكسائي: [لَتَرْزُولَ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [لَتَرْزُولَ].

٤٧ - • قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر: [فَلَا تَحْسَبَنَّ] بفتح السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلَا تَحْسَبَنَّ] بكسر السين. وسبق في الآية (٤٢) التوجيه.

(٢)

موضوع سورة (إبراهيم)

يَدُورُ مَوْضُوعُ سورة إبراهيم حَوْلَ بَيَانِ وَظِيفَةِ الْقُرْآنِ وَوِظِيفَةِ الرَّسُولِ
 فِي النَّاسِ، وَهِيَ إِخْرَاجُ الْمُسْتَحْسِبِينَ مِنْهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ
 اعْتِقَاداً وَسُلُوكاً، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ اعْتِقَاداً
 وَسُلُوكاً. وَبَيَانِ مُتَعَلِّقَاتِ بِهَذَا الْحُطِّ الْعَظِيمِ تَارِيخِيّاً وَتَرْبُويّاً وَفِكْرِيّاً تَتَنَاولُ

عِدَّةَ قَضَايَا هِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ الدِّينِيَّةِ الْكُبْرَى، أَوْ هِيَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

مع تبشير المؤمنين، وإنذار الكافرين.

(٣)

ذُرُوسُ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ)

ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى تِسْعَةِ دُرُوسٍ، وَهِيَ عَلَى الْوَجْهِ التَّالِي:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٤).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ وَظِيفَةِ الْقُرْآنِ، وَوِظِيفَةِ الرَّسُولِ فِي النَّاسِ، وَهِيَ إِخْرَاجُ الْمُسْتَجِيبِينَ مِنْهُمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ؛ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، أَيْ: مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ اعْتِقَاداً وَسُلُوكاً، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، اعْتِقَاداً وَسُلُوكاً.

وَفِيهَا وَعِيدُ الْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ، لِأَنَّهُمْ آثَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى إِضْلَالِ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مَا أَرْسَلَ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِلِسَانِ قَوْمِهِ الْعَرَبِ.

الدرس الثاني: الآيات من (٥ - ٨).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَرْسَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِآيَاتِهِ الْبَيَانِيَّةِ، وَكَلَّفَهُ أَنْ يُخْرِجَ قَوْمَهُ (أَيْ: مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُ مِنْهُمْ) مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَأَنْ يَذْكُرَهُمْ أَنَا فَأَنَا بِأَيَّامِ اللَّهِ.

وَفِيهَا بَيَانُ بَعْضِ مَا قَالَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ.

الدرس الثالث: الآيات من (٩ - ١٨).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَلَا سِيَّمَا أُنْمِتُهُمُ الْمُضِلُّونَ الْمُعَايِدُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ، وَفِي هَذِهِ الْمُعَالَجَةِ تَذَكِيرُهُمْ بِمَا كَانَ لِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَبَيَانُ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَدَلِيَّاتٍ لِرُسُلِهِمْ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ بَعَذْلِهِ عَذَّبَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ إِهْلَاكَ اسْتِثْصَالٍ، مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أَبَدِيٍّ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَيْفَ خَابَتْ أَعْمَالُهُمْ.

وتنطبق هذه المعالجة عَلَى أمثَالِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرِ لَاحِقٍ.

الدرس الرابع: الآيات من (١٩ - ٢٣).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ خُطَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلخُطَابِ بِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِالنَّاسِ جَمِيعًا وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، أَيْ: فَالْبَعْثُ الْمَوْعُودُ بِهِ حَقٌّ.

وفيهَا انْتِقَالٌ سَرِيعٌ لِتَقْدِيمِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِيهَا عَرْضُ حَوَارٍ بَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا ضُعَفَاءَ أَتْبَاعًا لِأَيْمَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُسْتَكْبِرِينَ، وَفِي هَذَا الْحَوَارِ مَعْنَى الْخُصُومَةِ.

وفيهَا مَا يُجِيبُ بِهِ الشَّيْطَانُ مَنْ ضَلُّوا بِوَسَاوِسِهِ وَتَسْوِيلَاتِهِ، إِذْ يَقُولُ لَهُمْ: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي.

وفيهَا بَيَانُ إِدْخَالِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ.

الدرس الخامس: الآيات من (٢٤ - ٢٦).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مَثَلِ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَمَثَلِ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ.

الدرس السادس: الآيات من (٢٧ - ٣٠).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ، بَيَانُ تَثْبِيَتِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ.

أَمَّا الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ فَلَا تَثْبِيَتَ لَهُمْ، بَلْ يُضِلُّهُمْ اللَّهُ، فَقَدْ بَدَّلُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ بِقِيَادَتِهِمْ لَهُمْ دَارِ الْبَوَارِ (وَهُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ
الْأَبَدِيُّ) وَهِيَ جَهَنَّمُ، وَمِنْ تَضْلِيلِهِمْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا شُرَكَاءَ لَهُ.

الدَّرْسُ السَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣١ - ٣٤).

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مَا يَلِي:

(١) أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ
يَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَبِأَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ.

(٢) بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الرَّزَاقُ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ الْمَسْخَرُ
لِلْفُلُكِ، وَالْمَسْخَرُ لِلْأَنْهَارِ، وَلِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ دَائِبِينَ، وَلِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُوَ
الَّذِي آتَاهُمْ مِمَّا سَأَلُوهُ.

(٣) ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ بِأَنَّهُمْ إِنْ يَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا يُحْصُوهَا،
وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣٥ - ٤١).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرْضُ أُدْعِيَّةٍ دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
مُنَاسَبَاتٍ وَأُزْمِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَذَكِيرًا لِلْمُعَالَجِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِمَا كَانَ عَلَيْهِ
أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ نَبَذٍ لِلْأَصْنَامِ، وَمُقَاوَمَةٍ
لَهَا.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٤٢ - ٥٢) آخِرُ السُّورَةِ.

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ عِلْمِهِ بِمَا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ، وَأَنَّهُ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِيهَا تَكْلِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رُسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُنْذِرَ كُفَّارَ قَوْمِهِ
بِاحْتِمَالِ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مُهِلِكًا لَهُمْ، مَعَ بَيَانٍ عَنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
وفي الآية الأخيرة تَعْرِيفٌ عَامٌّ بِشَأْنِ الْقَضَايَا الَّتِي جَاءَتْ فِي السُّورَةِ.



(٤)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (١ - ٤)

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾:

القراءات:

(١) • سَكَّتْ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الْأَلْفِ، وَاللَّامِ، وَالرَّاءِ، فَقَرَأَهَا
«ألف - لام - را».

(١) • قَرَأَ قُتَيْبٌ، وَرُؤَيْسٌ: [صِرَاطٍ]. وَقَرَأَهَا خَلْفٌ عَنْ حُمَزة بِإِشْمَامِ
الصَّادِ زَايَاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [صِرَاطٍ] بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ.

(١ - ٢) • قرأ نافع وابنُ عامر، وأبو جعفر: [الْحَمِيدُ اللَّهُ] بِرَفْعِ الهاء وضلاً؛ وابتداءً. وقرأها رويس: بِرَفْعِهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَخَفْضِهَا فِي الْوَصْلِ. وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرِ الهاء وَضلاً وَإِبْتِدَاءً، عَلَى أَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ وَظِيفَةِ الْقُرْآنِ، وَوَظِيفَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي النَّاسِ، وَهِيَ إِخْرَاجُ الْمُسْتَجِيبِينَ مِنْهُمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، أَي: مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ اعْتِقَاداً وَسُلُوكاً، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ اعْتِقَاداً وَسُلُوكاً.

وَفِيهَا وَعِيدُ الْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ، لِأَنَّهُمْ آثَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى إِضْلَالِ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ مَا أَرْسَلَ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَدْعُورِينَ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِلِسَانِ قَوْمِهِ الْعَرَبِ، لِيَحْمِلَ الْمُسْتَجِيبُونَ مِنْهُمْ رِسَالَتَهُ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِلُغَاتِهِمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴿٢﴾﴾.

• ﴿الرَّ﴾ هَذِهِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَائِلِ بَعْضِ السُّورِ،

وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ (القلم/ ٤ نزول) فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

• ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾: أي: مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ آيَاتِ رَبِّكَ الْبَيَانِيَّةِ، هُوَ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بَعْضُهُ إِلَيْكَ، وَسَنُنْزِلُ سَائِرَهُ، الَّذِي تَمَّ بِتَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا أَنْ نُنْزِلَهُ، فَهُوَ بِحُكْمِ الْمُنْزَلِ، لِأَنَّ مَا قَضَى اللَّهُ فِعْلُهُ مُسْتَقْبَلًا مُتَحَقِّقُ الْوُقُوعِ حَتْمًا، وَمَا هُوَ مُتَحَقِّقُ الْوُقُوعِ مُسْتَقْبَلًا يَصِحُّ التَّعْيِيرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ وَقَعَ.

مَنْ أَطْلَقَ قَدِيفَةً بِتَسْدِيدٍ دَقِيقٍ جَدًّا، يُقَالُ بِشَأْنِهِ أَصَابَ الْهَدَفَ، وَلَوْ كَانَتْ قَدِيفَتُهُ سَائِرَةً فِي الْجَوِّ لَمْ تَصِلْ بَعْدُ إِلَى هَدَفِهَا.

• ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾:

أي: لِنُخْرِجَ مَنْ يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَتِكَ وَيَتَّبِعُ آيَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، مِنَ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ فِي الْفِكْرِ وَفِي السُّلُوكِ، الَّتِي تُشَبِّهُ الظُّلُمَاتِ؛ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الْمُنْزَلِ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِلَى الْإِتِّزَامِ بِصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الْفِكْرِ وَفِي السُّلُوكِ، وَهُمَا يُشَبِّهَانِ النُّورَ.

فَفِي اسْتِعْمَالِ الظُّلُمَاتِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ، وَاسْتِعْمَالِ النُّورِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الْوَاحِدِ، اسْتِعَارَتَانِ أَصْلُهُمَا تَشْبِيهُ حُذِفَتْ مِنْهُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّبهِ وَالْمَشَبَّهُ، وَبَقِيَ الْمَشَبَّهُ بِهِ، وَهُمَا الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ.

وَلَمَّا كَانَ خُرُوجُ الْمُسْتَجِيبِينَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ عَمَلًا إِرَادِيًّا مِنْ دَوِي إِرَادَاتِ حُرَّةٍ، وَكَانَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - مُهَيِّمًا عَلَى كُلِّ الْوُجُودِ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَفِي كُلِّ تَصَارُيفِهِ، كَانَ تَمْكِينُ دَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَعْمَالِهِمْ خَاضِعًا لِإِذْنِهِ، فَجَاءَتْ عِبَارَةُ: [بِإِذْنِ رَبِّهِمْ] قِيدًا دَالًّا عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

أَمَّا الْأَعْمَالُ الَّتِي تَظْهَرُ دُونَ تَوْسِطِ ذِي إِرَادَةِ حُرَّةٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَفِيهِ تَمَّ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ بِصِفَةِ جَبَرِيَّةٍ، وَبِإِذْنِهِ إِذَا كَانَ لَهَا قَانُونٌ ثَابِتٌ.

وَكُلُّ مَا دُونُ بِهِ أَوْ مَجْبُورٍ لَا يَتَحَقَّقُ فِي الْوَاقِعِ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

• ﴿... إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾:

هَذِهِ الْعِبَارَةُ بَدَلٌ مِنَ الثَّوَرِ، فَهِيَ كَاشِفَةٌ لِلْمُرَادِ بِالنُّورِ، وَأُعِيدَ الْجَارُ ﴿إِلَى﴾ لِتَوْكِيدِ أَنَّ الْمَغْنِيَّ بِالنُّورِ هُوَ صِرَاطُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، بِمُقْتَضَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ، وَجَاءَتِ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى بِالرَّفْعِ عَلَى الْقَطْعِ، وَجَعَلَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: هُوَ اللَّهُ.

• ﴿... وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾:

«وَيْلٌ» كَلِمَةُ عَذَابٍ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي التَّحْذِيرِ وَالتَّهْدِيدِ، فَيُقَالُ لِمَنْ يُوجَّهُ لَهُ الْإِنْذَارُ: «وَيْلٌ لَكَ».

وَجَاءَتْ عِبَارَةُ ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بَيَانًا لِلْمُنْذَرِ بِهِ الَّذِي جَاءَ مُجْمَلًا فِي: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكَافِرِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾:

جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَصْفُ الْكَافِرِينَ - الْمُنْذَرِينَ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ - بِثَلَاثِ صِفَاتٍ:

الصفة الأولى: أَنَّهُمْ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، أَيِ: يُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا حُبًّا شَدِيدًا وَيُؤْثِرُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ.

ضُمْنَ فِعْلٌ «يَسْتَحِبُّونَ» مَعْنَى فِعْلٍ «يُؤَثِّرُونَ» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ «على».

هَذِهِ الصِّفَةُ تَجْعَلُهُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَاتِ، وَيَكْفُرُونَ بِالْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ وَيَوْمِ الدِّينِ، وَيَكْفُرُونَ بِرُسُلِ اللَّهِ، تَعَلُّقًا بِمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَاتِهَا.

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أَي: يَمْنَعُونَ مَنْ يَسْتَحِبُّ لَهُمْ عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَصْرِفُونَهُ عَنِ الْإِقْتِرَابِ مِنْهُ، بِدَعَايَاتِهِمْ وَوَسَائِلِهِمُ التَّضْلِيلِيَّةِ، فَهُمْ ضَالُّونَ وَمُضِلُّونَ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ يَبْغُونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَسُبُلٌ غَيْرِهِمْ سُبُلًا عَوَجًا، أَي: عَوَجَاءَ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى.

الْعَوَجُ: مُصَدَّرُ فِعْلٍ «عَوَجَ، يَعْوجُ، عَوَجًا» أَي: مَالَ وَانْحَرَفَ عَنِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى، فَالْعَوَجُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ عَدَمُ الْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَعْنَوِيَّةِ: الْفِكْرِيَّةِ، وَالْقَوْلِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ، وَالسُّلُوكِيَّةِ.

أَمَّا الْعَوَجُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ فَهُوَ: الْمَيْلُ وَالْإِنْعِطَافُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَهُوَ أَيْضًا مُصَدَّرُ: «عَوَجَ، يَعْوجُ، عَوَجًا»، فَيُقَالُ: فِي الْقَضِيبِ عَوَجٌ، وَفِي الطَّرِيقِ عَوَجٌ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ بِسَبَبِ اتِّصَافِهِمْ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ الْخَسِيسَاتِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ، فَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ:

• ﴿... أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۖ﴾: أَي: أُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ عَنْ تَنْزِلَاتِ الرَّحْمَةِ، الْمُنْحَطُّونَ فِي الدَّرَكَاتِ: فِي ضَلَالٍ وَضَيَاعٍ بَعِيدٍ عَمَّا يُحَقِّقُ لَهُمُ النِّجَاةَ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، الَّذِي يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهِ بِجَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمَجْرِمِينَ.

الضَّلَالُ المراد هُنَا هُوَ: الضَّيَاعُ فِي الْمَتَاهَاتِ وَالْمَهَالِكِ وَالْأَعْمَالِ
الْبَاطِلَةِ وَأَنْوَاعِ السُّلُوكِ الْإِجْرَامِيِّ.

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْاِغْتِرَاضَاتِ الَّتِي قَدْ يُوجِّهُهَا الَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ
الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَقُولُوا: لِمَاذَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، مَعَ ادِّعَاءِ
مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، أَلَيْسَ مِنَ الْأَحْسَنِ أَنْ يُنْزَلَ
الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ أَعْجَمِيٍّ أَوْسَعَ انْتِشَاراً فِي النَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَقَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾:

أي: وَمَا أَرْسَلْنَا فِيهَا سَبَقَ مِنْ تَارِيخِ النَّاسِ مِنْ رَسُولٍ فِي قَوْمٍ، هُمْ
قَوْمُهُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِمْ، وَلَدَيْهِ اسْتِطَاعَةٌ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ دِينَ اللَّهِ وَمَا يُنْزَلُ
إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ؛ مَا أَرْسَلْنَاهُ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ الْقَاطِطَ وَمَعَانِي
مَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَطْلُوبَاتِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي الدِّينِ الَّذِي
اضْطَفَاهُ لِلنَّاسِ.

وَالْمُؤْهَلُونَ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِنَ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ لِدَعْوَتِهِ،
يَقُومُونَ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلْأَقْوَامِ الْآخَرِينَ بِلُغَاتِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ الَّتِي يَتَكَلَّمُونَ بِهَا،
كَمَا فَعَلَ رُسُلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْأَقَالِيمِ فِي
جِهَاتِ الْأَرْضِ، فَحَاطَبُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى دِينِ رَبِّهِمْ، بِبَرَكَهَ
دَعْوَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَكَمَا فَعَلَ الدُّعَاةُ
الْمُؤْهَلُونَ مِنْ قَوْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ بَلَّغُوا دِينَ اللَّهِ لِلنَّاسِ بِأَلْسِنَتِهِمْ الَّتِي
تَعَلَّمُوهَا أَوْ كَانَ لَدَيْهِمْ عِلْمُ بِهَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾:

أي: وَبَعْدَ أَنْ يَقُومَ الرَّسُولُ أَوْ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ بِالتَّبْلِيغِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ، يَنْقَسِمُ الْمَبْلُغُونَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

(١) الْقِسْمُ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الْاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يُضِلُّهُمْ اللَّهُ بِمَشِيَّتِهِ الْحَكِيمَةِ، أَي: يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالِ.

(٢) وَالْقِسْمُ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ بِمَشِيَّتِهِ الْحَكِيمَةِ، أَي: يَحْكُمُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ.

وَمَنْ يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ يَجْزِيهِ بِعِزَّتِهِ ضَمْنَ قَوَاعِدِ الْعَدْلِ الْحَكِيمَةِ.

وَمَنْ يَحْكُمُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ يَجْزِيهِ ثَوَاباً جَزِيلاً بِحُكْمَتِهِ، ضَمْنَ وَاسِعِ فَضْلِهِ وَفَيْضِ عَطَايَاهُ.

﴿... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: وهو القويُّ الغالبُ، الحكيمُ في عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (إبراهيم).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (إبراهيم)
الآيات من (٥ - ٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

شُكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ .

تمهيد:

في آياتِ هذا الدرسِ بيانٌ بأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بآيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ، وَكَلَّفَهُ أَنْ يُخْرِجَ قَوْمَهُ (أي: مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُ مِنْهُمْ)، مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ أَنَا فَأَنَا. فَوَظِيفَتُهُ مِثْلُ وَظِيفَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ.

وفيهَا بيانٌ بَعْضِ مَا قَالَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَهَذَا مِنْ تَذْكِيرِهِمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِهَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ :

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...﴾ : وَنُؤَكِّدُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَلَقُّونَ وَأَيُّهَا الْمَعَالِجُونَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِعِبَارَةٍ: [لَقَدْ] أَتْنَا بِحُكْمَتِنَا وَسُلْطَانِ رَبُّوبِيَّتِنَا أَرْسَلْنَا مُوسَى مَضْحُوبًا بِآيَاتِنَا الْبَيِّنَاتِ، كَمَا أَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا ﷺ إِلَيْكُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، فَسُتُنَّا فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ لِلنَّاسِ وَاحِدَةً، إِذْ هِيَ الْاِخْتِيَارُ الْأَحْكَمُ. «لَقَدْ» فِيهَا مُؤَكِّدَانِ: لَامُ الْقَسَمِ، وَحَرْفُ التَّحْقِيقِ.

• ﴿... أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾: أي: وأمرناه أمراً تفسيره: أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وهذا نظير قولنا لمحمد - ﷺ -: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، في الآية الأولى، فَمَا سَبَقَ مِنْ تَدَبُّرٍ لهذا البيان يُنْطَبِقُ عَلَى: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

• ﴿... وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ...﴾: يُرَادُ بعبارة «أَيَّامِ اللَّهِ» الأَيَّامُ العُظْمَى الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ بِهَا الْجَبَابِرَةَ وَالْكَفَرَةَ المَجْرَمِينَ، وَأُنْجِي فِيهَا رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ: فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَتَنْجِيَّتُهُمْ بِخَارِقٍ عَجِيبٍ لَمْ تَسْبِقْ لَهُ سَابِقَةٌ فِي تَارِيخِ النَّاسِ، وَإِغْرَاقُ فِرْعَوْنَ وَكُلِّ مَنْ مَعَهُ مِنْ آلِهِ وَجُنُودِهِ وَجَيْشِهِ الْكَبِيرِ الْمَجْمُوعِ مِنْ أَرْجَاءِ مِصْرَ.

وَيُظْهَرُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي التَّيِّهِ، قَدْ بَعُدَ عَهْدُهُمْ بِخَارِقَةٍ فَلَقَ الْبَحْرَ، حَتَّى صَارَتْ غَيْرَ ذَاتِ حَيَاةٍ فِي ذَاكِرَاتِهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ.

التذكير: إِعَادَةُ ذِكْرِ مَا سَبَقَ الْعِلْمُ بِهِ، لِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَرَائِزِ الْمَعْرِفَةِ الْكَامِنَةِ، إِلَى سَاحَةِ الذَّاكِرَةِ الْحَاضِرَةِ الْمُؤَثَّرَةِ فِي تَوْجِيهِ الْإِرَادَةِ.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾: أي: إِنَّ فِي إِخْرَاجِهِمْ إِخْرَاجاً فِكْرِيّاً مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ الْحَقِّ، وَفِي تَذَكِيرِهِمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ لآيَاتٍ هَادِيَاتٍ إِلَى تَثْبِيتِ الْإِيمَانِ، وَتَرْسِخِ الْإِلْتِزَامِ بِالْإِسْلَامِ، وَتَنْبِيهِ الْإِرَادَةِ عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ الرَّشِيدَ؛ يَخْتَارُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ مَا يَجْعَلُهُ يَرْتَقِي فِي دَرَجَاتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، رَغْبَةً فِي الْوُصُولِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنْهَا، بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ قِيَاماً بِمَرَاضِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَا يَنْتَفِعُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْهَادِيَّاتِ الْإِنْتِفَاعَ الْأَسْمَى إِلَّا مَنْ يَتَحَلَّى
بِصِفَتَيْنِ جَلِيلَتَيْنِ:

الْصِّفَةُ الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ صَبَّارًا، أَي: كَثِيرَ الصَّبْرِ عَلَى الْقِيَامِ
بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ عَلَى النَّفُوسِ، الْمُحَقَّقَةِ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، مِنْ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ
وَالْمَنْدُوبَاتِ وَنَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْغُلُوِّ وَالْإِبْتِدَاعِ، وَتَرْكِ
الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَمَا هُوَ خِلَافُ الْأُولَى، مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِتَرْكِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِشَرْطِ عَدَمِ الْغُلُوِّ وَالْإِبْتِدَاعِ.

وَكَثِيرَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْمَكَارِهِ مِمَّا يَنْتَلِي اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ.

الْصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ شُكُورًا، أَي: كَثِيرَ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ عَلَى نِعَمِهِ
الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعِبَادُ.

الشُّكْرُ: مُقَابَلَةُ الْمُنْعِمِ عَلَى نِعَمِهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ قَوْلٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَلَكُمْ مِنْ
أَلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعِيُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾:

نَقَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَذْكِيرِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
بِأَيَّامِ اللَّهِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ذَكَرَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَاهُمْ مِنْ أَلٍ فِرْعَوْنَ
بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَقَلْقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَإِغْرَاقِ عَدُوِّهِمْ وَجَيْشِهِ وَرَاءَهُمْ.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾: أَي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَیْهَا
الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ، حِينَ قَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَهُمْ فِي التَّيِّهِ، بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ مُنْذُ خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ بِالْخَارِقَةِ
الرَّبَّائِيَّةِ الْعَجِيبَةِ.

• ﴿... أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِثُونَ أَسْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ... ﴿١﴾:

أي: ضَعُوا في ذِكْرَاتِكُمُ الْحَاضِرَةَ الْبَاعِثَةَ عَلَى اخْتِيَارِ الْأَعْمَالِ الْمُلَائِمَةِ لِمَا يَكُونُ حَاضِرًا فَاعِلًا فِيهَا؛ نِعْمَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، حِينَ أَنْجَاكُمْ مِنْ ظُلْمِ آلِ فِرْعَوْنَ لَكُمْ، بِإِخْرَاجِكُمْ مِنْ مِصْرَ فِي اتِّجَاهِ بَحْرِ سُوفَ، وَمُلَاحِقَةِ فِرْعَوْنَ بِجَيْشِهِ الْكَبِيرِ لَهُمْ، وَفَلَقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، حَتَّى عَبَرُوا مِنْ مَكَانِ الْفَرَقِ عَلَى الْيَابَسَةِ، وَخَرَجُوا مِنَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ، وَعَبَرَ فِرْعَوْنُ بِجَيْشِهِ وَرَاءَهُمْ مِنْ مَكَانِ غُبُورِهِمْ، ثُمَّ لَمَّا كَانُوا جَمِيعًا فِي دَاخِلِ مَكَانِ الْبَحْرِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنَ الْمَاءِ، ضَمَّ اللَّهُ مَاءَ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ فَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا، وَأَخْرَجَ اللَّهُ بَدَنَ فِرْعَوْنَ إِلَى الشَّاطِئِ لِيَرَاهُ النَّاسُ صَرِيحًا.

وَقَدْ كَانَ آلُ فِرْعَوْنَ فِي مِصْرَ يَفْعَلُونَ مَا يَلِي:

• ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: يُحْمِلُونَكُمْ وَيُكَلِّفُونَكُمْ وَيُنْزِلُونَ بِكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

سُوءَ الْعَذَابِ: أَشَدُّهُ، وَشَاقُّهُ، وَمُؤْلِمُهُ، وَأَكْثَرُهُ عُنْفًا وَظُلْمًا. وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: الْعَذَابُ السُّوءُ.

وَالسُّوءُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِمُخْتَلَفِ الْآفَاتِ.

• ﴿وَيُدْحِثُونَ أَسْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾:

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الأعراف/٣٩ نزول) خِطَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لِأَجْيَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقَوْلِهِ:

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤١﴾.

يُلَاحِظُ أَنَّهُ جَاءَ فِي سُورَةِ (إبراهيم/٧٢ نزول): ﴿وَيُدْحِثُونَ أَسْنَاءَكُمْ﴾،

وفي سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول): ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ كُمْ﴾، وَيُظْهِرُ لِي مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ فِي الْبَيَانِ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ كَانَتْ تَذْبِيحًا بِأَدَاةٍ حَدِيدِيَّةٍ حَادَّةٍ، كَالسَّكِّينِ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ تُوجَدْ أَدَاةٌ حَادَّةٌ كَانَ الْقَتْلُ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ أُخْرَى، كَالْخَنْقِ، وَالضَّرْبِ بِحَجَرٍ عَلَى مَقْتَلٍ.

فالمعنى: وَيَذْبَحُونَ مَوَالِيدَكُمْ مِنَ الذُّكُورِ، لِئَلَّا يَكْثُرَ رِجَالُكُمْ فَيَكُونُوا خَطَرًا عَلَى قُوَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ الْعَسْكَرِيَّةِ. وَكَانُوا يَسْتَبْقُونَ مَوَالِيدَكُمْ مِنَ الْبَنَاتِ اللَّوَاتِي سَيَكُونُ مَصِيرُهُنَّ أَنْ يَكُنَّ نِسَاءً أَحْيَاءَ، فَلَا يَذْبَحُونَهُنَّ، وَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ بِوَسِيلَةٍ أُخْرَى.

يُقَالُ لُغَةً: «اسْتَحْيَا الْأَمِيرُ الْأَسِيرَ» أَي: اسْتَبْقَاهُ حَيًّا فَلَمْ يَقْتُلْهُ.

والغرضُ مِنْ اسْتِحْيَائِهِنَّ اسْتِعْبَادُهُنَّ، وَتَكْلِيفُهُنَّ الْخِدْمَاتِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَثْرَةَ النِّسَاءِ لَا تُشْكَلُ خَطَرًا عَلَى قُوَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي مِضْرٍ.

إِطْلَاقُ كَلِمَةِ: «نِسَاءً» عَلَى الْمَوَالِيدِ مِنَ الْبَنَاتِ؛ هُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى الشَّيْءِ بِاعْتِبَارِ مَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ، وَالْغَرَضُ هُنَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ اسْتِحْيَاءَ الْبَنَاتِ يُرَادُ بِهِ أَنْ يَكُنَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ نِسَاءً صَالِحَاتٍ لِلْإِسْتِعْبَادِ وَالْخِدْمَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وعبارة: ﴿وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾ مِنْ عَظْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ فِيمَا يَظْهَرُ، وَهُوَ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وَهَذَا الْمَعْنَى مُضَافٌ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول)، إِذْ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ فِيهَا بِدَلٍّ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ، أَمَّا الْعَظْفُ فَقَدْ يَحْمِلُ مَعْنَى التَّغَايُرِ، فَيَكُونُ سُوءُ الْعَذَابِ شَيْئًا، وَتَذْبِيحُ الْمَوَالِيدِ الذُّكُورِ وَاسْتِعْبَادُ الْمَوَالِيدِ الْإِنَاثِ شَيْئًا آخَرَ.

• ﴿... وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمٌ ۝١﴾: أَي: وَفِي ذَلِكُمُ الَّذِي جَرَى لَكُمْ فِي مِضْرٍ امْتِحَانٌ لَكُمْ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّكُمْ، الَّذِي كَافَأَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ

عَلَيْهِ، بِأَنْ أَنْجَاكُمْ بِخَارِقَةٍ عَظِيمَةٍ، وَبِأَنْ فَضَّلَكُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِكُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ مَا قَالَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧):

● ﴿تَأَذَّنْ﴾ : أي : أَعْلَمَ .

• ﴿لَیْنٌ شَکْرَتُهُ﴾: أی: اُفْسِمُ لَیْنٌ آمَنْتُمْ وَأَسْلَمْتُمْ لَا زَیْدَنَّکُمْ مِنْ نَعْمِی عَلَیْکُمْ.

المعنى: وَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ الْعَامِلَةَ الْحَاضِرَةَ ذَاتَ الْأَثَرِ التَّوْجِيهِيَّ، مَا أَعْلَمَكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ بِهِ حِينَ قَالَ لَكُمْ: أَقْسِمُ لَكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ نِعَمِي عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، اعْتِرَافًا بِرَبُوبِيَّتِي، وَإِعْآنًا لِلْإِهْيَاطِي؛ لَا زِيدَنَّكُمْ مِنْ نِعَمِي. وَأَقْسِمُ لَكُمْ لَئِنْ كَفَرْتُمْ فَجَحَدْتُمْ نِعَمِي وَوَحْدَانِيَّتِي فِي رَبُوبِيَّتِي وَفِي إِلَهِيَّتِي؛ لَا عَذَابَ لَكُمْ ضِمْنَ أَحْكَامِ الْعَدْلِ الَّتِي قَدَرْتُهَا وَقَضَيْتُهَا فِي مُجَازَاتِي لِعِبَادِي، الَّذِينَ وَضَعْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، إِذْ جَعَلْتُهُمْ مُخَيَّرِينَ وَمُؤَهَّلِينَ لِلْامْتِحَانِ الَّذِي أُمْتَحِنُهُمْ بِهِ.

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَ أَنْ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَّانَ مَا قَالَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

• ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ﴾ :

أَي: وَقَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَعْضِ بَيِّنَاتِهِ

لَهُمْ وَهُمْ فِي النَّارِ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِن تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِرُسُولِهِ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَام - ، وَبِمَا أُنْزِلَ مِنْ حَقَائِقِ دِينِيَّةٍ لِهَذَايَتِّكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُؤْتَرُوا عَلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ وَبِصِفَاتِهِ عَنْ إِيْمَانِكُمْ بِهِ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ طَلَبَ مِنْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ، وَهُوَ مَحْمُودٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا شَيْءَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَمِنْ وَظَائِفِ الْمَلَائِكَةِ الدَّائِمَةِ أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُقَدِّسُونَ لَهُ .

جاءت عبارة: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ دالةً بأسلوب كِنَائِي، عَلَى أَنَّ كُفْرَ كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ؛ لَا يُؤْتَرُ عَلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ، فَهُوَ فِي ذَاتِهِ وَفِي صِفَاتِهِ غَنِيٌّ .

ولفظ «حَمِيد» هنا «فَعِيل» بِمَعْنَى «مَفْعُول». وقد جاء في البيان القرآني عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُقَدِّسُونَ لَهُ .

وقد جاء التعبير عَنْ مَضْمُونِ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي سِتَّةِ نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ، مِنْهَا: مَا سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي سُورَةِ (هُود/٥٢ نزول) بَيَانًا لِقَوْلِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَام لِقَوْمِهِ:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِءَ إِلَيْكُمْ وَاسْتَخْلِفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾ ﴿٥٧﴾ .

إِنَّ الْكَافِرِينَ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ .

وعبارة: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ مُؤَكَّدَةٌ بِالْمُؤَكَّدَاتِ .

«إِنَّ - والجملة الاسميّة - ولام الابتداء المزحلقة لِخَبَرِ «إِنَّ» .

وبهذا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ) .

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ .



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٩ - ١٨)

قال الله عز وجل:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي
أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِمُقْتِرٍ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ
رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا
كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنُمُونَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ
لَنَعُودَنَّ فِيهَا فَمَ تَاجِرٌ وَلَئِنْ هُمْ إِلَّا فِي يَدِ اللَّهِ لَهْلِكَنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ
بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمُسْتَسْقٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ
﴿١٧﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ
لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاحُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾:

القراءات:

(٩ و ١٠) • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُهُمْ] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسُلُهُمْ] بضم السين.

(١٠) • قرأ وَرَشُّ، وأبو جعفر: [وَيُؤَخِّرُكُمْ] وضلاً ووقفاً.

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيُؤَخِّرُكُمْ] وضلاً ووقفاً.

(١١) • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُهُمْ] بإسكان السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [رُسُلُهُمْ] بِضَمِّ السين.

(١٢) • قرأ أبو عمرو: [سُبُلَنَا] بإسكان الباء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [سُبُلَنَا] بِضَمِّ الباء.

(١٣) • قرأ أبو عمرو: [لِرُسُلِهِمْ] بإسكان السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِرُسُلِهِمْ] بِضَمِّ السين.

(١٤) • قرأ يعقوب: [وَعِيدِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل

والوقف. وقرأ ورش كذلك في الوقف فقط.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَعِيدِي] بحذف ياء المتكلم وضلاً ووقفاً.

(١٨) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [الرِّيحُ] بالجمع.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الرِّيحُ] بالإنفراد.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَلَا سِيَّمَا أُمَّتَهُمُ الْمُضِلُّونَ الْمَعَانِدُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ، وَفِي هَذِهِ الْمُعَالَجَةِ تَذَكِيرُهُمْ بِمَا كَانَ لِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَبَيَانُ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَدَلِيَّاتٍ لِرُسُلِهِمْ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ بِعَذْلِهِ عَذَّبَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ إِهْلَاكَ اسْتِثْصَالٍ، مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أَبَدِيٍّ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَيْفَ خَابَتْ أَعْمَالُهُمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ الْكَفَرَةَ الْمَعَالَجِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَهُوَ مُوجَّهٌ دَوَامًا لِكُلِّ أَمْثَالِهِمْ:

• ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾:

• ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾؟: اسْتَفْهَامٌ يُرَادُّ بِهِ تَقْرِيرُهُمْ عَلَى الْإِثْبَاتِ، أَيْ: بَلَى لَقَدْ أَتَاكُمْ، وَالْخِطَابُ مُوجَّهٌ لِلْكَافِرِينَ.

• ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أَيْ: نَبَأُ إِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَهُوَ خَبَرٌ عَظِيمٌ ظَاهِرٌ، يُحَرِّضُ نَفُوسَ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ لِلْإِسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا رَسُولُ رَبِّكُمْ.

• ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ تَفْصِيلُ لِقَطَاتٍ مُتَكَامِلَاتٍ مِنْ قِصَصِهِمْ مَعَ رُسُلِ رَبِّهِمْ، وَكَانَ كُفْرُهُمُ الْعِنَادِي الْأَحْمَقُ سَبَبَ تَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ إِهْلَاكَ اسْتِثْصَالٍ.

• ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: وَقَدْ سَبَقَ أَنْ جَاءَ الْبَيَانُ عَنْهُمْ مُجْمَلًا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (غافر/ ٦٠) (نزل):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَقْصَصَ اللَّهُ نَبَأَ مُفْصَلًا عَنْهُمْ مِنَ الرُّسُلِ قَدْ أُرْسِلُوا إِلَى أَقْوَامٍ لَمْ يَقْصَصَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَبَأًا، فَهُمْ لَا يَعْلَمُهُمْ مِنْ كُتَابِ تَارِيخِ النَّاسِ أَوْ رَوَاتِهِ أَحَدٌ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُمْ عِلْمًا شَامِلًا، وَفِيمَا أَنْبَأَ بِهِ كِفَايَةً عَمَّا لَمْ يُنَبِّئْ بِهِ.

• ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم الْمُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، مَضْحُوبِينَ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَهِيَ قِسْمَانِ:

الأول: خوارقُ عَادَاتٍ وَمُعْجَزَاتُ كُبْرَى مُثَبِّتَاتُ صِدْقِ رُسُلِ رَبِّهِمْ.

الثاني: آيَاتُ بَيَانِيَّةٍ كَلَامِيَّةٍ دَالَّاتٌ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ وَأَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَمَطْلُوبَاتِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي حَيَاةِ الْاِمْتِحَانِ، مَعَ مَا يِرَافِقُهَا مِنْ وَسَائِلِ إِفْنَاعٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ وَتَرْبِيَةٍ.

• ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: هَذِهِ الْعِبَارَةُ دَلَّتْ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ، عَلَى أَنَّ أَقْوَامَ الرُّسُلِ رَفَضُوا الْاِسْتِمَاعَ لِبَيِّنَاتِهِمْ الدَّاعِيَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِكُفْرِيَّاتِهِمْ، وَأَنْوَاعِ سُلُوكِهِمُ الْمَلَائِمَةِ لِكُفْرِيَّاتِهِمْ، وَمَفْهُومَاتِهِمُ الْبَاطِلَاتِ، وَتَعَلَّقْتَهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَاتِهَا، وَإِثَارِهِمْ إِيَّاهَا عَلَى الْآخِرَةِ.

إِنَّ مُحَدَّثَ النَّاسِ بِشَأْنِ قَضَايَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمْ؛ يَسْتَعْمِلُ فِي الْغَالِبِ يَدَيْهِ لِلْفَتْ أَنْظَارِهِمْ إِلَى أَقْوَالِهِ وَمَعَانِيهَا، فِي الْإثْبَاتِ، وَالنَّفْيِ، وَالِاسْتِفْهَامِ، وَالْجَمْعِ، وَالتَّفْرِيقِ، وَالْعَدَدِ، وَالِارْتِفَاعِ، وَالِانْخِفَاضِ، وَالْجِهَاتِ السَّتِّ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى شَيْءٍ، إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تُسَاعِدُ حَرَكَاتُ الْيَدَيْنِ عَلَى إِدْرَاكِهَا بِسُرْعَةٍ.

وَحِينَ يُوجَّهُ بَعْضُ حُضُورِ دَعْوَةِ الرُّسُلِ أَسْمَاعُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ إِلَى تَفْهَمِ دَعْوَتِهِمْ، يَغْتَاظُ قَادَةُ الْقَوْمِ وَكُبْرَاؤُهُمْ، فَيَقُومُ بَعْضُهُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَيَأْمُرُهُ بِالسُّكُوتِ وَالِانْصِرَافِ، فَإِذَا تَابَعَ الرَّسُولُ دَعْوَتَهُ أَمْسَكَ سَفِيهُ الْقَوْمِ بِيَدِ الرَّسُولِ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا، وَرَدَّهَا إِلَى فِيهِ بِعُنْفٍ، وَرُبَّمَا أَدْخَلَ بَعْضُ أَصَابِعِهَا فِيهِ لِيُسْكِنَتْهُ.

هَذِهِ الْحَرَكَةُ صَارَتْ حَرَكَةً يُكْنَى بِهَا عَنْ رَفْضِ الْاِسْتِمَاعِ لِدَعْوَةِ الدَّاعِي، وَرَفْضِ دَعْوَتِهِ كُلِّهَا.

• ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: أي: وَقَالُوا مُؤَكِّدِينَ بـ «إِنَّ - والجملة الاسمية» لِرُسُلِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ: كَفَرْنَا بِتَوْحِيدِ رَبُّوبِيَّةِ اللَّهِ وَبِتَوْحِيدِ إِلَهِيَّتِهِ، وَبِكُلِّ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ مِنْ مَفْهُومَاتٍ تَقُولُونَ: إِنَّهَا دِينُ اللَّهِ لِلنَّاسِ. أي: نَرَفُضُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَنَتَّبِعَ مَا فِيهَا مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي وَوَصَايَا.

• ﴿... وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾: أي: وَإِنَّا لَفِي مُحِيطٍ مِنَ الشَّكِّ، نُفُوراً مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ، وَهَذَا الَّذِي تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ الْمُخَالِفُ لِدِينِ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا؛ يُوقِعُنَا فِي الرَّيْبِ مِنَ غَايَتِكُمْ مِنْ دَعْوَتِكُمْ، إِذْ نُقَدِّرُ أَنَّكُمْ جِئْتُمْ بِهَا لِتَحْتَلُوا مَرْكَزَ الرِّئَاسَةِ، وَالْقِيَادَةِ، وَالسُّلْطَةِ الْأُولَى فِي الْبِلَادِ، وَالْمُلْكِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنّاً رَدَّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ عَلَى أَقْوَامِهِمْ وَرَدَّ الْأَقْوَامَ عَلَى رُسُلِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

• ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُوتُنَا إِسْلَاطِنِ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾:

لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ لِدَعْوَةِ جَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْمُهَيِّمِينَ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ، كَانَ الْحَوَارُ الْفِكْرِيُّ مَعَ الْمُخَالِفِينَ فِي قَضَايَا الدِّينِ، يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ مِنَ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ فِي الْفِكْرِ الدِّينِيِّ الْحَقِّ، وَهُوَ الْإِتِّفَاقُ بَيْنَ الْمُتَحَاوِرِينَ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

• ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خَالِقِ وَمُوجِدِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفَقَّ نِظَامِ الْفَطْرِ وَالْفَلْقِ.

الْفَطْرُ: الشَّقُّ وَالْإِخْرَاجُ مِنَ الْبَاطِنِ.

وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ ضِمْنَ نِظَامِ الْفَطْرِ، لِأَنَّ نُقْطَةَ الْعُمُقِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هِيَ الْعَدَمُ، فَاللَّهُ هُوَ الْمُوجِدُ مِنَ الْعَدَمِ.

• ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾:

أي: إِنَّ دَعْوَتَنَا لَكُمْ لَيْسَتْ دَعْوَةً مِنَّا، إِذْ نَحْنُ رُسُلُ رَبِّكُمْ، فَهِيَ دَعْوَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ وَإِلَى الْإِسْلَامِ لَهُ، وَإِلَى سَائِرِ قَضَايَا الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ الْمَاضِيَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِذَا غَفَرَهَا لَكُمْ حَكَمَ لَكُمْ بِالْهِدَايَةِ، فَصِرْتُمْ مِنْ مُسْتَحَقِّي دُخُولِ جَنَّتِهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَالْخُلُودِ فِي سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ وَنَعِيمٍ مُّقِيمٍ.

أَمَّا الذُّنُوبُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ غَيْرِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ فَيَطَبَّقُ عَلَيْكُمْ فِيهَا قَانُونُ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ، وَهُوَ الْقَضَا صُ أَوْ مُسَامَحَةُ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ.

وَبَسَبَبِ إِيْمَانِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ؛ يَرْفَعُ عَنْكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَ مِنْ تَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ مُسْتَأْصِلٍ، وَيُؤَخِّرُ كُلًّا مِنْكُمْ إِلَى أَجَلٍ بَقَائِهِ فِي الْحَيَاةِ، الْمُسَمًّى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ، وَالَّذِي يُؤَمَّرُ بِكِتَابَتِهِ الْمَلَكُ حِينَ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

■ فَكَانَ مِنْ شَأْنِ أَقْوَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ يَتَهَرَّبُوا مِنَ الْجَوَارِ حَوْلَ الْأَضَلِّ الْأَوَّلِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَيَفْتَعِلُوا جَوَاراً حَوْلَ عَدَمِ صِلَاحِيَةِ الْبَشَرِ لِأَنْ يَكُونُوا رُسُلًا لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ مَا فِيهِمَا:

• ﴿... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠):

﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: أي: وَالْبَشَرُ لَا يَصْلُحُونَ لِأَنْ يَتَلَقَّوْا بَيِّنَاتٍ عَنِ اللَّهِ، وَيَكُونُوا رُسُلًا لِلَّهِ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ عَنْهُ إِلَى النَّاسِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ رَدٌّ لِهَذَا الْاِغْتِرَاضِ فِي عِدَّةِ سُورٍ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ عِدَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ سَبَقَتْ دِرَاسَةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي مُلَحَقٍ خَاصٍّ^(١).

(١) انظر الملحق الثالث من ملاحق تدبر سورة (يس): «بَيِّنَاتُ اِغْتِرَاضِ الْأُمَمِ عَلَى بَشَرِيَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

«إِنْ» فِي «إِنْ أَنْتُمْ» حَرْفُ نَفْيٍ بِمَعْنَى «مَا».

• ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصْذُوبُوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: أَي: تُرِيدُونَ أَنْ تَضْرِبُونَا عَنْ عِبَادَةِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنْ آلِهَةٍ، لِعَرَضٍ فِي نُفُوسِكُمْ، كَأَنْ تَحْتَلُّوا بِاتِّبَاعِ النَّاسِ لَكُمْ فِي هَذَا الدِّينِ مَرَاكِزَ الرَّئَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ وَالْمُلْكِ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَمْوَالِ، وَالْحُصُولِ عَلَى مَا تَبْغُونَ مِنْ لَذَّاتِ وَشَهَوَاتٍ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ ذُوو السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ.

• ﴿... فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أَي: فَأَتُونَا بِخَارِقٍ مِنَ الْآيَاتِ الْكِبَارِ يَكُونُ بُرْهَانًا لَكُمْ عَلَى أَنَّكُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ، خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرُسُلُ مُرْسَلُونَ مِنْهُ لِتُبَلِّغُوا النَّاسَ مَطْلُوبَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ.

وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْتِي رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، بِالْمَقْدَارِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامَهُمْ اسْتَيْفَنُوا بِهِ مِنْ عُمُقِ قُلُوبِهِمْ أَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ صَادِقُونَ فِي نُبُوءَاتِهِمْ وَفِي رِسَالَاتِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبِينًا مَا رَدَّ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ عَلَى أَقْوَامِهِمْ:

• ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَعَصِدْنَ عَلَى مَا هَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

أَجَابَتِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ أَقْوَامَهُمْ بِإِجَابَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ إِلَى سِتِّ قَضَايَا:

القَضِيَّةُ الْأُولَى: قَالُوا فِيهَا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾:

أَي: نَعَمْ، مَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَبِي الْبَشَرِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ بَعْضَ الْبَشَرِ عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ

سُلْطَانُهُ، وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ، وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ - يَمُنُّ بِالتَّفْضِيلِ بِالثُّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَشِئَتُهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، وَمِنْ الْهَيْنِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ أَنْ يُوحِيَ إِلَى إِنْسَانٍ بَشَرٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَأَنْ يُحْمَلَهُ رِسَالَةً، وَيُكَلِّفَهُ أَنْ يُبَلِّغَهَا لِقَوْمِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ.

هَلْ فِي هَذَا مَا يَتَعَارَضُ مَعَ قَانُونِ عَقْلِيٍّ؟.

الْيَسَّ اللَّهُ الْخَالِقُ بِقُدْرَتِهِ الْمُصَاحِبَةِ لِحِكْمَتِهِ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ الْكَوْنِ، وَكُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ الْأَحْيَاءِ، وَكُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ كُلِّ إِنْسَانٍ؛ فَادِرًا عَلَى أَنْ يُوحِيَ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

مَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُنَافِي لِقَضِيَّةِ عَقْلِيَّةٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟.

أَتَعْتَرِضُونَ عَلَى اخْتِيَارِ اخْتَارِهِ رَبُّكُمْ دُونَ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ حُجَّةٌ تَقْبَلُهَا الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ!!.

الْمَنْ: الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ وَالتَّفَضُّلُ بِالْعَطَاءِ.

القضية الثانية: قَالَ فِيهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:

أَي: وَمَا ثَبَتَ لَنَا مِنَ التَّمَكِينِ الرَّبَّانِيِّ لِقُدْرَاتِنَا؛ أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِآيَةٍ خَارِقَةٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، تَكُونُ بُرْهَانًا عَلَى أَنَّنا صَادِقُونَ فِي ادِّعَاءِ أَنَّنا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، إِلَّا بِأَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَنَا بِذَلِكَ، فَالْإِذْنُ إِذْنُهُ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنَّكُمْ صَادِقُونَ فِي طَلَبِ الْبُرْهَانِ عَلَى أَنَّنا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، وَإِذَا قَدَّمَ لَكُمْ هَذَا السُّلْطَانَ أَمْنْتُمْ وَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَقْدِّمُ لَكُمْ ذَلِكَ لِإِفْنَاعِكُمْ بِأَنَّنا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ.

فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ؛ مَا جَعَلَ أُمَّتَهُ

يَسْتَيْقِنُونَ مِنْ عُمُقِ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا، لَكِنَّ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.

السُّلْطَان: الآيَةُ الخارقة المعجزة - الحجة والبرهان.

القضية الثالثة: قَالَ فِيهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

دَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَعَرَّضُوا مِنْ قَبْلِ كُتُبَاءِ أَقْوَامِهِمْ؛ لِلتَّهْدِيدِ بِمَا يُؤْذِيهِمْ أَوْ يَضُرُّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ أَهْلِيهِمْ، فَقَالُوا: تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا فِي أَمْرِ حِمَايَتِنَا وَحِفْظِنَا، وَصَرَفِ الضَّرِّ وَالْأَذَى عَنَّا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا، لِيَحْمِيَهُمْ وَيَحْفَظَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى مَنْ يُرِيدُ بِهِمْ شَرًّا وَضَرًّا وَسُوءًا.

القضية الرابعة: قَالَ فِيهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾:

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعِ كُلِّ رَسُولٍ مِنْهُمْ؛ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ ضِعْفَاءً، لَا يَمْلِكُونَ حِمَايَةَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ جَبَابِرَةِ كُفَّارِ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا لِرُسُلِهِمْ: كَيْفَ يَحْمِينَا التَّوَكُّلُ الْقَلْبِيُّ عَلَى اللَّهِ، وَكُتُبَاءُ كُفَّارِ قَوْمِنَا يَمْلِكُونَ الْقُوَّةَ الْمُسَلَّحَةَ، وَالْأَنْصَارَ الْكَثِيرِينَ، وَالْجُنُودَ الْمُطِيعِينَ لِأَوَامِرِ سَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ؟.

فَقَالَتْ رُسُلُهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ آمَنَّا بِهِ، وَنُهَدِّدُ بِمَا يَسُوءُنَا مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِنَا وَإِسْلَامِنَا، أَفَلَيْسَ مِنْ كَمَالِ إِيْمَانِنَا بِسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَتَّى يَحْمِينَا وَيَنْصُرَنَا؟، وَلَكِنْ يُوجَدُ شَيْءٌ يَجْلِبُ لَنَا الْوَهْنَ وَيَسُدُّ عَلَيْنَا سُبُلَ النِّجَاةِ مِنْ كَيْدِ كُفَّارِ أَقْوَامِنَا، وَقَدْ هَدَانَا رَبُّنَا سُبُلَنَا، مِنْهَا سَبِيلُ الْهَجْرَةِ، وَمِنْهَا سَبِيلُ إِعْدَادِ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْقُوَّةِ، لِمُوَاجَهَةِ قَوَاتٍ أَعْدَانِنَا إِذَا تَحَرَّكُوا

لِقَتَالِنَا، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا: السُّكُوتُ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ بِأَسْلُوبٍ عَلَنِيٍّ، وَالِاشْتِغَالُ بِأَسْلُوبِ الدَّعْوَةِ السِّرِّيَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سُبُلٍ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي كُلِّ سَبِيلٍ مِنْ هَذِهِ السُّبُلِ يَجْعَلُ لَنَا مَخَارِجَ يَقْضِي اللَّهُ لَنَا فِيهَا بِالْفَرَجِ، وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ أَنْ يَنْصُرَ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ.

القضية الخامسة: قَالَ فِيهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿وَلَنْصِرَنَّكَ عَلَى مَا عَادَتْهُمُونَا﴾:

أي: وَنُؤَكِّدُ لَكُمْ مُقْسِمِينَ يَا كُفَّارَ أَقْوَامِنَا أَنَّنَا سَنَنْصِرُكُمْ عَلَى إِثْدَائِكُمْ لَنَا، وَلَا نُقَابِلُكُمْ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ مَلَكَنَا الْقُوَّةَ عَلَى مُعَاقَبَتِكُمْ بِالْعَدْلِ، لِأَنَّ حِرْصَنَا عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ، وَنَجَاتِكُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، أَشَدُّ مِنْ رَغَبَاتِ نَفْسِنَا بِالتَّشْفِي مِنْكُمْ، إِذْ كَانَ إِثْدَاؤُكُمْ لَنَا عُدُوَانًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

القضية السادسة: أَعْلَنَ فِيهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَوْلَهُمْ: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

أي: وَتَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لِيَرْزُقَنَا الصَّبْرَ، وَيُعِينَنَا عَلَيْهِ، وَيُثَبِّتَنَا بِأَجْرِ حَسَنِ يَكُونُ مُكَافَأَةً لَنَا عَلَى صَبْرِنَا، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ، لِأَنَّهُ هُوَ التَّوَكُّلُ النَّافِعُ، وَكُلُّ تَوَكُّلٍ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَوَكُّلٌ ضَائِعٌ لَا يَنْفَعُ الْمُتَوَكِّلَ بَشِيءً.

في هَذِهِ الْعِبَارَةِ بَيَانٌ وَدَعْوَةٌ إِلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ قِصَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ أَقْوَامِهِمْ:

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ (١٤):

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الْخِصَامَ قَدْ اشْتَدَّ بَيْنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَقْوَامِهِمْ، إِذْ ضَاقَتْ صُدُورُ أَقْوَامِهِمْ عَنْ تَحْمِلِ مُتَابَعَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بوسائلٍ مُخْتَلَفَةٍ؛ دَعَوَتْهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، بَيْنَ جَمَاهِيرِهِمْ، وَلَوْ فِي السِّرِّ دَاخِلَ الْبُيُوتِ، فَأَنْذَرَ الْكُبرَاءَ وَالْقَادَةَ فِي الْأَقْوَامِ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ مُفْسِمِينَ بِالْإِخْرَاجِ طَرْدًا مِنْ أَرْضِهِمْ، وَمَعَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ، إِذَا لَمْ يَعُودُوا عَنْ دِينِهِمُ الْجَدِيدِ، وَيَدْخُلُوا فِي مِلَّةِ قَوْمِهِمْ دُخُولًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنْهَا، وَهَذَا بِحَسَبِ التَّصَوُّرِ الظَّاهِرِ لِلْأَقْوَامِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، لَكِنَّ رُسُلَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لَمْ يَكُونُوا مِنْذُ نَشَاتِهِمْ دَاخِلِينَ فِي مِلَلِ أَقْوَامِهِمْ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ فَكَانُوا دَاخِلِينَ فِي مِلَلِ أَقْوَامِهِمْ، فَيَقَالُ بِشَأْنِهِمْ: «حَتَّى تَعُودُوا».

ضَمَّنُ فِعْلٍ: «تَعُودُوا» مَعْنَى فِعْلٍ: «تَدْخُلُوا»، فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ «فِي».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مَبِينًا مَا أَوْحَاهُ إِلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بَعْدَ التَّهْدِيدِ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ أَقْوَامُهُمْ:

• ﴿... فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾:

أَي: فَأَوْحَى إِلَى الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ رَبُّهُمْ مُؤَكِّدًا مُفْسِمًا: لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ الْكَافِرَةَ مِنْ أَقْوَامِكُمْ، الَّذِينَ أَنْذَرُوكُمْ بِالْإِخْرَاجِ وَالطَّرْدِ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ الَّتِي أَنْذَرُوكُمْ بِالْإِخْرَاجِ مِنْهَا، وَمَعَكُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ وَاتَّبَعُوكُمْ، بِمَعْنَى: وَلَنُمَكِّنَنَّكُمْ مِنْ أَنْ تَسْكُنُوهَا إِذْ يَكُونُ لَكُمْ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا، بَعْدَ إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ مِنْ قَوْمِكُمْ.

﴿... ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾: في هذه العبارة تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ - أي: مَا وَعَدْنَا بِهِ الرُّسُلَ مِنْ إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وَإِسْكَانِهِمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَمَعَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ، هُوَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِي، فَهِيَ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِي وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ وَطَاعَتَهُ وَانْقِيَادَهُ، وَخَافَ قِيَامَهُ يَوْمَ الدِّينِ فِي مَحْكَمَتِي مُحَاسِبًا، وَحَاسِمًا لِعِبَادِي أَوْ عَلَيْهِمْ بِمَا يَنْتَظِيهِ فَضْلِي أَوْ عَذْلِي، وَخَافَ وَعِيدِي الَّذِي أُنْذَرْتُ بِهِ الْكُفَّارَ وَالْعُصَاةَ الْمُسْرِفِينَ فِي مَعَاصِيهِمْ، أي: فَهُوَ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وَبِیَوْمِ الدِّينِ.

• ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾:

استَفْتَحُوا: أي: سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُفَّارِ قَوْمِهِمْ وَلَا سِيَمَا الْجَبَّارَةِ مِنْهُمْ، وَيَلْزَمُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، أَنْ يَنْصُرَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ. فَالْفَتْحُ عَلَى هَذَا هُوَ النَّصْرُ.

فَالْمَعْنَى: وَسَأَلَ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اللَّهُ رَبَّهُمْ أَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى كُفَّارِ قَوْمِهِمْ، الَّذِينَ دَبَّرُوا أَنْ يُخْرِجُوهُمْ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، بِالْقُوَّةِ الْمَسْلُوحَةِ.

• ﴿... وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾:

خَابَ: أي: ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُ الَّتِي عَمِلَهَا، وَتَذَبِيرَاتُهُ الَّتِي دَبَّرَهَا، لِتَحْقِيقِ مُرَادِهِ؛ سُدًى، لَمْ تَنْفَعْهُ بِشَيْءٍ.

الْجَبَّارُ: الْمُتَكَبِّرُ، الْعَاتِي، الْمَسْلُطُ بِالْقُوَّةِ، الَّذِي يُكْرِهُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ بغيرِ حَقٍّ، مُسْتَخْدِمًا الْقُوَّةَ الْقَاهِرَةَ.

العنيد: الشَّدِيدُ الرَّفْضِ لِلْحَقِّ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ بِالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ، وَالشَّدِيدُ فِي الْإِضْرَارِ عَلَى رَأْيِهِ، أَوْ اغْتِقَادِهِ، أَوْ مَذْهَبِهِ، أَوْ سُلُوكِهِ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ بُطْلَانُهُ بِالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ.

فَالْمَعْنَى: وَذَهَبَتْ سُدىْ أَعْمَالُ وَتَذِيبَرَاتُ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَاتٍ مُتَسَلِّطٍ بِالْقُوَّةِ، شَدِيدِ الرِّفْضِ لِلْحَقِّ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ بِالْبُرْهَانِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَشَدِيدِ الإِضْرَارِ عَلَى بَاطِلِهِ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ بُظْلَانُهُ بِالْبُرْهَانِ، مِنْ كُفَّارِ أَقْوَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَلَمْ يَكُنْ لِمُخْطَطَاتِهِمْ، وَتَذِيبَرَاتِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، أَثَرٌ يَنْفَعُهُمْ فِي رَفْعِ عَذَابِ اللَّهِ عَنْهُمْ، وَإِهْلَاكِهِمْ إِهْلَاكَ اسْتِثْصَالٍ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ عِقَابِ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ كَافِرٍ:

• ﴿مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمَ﴾: أَي: سَوْفَ يَكُونُ مَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُودُ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

جاء التعبيرُ بِعِبَارَةٍ: «مَنْ وَرَّاهُ»؛ لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ أَحْدَاثَ مُسْتَقْبَلِهِمْ، يَقَعُ وَرَاءَهُمْ وَلَيْسَ لِأَبْصَارِهِمْ رُؤْيَا مَا لَهُ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْحَالَ وَالْمَاضِي فَقَطْ، دُونَ الْمُسْتَقْبَلِ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَاكِبٍ مَرْكَبَةً تَسِيرُ إِلَى الشَّرْقِ، وَوَجْهُهُ فِيهَا مُوجَّهٌ جِهَةَ الْغَرْبِ، إِنَّهُ يَرَى مَا يَقْطَعُ وَمَا قَطَعَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ، وَلَا يَرَى مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ شَيْئاً لِأَنَّهُ يَقَعُ وَرَاءَهُ، لَا أَمَامَهُ.

جَهَنَّمَ: اسْمٌ عَلِمَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِيُعَذَّبَ فِيهَا الْكَافِرِينَ وَالْعُصَاةَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَفْظُ «جَهَنَّمَ» مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ. وَيُقَالُ لُغَةً: «بِئْرُ جَهَنَّمَ» أَي: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ.

﴿... وَنُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١١):

الصَّدِيدُ: الْقَنِيحُ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْ فَسَادِ الْجُرْحِ.

أَي: وَنُسْقَى حِينَ يَشْتَدُّ ظَمْؤُهُ مِنْ مَاءٍ يُشَبِّهُ الصَّدِيدَ، كَرِيهِ الطَّعْمِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ...﴾ (١٧):

يَتَجَرَّعُهُ: أَي: يَتَكَلَّفُ ابْتِلَاعَهُ وَهُوَ كَارِهِ طَعْمَهُ وَرَائِحَتَهُ.

يُسِغُهُ: أَي: يَبْتَلِعُهُ وَيَجْعَلُهُ يَنْحَدِرُ إِلَى مَعِدَتِهِ.

فَالْمَعْنَى: يَتَجَرَّعُ الْمَاءَ الَّذِي يُشْبِهُ الصَّدِيدَ بِتَكَلُّفٍ وَهُوَ كَارِهِ لَهُ، وَلَا يَقْتَرِبُ مِنْ إِسَاعَتِهِ، بَلْ يَبْتَلِعُهُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَبْتَلِعُ الطِّينَ وَالرَّمْلَ وَمَوَادَّ أُخْرَى ثَقِيلَةً خَشِنَةً، لَا تُسْتَسَاعُ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ وَإِيلَامٍ.

• ﴿... وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ...﴾:

أَي: وَيَأْتِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَعَذِّبَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ حَوْلِهِ فِي جَهَنَّمَ، مَا يَكْفِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا لِأَنَّهُ يُمِيتُ، لَوْلَا أَنَّ الْحَيَاةَ الْأُخْرَى لَا مَوْتَ فِيهَا، فَقَدْ ذُبِحَ الْمَوْتُ عَلَى أَوَّلِ الصُّرَاطِ، فَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ، وَلَكِنَّهُ يُعَذِّبُ عَذَابًا يَكْفِي لِلْإِمَاتَةِ لَوْ كَانَ نِظَامُ الْمَوْتِ مَا زَالَ سَارِيًا، مَيِّتَاتٍ بَعْدَ الْمُعَذِّبَاتِ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِ.

• ﴿... وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾:

أَي: وَيَأْتِيهِ بَعْدَ هَذَا الْعَذَابِ فِي مُسْتَقْبَلِ بَقَائِهِ فِي جَهَنَّمَ؛ عَذَابٌ غَلِيظٌ آخَرُ، وَهَكَذَا مَعَ كُلِّ زَمَنٍ لَاحِقٍ.

عَذَابٌ غَلِيظٌ: أَي: شَدِيدُ الْإِيلَامِ. أَضْلُ الْغَلِيظِ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الرِّقِيقِ، وَالْعَصَا الْغَلِيظَةُ هِيَ الثَّقِيلَةُ الْعَظِيمَةُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَصِفُ أَعْمَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مُقَاوَمَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا رُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

• ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَشْبِيهُ تَمَثِيلِي رَائِعٌ لِأَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، الَّتِي أَرَادُوا بِهَا مُقَاوَمَةَ دَعْوَةِ الرُّسُلِ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّ مَثَلَهُمْ

كَمَثَلِ مَنْ جَمَعُوا حَطْبًا كَثِيرًا وَأَوْقَدُوا نَارًا عَلَى مِقْدَارٍ مَا جَمَعُوا مِنْ حَطْبٍ، فَأَظْفَأَ اللَّهُ نَارَهُمْ، فَصَارَتِ الْبَقَايَا رَمَادًا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الرَّمَادِ رِيحًا شَدِيدَةً مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا رِيَّاحٌ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، أَيْ: ثَارَتْ فِيهِ رِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ تَحْمِلُ الْعَصْفَ (وهو النبات اليابس، وَوَرَقُ الشَّجَرِ) فَتَدُورُ بِهِ وَتَرْمِيهِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ.

فَحَمَلَتِ الرِّيَّاحُ الْعَاصِفَةُ الرَّمَادَ، وَسَفَتْهُ وَنَسَفَتْهُ، فَلَمْ يَبْقَ لِأَعْمَالِهِمْ أَثَرٌ مَّا، وَخَابَ سَعْيُهُمْ، وَخَسِرُوا كُلَّ مَا أَنْفَقُوهُ فِيمَا مَكْرُوهُ وَدَبَّرُوهُ وَكَادُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، حَتَّى صَارُوا لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى شَيْءٍ كَانُوا يَرْجُونَهُ مِمَّا كَسَبُوهُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ بِمُعَاقِبَةِ اللَّهِ لَهُمْ ضَالِّينَ ضَلَالًا بَعِيدًا، مُعَذِّبِينَ عَذَابًا شَدِيدًا، نَادِمِينَ عَلَى كُلِّ مَا فَعَلُوا.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ)
الآيات من (١٩ - ٢٣)

قال الله عز وجل :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ

فَأَخْلَقْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ
مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ :

القراءات:

(١٩) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

وقراها باقي القراء العشرة: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

(١٩) • قرأ أبو جعفر: [إِنْ يَشَأْ] في الوصل والوقف، وكذلك حمزة، وهشام في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِنْ يَشَأْ].

(٢٢) • قرأ حفص: [لِي عَلَيْكُمْ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بالإسكان: [ليني عَلَيْكُمْ].

(٢٢) • قرأ حمزة: [بِمُصْرِخِيَّ] بكسر الياء المشددة.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِمُصْرِخِيَّ] بفتح الياء المشددة.

(٢٢) • قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: [أَشْرَكْتُمُونِي] بإثبات ياء المتكلم وضلاً، وكذلك قرأها يعقوب وضلاً ووفقاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَشْرَكْتُمُونِ] بحذف ياء المتكلم.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس خطاب من الله عز وجل لكل صالح للخطاب بأن الله الذي خلق السماوات والأرض بالحق قادر على أن يذهب بالناس جميعاً ويأتي بخلق جديد، أي: فالبعث الموعود به حق.

وفيها انتَقَالَ سَرِيعٌ لِتَقْدِيمِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وفيها عَرَضُ حِوَارِ بَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا ضَعَفَاءَ أَتْبَاعاً لِأَيْمَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُسْتَكْبِرِينَ ، وفي هذا الحوار مَعْنَى الْخُصُومَةِ .

وفيها مَا يُجِيبُ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ ضَلُّوا بِوَسَاوِسِهِ وَتَسْوِيلَاتِهِ ، إِذْ يَقُولُ لَهُمْ : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ .

وفيها بَيَانُ إِدْخَالِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ .

التدبرُّ التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ :

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ :

أي : أَلَمْ تَرَ بِفِكْرِكَ أَيُّهَا الرَّائِي الْمُتَفَكِّرُ الْمُتَدَبِّرُ فِي خَلْقِ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ - جَلْ جَلَالُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مُتَّصِفاً خَلْقُهُ لَهُمَا بِالْحَقِّ .

وفي القراءة الأخرى : أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ .

والمراد بِالْحَقِّ هُنَا مَا كَانَ إِيجَادُهُ لِعَايَةِ حَكِيمَةٍ يُدْرِكُهَا الْعُقَلَاءُ ، وَيُدْرِكُونَ أَنَّهَا مِنْ كَمَالِ الْمُوجِدِ ، أَمَّا إِيجَادُ شَيْءٍ مَا ، أَوْ فِعْلٌ فِعْلٍ مَا دُونَ غَايَةِ حَكِيمَةٍ تُقْصَدُ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْكَمَالِ ، فَهُوَ عَبَثٌ يَتَنَزَّهُ عَنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالرُّشْدِ وَالتَّصَرُّفِ الْحَلِيمِ .

وقد سَبَقَ تَدَبُّرُ نَظِيرِ هَذَا الْبَيَانِ بِتَوْشِيعٍ ، لَدَى تَدَبُّرِ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ سُورَةِ (النَّحْلِ / ٧٠ نزول) فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ .

وَلَمَّا كَانَ خَلْقُ اللَّهِ لِكُلِّ مَا خَلَقَ مَسْبُوقًا بِمَشِيئَتِهِ الْحَكِيمَةِ؛ كَانَ عَلَى ذِي الْعَقْلِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - إِنْ يَشَاءُ أَنْ يَذْهَبَ قَوْمًا أَوْ النَّاسَ جَمِيعًا؛ يَذْهَبُهُمْ مِنْ وُجُودِهِمْ فِي الْحَيَاةِ، وَإِنْ يَشَاءُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَخْلُوقَاتٍ جَدِيدَةٍ غَيْرِ الَّذِينَ أَذْهَبَهُمْ مِنْ حَيَاتِهِمْ، إِلَى الْفَنَاءِ، أَوْ إِلَى الْعَدَمِ الْكُلِّيِّ؛ فَعَلَ فَجَاءَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ.

هَذَا مَا نَفَهُمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ:

• ﴿... إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩): أَي: إِنْ يَشَاءُ أَنْ يَذْهَبَكُمْ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ، أَوْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ وُجُودِكُمْ فِي الْحَيَاةِ؛ أَذْهَبَكُمْ، وَجَاءَ بِخَلْقٍ آخَرَ جَدِيدٍ، مُمَاتِلٍ لِخَلْقِكُمْ، أَخَذًا مِنْ دَلَالَةِ لَفْظِ «جَدِيدٍ».

الْخَلْقُ: الْمَخْلُوقُ، وَيُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى النَّاسِ.

• ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢٠): أَي: وَمَا ذَلِكَ الْأَمْرُ، وَهُوَ إِذْهَابُكُمْ وَالْإِثْبَانُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ؛ عَلَى اللَّهِ بِصَعْبٍ وَلَا شَأْنٍ، بَلْ هُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَزَّ الْأَمْرُ عَلَى فُلَانٍ» أَي: اشْتَدَّ، وَشَقَّ، وَصَعِبَ.

وجاء في العبارة تأكيد النفي بحرف الجر الزائد «الباء» في: «بِعَزِيزٍ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنْتِقَالٍ سَرِيعٍ إِلَى عَرْضِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ خَلْقُ جَدِيدٍ لِلنَّاسِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ:

• ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِسٍ﴾ (٢١):

• ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أي: وظهرَ الَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ جَمِيعًا، فِي مَوْقِفٍ جَامِعٍ عَلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، لِمَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَصَرَّفَ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ، فَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ مُلْكُهُ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرُهُ.

الْبَرَّازُ: الْمَكَانُ الْفَضَاءُ مِنَ الْأَرْضِ الْوَاسِعِ الْبَعِيدِ، وَإِذَا خَرَجَ الْخَارِجُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ يُقَالُ بِشَأْنِهِ: «بَرَزَ، يَبْرُزُ، بُرُوزًا» أَي: خَرَجَ إِلَى الْبَرَّازِ، وَأَرْضُ الْمَحْشَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْضٌ فَضَاءٌ وَاسِعَةٌ جِدًّا، وَبَعِيدَةٌ الْأَطْرَافِ.

جَمِيعًا: حَالٌ.

أي: وَأَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُؤَالَ الْعِبَادِ، وَفَصَلَ قَضَاءَهُ بِشَأْنِهِمْ.

• ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: أَي: فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ضُعَفَاءَ تَابِعِينَ قَادَتَهُمْ وَسَادَتَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمْ.

• ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: أَي: لِلَّذِينَ كَانُوا اسْتَكْبَرُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِأَمْوَالِهِمْ، وَبِمَا كَانَ قَدْ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ لِيُنْلُوهُمْ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَفِي أَنْصَارِهِمْ وَجُنُودِهِمْ:

• ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾:

أي: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ أَتْبَاعًا نَسِيرُ فِي أَثَرِكُمْ، وَنَتَّبِعُ أَوْامِرَكُمْ، وَخُطُواتِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَصْرِفُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، بَعْدَ أَنْ صَدَرَتْ أَحْكَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا بِالْعَذَابِ.

«مِنْ» فِي: «مِنْ شَيْءٍ» مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ «شَيْءٍ» أَي: أَي شَيْءٍ.

تَبَعًا: أَي: أَتْبَاعًا، وَلَفْظُ «تَبَعَ» بِمَعْنَى تَابِعَ، يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَتْبَاعٍ.

مُغْنُونَ عَنَّا: أي: صَارِفُونَ عَنَّا، أَضِلْ مَعْنَى «أَغْنَاهُ»: كَفَاه. وَحِينَ تَكُونُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى دَفْعِ مَكْرُوهِه يُضَمَّنُ الْفِعْلُ مَعْنَى الْكَفِّ وَالصَّرْفِ فَيُعَدَّى تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ «عَنْ»، فيقال: «أَغْنِ عَنَّا شَرَكًا» أي: كُفَّهُ وَاصْرِفْهُ عَنَّا.

• ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ

مَحِيصٍ ﴿٢٠﴾﴾:

أي: قَالَ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَكْبِرِينَ مَتَّبِعِينَ فِي الدُّنْيَا: لَوْ حَكَمَ اللَّهُ الْيَوْمَ لَنَا بِالْهُدَايَةِ لَكُنَّا بِاتِّبَاعِكُمْ لَنَا فِي الدُّنْيَا هَدَيْنَاكُمْ، وَلَكِنْ حَكَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عُذْرٌ بِاتِّبَاعِنَا، بَلْ كُنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَشَهَوَاتِكُمُ الَّتِي وَجَدْتُمُوهَا عِنْدَنَا وَفِي مَسَالِكِ غَوَايَتِنَا.

فَسَوَاءٌ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَجْرُ عَنَّا وَأَظْهَرْنَا سَخَطَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِالصِّيَاحِ وَالْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ، أَمْ صَبَرْنَا وَصَمَمْنَا، مَا لَنَا مِنْ مَكَانٍ نَحِيدُ وَنَعْدِلُ وَنَهْرُبُ إِلَيْهِ.

يقال لغة: «حَاصَ عَنِ الشَّيْءِ، يَحِيصُ، حَيْصًا، وَمَحِيصًا، وَحَيْصَانًا» أي: حَادَ عَنْهُ وَعَدَلَ.

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: أي لِلَّذِينَ كَانُوا غُلَاةَ مُبَالِغِينَ فِي تَكْبَرِهِمْ، بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ وَصِفَاتٍ يَتَكَبَّرُونَ بِهَا عَلَى جَمَاهِيرِ قَوْمِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ قَائِدَ غَوَايَةِ وَتَضْلِيلٍ فِي حَيَاةِ الْاِمْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا، فَمِنْ شَأْنِ الَّذِينَ كَانَ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا قَدْ أَضَلَّهُمْ وَأَغْوَاهُمْ، أَنْ يُوجِّهُوا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ السَّبَبُ فِي إِغْوَاهُمْ وَإِضْلَالِهِمْ، فَلْيَحْمِلْ عَنْهُمْ نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي قُضِيَ بِهِ عَلَيْهِمْ. فَيُدَافِعُ الشَّيْطَانُ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الثَّالِيَةِ:

• ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي

وَلَوْ مُوَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتَ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾:

الشيطان: اسْمُ جَنْسٍ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مُغْوٍ مُضِلٍّ مُتَمَرِّدٍ مُفْسِدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. وَإِبْلِيسُ إِمَامُ الشَّيَاطِينِ وَرَئِيسُهُمْ. وَهُوَ عَلَى وَزْنِ «فِعْعَال»، من فَعَلَ «شَطَنَ» أي: بَعَدَ.

- ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي: لَمَّا أَنْهِيَ أَمْرُ حُكْمِ اللَّهِ بَيْنَ الْعِبَادِ.
- ﴿وَعَدَ الْحَقِّ﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُبَيَّنٌ لِلنَّوْعِ، وَهُوَ كَوْنُهُ حَقًّا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا بَاطِلَ، وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ، أي: الْوَعْدَ الْحَقِّ.
- ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ قُوَّةٍ تُجْبِرُكُمْ وَتُلْغِي إِرَادَاتِكُمُ الْحُرَّةَ.

- ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أي: وَمَا كَانَ لِي مِنْ عَمَلٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى سُبُلِ الضَّلَالَةِ وَالْعَوَايَةِ، فَاسْتَجَبْتُمْ لِي بِاخْتِيَارِكُمُ الْحُرِّ، دُونَ إِكْرَاهٍ وَلَا إِجْبَارٍ، فَأَنْتُمْ تَتَحَمَّلُونَ عَاقِبَةَ اخْتِيَارِكُمْ تَحَمُّلاً كَامِلاً.

- ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مُوَا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: فَلَا تُلْهُمُونِي عَلَى غَوَايَتِكُمْ وَضَلَالِكُمْ، وَلَوْ مُوَا أَنْفُسَكُمْ، إِذْ أَنْتُمْ الَّذِينَ جَنَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِاخْتِيَارِكُمْ الْحُرِّ، إِذْ اسْتَجَبْتُمْ لِدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا سُبُلَ الضَّلَالِ.

- ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتَ بِمُصْرِخِيَّ﴾: مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ. الْمُصْرِخُ: الْمُغِيثُ، الَّذِي يَسْمَعُ صُرَاخَ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ فَيُغِيثُهُ.

- ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: إِنِّي كَفَرْتُ بِاتِّخَاذِكُمْ لِي شَرِيكاً فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَأَطَعْتُمُونِي فِي دَعْوَتِي، وَلَمْ تُطِيعُوا اللَّهَ بَارِعَكُمْ وَمُمِدَّكُمْ دَوَاماً بِعَطَاءَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ. ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾: أي بِإِشْرَاكِكُمْ إِيَّايَ.

وهَذَا الْمَعْنَى مِنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (يس/ ٤١) نَزُولِ) حِكَايَةِ لَمَّا سَوَفَ يَخْذُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾:

فَجَعَلَ اللَّهُ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي وَسْوَيسِهِ وَتَسْوِيلَاتِهِ عِبَادَةً لَهُ، وَمُشَارَكَةً لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

• ﴿... إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾: بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ الظَّالِمِينَ مِنْ أَذْنَىٰ ذَرَكَاتِ الْكُفْرِ فَمَا هُوَ أَحَطُّ مِنْهَا وَأَخْسَرُ؛ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مُعَدٌّ لَهُمْ، يَنَالُونَهُ حِينَ حُلُولِ أَجَلِهِ يَوْمَ الدِّينِ، والبيان يقضي بَأَنَّهُمْ أُذْخِلُوا فِي دَارِ الْعَذَابِ لِيَذُوقُوا فِيهَا جَزَاءَهُمْ بِالْعَدْلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ ثَوَابِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَوْمَ الدِّينِ، بِعِبَارَةٍ تَحْكِي بَيَانًا مُقْتَضِعًا مِمَّا سَوْفَ يَحْدُثُ لَهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ:

• ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٧٣﴾﴾:

أي: وفي مُقَابِلِ إِدْخَالِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ لِيَذُوقُوا جَزَاءَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، أُذْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْمُرْضِيَاتِ رَبَّهُمْ عَنْهُمْ؛ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ شُرَفَاتِ قُصُورِهَا أَوْ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، حَالَةً كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِي التَّنْعِيمِ بِأَنْوَاعِ نَعِيمِهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَحَالَ كَوْنِ تَحِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ فِيهَا، وَتَحِيَّةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: سَلَامٌ.

السَّلَامُ: السَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ الدَّائِمَانِ مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ.

وبهذا تَمَّ تَذْكَرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ).

والحمد لله عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دُروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٢٤ - ٢٦)

قال الله عزَّ وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

القراءات:

(٢٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: [أُكْلَهَا] بإسكان الكاف.

وقراها باقي القراء العشرة: [أُكْلَهَا] بِضَمِّ الكاف.

وهما لغتان.

(٢٦) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحَمْزة وَيَعْقُوب: [خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ]

بِكَسْرِ التَّوْنِينِ.

وَكَذَلِكَ ابْنُ ذَكْوَانَ وَقُنْبَلُ بِخُلْفٍ عَنْهُمَا.

وقراها باقي القراء العشرة بِضَمِّ التَّوْنِينِ فِي الْوَصْلِ، وَهُوَ الْوَجْهُ

الثَّانِي لِابْنِ ذَكْوَانَ وَقُنْبَلِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مَثَلِ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَمَثَلِ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ.

التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ:

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: انْظُرْ نَظْرَ تَفَكُّرٍ عَمِيقٍ وَتَدَبُّرٍ دَقِيقٍ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي

لِهَذَا الْبَيَانِ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا اسْتِفْهَامَ هُنَا اسْتِفْهَامَ تَحْرِيزِي عَلَى التَّفَكُّرِ الْعَمِيقِ
وَالْتَدَبُّرِ الدَّقِيقِ فِيمَا سَيُعْرَضُ مِنْ بَيَانٍ.

• ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: أي: تَفَكَّرْ فِي الْكَيْفِيَّةِ الْوُصْفِيَّةِ لِلْمَثَلِ

الآتِي:

• ﴿... كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾:

يَضْرِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَثَلًا لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ؛ بِالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي لَهَا
أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ، إِذْ هِيَ ذَاتُ جُذُورٍ مُتَعَلِّغَةٍ فِي الْأَعْمَاقِ، تَمْتَصُّ
الْغِذَاءَ لِلشَّجَرَةِ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ، فَيَضَعُدُ فِي قَنَوَاتٍ مِنَ الْجُذُورِ إِلَى
السَّاقِ، فَإِلَى الْفُرُوعِ الصَّاعِدَةِ فِي الْجَوِّ الَّذِي هُوَ سَمَاءٌ بِالنُّسْبَةِ إِلَى
الْأَرْضِ، فَإِلَى الْأُورَاقِ وَالْأَفْتَانِ وَالثَّمَرَاتِ، فَهِيَ تُؤْتِي النَّاسَ أَكْلَهَا، وَهُوَ
مَا يُؤْكَلُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرَاتٍ، كُلَّ حِينٍ مِنْ فُضُولِ إِنتَاجِهَا، بِإِذْنِ رَبِّهَا مُدَبِّرٍ
نَمَائِهَا وَعَطَائِهَا، ضِمَّنَ قَانُونَ إِنتَاجِهَا الَّذِي قَدَرَهُ بِحِكْمَتِهِ وَقَضَاهُ لَهَا.

وَأَوَّلَى الشَّجَرَاتِ بِالمَثَلِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ: النَّخْلَةُ.

كَذَلِكَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى حَقِّ مُؤَيَّدٍ بِالْبُرْهَانِ، أَوْ تَهْدِي إِلَى
خَيْرٍ أَوْ فَضِيلَةٍ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُرْضِي اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَفِي رَأْسِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتِ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَكَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَلِمَاتُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَكُلُّ
كَلِمَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ، أَوْ كَلِمَةُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الثَّابِتَةِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ
الصَّحِيحَةِ، وَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْهَادِيَّةُ إِلَى حَقِّ أَوْ خَيْرٍ أَوْ فَضِيلَةٍ؛ كُلُّهَا
كَلِمَاتٌ طَيِّبَاتٌ.

إِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ذَاتُ أَصْلٍ ثَابِتٍ، إِذْ لَهَا جُذُورٌ كَجُذُورِ الشَّجَرَةِ

الطَّيِّبَةِ، وَهَذِهِ الْجُذُورُ مُتَغَلِّغَةٌ فِي حَقَائِقِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ، وَلَهَا فَرْعٌ صَاعِدٌ فِي سَمَاءِ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ، تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ بِهَا الْمَهْدِيَّ بِهَدْيِهَا ذَا أَعْمَالٍ نَافِعَةٍ، وَصَاحِبَ امْتِدَادَاتٍ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، كَفُرُوعِ شَجَرَةِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ، جَمِيلَةِ الْأَفْنَانِ وَالْأُورَاقِ، كَثِيرَةِ الثَّمَرَاتِ النَّافِعَاتِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ مِنْ أَحْيَانٍ إِنْتَاجِهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَافِراً كَثِيراً عَلَى وَفْقِ قَانُونِ إِنْتَاجِهَا.

• ﴿... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ...﴾ (٢٥): أي: لِتَقْرِيبِ حَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ النَّافِعَةِ إِلَى أَذْهَانِهِمْ وَمَدَارِكِ عُقُولِهِمْ.

• ﴿... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥): أي: رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَذَكَّرُوا حَقَائِقَ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُثْمِرِ الْهَادِي إِلَى الرُّشْدِ وَالسَّدَادِ، فَيَكُونُوا دَافِعاً لَهُمْ إِلَى سُلُوكِ يُسَعِدُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَيُنْجِيهِمْ مِنْ عَوَاقِبِ سُلُوكِ السُّبُلِ الْمُنْحَرِفَةِ الْبَعِيدَةِ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

• ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦):

الخبِيث: ضِدُّ الطَّيِّبِ، وَهُوَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَرَبَّمَا يَكُونُ ضَارَراً.

• ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: أي: قُطِعَتْ قَطْعاً كَامِلاً، فَلَمْ يَبْقَ لَهَا جَذَرٌ مَا فِي الْأَرْضِ يَمْتَصُّ مَاءً وَلَا غِذَاءً، فَهِيَ حَطْبٌ خَبِيثٌ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

• ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: أي: لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ تَسْتَقِرُّ فِيهِ وَتَثْبُتُ، بَلْ تَسْقُطُ حَطْباً غَيْرَ مُثْمِرٍ، وَلَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا اسْتِقْرَارٌ، إِذْ هِيَ مُنْقَطِعَةٌ فَلَا شَيْءَ يَجْعَلُهَا تَثْبُتُ مُسْتَقَرَّةً.

الْقَرَارُ: الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ، يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ وَيَسْتَقِرُّ فِيهِ. وَمَضَرُّ «قَرٌّ، يَقَرُّ، قَرَاراً بِالْمَكَانِ» أَي: أَقَامَ فِيهِ مُسْتَقَرّاً مُظْمِئاً.

وبهذا يَضْرِبُ اللهُ مَثَلًا لِلْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ بِشَجَرَةِ خَبِيثَةٍ مُتَصَوِّرَةٍ ذَهْنًا، وَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ لَهَا وُجُودٌ فِي أَشْجَارِ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الْخَبِيثَةُ مَقْطُوعَةٌ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ عَنْ جُذُورِهَا، فَهِيَ لَا تَسْتَمِدُّ مَاءً وَلَا غِذَاءً، فَلَا يَكُونُ لَهَا حُضْرَةٌ وَلَا نُضْرَةٌ، وَإِنْ بَقِيَ مِنْهَا صُورَةٌ شَيْءٍ فَهِيَ سَاقِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا وَرَقٌ وَلَا ثَمَرٌ، وَإِنْ يَصْلُحُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْحَرِيقِ بِنَارِ يَوْمِ الدِّينِ.

وَالْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ هِيَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ أَوْ بِصِفَاتِهِ أَوْ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى أَوْ بِأَفْعَالِهِ، أَوْ بِكِتَابِهِ، أَوْ بِرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَوْ بِحَقِّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَكَلِمَةُ الْبَاطِلِ، وَالْكَلِمَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى كُفْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ إِثْمٍ أَوْ فُسُوقٍ أَوْ عِصْيَانٍ لِلْمَلِكِ الدِّيَّانِ، وَالْكَلِمَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كَلِمَاتٍ.

فَكُلُّ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ هِيَ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ مَقْطُوعَةِ الصَّلَةِ بِمَا يُمِدُّهَا مِنْ مَاءٍ وَغِذَاءٍ، ضَارَّةٌ غَيْرُ نَافِعَةٍ، لَا وَرَقَ لَهَا وَلَا ثَمَرَ.

إِنَّ الْكَلِمَةَ الْخَبِيثَةَ مَقْطُوعَةُ الصَّلَةِ بِمَا يُمِدُّهَا مِنَ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ، الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالَّذِي لَا يُمَدُّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالنُّورِ وَالْهُدَايَةِ إِلَى مَا يُوصِلُ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، مَنْ اهْتَدَى بِهَا، وَاتَّبَعَ صِرَاطَهَا، وَعَمِلَ بِمَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ.

هَذَا التَّشْبِيهُ التَّمثِيلِيُّ الَّذِي جَاءَ بَعْضُهُ مُصَرِّحًا بِهِ، وَطَوِي سَائِرُهُ فِي طَيِّبَاتِ النَّصِّ؛ مِنْ رَوَائِعِ التَّشْبِيهَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، الَّتِي يَسِيحُ ذَهْنُ الْأَدِيبِ اللَّمَّاحِ فِي الْخَبَايَا الْمَطْوِيَّةِ فِي مَثَانِيهَا.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ).

والحمد لله على مُعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٩)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دُروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٢٧ - ٣٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ كُفْرًا وَآحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْفَرَارِ ﴿٢٩﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾:

القراءات:

(٢٩) • قرأ ورش والشوسى، وأبو جعفر: [وَبِيسْ] وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا
حَمَزَةً فِي الْوَقْفِ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [وَبِشْ].

(٣٠) • قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ورؤيس بخلف عنه: [لِيُضِلُّوا]:
أي: لتكون عاقبةُ جعلهم لله أَنْدَادًا أَنْ يَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ وهو الوجه الثاني لرؤيس: [لِيُضِلُّوا]:
أي: لِيُضِلُّوا مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وَبَيَّنَ الْقَرَّاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

تَمْهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَّانُ تَثْبِيتِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ.

أَمَّا الظَّالِمُونَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ فَلَا تَثْبِيتَ لَهُمْ، بَلْ يُضِلُّهُمُ اللَّهُ، فَقَدْ

يَذَلُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ بِيَقَادَتِهِمْ لَهُمْ دَارَ الْبُورِ (وهو الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الْأَبَدِيُّ) وَهِيَ جَهَنَّمُ، وَمِنْ تَضْلِيلِهِمْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا شُرَكَاءَ لَهُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ ثَلَاثِ قَضَايَا:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾:

أَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثَبِّتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا؛ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَى تَثْبِيْتٍ، وَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَتَثْبِيْتِهِمْ وَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَتَثْبِيْتِهِمْ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَهُمْ يَبْذُلُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي الْمَبَرَّاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

وَكَتَثْبِيْتِهِمْ عَلَى الْإِيْمَانِ كُلَّمَا تَعَرَّضُوا لِهَزَاتٍ مُزَلِّلَاتٍ لِلْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، وَأَتَمَّهَا تَثْبِيْتُهُمْ عَلَى الْإِيْمَانِ قَبْلَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ اقْتِرَابِ أَجَالِهِمْ، لِتَكُونَ وَقَاتُهُمْ عَلَى إِيْمَانٍ صَحِيحٍ كَامِلٍ.

أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَيَكُونُ تَثْبِيْتُهُمْ عَلَى الْإِيْمَانِ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ الْمَكَلَّفِينَ بِسُؤَالِ الْمَوْتَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ، عَنْ دِينِهِمْ، وَرَسُولِهِمْ، وَالْكِتَابِ الْمَنْزَّلِ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، وَرُبَّمَا فِي مَوَاقِفٍ أُخْرَى اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا.

أَمَّا مَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِأُولَى مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا حَالَةُ الدَّفْنِ فِي الْقَبْرِ، فَقَدْ جَاءَ بِشَأْنِهَا أَحَادِيثُ مِنْهَا الصَّحِيحَةُ وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

وَجَاءَ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى مِنْهَا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ الْمَيِّتَ بَعْدَ دَفْنِهِ فِي قَبْرِهِ، يُسْأَلُ فَيَقَالُ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟. وَمَا دِينُكَ؟. وَمَنْ نَبِيُّكَ؟».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَقْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا. وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ...».

قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ - فَذَكَرَ مَوْتَهُ -، قَالَ: وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَقْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُومِهَا. قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ...».

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ...﴾:

أَي: وَيَحْكُمُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ بِالضَّلَالِ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَى مَقَاعِدِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، بَعْدَ إِضْدارِ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي مَحْكَمَةِ الْعُدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ﴾:

أَي: وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ يَوْمَ الدِّينِ، بَعْدَ تَثْبِيثِ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَاحِبًا صَادِقًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَعْدَ الْحُكْمِ عَلَى الظَّالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ بِالضَّلَالِ، وَبِاسْتِحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ.

وَنَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - يُنْعِمُ بِفَضْلِهِ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَاحِبًا صَادِقًا بِالْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَبِمَا تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يُنْعِمَ بِهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ نَعِيمٍ، بِحَسَبِ الدَّرَجَةِ الَّتِي قَضَى بِأَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنْ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ الْمُتَّةِ.

وَيُعَذِّبُ الظَّالِمِينَ بِعَذْلِهِ عَلَى وَفْقِ مَشِيئَتِهِ الْحَكِيمَةِ، بِحَسَبِ الدَّرَكَةِ الَّتِي قَضَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِيهَا، مِنْ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ.

وَمَشِيئَةُ اللَّهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، بِفَضْلِهِ إِنْعَامًا، وَبِعَذْلِهِ تَعْذِيبًا وَإِكْلَامًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿... أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارَ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٧٧﴾﴾:

أَي: انْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِبَيَانِ رَبِّكَ بِفِكْرِكَ الْمُتَأَمِّلِ الْمُتَدَبِّرِ، إِلَى

الْكَفَرَةَ الْجَاكِدِينَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ بَدَّلُوا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ، فَجَعَلُوا مَكَانَهُ كُفْرًا وَجُحُودًا لِنِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِمْ، فَتَسَبَّوْا مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ إِلَى عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ وَمَهَارَاتِهِمْ فِي الْكَسْبِ، وَإِلَى آلِهَتِهِمْ الْبَاطِلَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا أَفْتِرَاءً عَلَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ، وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ بِشَيْءٍ، وَدَعَوْا جَمَاهِيرَ قَوْمِهِمْ إِلَى سُبُلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ الَّتِي سَلَكَوْهَا، فَاتَّبَعَتْهُمْ جَمَاهِيرُهُمْ دُونَ أَنْ يُحَاكِمُوا اتِّبَاعَهُمْ لَهُمْ بِأَرَاءِ سَدِيدَةٍ، وَعُقُولِ رَشِيدَةٍ، وَإِنَّمَا وَثِقُوا بِقِيَادَاتِهِمْ وَرِثَاسَاتِهِمْ لَهُمْ فَاتَّبَعُوهُمْ، فَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ لَهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ دَارَ الْبُورِ، أَي: دَارَ مُعَاقِبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ بِاخْتِيَارِهِمُ الْحَرَّ، وَهِيَ جَهَنَّمُ الَّتِي يَخْتَرِقُونَ بِنَارِهَا يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿...﴾ وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾: أَي: دَارَ مُعَاقِبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.

الْبُورُ: مَصْدَرُ «بَارَ، يَبُورُ، بُورًا، وَبَوَارًا» أَي: هَلَكَ، أَوْ كَانَتْ نَتَائِجُ عَمَلِهِ خَبِيَّةً، فَلَمْ يُحَقِّقِ الْمَقْصُودَ مِنْهُ، فَدَارُ الْبُورِ هِيَ دَارُ الْخَبِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَجَاءَ عَظْفُ الْبَيَانِ مُبَيَّنًا كَوْنُ دَارِ الْبُورِ:

• ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾ ﴿٢٩﴾:

جَهَنَّمُ: هِيَ الدَّارُ الْمُعَدَّةُ لِعَذَابِ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَ الدِّينِ.

يَصْلَوْنَهَا: أَي: يُعَذَّبُونَ بِالْإِخْتِرَاقِ بِنَارِهَا، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَهُمُ اللَّهُ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

وَبَسَّ الْقَرَارُ: أَي: وَسَاءَ سُوءًا - لَا يُوجَدُ أَشَدُّ مِنْهُ - مَكَانُ إِقَامَتِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ الْأَبَدِيِّ فِيهَا.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أَي: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مُمَاطِلِينَ وَنُظَرَاءَ لَهُ، فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَعَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

• ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي: لِيُضِلُّوا مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَيَتَّبِعُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وهذا شأنُ الْقَادَةِ وَالْأَيِّمَةِ الْمُغْوِينَ الْمُضِلِّينَ.

• [وليضلوا عن سبيل الله] في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورؤيس، أي: لِيَبْتَغِدُوا فِي مَتَاهَاتِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ضَالِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

• ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٣٠):

أي: قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، تَمَتَّعُوا بِمَتَاعَاتِكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْمَصِيرَ الَّذِي سَوْفَ تَصِيرُونَ إِلَيْهِ هُوَ عَذَابُ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، إِذَا لَمْ تَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ قَبْلَ مَوْتِكُمْ، وَفِي هَذَا وَعِيدٌ عَظِيمٌ لَهُمْ بِالْمَصِيرِ النَّعِيسِ الَّذِي سَوْفَ يُلاقُونَهُ.

مَصِيرُ الْأَمْرِ: مُنْتَهَاهُ وَعَاقِبَتُهُ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ).

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (إبراهيم)

الآيات من (٣١ - ٣٤)

قال الله عز وجل:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاتَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ :

القراءات:

(٣١) • قرأ ابنُ عامر، وحمزة، والكسائي، وروح: [قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ] بِإِسْكَانٍ ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بِفَتْحٍ ياء المتكلم.

(٣١) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَا بَيِّعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا بَيِّعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ].

وهما وَجْهَانِ نَحْوِيَّانِ جَائِزَانِ فِي «لَا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ إِذَا تَكَرَّرَتْ، ضَمْنُ خَمْسَةِ وُجُوهِ جَائِزَةٍ.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس ما يلي:

(١) أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ بِأَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَبِأَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ.

(٢) بَيَّانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الرَّزَّاقُ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ الْمَسْخَرُ لِلْفُلُكِ، وَالْمَسْخَرُ لِلنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ دَائِبِينَ، وَلِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُوَ الَّذِي آتَاهُمْ مِمَّا سَأَلُوهُ.

(٣) ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ بِأَنَّهُمْ إِنِ يَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا يُحْصُوهَا، وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ حَامِلٍ لِرِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ ﴿٦٦﴾ :

أي: قُلْ يَا مُحَمَّد، وَيَا كُلَّ حَامِلٍ لِرِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا فَشَرَفْتُهُمْ بِعُبُودِيَّتِهِمْ لِي بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ؛ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ المفروضةَ فِي أَوْقَاتِهَا الْحَمْسِ الَّتِي سَبَقَ أَن فُرِضَتْ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، كَمَا جَاءَ بَيَانُهُ مُفَصَّلًا فِي الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الإسراء/ ٥٠ نزول).

• ﴿يُقِيمُوا﴾: أي: «لِيُقِيمُوا» مَجْزُومٌ بِلَامِ أَمْرِ مَحذُوفَةٍ تَخْفِيفًا، إِذْ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ بَعْدَ تَكْلِيفِ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ أَن يَقُولَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُطِفَ عَلَيْهِ.

• ﴿وَيُنْفِقُوا﴾ بِالْجَزْمِ أَيْضًا.

• ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: لَمْ تَكُنِ الرِّكَاءُ بِأَنْصَبَتِهَا وَمَقَادِيرِهَا قَدْ فُرِضَتْ فِي الْمَرَحَلَةِ الْمَكِّيَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِيهَا التَّرْغِيبُ فِي الْإِنْفَاقِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرُ بِهِ أَمْرًا عَامًّا غَيْرَ مُحَدَّدِ الْمَقْدَارِ، وَتَحْسِينُهُ، وَذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

- (١) فِي الْآيَةِ (٤٧) مِنْ سُورَةِ (يَس/ ٤١ نزول).
- (٢) وَفِي الْآيَةِ (٢٩) مِنْ سُورَةِ (فَاطِر/ ٤٣ نزول).
- (٣) وَفِي الْآيَةِ (٥٤) مِنْ سُورَةِ (الْقَصَص/ ٤٦ نزول).
- (٤) وَفِي الْآيَةِ (٣٩) مِنْ سُورَةِ (سَبَأ/ ٥٨ نزول).
- (٥) وَفِي الْآيَةِ (٣٨) مِنْ سُورَةِ (الشُّورَى/ ٦٢ نزول).
- (٦) وَفِي الْآيَةِ (٧٥) مِنْ سُورَةِ (النَّحْل/ ٧٠ نزول).
- (٧) وَفِي الْآيَةِ (٣١) مِنْ سُورَةِ (إِبْرَاهِيم/ ٧٢ نزول) الْجَارِي تَدْبِيرُهَا.

أَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ أَمْرَ الْإِزَامِ، بِأَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، دُونَ تَحْدِيدِ مِقْدَارِ مَا يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، تَمْهيداً وَتَوْطئةً لِمَا سَيَنْزِلُ مِنْ تَحْدِيدِ فِي الْمَرَحَلَةِ الْمَدْنِيَّةِ، وَفَقَّ أُسْلُوبِ التَّدْرِجِ فِي تَنْزِيلِ أَحْكَامِ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ.

سِرّاً: أي: دُونَ إِظْهَارِ لِلنَّاسِ، بَلْ يَكُونُ بَيْنَ الْمُنْفِقِ وَالْمُنْفَقِ عَلَيْهِ، أَوْ بَيْنَ الْمُنْفِقِ وَبَيْنَ الْمَشْرُوعِ الْعَامِّ، الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْمَالُ بِصُنْدُوقِ عَامٍّ لَا يُعْرَفُ اسْمُ مَنْ يَضَعُ فِيهِ صَدَقَتَهُ، وَمَا بَذَلَهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ.

وَعَلَانِيَةً: أي: ظَاهِراً لَا خَفَاءَ فِيهِ، يَرَاهُ مِنْ شَهِدِ الْإِنْفَاقِ.

وفي تقديم السِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ إِشْعَارٌ بِتَفْضِيلِهِ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ فِيهِ.

﴿سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ حَالَانِ لِلْإِنْفَاقِ.

• ﴿... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ (٣١):

خِلَالٌ: جَمْعُ «خُلَّةٍ» وَهُوَ الصَّدِيقُ (يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوتُ وَالْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ)، وَيُقَالُ: «خُلَّةُ الْإِنْسَانِ» أَهْلُ مَوَدَّتِهِ، وَ«خُلَّةُ الرَّجُلِ» زَوْجَتُهُ، وَالْجَمْعُ: «خِلَالٌ».

أي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَوْمُ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا يَمْلِكُ فِيهِ مَنْ كَانَ مَوْضِعاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ مَا يَفْتَدِي بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ كَانَ قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ، وَلَا مَا يَشْتَرِي مَا يَتَمَنَّى مِنْ ثَوَابِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ مُجِبُونَ أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ شَيْئاً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، أَوْ يَجْلُبُونَ لَهُ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَضَمَّنَ قَانُونِ عَذْلِهِ وَفَضْلِهِ.

وَجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ انْعِدَامِ مَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ يُقْتَدَى بِهِ عَذَابُ اللَّهِ مِنْ مَالٍ، أَوْ يُشْتَرَى بِهِ مَا يُتَمَنَّى مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ بِالْمَالِ؛ بعبارة: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ إِذْ هُوَ مِثَالٌ مِنَ الْأُمُثَلَةِ الْكُبْرَى الَّتِي تُتَدَاوَلُ فِيهَا الْأَمْوَالُ.

وَجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ انْعِدَامِ مَا يُتَوَهَّمُ أَنْ يُسْتَنْصَرَ بِهِمْ أَوْ يُسْتَشْفَعَ بِهِمْ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَلَا خَلَلٌ﴾: أَي: وَلَا أَصْدِقَاءُ وَلَا أَهْلُ مَوَدَّةٍ يَنْصُرُونَ، أَوْ يَشْفَعُونَ، إِذْ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ يَوْمَ الدِّينِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِلنَّاسِ مُمْتَنّاً عَلَيْهِمْ بِبَعْضِ نِعَمِهِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ:

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ بَيَانُ تِسْعِ قَضَايَا:

القضية الأولى: جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أَي: اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِكُلِّ مَا فِيهَا، وَخَلَقَ الْأَرْضَ بِكُلِّ مَا فِيهَا، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِمَّا هُوَ تَابِعٌ لِلْأَرْضِ وَإِمَّا هُوَ تَابِعٌ لِلسَّمَاءِ، وَلَمَّا كَانَ الْكَوْنُ كُلُّهُ مُنْحَصِراً فِي الْأَرْضِ وَفِيمَا حَوْلَ الْأَرْضِ مِنْ سَمَاوَاتٍ؛ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقاً كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمِرَادُ بِالْخَلْقِ هُنَا الْإِبْدَاعُ مِنَ الْعَدَمِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ: إِعْطَاءُ الْأَشْيَاءِ صُورَهَا، وَهَذَا الْخَلْقُ مِنَ الْعَدَمِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

القضية الثانية: جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾:

أي: وَأَنْزَلَ مَاءً مِنَ السَّحَابِ الَّذِي هُوَ سَمَاءٌ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ بُخَارُ الْمَاءِ الصَّاعِدُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْمَتَجَمِّعُ سَحَاباً، وَالَّذِي يَهْطُلُ أَمْطَاراً ضِمَّنَ نِظَامَ قَدْرِهِ اللَّهُ وَقَضَاهُ بِحُكْمَتِهِ.

والماء الذي يُنْزِلُهُ اللَّهُ مِنَ السَّحَابِ يَخْتَلِطُ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، فَتَنْبُتُ بِهِ نَبَاتَاتُ الْأَرْضِ، فَتَخْرُجُ مِنْهَا ثَمَرَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ رِزْقاً لِلنَّاسِ.

لفظ «مِنْ» فِي ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ثَمَرَاتٍ هُوَ بَعْضُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ثَمَرَاتٍ، فَفِي الْجَنَّةِ ثَمَرَاتٌ كَثِيرَاتٌ جَدًّا لَا وُجُودَ لِنَظِيرَاتِهَا فِي الْأَرْضِ.

القضية الثالثة: جاء التعبيرُ عَنْهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ﴾:

إِنَّ نِظَامَ الطَّفْوِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ فِي كَوْنِهِ؛ يَنْتُجُ عَنْهُ أَنْ يَحْمِلَ الْمَاءُ مَرَاكِبَ تَجْرِي فِيهِ، وَهَذَا مِنْ تَسْخِيرِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَحِينَمَا تَجْرِي فَإِنَّمَا تَجْرِي بِأَمْرِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشَأْ أَنْ تَجْرِيَ فَإِنَّهَا تَتَوَقَّفُ.

التَّسْخِيرُ: التَّذْلِيلُ لِأَمْرِ مَا، وَجَعْلُ الشَّيْءِ مَطَاوِعاً لِمَا يُرَادُ بِهِ أَوْ مِنْهُ ضِمَّنَ قَانُونَ تَسْخِيرِهِ.

وَسَبَقَ فِي عِدَّةِ نُصُوصٍ بَيَانُ مَنَافِعِ النَّاسِ مِنْ تَسْخِيرِ الْفُلْكِ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ رَبِّهَا.

القضية الرابعة: جاء التعبيرُ عَنْهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْآلِهَةَ﴾:

أي: وَسَخَّرَ لَكُمُ الْآلِهَةَ لِتَسْتَقُوا مِنْهَا، وَلِتُسْقُوا مِنْهَا أَنْعَامَكُمْ وَدَوَابَّكُمْ وَزُرُوعَكُمْ وَأَشْجَارَكُمْ، وَلِتَسْتَخْرِجُوا مِنْهَا لَحْماً طَرِيّاً، وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى.

القضية الخامسة: جاء التعبير عنها بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ﴾:

أي: وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ مُشْرِقَةً عَلَى أَرْضِكُمْ فِي النَّهَارِ، كَثِيرَةَ الْمَنَافِعِ لَكُمُ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْقَمَرَ بِنِظَامِهِ الْخَاصِّ كَثِيرِ الْمَنَافِعِ، يَسِيرَانِ ضِمْنَ نِظَامٍ ثَابِتٍ، وَعَادَةً لَا تَخْرُمُ لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ.

الذَّابُّ: العادة والسُّنَّةُ الْمُتَّبَعَةُ الَّتِي تَتَكَرَّرُ بِلا تَغْيِيرٍ مع الجِدِّ والاجتهاد.

القضية السادسة: جاء التعبير عنها بقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ﴾:

وقد سبق في نجوم التنزيل بيان منافع الليل والنهار للناس، فالليل للسكون والراحة، والنهار للعمل.

القضية السابعة: جاء التعبير عنها بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾:

دَلَّتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ عَلَى آيَةِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَتِ عَلَى وُجُودِهِ، فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا سَأَلَ اللَّهَ رَبَّهُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ، فِي مَالٍ أَوْ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، أَوْ أَمْنٍ، أَوْ خَلَاصٍ مِنْ مَكْرُوهِ؛ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ بَعْضَ دُعَائِهِ لَهُ، لِيُبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ رَبٌّ مَوْجُودٌ فِي الْغَيْبِ عَنِ الْحَوَاسِ، وَيُجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ.

القضية الثامنة: جاء التعبير عنها بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾:

أي: وَإِنْ اتَّجَهْتَ أَفْكَارُكُمْ لِعَدِّ نِعْمَةِ اللَّهِ (أي: نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ) لَا تُحْصِوْهَا، أي: لَا تَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا عَدًّا، لَا تَفْصِيلًا وَلَا جُمْلَةً، أَذْنَاهَا نَفْسٌ وَاحِدٌ تَتَنَفَّسُونَهُ.

وَهَذِهِ النِّعَمُ الْكَثِيرَةُ، مِنَ اللَّهِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، تَسْتَوْجِبُ أَنْ تَشْكُرُوهُ

عَلَيْهَا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعِبَادَةِ، بِمَا يُحِبُّ أَنْ تَعْبُدُوهُ بِهِ، مِنْ طَاعَاتٍ وَقُرْبَاتٍ وَنَوَافِلِ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ تُرْضِيهِ.

القَضِيَّةُ الثَّامِنَةُ: جاء التعبير عنها بقول الله تعالى: ﴿... إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝﴾:

أي: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَثِيرُ الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَلَكَثِيرُ كُفْرَانٍ وَجُحُودٍ نِعَمَ اللَّهِ رَبِّهِ عَلَيْهِ، فَيُظْلِمُهُ لِنَفْسِهِ يَزْتَكِبُ الْكِبَائِرَ الْكُبْرَى فَيُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِعِقَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ لَهُ، وَبِكَثْرَةِ كُفْرِهِ جُحُوداً لِنِعَمِ اللَّهِ يَخْرُجُ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَيُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْحَرَمَانِ مِنْ زِيَادَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السابع من دروس سورة (إبراهيم).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِه.



(١١)

التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (إبراهيم)
الآيات من (٣٥ - ٤١)

قال الله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ أَلِيمٌ ۝٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾

القراءات:

(٣٥) • قرأ هشام: [إِبْرَاهَامُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمُ].

وهما نَظْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

(٣٧) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر:

[إِنِّي أَسْكَنْتُ] بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقراها باقي القراء العشرة بالإسكان.

(٣٧) • قرأ هشامٌ بِخُلْفٍ عَنْهُ: [أَفْتِدَةً].

وقراها باقي القراء العشرة: [أَفْتِدَةً] وهو الوجه الثاني لهشام.

(٣٧) • قرأ حمزة، ويعقوب: [إِلَيْهِمْ] بِضَمِّ هَاءِ الضمير.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمْ] بِكَسْرِ هَاءِ الضمير.

(٤٠) • قرأ ورش، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر: [دُعَائِي]

بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَضَلًا. وكذلك قرأها البزّي، ويعقوب وضلاً ووقفًا.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [دُعَاءٍ] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَضَلًا وَوَقْفًا.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ أُدْعِيَةٍ دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
مُنَاسَبَاتٍ وَأَزْمَنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَذَكِيرًا لِلْمُعَالَجِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُمْ
إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ مِنْ نَبَذٍ لِلْأَصْنَامِ، وَمُقَاوَمَةٍ لَهَا.

التدبر التحليلي:

بَعْضُ الْأُدْعِيَةِ الَّتِي دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ، مَعَ أَنَّهَا مُتَقَدِّمَةٌ زَمَنًا عَلَى أَدْعِيَةٍ جَاءَتْ بِحُكْمَةِ اللَّهِ مُتَقَدِّمَةٌ فِي تَرْتِيبِ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ، إِذْ رُوِيَ فِي التَّرْتِيبِ تَقْدِيمَ مَا هُوَ الْأَوَّلَى بِالتَّقْدِيمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَضْمُونِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا الدِّينِ الْكُبْرَى قُدِّمَتِ الْآيَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخُصُوصِ دُرِّيَّتِهِ وَوَالِدِيَّتِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أُخِّرَتِ الْآيَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا.

فَلْتَتَابِعْ تَدْبِيرَ الْآيَاتِ عَلَى وَفْقِ تَرْتِيبِهَا فِي النَّصِّ:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ﴾ (٢٥):

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ أَدْعِيَةَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - حِينَ قَالَ فِيهَا:

أولاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: المراد بِهَذَا الْبَلَدِ مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ، زَادَهَا اللَّهُ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا.

دَلَّ هَذَا الدُّعَاءُ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِيهَا حِينَ دَعَا هَذَا الدُّعَاءَ، إِذْ قَالَ: ﴿هَذَا الْبَلَدُ﴾. وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَجَعَلَ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَآمِنًا مِنَ الْكُورِثِ الْكُبْرَى كَالزَّلَازِلِ وَالْبَرَائِكِينَ وَنَحْوَهُمَا، وَحِينَ أَرَادَ أَبْرَهُهُ بِمَكَّةَ شَرًّا أَهْلَكَهُ اللَّهُ وَأَهْلَكَ جَيْشَهُ، وَسَلَّمْ مَكَّةَ مِنْ شَرِّهِمْ.

ثانيًا: ﴿... وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ﴾ (٢٥): أي: وَنَحْنِي وَأَبْعَدُنِي، وَنَحْ بَنِيَّ وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.

وَقَدْ حَمَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْنَاءَهُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا رَسُولًا، وَكَانَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا رَسُولًا، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَبْنَاءَهُ مِنْ «قُطُورَةَ» فِي مَدِينِ بَعْدَ سَارَةَ كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَابِدَ وَثَنٍ.

وَلَا أَفْهَمُ أَنَّ الْمُرَادَ كُلَّ الذُّكُورِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَقَدْ ظَهَرَ الشُّرْكُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَكَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَظَهَرَ الشُّرْكُ فِي أَهْلِ مَدِينِ وَكَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ، وَظَهَرَ الشُّرْكُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثَالِثًا: ﴿رَبِّ إِيْتَنَنْ أَضَلَّلَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَّبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٦):

أَيُّ: رَبِّ إِنَّ الْأَصْنَامَ وَالْفِتْنَةَ بِمَا تَرْمُزُ إِلَيْهِ؛ أَضَلَّلَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَافْتَتِنُوا بِعِبَادَتِهَا، تَوَهَّمَا مِنْهُمْ أَنَّ عِبَادَتَهَا تَنْفَعُهُمْ فِي مَطَالِبِ دُنْيَاهُمْ، أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا.

رَبِّ فَمَنْ يَّبْعِنِي عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَاتَّبَعْنِي فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُرْضِيكَ مِنْ عِبَادِكَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَاعَتِي، وَمِنْ أُمَّتِي الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِي، وَمَنْ عَصَانِي فَكَفَرَ، أَوْ عَصَانِي بِمَا هُوَ دُونَ الْكُفْرِ، فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِمَنْ تَعْلَمُ أَنَّ حِكْمَتَكَ تَقْتَضِي أَنْ تَغْفِرَ لَهُ، وَإِنَّكَ تُعَاقِبُ بِعَذْلِكَ؛ مَنْ كَفَرَ بِالشُّرْكِ أَوْ بغيرِهِ، إِذْ تَقْضِي حِكْمَتَكَ بِأَنْ تُنْزِلَ بِهِ عِقَابَكَ.

طَوَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّفْظِ مَا يُشِيرُ إِلَى الْعِقَابِ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

رَابِعًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧):

ذَلِكَ عِبَارَةً: ﴿رَبَّنَا﴾ بِضَمِّيرِ الْمُتَكَلِّمِ وَمَعَهُ غَيْرُهُ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا

الدُّعَاءَ كَانَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرُبَّمَا بَعْضُ
أَوْلَادِ وَلَدِهِ.

• ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: أي: إِنِّي أَسْكَنْتُ بَعْضَ ذُرِّيَّتِي مِنْ
إِسْمَاعِيلَ. فَحَرَفُ «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ. أَمَّا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ إِسْحَاقَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -
فَكَانَتْ فِي أَرْضِ الشَّامِ. ثُمَّ كَانَتْ لَهُ ذُرِّيَّةٌ بَعْدَ سَارَةَ فِي أَرْضِ مَدْيَنَ.

• ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ الْآنَ الْكَعْبَةُ الْمَشْرِقَةُ
وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَا حَوْلَهُمَا إِلَى الْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ، وَكَانَ حِينئِذٍ خَالِيًا مِنْ
زَرْعٍ أَرْضِيٍّ، وَخَالِيًا مِنَ الْأَشْجَارِ، وَلَا أَرَى أَنَّ أَرْضَهُ لَمْ تَكُنْ صَالِحَةً
لِلزَّرْعِ.

• ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ كَانَ بَعْدَ أَنْ بَوَّأَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَانَ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ، مَعَ اخْتِمَالِ أَنَّ اللَّهَ
أَعْلَمَهُ بِوُجُودِ مَكَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ فِي هَذَا الْوَادِي، مُنْذُ وَضَعَ إِسْمَاعِيلَ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِيهِ مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ، قَادِمًا بِهِ وَهُوَ طِفْلٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

الْمُحَرَّمُ: أَيُّ: ذُو الْحُرْمَةِ وَالْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمَمْنُوعُ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِ
شَرًّا، بِاعْتِبَارِهِ بَيْتًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ، فَهُوَ يُرِيدُ مَحْوَهُ أَوْ صَرَفَ النَّاسِ عَنْهُ مُحَارِبًا
بِمَا يَفْعَلُ دِينَ اللَّهِ الْحَقَّ.

• ﴿رَبَّنَا لِیُقِیْمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أَسْكَنْتُ هُنَا بَعْضَ ذُرِّيَّتِي؛ لِیُقِیْمُوا
الصَّلَاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، وَلِیَكُونُوا الْقُدْوَةَ لِلنَّاسِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ،
وَعِبَادَتِكَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ.

• ﴿فَلْجَمَلِ آفَنَدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾:

الْآفَنَدَةُ: الْقُلُوبُ، أَوْ عُقْمُهَا كَمَا يَظْهَرُ لِي.

تَهْوِي إِلَيْهِمْ: أي: تَمِيلُ إِلَى حُضُورِ بَلَدِهِمْ بِقُوَّةٍ، كَمَا يَهْوِي الشَّيْءُ

مِنْ غُلُوٍّ إِلَى سُفُلٍ . وَهَذَا هُوَ الْمُشَاهَدُ فِي مَيْلِ قُلُوبٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِمِيزَارَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ ، لِأَدَاءِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ ، وَالصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالطَّوَافِ فِيهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، صَانَهَا اللَّهُ ، وَزَادَهَا شَرَفًا وَتَكْرِيمًا .

• ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ :

أي: وارزقهم بأن تجلب إلى بلدِهِم الذي لا زرع فيه؛ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تُنتَجُ فِي الْبِلَادِ ذَاتِ الزُّرُوعِ وَالثَّمَرَاتِ الْوَفِيرَاتِ ، وَأَثَرُ هَذَا الدُّعَاءِ ظَاهِرٌ مُشَاهَدٌ ، إِذْ تُجَبَّى دَوَامًا إِلَى مَكَّةَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ بِفَضْلِ اللَّهِ ، وَبِبَرَكَةِ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (القصص/ ٢٨ نَزُولٍ) بِشَأْنِ أَهْلِ مَكَّةَ :

﴿... أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمُونًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) .

• ﴿... لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١٧) : أي: رَاجِيًا أَوْ رَاغِبًا أَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَكَ الْكَثِيرَةَ عَلَيْهِمْ ، بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُرْضِيكَ عَنْهُمْ .

خامساً: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (١٨) :

دَلَّتْ عِبَارَةُ: ﴿رَبَّنَا﴾ هُنَا أَيْضًا عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَدْعُو وَمَعَهُ غَيْرُهُ ، كَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ .

• ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ : أي: فَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا الَّتِي نُخْفِيهَا وَخَطَايَانَا الَّتِي نُعْلِنُهَا . فَطَلَبُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ لَازِمُ الْاعْتِرَافِ بِعِلْمِ اللَّهِ لِمَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ .

• ﴿... وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨):

في هذه العبارة أثنى إبراهيم عليه السلام على الله عز وجل بأن علمه محيط بكل شيء، فما يخفى على الله من شيء في الأرض، ولا في الوجود كله حول الأرض الذي هو سماء بالنسبة إليها.

«من» في عبارة: ﴿من شيء﴾ لتوكيد استغراق عموم النفي والتنصيص عليه.

سادساً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩):

حمّد إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء الذي وهب له مع الكبر ولده إسماعيل، ولده إسحاق عليهما السلام، استجابة لدعائه الذي دعاه إياه، وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: أي: فإذا شاء بحكمته أن يجيب دعوة من دعاه أجابه، وقد أجاب الله دعائي.

«على» في عبارة: ﴿على الكبر﴾ بمعنى «مع»، أي: مع الكبر.

وجاء في الدعاء تقديم إسماعيل عليه السلام على إسحاق عليه السلام، مراعاة لكبر سن إسماعيل بالنسبة إلى سن إسحاق عليهما السلام.

سابعاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾:

دعا إبراهيم عليه السلام ربه لنفسه بأن يجعله مقيم الصلاة المطلوبة منه إلزاماً أو ترغيباً، ودعا مثل ذلك لبغض ذريته، لا لكلهم، أي: للمؤمنين المسلمين منهم، فهؤلاء هم الذين يستجيب الله دعاء إبراهيم عليه السلام من أجلهم، إذ بدؤوا الخطوة الواجبة على إرادة كل واحد منهم، وهي خطوة الإيمان وإعلان الإسلام، فدخلوا بها صراط الله المستقيم، فمن يعلم الله صدقهم في إيمانهم وإسلامهم؛ قد تقتضي حكمته بأن يستجيب دعاء جدّهم إبراهيم عليه السلام بشأنهم، فيوفّقهم لإقامة الصلاة.

إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْمُدَاوِمَةُ وَالْمُواظَبَةُ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَدَاؤُهَا عَلَى
الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ فِيهَا، وَبِهَذَا تَكُونُ مُسْتَقِيمَةً لَا عِوَجَ فِيهَا.

ثَامِنًا: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾﴾:

دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمَعَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ
وَأَحْفَادِهِ مَنْ جَمَعَ، وَدَعَا لِنَفْسِهِ وَلَهُمْ بِمَا هُوَ خَيْرٌ وَصَلَّاحٌ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ
وَأَخْرَجَتْهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى مَا فَضَّلَهُ فِي دُعَائِهِ الَّذِي بَدَأَهُ بِعِبَارَةٍ: ﴿رَبَّنَا﴾ قَالَ
دَاعِيًا: وَتَقَبَّلْ دُعَائِي، أَي: واجْعَلْ دُعَائِي مَقْبُولًا عِنْدَكَ، فَأَنْتَ تَسْتَجِيبُ
مِنْهُ مَا تَشَاءُ بِحُكْمَتِكَ السَّيِّئَةِ.

تَاسِعًا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾﴾:

يُظْهِرُ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُفَارِقَ أَبُوهُ الْحَيَاةَ كَافِرًا غَيْرَ
مُؤْمِنٍ، أَمَّا أُمُّهُ فَيُظْهِرُ أَنَّهَا قَدْ آمَنَتْ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ: (التوبة/ ١١٣ نزول):

﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا
بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

لَمْ يَأْتِ فِي هَذَا النَّصِّ ذِكْرُ لِيُوَالِدَتِهِ الَّتِي دَعَا اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهَا مَعَ
وَالِدِهِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً، بِخِلَافِ حَالِ أَبِيهِ.

وَحِينَ خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ بَغْيَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِأَنْ يَتَّخِذُوا
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِينَ مَعَهُ أُسْوَةً لَهُمْ؛ اسْتَشْنَى مِنْ هَذِهِ الْأُسْوَةِ قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ: لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، فَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ
لِكَافِرٍ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَوَالِدَيْهِ، أَوْ وَلَدِهِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي
سُورَةِ (الْمُمْتَحِنَةِ/ ٩١ نزول) خِطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِنِعْمِ رَبِّنَا إِنَّآ بُرُءُونَآ

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ .

• ﴿... يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤٣﴾ : أي: يَوْمَ يَتَحَقَّقُ الْحِسَابُ، وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، فِي مَحْكَمَةِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَمْهِيدًا لِتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، أَوْ فِي عَذَابِ الْجَحِيمِ.

وبهذا تم تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (إبراهيم).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثقه، وفتحه.



(١٢)

التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (إبراهيم)

الآيات من (٤٢ - ٥٢) آخر السورة

قال الله عز وجل:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ مُتَّعِينَ مُغْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمْ نَكُودُوا أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي

الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَقَشَّى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٢﴾

القراءات:

(٤٢) • قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر: [وَلَا تَحْسَبَنَّ] بفتح السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا تَحْسَبَنَّ] بِكسر السين.

وهما لغتان لمعنى واحد، وهو الظنُّ التَّوَهُّمِيّ الضعيفُ.

(٤٤) • قرأ أبو عمرو: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] بِكسر الهاء والميم بَعْدَهَا.

وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] بضم الهاء والميم بَعْدَهَا.

ويعقوب على أَضْلِهِ فِي ضَمِّ الْهَاءِ وَقَفَاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] بِكسر الهاء وضم الميم بَعْدَهَا.

(٤٦) • قرأ الكسائي: [لَتَنزُولُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَتَنزُولُ].

(٤٧) • قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر: [فَلَا تَحْسَبَنَّ] بفتح السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلَا تَحْسَبَنَّ] بِكسر السين.

وهما لغتان لمعنى واحد، وهو الظنُّ التَّوَهُّمِيّ الضعيفُ.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان من الله عز وجل بشأن علمه بما يعمل الظالمون، وأنه يؤخر حسابهم وعقابهم إلى يوم القيامة.

وفيها تكليف الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ أن ينذر كفار قومه، باحتمال أن ينزل الله عليهم عذاباً مهلكاً لهم، مع بيان جلي عن عذاب يوم القيامة.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ

الإفرادي:

• ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْقَدَتْهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾:

مَادَّة «حَسِبَ، يَحْسِبُ، وَيَحْسِبُ» هِيَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى: «ظَنَّ»، وَمِنْ اسْتِقْرَاءِ هَذَا الْفِعْلِ فِي الْقُرْآنِ، مَعَ تَدَبُّرِ مَعَانِيهِ؛ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ قَدْ اسْتُعْمِلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الظَّنِّ التَّوَهُّمِيِّ الضَّعِيفِ، الَّذِي يَجِبُ طَرْحُهُ وَاسْتِبْعَاذُهُ.

غَافِلًا: الْغَافِلُ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْ مُلَاحَظَةِ وَمُرَاقَبَةِ الشَّيْءِ مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ إِدْرَاكِهِ لَهُ. وَالْعَقْلُ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ سِوَاءِ أَكَانَ كَبِيرًا أَمْ صَغِيرًا مُتَنَاهِيًا فِي الصَّغَرِ؛ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَّصِفَ اللَّهُ بِهَا، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ.

• ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: لَا يُهْمِلُ عِقَابَهُمْ، وَإِنَّمَا يُمَهِّلُهُ.

• ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، إِذْ تَشْخَصُ فِيهِ أَبْصَارُ

أَهْلَ الْمَحْشَرِ. يُقَالُ لُغَةً: «شَخَصَ فُلَانٌ بَصَرَهُ، وَشَخَصَ بِبَصَرِهِ» أَي: فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَظْطَرِفْ بِهِمَا، مُتَأَمِّلاً مُنْدهِشاً مُبْهُوتاً، أَوْ خَائِفاً مَذْغُوراً.

• ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُهْطِعٌ: اسم فاعل من فِعْل «أَهْطَعَ». وقد جاء عند أَهْلِ اللُّغَةِ فِي مَعْنَى هَذَا الْفِعْلِ: «أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْءِ بِبَصَرِهِ فَلَمْ يَرْفَعْهُ - نَظَرَ فِي ذَلِكَ وَخُشِعَ - أَقْبَلَ مُسْرِعاً خَائِفاً - مَدَّ عُنُقَهُ وَصَوَّبَ رَأْسَهُ، أَي خَفَضَهُ وَأَمَالَهُ - أَسْرَعَ فِي الْعَدُوِّ».

• ﴿مُغْنِي رُءُوسِهِمْ﴾: أَي: مُطَاطِنِي رُءُوسِهِمْ شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ فِي ذَلِكَ وَخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ.

• ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: الطَّرْفُ: تَحَرُّكُ جَفْنِ الْعَيْنِ. أَي: لَا يَرْجِعُ جَفْنُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِنْطِبَاقِ بَعْدَ أَنْ شَخَصَ بَصَرَهُ.

• ﴿... وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاهُ﴾ (٤٣): أَي: وَأَفْنَدْتَهُمْ خَالِيَةً، فَقَدَتْ قَوَاهَا الْإِدْرَاكِيَّةَ كُلَّهَا مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ الْمَوْقِفِ.

جَاءَ فِي هَذَا الْبَيَانِ النَّهْيُ عَنْ تَوَهُّمٍ أَنَّ اللَّهَ غَافِلٌ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ، أَي: النَّهْيُ عَلَى تَوَهُّمٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُهْمِلٌ لِعِقَابِهِمْ.

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - يُنْهَلُ وَلَا يُهْمَلُ، إِنَّهُ يُؤَخِّرُ عِقَابَ الظَّالِمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَدَّمَ هَذَا الْبَيَانُ مَشْهُدًا مِنْ مَشَاهِدِ أَحْوَالِ الظَّالِمِينَ الْكَفَرَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي الْمَحْشَرِ ذَاهِلُونَ مُنْدهِشُونَ خَائِفُونَ أَذِلَّاءَ خَاشِعُونَ سَاكِنُونَ، مَا دُونَ أَغْنَاقِهِمْ مُطَاطِنُونَ رُءُوسُهُمْ مَعَ إِمَالَةٍ ذَلِكَ وَانْكِسَارٍ، لَا تَنْطَبِقُ أَجْفَانُهُمْ مِنْ شِدَّةِ شُخُوصِ أَبْصَارِهِمْ، وَأَفْنَدْتَهُمْ فَاقِدَةً قَوَاهَا الْإِدْرَاكِيَّةَ، مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ الْمَوْقِفِ الَّذِي هُمْ فِيهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلِكُلِّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ اأَوَّلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْتُ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ :

• ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ : أي : بِعَذَابٍ مُّوَجَّلٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، مَعَ اخْتِمَالِ إِنْزَالِ عَذَابٍ مُّعَجَّلٍ فِيهِمْ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ بِهِ هَلَاكُهُمْ إِلَى حَدِّ الْاِسْتِثْصَالِ .

والمراد بالناس الذين يُوجَّهُ لَهُمُ الْإِنذَارُ : الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ ، وَقَدْ يَشْمَلُ الْإِنذَارُ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ بِعِقَابٍ عَلَى مَقَادِيرِ مَعَاصِيهِمْ .

• ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ : أي : يَوْمَ يَأْتِي مَا يَكُونُ بِهِ تَغْذِيبُهُمْ وَإِهْلَاكُهُمْ مِنْ وَسَائِلَ ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ صَارَ قَرِيباً مِنْهُمْ ، يَشْتَدُّ هَلْعُهُمْ وَفَرْعُهُمْ ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْمَعْجَلِ الَّذِي أُنْذِرُوا بِهِ .

• ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ : أي : فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ ذَرَكَةِ الْكُفْرِ : رَبَّنَا أَخِّرْ تَغْذِيبَنَا وَإِهْلَاكَنَا ، وَأَمْهِلْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ نُجِيبَ دَعْوَتَكَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، نُجِبِ دَعْوَتَكَ ، فَتُؤْمِنُ وَتُسَلِّمُ ، وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ بِاتِّبَاعِ خَاتِمِهِمْ مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ .

إِنَّ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ الْخَاتِمِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ اتِّبَاعٌ لِّكُلِّ رُسُلِ اللَّهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

فَيَأْتِيهِمُ الْجَوَابُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْمَأْمُورِينَ بِتَغْذِيبِهِمْ وَالَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ عِنْدَ إِهْلَاكِهِمْ ، إِذْ يَقُولُونَ لَهُمْ :

• ﴿... أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ :

أي : أَلَمْ تُكَذِّبُوا رُسُلَ رَبِّكُمْ حِينَ أَنْذَرُوكُمْ بِعَذَابِهِ الْمَعْجَلِ وَالْمُؤَجَّلِ ،

وَأَقْسَمْتُكُمْ عَلَى أَنْكُمْ سَتَدُومُونَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ حَتَّى تَأْتِيَكُمْ
آجَالُكُمْ، وَلَيْسَ لِلنَّعَمِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مِنْ زَوَالٍ بِعِقَابٍ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ عَلَى
كُفْرِكُمْ، وَمُقَاوَمَةٌ لِدِينِهِ وَكِتَابِهِ، وَمُعَادَاةٌ لِرُسُلِهِ.

الزوال: هو في اللغة تَحَوُّلُ الشَّيْءِ وَانْتِقَالُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

إِنَّهُمْ أَقْسَمُوا عَلَى أَنْتُمْ مَا لَهُمْ مِنْ تَحَوُّلٍ عَنْ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا
بِعُقُوبَةٍ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ.
• ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾:

أي: وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ أَيْضاً: وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، فَعُذِّبُوا وَأَهْلِكُوا، وَلَمْ تَتَّعِظُوا بِتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِ اللَّهِ
لَهُمْ، وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ يُوجِبُهُ لِلَّذِينَ سَكَنُوا فِي مَسَاكِينِ الْفَرَاغَةِ، وَمَسَاكِينِ
الْكُفْرَةِ الَّذِينَ بَقِيَتْ لَهُمْ مَسَاكِينُ تُسَكَّنُ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا.
وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ أَيْضاً تَبْلِيغاً عَنْ رَبِّهِمْ:

• ﴿... وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ...﴾:

أي: وَبَيَّنَّ لَكُمْ بِمُشَاهَدَةِ آثَارِ الْمُهْلَكِينَ الْكُفْرَةَ، كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ مِنْ
إِهْلَاكِ وَتَدْمِيرٍ بَعْدَ تَعْذِيبٍ مُؤَلَّمٍ.

• ﴿... وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ④٥﴾:

أي: وَضَرَبْنَا لَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فِي كِتَابِنَا، وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِنَا، أَمْثَالَكُمْ
الْكُفْرَةَ، وَكَيْفَ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ، كَقَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَادٍ،
وْثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِزَوَلٍ

مِنْهُ الْجِبَالُ ④٦﴾:

وفي قراءة الكسائي: [وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ].

المَكْرُ: تَدْبِيرُ أَمْرٍ فِي خَفَاءٍ بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ، أَمَّا مَكْرُ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَجَزَاءُ اللَّهِ فِيهَا؛ فَمُعْظَمُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي شَرٍّ، وَأَمَّا مَكْرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَجَزَاءُ اللَّهِ فِيهَا فَيَكُونُ مَكْرًا فِي خَيْرٍ.

• ﴿وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ...﴾: أي: وَقَدْ مَكَّرَ الْمُهْلِكُونَ السَّابِقُونَ مَكْرَهُمُ الشَّدِيدَ، لِقَمْعِ دَعْوَةِ رُسُلِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلِلتَّخْلُصِ مِنْهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ.

• ﴿... وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ...﴾: أي: وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ مَكْرِهِمْ، بِكُلِّ تَفْصِيلَاتِهِ وَجُزْئِيَّاتِهِ وَمَرَاجِلِهِ، كَانَ عِنْدَ اللَّهِ الْمَمْكُورِ بِدِينِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِكِتَابِهِ؛ صُورَةً كَامِلَةً عَنْ مَكْرِهِمْ، فَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - قَدِيرٌ عَلَى إِخْبَاطِ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ لِتَحْقِيقِ مَا مَكَّرُوهُ.

• ﴿... وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾:

أي: وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ، فَاللَّهُ مُحِيطٌ أَعْمَالَهُمْ وَرَادٌّ مَكْرَهُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ كَافِيًا مِنْ شِدَّتِهِ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَعْظَمُ بَأْسًا، وَهُمْ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ.

• [وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] بِقِرَاءَةِ الْكَسَائِيِّ:

«إِنْ» هي المخففة مِنَ الثَّقِيلَةِ. واللام في [لَتَزُولَ] هي: الفارقة بَيْنَهَا وَبَيْنَ «إِنْ» التَّائِيَةِ. وعِبَارَةُ [لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] تُمَثِّلُ شِدَّةَ مَا أَعَدُّوا مِنْ مَكْرٍ، فَقَدْ أَعَدُّوا بِهِ غَايَةَ مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ عَمَلٍ لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِمْ، وَكَانَ مَكْرُ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ بِالْغَا، فَلَوْ وَجَّهَهُ لِإِزَالَةِ جِبَالٍ مِنْ حَوْلِ مَدِينَتِهِ لَكَانَ كَافِيًا، وَقَدْ جَاءَتِ الْمُعْجِزَةُ الرَّبَّانِيَّةُ فَأَبْطَلَتْ كُلَّ مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ، وَأَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَآلَهُ وَكُلَّ جَيْشِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ الْمَوْجَّهِ لِكُلِّ مَنْ هُوَ صَالِحٌ لَتَلْقَى الْخِطَابَ:

• ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِيهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾:

سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ بَيَانُ وَعْدِ اللَّهِ بِأَنْ يَنْصُرَ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ بَيَانٌ يَحْكِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مَا سَبَقَ فِي تَارِيخِ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْوَعْدِ، وَمِمَّا سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ مِنْهُ؛ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (غافر/ ٦٠ نَزُول) مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ وَمُؤَكِّدًا:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِیَوْمٍ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

الْمَعْنَى: فَلَا تَتَوَهَّمَنَّ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ مَهْمَا كَانَ التَّوَهُّمُ ضَعِيفًا؛ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُخْلِفُ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ نَصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ رِسَالَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهُمْ بِهَا، وَحَمَلَهُمْ وَاجِبَ تَبْلِيغِهَا، وَوَاجِبَ اتِّخَاذِ مَا يُلْزَمُ لِلْإِقْنَاعِ بِمَضَامِينِهَا، وَتَرْغِيبِ الَّذِينَ لَا يَكْفِيهِمُ الْاِقْتِنَاعُ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، مُحَاصِرَةً مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى إِرَادَاتِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ السُّلُوكِ الْمُنْجِي مِنَ عَذَابِ رَبِّهِمْ، وَالْمُسْعِدَ لَهُمْ سَعَادَةً أَبَدِيَّةً فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

• ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾:

أَيُّ: إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ غَالِبٌ بِعِزَّتِهِ، وَهُوَ ذُو انْتِقَامٍ، فَهُوَ يُعَاقِبُ بِالْعَدْلِ عَلَى الذُّنُوبِ، إِلَّا إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَغْفِرَ مَا دُونَ كَبِيرَةِ الشُّرْكِ.

الْاِنْتِقَامُ: الْمُعَاقَبَةُ عَلَى الذَّنْبِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ :

• ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ :

أي: ضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرَ السَّمَاوَاتِ، وَهَذَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقد اشْتَغَلَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْيِينِ هَلِ التَّغْيِيرُ يَكُونُ فِي الذَّاتِ أَوْ فِي الصِّفَاتِ، وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّغْيِيرَ يَكُونُ فِي الذَّاتِ، وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّغْيِيرَ يَكُونُ فِي الصِّفَاتِ.

أقول: إِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ تَبْدِيلٌ، وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا بِأَدَلَّ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ مِنَ الْآخَرِ، لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ - إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، سَوَاءٌ أَكَانَ إِجَادًا مِنَ الْعَدَمِ الْمَطْلُوعِ، أَمْ تَغْيِيرًا فِي صِفَاتِ الْمَوْجُودِ، أَمْ إِعْدَامًا لِلْمَوْجُودِ وَتَبْدِيلًا لَهُ بِمَوْجُودٍ آخَرَ، فَالْكُلُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ سَوَاءً، وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي نَجْهَلُهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي نَعْلَمُهَا.

وَالَّذِي يُفِيدُهُ الْبَيَانُ هُنَا أَنَّ صِفَاتِ الْأَرْضِ، وَوَضْعَهَا، وَهَيْئَتَهَا؛ تَكُونُ مُخَالَفَةً لِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ بِنُجُومِهَا، وَكَوَاكِبِهَا، وَحَرَكَةِ أَجْرَامِهَا، وَنِظَامِ تَرَابُطِهَا، وَأَقْسَامِهَا، تَكُونُ مُخْتَلِفَةً عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ بِقُدْرَةِ وَحِكْمَةِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلَا يُعْجِزُهُ خَلْقُ شَيْءٍ يُرِيدُهُ.

بَعْضُ أَحَادِيثِ بِشَأْنِ تَبْدِيلِ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ:

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقْيٍ».

الأرض العَفْرَاءُ: هي الأرض البَيْضَاءُ الَّتِي لَمْ تُوْطَأَ.

كَقُرْصَةِ نَقْيٍ: أي: كَرَغِيفِ خُبْزٍ مِنَ الدَّقِيقِ الْأَبْيَضِ الْحَوَارَى.

(٢) وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ».

يَتَكَفَّوْهَا: أي: يُقَلِّبُهَا، كَمَا يُقَلِّبُ الْخَبَازُ رَغِيفَ الْخُبْزِ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ

فِي الْفُرْنِ.

• ﴿... وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨):

أي: وَظَهَرَ الَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ

جَمِيعاً، فِي مَوْقِفٍ جَامِعٍ عَلَى أَرْضِ الْمُحْشَرِ؛ لِمَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَصَرَّفَ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ، فَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ مُلْكُهُ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرُهُ.

الْبَرَّازُ: الْمَكَانُ الْفَضَاءُ الْوَاسِعُ الْبَعِيدُ، وَيُقَالُ: «بَرَزَ فُلَانٌ» أَي:

خَرَجَ إِلَى الْأَرْضِ الْبَرَّازِ.

الْوَاحِدُ: أَي: الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ.

الْقَهَّارُ: أَي: الْغَالِبُ الْمُجْبِرُ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ

الْحَسَنَى.

• ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٤٩) سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ

وَنَقَشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾:

الْمُجْرِمُ: هُوَ الْمُعْتَدِي بِذَنْبٍ كَبِيرٍ، وَلَفْظُ الْمُجْرِمِينَ فِي الْقُرْآنِ جَاءَ

عُنُونًا مُقَابِلًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَوَصَفًا لِلْكَافِرِينَ، وللمُعَذِّبِينَ فِي النَّارِ.

مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ: الْقَرْنُ: الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرُ. يُقَالُ: قَرَنَ الْأَسِيرَ بِالْحَبْلِ، أَي: شَدَّهُ بِهِ، وَيُقَالُ: «قَرْنُهُ» أَي: شَدَّدَ عَلَيْهِ الْوَثَاقَ. وَيُقَالُ: «قَرَنَ الْأَسِيرَ بِالْأَسِيرِ» أَي: جَمَعَهُمَا فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ.

الْأَصْفَادُ: هِيَ السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ، مُفْرَدُهَا: الصَّفْدُ، وَالصَّفَادُ.

سَرَابِيلُهُمْ: جمع «سِرْبَال»، وَهُوَ الْقَمِيصُ وَكُلُّ مَا يُلْبَسُ.

مِنْ قَطِرَانٍ: الْقَطِرَانُ: مَادَّةٌ سَوْدَاءُ سَائِلَةٌ لَزِجَةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْحَشَبِ، وَهِيَ شَدِيدَةُ الْاشْتِعَالِ، تُظَلَّى بِهَا الْإِبِلُ مِنَ الْجَرَبِ.

وَتَغْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ: أَي: تُغْطِي وُجُوهُهُمُ النَّارُ تَغْذِيًّا لَهُمْ.

الْمَعْنَى: وَتَرَى أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي إِنَّ كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى الْمُجْرِمِينَ الْمُعَذِّبِينَ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ؛ مَشْدُودِينَ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَمُقَرَّنِينَ مَعَ نُظَرَائِهِمْ فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ طَلِثَ أَجْسَادُهُمْ بِالْقَطِرَانِ، فَكَانَ الْقَطِرَانُ بِمِثَابَةِ ثِيَابٍ لَهُمْ، وَيُلَامَسُ وُجُوهُهُمُ لَهَبُ النَّارِ.

• ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾:

أَي: اْعْلَمْ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ؛ أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ الَّذِي تُبَدَّلُ فِيهِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَتُبَدَّلُ السَّمَاوَاتُ غَيْرَ السَّمَاوَاتِ، وَيَبْزُرُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَيْنِ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فِي مَوْقِفٍ جَامِعٍ عَلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، مُنْتَظَرِينَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، وَيُحْكَمُ عَلَى الْمُجْرِمِينَ وَيُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، وَيُكَبُّونَ فِيهَا، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ الْمُجْرِمِينَ - فِيهِ تُقَامُ مَحْكَمَةُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةُ:

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ جَزَاءً مُسَاوِيًا مَا كَسَبَتْ ضِمْنَ قَانُونِ الْعَدْلِ

بِالنُّسْبَةِ إِلَى السَّيِّئَاتِ الْمَقْرُونِ بِعَفْوٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا، وَضُمْنَ عَطَاءَاتِ الْفَضْلِ
بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْحَسَنَاتِ، الَّتِي قَدْ تَصَلُّ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ
جِدًّا، يَمْنَحُهَا اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ.

وَتَأْخِيرُ مَنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ الْمُجْرِمِينَ فِي الْحِسَابِ، وَفَضْلِ
الْقَضَاءِ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ؛ لَا يُؤْثَرُ عَلَى نَفْسِهِمْ شَيْئًا، لِأَنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، فَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يُحَاسِبَهُمْ جَمِيعًا فِي
سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خِتَامِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَهُوَ آخِرُ الدَّرْسِ
الْأَخِيرِ مِنْ دُرُوسِهَا:

• ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا
الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾:

المشار إليه باسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ كُلُّ مَا جَاءَ فِي آيَاتِ السُّورَةِ مِنْ
بَيِّنَاتٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَضَايَا دِينِيَّةٍ.

وهذه الآية جديرة بأن تكون هي الدرس الأخير من دروس السورة،
إذ اشتملت على تلخيصٍ كُلِّيٍّ لِمَا جَاءَ فِي كُلِّ آيَاتِ السُّورَةِ.

بَلَاغٌ: البلاغ اسمٌ بِمَعْنَى الْمَضَرِّ الَّذِي هُوَ الْإِبْلَاجُ أَوِ التَّبْلِغُ، وَهُوَ
إِنْصَالُ رِسَالَةٍ مَا إِلَى مَنْ وَجَّهَتْ لَهُ.

فَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ) بَلَاغٌ يَتَضَمَّنُ قَضَايَا دِينِيَّةً، وَهَذِهِ
الْقَضَايَا مُوجَّهَةٌ لِلنَّاسِ، لِكَيْ يَعْلَمُوهَا وَيَعْمَلُوا بِمَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ.

• ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾: أَي: وَلِيُنذَرُوا بِمَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَلَاغِ مِنْ
إِنْذَارَاتٍ بِعِقَابِ اللَّهِ الْمُعَجَّلِ وَالْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

• ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾: أَي: وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ مِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ

هَذَا الْبَلَاغُ؛ أَنَّما الإِلَٰهَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهًا مِنْ دُونِهِ يَعْبُدْهُ كَانَ مُشْرِكًا كَافِرًا بِرَبِّهِ، وَيَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

• ... وَلِيَذَّكَّرَ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ •

الأَلْبَابُ: العقول الواعية الذَّارِكَةُ، الَّتِي تَعْقِلُ الْمَعَارِفَ فَتُمْسِكُ بِهَا، وَتَعْقِلُ النَّفْسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ. وَاللَّبُّ: الْعَقْلُ الْخَالِصُ مِنَ الشَّوَائِبِ، فَأَوَّلُو الْأَلْبَابِ هُمْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُقُولِ.

والمَرَادُ بِالتَّذَكُّرِ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الْقَرَانِيَّةِ الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ مِنْ حُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ الْعَامِلَةِ الدَّافِعَةِ لِلسُّلُوكِ الدِّينِيِّ الْمُلَائِمِ لَهَا، وَالْمَطْلُوبِ فِيهَا.

فَالْمَعْنَى: وَلِيَكُونَ فِي أَنْفُسِ أَوَّلِي الْأَلْبَابِ وَقُلُوبِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ؛ الْأَثَرُ النَّافِعُ مِنْ حُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ الْعَامِلَةِ الدَّافِعَةِ لِلسُّلُوكِ الدِّينِيِّ الْمُلَائِمِ لَهَا، وَالْمَطْلُوبِ فِيهَا.

وبهذا تَمَّ تَذَبُّرُ سورة (إبراهيم) عليه السَّلَام.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٣)

الملحق الأول

مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سورة (إبراهيم)

أولاً: من التشبيه المَرَكَبُ الْمُسَمَّى «التَّمْثِيلِ»:

وهو التَّشْبِيهِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى شَكْلِ لَوْحَةٍ تُصَوِّرُ أَكْثَرَ مِنْ مُفْرَدٍ، وَوَجْهَ الشَّبَهِ فِيهِ لَا يَكُونُ مَأْخُوداً مِنْ مُفْرَدٍ بَعِيْنِهِ، بَلْ يَكُونُ مَأْخُوداً مِنْهُ

وَمِنْ غَيْرِهِ، أَوْ مِنَ الصُّورَةِ الْعَامَّةِ دُونَ تَقَابُلِ مُفْرَدَاتِ بِالْمَشَبِّهِ بِمُفْرَدَاتِ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ.

وَمِنْ تَشْبِيهِ (التَّمْثِيلِ) فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧٨﴾﴾. وفي القراءة الأخرى: [اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَشْبِيهُ مَاخُودٌ مِنْ مُتَعَدِّدِ بَيْنِ الْمَشَبِّهِ وَالْمَشَبِّهِ بِهِ، فَالْمَشَبِّهُ أَعْمَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّتِي قَامُوا بِهَا، وَأَعْدُّوا بِهَا وَسَائِلَهُمْ، لِمُقَاوَمَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ؛ بِقَوْمٍ أَوْقَدُوا نَارًا عَظِيمَةً لِيُحْرِقُوا بِهَا قُرَى، وَمُدُنًا، وَمَصَانِعَ، وَجَنَاطَ، وَثُرَوَاتٍ، وَبَشَرًا، فَأَظْفَأَ اللَّهُ نَارَهُمْ، وَجَعَلَ حَطَبَهُمْ رَمَادًا، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا عَاصِفَةً مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، فَدَخَلَتْ قُوَّةً شَدِيدَةً فِي الرَّمَادِ فَاحْتَمَلَتْهُ وَوَزَعَتْ ذَرَاتِهِ بِعُنْفٍ فِي جِهَاتٍ مُتَبَاعِدَاتٍ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَشَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا، فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ مِنْ أَصْحَابِ الرَّمَادِ أَنْ يَلْتَقِطَ مِنْهُ شَيْئًا.

وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمُقَاوَمَةِ دَعْوَةِ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ أَحْبَطَهَا اللَّهُ وَبَدَّدَهَا، فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى اسْتِعْمَالِ شَيْءٍ مِمَّا سَبَقَ أَنْ كَسَبُوهُ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْ وَسَائِلَ.

وَذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى مُقَاوَمَةِ دَعْوَةِ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَخَبِيَّتِهِمْ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمْ، وَإِهْلَاكِ اللَّهِ لَهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ؛ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ جَدًّا عَمَّا يُحَقِّقُ لَهُمُ النِّجَاةَ، وَمَا كَانُوا يَظْمَعُونَ بِهِ لِلذَّاتِ، وَشَهَوَاتِهِمْ، وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾:

فِي هَذَا النَّصِّ تَشْبِيهَانِ هُمَا مِنْ تَشْبِيهِ (التَّمْثِيلِ) إِذْ وَجَّهَ الشَّبَهَ مُتَنَزِّعٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ.

فَالْتَشْبِيهُ الْأَوَّلُ: هُوَ تَشْبِيهِ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ بِشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ مُتَعَلِّغٌ الْجَذُورِ فِي الْأَرْضِ.

فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى حَقِّ مُؤَيَّدٍ بِالْبُرْهَانِ، أَوْ تَهْدِي إِلَى خَيْرٍ أَوْ فَضِيلَةٍ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مِثْلُ كَلِمَةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ هِيَ ذَاتُ أَصْلٍ ثَابِتٍ، إِذْ لَهَا جُذُورٌ كَجُذُورِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، وَهَذِهِ الْجَذُورُ مُتَعَلِّغَةٌ فِي حَقَائِقِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ، وَلَهَا فَرْعٌ صَاعِدٌ فِي سُلُوكِ الْمُؤْمِنِ بِهَا.

فَهِيَ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، إِذْ لَهَا أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ ذُو جَذُورٍ مُتَعَلِّغَةٍ فِي الْأَعْمَاقِ، تَمْتَصُّ الْعِذَاءَ لِلشَّجَرَةِ مِنَ الْمَاءِ وَالتَّرَابِ، فَيَصْعَدُ بِخَلْقِ اللَّهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ الشَّجَرَةِ، فَهِيَ تُؤْتِي مَا يُؤْكَلُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرَاتٍ، كُلِّ حِينٍ مِنْ فُضُولِ إِنْتَاجِهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا.

وَالنَّخْلَةُ هِيَ أَوْلَى الشَّجَرَاتِ بِالْمَثَلِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ.

وَالْتَشْبِيهُ الثَّانِي: هُوَ تَشْبِيهِ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ بِشَجَرَةٍ مُتَخَيِّلَةٍ خَبِيثَةٍ، قُطِعَتْ قِطْعًا كَامِلًا مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ، فَمَا لَهَا مَكَانٌ تَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَلَيْسَ لَهَا مَا يُغْذِّيهَا لِنَمَاءٍ أَوْ ثَمَرٍ، وَلَيْسَ فِيهَا نَفْعٌ لِدَى حَيَاةٍ، بَلْ هِيَ ضَارَّةٌ سَامَةٌ خَبِيثَةٌ.

وكذلك الكَلِمَةُ الخبيثةُ، مثلُ كَلِمَةِ الكُفْرِ الَّتِي تُؤدِّي إلى الخُلُودِ في عَذَابِ النَّارِ.

ثانياً: من الكناية في السُّورة قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فيها:

﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُم بِنُؤَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾:

عبارة: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ تدلُّ بأسلوب الكِنَايَةِ؛ عَلَى أَنَّ أَقْوَامَ الرُّسُلِ رَفَضُوا الاسْتِمَاعَ إِلَى بَيِّنَاتِ رُسُلِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الدَّاعِيَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

وذلك لِأَنَّ مُحَدِّثِ النَّاسِ بِشَأْنِ قَضَايَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وهو واقِفٌ بَيْنَهُمْ؛ يَسْتَعْمِلُ فِي الْغَالِبِ يَدَيْهِ لَلْفِتِ أَنْظَارَهُمْ إِلَى أَقْوَالِهِ وَمَعَانِيهَا، فِي الْإِبْتَاتِ، وَالنَّفْيِ، وَالِاسْتِفْهَامِ، وَالْجَمْعِ، وَالتَّفْرِيقِ، وَالْعَدَدِ، وَالِازْتِفَاعِ، وَالِانْخِفَاضِ، وَالْجِهَاتِ السَّتِّ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى شَيْءٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تُسَاعِدُ حَرَكَاتُ الْيَدَيْنِ عَلَى إِدْرَاكِهَا بِسُرْعَةٍ.

وَحِينَ يُوَجِّهُ بَعْضُ حُضُورِ دَعْوَتِهِمْ أَسْمَاعَهُمْ وَأَنْظَارَهُمْ إِلَى دَعْوَةِ رُسُلِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ يَغْتَاظُ قَادَةُ الْقَوْمِ وَكِبَرَاؤُهُمْ، فَيَقُومُ بَعْضُهُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَيَأْمُرُهُ بِالسُّكُوتِ وَالْانْصِرَافِ، فَإِذَا تَابَعَ الرَّسُولُ دَعْوَتَهُ أَمْسَكَ سَفِيهِ الْقَوْمِ بِيَدِ الرَّسُولِ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا، وَرَدَّهَا إِلَى فَمِهِ بِعُنْفٍ، وَرُبَّمَا أَدْخَلَ بَعْضُ أَصَابِعِهَا فِيهِ لِيُسْكِتَهُ.

هَذِهِ الْحَرَكَةُ صَالِحَةٌ لِأَنَّ يُكْنَى بِهَا عَنْ رَفْضِ الاسْتِمَاعِ إِلَى دَعْوَةِ الدَّاعِي، وَرَفْضِ دَعْوَتِهِ كُلِّهَا.

ثالثاً: من الاستعارة في السُورَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠١﴾﴾
فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِعَارَتَانِ:

الاستِعَارَةُ الْأُولَى: اسْتِعْمَالُ الظُّلُمَاتِ لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَى أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَسُبُلِ ضَلَالَاتِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ تُشَبِّهُ الظُّلُمَاتِ فِي فِكْرِ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَسُبُلِهِ الَّتِي يَتَخَبَّطُ فِي مَسِيرَتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَى أَوْحَالِهَا وَعَقَبَاتِهَا وَخُفَرِهَا وَمَخَاطِرِهَا.

الاستِعَارَةُ الثَّانِيَّةُ: اسْتِعْمَالُ النُّورِ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الْوَاحِدِ، فَالْحَقُّ الْجَلِيُّ يُشَبِّهُ النُّورَ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْوَاضِحُ لِسَالِكِيهِ يُشَبِّهُ النُّورَ أَيْضاً.
فَاسْتُعِيرَ الْمَشَبَّهُ بِهِ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْمَشَبِّهِ.

رابعاً: من التعبير عما سَيَأْتِي مُسْتَقْبَلاً بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مُتَحَقِّقُ الْوُقُوعِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴿١٠١﴾﴾
لَمْ يَكُنْ قَدْ أُنْزِلَ إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ) كُلُّ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ خُطَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ مُسْتَقْبَلاً؛ أَنْ يُنْزَلَ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ كُلُّ الْقُرْآنِ، فَجَاءَ إِطْلَاقُ الْإِنْزَالِ عَلَى كُلِّ الْكِتَابِ، بِاعْتِبَارِ مَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، بِالنَّظَرِ إِلَى خُطَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ.

خامساً: من المجاز المرسل في السُورَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ أَلٍ فِرْعَوْنَ بِسُوءِكُمْ سُوءِ الْعَذَابِ وَيَذْكُرُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِطْلَاقُ كَلِمَةِ: «نِسَاء» عَلَى الْمَوَالِيدِ مِنَ الْبَنَاتِ، وَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى الشَّيْءِ بِاعْتِبَارِ مَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ.

وَالْغَرَضُ هُنَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ اسْتِحْيَاءَ الْبَنَاتِ، بِمَعْنَى إِبْقَائِهِنَّ فِي الْحَيَاةِ وَعَدَمِ قَتْلِهِنَّ؛ يُرَادُ بِهِ أَنْ يَكُنَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ نِسَاءً صَالِحَاتٍ لِلْإِسْتِعْبَادِ، وَلِلْخِدْمَةِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ.

سادساً: من الإيجاز بالحذف في السورة قول الله عز وجل:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ...﴾ (٩)

أي: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ إِهْلَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ.

سابعاً: من خروج الاستفهام عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ مَا يَلِي - مما جاء في السورة:

(١) قول الله عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...﴾ (٢٤)

أي: انظر نَظَرَ تَفَكُّرٍ عَمِيقٍ، وَتَدَبُّرٍ دَقِيقٍ.

ففي هذا الاستفهام حَثٌّ وَتَحْرِيطٌ عَلَى النَّظَرِ التَّفَكُّرِيِّ.

(٢) قول الله عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (١٨)

الاستفهام فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِفْهَامٌ تَعْجِييٌّ مِنْ أَمْرِهِمْ.

وَأَكْتَفَى بِهِذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنْ سُورَةِ (إبراهيم).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

الملحق الثاني

الباب الأول

إبراهيم عليه السلام في القرآن

أولاً: النصوصُ القرآنيَّةُ التي جاء فيها ذكر إبراهيم عليه السلام:

النص الأول: الآيات من (١٢٤ - ١٣٦) من سورة (البقرة/ ٢

مصحف/ ٨٧ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِي سَاسِ الْمَصِيرِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ

أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾
وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسْتَعِيزَ
وَلِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ .

النَّصُّ الثاني: الآية (١٤٠) من سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا
أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ .

النَّصُّ الثالث: الآية (٢٥٨) من سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ .

النَّصُّ الرابع: الآية (٢٦٠) من سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى
وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ
جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ .

النَّصُّ الخامس: الآيتان (٣٣ و ٣٤) من سورة (آل عمران/ ٣

مصحف/ ٨٩ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) .

النَّصُّ السَّادِسُ: الآيات من (٦٥ - ٦٨) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَدْوٍ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥٠) هَاتَانِ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُنَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧) إِنَّكَ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨) .

النَّصُّ السَّابِعُ: الآيتان: (٨٤ و ٨٥) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) .

النَّصُّ الثَّامِنُ: الآيات من (٩٥ - ٩٧) من سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥) إِنَّ

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزَيِّهِيهِ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ .

النص التاسع: الآيتان (٥٤ و ٥٥) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢

نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ:

﴿أَمْرٌ يُحْشَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ .

النص العاشر: الآية (١٢٥) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢

نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ .

النص الحادي عشر: الآية (١٦٣) من سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢

نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ .

النص الثاني عشر: الآيات من (٧٤ - ٨٧) من سورة (الأنعام/ ٦

مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَّ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِيْنِي فِي بَرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاهْتَبَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

التص الثالث عشر: الآية (١٦١) من سورة (الأنعام/ ٦ مصحف/ ٥٥

نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّد ﷺ:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

النص الرابع عشر: الآية (٧٠) من سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣

نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

النص الخامس عشر: الآيتان (١١٣ و ١١٤) من سورة (التوبة/ ٩

مصحف/ ١١٣ نزول):

قال الله عز وجل:

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

النص السادس عشر: الآيات من (٦٩ - ٧٦) من سورة (هود/ ١١

مصحف/ ٥٢ نزول):

قال الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمَرْنَاهُ فَاقِمْ فَصَحَّكَتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَهُ يَسْحَقَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنِيْلَتَىٰ أَيْلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ

الْبَشَرِ يُجَدِّدُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمُ الْغَرَضُ
عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَايِمٌ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ .

النص السابع عشر: الآيتان (٥ و ٦) من سورة (يوسف/ ١٢ مصحف/ ٥٣ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ حِكَايَةً لِقَوْلِ يَعْقُوبَ لَوْلَدِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءُوكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ
رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ .

النص الثامن عشر: الآية (٣٨) من سورة (يوسف/ ١٢ مصحف/ ٥٣ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ حِكَايَةً لِقَوْلِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَاحِبِيهِ فِي
السُّجُنِ:

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن
شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ .

النص التاسع عشر: الآيات من (٣٥ - ٤١) مِنْ سُورَةِ (إبراهيم/ ١٤ مصحف/ ٧٢ نزول):

قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ حِكَايَةً لِّبَعْضِ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ

الْشَرَّتْ لِعَالَمَهُ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴿٤١﴾

النص العشرون: الآيات من (٥١ - ٦٠) من سورة (الحجر/ ١٥ مصحف/ ٥٤ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أْبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشْرَتَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُجْرِمُهُمُ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ فَدَرَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٦٠﴾﴾

النص الحادي والعشرون: الآيات من (١٢٠ - ١٢٣) من سورة (النحل/ ١٦ مصحف/ ٧٠ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَهَاتَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَنُنَمِّيَنَّ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٧﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

النص الثاني والعشرون: الآيات من (٤١ - ٥٠) من سورة (مريم/ ١٩ مصحف/ ٤٤ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤ يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ٤٦ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧ وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨ فَلَمَّا آعَزَظَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾.

النص الثالث والعشرون: الآية (٥٨) من سورة (مريم/ ١٩ مصحف/

٤٤ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ بعد ذكرِ عددٍ من الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾.

النص الرابع والعشرون: الآيات من (٥١ - ٧٣) من سورة (الأنبياء/

٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ٥٥ قَالَ بَلْ زَكَّرْتُ رَبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ

وَأَنَّا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَن تُولَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُم بِكِبْرُهُمْ هَٰذَا فَتَشَلُّوهُمْ إِن كَانَُوا يُنْفِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْفِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَبِلَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٣﴾

النَّصَّ الخامس والعشرون: الْآيَتَانِ (٢٦ و ٢٧) من سورة (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧٧﴾﴾

النَّصَّ السادس والعشرون: الْآيَتَانِ (٤٢ و ٤٣) من سورة (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمَ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ .

النص السابع والعشرون: الآية (٧٨) من سورة (الحج/ ٢٢ مصحف/

١٠٣ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ خطاباً للَّذِينَ آمَنُوا:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ .

النص الثامن والعشرون: الآيات من (٦٩ - ٨٩) من سورة

(الشعراء/ ٢٦ مصحف/ ٤٧ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْ كَيْفَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَى وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَنَّةَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِأَيُّهَا اللَّهُ كَانَ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ .

النص التاسع والعشرون: الآيتان (١٦ و ١٧) من سورة (العنكبوت/

٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ أَنْذَرْنَاهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

النص الثلاثون: الآيتان (٣١ و ٣٢) من سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

النص الحادي والثلاثون: الآية (٧) من سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لرسوله محمد ﷺ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾.

النص الثاني والثلاثون: الآيات من (٨٣ - ١١٣) من سورة (الصافات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ عَقِبَ بَيَانِ مُوجَزٍ جَدًّا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام:

﴿وَاتَّكَ مِنْ شِعْبَانِ لِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَا ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ

مُذَبِّينَ ﴿٩٠﴾ فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ سَمَآءًا بَالِيغِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُمْ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾.

النَّصُّ الثالث والثلاثون: الآيات من (٤٥ - ٤٧) من سورة (ص/٣٨)

مصحف/٣٨ نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

النَّصُّ الرابع والثلاثون: الآية (١٣) من سورة (الشورى/٤٢)

مصحف/٦٢ نزول):

قال الله عز وجل:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

النص الخامس والثلاثون: الآيات من (٢٦ - ٢٨) من سورة
(الزخرف/ ٤٣ مصحف/ ٦٣ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

النص السادس والثلاثون: الآيات من (٢٤ - ٣٤) من سورة
(الذاريات/ ٥١ مصحف/ ٦٧ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْتْ أَهْلِيهِ فَبَآءَ بِعِجْلِ سَمِينِ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَدٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَاتَ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

النص السابع والثلاثون: الآيات من (٣٦ - ٤٢) من سورة (النجم/ ٥٣ مصحف/ ٢٣ نزول):

قال الله عزَّ وجلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى:

﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَّلُ وَزْرَهُ وَنَزَّلْنَا نُفُورَهُ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾﴾.

النص الثامن والثلاثون: الآية (٢٦) من سورة (الحديد/ ٥٧ مصحف/

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

النص التاسع والثلاثون: الآيات من (٤ - ٦) من سورة (الممتحنة/ ٦٠ مصحف/ ٩١ نزول):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِلَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ وَمَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِزْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

النص الأربعون: الآيتان (١٨ و ١٩) من سورة (الأعلى/ ٨٧ مصحف/ ٨ نزول):

قال الله عَزَّ وَجَلَّ تَعْقِيماً عَلَى آيات جاءت في السورة:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.



ثانياً: موجز تاريخي عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام عند المؤرخين:

(١) ولادة إبراهيم عليه السلام ونشأته:

وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدِينَةِ «أُور الكلدانيين» كما ذكر كاتبو «قاموس الكتاب المقدس».

ومكان «أور» اليوم خرائب تُدعى «المعبر» في مُنتَصَفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ «بغداد» وبين «الخليج العربي»، ويقالُ لَهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ «الخليج الفارسي»، وهي على مَسَافَةِ (١٠) أميال، شَرْقِي مَجْرَى نَهْرِ الْفُرَاتِ فِي عَصْرِنَا.

وَقَدْ دَلَّتِ الْكُشُوفُ الْحَدِيثَةُ عَلَى أَنَّ مَدِينَةَ «أور» مُؤَسَّسَةٌ مِنْ قَبْلِ مِيلَادِ إِبْرَاهِيمَ وَنَشَأَتْ فِيهَا بَنَحُو أَلْفِ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مَرْكَزاً لِمَدِينَةٍ رَاقِيَةٍ بِحَسَبِ مُسْتَوَى الْمَدْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ.

وَقَدْ امْتَدَّ سُلْطَانُ دَوْلَةِ مَدِينَةِ «أور» قَدِيماً حَتَّى شَمَلَتْ مُعْظَمَ أَرْضِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مَرْكَزاً كَبِيراً لِلتَّجَارَةِ.

(٢) قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا مِنَ الصَّابِئِينَ الَّذِينَ دَخَلَ إِلَيْهِمْ شِرْكُ عِبَادَةِ النُّجُومِ:

جَاءَ عِنْدَ مُؤَرِّخِي أَذْيَانِ الْأُمَمِ؛ أَنَّ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا مِنَ الصَّابِئِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْكَوَاكِبِ لَهَا تَأْثِيرُ رُبُوبِيَّةٍ فِي أَحْدَاثِ الْأَرْضِ، فَيَتَّخِذُونَ أَضْغَاماً عَلَى هَيْئَاتٍ يَتَخَيَّلُونَهَا لَهَا.

وَكَانَ مِنْ أَوْلَانِهِمُ الْوَتْنُ «نَانَار» = «إِلَهَ الْقَمَر»، وَزَوْجَتُهُ «نَنْجَال»، وَكَانَتْ لَهُمْ آلِهَةٌ كَثِيرَةٌ يَعْبُدُونَهَا.

وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجَاهِدُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَنَبَذَ الشِّرْكَ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، حَتَّى بَلَغَ عُمُرُهُ قُرَابَةَ (٧٥) عَاماً.

(٣) زواجه:

تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ «سَارَةَ» وَكَانَتْ ذَاتَ حُسْنٍ، إِلَّا أَنَّهَا بَقِيَتْ عَقِيماً حَتَّى صَارَتْ عَجُوزاً، ثُمَّ وَهَبَهَا اللَّهُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ

مع زَوْجِهَا مُهَاجِرَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْكُتْعَانِيِّينَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَكَانَ عُمْرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٠٠) سَنَةً، وَكَانَ عُمْرُ «سَارَةَ» (٩٠) سَنَةً، وَتَحَقَّقَ حَمْلُهَا وَلَدَتْهَا بِخَارِقٍ لِلْعَادَةِ، اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَانَ قَدْ وُلِدَ لَهُ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ «هَاجَرَ» الْمِصْرِيَّةِ، الْأُمَّةِ الَّتِي وَهَبَتْهَا لَهُ «سَارَةُ»، عَسَى أَنْ يُنْجَبَ مِنْهَا وَلَدًا يَكُونُ عِوَضًا عَمَّا حُرِمَتْ مِنَ الْأَوْلَادِ بِسَبَبِ عُقْمِهَا، وَقَدْ صَارَتْ عَجُوزًا.

(٤) هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَرْضِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ:

بَعْدَ جِهَادٍ طَوِيلٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، وَبَعْدَ تَوَالِي أَحْدَاثٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ مَعَ قَوْمِهِ وَمَلِكِهِمْ؛ هَاجَرَ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَرْضِ الْكُتْعَانِيِّينَ فِي بِلَادِ الشَّامِ (= فِلَسْطِينَ) بِتَوْجِيهِ مِنَ اللَّهِ، فَنَزَلَ فِي «حَارَانَ» وَكَانَ مَعَهُ فِي هِجْرَتِهِ زَوْجَتُهُ «سَارَةُ» وَأَبُوهُ، وَابْنُ أُخِيهِ «لُوطٌ» مُؤْمِنًا بِهِ، وَغَيْرُهُمْ، وَأَقَامَ فِي «حَارَانَ» مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، وَفِيهَا مَاتَ أَبُوهُ «آزَرَ» كَافِرًا عَلَى مَذْهَبِ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ رَحَلَ مَعَ مَنْ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الْكُتْعَانِيِّينَ بِتَوْجِيهِ مِنَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، وَأَقَامَ أَوَّلًا فِي: «شَكِيم» = نَابِلِسَ.

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ مَعَ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَهْدِ مُلُوكِ الرُّعَاةِ، وَهُمْ الْعَمَالِيقُ، وَيُسَمِّيهِمُ الرُّومَانُ «هِكْسُوسَ».

قالوا: واسمُ فِرْعَوْنَ مِصْرَ حِينْتِلِ «سِنَانُ بْنُ عَلْوَانَ»، وَقِيلَ: اسْمُهُ: «طُولِيسَ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ حَاوَلَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ أَنْ يُعَاشِرَ «سَارَةَ» مَعَاشِرَةَ الزَّوْجَاتِ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدُعَائِهَا، إِذْ كَانَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا تَبَيَّسَتْ أَعْضَاؤُهُ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا، فَقَالَ لِلَّذِينَ جَاءُوا

بِهَا إِلَيْهِ: لَقَدْ جِئْتُمُونِي بِشَيْطَانَةٍ لَا بَأْسَانَةَ، قَالُوا وَأَعْطَاهَا هَدَايَا، وَمَنْحَهَا جَارِيَةً مَّضْرِيَّةً خَادِمَةً لَهَا اسْمُهَا «هَاجِر» = «آجَر».

وَبَعْدَ أَنْ يَتَسَّتْ «سَارَةُ» مِنَ الْوَلَدِ، وَصَارَتْ عَجُوزًا؛ وَهَبَتْ زَوْجَهَا «هَاجِر» لِيُنْجِبَ مِنْهَا وَلَدًا، فَأَنْجَبَ «إِسْمَاعِيل» عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاشْتَدَّتْ غَيْرُهُ «سَارَةُ» فَطَلَبَتْ مِنْ «إِبْرَاهِيم» عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَنْ يُبْعِدَ «هَاجِر» وَوَلَدَهَا «إِسْمَاعِيل» عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ فِيهَا فِي فَلَسْطِينَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهُمَا إِلَى وَادِي مَكَّةَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، لِتَأْسِيسِ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ «إِسْمَاعِيل» عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَلَ بِهِمَا إِلَى وَادِي مَكَّةَ، وَتَرَكَهُمَا فِيهِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ، الَّذِي سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذِكْرُهُ.

وَصَارَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزُورُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا ثُمَّ أَنَا، يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُ، وَاخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ.

(٥) وَجَاءَ فِي الْإِضْحَاحِ (٢٥) مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَزَوَّجَ بَعْدَ وَفَاةِ «سَارَةَ» زَوْجَةً اسْمُهَا «قُطُورَةُ»، فَقَوْلَتْ لَهُ (٦) أَوْلَادَ، هُمْ: «زَمْرَان، وَيَقْشَان، وَمَدَان، وَيَشْبَاق، وَشُوحَا، وَمَذْيَان».

وَالِى مَذْيَانِ هَذَا «وَهُوَ مَذْيَنُ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» يُنْسَبُ «أَهْلُ مَذْيَن» الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ «شُعَيْبًا» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٦) وَلَمَّا بَلَغَ عُمُرُ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٧٥) سَنَةً خَتَمَ اللَّهُ حَيَاتَهُ فِي أَرْضِ فَلَسْطِينَ، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ الْخَلِيلِ «= حَبْرُون»، وَكَانَ اسْمُهَا فِي الْأَصْلِ «قَرْيَةُ أَرْبَع»، فِي الْمَغَارَةِ الْمَقَامِ عَلَيْهَا الْآنَ مَقَامُ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتُعْرَفُ بِمَغَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ.



ثالثاً: الدَّرَاسَةُ التَّكَامُلِيَّةُ لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ فَصْلاً:

الفصل الأول

كان إبراهيم عليه السلام قبل نبوته من شيعة نوح عليه السلام

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (الصافات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَايْنٍ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾:

الشيعة: كُلُّ قَوْمٍ أَوْ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ أَمْرٌ وَاحِدٌ هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُمْ مَذْهَبٌ وَاحِدٌ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُمْ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَيَتَّبِعُونَ أَحْكَامَهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ.

دَلَّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا النَّصِّ: ﴿وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾:

أي: مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ مَا زَالَتْ أَصُولُ الدِّينِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْجُودَةٌ لَدَى بَعْضِ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ الْعِبَادَاتِ كَالصَّلَاةِ، وَبَعْضُ الْأَخْلَاقِ كَالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَبَعْضُ أَنْوَاعِ السُّلُوكِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْآدَابِ، وَقَدْ تَلَقَّاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ بِهَا، فَأَمَّنَ بِهَا وَالتَزَمَهَا، فَكَانَ بِذَلِكَ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَتْبَاعَ مِلَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَصْطَفِيَهُ اللَّهُ لِلنَّبُوءَةِ، فَلَمْ يَتَّبِعْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِرْكَائَاتِ قَوْمِهِ مِنْذُ نَشَأَتِهِ.

وكانت أساليب إبراهيم عليه السلام الجدليَّة مع قومه من نوع مجاراة قومه مجاراة ظاهرة، لِيَتَنَقَّلَ مِنْهَا إِلَى نَقْضِ عَقَائِدِهِمُ الشَّرْكَِيَّةَ بِالْحُجَجِ

الدائمة، وإبطال اعتقادهم في ربوبية بعض النجوم وإلهيتها، وإبطال عباداتهم لها ولالأوثان مطلقاً.

الفضل الثاني

اجتباء الله عز وجل إبراهيم عليه السلام للنبوة والرسالة

قال الله عز وجل في سورة (النحل/ ١٦ مصحف/ ٧٠ نزول):

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ وَمَآ تَنَبَّأَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾﴾.

وبعد هذا خاطب الله عز وجل في السورة رسوله محمداً ﷺ بقوله:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام في هذا النص بتسع صفات:

الصفة الأولى: أنه كان أمةً وحده، إذ لم يكن على الدين الحق في أول نشأته غيره، فحمل عبء الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الوثنية وحده.

الأمّة: تطلق في الاستعمال القرآني على كل مجموعة تجمعها صفات، أو خصائص، أو روابط متميزة، وقد يطلق على الفرد الواحد المتميز بصفات لا يشاركه فيها غيره لفظ «أمّة».

الصفة الثانية: أنه كان قانتاً لله، أي: عابداً لله، مطيعاً خاضعاً له، يذلُّ له في عبادته.

الصفة الثالثة: أنه كان حنيفاً، أي: كان مائلاً عن كل الأديان الباطلة، المنحرفة عن صراط الحق والهدى، وهذا لا يكون إلا بالاستقامة على دين الله الحق ذي الصراط المستقيم، لأن الأديان والمِلَل

الْبَاطِلَةَ مَائِلَةً عَنْهُ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، مَائِلَاتٍ السَّاحَاتِ اللَّوَاتِي لَيْسَتْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

الْصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ أَرْبَابًا، وَلَا آلِهَةً، وَلَا أَسْبَابًا، مُنْذُ نَشَأَتِهِ، بَلْ كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مَحْكُومٌ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُ، إِيجَادًا، وَإِعْدَامًا، وَتَصَارِيفَ، وَتَغْيِيرَاتٍ، وَحَرَكَاتٍ، وَسَكَنَاتٍ.

الْصِّفَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ كَانَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَائِمًا عَلَى مِقْدَارِ اسْتِطَاعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ، بِمَا يُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا لَهُ وَجُوبًا أَوْ نَذْبًا. الشُّكْرُ: مُقَابَلَةُ إِنْعَامِ الْمُنْعَمِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ اعْتِقَادٍ، أَوْ عَمَلٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ، أَوْ قَوْلٍ، فَيَدْخُلُ فِي الشُّكْرِ: الْحَمْدُ اللَّسَانِيُّ.

الْصِّفَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ اللَّهَ اجْتَبَاهُ، أَي: اخْتَارَهُ وَاضْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَجَعَلَهُ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ رَسُولًا مُكَلَّفًا أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ عَنْ رَبِّهِ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ.

الْصِّفَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَعَلَّمَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ الْاِمْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمَوْصِلُ سَالِكِيهِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

الْصِّفَةُ الثَّامِنَةُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَسَنَةً، أَي: عَطَايَا حَسَنَةً، فَخَصَّرَهُ عَلَى نَمْرُودِ الْعِرَاقِ، وَاخْتَارَ لَهُ مُهَاجِرًا حَسَنًا فِي بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَمَنَحَهُ مَعِيشَةً حَسَنَةً بِصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَغَنًى وَاسِعٍ مِنَ الْمَوَاشِي، مَعَ عُمْرٍ مَدِيدٍ وَقُوَّةٍ، وَذَكَرَ حَسَنَ بَيْنَ النَّاسِ، وَطُمَأْنِينَةً قَلْبٍ وَرِضًا كَامِلًا عَنْ رَبِّهِ.

الْصِّفَةُ التَّاسِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ لَهُ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ.

الصَّالِحُ: هُوَ الْخَالِي مِنَ الْفَسَادِ الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ.

الفصل الثالث

ابتلاء الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بتكاليف إعداداً له لحمل رسالته

قال الله عز وجل في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١١٤) :

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ؛ أَنَّ حِكْمَتَهُ قَضَتْ بِأَنْ يَمْتَحِنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَاتٍ، تَتَضَمَّنُ تَكَالِيفَ تَكْشِفُ أَهْلِيَّتَهُ لِأَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِلنَّاسِ، فَأَدَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ التَّكَالِيفُ الرَّبَّانِيَّةُ لَهُ، أَدَاءً تَامًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ.

وَإِذْ اجْتَازَ الْامْتِحَانَ بِنَجَاحٍ تَامٍ نَالَ فِيهِ الدَّرَجَةَ الْعُظْمَى؛ قَالَ اللَّهُ لَهُ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ - مِنْ بَعْدِكَ - إِمَامًا، فَكَانَ إِمَامًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، وَظَهَرَ هَذَا فِي رِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنِيفًا، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِسْلَامِ بِذَلِكَ، وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي أُمِرُوا بِاتِّبَاعِهِ هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ.

الإمام: مَا يُؤْتَمُّ بِهِ، وَمَنْ يُؤْتَمُّ بِهِ، أَي: يَتَّبِعُ.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؟، أَي: هَلْ يَكُونُ مِنْهُمْ إِمَامٌ.

فقال الله له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، أَي: سَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ أُمَّةٌ، وَلَكِنَّ عَهْدَ اللَّهِ لَكَ بِهَذَا لَا يَصِلُ الظَّالِمِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْهُ شَيْءٌ، إِذْ سَيَكُونُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مُسْلِمُونَ وَظَالِمُونَ، وَالظَّالِمُونَ غَيْرُ مُؤَهِّلِينَ لِلْإِمَامَةِ.

يَقَالُ لَعَةً: «نَالَ فُلَانٌ فُلَانًا الْعَطِيَّةَ» أَي: أَعْطَاهُ إِيَّاهَا.

يُعَلِّمُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْبَيَانِ أَنَّ اخْتِيَارَ إِنْسَانٍ مَا لِأَن يَكُونَ إِمَامًا لِلنَّاسِ، يَجِبُ أَنْ يُسَبِّقَ بِاخْتِيَارٍ كَاشِفٍ، يَكْشِفُ أَهْلِيَّتَهُ لِأَن يَكُونَ إِمَامًا لِلنَّاسِ، فِي الْمَوْضُوعِ الَّذِي يُخْتَارُ لِأَن يَكُونَ فِيهِ إِمَامًا.

فَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، الْخَبِيرُ بِنُفُوسِ عِبَادِهِ، إِذْ هُوَ خَالِقُهُمْ، وَالْمُطَّلِعُ دَوَامًا عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ سَرَائِرِهِمْ خَافِيَةٌ؛ قَدْ اخْتَبَرَ عَبْدَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَكَالِيفَ خَاصَّةً، وَهَذِهِ التَّكَالِيفُ كَوَاشِفُ، فَإِذَا أَتَمَّهُنَّ بِأَن أَدَّى التَّكَالِيفَ بِنَجَاحٍ تَامٍ؛ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِلنَّاسِ، إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْإِمَامَةِ.

وَحِينَ سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذُرِّيَّتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَذَا الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتِكَ بِهِ إِمَامًا لِلنَّاسِ لَا أُعْطِيهِ لِلظَّالِمِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ.

الفصل الرابع

مَرَاكِجُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ فِي قَوْمِهِ

(١) مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِجِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

الرُّشْدُ: السُّلُوكُ الْفِكْرِيُّ وَالنَّفْسِيُّ وَالْخُلُقِيُّ وَالْعَمَلِيُّ الْمَوَافِقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ، أَوْ لَمَّا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَحْسَنُ وَالْأَكْثَرُ نَفْعًا، وَالْأَبْعَدُ عَنِ الضَّرَرِ.

أَي: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ حَافِظُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَزَقَكُمُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ :

• ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ؟﴾ أي: مَا حَقِيقَةُ هَٰذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي تَنْحِتُونَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ، أَوْ تَضَعُونَهَا مِنْ غَيْرِ الْحِجَارَةِ، حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهَا بِاللَّوَانِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، كَالْمَلَاذِمَةِ، وَالطَّوَافِ، وَالذُّعَاءِ، وَالرَّكُوعِ، وَتَقْدِيمِ الْقَرَابِينِ.

• ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾: أي: الَّتِي أَنْتُمْ لِأَجْلِ عِبَادَتِهَا مُقِيمُونَ عِنْدَهَا وَمُلَازِمُونَ الْمَكَانَ الَّذِي تَضَعُونَهَا فِيهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَكَفَ فِي الْمَكَانِ يَعْكُفُ، وَيَعْكُفُ، عَكُفًا، وَعُكُوفًا» أي: أَقَامَ فِيهِ وَلَزِمَهُ. وَقَدْ صَارَ الْعُكُوفُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ أَوْ لِعَبِيدِهِ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْعُكُوفِ أَنْ يَكُونَ لِلْعِبَادَةِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ لِحَاجَاتٍ فِي النَّفْسِ، كَالِاسْتِئْثَانِ وَالرَّاحَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ بِالْجَمَالِ.

• ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾: أي: قَالُوا: نَحْنُ نَعْبُدُهَا بِهَٰذَا الْعُكُوفِ تَقْلِيدًا لِآبَائِنَا، إِذْ وَجَدْنَاهُمْ لَهَا عَابِدِينَ.

• ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾: أي: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ أَجْرَىٰ هَٰذَا الْحِوَارَ مَعَهُمْ: لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ بِعِبَادَتِكُمْ لِهَٰذِهِ التَّمَاثِيلِ، وَكَانَ آبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ بِعِبَادَتِهَا؛ فِي ضَيَاعٍ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ، وَاضِحٍ جَلِيٍّ، فَلَيْسَ لِهَٰذِهِ التَّمَاثِيلِ رُبُوبِيَّةٌ وَلَا إِلَهِيَّةٌ.

فَدَهِشَ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ مِنْ مُوَاجَهَتِهِ لَهُمْ بِحَزْمٍ وَثِقَةٍ مِمَّا قَالَ لَهُمْ، إِذْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُنْعِمُسُونَ فِي ضَلَالٍ وَضَيَاعٍ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ، وَهَٰذَا الضَّلَالُ مُبِينٌ، أي: جَلِيٌّ وَوَاضِحٌ.

• ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾: أي: قَالُوا لَهُ:

يَا إِبْرَاهِيمُ أَلَيْسَ جَادًّا فِيمَا قُلْتَ، أَمْ قُلْتَ مَا قُلْتَ عَلَى سَبِيلِ الْمُزَاحِ، تُرِيدُ أَنْ تَلْعَبَ بِأَعْصَابِنَا وَتَسْتَثِيرَنَا؟، أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ الَّذِي تُؤْمِنُ بِهِ؟.

• ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٦): أي: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ: أَنَا لَسْتُ مِنَ اللَّاعِبِينَ، بَلْ أَنَا جَادٌّ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ، فَرَبُّكُمْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ، وَيُجْرِي تَصَارِيفَهُ فِيكُمْ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيُؤْتِيكُمْ مِمَّا تَسْأَلُونَهُ؛ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْمُتَصَرِّفُ دَوَامًا فِيهِمَا بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَالْمُهَيِّئُ دَوَامًا عَلَيْهِمَا، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا إِبْدَاعًا وَفَقَ نِظَامَ الْفَطْرِ مِنَ الْبَاطِنِ، الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ خَلَقَ مِنَ الْعَدَمِ، لِأَنَّ مَا بَعْدَ عُمَقِ بَاطِنِ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْعَدَمُ لَا مَحَالَةَ.

وَأَنَا عَلَى ذَلِكَمُ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ شُهودًا فِكْرِيًّا مَقْرُونًا بِالْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ يُعْلِنُونَ شَهَادَتَهُمْ بِهِ، شَهَادَةً بِاللِّسَانِ مُطَابِقَةً لِمَا فِي الْفُؤَادِ مِنْ إِيْمَانٍ رَاسِخٍ الْأَرْكَانِ، ثَابِتِ الْبُيَّانِ.

وَأَضْمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِهِ عَزْمَهُ الْمُوثَّقَ بِالْيَمِينِ عَلَى أَنْ يُحْطَمَ أَضْنَامُهُمْ، انْتِصَارًا لِرَبِّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٥٧) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).



(٢) مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الشُّعَرَاءِ/ ٢٦ مصحف/ ٤٧ نزول) خطاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُعَلِّمُهُ أَنْ يَتْلُوَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ:

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوِيهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِيبِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْهَتُونَكَ

أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذَّنَبِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَفَىٰ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّبِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾

• ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٩١﴾: أي: واثُلْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مُشْرِكِي قَوْمِكَ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، إِذْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَإِلَى نَبَذِ الْأَوْثَانِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الشُّرْكِ، وَكُلِّ مُفَرِّزَاتِهِ فِي الْعَقَائِدِ وَالْمَفَاهِيمِ وَالسُّلُوكِ، فَقَدْ كَانَتْ خَالَتُهُمْ تَشْبَهُ حَالَةِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، فَأِبْرَاهِيمُ وَالِدُ جَدِّهِمْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام، وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَكَانِ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ، أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَالَّتِي يَرْتَبِطُ بِهَا مَجْدُهُمْ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَهُوَ الَّذِي بَنَاهَا مَعَ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

وَبَيَّنَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام قَدْ كَانَ عَدُوًّا لِلْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَهَا، وَهَاجَرَ مُفَارِقًا لَهُمْ، وَقَدِمَ إِلَى وَادِي مَكَّةَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَرَكَ فِيهِ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ، لِيُؤَسِّسَ أُمَّةً مُؤَمِّنَةً بِتَوْحِيدِ الرَّبِّ، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، ثُمَّ أَقَامَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ لِلتَّوْحِيدِ وَمُحَارَبَةِ الْوُثْنِيَّةِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا.

تِلَاوَةُ الْقُرْآن: التَّطْلُقُ بِكَلِمَاتِهِ مَعَ تَتَبُعِ حُرُوفِهِ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، فَإِذَا كَانَ تَتَبَعًا لِلْمَكْتُوبِ فَهِيَ قِرَاءَةٌ.

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٠﴾: أي: أَتْلُ عَلَى مُشْرِكِي

قَوْمِكَ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ، مَا تَعْبُدُونَ؟.

بَدَأَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعْوَتَهُ لِأَبِيهِ فَقَوْمِهِ بِسُؤَالِهِمْ عَمَّا يَعْبُدُونَ، لِيَسْتَفْهَمَ مِنْهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، وَلِيَعْرِفَ مَا يَتَقَدُّونَ مِنْ صِفَاتٍ لَهَا تَسْتَحِقُّ عَنْدهُمْ أَنْ تُعْبَدَ بِحَسَبِ مَفْهُومَاتِهِمْ، أَوْ لِيَكْشِفَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ وَسَفَاهَتَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا.

وَيَدَّوُّهُ بِأَبِيهِ التَّزَامُ مِنْهُ بِمَنْهَجِ الْحِكْمَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ الْبَدْءَ بِالْأَقْرَبِينَ، فَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ فِي الْقُرْبِ، حَتَّى قَوْمِهِ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ، الْأَقْرَبِ فَأَلْأَقْرَبِ.

• ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾؟؟: أَي: مَا حَقِيقَةُ مَا تَعْبُدُونَ، كَلِمَةُ «مَا» اسْتَفْهَامِيَّةٌ يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ غَيْرِ ذِي الْعِلْمِ، وَيُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ صِفَاتِ ذِي الْعِلْمِ، وَمِنْ صِفَاتِهِ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ وَمَاهِيَّتُهَا.

فَسَأَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ حَقِيقَةِ ذَاتِ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، وَعَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي تُؤْهِلُهَا لِأَنْ تُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

• ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِينَ﴾ (٧١): أَي: فَأَجَابُوهُ عَلَى سُؤَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَّانِ أَعْيَانِ ذَوَاتِ مَعْبُودَاتِهِمْ، وَأَنَّهَا أَصْنَامٌ مَصْنُوعَةٌ مَنْحُوتَةٌ مِنْ حِجَارَةٍ، أَوْ مِنْ جَامِدَاتٍ أُخْرَى، وَهِيَ مُصَوَّرَةٌ بِصُورِ بَعْضِ النَّاسِ، أَوْ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُورٍ.

لَمْ يَفْهَمُوا أَبُو إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَوْمُهُ أَنَّهُ يَسْأَلُهُمْ عَنْ حَقِيقَتِهَا، وَعَنِ صِفَاتِهَا الَّتِي تُؤْهِلُهَا لِأَنْ تُعْبَدَ، فَأَجَابُوهُ عَنْ ذَوَاتِهَا، وَعَنْ نَوْعِ عِبَادَتِهِمْ لَهَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ تَكُونُ بِتَقْدِيمِ الْقَرَابِينِ لَهَا، أَوْ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لَهَا، أَوْ الطَّوَافِ حَوْلَهَا، أَوْ الْعُكُوفِ عَلَيْهَا، أَوْ التَّمَسُّحِ بِهَا، أَوْ سُؤَالِهَا بِالْدُّعَاءِ.

• ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِينَ﴾: أَي: فَتُداوِمُ عَلَى عِبَادَتِهَا بِالْعُكُوفِ، وَهُوَ

مُلَازِمَةُ الْإِقَامَةِ عِنْدَهَا، مُقْبِلِينَ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الْعَابِدِ عَلَى الْمَعْبُودِ.

• ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٧﴾﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ حَالِ قَوْمِهِ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامَهُمْ بِالْدُّعَاءِ، وَأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَهَا تَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا وَتَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا، فَطَرَحَ عَلَى أَبِيهِ فَقَوْمِهِ سُؤَالَيْنِ:

السؤال الأول: هَلْ تَسْمَعُكُمْ أَصْنَامُكُمْ حِينَ تَدْعُونَهُمْ لِمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، مِنْ رِزْقٍ، وَنَصْرِ، وَدُرِّيَّةٍ، وَأَمْنٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ.
السؤال الثاني: هَلْ تَنْفَعُكُمْ أَصْنَامُكُمْ فَتَعْبُدُونَهُمْ لِيُحَقِّقُوا لَكُمْ نَفْعًا؟.

هَلْ يَضُرُّونَكُمْ فَتَعْبُدُونَهُمْ لاسْتِرْضَائِهِمْ حَتَّى لَا يَضُرُّوكُمْ؟. أَوْ هَلْ يَضُرُّونَ أَعْدَاءَكُمْ فَتَعْبُدُونَهُمْ لِإِنْزَالِ الضَّرَرِ بِهِمْ؟.

سُؤَالَانِ تَابَعَ بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنَازَرَتَهُ لِقَوْمِهِ، الَّتِي بَدَأَهَا بِالسُّؤَالِ الْأَوَّلِ: مَا تَعْبُدُونَ؟.

هَذَا مِنْهُجُ جَدَلِيٍّ حَكِيمٍ يَبَاشِرُ الْمَوْضُوعَ مِنْ أَقْرَبِ السُّبُلِ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ إِبْثَاتِ أَنَّ أَصْنَامَهُمْ تَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَعَجَزُوا عَنْ إِبْثَاتِ أَنَّهَا تَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا، أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا، فَأَجَابُوا بِمَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ:

• ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

أَي: لَا نَسْتَطِيعُ إِبْثَاتِ أَنَّهَا تَسْمَعُ دُعَاءَنَا، وَلَا نَسْتَطِيعُ إِبْثَاتِ أَنَّهَا تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ، بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ الَّذِي نَفَعْلُهُ مِنْ عِبَادَاتِ لَهَا، فَنَحْنُ عَلَى آثَارِ آبَائِنَا سَائِرُونَ، وَلَهُمْ مُقْلَدُونَ.

وَبِهَذَا كَشَفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ؛ أَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ، نَظَرًا إِلَى أَنَّ تَقْلِيدَ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ دَلِيلًا

بِحَالٍ مِّنَ الْأَحْوَالِ، لَاحْتِمَالٍ أَنَّهُمْ كَانُوا جَاهِلِينَ، أَوْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ يَتَّبِعُونَ فِيهَا الْأَهْوَاءَ، أَوْ كَانُوا مُتَأَثِّرِينَ بِوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ وَتَسْوِيلَاتِهِمْ.

عِنْدِي رَأْيُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ مِّنَ الْحِكْمَةِ فِي الْمَنَاطَرَةِ أَنَّ يُعْلِنَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ، أَنَّ كُلَّ مَعْبُودَاتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِ آبَائِهِمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَعْدَاءٌ لَهُ، إِذْ لَيْسَ لَهَا شَيْءٌ مِّنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تُؤْهِلُهَا لِأَنْ تُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعِبَادَتُهَا عُذْوَانٌ عَلَى حَقِّ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي أَنْ لَا يُعْبَدَ شَيْءٌ وَلَا كَائِنٌ مَّا مِنْ دُونِهِ، إِذْ لَا إِلَهَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، فَهُوَ وَحْدَهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَاطَرَةِ، مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

أي: أَتَفَكَّرْتُمْ تَفَكُّراً سَلِيماً سَدِيداً، فَرَأَيْتُمْ بِعُقُولِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ بُطْلَانَ مَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ، تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا زِلْتُمْ أَنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ تَقْلِيداً لِآبَائِكُمْ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي، لِأَنَّهُمْ بَاطِلٌ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَصْفٌ مَّا، وَأَنَا أَعْتَبِرُ كُلَّ بَاطِلٍ عَدُوّاً لِّي، أَكْفُرُ بِهِ، وَأُعَادِيهِ، وَأُقَاتِلُهُ، وَمِنَ اللَّازِمِ الْفِكْرِيِّ لِمُعَادَاةِ الْبَاطِلِ، مُعَادَاةُ أَنْصَارِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَالِدَّاعِينَ إِلَيْهِ.

ووصف إبراهيم عليه السلام آباءَهُمْ بِالْأَقْدَمِينَ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَقْدَمِيَّةَ لَا تُعْطَى الْبَاطِلَ مَشْرُوعِيَّةَ الْبَقَاءِ، وَلَا تُكْسِبُهُ شَيْئاً مِنْ صِفَاتِ الْحَقِّ، فَالْبَاطِلُ أَرْزَلٌ بَاطِلٌ أَبَدًا، وَالْبَاطِلُ لِذَاتِهِ فِيمَا مَضَى، بَاطِلٌ دَوَامًا فِي الْمَاضِي، وَالْحَاضِرِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَلَمَّا كَانَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشْرِكِينَ، يَعْبُدُونَ أَصْنَامَهُمْ

وَيُعْبُدُونَ أَيضاً رَبَّ الْعَالَمِينَ، كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَسْتَنْبِي فَيَقُولَ:

﴿... إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: إِلَّا الْمَعْبُودَ الْمُتَّصِفَ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ أَبَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَاتِ:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢):

فذكر إبراهيم عليه السلام في هذا مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّتِي لَهُ بِهَا ارْتِبَاطٌ شَدِيدٌ فِي حَيَاتِهِ ثَمَانِي ظَوَاهِرَ:

الظَّاهِرَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ خَلَقَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ خَلْقِهِ لَهُ شَيْءٌ مَذْكُوراً فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾: أي: الَّذِي حَدَدَ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ فِيَّ، وَابْتَدَعَنِي مِنَ الْعَدَمِ.

الْخَلْقُ يَأْتِي فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَيْنِ: التَّقْدِيرُ، بِإِعْطَاءِ الْأَشْيَاءِ مَقَادِيرَهَا؛ وَالْإِبْتِدَاعُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَالْإِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ. وَهَذَا الْمَعْنَيَانِ مُرَادَانِ هُنَا.

الظَّاهِرَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ يَهْدِيهِ لِتَنْفِيزِ الْأَعْمَالِ الْمُحَقَّقَةِ لِلْأَغْرَاصِ مِنْهَا، وَهَذِهِ الْهِدَايَةُ تَشْمَلُ كُلَّ تَصَرُّفَاتِهِ الْإِرَادِيَّةِ الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ يَهْدِينِ، وَمِنْ هَذِهِ الْهِدَايَةِ هِدَايَةُ اللَّهِ الطِّفْلِ كَيْفَ يَرْضَعُ ثُمَّ يَرْضَعَتِهِ، بَعْدَ أَنْ أُعْطِيَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ قِيَمَةِ الْمَقْدَارِ الْحَكِيمِ الْمَلَائِمِ لِلرِّضَاعِ.

الظَّاهِرَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُطْعِمُهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾. فالله هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَخْلُقُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَيَخْلُقُ وَسَائِلَهَا فِي كَوْنِهِ.

الظَّاهِرَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْقِيهِ الْمَاءَ وَأَنْوَاعَ شَرَابَاتٍ أُخْرَى، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَسْقِينِ﴾ عَطْفًا عَلَى: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَاءَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الْأَشْرَبَةِ.

الظَّاهِرَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ الَّذِي يَشْفِيهِ إِذَا مَرِضَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٨٠﴾.

وَقَدْ تَأَدَّبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَبِّهِ، فَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ الْقَضَاءَ بِالْمَرَضِ الَّذِي هُوَ مِنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ لِيُبَلِّغَ بِهِ عِبَادَهُ.

إِنَّ الشِّفَاءَ مِنْ عَوَارِضِ الْأَمْرَاضِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ وَقَضَاءٍ، فَإِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشِّفَاءِ أَلْهَمَ الطَّبِيبَ الدَّوَاءَ الَّذِي جَعَلَهُ هُوَ جَلَّ جَلَالُهُ سَبَبًا لِلشِّفَاءِ.

الظَّاهِرَةُ السَّادِسَةُ: إِنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ الَّذِي يُمِيتُهُ حِينَ يَأْتِي الْأَجَلَ الْمَقْدَرُ لِإِمَاتَتِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾: عَطْفًا عَلَى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ﴿٧٩﴾: أَي: وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُمِيتُنِي.

إِنَّ الْإِمَاتَةَ خَلْقٌ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ، إِذْ يَتَحَقَّقُ الْمَوْتُ بِفَضْلِ الرُّوحِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَنِ النَّفْسِ الَّتِي فِيهَا طَبْعَةُ الْكَائِنِ الْحَيِّ، كَمَا تَكُونُ الْحَيَاةُ بِوَضْلِهَا بِالنَّفْسِ، وَكُلٌّ مِنَ الْوَضْلِ وَالْفَضْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِخَلْقِ اللَّهِ وَفِعْلِهِ.

الظَّاهِرَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُعِيدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ يَوْمَ بَعَثَ الْمَوْتَى فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾. أَي: وَيُحْيِي جَمِيعَ النَّاسِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، بِالشَّوَابِ، وَبِالْعِقَابِ.

الظَاهِرَةُ الثَّامِنَةُ: أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَظْمَعُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَنْ يَغْفِرَ لَهُ خَطِيئَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ، فَلَا غَافِرَ لِدُثُوبٍ مِنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ إِلَّا هُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ.

مِنْ حِكْمَةِ إِبْرَاهِيمَ الدَّعَوِيَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ عَرَضَ عَقِيدَتَهُ الْإِيمَانِيَّةَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ، لِيَسْتَشِيرَ فِيهِمُ الرَّغْبَةَ فِي مُنَاطَرَتِهِ بِشَأْنِهَا، وَعِنْدَئِذٍ يُقَدِّمُ حُجَجَهُ الْبُرْهَانِيَّةَ حَوْلَ مَا يُبْذَوْنَهُ مِنْ شِكُوكٍ بِشَأْنِهَا.

وَاتَّبَعَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَانَهُ لِمَا يُؤْمِنُ بِهِ بِشَأْنِ الْقَضَايَا الَّتِي عَرَضَهَا، بِدُعَاءٍ دَعَا بِهِ رَبُّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِأَيَّتِي ظَلَمْتُ وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩):

عَنَاصِرُ هَذَا الدَّعَاءِ تُؤَكِّدُ إِيْمَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَوْمِ الدِّينِ إِيْمَانًا لَا شَكَّ يُخَالِطُهُ، وَلَا شُبْهَةَ تَلَامِسُهُ.

وَدُعَاؤُهُ رَبَّهُ بِهَذَا الدَّعَاءِ أَمَامَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ أُسْلُوبِ الدَّعْوَةِ غَيْرِ الْمُبَاشِرَةِ إِلَى الْإِيْمَانِ بِمِثْلِ مَا يُؤْمِنُ هُوَ بِهِ.

وَفِي هَذَا الدَّعَاءِ الَّذِي دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتَّةُ مَطَالِبَ:

المطلب الأول: قَوْلُهُ فِي دُعَائِهِ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾:

الْحُكْمُ: فِقْهُ الْأُمُورِ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَحُدُودِ كُلِّ مِنْهُمَا، وَمَعْرِفَةُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَحُدُودِ كُلِّ مِنْهُمَا، وَمَعْرِفَةُ الْحَسَنِ وَالسَّيِّئِ وَحُدُودِ كُلِّ مِنْهُمَا، وَمَعْرِفَةُ الْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ فِي السُّلُوكِ الْإِرَادِيِّ وَحُدُودِ كُلِّ مِنْهُمَا.

وَبِنَاءً عَلَى فِقْهِ الْأُمُورِ يُضَدِّرُ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ أَحْكَامُهُ الْعِلْمِيَّةَ وَأَحْكَامُهُ الْقَضَائِيَّةَ مُطَابَقَةً لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ.

وَيَدْخُلُ فِي إِيْتَائِهِ الْحُكْمَ إِيْتَاؤُهُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَقْدِيمِ الْحُجَجِ الدَّامِغَةِ،
وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ لِبَجْدَلِيَّاتِ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُرَاوِعِينَ، وَمُحَاصِرَتِهِمْ مِنْ كُلِّ
مَهْرَبٍ فِكْرِي.

وَقَدْ آتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُجَّتَهُ الدَّامِغَةَ لِقَوْمِهِ، أَهْلَ
الْبَاطِلِ وَالشُّرْكِ، وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا فِي مُجَادَلَتِهِ لِقَوْمِهِ وَلِمَلِكِهِمْ نُمْرُودَ إِذْ بَهَّتْهُ
بِبَجْدَلِيَّاتِهِ لَهُ.

وَلَمْ أَفْهَمْ مِنْ لَفْظِ «الْحُكْمِ» هُنَا مَعْنَى النُّبُوَّةِ، لِأَنَّ سَوَابِقَ هَذَا الدُّعَاءِ
تُشْعِرُ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، مِنْ مَوْقِعِ كَوْنِهِ نَبِيًّا
وَرَسُولًا، عَلَى أَنَّ النُّبُوَّةَ تَأْتِي اضْطِفَاءً مِنَ اللَّهِ وَلَا تَأْتِي بِطَلَبِ الْعَبْدِ لَهَا.

الْهَبَةِ: الْعَطِيَّةُ الْخَالِيَّةُ مِنَ الْأَعْوَاضِ وَالْأَعْرَاضِ.

المطلب الثاني: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ: ﴿... وَالْحَقِّ

بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾﴾:

أَي: وَاجْعَلْنِي أَلْحَقَ الصَّالِحِينَ السَّابِقِينَ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ قَبْلِي، مِنْ
أُولِي الْعِزِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِذَا لَحِقْتُهُمْ سِرْتُ مَعَهُمْ سَابِقًا فِي
الْخَيْرَاتِ الَّتِي تُرْضِيكَ، وَصِرْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ فِي الصَّلَاحِ.

الصَّلَاحُ: ضِدُّ الْفُسَادِ، وَالصَّالِحُ هُوَ الْخَالِي مِنَ الْفُسَادِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ
الْمَعَاصِيَّ فِي السُّلُوكِ الدِّينِيِّ مِنَ الْفُسَادِ.

المطلب الثالث: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ: ﴿وَاجْعَلْ لِي

إِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾:

أَي: وَاجْعَلْنِي دَوَامًا حَتَّى آخِرِ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ
كَامِلِي الصَّلَاحِ، حَتَّى يَكُونَ لِي ثَنَاءٌ حَسَنٌ صَادِقٌ مُطَابِقٌ لِوَاقِعِ حَالِي فِي
الْآخِرِينَ مِنَ النَّاسِ، بِمُقْتَضَى سُنَّتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: أي: ثناء صادقاً لا مُبالغَة فيه ولا زيادة عن واقع الحال الذي تجعلني فيه. أُطلقَ لفظُ «لِسَان» وأريد به الثناء الحسن الذي ينطقُ اللسانُ به، وإضافةُ «لِسَانٍ» إلى «صِدْقٍ» من إضافة الموصوف إلى صفتِهِ، وهذا من الوصف بالمضدر، للدلالة على المطابقة التامة بين الثناء والصِّدْق فيه.

وقد استجابَ الله عزَّ وجلَّ دعاءَ إبراهيم عليه السَّلام في هذا فكانَ كاملَ المُداوَمَةِ على كمالِ الصَّلاحِ، فجعلَ اللهُ له لِسَاناً صِدْقاً في الآخِرِينَ.

المطلب الرابع: قولُ إبراهيم عليه السَّلام في دعائه لِرَبِّهِ: ﴿وَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥):

ورثة: جمع «وارث» وهو من يصيرُ إليه ما كانَ لِغيره من مالٍ، أو مَجْدٍ، أو غَيْرِهِمَا، دونَ عوض.

وقد علِمَ إبراهيم عليه السَّلام، أنَّ دُخُولَهُ جَنَّةِ النَّعِيمِ يومَ الدِّينِ، إنَّما يَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ، لا بأعمالِهِ مَهْمَا كَانَتْ صَالِحَةً، فَطَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ، فَيَجْعَلَهُ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ بِفَيْضِ عَطَاءَاتِهِ، وبهذا يكونُ ميراثُ الجنةِ بِمعنى الهبة بلا عوض.

المطلب الخامس: قوله في دعائه: ﴿وَاغْفِرْ لِأَيِّتِي إِنَّكَ كَانِ مِنَ الصَّالِّينَ﴾ (٨٦). وقد عذَرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بهذا الدُّعاءِ لِأَيِّهِ الكافر، إذ كان بناءً على مَوْعِدَةٍ وَعِدَها إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عُدُّوا اللهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

المطلب السادس: قولُ إبراهيم عليه السَّلام في دعائه لِرَبِّهِ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾:

الخِزْيُ: يُسْتَعْمَلُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى عِدَّةٍ معانٍ، وهي: الوقوعُ في الشَّرِّ

وَالْعَذَابِ، وَالْمَصَائِبِ، وَالْبَلَايَا، وَالْأَفْضَاحَ بِالْقَبَائِحِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْآثَامِ الْمَكْتُومَةِ، الْمُورِثَةَ لِلْحَجَلِ الشَّدِيدِ مِنْهَا، وَالْاسْتِحْيَاءِ بِمَا يَنْزِلُ مِنْ ذَلِكَ وَهَوَانٍ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي صَالِحَةٌ كُلُّهَا لِأَنْ تَكُونَ مُرَادَةً هُنَا.

أي: واحفظني ربِّ واغصمني ممَّا يكونُ سبباً في خزيي على أيِّ معنى من هذه المعاني، وهذه العِصْمَةُ تكونُ بإِعَانَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ حَتَّى يُدَاوِمَ على الاستِقامَةِ الكاملةِ على صراطِ الله المستقيم، اغتقاداً، وعملاً، وقولاً، ونيةً، وكلُّ سلوكٍ يخضع لإرادته.

وَأَتَمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِعْظَافَهُ لِرَبِّهِ فِي دُعَائِهِ بِوَضْفِهِ لِيَوْمِ الْبُعْثِ بِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.

﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩): أي: لَكِنْ مَنْ آتَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، فَإِنَّ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ الَّتِي كَسَبَهَا بِقَلْبِهِ السَّلِيمِ تَنْفَعُهُ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الدِّينِ.



(٣) مَرَحَلَةٌ أُخْرَى مِنْ مَرَاجِلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعَوِيَّةُ:

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول):

﴿وَإِذْ هَمَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧):

• ﴿وَإِذْ هَمَّ﴾: أي: وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ عَظْماً عَلَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ في الآية (١٤) من السورة.

• ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾: أي: وَضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا

الْمَتَلَّقِي لِآيَاتِ كِتَابِ رَبِّكَ، مَا نُبِئْتُهُ لَكَ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِدَلِيلٍ مَا جَاءَ فِي النَّصِّ مِنْ تَحْذِيرِهِ الشَّدِيدِ مِنَ الشُّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

﴿وَأَتَّقُوا﴾: أي: وَاتَّقُوا عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ عَلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ شُرْكِ، وَضَلَالَاتِ سُلُوكِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ وَجَسَدِيَّةٍ هِيَ مِنْ مُفَرَّزَاتِ الشُّرْكِ.

• ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾: أي: ذَلِكُمْ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَاتَّقَاءُ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ، خَيْرٌ لَّكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَجَاهَ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَتَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى هَذَا الْعِلْمِ مُؤْمِنِينَ بِهِ.

• ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾:

أي: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَوْثَانًا تَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ، لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْطِقُ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: أي: مَا تَفْتَرُونَ فِي ادِّعَاءِ الْإِلَهِيَّةِ لِمَا تَعْبُدُونَ إِلَّا كَذِبًا، فَلَا إِلَهِيَّةَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. تَخْلُقُونَ: أي: تَصْنَعُونَ افْتِرَاءً.

إِفْكًا: أي: كَذِبًا.

• ﴿... إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا...﴾:

أي: إِذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ آلِهَتَكُمْ لِتَرْزُقْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ أَنْ تَرْزُقْكُمْ أَقَلَّ رِزْقٍ.

الرِّزْقُ: كُلُّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُلْبَسُ وَيُشْرَبُ، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ الْحَيُّ لِحَيَاتِهِ.

﴿... فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾:

أي: فَاطْلُبُوا عِنْدَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ الرُّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ وَخُدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
بِالدُّعَاءِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُرْضِيهِ، وَاشْكُرُوا لَهُ مَا يُمِدُّكُمْ بِهِ
مِنْ نِعَمٍ، وَذَلِكَ بِالْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ وَالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ،
وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: سَتُبْعَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى،
وَالْإِلَى حِسَابِ اللَّهِ، وَفَضْلَ قَضَائِهِ، وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ تُرْجَعُونَ.



(٤) مَرَحَلَةٌ أُخْرَى مِنْ مَرَاكِجِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (مريم/ ١٩ مصحف/ ٤٤ نزول):

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَتَّابِتْ لِي أَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَتَّابِتْ لِي أَنِي لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَتَّابِتْ لِي أَنِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ
لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي
حَفِيًّا ۖ وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ﴾ (٤٨)

تمهيد:

كَانَ مِنْ سِيَاسَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ، أَنَّهُ بَدَأَ بِأَقْرَبِ النَّاسِ
إِلَيْهِ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ رَبَّانِيٌّ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ،
فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ.

واهتماماً بالقيام بهذه السياسة الدعوية الحكيمة الرشيدة، ألح إبراهيم عليه السلام على أبيه في الدعوة إلى دين الله الحق، وإلى نبذ اتخاذ الأوثان وعبادتها، ونوع لأبيه أساليب الإقناع، وقدم له البراهين وحججاً مختلفة، واستغطفه واستلانه، وتخضع له، وترفق به وعاشره بإحسان، ولم يقابل به بما يكره.

وحين طلب منه أبوه أن يهجره إلى حين، استجاب لطلبه، ووعدَه بأن يستغفر له ربه، قبل أن يعلم أنه مصرٌّ على أن يكون عدواً لله، فلما علم أنه عدو لله تبرأ منه.

ونفهم من هذا النص أن إبراهيم عليه السلام قد أضجر أباه في دعوته له، مفرونة بالحجج البرهانية المقنعة، رجاء أن يستجيب له، فيكون من المؤمنين الموحدين الناجين من عذاب الله الخالد في نار جهنم، ونفهم أن الصجر قد أوصل الأب إلى أن يهدد ابنه إبراهيم الناصح له، والمليح عليه بالنصيحة، وبإقامة الحجج البرهانية المقنعة، فيتوعدّه بالرجم، فقال له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأقتلك بوسيلة الرجم بالحجارة.

ويظهر أن هذا التهديد قد صدر من الأب وهو في حالة ضيق صدر، إذ لم يستطع أن يرد على حجج ابنه البرهانية بما يزيّن تقليده الأعشى في شركياته، ومعلوم أن ضيق الصدر يؤلّد غضباً، ومع الغضب تضدّر عبارات التهديد التي قد تصل إلى التهديد بالقتل.

ويظهر أيضاً أنه لما سكّت عن أبيه غضبه تراجع عن التهديد بالرجم، وطلب من ابنه إبراهيم عليه السلام أن يهجره مدة طويلة من الزمن، فقال له: ﴿وَاهْجُرْنِي مِلًّا﴾: الملي: المدة الطويلة من الزمن.

ويظهر أيضاً أن إبراهيم عليه السلام استشعر من قول أبيه له: ﴿وَاهْجُرْنِي مِلًّا﴾ وعداً ضمناً بأن يرجع نفسه، ويتفكّر في الأمر، ويتخذ

تَدَابِيرَ يَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ ضَغْطِ بَيْتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. فَوَعَدَهُ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ رَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: أي: إِنَّ رَبِّي كَانَ بِي لَطِيفًا، وَكَانَ لِي مُكْرِمًا، وَكَانَ ذَا عِنَايَةٍ بِي، فَأَرْجُو أَنْ يَسْتَجِيبَ لِي إِذَا دَعَوْتُهُ طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ.

التدبر:

قول الله عزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾:

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَثْبَتَهَا الْمُتَلَقِّي لآيَاتِ كِتَابِ رَبِّكَ أَيًّْا كُنْتَ، خَبَرًا مُنَزَّلًا فِي الْكِتَابِ (= القرآن الكريم) فَاحْفَظْهُ، وَتَدَبَّرْهُ، وَاسْتَذَكِرْهُ عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ لِنَتْنَفَعِ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ إِرْشَادَاتٍ جَلِيلَاتٍ، وَتَوْجِيهَاتٍ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ.

اذْكُرْ نَبِيَّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي صِفَاتِهِ الدَّائِيَّةِ، وَفِي أَخْبَارِ دَعْوَتِهِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَأَسَّى بِهَا الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: صِدِّيقٌ: عَلَى وَزْنِ «فَعِيلٍ» مِنْ صَبَغِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّكْثِيرِ، وَلَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ نَظَائِرُ مَسْمُوعَةٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا، مِنْهَا: «خَرِيتُ» وَهُوَ ذُو الْحِذْقِ بِالطَّرْقِ وَالْمَسَالِكِ، وَمِنْهَا: «ضَلِيلٌ» وَهُوَ كَثِيرُ الضَّلَالِ وَالتَّضَلُّيلِ.

الصَّدِّيقُ: هُوَ عَظِيمُ الصَّدْقِ فِي أَقْوَالِهِ، وَعَظِيمُ الصَّدْقِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَلَا يُنَافِقُ بِهَا وَلَا يُرَائِي. وَالصَّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ عزَّ وَجَلَّ.

وَيَأْتِي الصَّدِّيقُ بِمَعْنَى كَثِيرِ التَّصَدِّيقِ بِمَا يَأْتِي مِنْ بَيِّنَاتٍ عَنِ الْوَحْيِ

الصَّادِقِ، فَلَا يَشْكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَهْمَا كَانَ غَرِيبًا عَجِيبًا، إِذَا كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَلِهَذَا وُصِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهُ صِدِّيقٌ.

﴿يَبَيِّنَا﴾: النَّبِيُّ عَبْدُ اضْطَفَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ إِلَيْهِ.

النُّبُوَّةُ: هِيَ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّبَأِ وَهُوَ الْخَبَرُ الْبَارِزُ، أَوْ مِنَ «النُّبُوَّةِ» وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَهِيَ فِي الْاضْطِلَاحِ الشَّرْعِي، اضْطَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ بِالْوَحْيِ إِلَيْهِ.

فَالنَّبِيُّ مُنْبَأٌ بَيِّنَاتٍ وَأَخْبَارٍ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَمُنْبَأٌ بِمَا تَلَقَّاهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ.

وَجَاءَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولٌ فِي نُصُوصٍ قَرَأْنِيَّةٍ أُخْرَى، وَتَفْهَمُ رِسَالَتَهُ مِنْ هَذَا النَّصِّ بَدَلَالَةَ اللُّزُومِ الْعَقْلِيِّ لِقِيَامِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾ (٢١): أَي: وَضَعَ فِي ذَاكَرَتِكَ أَتْيَهَا الْمُتَلَقِّي هَذَا الْحَدَثِ.

﴿يَتَّبِعْ﴾: لَقَدْ تَلَطَّفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَبِيهِ، فَخَاطَبَهُ بِتَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ وَإِشْعَارٍ بِارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ أَبِيهِ بِالْأُبُوءَةِ، فَتَادَاهُ بِأَدَاةِ النَّدَاءِ الْمَوْضُوعَةِ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ، وَوَضَعَ بَدَلِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ تَاءَ التَّأْنِيثِ الَّتِي يَسْتَعِظُفُ بِهَا رِقَّتُهُ الَّتِي يُشَارِكُ الْأُمَّ بِهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُ: يَا أَبِي الَّذِي هُوَ مِثْلُ أُمِّي فِي الشَّفَقَةِ عَلَيَّ وَالرَّحْمَةِ بِي، إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بِكَ أَنْ أَنْصَحَكَ وَأَذْكَكَ عَلَى الْحَقِّ وَصِرَاطِ الْهُدَى، وَأَنْ أَحْذَرَكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذْ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَيُجَارِيهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾؟؟

اسْتَفْهَامُ اسْتِفْسَارِيٍّ، وَاسْتِنْكَارِيٍّ، وَتَعْجَبِيٍّ.

أَي: يَا أَبَتِ، هَلْ لَكَ مَقْصِدٌ يَتَحَقَّقُ لَكَ، بِعِبَادَتِكَ أَوْثَانًا جَامِدَةً، لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكَ، وَلَا تُبْصِرُ ذَاتَكَ، وَلَا تَنْفَعُكَ بِنَافِعَةٍ، وَلَا تَصْرِفُ عَنْكَ شَيْئًا مِمَّا تَكْرَهُهُ؟؟؟!

هَذَا السُّؤَالُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُجِيبَ عَلَيْهِ عَاقِلٌ إِجَابَةً صَحِيحَةً، إِلَّا بِأَنْ يَقُولَ: وَجَدْتُ قَوْمِي وَأَبَاءَهُمْ يَعْْبُدُونَ هَذِهِ الْأِلَٰهَةَ مِنَ الْأَوْثَانِ فَعَبَدْتُهَا، مُسْتَبْعِدًا عَنْ تَصَوُّرِي أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ.

عِنْدَئِذٍ انْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اتِّخَاذِ وَسِيلَةٍ إِفْنَاعِ أَبِيهِ بِالْحَقِّ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿١٣﴾:

كَرَّرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِعْظَافَهُ لِأَبِيهِ بِقَوْلِهِ لَهُ: ﴿يَتَابَتِ﴾ وَأكَّدَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ الْعُقَلَاءُ الرَّاشِدُونَ، مَا لَيْسَ عِنْدَ أَبِيهِ مِنْهُ.

وَهُنَا لَا بُدَّ أَنْ تَجْرِيَ مُحَادَثَةٌ بَيْنَهُمَا، يُثْبِتُ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ الْعِلْمَ الَّذِي جَاءَهُ، بِشَأْنِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَحَقِّ اللَّهِ الرَّبِّ عَلَى عِبَادِهِ فِي أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا، وَأَنْ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْخَالِدِينَ يَوْمَ الدِّينِ فِي عَذَابٍ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَبَانَ لِأَبِيهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنْ لَا يَجِدَ الْأَبُ الْمُشْرِكُ كَلَامًا يَصِحُّ فِي الْعُقُولِ، يَنْقُضُ بِهِ أُدْلَةَ الْإِبْنِ الرَّسُولِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِشَأْنِ أَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فِي الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَبِشَأْنِ أُسُسِهَا الْعَقْلِيَّةِ، وَجَدُّورِهَا الْوُجْدَانِيَّةِ.

وبانْقِطَاعِ الْأَبِّ، وَعَجْزِهِ عَنْ مُتَابَعَةِ الْمَنَاطِرَةِ الْمُنْطَقِيَّةِ الْمُقْبُولَةِ فِي
الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَجَدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ عِنْدَ هَذَا
الْمَوْقِفِ الْحَرَجَ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ مَخْرَجًا، فَقَالَ لَهُ:

﴿... فَأَتَّبِعِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝٤٣﴾:

أي: إِنَّ الْقَاعِدَةَ الْإِيمَانِيَّةَ مُلْزَمَةٌ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ سَوِيٍّ بِالْإِيمَانِ بِهَا،
وِبِنَاءٍ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ يَأْتِي السُّلُوكُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَانْطِلَاقًا مِنَ
الْحَقِّ الَّذِي تَأَلَّفَتْ مِنْهُ أَرْكَانُ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، لَا يَكُونُ السُّلُوكُ الَّذِي
تُوجِبُهُ هَذِهِ الْأَرْكَانُ إِلَّا عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ.

الصِّرَاطُ: هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْمُسَرُّ السَّهْلُ، الَّذِي لَا تُوجَدُ فِيهِ
عَقَبَاتٌ وَلَا عَرَاقِيلُ وَلَا مَوَانِعُ.

السَّوِيُّ: هُوَ الْمُسْتَوِي الْمَعْتَدِلُ، الَّذِي لَا اغْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ،
وَلَا مُرْتَفَعَاتٍ وَلَا مُنْخَفَضَاتٍ.

وقد جاء في نصوص القرآن والسنة إطلاق لفظ «الصِّرَاط» عَلَى
الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، وَالنَّصَائِحِ وَالْوَصَايَا، وَسَائِرِ الْبَيِّنَاتِ وَالتَّعْلِيمَاتِ الدِّينِيَّةِ
لِلنَّاسِ، عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ، حَتَّى صَارَ مُصْطَلَحًا دِينِيًّا دَالًّا عَلَى ذَلِكَ.

﴿أَهْدِكَ﴾: يَقَالُ لُغَةً: «هَدَاهُ الطَّرِيقَ، وَهَدَاهُ إِلَيْهِ» أَي: بَيَّنَّهُ وَأَوْضَحَهُ
لَهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ الْهِدَايَةُ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاجْتِنَابِ سُبُلِ
الضَّلَالِ، وَلَمَّا كَانَ السَّيْرُ فِي سُبُلِ الضَّلَالِ هُوَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الْعَدُوِّ
لِبَنِي آدَمَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الطَّاعَةُ لِلشَّيْطَانِ مِنَ الْعِبَادَةِ الْمُنَاقِضَةِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ
- جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ:

﴿يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝٤٤﴾:

قَابَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَادَةُ لِلشَّيْطَانِ الَّذِي أَوْحَى بِهَا، وَأَمَرَ أَوْلِيَائَهُ مِنَ الْإِنْسِ بِتَزْيِينِ عِبَادَتِهَا، وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ تَجُرُّ إِلَى ضَلَالَاتٍ كَثِيرَاتٍ، وَشُرُورٍ مُفْسِدَاتٍ لِلْأَفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ.

وَأَبَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ شَدِيدَ الْعِصْيَانِ لِلرَّحْمَنِ، وَشَدِيدَ التَّمَرُّدِ عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، مُنْكَرًا إِلَهِيَّتَهُ الَّتِي تَقْتَضِيهَا عَقْلًا رُبُوبِيَّتَهُ.

وَذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى اسْمَهُ الرَّحْمَنَ، لِيُحَرِّكَ وَجْدَانَهُ وَعَاطِفَتَهُ الْخَيْرَةَ نَحْوَ رَبِّهِ، الَّذِي يَرْحَمُهُ فِيمُدُّهُ بِالْحَيَاةِ وَالرِّزْقِ وَالصَّحَّةِ، وَبِكَثِيرٍ مِنْ مَحَابِّهِ، وَالَّذِي تُرْجَى رَحْمَتُهُ دَوَامًا، وَالَّذِي يَغْفِرُ لِلتَّائِبِينَ إِلَيْهِ، وَيَغْفُو عَنْهُمْ بِرَحْمَتِهِ.

الْعَصِي: هُوَ الشَّدِيدُ الْعِصْيَانِ. وَهَذَا اللَّفْظُ مِنْ صِيَغِ الْمَبَالَعَةِ.

وَبَعْدَ هَذَا الْأَسْلُوبِ التَّنْفِيرِيِّ مِنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، رَأَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يُحَذِّرَ أَبَاهُ مِنْ عَذَابِ الرَّحْمَنِ الْمَعْجَلِ، بِسَبَبِ شُرْكَهِ، مَعَ اخْتِفَاضِهِ بِالْأَسْلُوبِ الْاسْتِعْظَافِيِّ الرَّفِيقِ، فَقَالَ لَهُ:

﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٦٥﴾:

أَي: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ مِنْ طُولِ إِضْرَارِكَ عَلَى الشُّرْكِ، أَنْ يَمَسَّكَ فِي حَيَاتِكَ الدُّنْيَا عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونَ بِذَلِكَ مِنَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِ الشَّيْطَانِ وَجَمَاعَتِهِ وَحِزْبِهِ، الَّذِينَ يَمَسُّهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ عَذَابٌ عِقَابِيٌّ مُعَجَّلٌ، قَبْلَ الْعَذَابِ الْعِقَابِيِّ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ.

دَلَّ عَلَى أَنَّ مُرَادَهُ الْعَذَابَ الْمَعْجَلُ فَعَلَ: ﴿أَخَافُ﴾ الْمَشْعُرُ بِالظَّنِّ،

وَفَعَلَ: ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾ دُونَ: «أَنْ يُنْزَلَ بِكَ» وَاسْتِعْمَالَ اسْمِ اللَّهِ: ﴿الْعَزِيزُ﴾ دُونَ اسْمِهِ: «الْمُنْتَقِمُ الْجَبَّارُ».

فَقَالَ الْأَبُ الْمُشْرِكُ لِابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ النَّبِيُّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامَ مَا
حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُ:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ إِلَهِتِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ﴾

دَلَّ هَذَا الرَّدُّ عَنْ حَالَةِ غَضَبٍ خَرَجَ فِيهَا الْأَبُ عَنْ مِرَاجِهِ السَّوِيِّ،
إِذْ وَجَدَ نَفْسَهُ مَغْلُوبًا، مَهْزُومًا فِكْرِيًّا وَنَفْسِيًّا، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِدًّا أَنْ يَنْبِذَ
تَقَالِيدَهُ الْبَاطِلَةَ لِقَوْمِهِ وَأَبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً غَيْرَ التَّهْدِيدِ
بِالرَّجْمِ، مُسْتَحْدِمًا سُلْطَتَهُ الْأَبَوِيَّةَ، وَأَنَّ ابْنَهُ خَاضِعٌ لَهُ بَارًّا بِهِ.

لَكِنَّهُ لَمَّا بَرَدَتْ جَذْوَةُ غَضَبِهِ طَلَبَ مِنْ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْ
يَهْجُرَهُ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ، لِئَلَّا يَكُونَ بَيْنَهُمَا احْتِكَاكٌ مَا فِي مَسَائِلِ الدِّينِ وَقَضَايَاهُ.

﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ إِلَهِتِي يَتَّبِعُهُمْ ۖ﴾: أي: أَتَارِكُ أَنْتَ إِلَهِتِي، وَمُخَالَفٌ

لِي فِي دِينِي وَفِي عِبَادَتِي؟؟!!

يقال لغة: «رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ» أي: تَرَكَهُ زُهْدًا فِيهِ، أَوْ إِنكَارًا لَهُ.

ويقال لغة: «رَغِبَ فِي الشَّيْءِ» أي: أَرَادَهُ وَحَرِصَ عَلَيْهِ، أَوْ طَمِعَ

فِيهِ.

وَنَفْهَمُ مِنَ الْإِظْنَابِ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ ﴿أَنْتَ﴾ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ إِشْعَارُ
الْأَبِ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ، بِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَغْرَبِ مِنْهُ وَهُوَ الْبَارُّ الْحَرِيصُ عَلَى بَرِّ
أَبِيهِ، أَنْ يَرْغَبَ عَنْ عِبَادَةِ إِلَهِتِهِ، وَيَسْلُكَ سَبِيلًا غَيْرَ سَبِيلِهِ، أي: مِثْلَكَ أَنْتَ
لَا يَفْعَلُ هَذَا.

وكَانَ غَضَبُ الْأَبِ قَدْ بَلَغَ ذِرْوَتَهُ، فَقَالَ لِابْنِهِ مُؤَكِّدًا بِالْقَسَمِ: ﴿لَئِنْ
لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: أي: لَأَطْرُدَنَّكَ أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ إِنْ لَمْ تَنْتَهِ
عَنْ دَعْوَتِكَ إِلَيَّ نَبَذَ عِبَادَةَ إِلَهِتِي مِنَ الْأَوْثَانِ.

وَيُظْهَرُ أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا التَّهْدِيدِ بَرَدَ غَضَبُهُ، وَأَذْرَكَ أَنَّ ابْنَهُ لَنْ يَنْتَهِيَ عَمَّا

نَهَاہُ عَنْہُ، فَأَتَّبَعَ کَلَامَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿... وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ﴾ أي: واهْجُرْنِي مُتَبَعِدًا عَنِّي زَمَنًا طَوِيلًا.

وَشَعَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَنَازُلِ حِدَّةِ غَضَبِ أَبِيهِ، وَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا اسْتَجَابَ لِطَلْبِهِ فَهَجَرَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَانِ، تَرَاجَعَ عَنْ إِضْرَارِهِ وَعِنَادِهِ، وَصَارَ أَلِينًا وَأَطْوَعَ وَأَكْثَرَ تَقَبُّلاً لِلْحَقِّ، فَقَالَ لِأَبِيهِ مَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ التَّالِي:

﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ﴾ (٤٧) ﴿وَأَعَزَّلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ﴾ (٤٨):

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانُ أَرْبَعِ قَضَايَا وَجَدَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلَائِمَةً وَحَكِيمَةً فِي هَذَا الْمَوْقِفِ:

القَضِيَّةُ الْأُولَى: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾: أي: أَعْلِنُ مُفَارَقَتِي لَكَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِكَ، فَأَقُولُ لَكَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ مُكْرَمًا مُبْجَلًا.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّة: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ: ﴿... سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ﴾ (٤٧):

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَعْدٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ، بِأَنَّهُ سَيَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ.

وَقَدْ وَفَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَعْدِهِ لِأَبِيهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، إِذْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَلِينَ قَلْبُهُ، وَيَنْبِذَ الشُّرْكَ، وَيُؤْمِنَ بِالَّذِينَ الْحَقُّ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ أَبَاهُ مُقِيمٌ عَلَى كُفْرِهِ بِإِضْرَارٍ وَعِنَادٍ، وَأَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِذْ لَا يَجُوزُ لِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِمُشْرِكٍ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: أي: إِنَّ رَبِّي كَانَ لَطِيفًا بِي، مُكْرِمًا لِي، ذَا عِنَايَةٍ خَاصَّةٍ بِتَحْقِيقِ مَطَالِبِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ، وَلِلَّذِينَ مَعَهُ مِنْ أَسْرَتِهِ الْمَلَازِمِينَ لِشُرَكِهِمْ: ﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

أي: مَا دُثِّمْتُمْ مُلَازِمِينَ لِشُرَكِكُمْ، غَيْرَ مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِي، فَإِنَّ الْمَنْهَجَ الدَّعْوِيَّ يَقْتَضِي مِنِّي أَنْ أَعْتَزِلَكُمْ، وَأَعْتَزِلَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، بِالْوَانِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَمِنْهَا الْعِبَادَةُ بِالِدُّعَاءِ.

القَضِيَّةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿... وَادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾:

أي: وَحِينَ أَعْتَزِلَكُمْ سَأَتَابِعُ مَعَ غَيْرِكُمْ عِبَادَةَ رَبِّي، بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِهِ الْحَقِّ، وَمُقَاوَمَةِ كُلِّ بَاطِلٍ وَكُفْرٍ وَضَلَالٍ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ، عَسَىٰ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِي مُسْتَجِيبُونَ مِنَ الَّذِينَ أَدْعُوهُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ لَا أَكُونَ خَائِبًا فِي دَعْوَتِي.



(٥) مَرَحَلَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ مَرَاجِلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٦ مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَىٰ أَنَّهُ اتَّخَذَ أَصْنَامًا ۖ يَا أَبَتِ إِنَّكَ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ۖ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۖ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِكِ ۖ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَارِعًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَارِزَةً ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُ عَنِّي بِرَبِّي ۖ مِمَّا تَشْرِكُونَ ۖ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَحَاجَّجَهُ قَوْمُهُ ۖ قَالَ أَتَعْجَبُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ وَكَفَىٰ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ

الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَدُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنَيبَتُهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

تمهيد:

في هذه المرحلة الدعوية، اشتد إبراهيم عليه السلام على أبيه، في استنكاره لما يعبد من دون الله، بعد أن كان قد تلطف به في المرحلة السابقة التي جاء بيانها في سورة (مريم/ ٤٤ نزول).

وفي هذه المرحلة الدعوية تدرج إبراهيم عليه السلام مع قومه في إسقاط ربوبية أي كوكب أو نجم في السماء، وفي إسقاط إلهيته، إذ كان قومه يتوهمون أن بعض الكواكب والنجوم لها تأثير ربوبية في أحداث الأرض، فيتخذون لها أصناماً على هيات يتخيلونها لها، ويعبدونها من دون الله، وكان من أولادهم: «إله القمر نارا» وزوجته «نجال».

تدبر هذا النص:

قول الله عز وجل:

﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ اتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾:

﴿ءازر﴾: يدل ظاهر الآية على أن اسم أبي إبراهيم عليه السلام لفظ

«آزر» وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَجَاءَ فِي كُتُبِ
الْإِسْرَائِيلِيِّينَ أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ «تَارَحَ».

وَأَقْرَبُ اخْتِمَالَاتِ الْجَمْعِ أَنْ أَصْلَ اسْمِهِ: «تَارَحَ»، وَلُقِّبَ بَعْدَ ذَلِكَ
بِلَفْظِ: «آازَر». وَلَمَّا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَ فِي هَذَا النَّصِّ،
كَانَ اللَّفْظُ الْمَشْهُورُ بِهِ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ هُوَ لَفْظُ: «آازَر»، فَاخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
ذِكْرَهُ بِذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْفَهْمَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ بِضَمِّ رَاءِ «آازَر» عَلَى أَنَّهُ
مُنَادَى مُفْرَدٌ عَلِمَ.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي: ﴿اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾؟! اسْتِفْهَامٌ إِنكَارِيٌّ فِيهِ شِدَّةٌ،
لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي بَدَايَةِ دَعْوَتِهِ لِأَبِيهِ، بَلْ سَبَقَتْهُ دَعْوَةُ مُشْبَعَةَ بِالتَّلَطُّفِ
وَالْتَّحَبُّبِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ.

المعنى: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لآيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مَا
أَبَانَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ، إِذْ قَالَ لَهُ: أَتَضَنُّعُ أَصْنَاماً بِيَدِكَ، مُتَّخِذاً
إِيَّاهَا آلِهَةً تَعْبُدُهَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَجْعَلُونَهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي
إِلَهِيَّتِهِ؟!!!

إِنَّ هَذَا لِأَمْرٍ مُسْتَنْكَرٍ جَدًّا، وَمُنَافٍ لِمَوَازِينِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ مِنَ
الْخَلَلِ، الْمُجَافِيَةِ لِمَزَالِقِ الزَّلَلِ.

إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ الْمُشْرِكِينَ عُبَادَ الْأَوْثَانِ تَائِهِينَ فِي ضَلَالٍ وَضَيَاعٍ
مُبِينٍ وَاضِحٍ، لِكُلِّ ذِي فِكْرٍ صَحِيحٍ، وَنَظَرٍ سَلِيمٍ.

قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِىْ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾:

مَلَكُوتٌ: صِغَةُ مِنَ الْمَلِكِ، وَهِيَ مَصْدَرٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْظِيمِ
وَالْتَفْخِيمِ. وَالْمَلِكُ: يَسْتَلْزِمُ السُّلْطَانَ وَالْعِزَّةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّصَرُّفِ الْكَامِلِ،
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

المُوقِن: العالمُ بالشَّيءِ علماً لَا شَكَّ فِيهِ .

المعنى: وَكَذَلِكَ الْفَهْم الَّذِي فَهَّمْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ بِشَأْنِ بُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَأَنَّ عَابِدِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، كُنَّا نُرِي بِتَتَابُعٍ مُتَجَدِّدٍ إِبْرَاهِيمَ بِفِكْرِهِ مِلْكَنَا الْعَظِيمَ لِكُلِّ عَنَاصِرٍ وَأَجْزَاءِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَنُورِهِ سُلْطَانَنَا وَعِزَّتَنَا وَقُدْرَتَنَا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمَا، لِيَكُونَ ذَا حُجَجٍ بُرْهَانِيَّةٍ يُثْبِتُ بِهَا أَنَّهُ لَا رُبُوبِيَّةَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لَنَا، وَلَا إِلَهِيَّةَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لَنَا، وَلِيَكُونَ هُوَ فِي ذَاتِهِ مِنَ الْمُوقِنِينَ بِذَلِكَ، الْعَالِمِينَ عِلْماً لَا يُخَالِطُهُ وَلَا يَمَسُّهُ شَكٌّ.

تَدْرُجُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِبْطَالِ عِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ فِي دَعْوَتِهِ:

قول الله عَزَّ وَجَلَّ مُحَدَّثًا عَنْ أَسْلُوبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْأَفْلَاقَ﴾ (٧١)

أي: فَحِينَمَا أَظْلَمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا فِي السَّمَاءِ، مِنَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي يَعْتَقِدُ قَوْمُهُ أَنَّ لَهُ رُبُوبِيَّةً مَا، فَيَعْبُدُونَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَيَتَّخِذُونَ لَهُ صُورَةً مِنَ الْأَوْتَانِ يَعْبُدُونَهَا، قَالَ: هَذَا رَبِّي. عَلَى سَبِيلِ الطَّرْحِ الْاِحْتِمَالِيِّ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْاِعْتِقَادِ الْجَارِمِ، فَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّهُمَا، فَهُوَ رَبِّي الَّذِي تَجِبُ عَلَيَّ عِبَادَتُهُ.

فَلَمَّا أَفَلَ (أي: غَاب) قَالَ: لَا أُحِبُّ اتِّخَاذَ رَبِّ هُوَ مِنَ الْآفِلِينَ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ وَيَغِيْبُونَ وَلَا أُحِبُّ عِبَادَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

ذَكَرَ الْكَوَاكِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَمْعِ الْعُقَلَاءِ، مُرَاعَاةً لِعَقْدِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، بِأَنَّ إِلَهَتَهُمْ أَرْبَابٌ عَالِمَةٌ حَيَّةٌ، تَتَصَرَّفُ بِأَحْدَاثٍ مَا فِي الْإِنْسَانِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْدَاثِ فِي الْأَرْضِ.

قَدَّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ صِحَّةِ كَوْنِ شَيْءٍ مَا رَبًّا، أَنْ يَتَعَرَّضَ بَعْدَ ظُهُورِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ لِلْأُقُولِ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ فَلَا تَكُونُ لَهُ إِلَهِيَّةٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ الرَّبُّ الْحَقُّ بِعِبَادَتِهِ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي رِسَالَةِ رَبَّانِيَّةٍ صَحِيحَةً.

ونفهم من استِدلالِ إِبْرَاهِيمَ هَذَا: أَنَّهُ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: إِنَّ مَنْ يَحْضُرُ فَيَرَى وَيَغِيبُ فَلَا يَرَى، إِمَّا أَنْ يَكُونَ حُضُورُهُ وَغِيَابُهُ بِإِرَادَتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ.

فَإِنْ كَانَ بِإِرَادَتِهِ فَهُوَ إِنَّمَا يَحْضُرُ لِيُصَرِّفَ أَحْوَالَ مَرْبُوبِيهِ دَوِي الْحَاجَةِ الدَّائِمَةِ لِرُبُوبِيَّتِهِ، لَكِنَّهُ إِذَا غَابَ لَمْ يَكُنْ لِمَرْبُوبِيهِ حَظٌّ مِنْ تَصَارِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَيَفْسُدُ بِذَلِكَ نِظَامُ الْخَلْقِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الَّذِي يَغِيبُ بَعْدَ حُضُورِهِ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ رَبًّا، فَهُوَ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ إِلَهًا يُعْبَدُ.

وَإِنْ كَانَ حُضُورُهُ وَغِيَابُهُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ بِالْبَدَاهَةِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ نِظَامُ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ جَمِيعًا فِي السَّمَاءِ، إِنَّهَا تَظْهَرُ وَتَغِيبُ بِغَيْرِ إِرَادَاتِ لَهَا، فَهِيَ جَمِيعُهَا مَرْبُوبَةٌ لِرَبِّ وَاحِدٍ، يَخْضَعُ لِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ كُلِّ مَوْجُودٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

هَذَا الدَّلِيلُ نَفْسُهُ اسْتَحْدَمَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ انْتَقَلَ فِي تَدْرِجِهِ بَحْثًا عَنِ الرَّبِّ الْمُتَمَيِّنِ عَلَى الْوُجُودِ كُلِّهِ، إِلَى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ الْبَازِغِ، فَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ الْبَازِغَةِ، وَهَذَا مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِ:

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

البازغ: الَّذِي بَدَأَ طُلُوعُهُ.

أي: فَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ قَالَ مِثْلَمَا قَالَ حِينَمَا غَابَ الْكَوْكَبُ الَّذِي رَأَاهُ فِي لَيْلَةٍ سَابِقَةٍ، وَأَتَّبَعَ هَذَا بِقَوْلِهِ: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ أُوْمِنَ بِهَا، لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ الضَّائِعِينَ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِشَأْنِ الرَّبِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ أُوْمِنَ بِهِ، وَأَنْ أَعْبُدَهُ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.

وَحِينَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ أَعْلَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بِأَنَّ كُلَّ مَعْبُودَاتِهِمْ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ وَمِنْهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، لَا يَصْلُحُ شَيْءٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا.

وقال لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَجْعَلُونَ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

وقال لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)

أي: أَكْثَدُ لَكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ وَجْهِي فِي إِيْمَانِي وَفِي عِبَادَتِي لِلَّهِ، الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ كُلَّهَا وَفَطَرَ الْأَرْضَ، حَالَةً كَوْنِي مَائِلًا عَنْ كُلِّ انْحِرَافَاتِ الْمُشْرِكِينَ، إِلَى الْإِتِّزَامِ بِصِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ الْقَائِمِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَأَقُولُ لَكُمْ: مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

عندئذِ بَدَأَ الْمُجَادِلُونَ مِنْ قَوْمِهِ يُجَادِلُونَهُ وَيُحَاجُّونَهُ رَغْبَةً فِي إِبْطَاتِ صِحَّةٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شُرَكَ.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا أَتُحْجِّجُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي...﴾ (٨٠)

الْمُحَاجَّةُ: الْمَجَادَلَةُ، يُقَالُ لُغَةً: «حَاجَّهُ، يُحَاجُّهُ، مُحَاجَّةً، وَحِجَاجًا» أي: جَادَلُهُ.

أي: أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ الَّذِي تُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ بِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَقَدْ هَدَانِي بِالذَّلِيلِ الْبُرْهَانِي إِلَى أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ!؟.

فَلَجُّوْا إِلَى تَخْوِيفِهِ مِنْ آلِهَتِهِمْ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ ضُرًّا، فَقَالَ لَهُمْ:

﴿... وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠).

أي: وَمَهُمَا خَوَّفْتُمُونِي بِضُرٍّ يَأْتِينِي مِنْ آلِهَتِكُمْ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ؛ فَإِنِّي لَا أَخَافُ أَنْ يَنْزِلَ بِي ضُرٌّ أَوْ أَذَى مِنْ جِهَتِهَا.

إِنَّهُ لَا يَأْتِينِي ضُرٌّ أَوْ أَذَى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبِّي شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَمَشِيتُهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، وَقَدْ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرٌ.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أَفَلَا يُؤَثِّرُ فِيكُمْ هَذَا التَّذَكُّيرُ لَكُمْ بِالْحَقِّ، الْمَوْجُودِ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ عَنِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، فَيَذْفَعُكُمْ إِلَى نَبْذِ مَا أَنْتُمْ مُنْغَمِسُونَ فِيهِ مِنْ شُرْكَ، وَإِلَى الْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مُجَادَلَةٍ بِالْبَاطِلِ، وَيَحْرُضُكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخُدَّةِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا ضَرَّ فِي الْوُجُودِ وَلَا نَافِعَ إِلَّا هُوَ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ أَيْضًا بِاسْتِفْهَامٍ تَعَجُّبِيٍّ مِنْ تَخْوِيفِهِمْ لَهُ:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا...﴾ (٨١)!!؟.

أي: وَفِي آيَةٍ حَالَةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَخَافُ ضُرًّا أَوْ أَذَى يَنْزِلُ بِي مِنْ قِبَلِ أَرْبَابِ آلِهَةٍ جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ زُورًا وَكَذِبًا، وَهِيَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي رُبُوبِيَّةِ وَلَا إِلَهِيَّةِ، وَأَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ رَبِّكُمْ الَّذِي جَعَلْتُمْ لَهُ

شُرَكَاءَ، دُونَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ تَحْتَجُّونَ بِهَا عِنْدَهُ، حِينَمَا يُحَاسِبُكُمْ يَوْمَ
الَّذِينَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ؟؟!.

وَبَعْدَ هَذَا الاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ مِنْ أَمْرِهِمْ، قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾:

أَي: فَأَخْبِرُونِي يَا قَوْمُ: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَنَا أَمْ أَنْتُمْ؛ أَكْثَرُ اسْتِحْقَاقًا
لِلظَّفَرِ بِالْأَمْنِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟؟. أَوْ إِنْ كُنْتُمْ حَرِيصِينَ عَلَى أَنْ تَعْلَمُوا
الْحَقَّ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنْ بَاطِلِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ مُنْعَمُونَ فِيهِ.

وَأَخِيرًا أَبَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنَّ الَّذِينَ لَهُمُ الْأَمْنُ بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّهِمْ؛
هُمُ الْمَهْتَدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ، فَقَالَ لَهُمُ:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

أَي: إِنَّ الْأَحَقَّ بِالْأَمْنِ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا بِاللَّهِ
رَبِّهِمْ ذَاتًا وَصِفَاتٍ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، كَالشُّرْكَ
بِاللَّهِ، إِذِ الشُّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، أَوْ مِنْ دَرَكَةِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ كَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ رَفِيعُوا الْمَكَانَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، هُمُ الَّذِينَ يَحْصُلُ لَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَمْنُ مِنْ مَخَافِ عَذَابِ النَّارِ، بِتَسْلِيمِ اللَّهِ لَهُمْ، وَحِفْظِهِمْ
وَرِعَايَتِهِمْ وَالْعَفْوِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَزَحْزَحَتِهِمْ عَنِ النَّارِ، وَإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ، وَهُمْ مُهْتَدُونَ مَحْكُومٌ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ
الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأَتْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقُوَّةِ الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ،
وَبَارْتِفَاعِ دَرَجَاتِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ مُتَمَيِّزًا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ، وَإِمَامًا لِلنَّاسِ فِي الْفَضَائِلِ
الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ
لِعِلْمِهِ بِهِ، وَحِكْمَتِهِ فِي وَضْعِ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ .

وأبان الله عَزَّ وَجَلَّ مَا وَهَبَهُ مِنْ ذُرِّيَّةٍ صَالِحَةٍ مُّحْسِنَةٍ، هُمْ مِنَ الرُّسُلِ الصَّالِحِينَ الْمَتَمِّيزِينَ، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ .

(٦) مَرَحَلَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَلِكَ قَوْمِهِ الطَّاغِيَةِ نُمْرُودَ:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُعْبَدُ وَأُمِّيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿١٥٨﴾﴾ :

أي: أَلَمْ تَرَ نَاطِرًا بِفِكْرِكَ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْكَافِرِ الْجَبَّارِ الْمَرَاوِغِ الْمَغَالِطِ.

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾: قيل في نَسَبِهِ: هو نِمْرُودُ بْنُ كُوشَ، وَإِنَّ جَدَّهُ الْأَعْلَى حَامَ بْنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). وقيل: هو صَيَّادُ جَبَّارٌ، وَمَلِكٌ قَدِيرٌ، وهو مُؤَسَّسُ الْأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ فِي «بَابِلَ» و«أَرَك» و«أَكْد» و«كَلْنَةَ» فِي أَرْضِ «شِنْعَار».

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ عَلَى مَلِكٍ قَوْمِهِ «نَمْرُودَ» الْجَبَّارِ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّهِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَى نَبَذِ الْوَثْنِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِيرَاثُ مِلَّةِ قَوْمِهِ، فَرَفَضَ الِاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتَّخَذَ وَسِيلَةَ الْمَغَالَطَةِ حِينَ قَالَ «نَمْرُودُ» لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أَي: هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ نَفْسًا مِنْ مَادَّةٍ لَا حَيَاةَ لَهَا، فَيَنْفُخُ فِيهَا الرُّوحَ، فَتَكُونُ بِخَلْقِ اللَّهِ نَفْسًا ذَاتَ حَيَاةٍ، بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِهِمْ، يَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ الَّتِي كَانُوا بِهَا أَحْيَاءَ.

فَاتَّخَذَ «نَمْرُودُ» أُسْلُوبَ الْمَغَالَطَةِ خَارِجًا عَنْ أَضْلٍ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ فِي بَيَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ نَمْرُودُ:

﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: أَي: أَخْضِرُ إِنْسَانًا حَيًّا، فَأَضْرِبُ رَقَبَتَهُ بِالسَّيْفِ فَأُمِيتُهُ، وَأَخْضِرُ إِنْسَانًا مَحْكُومًا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ لِجُرْمِ ارْتِكَابِهِ، فَأَعْفُو عَنْهُ وَأُطْلِقُ سَرَاحَهُ، فَأَكُونُ بِهَذَا قَدْ أَحْيَيْتُهُ.

فَأَذْرَكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يُرَاوِغُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، لِيُقْنِعَ مَنْ حَوْلَهُ فِي مَجْلِسِهِ الْمَلَكِيِّ، أَنَّهُ انْتَصَرَ عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَلَمْ يَسَأْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يَكْشِفَ حِيلَةَ «نَمْرُودَ» فِي مُرَاوِغَتِهِ، حَذَرَ أَنْ يُتَابَعَ «نَمْرُودُ» التَّهَرُّبُ مِنْ مَسَالِكِ فِكْرِيَّةٍ فِي قَضِيَّةِ تَحْدِيدِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، فَانْتَقَلَ إِلَى ظَاهِرَةٍ هِيَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ «نَمْرُودُ» أَنْ يُرَاوِغَ فِيهَا.

فَقَالَ لَهُ: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾:

أَي: فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ مِنْ نِظَامِهِ فِي الْخَلْقِ أَنْ يَأْتِيَ بِالسَّمْسِ صَبَاحًا مِنَ الْمَشْرِقِ، فَإِنْ كُنْتَ يَا «نَمْرُودُ» رَبًّا قَادِرًا عَلَى أَنْ

تَتَصَرَّفُ فِي الْكَوْنِ تَصَرَّفَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاجْعَلِ الشَّمْسَ تَشْرِقُ صَبَاحًا مِنَ الْمَغْرِبِ بَدَلُ أَنْ تَبْزُغَ صَبَاحًا مِنَ الْمَشْرِقِ.

• ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: أي: دُهِشَ واختَارَ، وانْقَطَعَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْحَوَارِ، وَظَهَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَلَبَهُ فِي الْمَنَاطَرَةِ.

• ﴿... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨): أي: والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، لِلْخَلَاصِ مِنَ الْمَازِقِ الَّتِي تُحِيطُ بِهِمْ، إِذْ يُقَاوِمُونَ دِينَهُ الْحَقَّ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَازِقٌ فِكْرِيَّةً، أَمْ مَازِقٌ مَادِّيَّةً.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ «نِمْرُودُ» قَدْ حَقَّقَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَوَضَعَ فِي نَفْسِهِ تَذْيِيرَ خُطَّةِ التَّخْلُصِ مِنْهُ بِالْقَتْلِ، كَشَأْنِ كُلِّ كَافِرٍ طَائِعِيَّةٍ جَبَّارٍ.

وَدَلَّتْ عِبَارَةُ: ﴿أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمُلْكِ فَيُؤْمِنَ، لَا أَنْ يَكُونَ كَفَّارًا جُحُودًا عَنِيدًا. وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْمُلْكَ عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِيُغْضَ عِبَادِهِ.



الفصل الخامس

حِرْصُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى كَمَالِ الْيَقِينِ
لِيُطْمَئِنَّ قَلْبُهُ فِي قَضِيَّتِهِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢١٠):

• ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: أي: أَمْلَهُنَّ إِلَيْكَ، وَقَرَّبَهُنَّ إِلَيْكَ، وَيُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ مَا يَلِي:

ثُمَّ ادْبَحْنَهُنَّ وَجَزَّئْنَهُنَّ أَجْزَاءً صُغْرَى، وَاخْلِطْ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ خَلْطًا كَامِلًا، حَتَّى تَكُونَ بِمِثَابَةِ عَجِينَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ قَسِّمْ هَذِهِ الْعَجِينَةَ الْمُخْتَلِطَةَ إِلَى أَجْزَاءَ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ حَوْلِ الْوَادِي الَّذِي أَنْتَ فِيهِ جُزْءًا، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى مَكَانٍ مَا مِنْ بَطْنٍ الْوَادِي، ثُمَّ ادْعُ الطُّيُورَ الَّتِي دَبَّحْتَهَا وَجَزَّأْتَهَا، وَخَلْطْتَ أَجْزَاءَهَا وَجَعَلْتَهَا بِمِثَابَةِ عَجِينَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا، كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا يَأْتِيكَ بِكَامِلٍ وَصْفِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ تَذْبَحَهُ وَتُجَزِّئَهُ، وَتَخْلِطَهُ مَعَ أَجْزَاءِ الطُّيُورِ الْأُخْرَى.

وَيُظْهَرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَجْرَى التَّجَرِبَةَ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ طَمَئِنَّةً تَامَةً.

دَلَّتِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ لَهُ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الدُّنْيَا: مَرْتَبَةُ عِلْمِ الْيَقِينِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَكْفِي لِتَحَقُّقِ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ الْمَقْبُولِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَعِلْمُ الْيَقِينِ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ، أَوِ الْخَبَرِ الصَّادِقِ الْقَطْعِيِّ.

الْمَرْتَبَةُ الْوُسْطَى: مَرْتَبَةُ عَيْنِ الْيَقِينِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَقُومُ عَلَى الشُّهُودِ وَالْمُعَايِنَةِ، بَعْدَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ، أَوِ الْخَبَرِ الصَّادِقِ الْقَطْعِيِّ، فَاشْتَرَكَتْ الْمُشَاهَدَةُ بِالْعَيْنِ، مَعَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الْكَافِي لِلْعِلْمِ، أَوْ مَعَ الْخَبَرِ الصَّادِقِ الْقَطْعِيِّ، أَوْ مَعَهُمَا.

وَالْعِلْمُ الْقَائِمُ عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ أَشَدُّ قُوَّةً وَثَبَاتًا؛ مِنْ الْعِلْمِ الْقَائِمِ عَلَى مُجَرَّدِ الْيَقِينِ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ أَوِ الْخَبَرِ الصَّادِقِ الْقَطْعِيِّ.

الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا: مَرْتَبَةُ حَقِّ الْيَقِينِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَقُومُ عَلَى اشْتِرَاكِ الْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ؛ وَالْإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ ذِي الْأَثَرِ الْمَادِّيِّ فِي الْجَسَدِ.

فَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالنَّارِ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الدِّينِ، تَصْدِيقًا
لِلْأَخْبَارِ الدِّينِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّادِقَةِ؛ لَدَيْهِمْ عِلْمُ الْيَقِينِ.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَشَاهِدُوهَا بِأَعْيُنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لَدَيْهِمْ عَيْنُ
الْيَقِينِ.

وَالَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا وَيُعَذَّبُونَ بِعَذَابِهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَيَذُوقُونَ آلامَ عَذَابِهَا؛
لَدَيْهِمْ حَقُّ الْيَقِينِ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤْمِنًا إِيْمَانًا رَاسِخًا بِأَنَّ اللَّهَ يُحْيِي
الْمَوْتَى، وَكَانَ إِيْمَانُهُ مُسْتَنِدًا إِلَى مَرْتَبَةِ: «عِلْمُ الْيَقِينِ» تَصْدِيقًا لِخَبَرِ الْوَحْيِ.
وَأَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ إِيْمَانُهُ مُسْتَنِدًا إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، فَيُشَاهِدَ
بِعَيْنِهِ حَدَثًا وَاقِعِيًّا يَكُونُ فِيهِ إِحْيَاءٌ لِلْمَوْتَى.

فَقَالَ لِرَبِّهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وكان طَلَبُهُ هَذَا لَيْسَ مِنْ
أَجْلِ أَنْ يُؤْمِنَ، إِذْ كَانَ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيْمَانِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، بِالِاسْتِنَادِ إِلَى
عِلْمِ الْيَقِينِ الَّذِي لَدَيْهِ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ مَرْتَبَةُ عَيْنِ الْيَقِينِ.

فَسَأَلَهُ رَبَّهُ وَهُوَ الْخَبِيرُ بِمَا فِي نَفْسِهِ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟﴾: أي: أَلَمْ تَعْلَمْ
عِلْمًا كَافِيًا لِلْإِيْمَانِ، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِأَنِّي أُحْيِي الْمَوْتَى؟، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ
لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾: أي: بَلَىٰ لَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا مِنْ مَرْتَبَةِ «عِلْمِ الْيَقِينِ»، وَأَمَنْتُ
إِيْمَانًا عَلَىٰ مِقْدَارِ «عِلْمِ الْيَقِينِ» الَّذِي لَدَيَّ، وَأُرِيدُ أَنْ أَرْتَقِيَ إِلَىٰ مَرْتَبَةِ «عَيْنِ
الْيَقِينِ» لِيَزِدَادَ إِيْمَانِي، وَيَصِلَ قَلْبِي إِلَى الطَّمَأْنِينَةِ، وَهِيَ السُّكُونُ الْمُرْتَحِي
الَّذِي لَا يُصَاحِبُهُ تَوَقُّرٌ، ضِمْنَ قَاعِدَةِ زِيَادَةِ الْإِيْمَانِ وَنَقْصِهِ، وَلَوْ كَانَ إِيْمَانُ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فاجابَ الله طَلَبَهُ: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾ أي: مُخْتَلِفَةً الْأَنْوَاعِ أَوْ الْأَشْكَالِ
﴿مَنْ أَلْطَمَ فُصْرَهُنَّ إِلَيْكَ﴾ ثُمَّ ادْبَحَهُنَّ وَجَزَّئَهُنَّ وَاخْلَطَ هَلْزِهِ الْأَجْزَاءَ خَلْطًا
كَامِلًا ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

وَأَجْرِي التَّجَرِبَةَ، وَدَعَا الطُّيُورَ الَّتِي ذَبَحَهَا، فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ مُسْرِعَةً تَسْعَى.

﴿... وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾﴾: أي: واعلم أن الله قويٌّ غَالِبٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ، وَحَكِيمٌ فِي اخْتِيَارَاتِهِ، لَا يَخْتَارُ إِلَّا مَا هُوَ حَكِيمٌ.



الفصل السادس

**عَزَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُحْطَمَ أَصْنَامَ قَوْمِهِ فِي مَكَانٍ جَامِعٍ لَهَا
ثُمَّ تَنْفِيذُهُ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ**

كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْذُ مَرَاحِلِ دَعْوَتِهِ الْوَسْطَى؛ قَدْ عَزَمَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُحْطَمَ أَصْنَامَ قَوْمِهِ فِي مَكَانٍ جَامِعٍ لَهَا، وَصَارَ مَعَ مُتَابَعَةِ دَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ يَتَرَقَّبُ الْفُرْصَةَ الْمُوَاتِيَةَ، الَّتِي يَكُونُ فِيهَا قَوْمُهُ خَارِجَ مَدِينَتِهِمُ الَّتِي فِيهَا بَيْتُ أَصْنَامِهِمُ الْأَكْبَرُ.

دَلَّ عَلَى هَذَا الْعَزْمِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً لِمَا دَارَ فِي نَفْسِهِ مِنْ فِكْرَةِ عَزْمِ عَلَى تَنْفِيذِهَا، حِينَمَا يَجِدُ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ، بَعْدَ حَوَارٍ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءُ/ ٢١ مِصْحَف/ ٧٣ نَزُول):

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾:

الكيد: التَّدْبِيرُ الَّذِي فِيهِ مَكْرُوهٌ لِمَنْ دُبِّرَ ضِدَّهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْحَرْبِ، وَعَلَى إِغْدَادِ وَسَائِلِهَا، وَعَلَى الْحِيلَةِ.

وَكَانَ مَا دَبَّرَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، تَحْطِيمَ أَصْنَامِهِمْ فِي الْمَكَانِ الْكَبِيرِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِهَا.

﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾: أي: في اليوم الذي تكونون فيه بعيدين عن مدينتكم، وخارجين مُدِيرِينَ مُبْتَعِدِينَ عَنْ أَسْوَارِهَا، أَوْ عَمَّا حَوْلَهَا مِنْ مَزَارِعَ، إِذْ تَكُونُ مَدِينَتُكُمْ خَالِيَةً مِمَّنْ يُرَاقِبُ مَا يَجْرِي فِي بَيْتِ أَصْنَامِكُمْ.

وَكَانَ لَهُمْ يَوْمَ عِيدٍ يَخْرُجُونَ فِيهِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ إِلَى مَكَانٍ وَاسِعٍ جَامِعٍ، بَعِيدٍ عَنْ حُدُودِهَا، يَفْعَلُونَ فِيهِ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ مِنْ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَزِينَةٍ وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَسَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، الَّتِي يَكُونُ بَعْدَهَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ أَعْيَادِهِمُ الْكُبْرَى، الَّتِي يَخْرُجُ فِيهَا كُلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِلْمُشَارَكَةِ فِي هَذَا الْعِيدِ.

فَأَقَامَ حِوَاراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، وَنَظَرَ بَعْدَهُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي سَقِيمٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْرَجَ مَعَكُمْ إِلَى عِيدِكُمْ وَالْمُشَارَكَةِ فِيهِ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧ مصحف/

٥٦ نزول):

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكُمْ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا تَلْكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾:

أي: ضَعُفَ فِي ذَاكَرَتِكَ أَتْيُهَا الْمَتَلَقِّي جِهَادَ إِبْرَاهِيمَ الدَّعْوِيَّ، حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مُسْتَنْكِراً وَمُتَنَقِداً بِشِدَّةِ عِبَادَتِهِمْ أَوْثَاناً هُمْ يَنْجُونَهَا أَوْ يَضْنَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَهِيَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَرَى وَلَا تُجِيبُ وَلَا تَعْقِلُ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

• ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: مَا الَّذِي تَعْبُدُونَهُ، وَهَذَا الِاسْتِفْهَامُ إِنكَارِيٌّ تَثْرِييٌّ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ الْعَجَبِ الشَّدِيدِ مِنْ سَفَاهَتِهِمْ وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ.

• ﴿أَفَبِكُمْ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾!؟:

الإفك: الإفك الكذب قولاً كان أم عملاً، فمن صنع صنماً وجعله إلهاً يعبدُهُ، فقد عملَ كذباً، لأنه جعلَ ما ليسَ له من الربوبية شيئاً، ولا من الإلهية شيئاً، إلهاً يُعبد من دون الله.

فالمعنى: اتَّخِذُوا أَصْنَاماً وَتَجْعَلُونَهَا إِلَهَةً تُعْبَدُ إِفْكَاً وَكُذْباً عَلَى اللَّهِ، الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ فِي كُلِّ الْوُجُودِ الرَّبُّوبِيَّةِ، فَلَهُ وَحْدَهُ الْإِلَهِيَّةُ، وَتُرِيدُونَ بَعَادَتِكُمْ لَهَا أَنْ تَجْلِبَ لَكُمْ نَفْعاً، أَوْ تَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرّاً.

• ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧):

أي: فَمَا ظَنُّكُمْ الَّذِي تَظُنُّونَهُ رَبِّكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَمِيعاً؟؟. أَتَظُنُّونَ أَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَكُمْ عِبَادَتَكُمْ لغيرِهِ، وَأَنْ تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكاً مِمَّا خَلَقَ!!.

أَتَظُنُّونَ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا تَصْنَعُونَ، وَبِمَا فِي نَفُوسِكُمْ تُضْمِرُونَ؟؟!.

أَتَظُنُّونَ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ الْإِرَادِيَّةَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَلَا يُحَاسِبُكُمْ وَلَا يُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ!!.

اسْتَعْمَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّغْيِيرَ بِالظَّنِّ هُنَا، لِأَنَّ قَوْمَهُ لَا يَمْلِكُونَ ظَنًّا مُؤَيِّداً بِدَلِيلٍ مَا، يُخَالِفُ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَنَبَذَ الشُّرْكَ، وَالتَّزَامَ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

أَمَّا عِبَادَتُهُمْ لِإِلَهَتِهِمْ فَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى عَقَائِدَ خُرَافِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ، لَا يُرَيْنُهَا ظَنٌّ مَقْبُولٌ فِي أَذْهَانِ الْعُقَلَاءِ، بَلْ هِيَ أَوْهَامٌ صَارَتْ عَقَائِدَ بِالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى.

وَبَعْدَ أَنْ جَاهَدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ جِهَاداً دَعْوِيّاً فِيهِ شِدَّةٌ وَشَيْءٌ مِنَ الْعُنْفِ التَّلْوِيمِيِّ؛ تَحَرَّكَتْ فِيهِ عَزِيمَتُهُ أَنْ يُحَطِّمَ أَصْنَامَهُمْ، وَقَدْ سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ الَّتِي يَتَرَقَّبُهَا.

• ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾:

حَرَكَهَ ذَكِيَّةٌ بَارِعَةٌ، أَوْهَمَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ؛، أَنَّهُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي النَّظَرِ إِلَى حَرَكَاتِ النُّجُومِ، دُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنِّي اسْتَظْلِعُ حَرَكَاتِهَا، وَأَتَّبِعَ هَذِهِ الْحَرَكَهَ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾: أَي: مَرِيضٌ، وَمَرَضِي يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَخْرَجَ مَعَكُمْ فِي يَوْمِ عِيدِكُمْ.

فَتَوَهَّمُوا أَنَّهُ اسْتَظْلَعَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى النُّجُومِ أَنَّهُ سَيَكُونُ غَدًا مَرِيضًا سَقِيمًا، يَمْنَعُهُ سَقَمُهُ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ لِيَلْهُو وَيَلْعَبَ وَيُشَارِكَ قَوْمَهُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إِحْدَى الْكَذِبَاتِ الثَّلَاثِ اللَّائِي اخْتَسَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١). مَعَ أَنَّ ثَنَيْنِ مِنْهَا كَانَتَا فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَهَمَا قَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، وَقَوْلُهُ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»، أَمَّا الثَّالِثَةُ فَقَوْلُهُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ حِينَ أَرَادَ امْرَأَتَهُ «سَارَةَ» هِيَ أُخْتِي، يَعْنِي أُخْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، إِذْ مِنْ عَادَةِ هَذَا الْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ أَزْوَاجَ مَنْ تُعْجِبُهُ مِنَ النِّسَاءِ.

فَقَبِلَتْ عَشِيرَتُهُ عُذْرَهُ، وَخَرَجُوا مَعَ النَّاسِ إِلَى عِيدِهِمْ، وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَدِينَةِ لَا يُرَاقِبُهُ فِيهَا أَحَدٌ.

• ﴿... فَنَوَلُوا عَنْهُ مُدِيرِينَ ﴿٩٠﴾﴾:

أَي: فَخَرَجَ أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ نَائِينَ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ هُوَ فِيهِ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ، جَاعِلِينَ وُجُوهَهُمْ إِلَى جِهَةِ مَكَانِ الْعِيدِ، وَجَاعِلِينَ أَذْبَارَهُمْ، أَي ظُهُورَهُمْ؛ إِلَى جِهَةِ الْمَدِينَةِ.

(١) انظر حديث الشفاعة في الصفحات (٤١٤ - ٤١٦)، من المجلد (٨)، الملحق الثاني «حَوْلَ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الدِّينِ وَأَنْوَاعِهَا».

فَلَمَّا فَرَغْتَ الْمَدِينَةَ مِنْ مُرَاقِبِي بَيْتِ أَضْنَامٍ قَوْمِهِ تَوَجَّهَ بِعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ،
لِتَنْفِيزِ تَحْطِيمِ الْأَضْنَامِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَرَاغَ إِلَٰهَهُمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطْفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
صَرْيَا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾: ﴿

﴿فَرَاغَ﴾: أي: فَأَسْرَعَ بِخَفَّةٍ وَنَشَاطٍ يَسِيرٌ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَحْذَرُ أَنْ
يَرَاهُ أَحَدٌ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْأَضْنَامِ.

فَقَدَّمَ لِلأَضْنَامِ طَعَامًا، وَرَبَّمَا وَجَدَهُ عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟
خَاطَبَ الْأَضْنَامَ بِخَطَابِ الْجَمَاعَةِ الذُّكُورِ، إِذْ هِيَ عَلَى صُورِ ذُكُورٍ، وَيَعْتَقِدُ
عِبَادُهَا أَنَّهَا تُدْرِكُ عِبَادَةَ عِبَادِهَا لَهَا، وَتَعْلَمُ نِيَّاتِهِمْ.

وَحَادَثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَضْنَامَ فَلَمْ تُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا
تَنْطَفُونَ؟

إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَسْئَلَتِهِ لِلأَضْنَامِ يَسْخَرُ مِنْهَا، وَيَهْزَأُ بِهَا، مُخْتَفِرًا لَهَا،
إِذْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا حِجَارَةٌ أَوْ أَخْشَابٌ لَا حَيَاةَ لَهَا فَهِيَ لَا تَتَكَلَّمُ، وَإِنَّمَا
نَحْتَهَا الشُّفَهَاءُ عَلَى صُورِ أَحْيَاءٍ، وَصَارُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَهُنَا ثَارَ غَضَبُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَزَمَ عَلَى
تَحْطِيمِهَا، بِأَدَاةٍ أَوْ بَغِيرِ أَدَاةٍ:

• ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْيَا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾: ﴿

أي: فَأَسْرَعَ بِخَفَّةٍ وَحِدَّةٍ وَنَشَاطٍ يَضْرِبُهَا ضَرْبًا قَوِيًّا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، فَهِيَ
الْيَدُ الْأَقْوَى عِنْدَهُ، وَهِيَ الْيَدُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا فِي الْأُمُورِ الشَّرِيفَةِ، فَكَسَّرَهَا
إِلَّا وَثْنَا كَبِيرًا فِيهَا، فَجَعَلَهَا جُذَاذًا، أي: قِطْعًا مُكَسَّرَةً.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨):

الجُودُ: المَقْطَعُ المُكْسَرُ.

أي: فَجَعَلَ الْأَصْنَامَ قِطْعًا مُكْسَرَةً بِاسْتِثْنَاءِ أَكْبَرِهَا، لَمْ يُكْسَرْهُ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ فَيَسْأَلُوهُ: مَنْ كَسَرَ سَائِرَ الْأَصْنَامِ؟، فَلَا يَجِدُوا عِنْدَهُ جَوَابًا، فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، بِدَلِيلِ عَمَلِيٍّ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهَا تَجْلُبُ نَفْعًا أَوْ تَدْفَعُ ضَرًّا؛ أَنْ يُعْلِمَهُمْ بِمَنْ كَسَرَ وَحَطَّمَ سَائِرَ الْأَصْنَامِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهَا، وَيَحْمِيَهَا مِنَ التَّحْطِيمِ وَالتَّكْسِيرِ.

وَحِينَ عَادَ قَوْمُهُ مِنْ عِيدِهِمْ وَجَدُوا أَصْنَامَهُمْ فِي الْبَيْتِ الْكَبِيرِ لَهَا جُودًا، بِاسْتِثْنَاءِ أَكْبَرِهَا حَجْمًا، أَوْ أَكْبَرِهَا فِي الْإِلَهِيَّةِ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ كَسَرَ وَحَطَّمَ إِلَهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَتَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَتْنَا؟.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ) أَيْضًا:

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾:

أي: فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَكِبَرَاؤُهُمْ بَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَصْنَامَهُمْ مُحَطَّمَةً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ فَعَلَ هَذَا التَّحْطِيمَ بِالْهَتْنَا؟، إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ المتجاوزين حُدُودَ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ، فَأَكْثَرُوا قَوْلَهُمْ ب: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةَ الْاسْمِيَّةَ - وَاللَّامِ الْمَرْحَلَةَ».

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ، وَأَنَّهَا إِلَهَةٌ بَاطِلَةٌ، يُقَالُ لَهُ:

إِبْرَاهِيمُ.

قَالَ قَادَةُ قَوْمِهِ: فَأَتُوا بِهِ، وَأَخْضَرُوهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ الَّذِينَ تَجْمَعُونَهُمْ لِهَذَا الْغَرْصِ، لِيَشْهَدُوا مُسَاءَتَنَا لَهُ، وَمَا نَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ، إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَطَمَ أَصْنَامَهُمْ.

وهنا يأتي موقع قول الله عز وجل في سورة (الصفافات/٣٧ مصحف/٥٦ نزول):

﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ﴾ (١٤)

أي: فَأَقْبِلَ إِلَيْهِ الْمَأْمُورُونَ بِإِخْضَارِهِ يُسْرِعُونَ، يُقَالُ لُغَةً: «زَفَّ، يَزِفُّ، زَفًّا، وَزَفُوفًا، وَزَفِيفًا» أي: أَسْرَعَ.

فَأَخْضَرُوهُ لِيُسَائِلُوهُ بِحُضُورِ جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ؛ حَكَمُوا عَلَيْهِ بِمَا يَشَاءُونَ مِنْ حُكْمٍ شَدِيدٍ الْقِسْوَةِ.

وهنا يأتي موقع قول الله عز وجل في سورة (الأنبياء/٢١ مصحف/٧٣ نزول):

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِنَاهِتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

أي: قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِلِسَانٍ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ مِنْ كِبَرَائِهِمْ وَقَادَتِهِمْ: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا التَّحْطِيمَ وَالتَّكْسِيرَ بِلَاهِتِنَا مِنَ الْأَصْنَامِ يَا إِبْرَاهِيمُ؟؟.

قَالَ مُسْتَهْزِئًا بِهِمْ وَمُسْتَحْفًا بِعُقُولِهِمْ: لَا، بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا الَّذِي لَمْ يَمَسَّهُ تَكْسِيرٌ وَلَا تَحْطِيمٌ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

لَقَدْ هَزَّ عُقُولَهُمْ وَأَجْهَرَةَ الْإِذْرَاكِ فِيهِمْ هَزًّا عَنِيفًا بِهَذِهِ الْإِجَابَةِ، وَلَا سِيَّما قَوْلُهُ لَهُمْ: فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

فَرَجِعُوا إِلَىٰ عُنُقِ أَنْفُسِهِمْ يُحَاسِبُونَهَا، إِذْ اكْتَشَفُوا أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا تُجِيبُ عَلَىٰ أَسْئَلَةٍ عَابِدِيهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ أَنْفُسِهَا التَّكْسِيرَ وَالتَّخْطِيمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَوْ قَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي مُحَاكَمَةِ دَاخِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ بِاتِّخَاذِ آلِهَةٍ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْطِقُ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِيَ أَنْفُسَهَا، مِمَّنْ يُرِيدُ تَكْسِيرَهَا وَتَخْطِيمَهَا.

لَكِنَّهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْمُحَاكَمَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِأَنْفُسِهِمْ؛ رَجَعَتْ عَوَامِلُ كِبَرِهِمْ، وَانْتِصَارِهِمْ لِسَوَابِقِ اخْتِيَارَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ؛ تَنْفُخُ فِي صُدُورِهِمْ، فَانْقَلَبَتْ مَفَاهِيمُهُمُ الَّتِي قَوْمُهَا التَّنْبِيهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، فَانْكَسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول) أَيْضاً:

﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

أُظْلِمَتْ عِبَارَةٌ: ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ﴾ عَلَىٰ سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَىٰ انْقِلَابِ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُقَوْمَهَا وَيَجْعَلَهَا سَوِيَّةً مُعْتَدِلَةً غَيْرَ مُنْكَسَةٍ؛ تَنْبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا.

التَّنْكِيسُ: قَلْبُ الشَّيْءِ، وَجَعْلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، أَوْ جَعْلُهُ يَمِيلُ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَىٰ أَسْفَلِهِ.

نَكْسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ: أَي: قُلِبُوا فَجُعِلَتْ رُؤُوسُهُمْ فِي مَوَاضِعِ أَقْدَامِهِمْ، وَجُعِلَتْ أَقْدَامُهُمْ غَايَةَ ارْتِفَاعِ أَجْسَادِهِمْ إِلَىٰ الْأَعْلَى، عَلَىٰ عَكْسِ الْوَضْعِ الطَّبِيعِيِّ لِلْأَجْسَادِ.

شُبَّهَ انْقِلَابُ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَىٰ الْبَاطِلِ بِحَالَةِ تَنْكِيسِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، وَاسْتَعِيرَ هَذَا التَّنْكِيسُ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ انْقِلَابِ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَىٰ الْبَاطِلِ.

وَدَلَّ الْعُظْفُ بِحَرْفِ الْعُظْفِ «ثُمَّ» عَلَىٰ أَنَّهُمْ بَقُوا مُدَّةً عَلَىٰ حَالَةِ

الرُّشْدَ الَّتِي أَوْصَلَهُمْ إِلَيْهَا التَّيْبَةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ، لَكِنَّهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ رَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ شَرْكِيٍّ وَثَنِيٍّ.

وَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ (١٥):
أي: فَكَيْفَ تُطَالِبُنَا أَنْ نَسْأَلَهُمْ؟!، أَتَسْخَرُ مِنَّا وَتَسْتَهْزِئُ بِنَا وَنَحْنُ كُبرَاءُ قَوْمِكَ؟؟.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَات/ ٣٧ مٌصْحَف/ ٥٦ نزول) فِي حِكَايَةِ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦):

أي: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ مُجَاهِدًا جِهَادًا دَعَوِيًّا بِشَجَاعَةٍ تَامَّةٍ، وَبِأَسْلُوبِ الْاسْتِفْهَامِ الْاسْتِنكَارِيِّ التَّلْوِيْمِيِّ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَةٌ لِعُقُولِهِمْ: اتَّعْبُدُونَ حِجَارَةً وَصُخُورًا أَنْتُمْ تَنْحِتُونَهَا وَتُصَوِّرُونَهَا عَلَى صُورِ أَحْيَاءٍ، وَتَجْعَلُونَهَا شَرِيكَةً لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، مَعَ أَنَّهُ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ مَا تَعْمَلُونَ، وَمِمَّا تَعْمَلُونَ أَضْنَامُكُمْ الَّتِي تَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ لَا تَعْمَلُ إِلَّا بِالْقُوَّةِ الَّتِي يُمِدُّكُمْ بِهَا، وَفِي حُدُودِ الْمَنْحِ الَّتِي يَهْبُكُمُ إِيَّاهَا.

أَفَتَعْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ الَّذِي لَا رُبُوبِيَّةَ لَهُ، وَتَجْعَلُونَهُ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ؟!!!.

إِنَّ عِبَادَتَكُمْ لِأَضْنَامِكُمْ سَفَاهَةٌ مَا دُونَهَا سَفَاهَةٌ.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء/ ٢١ مٌصْحَف/ ٧٣ نزول) مُتِمِّمًا مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٢١) أَوْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٢٨﴾:

«أَف»: كَلِمَةُ تَضَجَّرُ وَتَكْثُرُ، وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ مُضَارِعٍ بِمَعْنَى أَتَضَجَّرُ، أَي: أَتَضَجَّرُ مِنْ شِدَّةِ تَقْدِيرِ نَفْسِي طَرِيقَتَكُمْ الْبَاطِلَةَ، الدَّالَّةَ عَلَى سَفَاهَةِ الْمُسْتَمْسِكِينَ بِهَا.

وَكَلِمَةُ «أَف» أَوْجَّهَهَا لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

المعنى: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِينَ يُسَائِلُونَهُ فِي مَجْلِسِ مُسَاءَلَتِهِ وَمُحَاكَمَتِهِ، بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ هُوَ مُحْطَمٌ أَضْنَامِهِمْ:

أَبْلَغْتَ سَفَاهَتَكُمْ وَعَبَاوَتَكُمْ وَحَمَاقَتَكُمْ غَايَاتِهَا، فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْمَهْمَنِ عَلَيْكُمْ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ نَفْعًا أَقَلَّ نَفْعٍ، وَلَوْ كَانَ شَيْئًا حَقِيرًا، وَلَا يَضُرُّكُمْ أَقَلَّ ضُرٍّ، فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَضْنَامَكُمْ لِيَنْفَعُوكُمْ بِشَيْءٍ تَرْغَبُونَ فِيهِ، أَوْ لِيَدْفَعُوا عَنْكُمْ ضُرًّا تَحْذَرُونَهُ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَلَبَ نَفْعٍ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ.

أَفْ أَوْجَّهَهَا لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَدْ أَضَجَرْتُمُونِي مِنْ قَدَارَةِ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدَارَةِ أَضْنَامِكُمْ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً تَعْبُدُونَهَا.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أَي: أَنْظَمَسَتْ بَصَائِرُكُمْ، وَذَهَبَتْ مِنْ رُؤُوسِكُمْ عُقُولُكُمْ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، لَا عَقْلًا عِلْمِيًّا، وَلَا عَقْلًا إِرَادِيًّا؟!

فَبَلَغَ الْغَضَبُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ يُسَائِلُونَهُ وَيُحَاكِمُونَهُ مَبْلَغَهُ الْأَقْصَى، فَطَالَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ يُحَرِّقُوهُ.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: ﴿٧٢﴾

أَي: إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى أَنْ تُعَاقِبُوهُ مُعَاقَبَةً رَادِعَةً لِكُلِّ مَنْ يُخَالِفُ دِينَكُمْ وَدِينَ آبَائِكُمْ، وَتُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧):

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ رَأْيَهُمْ قَدْ اسْتَقَرَّ بَعْدَ التَّشَاوُرِ عَلَى تَحْرِيقِهِ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا التَّحْرِيقُ ضِمْنَ بُنْيَانٍ يَبْنُونَهُ لِهَذَا الْغَرَضِ، كَجِدَارٍ دَائِرِيٍّ يُرَى مِنْ أَعْلَاهُ كَبِيرٍ مَطْوِيَةٍ، وَأَنْ يَمَلُّوهُ حَطْبًا، وَيُوقِدُوا هَذَا الْحَطَبَ، حَتَّى يَكُونَ جَمْرًا وَنَارًا مُلْتَهَبَةً، وَأَنْ يُلْقَوْهُ فِيهَا بِحُضُورِ جُمْهُورٍ مِنْ قَوْمِهِ، لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، فَفَعَلُوا.

الْجَحِيمُ: كُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهْوَاةٍ فَهِيَ جَحِيمٌ.

وَقَدْ فَعَلُوا مَا اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَيْهِ فَقَذَفُوهُ أَمَامَ جُمْهُورٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ الَّتِي صَنَعُوهَا.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩):

أَي: فَلَمَّا قَذَفُوهُ وَكَادَ يَصِلُ جَسَدُهُ إِلَى الْجَحِيمِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَتَحَوَّلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ مِنْ نَارٍ مُحْرِقَةٍ قَاتِلَةٍ ضَارَّةٍ أَوْ مُؤَذِيَةٍ؛ إِلَى مِثْلِ نُورٍ بَارِدٍ لَا حَرَارَةَ فِيهِ، وَهَبَطَ إِلَى بَاطِنِ الْجَحِيمِ فِي الصُّورَةِ مَحْمُولًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِنِّ وَأَنْعَمَ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ جَسَدٌ، فَوَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَذَفُوهُ إِلَيْهِ سَالِمًا لَمْ يَنْلُهُ ضَرٌّ وَلَا أَذًى.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ فِي سُورَةِ (الصافات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨):

أَي: فَارَادَ كِبَرَاءُ قَوْمِهِ، وَذَوُو السُّلْطَانِ فِيهِمْ؛ كَيْدًا يَنْزِلُ بِهِ، عُقُوبَةً

لَهُ عَلَى تَكْسِيرِ أَصْنَامِهِمْ وَتَحْطِيمِهَا، لِيَحَافِظُوا عَلَى مَكَانَاتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ،
وَأَنَّهُمْ هُمُ الْأَعْلَوْنَ، الَّذِينَ لَا يَسْمَحُونَ بِأَنْ يَغْلُو أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا أَجْرَى اللَّهُ الْخَارِقَةَ الْعُظْمَى بِجَعْلِ النَّارِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَصَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى كُفْرَاءِ قَوْمِهِ وَذَوِي السُّلْطَانِ
فِيهِمْ، وَظَهَرَ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّهُ هُوَ الْأَعْلَى، وَأَنَّ قَوْمَهُ الْمُشْرِكِينَ
عَلَى بَاطِلٍ، وَأَنَّ ذَوِي السُّلْطَانِ وَالْقُوَّةَ فِيهِمْ الْأَسْفَلُونَ لَا الْأَعْلَوْنَ، إِذْ
خَابَ كَيْدُهُمْ، وَارْتَدَّ بِالْهَزِيمَةِ إِلَى عُقُولِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَمِلَّتِهِمُ الْبَاطِلَةَ.

وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ يَمْشِي بَيْنَ قَوْمِهِ مُنْتَصِرًا، مُعْتَزًّا
بِرَبِّهِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ - مَهْمَا عَلَتْ مَكَانَتُهُ - أَنْ
يَمْسَهُ بِسُوءٍ.

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذِهِ النَّتِيجَةِ الْمُخْزِيَةِ لِقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ،
بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءُ/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

فَأَبَانَ النَّصُّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الَّذِينَ كَادُوا إِبْرَاهِيمَ لِيُحَرِّقُوهُ:
الْأَخْسَرِينَ مِنْ كُلِّ قَوْمِهِمْ، وَدُونَهُمْ فِي الْخَسَارَةِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَامَّتِهِمْ
الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِصْدَارَ قَرَارِ التَّحْرِيقِ.

وَأَبَانَ النَّصُّ السَّابِقُ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (الصَّافَاتِ/ ٣٧ مصحف/ ٥٦
نزول) أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمُ الْأَسْفَلِينَ، وَمِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّصِّينِ نَفْهُمُ أَنَّ مُصْذِرِي
قَرَارِ تَحْرِيقِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الْأَعْلَوْنَ فِي قَوْمِهِ فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ
الْأَسْفَلِينَ، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْبَحُوا بِتَحْرِيقِهِ زِيَادَةَ رِفْعَةٍ فِي مُجْتَمَعِهِمْ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ
الْأَخْسَرِينَ، فَتَكَامَلَ النَّصَّانِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَا أُريدَ بَيَانُهُ.

وَلَمَّا أَتَمَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَأْدِيَةَ رِسَالَتِهِ فِي قَوْمِهِ، أَتَاهُ الْوَحْيُ بِأَنْ
يُهَاجِرَ إِلَى أَرْضٍ غَيْرِ أَرْضِ قَوْمِهِ.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧
مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩)

أي: وَقَالَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ؛ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى
أَرْضٍ غَيْرِ أَرْضِكُمْ أَهَاجِرُ إِلَيْهَا، يَخْتَارُهَا لِي رَبِّي.
قَالُوا: هَلْ تَعْرِفُهَا؟، قَالَ: سَيَهْدِينِي رَبِّي الَّذِي أَمَرَنِي بِالْهَجْرَةِ، أَوْ
أَذِنَ لِي بِهَا.

وَيَبْدُو أَنَّ «نُمرود» وَأَرْكَانَ سُلْطَانِهِ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ غِيلَةً وَفِي الْخَفَاءِ،
بَعْدَ أَنْ هَرَمُوا فِي تَدْبِيرِ قَتْلِهِ تَحْرِيقًا وَعَلَانِيَةً عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، فَجَاءَهُ اللَّهُ،
وَيَسَّرَ لَهُ أَمْرَ الْهَجْرَةِ، دُونَ أَنْ يَنَالَهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ سُوءٌ.



وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يُعْلِنَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَرُّأَهُ مِنْ شِرْكِيَّاتِ قَوْمِهِ،
وَلِوَاظِمِهَا فِي السُّلُوكِ، وَيُوصِي بِهَا ذُرِّيَّتَهُ، وَيَجْعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سورة (الزُّحُفِ/ ٤٣ مصحف/ ٦٣ نزول):

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٣٦) إِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِينِ (٣٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣٨)

براء: مَصْدَرٌ يُخْبَرُ بِهِ، وَيُوصَفُ بِهِ، مِثْلُ: «بَرِيء».

البريء: هُوَ الْمَبْتَعِدُ كُلَّ الْبُعْدِ، الظَّاهِرُ غَايَةَ الطَّهَارَةِ مِمَّا تَبَرَّأَ مِنْهُ.

وَالشُّرْكُ مِنْ أَشْنَعِ النَّجَاسَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَالْمُؤْمِنُ الْحَرِيصُ عَلَى نَجَاتِهِ
وَفَوْزِهِ، يَتَبَرَّأُ مِنَ الشُّرْكِ وَمِنْ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ.

أي: واذْكُرُوا يَا أَبْنَاءَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَ قَالَ

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ جَدُّكُمْ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: إِنِّي بَرَاءٌ مِنْ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَ، إِلَّا مِنْ عِبَادَةِ الَّذِي فَطَرَنِي، فَخَلَقَنِي بَعْدَ أَنْ لَمْ أَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، وَإِذْ هَدَانِي إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ رَبّاً لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي طَوَالَ مَسِيرَتِي فِي حَيَاتِي إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتِي الْعَاجِلَةُ وَالْآجِلَةُ.

وَجَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْبَرَاءَةِ مِمَّا يَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، أَي: فِي ذُرِّيَّتِهِ، فَأَوْصَى أَوْلَادَهُ بِهَا، وَكَلَّفَهُمْ أَنْ يُوصُوا بِهَا ذُرِّيَّاتِهِمْ، جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَأَنْ يَلْتَزِمُوا بِمَضْمُونِهَا، وَأَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً تَهْدِي إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَنْ خَرَجَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشُّرَكِّيَّاتِ، أَوْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ.



الفصل السابع

هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المقدسة في فلسطين

جاء عند مؤرخي أهل الكتاب أَنَّ هِجْرَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ مِنْ بِلَادِ قَوْمِهِ «مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ» كَانَتْ عَلَى مَرَاجِلٍ.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ قَفَزَ عَنِ الْمَرَاجِلِ، لِيَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَقْصُودِ بَيَانَهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَبَجَيْتَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾:

لَقَدْ هَاجَرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَمِنْهُمْ أَبُوهُ الْكَافِرُ، الَّذِي مَاتَ فِي «حَارَانَ» إِحْدَى الْبُلْدَانِ الَّتِي كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا إِقَامَةٌ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْرَزَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ نَجَّاهُ وَلُوطًا عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمَا كَانَا مَقْصُودَيْنِ بِالْقَتْلِ غِيْلَةً وَفِي السَّرِّ، مِنْ قَبْلِ «نُمْرُودَ»

وَأَرْكَانِ سُلْطَانِهِ، وَدَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ «لُوطًا» عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُغْلِنًا إِيْمَانَهُ بِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ مُغْلِنًا مُنَاصِرَتَهُ لَهُ وَدِفَاعَهُ عَنْهُ وَعَنْ أَعْمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نُبِّئَ حِينَئِذٍ فِيمَا يَظْهَرُ، بَلْ جَاءَتْهُ التَّبَوُّةُ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَمَا اسْتَقَرَّ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ مَعَ عَمِّهِ.

وَالْأَرْضُ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا هِيَ بِلَادُ الشَّامِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

وُطِيتْ فِي نَصِّ الْآيَةِ مَرَّاحِلُ رِحْلَةِ الْهَجْرَةِ، لِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ الْاسْتِقْرَارُ فِي أَرْضِ الْبِلَادِ الْمُقَدَّسَةِ، لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِيهَا وَفِيمَا حَوْلَهَا.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ «إِبْرَاهِيمُ» وَابْنُ أَخِيهِ «لُوطُ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَهُ وَلَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ كَانَتْ زَوْجَتُهُ «سَارَةَ» امْرَأَةً عَجُوزًا وَعَاقِرًا لَمْ تُنْجِبْ لَهُ وَلَدًا، وَقَدْ تَجَاوَزَتْ السَّبْعِينَ مِنْ عُمرِهَا.



الفصل الثامن

هَبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذَّرِّيَّةَ فِي شَيْخُوخَتِهِ

لَمَّا وَصَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ، إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَهَبَهُ وَلَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، فَوَهَبَهُ مِنْ أَمَتِهِ الْمِصْرِيَّةِ «هَاجَرَ» وَلَدًا سَمَّاهُ «إِسْمَاعِيلَ» وَكَانَ عُمُرُ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا ذَكَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ (٨٦) سَنَةً، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ بِعَشْرِ سِنِينَ.

وَدَلَّ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ دَعَا رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الَّذِي أُسِّسَ فِيمَا بَعْدُ.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول)
حِكَايَةً لِدُعَاءِ «إبراهيم» عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتِجَابَةِ اللَّهِ دُعَاءَهُ:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٠﴾ فَبَسَّطْنَاهُ يُعْلِمُ حَلِيمٍ ﴿١١١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكُونُ أَفْعَلُ
مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ
أَن يَكْتُمِبْرِهْمُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَنبِجٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٠﴾﴾: أَي: رَبِّ هَبْ لِي وَلَدًا مِنْ ذُرِّيَّتِي
يَكُونُ صَالِحًا مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَجَرَتْ أَحْدَاثٌ فِي رِحْلَاتِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَرْضٍ فِيهَا مَلِكٌ
جَبَّارٌ، إِذَا أَبْلَغَهُ جُنُودُهُ بَامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ اضْطَفَاها لِنَفْسِهِ، وَقَتَلَ زَوْجَهَا إِذَا كَانَ
لَهَا زَوْجٌ.

فَأَبْلَغَهُ جُنُودُهُ بُوْجُودِ امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ فِي أَرْضِهِ هِيَ «سَارَةُ» زَوْجَةُ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَدْعَاهُمَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ إِلَى قَصْرِهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا: إِذَا سَأَلْتُكَ عَنِّي فَقُولِي: هُوَ أَخِي، وَأَنَا أَيْضًا أَقُولُ إِذَا
سَأَلَنِي عَنْكَ: هِيَ أُخْتِي. فَلَمَّا اتَّفَقَا هُمَا ذَكَرَا لِلْمَلِكِ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ.

فَادْخَلَ الْمَلِكُ «سَارَةَ» إِلَى حَيْثُ يَبْتَغِي بِهَا أَنْ يُعَاشِرَهَا مُعَاشِرَةَ
الْأَزْوَاجِ لِلزَّوْجَاتِ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي، وَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ
يَعْصِمَهَا مِنْهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ أَنْ يَمَسَّهَا عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِعِلَلٍ
نَزَلَتْ كَأَدَاتٍ تَفْتُلُهُ، فَسَأَلَهَا أَنْ تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَكْفُ عَنْهَا، فَدَعَتْ لَهُ،
فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ، وَأَهْدَاهَا هَدَايَا، وَصَرَفَهَا، وَكَانَ مِنْهَا أَهْدَاهَا

جارية مِصْرِيَّة، اسْمُهَا «هَاجِرُ»، ثُمَّ أَهْدَتْهَا «سَارَةُ» لِزَوْجِهَا «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَنْجِبَ مِنْهَا وَلَدًا.

فَدَخَلَ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَشَّرَهُ اللَّهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ مِنْهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٦﴾﴾: أي: فَبَشَّرَهُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ؛ بِأَنَّ هَاجَرَ سَتِلِدُ لَهُ غُلَامًا، مِنْ صِفَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ حَلِيمٌ.

وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ لَهُ مَا بَشَّرَهُ بِهِ، فَلَمَّا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ «هَاجِرُ» سَمَّاهُ «إِسْمَاعِيلَ»، وَهُوَ اسْمٌ عِبْرِيٌّ مَعْنَاهُ: «يَسْمَعُ اللَّهَ». وَكَانَ أَوَّلَ ذُرِّيَّتِهِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ (٨٦) سَنَةً، وَهُوَ سِنٌ شَيْخُوخَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، لَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ رَجُلًا قَوِيًّا عَاشَ (١٧٥) سَنَةً.

وَأَنْجَبَ عِدَّةَ أَوْلَادٍ وَكَانَ عُمرُهُ أَكْثَرَ مِنْ (١٠٠) عامٍ مِنْ زَوْجَةِ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ «سَارَةَ» اسْمُهَا «قَطُورَةُ»، أَحَدُهُمْ «مَذْيَانُ» جَدُّ أَهْلِ مَدِينِ.

وَجَرَتْ أَحْدَاثٌ نَقَلَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ رَبِّهِ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أُمِّهِ «هَاجِرَ» إِلَى أَرْضِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ وَادِيًّا لَا زَرْعَ فِيهِ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ تَرَكَ الطِّفْلَ وَأُمُّهُ عِنْدَ مَكَانِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَسَيَّأَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَفْصِيلُ هَذَا فِيمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَحَادِيثَ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُاْ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾:

أي: فَوَهَبَنَاهُ الْغُلَامَ الَّذِي بَشَّرْنَاهُ بِهِ، وَنَشَأَ الْغُلَامُ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ نَشْأَةً صَالِحَةً فِي مَكَّةَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَكَانَ أَبُوهُ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَعَهَّدُ زِيَارَتَهُ حِينًا ثُمَّ حِينًا.

وَلَمَّا بَلَغَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّنَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ فِيهَا أَنْ يَسْعَى

مع أبيه «إبراهيم» عَلَيْهِ السَّلَام مُجَاهِدَيْنِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام أَسَسَ الْإِيمَانَ، وَأَحْكَامَ السُّلُوكِ، وَفَضَائِلَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ.

أَضْلُ السَّعْيِ: الْعَدُو، وَهُوَ فَوْقَ الْمَشْيِ الْعَادِي، وَيُفِيدُ مَعْنَى الْهِمَّةِ فِي الْعَمَلِ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ.

لَمَّا بَلَغَ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ السَّنَّ، وَكَانَ أَبُوهُ عِنْدَهُ فِي مَكَّةَ فِي إِحْدَى زِيَارَاتِهِ لَهُ، قَالَ لَهُ: ﴿يَبْنَىٰ إِيَّائِي أَرَىٰ فِي الْمَنَازِلِ إِيَّيْكَ أَذْبَحَكَ﴾:

بُنَيَّ: تَصْغِيرُ لَفْظِ «ابْنِي»، وَهُوَ مِنْ تَصْغِيرِ التَّحَبُّبِ.

أَي: يَا بُنَيَّ الْحَبِيبَ لِقَلْبِي؛ إِنَّ رُؤْيَا تَتَكَرَّرُ عَلَيَّ، فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّنِي مَأْمُورٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ بِأَنْ أَذْبَحَكَ.

دَلَّ عَلَى تَكَرُّارِ الرُّؤْيَا اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ «أَرَى»، وَلَوْ كَانَتْ رُؤْيَا وَاحِدَةً لَجَاءَ التَّعْبِيرُ: إِنِّي رَأَيْتُ.

﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [فَانْظُرْ مَاذَا تُرِي]:

أَي: فَانْظُرْ مَا الَّذِي تَرَاهُ أَنْتَ لِنَفْسِكَ، وَانْظُرْ مَا الَّذِي تُقَدِّمُهُ لِي مِنْ رَأْيٍ.

فَأَسْرَعَ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبَيَّنًا لِأَبِيهِ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامَ مَا رَأَاهُ لِنَفْسِهِ وَمَا يُرِيهِ لِأَبِيهِ:

﴿قَالَ يَبْنَوتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

فَهِمَ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا أَبُوهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، تَتَضَمَّنُ تَكْلِيفًا رَبَّانِيًّا يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامَ، الَّذِي صَارَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَسْعَى مُجَاهِدًا مَعَ أَبِيهِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَبْلِيغِ الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، فَقَالَ لِأَبِيهِ مُتَذَلِّلًا

خَاضِعاً: ﴿يَتَأْتِي أَفْعَلَ مَا تُؤْمَرُ﴾، وَظَمَانُ الابْنُ أَبَاهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ طَائِعاً مُسْتَسْلِماً مُسْتَجِيباً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَبِأَنَّهُ سَيَكُونُ صَابِراً مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ الصَّابِرِينَ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحْسَرَ مِنْ نَفْسِهِ الْاسْتِعْدَادَ لِلِاسْتِسْلَامِ التَّامِّ، وَلَكِنْ عَلَّقَ أَمْرَ صَبْرِهِ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، التَّزَاماً بِالْوَاجِبِ الدِّينِيِّ فِي الْوَعْدِ بِعَمَلِ مُسْتَقْبَلِيٍّ، وَاسْتِعَانَةً بِاللَّهِ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ، حَتَّى يُمِدَّهُ بِالصَّبْرِ الْمَطْلُوبِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ، فَقَالَ لِأَبِيهِ: ﴿... سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٧٢)، وَقَدَّمَ التَّغْلِيْقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْوَعْدِ بِالصَّبْرِ لِأَنَّ التَّغْلِيْقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ مُرْتَبِطٌ مُبَاشَرَةً بِالْإِيمَانِ، أَمَّا الصَّبْرُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ فِي السُّلُوكِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

وَحِينَ اِظْمَأَنَّ الْأَبُ «إِبْرَاهِيمُ» إِلَى أَنَّ الابْنَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سَيَكُونُ مُسْتَسْلِماً كَامِلاً الْاسْتِسْلَامَ لِقِيَامِ أَبِيهِ بِذَبْحِهِ طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَسْلَمَ «إِبْرَاهِيمُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَهُ لِرَبِّهِ، كَاحِباً كُلَّ عَوَاطِفِهِ نَحْوَ وَلَدِهِ، حِينَئِذٍ أَقْدَمَ الْأَبُ لِلْقِيَامِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، وَاسْتَجَابَ الابْنُ لِلأَمْرِ، وَبَاشَرَ كُلَّ مِنْهُمَا مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ، عِنْدَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْحَرِجَةِ جَاءَ الأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ التَّنْفِيذِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٧٣):

أَي: فَحِينَ أَسْلَمَ الْأَبُ وَالابْنُ أَمْرَهُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، طَاعَةً لَهُ، وَامْتِثَالاً لِأَمْرِهِ.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ: أَي: وَأَلْقَى الْأَبُ ابْنَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَخَذَهُ بِشِدَّةٍ، وَجَعَلَ جَبِينَهُ، أَي: أَحَدَ جَانِبَيْ جَبْهَتِهِ؛ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَبَضَ عَلَى مَقْبِضِ سِكِّينِهِ لِيَذْبَحَهُ.

وَإِذْ أَتَمَّا امْتِحَانَهُمَا بِنَجَاحٍ بَاهِرٍ؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَنْ يُوقِفَ اللَّهُ التَّنْفِيذَ، فَلَمْ يَكُنْ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقْضَائِهِ أَنْ يَذْبَحَ إِبْرَاهِيمَ وَلَدَهُ

إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، إِنَّمَا كَانَ الْغَرَضُ امْتِحَانَهُمَا، وَقَدْ نَجَحَا فِي
الامْتِحَانِ نَجَاحًا مِّنَ الدَّرَجَةِ الْقُضْوَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يٰإِبْرَاهِيمُ ﴿١٧٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٥﴾
إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَتُّ أَلْمِينُ ﴿١٧٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾﴾:

إِنَّ إِيْقَافَ تَنْفِيذِ الذَّبْحِ بِأَمْرِ رَبَّانِيٍّ، رُبَّمَا كَانَ مُوجَّهًا مِّنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ، تَبَعُهُ نِدَاءُ تَفْسِيرُهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، أَي: إِنَّ التَّكْلِيفَ
فِي الرُّؤْيَا كَانَ ذَا حَدٍّ يَقِفُ قَبْلَ تَنْفِيذِ الذَّبْحِ بِإِذْخَالِ حَدِّ السَّكِينِ فِي الْمَذْبَحِ
مِنَ الرَّقَبَةِ، وَقَدْ طَابَقَ مَا فَعَلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا جَاءَ فِي الرُّؤْيَا
التَّكْلِيفِيَّةِ فَصَدَّقَهُ، وَبِهَذَا انْتَهَتْ حُدُودُ التَّكْلِيفِ، وَقَدْ كَانَ هُوَ وَابْنُهُ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ تَسْلِيمًا لِلَّهِ، وَانْتَهَتْ بِمَا فَعَلَا حُدُودُ التَّكْلِيفِ.

﴿... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾: أَي: قَدَرْنَا وَقَضَيْنَا وَأَمَرْنَا
بِإِيْقَافِ عَمَلِيَّةِ الذَّبْحِ جَزَاءَ مُرْضِيَا لِلْأَبِ وَابْنِهِ، وَسَارًّا لِقُلُوبِهِمَا، وَكَذَلِكَ
الْجَزَاءُ السَّامِي الَّذِي أَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْهِمَا؛ نَجْزِي سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ
يُحْسِنُونَ مِثْلَ إِحْسَانِهِمَا.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَتُّ أَلْمِينُ ﴿١٧٦﴾﴾: أَي: إِنَّ هَذَا الْامْتِحَانَ الْقَاسِي
الَّذِي امْتَحَنَّا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ؛ لَهُوَ الْامْتِحَانُ الْجَلِيُّ الظَّاهِرُ، الَّذِي
اجْتَاَزَهُ كُلُّ مِنْهُمَا بِنَجَاحٍ بَاهِرٍ.

جَاءَ وَصْفُ الْبَلَاءِ بِأَنَّهُ مُبِينٌ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذِي
فِكْرٍ.

﴿وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾﴾: أَي: وَقَدَيْنَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ إِذْ
أَوْقَفْنَا الذَّبْحَ عِنْدَ بَدَائَتِهِ؛ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، أَي: بِمَذْبُوحٍ عَظِيمٍ.

رُويَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَكْبُشُ أَبْيَضَ أَعْيَنَ أَقْرَنَ قَدْ

رُبِّطَ بِسُمُرَةٍ، أَي: بِشَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ السَّمُرِ^(١).

وَيَظْهَرُ أَنَّهُ أَمْرٌ بِأَنْ يَذْبَحَ هَذَا الْكَبْشَ الْعَظِيمَ الْجُثَّةَ بَيْنَ الْكَبَاشِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِدَاءً لَذَبْحِ وَلَدِهِ، فَأَخَذَ الْكَبْشَ مِنْ مَرْبِطِهِ وَذَبَحَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٧٨) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٧٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٨٠) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾:

هَذَا السَّلَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ هُوَ تَحِيَّةٌ يَدْعُو بِهَا الْمُرْسَلُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّلَامِ عَلَى كُلِّ الْمُرْسَلِينَ، فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَلِلدَّاعِي بِهَذَا الدُّعَاءِ لِمَنْ أَوْصَى اللَّهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ أَجْرٌ يُضَاعِفُهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَامِلِي الْإِيمَانِ، مِنْ عِبَادِهِ الْمَشْرِفِينَ بِعُبودِيَّتِهِمْ الْكَامِلَةِ لَهُ.

ثُمَّ بَشَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْعَجُوزِ الْعَقِيمِ بِوَلَدٍ يُسَمِّيهِ «إِسْحَاقَ»، وَبِأَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آخِرِ هَذَا النَّصِّ الَّذِي مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٨١) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٨٢﴾:

نَبِيًّا: أَي: يُضَظْفَى لِلنَّبَوَّةِ.

مِنَ الصَّالِحِينَ: أَي: مِنْ أَهْلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

الْبَرَكَةُ: الْكَثْرَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

(١) السَّمُر: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ شَجَرِ الطَّلْحِ، تَرْعَاهُ الْإِبِلُ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَنَاسَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا بِأَنَّهُمْ عَلَى دَرَجَاتٍ أَوْ دَرَكَاتٍ، فَأَفْضَلُهُمْ مُحْسِنٌ مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ. وَأَحْطُّهُمْ دَرَكَةٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ وَاضِحٌ فِي انْحِطَاطِهِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَسَائِرُهُمْ عَلَى دَرَجَاتٍ أَوْ دَرَكَاتٍ، بَيْنَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِينَ.

وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّصِّ الَّذِي مِنْ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/ ٢١) مَصْحَفُ/ ٧٣ (نزول) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۖ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٢):

أي: وَوَهَبْنَا لَهُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ «إِسْمَاعِيلُ» مَعَهُ السَّعْيَ «إِسْحَاقَ» مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْعُجُوزِ الْعَقِيمِ بِخَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ، ثُمَّ وَهَبْنَا لَهُ «يَعْقُوبَ» حَفِيداً لَهُ مِنْ وَلَدِهِ «إِسْحَاقَ» بَعْدَ أَنْ كَبُرَ «إِسْحَاقُ» وَتَزَوَّجَ، فَكَانَ نَافِلَةً زَائِدَةً عَلَى الْبُشْرَى لَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ، فَكَانَ «يَعْقُوبُ» نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَام -.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٧٢): أي: وَكُلًّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَلُوطَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ - عَلَيْهِمُ السَّلَام -، جَعَلْنَا بِتَوْفِيقِنَا وَعِزْمَتِنَا صَالِحِينَ؛ لَأَسْتَحِقَّاقِهِمْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ الرَّفِيعَةَ.

وَمِنْ مِنَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَيْمَةً يُؤْتَمُّ بِهِمْ، إِذْ جَعَلَهُمْ رُسُلًا يُوحَى إِلَيْهِمْ بِوَصْفِ كَوْنِهِمْ رُسُلًا، يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ بِأَمْرِهِ، وَمِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِمْ: الْأَمْرُ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَعْمَلُوهَا، فِي السُّلُوكِ النَّفْسِيِّ وَفِي السُّلُوكِ الظَّاهِرِ، وَالْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِلَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - وَالْأَمْرُ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

وَوَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُمْ كَانُوا لِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ عَابِدِينَ.

وَفِي آخِرِ النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (مريم/ ١٩ مصحف/ ٤٤ نزول)
المتضمنِ عَرَضَ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ دَعْوَةِ «إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا
نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾:

أي: فَلَمَّا هَاجَرَ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَرْضِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ،
وَوَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ «فلسطين»
وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فِيهَا؛ وَهَبَ اللَّهُ لَهُ «إِسْحَاقَ» مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» بِخَارِقَةٍ
لِلْعَادَةِ، ثُمَّ وَهَبَ لَهُ حَفِيداً مِنْ وَلَدِهِ «إِسْحَاقَ» هُوَ «يَعْقُوبُ»، وَقَدْ جَعَلَهُمَا اللَّهُ
نَبِيِّينَ، وَجَعَلَ لَهُمَا ثَنَاءً حَسَنًا عَلِيًّا، تَتَحَدَّثُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ الصَّادِقَةُ.

بُشْرَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ»:

جَاءَ بَيَانُ هَذِهِ الْبُشْرَى فِي أَرْبَعَةِ نُصُوصٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مُتَكَامِلَةً
فِيمَا بَيْنَهَا، وَهِيَ فِي سُورَةِ (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول)، وَفِي سُورَةِ
(الحجر/ ١٥ مصحف/ ٥٤ نزول)، وَفِي سُورَةِ (الذَّارِيَاتِ/ ٥١ مصحف/ ٦٧
نزول)، وَفِي سُورَةِ (الْعَنْكَبُوتِ/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول).

• قول الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ... ﴿٦٩﴾﴾:

فَعَلَ «جَاءَ» يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا مِثْلَ «جَاءَ الرَّجُلُ»، وَيُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًّا،
مِثْلَ: «جَاءَ النَّبَأُ الرَّجُلُ»، وَعَلَى هَذَا جَاءَ هُنَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَفِظَ
«إِبْرَاهِيمَ» هُنَا مَفْعُولٌ بِهِ لِلْفِعْلِ فِي «جَاءَتْ».

وَالْمُرَادُ بِعِبَارَةِ «رُسُلُنَا» الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِتَبْشِيرِ
«إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتِهِ الْعَقِيمِ «سَارَةَ» بِوَلَدٍ مِنْهُمَا اسْمُهُ «إِسْحَاقُ»
- عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَدْ جَاءُوهُ عَلَى صُورِ رِجَالٍ بَشَرٍ لَا يَعْرِفُهُمْ، فalmلائكة قادِرُونَ عَلَى التَّشْكِيلِ بِأَشْكَالٍ جَسَمَانِيَّةٍ.

﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾: بَدَّوْهُ بِالتَّحِيَّةِ قَائِلِينَ لَهُ: «سلاماً»، أي: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلاماً. فلفظ «سلاماً» مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ. قال: «سَلامٌ» أي: تَحِيَّاتِي لَكُمْ: «سَلامٌ».

قال البلاغيون: «سَلامٌ» جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ مَعَ الْمُبْتَدَأِ المَحْذُوفِ المَقْدَّرِ ذَهْنًا، و«سَلاماً» جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ مَعَ الْعَامِلِ المَحْذُوفِ، والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ أَقْوَى وَآكُذُ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ، لِأَنَّ فِي خَبَرِ الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ ضَمِيرًا يَعُودُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، فَفِيهَا إِسْنَادَانِ، وَعَلَى هَذَا فَقَدْ كَانَ رَدُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنِ مِنْهَا.

وَهُنَا يَأْتِي مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الدَّارِيَّاتِ/ ٥١ مصحف/ ٦٧ نزول) بِإِضَافَةِ كَوْنِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ جَاءُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ ضُيُوفٌ مُكْرَمُونَ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمْ ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾:

الاسْتِفْهَامُ بـ «هل» هُنَا يُفِيدُ مَعْنَى: خُذْ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«ضَيْفٌ»: يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ فَأَكْثَرٍ، وَالْمُرَادُ عَدَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى شَكْلِ ضُيُوفٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَوَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِبَشَرًا، بَلْ هُمْ مَلَائِكَةٌ، إِذْ جَاءَ وَصَفُ الْمَلَائِكَةِ فِي الْآيَةِ (٢٦) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول) بِأَنَّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَرَبَّمَا كَانَتْ ثِيَابُهُمْ حِينَ دَخَلُوا عَلَيْهِ عَلَى صُورَةِ ثِيَابِ قَوْمٍ ذَوِي كَرَامَةٍ فِي قَوْمِهِمْ.

﴿... قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿١٥﴾﴾: أي: أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُ أَشْخَاصَكُمْ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ، وَلَكِنْ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ضِيَافَتِكُمْ.

قال الله تعالى في سورة (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿... فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ﴿١٦﴾﴾:

أي: فَذَهَبَ بِخَفَّةٍ وَسُرْعَةٍ لِضِيَافَتِهِمْ، وَهُوَ يَجْهَلُ كَوْنَهُمْ مَلَائِكَةً، وَلَمْ يُظْهَرْ بِحَرَكَتِهِ عِلَامَاتٍ إِرَادَةَ إِكْرَامِهِمْ، فَمَا أَبْطَأَ عَنْ مَجِيئِهِ بِعِجْلٍ مَشْوِيٍّ بِالْدَّسِّ فِي النَّارِ، أَوْ فِي حِجَارَةٍ مُحَمَّاةٍ بِالنَّارِ.

المرادُ بِنَفْيِ اللَّبْثِ هُنَا: عَدَمُ الْإِبْطَاءِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ مُطْلَقًا، مِنْ شِدَّةِ سُرْعَةِ إِحْضَارِهِ ضِيَافَتَهُ.

اللَّبْثُ: فِي اللَّغَةِ: الْإِقَامَةُ فِي الْمَكَانِ.

حَنِيزٌ: أَي: مَشْوِيٌّ بِالْدَّسِّ فِي النَّارِ، أَوْ فِي حِجَارَةٍ مُحَمَّاةٍ بِالنَّارِ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٥١ مصحف/ ٦٧ نزول) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢١﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾﴾:

﴿فَرَأَى﴾ أَي: فَذَهَبَ بِخَفَّةٍ وَسُرْعَةٍ لِضِيَافَتِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، دُونَ أَنْ يُظْهَرَ عِلَامَاتٍ إِرَادَةَ إِكْرَامِهِمْ، مِنْ بَالِغٍ مَا لَدَيْهِ مِنْ جُودٍ وَسَخَاءٍ نَفْسٍ.

﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾: جَاءَ وَضَفُّ الْعِجْلِ هُنَا بِأَنَّهُ سَمِينٌ، وَسَبَقَ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول) بَيَانُ أَنَّهُ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ، فَتَكَامَلَ النَّصَّانِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْعِجْلَ سَمِينٌ وَمَشْوِيٌّ.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾﴾:

عَرَضُ بِصِغَةِ الاسْتِفْهَامِ أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الْعِجْلِ السَّمِينِ الْمَشْوِيِّ، الَّذِي قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَهُ قَرِيباً مِنْ مَكَانٍ جُلُوسِهِمْ.

دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ مِنْ فَضَائِلِ الْمُضَيِّفِ وَكَرَمِهِ فِي الضِّيَافَةِ؛ أَنْ يَقْرَبَ لِضَيْفِهِ مَا يَأْكُلُونَهُ وَيَشْرَبُونَهُ، وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ عَادَاتِ الْكُرَمَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ النَّاسُ الْخِوَانَ الْكَبِيرَ الَّذِي تُوضَعُ حَوْلَهُ الْكَرَاسِي، وَيَضْعُبُ تَقْرِيبُهُ لِلضُّيُوفِ.

وَهُنَا يَأْتِي مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفَّ إِنَّآ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

وَيَأْتِي هُنَا أَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الحجر/ ١٥ مصحف/ ٥٤ نزول):

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا نَوجَلُ إِنَّآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾.

فَأَصَافَ النَّصُّ الَّذِي مِنْ سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول) أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ رَأَى أَيْدِيَ الضُّيُوفِ لَا تَصِلُ إِلَى الْعِجْلِ الْحَنِيدِ السَّمِينِ، وَلَا يَأْكُلُونَ مِنْهُ فَكَرَهُهُمْ، أَيْ: اسْتَنَكَرَ تَصَرُّفَهُمْ الَّذِي هُوَ عَلَى غَيْرِ عَادَةِ الضُّيُوفِ، بَلْ هُوَ عَادَةُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِشَرٍّ، وَلَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، إِذْ كَانَ مَظْهَرُهُمْ لَا يُشْعِرُ بِذَلِكَ.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أَيْ: وَأَحَسَّ فِي نَفْسِهِ خَوْفاً مِنْ غَرَضِهِمْ، الَّذِي جَاءُوا مِنْ أَجْلِهِ، إِذْ هُمْ بَشَرٌ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ.

وَقَالَ لَهُمْ أَخِذْأَ مِمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ (الحجر/ ٥٤ نزول): ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا نَوجَلُ إِنَّآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾.

فَأَجَابُوهُ: أَخَذْنَا مِمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ (هود/٥٢ نزول): ﴿... قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ۖ﴾.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الذاريات/٦٧ نزول) ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَكُمُ عَلِيمٌ ۖ﴾.

يُلاحَظُ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ: أَنَّ مَا طُوِيَ فِي نَصِّ مِنْهَا ذُكِرَ فِي نَصِّ آخَرَ، فَهِيَ فِيهَا بَيْنَهَا مُتَكَامِلَةٌ غَيْرُ مُكَرَّرَةٍ تَكَرِّرًا تَطَابُقِيًّا، وَهَذَا مِنْ إِبْدَاعَاتِ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الحجر/١٥ مصحف/٥٤ نزول):

﴿قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ۖ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِطِينَ ۖ﴾ (٥٥) ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۖ﴾ (٥٦):
أي: إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ يَأْتِيكَ مِنْ زَوْجِكَ «سَارَةً»، فَتَحْنُ مَلَائِكَةً، رُسُلٌ مُرْسَلُونَ مِنْ رَبِّكَ، لِنَقْدِمَ لَكَ هَذِهِ الْبَشَارَةَ.

قال مُسْتَفْهِمًا مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْبَشَارَةِ: ﴿أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ وَالشَّيْخُوخَةُ مُضَعَفَةٌ عَادَةً عَنِ الْإِنْجَابِ. «على» هنا بمعنى «مع».

أي: أَبَشِّرْتُمُونِي وَقَدْ صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِبَرِ تَمَاسٌّ، وَلَمْ يَقُلْ أَصَابَنِي الْكِبَرُ، إِذْ مَا زَالَتْ لَدَيْهِ قُوَّةٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْإِنْجَابِ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرَدَّ أَنْ يَجْرَحَ مَشَاعِرَ زَوْجَتِهِ الْوَاقِفَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تَسْمَعُ الْحَوَارِ، بَأَنَّ السَّبَبَ فِي عَدَمِ الْإِنْجَابِ مِنْهَا وَلَيْسَ مِنْهُ، فَهِيَ عَجُوزٌ عَقِيمٌ.

وَرُبَّمَا وَقَعَ فِي ظَنِّهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ذَاتَ اسْتِعْدَادٍ لِلْإِنْجَابِ، وَمِثْلُ هَذَا الظَّنِّ وَقَعَ فِي نَفْسِ زَوْجَتِهِ «سَارَةً».

﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟. أي: فَبِأَيِّ سَبَبٍ لَدَيَّ أَمْلِكُهُ يَكُونُ مِنْ أَثَارِهِ أَنْ أُنجَبَ؟.

فَلَمْ يُجِيبُوهُ عَنِ السَّبَبِ، وَإِنَّمَا أَجَابُوهُ عَلَى ظَاهِرٍ عِبَارَتِهِ، لَا عَلَى مُرَادِهِ مِنْهَا:

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (٥٥):

أي: بَشِّرْنَاكَ بِخَبَرٍ عَنِ اللَّهِ مُتَّصِفٍ بِالْحَقِّ الَّذِي سَيَتَحَقَّقُ حَتْمًا، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ الْيَائِسِينَ.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦):

أي: لَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ الْجَاهِلُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ وَخَلْقِ مَا يَشَاءُ. يُرَادُ بِالْاِسْتِفْهَامِ هُنَا النَفْيَ.

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هُود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلْيَسِّرْهَا يَأْسَحَقْ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١):

أي: وَأَمْرَأَتُهُ «سَارَةُ» قَائِمَةٌ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تَتَسَمَّعُ الْحِوَارَ، فَضَحِكَتْ لَمَّا عَلِمَتْ مَا جَاءَ فِي الْبُشْرَى لِزَوْجِهَا «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَبَعْدَ ضَحِكِهَا الَّذِي كَانَ ضَحِكًا اسْتِغْرَابًا وَتَعْجِبًا، وَخَوْفٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمَبَشِّرُ بِهِ مِنْ أَمْرَأَةٍ غَيْرِهَا؛ يَأْتِي قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٥١ مصحف/ ٦٧ نزول):

﴿فَأَقْبَلَ امْرَأَتُهُ فِي صَرٍّ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٧٩):

أي: فَأَقْبَلَ امْرَأَتُهُ «سَارَةُ» مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، إِذْ كَانَتْ تَتَسَمَّعُ مَا يَجْرِي، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِمْ فِي «صَرَّةٍ» أَي: فِي صَنِحَةٍ وَضَجَّةٍ، وَأَصْوَاتٍ وَكَلِمَاتٍ مُخْتَلِطَاتٍ كَعَادَةِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي فِي طِبَاعِهِنَّ حِدَّةٌ، إِذَا أَثَارَهُنَّ أَمْرٌ جَلَلٌ يَمَسُّهُنَّ.

﴿فَصَكَتْ وَجْهَهَا﴾: أَي: فَضَرَبَتْ وَجْهَهَا بِكَفِّهَا عَلَى عَادَةِ النِّسَاءِ.

﴿... وَقَالَتْ مَجُورٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾: أي: كَيْفَ تُبَشِّرُونَ زَوْجِي إِبْرَاهِيمَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ، وَأَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ لَا أَلِدُ.

فَاعْلَمَهَا الرُّسُلُ أَنَّ الْغُلَامَ الْعَلِيمَ وَلَدَ لَهَا، وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢) نَزُولٍ:

﴿... فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾:

هَذَا بَيَانٌ صَادِرٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اسْتُعْمِلَ فِيهِ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَخْلُقُ مَا يُرِيدُ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ بِشَارَةَ الْمَلَائِكَةِ لَهَا، إِنَّمَا كَانَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ بِشَارَةٌ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذِ الْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ.

﴿قَالَتْ يَوْنُسَىٰ أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾:

﴿يَوْنُسَىٰ﴾: أَصْلُهَا: «يَا وَيْلَتِي» قُلِبَتْ كَسْرَةُ التَّاءِ فَتَحَةً، وَقُلِبَتِ الْيَاءُ أَلِفًا، وَهَذَا أَحَدُ الْوُجُوهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمُنَادَى الْمُضَافِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَكَلِمَةُ «وَيْلٍ» هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعَجُّبِ، أَي: يَا عَجَبًا عَظِيمًا.

أَي: يَا عَجَبًا أَلِدْ وَأَنَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ، وَهَذَا بَعْلِي إِبْرَاهِيمُ حَالَةً كَوْنِهِ شَيْخًا؟!..

وَقَالَتْ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٦٧) نَزُولٍ: ﴿... عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

وَجَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ الرُّسُلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالُوا لَهَا مَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ التَّالِي:

﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾:

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (هُود/ ١١) مَصْحَفٍ (٥٢) نَزُولٍ:

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٢):

أي: قَالُوا: كَذَلِكَ الَّذِي بَشَّرْنَاكُمْ بِهِ قَالَ رَبُّكَ، وَقَوْلُهُ حَقٌّ، فَالْبَشَارَةُ لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِنَا، وَلَيْسَتْ مِنْ أَمْرِنَا، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ وَمِنْ أَمْرِهِ، فَلَا تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ وَخَدَهُ الَّذِي لَهُ الْحِكْمَةُ الْكَامِلَةُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ، فَهُوَ الْحَكِيمُ، وَهُوَ وَخَدَهُ ذُو الْعِلْمِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ الْعَلِيمُ وَخَدَهُ.

وقالوا لَهَا أَيْضاً: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وَأَنْتِ امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ وَرَوْجَةٌ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ، وَعِشْتَ فِي بَيْتِ نُبُوَّةٍ زَمَنًا مَدِيدًا، وَتَلَقَّيْتَ مَفَاهِيمَ الْإِيمَانِ طَوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، فَكَيْفَ تَعْجَبِينَ مِنْ حُدُوثِ شَيْءٍ هُوَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ، قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ، وَأُضْدَرَ بِهِ أَمْرُهُ، عَلَى أَنْ يُنْفَذَ فِي حِينِهِ، وَأَنْتِ تُوْمِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: «كُنْ» فَهُوَ يَكُونُ عَلَى وَفْقِ أَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ.

وَاعْلَمِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَخْرِقَ سُنَّتَهُ إِكْرَامًا لَكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ «إِبْرَاهِيمَ» شَيْخِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَقَاصَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ.

﴿... إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٢): فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِصِفَتَيْنِ مُلَائِمَتَيْنِ لِفُيُوضِ عَطَاءَاتِ رَحْمَتِهِ، وَمَا يَمْنَحُهُ بَعْضَ عِبَادِهِ مِنْ زِيَادَاتِ الْخَيْرِ.

حَمِيدٌ: أَي: كَثِيرُ الْحَمْدِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَحَابِبِهِ. وَالْمَحْمُودُ كَثِيرًا بِصِفَاتِ ذَاتِهِ، وَبِصِفَاتِ أَعْمَالِهِ، فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. مَجِيدٌ: أَي: كَرِيمٌ شَرِيفٌ عَلَيَّ عَظِيمٌ ذُو خَيْرٍ كَثِيرٍ.

■ وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ أَخْدَاثُ الْبُشْرَى، لَاحَظَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ

حَرَكَاتٍ وَوُجُوهُ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ أَنَّ عَلَيْهِمْ وَظِيفَةً رَبَّانِيَّةً يُرِيدُونَ الْإِنصِرَافَ لِتَأْدِيتِهَا.

وهنا يأتي موقع قول الله عز وجل في سورة (الذاريات/٥١ مصحف/٦٧ نزول) حكاية لما قاله إبراهيم عليه السلام ولما أجابه به الرسل من الملائكة:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ مُبَشِّرِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وموقع قول الله عز وجل في سورة (العنكبوت/٢٩ مصحف/٨٥ نزول):

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

من الغابرين: الغابر: الماكن الذي لا يتحول، أي: من المهلكين مع قومها. والغابر: الذاهب الماضي الذي لا يبقى له وجود، أي: من الماضين المهلكين مع قومها.

فالمعنيان ينطبقان عليهما، والمقصود من دلالتهما واحدة.

وموقع قول الله عز وجل في سورة (الحجر/١٥ مصحف/٥٤ نزول):

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ مُبَشِّرِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَال لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ فَدَرَزْنَا مِنْهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

وموقع قول الله عز وجل في سورة (هود/١١ مصحف/٥٢ نزول):

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَذَكَّرُ فِيهِم مِّنْ هَٰذَا إِنَّمَا قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ عَذَابٍ عِزٍّ مَّرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾:

فَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٦٧ نَزُول):

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾؟؟:

أي: قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: فَمَا أَمْرُكُمْ وَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟؟، إِذْ أَذْرَكَ أَنَّ أَمْرًا جَلَلًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهِ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٦٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٦٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٦٤﴾﴾:

أي: قَالُوا: إِنَّا أُرْسِلْنَا مِنْ رَبَّنَا إِلَىٰ إِهْلَاكِ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ، وَهُمْ قَوْمٌ لُّوط عَلَيْهِ السَّلَام، وَبِسَبَبِ كُذُوبِهِمْ مُّجْرِمِينَ مِنَ الدَّرَكَةِ الْقُضُوءِ فِي الْإِنْحِطَاطِ الْإِجْرَامِيِّ، يَسْتَحِقُّونَ التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكِ الشَّامِلَ.

وَمِنْ وَسَائِلِ تَعْذِيبِنَا لَهُمْ وَإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ أَنْ نُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةً مِّن طِينٍ، أي: حِجَارَةً كَانَتْ أَصْلُهَا طِينًا فَتَحَجَّرَ، وَلَعَلَّ تَحَجَّرَهَا كَانَ بِسَبَبِ إِحْمَائِهَا بِالنَّارِ، حَالَةً كَوْنِ هَذِهِ الْحِجَارَةِ مُعْلَمَةً بِعَلَامَاتٍ تَخْصُ الْمُهْلِكِينَ الْمُسْرِفِينَ، الْغُلَاةَ الْمُتَوَعِّلِينَ فِي الضَّلَالِ وَفِعْلِ الْجَرَائِمِ وَالْآثَامِ وَكِبَائِرِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ.

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْعَنْكَبُوتِ/ ٨٥ نَزُول):

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾:

أي: وَحِينَ انْتَهَىٰ مَوْضُوعُ الْبُشْرَىٰ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، وَسَلَّاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ خَطْبِهِمْ؛ قَالُوا إِنَّا

مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْجَامِعَةِ لِقَوْمِ لُوطَ - عَلَيْهِ السَّلَام - ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ ظَالِمِينَ ظُلْمًا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْإِهْلَاكَ وَالتَّعْذِيبَ .

قال إبراهيم عليه السلام: إِنَّ فِيهَا لُوطًا ، وَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ .

قالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَإِنَّهَا عَلَى مَذْهَبٍ وَمِلَّةٍ قَوْمِهَا ، فَسَيَشْمَلُهَا الْإِهْلَاكُ ، وَسَتَكُونُ مِنَ الذَّاهِبِينَ بِالْإِهْلَاكِ ، وَمِنَ الْبَاقِينَ فِي أَرْضِ الْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ ، فَلَا تَخْشَ عَلَى لُوطٍ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ .

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الحجر/ ٥٤ نزول):

﴿قَالُوا إِنَّا أَزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ ثُجْرَمٍ ۖ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لَوْنُ الْفَدْيِكِ ۖ﴾ :

أي: إِلَّا لُوطًا وَآلَهُ فَإِنَّا لَا نُهْلِكُهُمْ ، بَلْ نُنَجِّيهِمْ أَجْمَعِينَ ، مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ لِأَنَّهَا عَلَى مِلَّةٍ قَوْمِهَا .

﴿قَدَرْنَا﴾ يَظْهَرُ أَنَّهُ بَيَانٌ صَادِرٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَي: قَدَرْنَا وَقَضَيْنَا أَنَّ تَكُونَ امْرَأَتُهُ مِنَ الْغَابِرِينَ الْمُهْلَكِينَ مَعَ قَوْمِهَا لِأَنَّهَا كَافِرَةٌ وَعَلَى هَوَى قَوْمِهَا .

وَبَدَأَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَسَّطُ بِتَأْجِيلِ إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَاءً أَنْ يُؤْمِنُوا .

وَمَعَا جِئَاءَ فِي سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول):

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۖ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمَنِهَمٌ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۖ﴾ :

﴿الرَّوْعُ﴾: الْفَزَعُ ، وَهُوَ الْخَوْفُ الَّذِي تَظْهَرُ لَهُ آثَارُهُ نُفُورٍ فِي حَرَكَاتِ الْجِسْمِ ، وَاسْتِعْدَادٌ لِدَفْعِ الْمَفْرُوعِ مِنْهُ .

أي: فحينما ذهبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخَوْفُ الَّذِي أَثَارَهُ أَنَّ ضُيُوفَهُ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ، وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى هُوَ وَزَوْجَتُهُ «سَارَةَ»، وَتَلَقَّى نَبَأَ إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ نَفْسُهُ قَدْ هَدَأَتْ؛ شَرَعَ يُجَادِلُ رُسُلَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِرَفْعِ الْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ عَنْهُمْ وَلَوْ إِلَى حِينٍ.

سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِوَارَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِشَأْنِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَغْبَتِهِ فِي تَأْخِيرِ تَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ: مُجَادَلَةً لَهُ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، وَكَلَّفَهُمُ الْقِيَامَ بِتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَلَا نَعْلَمُ عَنِ الْمَعْصُومِ كَيْفَ كَانَتْ مُجَادَلَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِثَلَاثِ صِفَاتٍ جَلِيلَاتٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُؤَكِّدًا بِثَلَاثِ أَدَوَاتٍ تَوْكِيدٍ:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾:

حَلِيمٌ: أي: ذُو أَنَاةٍ، قَادِرٌ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْغَضَبِ، أَوْ عِنْدَ حُلُولِ مَكْرُوهٍ، يَفْعَلُ بِإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ نَوَازِعَ نَفْسِهِ، وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ.

أَوَّاهٌ: أي: رَحِيمٌ، رَقِيقُ الْقَلْبِ، كَثِيرُ الْحُزْنِ، كَثِيرُ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى طَاعَتِهِ.

مُنِيبٌ: أي: ذُو رُجُوعٍ إِلَى اللَّهِ دَوَامًا، بِقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَفِكْرِهِ.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمَنِيعٌ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾:

أي: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْطِ لِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَوَجَّهْتَ نَفْسُكَ لَهُ، شَفَقَةً عَلَى قَوْمِ لُوطٍ: عَارِضَكَ (أي: جَانِبَ وَجْهِكَ)، فَشَفَاعَتُكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُسْتَجَابَةٍ.

وَنُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ لَنَا بِتَنْفِيزِ التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ، وَهَذَا أَمْرٌ نَازِلٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ غَيْرُ مَرْدُودٍ، إِذْ لَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ الْمُبْرَمِ.

الفصل التاسع

تأسيس إبراهيم عليه السلام شعباً مؤمناً في مكة بولده إسماعيل عليه السلام

لَمَّا وَلَدَتْ «هَاجِرُ» ابْنَهَا «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ أَوَّلَ ذُرِّيَّةِ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ رَأَتْ «سَارَةُ» زَوْجَتُهُ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْلُقَ الْأَبَ بِابْنِهِ الْوَحِيدِ مِنْ «هَاجِرَ» الَّتِي كَانَتْ أَمَتَهَا، فَوَهَبَتْهَا لِرِزْقِهَا لِيُنْجِبَ مِنْهَا وَلَدًا، إِذْ كَانَتْ هِيَ عَجُوزًا عَقِيمًا، فَثَارَتْ غَيْرَتُهَا، وَطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يُبْعِدَ الْوَلَدَ وَأُمَّهُ إِنْْعَادًا كُلًّا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا.

فَاسْتَفْتَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهُمَا إِلَى وَادِي مَكَّةَ، حَيْثُ مَكَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، أَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ عَفَتْ آثَارُهُ مُنْذُ قُرُونٍ، وَصَارَ قِطْعَةً مَجْهُولَةً فِي بَطْنِ وَادِي مَكَّةَ عَلَى شَكْلِ تَلَّةٍ مِنَ التَّرَابِ.

فَأَخَذَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَافَرَ بِهِمَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ (= فِلَسْطِينَ) بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَهَدَايَةِ مَنْ اللَّهِ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْوَادِي الَّذِي لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا مَاءَ، وَفِيهِ مَكَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ.

مكة والبيت الحرام فيها:

(١) جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَمَكَّةَ أَوَّلَ مَا بَرَدَ مِنْ قَشْرَةِ الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا كُتْلَةً نَارِيَّةً مُلْتَهَبَةً كَالشَّمْسِ، فَمَكَّةُ هِيَ بِمِثَابَةِ سُرَّةِ الْأَرْضِ.

وَصَوَّرَ الْجُغَرَاْفِيُّونَ الْمُسْلِمُونَ الْبَيْتَ الْمُحَرَّمَّ وَمَكَّةَ فِي وَسْطِ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ، وَاعْتَبَرُوا مَكَّةَ سُرَّةَ الْأَرْضِ.

(٢) وَأَجْرَى الْمَعْهَدُ الْقَوْمِي لِلْبُحُوثِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْجِيُوفِيزِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ؛

دراساتٍ مُوسَّعةً، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الكَعْبَةَ المَشْرِقَةَ تُمَثِّلُ مَرَكَزَ الأَرْضِ.

وأَوْضَحَتِ الدِّرَاسَةُ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَيْهَا الدكتور «مسلم شَلْتوت» الأستاذ بالمعهد، ونَشَرَتْهَا صَحِيفَةُ الأَهْرَامِ المِصْرِيَّةِ؛ أَنَّ مَكَّةَ المَكْرَمَةَ، وَكَعْبَتَهَا المَشْرِقَةَ: هُمَا مَرَكَزُ لِدَائِرَةٍ نِصْفِ قُطْرِهَا (٨٠٠٠ ك م) تَمُرُّ بِأَطْرَافِ القَارَاتِ القَدِيمَةِ: «آسِيَا، وَأَفْرِيقِيَا، وَأُورُبَّا». كَمَا أَنَّهَا أَيْضاً مَرَكَزُ لِدَائِرَةٍ نِصْفِ قُطْرِهَا (١٣٠٠٠ ك م) تَمُرُّ بِأَطْرَافِ القَارَاتِ الجَدِيدَةِ: «أَمْرِيكَا الشَّمَالِيَّةِ، وَأَمْرِيكَا الجَنُوبِيَّةِ، وَأُسْتْرَالِيَا، وَالمَتَجَمِّدَةُ الجَنُوبِيَّةِ».

وَأَشَارَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ المَحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ مَكَّةُ المَكْرَمَةُ مَرَكَزَ الأَيَّاسَةِ قَبْلَ تَزَحُّجِ القَارَاتِ وَانْفِصَالِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فِي العُصُورِ الجَيُولُوجِيَّةِ السَّحِيقَةِ.

(٣) وَأَبَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ المَجِيدِ أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ فِي الأَرْضِ لِعِبَادَتِهِ بَيْتُ اللهِ المَحْرَمِ فِي مَكَّةَ المَكْرَمَةِ، وَهُوَ الكَعْبَةُ المَشْرِقَةُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

وَرَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ حَرَمُهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَرُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ بِنَاءٍ لَهُ كَانَ مِنْ قِبَلِ مَلَائِكَةِ أَمِيرُوا بِنَائِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَسَّسَهُ وَرَفَعَ قَوَاعِدَهُ وَصَلَّى فِيهِ، وَطَافَ حَوْلَهُ: آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ الطُّوْفَانَ، فَصَارَ مَكَانُ الْبَيْتِ دَارِسًا لَا تَظْهَرُ فِيهِ أَيُّ آثَارٍ تَذُلُّ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ أَرْجَحُ فِيمَا أَرَى.

ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَانِهِ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَأَمَرَهُ بِرَفْعِ قَوَاعِدِهِ مَعَ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مَا ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَالسُّنَّةِ الْمَطْهُرَةِ.

تدبر النصوص القرآنية:

أولاً: قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾:

• ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾: أي: أنزلناه فيه، بعد أن هيأناه له، وأعلمناه به وبحدوده من كل جهاته، وهو مكان الكعبة المشرفة بيئت الله الحرام.

• ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: أي: وقف رافعاً صوتك مُنادياً، في الناس الموقودين في زمن ندائك، والذين سيتتابعون أجيالاً، جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة، فإن ربك سيوصل أثر ندائك في أذانك إلى قلوب المؤمنين، فيحركها إلى تلبية النداء، فيحججون إلى هذا البيت، فيطوفون حوله، ويصلون عنده، ويؤدون مناسكهم التي شرعها ربك لعبادته في مكة وما حولها.

• ﴿رِجَالًا﴾: أي: مشاة على أرجلهم.

• ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي: وعلى كل مَرَكَبٍ ضامِرٍ قليل اللحم من طول السفر، يُقال: «جملٌ ضامرٌ، وناقةٌ ضامِرٌ وضامرة».

• ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: الفج: الطريق الواسع. عميق: أي: بعيد المسافة، طويل.

المعنى: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِبَيَانِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ؛ حِينَ هَيَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَكَانَ الْبَيْتِ الْمَحَرَّمِ، وَأَعْلَمْنَاهُ بِهِ، وَأَنْزَلْنَاهُ فِيهِ، الْيُوسُفَ فِي مَكَّةَ أُمَّةَ مُؤَمِّنَةً تَعْبُدُ رَبَّهَا وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، جَدُّهَا وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي تَرَكَّهُ عِنْدَ مَكَانِ الْبَيْتِ الْمَحَرَّمِ، هُوَ وَأُمُّهُ «هَاجِر» بُوْحِي مِنْ اللَّهِ.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ أَمَرْنَاهُ بِرَفْعِ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ مَعَ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الْبَيْتِ أَثْراً يُمَكِّنُ أَنْ يُتَدَرَّعَ بِهِ لِعِبَادَةِ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِي، كَصُورَةِ إِنْسَانٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ: أَنْ طَهَّرْ بَيْتِي مِنْ كُلِّ رَجَسٍ مَادِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ، لِلطَّائِفِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَنِي بِالطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِي، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَنِي بِالصَّلَاةِ فِيهِ أَوْ عِنْدَهُ، الْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ.

الْقَائِمُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ فِي الصَّلَاةِ، إِذَ الْقِيَامَ أَحَدُ أَرْكَانِهَا. الرُّكُّعُ: جَمْعُ «رَاكِع»، وَهُمْ الَّذِينَ يَرْكَعُونَ فِي الصَّلَاةِ، إِذَ الرُّكُوعَ أَحَدُ أَرْكَانِهَا.

السُّجُودُ: جَمْعُ «سَاجِد»، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِي الصَّلَاةِ، إِذَ السُّجُودَ أَحَدُ أَرْكَانِهَا، وَيَكُونُ السُّجُودُ بِوَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَصْلُ السُّجُودِ فِي اللُّغَةِ: الْخُضُوعُ وَالتَّطَامُّنُ، وَغَايَتُهُ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى مُرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِهِ فَحُجُّوا، فَأَوْصَلَ اللَّهُ أَثَرَ نِدَائِهِ إِلَى قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَحَرِّكُهَا إِلَى تَلْبِيَةِ نِدَاءِ اللَّهِ الَّذِي نَادَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، فَيَأْتُونَ مُشَاهَ رَاجِلِينَ أَوْ رُكْبَاناً، لِيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

ثانياً: وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ/ ١٤ مَصْحَف/ ٧٢ نَزُول):

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
 الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
 فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
 الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ
 الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۖ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُخْفِي وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ ۞٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ۖ ۞٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
 وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ۖ ۞٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۖ ۞٤١﴾ :

تمهيد:

ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ اشْتَمَلَتْ عَلَى عَرْضِ ادَّعِيَةِ دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبُّهُ فِي مُنَاسَبَاتٍ وَأَزْمِنَةٍ مُّخْتَلِفَةٍ، وَقَدْ تَكُونُ مُتَبَاعِدَةً أَيْضًا،
 تَذْكِيرًا لِلْمُعَالَجِينَ فِي سِبَاقِ السُّورَةِ وَسِيَاقِهَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِمَا كَانَ عَلَيْهِ
 أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مِنْ نَبَذٍ لِلْأَصْنَامِ وَمُقَاوَمَةٍ لَهَا.
 وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قَدْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا
 فِي تَرْتِيبِ هَذِهِ الْآيَاتِ، مَعَ أَنَّهَا مُتَقَدِّمَةٌ زَمَنًا عَلَى ادَّعِيَةِ جَاءَتْ بِحِكْمَةِ اللَّهِ
 مُتَقَدِّمَةٌ، إِذْ رُوِيَ فِي التَّرْتِيبِ تَقْدِيمُ مَا هُوَ الْأَوَّلَى بِالتَّقْدِيمِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى
 الْمَضْمُونِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا الدِّينِ الْكُبْرَى
 قُدِّمَتِ الْآيَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَخُصُوصِ ذُرِّيَّتِهِ وَوَالِدَيْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أُخِّرَتِ الْآيَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا.

التدبر التحليلي:

قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
 الْأَصْنَامَ ۖ ۞٣٥﴾ :

أي: وَضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ أَدْعِيَةَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ فِيهَا، مُشِيرًا إِلَى مَكَّةَ إِذْ كَانَ فِيهَا عِنْدَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ:

(١) ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: فَدَعَا لِمَكَّةَ بِالْأَمْنِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَعَلَ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَآمِنًا مِنَ الْكَوَارِثِ الْكُبْرَى، كَالزَّلَازِلِ، وَالْبَرَائِكِ، وَنَحْوَهُمَا، وَحِينَ أَرَادَ أَبْرَهُهُ بِمَكَّةَ شَرًّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَبِجَيْشِهِ بَلَاءً عَظِيمًا، وَإِهْلَاكًا شَنِيعًا، إِذْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.

(٢) ﴿... وَاجْتَنِبْ وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: أي: وَنَحْنِي وَأَبْعَدْنِي، وَنَحْ بَنِيَّ وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فِي إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَكَانَا نَبِيِّنَ وَرُسُولَيْنِ، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَبْنَائِهِ مِنْ «قَطُورَةِ» فِي مَدِينٍ قَدْ كَانَ مُشْرِكًا.

أَمَّا مَنْ انْحَدَرَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَعْدَ أَبْنَائِهِ فَقَدْ ظَهَرَ فِيهِمُ الشُّرْكُ، فَظَهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِأَبْنَائِهِ أَبْنَاؤُهُ الْمُبَاشِرُونَ، لَا كُلُّ ذُرِّيَّاتِهِ الذُّكُورِ.

(٣) ﴿رَبِّ إِنِّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

أي: رَبِّ إِنَّ الْأَصْنَامَ وَالْفِتْنَةَ بِمَا تَرْمِزُ إِلَيْهِ؛ ضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَافْتَتَنُوا بِعِبَادَتِهَا، تَوَهُمًا مِنْهُمْ أَنَّ عِبَادَتَهَا تَنْفَعُهُمْ فِي مَطَالِبِ دُنْيَاهُمْ، أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا.

رَبِّ فَمَنْ تَبِعَنِي عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَاتَّبَعَنِي فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُرْضِيكَ مِنْ عِبَادِكَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَاعَتِي وَمِنْ أُمَّتِي الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِي. وَمَنْ عَصَانِي فَكُفِّرْ، أَوْ عَصَانِي بِمَا هُوَ دُونَ الْكُفْرِ؛

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ تَعْلَمَ أَنَّ حِكْمَتَكَ تَقْتَضِي أَنْ تَغْفِرَ لَهُ، وَإِنَّكَ تُعَاقِبُ بِعَذْلِكَ مَنْ كَفَرَ بِالشَّرِكِ أَوْ بغيرِهِ، إِذْ تَقْتَضِي حِكْمَتُكَ بِأَنْ تُنْزِلَ بِهِ عِقَابَكَ.

طَوَى إبراهيم عليه السَّلام في اللَّفْظِ مَا يُشِيرُ إِلَى الْعِقَابِ، لِعَلِّمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

(٤) ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢٧):

ذَلَّتْ عبارة ﴿رَبَّنَا﴾ عَلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ كَانَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَام، وَرُبَّمَا بَعْضُ أَوْلَادِ وَلَدِهِ.

• إِنِّي أَسْكَنْتُ بَعْضَ ذُرِّيَّتِي مِنْ إِسْمَاعِيلَ، بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، هُوَ وَادِي مَكَّةَ، إِذْ كَانَ خَالِيًا مِنْ زَرْعٍ وَأَشْجَارٍ كَثِيرَةٍ، عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ذِي الْحُرْمَةِ وَالْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمَمْنُوعِ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِ شَرًّا.

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ هُنَا بَعْضَ ذُرِّيَّتِي لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، وَلِيَكُونُوا الْقُدْوَةَ لِلنَّاسِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعِبَادَتِكَ عَلَى مَا يُرْضِيكَ.

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَمِيلُ إِلَى حُضُورِ بَلَدِهِمْ بِقُوَّةٍ كَمَا يَهْوِي شَيْءٌ مَا مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ هَذَا الدُّعَاءَ.

وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، بِأَنْ تُجْلِبَ إِلَى بَلَدِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ، الَّتِي تُنْتَجِ فِي الْبِلَادِ ذَاتِ الزَّرُوعِ وَالثَّمَرَاتِ الْوَفِيرَاتِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدُّعَاءَ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢٧): أي: راجياً أَوْ رَاغِباً أَنْ يَشْكُرُوا نِعَمَكَ الْكَثِيرَةَ عَلَيْهِمْ، بِالْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُرْضِيكَ عَنْهُمْ.

(٥) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: ﴿٣٨﴾

يُثْنِي إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ، لِيَسْتَدِرَّ عَفْوَهُ وَغُفْرَانَهُ، لِنَفْسِهِ وَلِمُشَارِكِيهِ فِي الدُّعَاءِ، أَي: فَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا الَّتِي نَخْفِيهَا وَخَطَايَانَا الَّتِي نُعْلِنُهَا، فَعِلْمُكَ رَبَّنَا مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ.

(٦) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: ﴿٣٩﴾

حَمِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي وَهَبَ لَهُ مَعَ الْكِبَرِ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَوَلَدَهُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ دَعَاؤِهِ، وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: أَي: فَإِذَا شَاءَ رَبِّي بِحُكْمَتِهِ أَنْ يُجِيبَ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ، وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَائِي.

وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِسْمَاعِيلَ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ أَسْبَقُ مِيلَادًا مِنْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَجَاءَ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ أَنَّ «إِسْحَاقَ» وُلِدَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» وَكَانَ عُمُرُ «إِبْرَاهِيمَ» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - (١٠٠ سنة) وَكَانَ عُمُرُ «سَارَةَ» (٩٠ سنة). أَمَّا «إِسْمَاعِيلُ» فَقَدْ وُلِدَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ صَارَ عُمُرُهُ (٨٦ سنة)، فَإِسْمَاعِيلُ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِنَحْوِ (١٥ سنة).

(٧) ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾:

دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ لِنَفْسِهِ بِأَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيمَ الصَّلَاةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهُ إِلْزَامًا أَوْ تَرْغِيبًا، وَدَعَا مِثْلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِ، أَي: لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ.

إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْمَدَاوِمَةُ وَالْمَوَاطَبَةُ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ الْوَفَاءِ بِحُقُوقِهَا.

(٨) ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٤﴾﴾: أي: رَبَّنَا واجْعَلْ دُعَائِي مَقْبُولًا عِنْدَكَ، تَسْتَجِيبُ مِنْهُ مَا تَشَاءُ بِحُكْمَتِكَ السَّيِّئَةِ.

(٩) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٥﴾﴾:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: أي: يَوْمَ تُحَاسِبُ عِبَادَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ دَعَا لِأَبِيهِ بِالْمَغْفِرَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ بِمَوْتِهِ كَافِرًا، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثالثاً: وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِيْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُمَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَكُم مَّسْلُومُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا

وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا إِلَيْهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسِيَ كَيْدَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ :

قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾ (١٢٦) : وقرأ نافع، وابن عامر: [وَاتَّخِذُوا].

المثابة: الموضع الذي يُثَابُ إليه، أي: يُرْجَعُ إِلَيْهِ مَرَّةً فَمَرَّةً.
وَأَمْنَا: أي: وَمَكَانَ آمِنٍ لِمَنْ زَارَهُ أَوْ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَالْمُرَادُ الْكَعْبَةُ وَكُلُّ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ مِنْ حَوْلِهَا.

أي: وَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ أَيُّهَا الْمُتَقِفُونَ لِبَيَانِ رَبِّكُمْ؛ حِينَ جَعَلْنَا بِسُلْطَانِ رُبُوبِيَّتِنَا الْبَيْتَ الْحَرَامَ (= الْكَعْبَةُ الْمَشْرِفَةُ) مَوْضِعاً يَرْجِعُ النَّاسُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ، لِعِبَادَتِنَا عِنْدَهُ بِالطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ وَالِاعْتِكَافِ وَسَائِرِ صُورِ الذِّكْرِ لِصِفَاتِنَا وَأَسْمَائِنَا وَأَفْعَالِنَا الْحَكِيمَةِ، وَآيَاتِنَا الْمُنْزَلَاتِ، وَآيَاتِنَا فِي كَوْنِنَا الَّذِي أَتَقْنَا فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعاً.

وَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ؛ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ وَكُلَّ حَرَمٍ مَكَّةَ مِنْ حَوْلِهِ مَكَانَ آمِنٍ لِّكُلِّ زَائِرِهِ وَقَاصِدِيهِ وَالْمَقِيمِينَ فِيهِ.

وَاتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ الْمُقِيمُونَ فِي مَكَّةَ وَالزَّائِرُونَ، مِنْ قُرْبٍ وَوَرَاءِ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ - الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ حِينَ ارْتَفَعَ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ عَنْ طُولِ قَامَتِهِ، وَهُوَ حَجَرٌ مُنَاسِبٌ جَلَبَهُ إِسْمَاعِيلُ لِأَبِيهِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامَ - لِيَقِفَ عَلَيْهِ؛ اتَّخَذُوهُ مُصَلًّى، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْحَجَرُ لَا يَضِلُّحُ لِأَنَّهُ يَكُونُ حَجْمُهُ مُصَلًّى؛ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ بِأَذْهَانِنَا مِنْ اتِّخَاذِهِ مُصَلًّى أَنْ نُصَلِّيَ وَرَاءَهُ أَوْ فِي مَكَانٍ نُشَاهِدُهُ فِيهِ، لِنَتَذَكَّرَ بَعْدَ الطَّوَافِ شَيْخَ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامَ الصَّالِحِينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَمَلَهُ الْمَجِيدَ الَّذِي بَنَى بِهِ

بَيَّتَ اللَّهُ الْحَرَامَ، وَنُسِّلَ عَلَيْهِ، وَنَقَتَدِي بِهِ فِي صَالِحَاتِ أَعْمَالِهِ، فَمِلَّةُ
الْإِسْلَامِ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ. وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [وَاتَّخَذُوا]: أَي: وَنَقَذَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُسْلِمِينَ هَذَا الْأَمْرَ، فَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.

قول الله تعالى:

﴿... وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾:

﴿وَعَهْدَنَا﴾: يُطْلَقُ الْعَهْدُ عَلَى كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ، وَيُطْلَقُ
عَلَى الْوَصِيَّةِ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى هُنَا: وَوَصَّيْنَا وَأَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - بِأَمْرِ، تَفْسِيرُهُ: طَهِّرَا بَيْتِيَ الْمُحَرَّمِ فِي مَكَّةَ مِنَ
الْأَرْجَاسِ الْمَعْنَوِيَّةِ كَالشُّرْكِ وَظَوَاهِرِهِ وَلَوَازِمِهِ وَكُلِّ مَا يُوصِلُ إِلَيْهِ أَوْ يَكُونُ
دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَرْجَاسِ الْمَادِّيَّةِ، وَهِيَ النَّجَاسَاتُ وَالْأَقْدَارُ وَكُلُّ مَا
تَشْمِزُ مِنْهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَوْسَاحِ، لِئَلَّا يَتَأَثَّرَ بِالشُّرُكِيَّاتِ وَبِالْقَدَارَاتِ
وَالنَّجَاسَاتِ الطَّائِفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ عِبَادَةٌ لِرَبِّهِمْ بِالطَّوَافِ، وَالْعَاكِفُونَ
الْمُلازِمُونَ الْإِقَامَةَ حَوْلَ الْبَيْتِ، يَتَأَمَّلُونَ آلَاءَ رَبِّهِمْ وَيَذْكُرُونَهُ وَيَتْلُونَ آيَاتِهِ.
وَالرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ.

الرُّكَّعُ: جَمْعُ «الرَّاكِعِ»، وَهُوَ الَّذِي يُحْنِي ظَهْرَهُ عِبَادَةً لِرَبِّهِ تَعَالَى.

السُّجُودُ: جَمْعُ «السَّاجِدِ»، وَهُوَ الَّذِي يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ وَيَدَيْهِ وَجَبْهَتَهُ عَلَى
الْأَرْضِ عِبَادَةً لِرَبِّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِبَادَاتِ الطَّوَافِ وَالِاغْتِكَافِ وَالصَّلَاةِ الْمُشْتَمِلَةَ
عَلَى الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؛ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ
السَّابِقَةِ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ.

قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِغُمْ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾:

سَبَقَ فِي النَّصِّ الَّذِي مِنْ سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ/ ٧٢ نزول) أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ دَعَا رَبَّهُ لِأَهْلِ مَكَّةَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ بِأَنْ يَرْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، دُونَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الرِّزْقَ خَاصًّا بِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

أَمَّا فِي هَذَا الدُّعَاءِ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا زَمَنًا عَنِ الدُّعَاءِ السَّابِقِ، إِذْ رَأَى أَنْ لَا يَدْعُو لِلْكَافِرِينَ بِالرِّزْقِ مِنَ الثَّمَرَاتِ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ: وَارْزُقْ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، لِأَنَّهُ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَأُمْتِغُمْ قَلِيلًا مُدَّةَ حَيَاتِهِ الْمَقْدَرَةِ الْمَقْضِيَّةِ لَهُ، ثُمَّ أَجْعَلْهُ بِالْقَهْرِ وَالْجَبْرِ يَوْمَ الدِّينِ مَسُوقًا إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ، وَبِئْسَ هَذَا الْمَصِيرُ الَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ إِلَيْهِ.

أَمَّا الدُّعَاءُ لِمَكَّةَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ بِالْأَمْنِ فَقَدْ كَرَّرَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَرُّرًا تَطَابُقِيًّا.

﴿أَضْطَرُّهُ﴾: أَي: أُلْجِئُهُ بِالْجَبْرِ وَالْقَهْرِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾:

﴿الْقَوَاعِدُ﴾: جَمْعُ «الْقَاعِدَةِ»، وَهِيَ مِنَ الْبِنَاءِ أَسَاسُهُ. وَرَفَعَ الْقَوَاعِدِ

تَطْوِيلُهَا بِالْبِنَاءِ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ مَا فَوْقَهَا جِدَارًا أَوْ جُدْرًا مُتَطَاوِلَةً إِلَى الْأَعْلَى.

أي: وَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ أَثْيَهَا الْمَتَلَقُونَ لآيَاتِ رَبِّكُمْ الْبَيِّنَاتِ؛ وَقَتًا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَرْفَعُ فِيهِ هُوَ وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِمَا السَّلَام - بِأَمْرِ اللَّهِ؛ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ عَلَى الْأُسُسِ الْقَدِيمَةِ، الَّتِي كَانَ الْبِنَاءُ الْقَدِيمُ مَبْنِيًا عَلَيْهَا قَبْلَ انْدِنَارِهِ بِالطُّوفَانِ أَوْ بغيرِهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَنْهَدُمُ بِهَا الْمَبَانِي، وَتَحْتَفِي بِهَا آثَارُهَا.

وَمَعَ قِيَامِهِمَا بِنَاءِ الْكَعْبَةِ بَانِيًا لِجُدْرَانِهَا، وَجَالِبًا لِلْحِجَارَةِ وَمُعَاوِنًا فِي أَعْمَالِ الْبِنَاءِ، كَانَا يَدْعُوَانِ اللَّهَ رَبَّهُمَا قَائِلِينَ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا مَا نَقُومُ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ فِي بِنَاءِ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا نَدْعُوكَ مِنْ دَعَوَاتٍ، وَمَا نَذْكُرُكَ بِهِ مِنْ أَذْكَارٍ وَتَأْمَلَاتٍ بِالْقُلُوبِ وَالْأَفْكَارِ، إِنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ السَّمِيعُ دَوَامًا لِكُلِّ مَا يُسْمَعُ، وَإِنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ الْعَلِيمُ دَوَامًا لِكُلِّ مَا يُعْلَمُ، وَمِنْ ذَلِكَ كُلِّ أَقْوَالِنَا مَهْمَا كَانَتْ خَفِيَّةً، وَكُلُّ أَعْمَالِنَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَهْمَا كَانَتْ خَفِيَّةً.

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا بِتَوْفِيقِكَ لَنَا، وَهَدَايَتِكَ لِلْمُؤَثَّرَاتِ عَلَى اخْتِيَارَاتِنَا؛ مُسْلِمِينَ مُسْتَسْلِمِينَ لَكَ، نَطِيعُكَ بِفِعْلِ مَا تَأْمُرُنَا بِهِ، وَتَرَكْ مَا تَنْهَانَا عَنْهُ، وَنُؤَدِّي مَا تُحِبُّ مِنْهَا بِرَغْبَةٍ وَحُبٍّ لِمَا نُؤَدِّيهِ، فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَبَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَعْدَدْتَ لِلْمُطِيعِينَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ مِنْ ثَوَابٍ جَزِيلٍ، وَمَا أَعْدَدْتَ فِيهِ لِلْعَصَاةِ الْمُذْنِبِينَ مِنْ عِقَابٍ بِالْعَدْلِ.

رَبَّنَا وَاجْعَلْ بَعْضَ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَوْجَبْتَ عَلَى عِبَادِكَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، بِتَحْسِينِكَ الْإِسْلَامَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَبِتَرْزِيئِهِ فِي نَفْسِهِمْ.

رَبَّنَا وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَهِيَ أَعْمَالُ عِبَادَتِنَا لَكَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، بِحَجٍّ

أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، رُؤْيَا بَصَرِيَّةً حَتَّى نُشَاهِدَهَا وَنُقَلِّدَهَا، فَلِإِرَاءَةِ الْبَصَرِيَّةِ أَيْسَرُ طُرُقِ الْمَعْرِفَةِ لِلْأَشْيَاءِ الْعَمَلِيَّةِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي - خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ».

الْمَنَاسِكُ: الْعِبَادَاتُ جَمْعُ «مَنَسَكٍ»، وَاشْتَهَرَ إِطْلَاقُ الْمَنَاسِكِ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَمِنْهَا الذَّبَائِحُ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، لِأَكْلِ مِنْهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَخَدَمُ الْقَوْمِ، وَغَيْرُهُمْ.

رَبَّنَا: وَتُبْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ وَفُيُوضِ عَطَاءَاتِكَ.

تَابَ: هُوَ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى «رَجَعَ»، فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ تَكُونُ بِعَزْمِهِ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَتَوْبَةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ تَكُونُ بِقَبُولِ تَوْبَةِ عَبْدِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى فُيُوضِ عَطَاءَاتِهِ، وَإِعَادَةِ عَبْدِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْقَرَبِ.

﴿... إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧٨): أَي: إِنَّكَ رَبَّنَا أَنْتَ وَحْدَكَ كَثِيرُ التَّوْبَةِ عَلَى عِبَادِكَ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

قول الله تعالى يُتَابِعُ بَيَانَ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُمَا يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٧٩):

أَذْرَكَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْمَكِّيَّ الَّذِي يَأْخُذُ عَنْهُمَا تَعَالِيمَ دِينِ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، عَقَائِدُهُ وَقَوَاعِدُهُ وَمَا يَجِبُ فَعْلُهُ أَوْ يُسْتَحْسَنُ، وَمَا يَجِبُ تَرْكُهُ أَوْ يُسْتَحْسَنُ؛ لَا يَكْفِي لِنَقْلِهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ وَتَتَابِعِ تَبْلِيغِهِ لِلْأَجْيَالِ، وَتَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ.

فَقَالَا فِي دُعَائِهِمَا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِي الْأُمَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي سَوْفَ تَغْظُمُ فِي الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ، قَاعِدَتُهَا ذُرِّيَّةُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَهَذَا

الرَّسُولُ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِكَ الَّذِي سَنَنْزِلُهُ عَلَيْهِ، بِحَسَبِ سُنَّتِكَ فِي جَمِيعِ رُسُلِكَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ الَّذِي سَنَنْزِلُهُ، لِيَحْفَظُوهُ، وَيُحْسِنُوا آدَاءَهُ، وَلِيَفْهَمُوا مِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَقَائِدِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ، وَلِيَكْتُبُوهُ، وَلِيَنْقُلَهُ جِيلٌ إِلَى جِيلٍ مِنْ بَعْدِهِ.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْحِكْمَةَ: وَهِيَ كُلُّ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ مِنْ قَوْلٍ، وَفِعْلٍ، وَخُلُقٍ، وَإِقْرَارٍ. وَأَصْلُ الْحِكْمَةِ وَضْعُ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمَلَائِمَةِ لَهَا.

وَيَرْكَبُهُمْ بِوَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ تَرْكِيبَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْأَرْجَاسِ النَّفْسِيَّةِ وَالْأَرْجَاسِ السُّلُوكِيَّةِ، وَتَرْكِيبَةً تُنْمِيهِمْ بِالْعَمَلِ بِمَرَاضِي اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالتَّزَامِ فَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَالنِّيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وفي آخِرِ دُعَائِهِمَا أَثْنًا عَلَى رَبِّهِمَا بِقَوْلِهِمَا:

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩): أَي: إِنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ رَبَّنَا الْقَدِيرُ عَلَى مَا تَشَاءُ، الْغَالِبُ لِكُلِّ قُوَّةٍ مُضَادَّةٍ أَوْ مُعَارِضَةٍ، الْحَكِيمُ فِي اخْتِيَارَاتِكَ فِي كُلِّ مَا تُقَدِّرُهُ وَتَقْضِيهِ، فَنَحْنُ نَدْعُوكَ وَنُقَوِّضُ لَكَ لِيَتَخْتَارَ بِحُكْمَتِكَ مَا تَشَاءُ.

وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ دُعَاءَهُمَا فَبَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ، مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، فِي مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٥):

رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ: أَي: تَرَكَهُ زَاهِدًا فِيهِ أَوْ كَارِهًا لَهُ، أَوْ مُنْكَرًا، صِدُّ: رَغِبَ فِي الشَّيْءِ، أَي: أَرَادَهُ مُحِبًّا لَهُ، أَوْ مُعْجَبًا بِهِ.

سَفِهَ نَفْسَهُ: أي: حَمَلَهَا عَلَى السَّفِه (وَهُوَ نَقْصَانُ الْعَقْلِ وَالطَّيْشِ)،
بِاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، وَالتَّقَالِيدِ الْعَمِيَاءِ، أَوْ عَلَى تَضْمِينِ فِعْلِ «سَفِهَ» مَعْنَى فِعْلٍ
«خَسِرَ»، وَالتَّقْدِيرِ: سَفِهَ خَاسِراً نَفْسِهِ.

فَالْمَعْنَى: وَمَنْ يَتْرُكْ كَارِهاً أَوْ مُنْكَرًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْقَائِمَةَ عَلَى التَّوْحِيدِ
وَتَبَذَ الشُّرْكَ، وَفِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَالتَّزَامِ الْفَضَائِلِ؛ إِلَّا مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى
«السَّفَاهَةِ بِاتِّبَاعِهِ أَهْوَاءَ نَفْسِهِ وَتَقَالِيدَهُ الْعَمِيَاءَ!!».

اسْتَفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ الطَّائِشِ نَاقِصِ الْعَقْلِ الَّذِي يَخْتَارُ
بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةَ أَنْ يَكُونَ سَفِيهاً.

وَأَتْنَى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ -
اضْطَفَاهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ لِصِفَاتِهِ الْكَمَالِيَّةِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ هَذَا الْاضْطِفَاءَ
وَجَعَلَهُ إِمَاماً، وَجَعَلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكَامِلِينَ فِي صِفَاتِ
الصَّلَاحِ.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعاً الْحَدِيثَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١):

الْإِسْلَامُ: الْإِنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

أي: وَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ أَيُّهَا الْمُبَلَّغُونَ بَيِّنَاتِ رَبِّكُمْ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ
جَوَابَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: «أَسْلِمْ». فَكَانَ جَوَابُهُ السَّرِيعُ دُونَ انْتِظَارِ
وَلَا تَأَخُّرٍ: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» مُنْقَاداً خَاضِعاً مُطِيعاً لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

وَفِي هَذَا تَوْجِيهٍ لِلَّذِينَ يَتَفَاخَرُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَلِلَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ
بِأَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ، أَنْ يَتَّبِعُوهُ فَيُسَلِّمُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنْقَادِينَ، خَاضِعِينَ،
مُطِيعِينَ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، الَّتِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمِ
رُسُلِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، الَّذِي هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّذِي

بَعَثَهُ اللَّهُ بِحُكْمَتِهِ، وَاسْتَجَابَ بِبَعْثِهِ الدُّعَاءَ الَّذِي دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الَّذِي قَالَ فِيهِ: ﴿رَبَّنَا وَأَنْتَ فِيهِمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾. وَسَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ آفَافًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾:

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانُ وَصِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ بِأَنْ يُسْلِمُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصِيَّةِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ بِأَنْ لَا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِلَهًا آخَرَ، وَبَأَنْ يَكُونُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ مُسْلِمِينَ مُنْقَادِينَ خَاضِعِينَ مُطِيعِينَ.

أَي: وَوَصَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنِيهِ بِأَنْ يُسْلِمُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالضَّمِيرُ فِي ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ يَعُودُ عَلَى الْقَضِيَّةِ فِي عِبَارَةِ: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فَهِيَ الْقَضِيَّةُ الْعُظْمَى مِنْ قَضَايَا السُّلُوكِ الدِّينِيِّ فِي رَحْلَةِ امْتِحَانِ اللَّهِ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَقَالَ كُلٌّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِبَنِيهِ: ﴿يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾:

أَي: يَا أَبْنَائِي إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ لَكُمْ وَلِجَمِيعِ النَّاسِ بِالْإِصْطِفَاءِ؛ عَقَائِدَ الْإِيمَانِ وَأَرْكَانَ الْإِسْلَامِ وَسَائِرَ التَّكَالِيفِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَأَمِنُوا بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا، وَأَسْلِمُوا لَهُ مُنْقَادِينَ، خَاضِعِينَ، مُطِيعِينَ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَاسْتَمِرُّوا عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ

طَوَالَ حَيَاتِكُمْ، فَلَا تُبَدِّلُوا وَلَا تُغَيِّرُوا مَا دَامَتْ لَكُمْ أَنْفَاسٌ تَتَنَفَّسُونَهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِذَلِكَ لَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ.

جَاءَتِ الْكِتَابَةُ عَنْ هَذَا بِعِبَارَةٍ: ﴿فَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي: فَلَا تَجْعَلُوا الْمَوْتَ يَنْزِلُ بِكُمْ إِلَّا فِي حَالَةٍ كَوْنِكُمْ مُسْلِمِينَ، وَقَدْ جَاءَ الْاسْتِغْنَاءُ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ عَنِ التَّضْرِيحِ بِأَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ الصَّحِيحَ الْمَقْبُولَ عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى قَاعِدَةِ إِيْمَانٍ صَادِقٍ صَحِيحٍ.

وَاسْتَوْثَقَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَبْنَائِهِ عَنْ طَرِيقِ السُّؤَالِ مِنْهُ وَالْجَوَابِ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ وَصَّاهُمْ:

قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبْنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي وَلِمَنْ تُسْلِمُونَ؟
قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَآلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ مُنْقَادُونَ خَاضِعُونَ مُطِيعُونَ.

وَأَدْخَلُوا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضِمْنَ آبَائِهِ مَعَ أَنَّهُ عَمُّهُ لِكثَرَةِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ «الْأَب» عَلَى الْعَمِّ اخْتِرَامًا وَتَوْقِيرًا، وَلِدُخُولِهِ ضِمْنَ عُمُومِ الْأَبَاءِ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ.

وَلِلتَّوْبِيعِ فِي الْأُسْلُوبِ الْبَيَانِي جَاءَ التَّعْبِيرُ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْأُسْلُوبُ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾، أَي: بَلْ مَا كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمَوْتُ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ فِي السَّاعَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، فَاسْتَوْثَقَ مِنْ بَنِيهِ عَمَّنْ يَعْْبُدُونَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَأَبَانُوا لَهُ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مُوَحِّدُونَ مُسْلِمُونَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

«أَمْ» بِمَعْنَى «بَلْ» مَعَ اسْتِفْهَامٍ، وَالْمُرَادُ بِالْاسْتِفْهَامِ النَّفْيِ مَعَ التَّوْبِيخِ عَلَى الْاِفْتِرَاءِ.

وَفِي بَيَانِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ تَوْبِيخٌ ضَمْنِيٌّ لِلْيَهُودِ الْمُفْتَرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا يَهُودًا. وَلِلنَّصَارَى الْمُفْتَرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا نَصَارَى.

هَذِهِ فَرِيَّةٌ يُكَذِّبُهَا التَّارِخُ، وَيُكَذِّبُهَا الْوَاقِعُ، فَالْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَعْدَهُمْ يَقْرُونَ كَثِيرَةً، فَكَيْفَ تَهُونُ عَلَيْهِمُ الْوَاقِعَةُ الْمَفْضُوحَةُ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى!!؟.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخَاطَبُ مُعَاصِرِي التَّنْزِيلِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بِشَأْنِ افْتِرَائِهِمْ عَلَى مَنْ سَبَقَ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ قَبْلَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٤):

أَي: تِلْكَ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرُّسُلِ الصَّالِحِينَ أُمَّةٌ قَدْ مَضَتْ وَذَهَبَتْ مَعَ انْقِضَاءِ الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الصَّالِحَةُ الْفَاضِلَةُ الْمُسْتَطَفَاءُ لَا يَنْفَعُكُمْ الْإِنْتِمَاءُ إِلَيْهَا مَا لَمْ تَعْمَلُوا مِثْلَ أَعْمَالِهَا، أَوْ تَقْتَدُوا بِهَا، أَوْ تُسَلِّمُوا مِثْلَ إِسْلَامِهَا، وَتُؤْمِنُوا مِثْلَ إِيْمَانِهَا.

هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي سَلَفَتْ فِي تَارِيخِ النَّاسِ، لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ رَبِّهَا، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنْتَمُونَ إِلَيْهِمْ، وَالْمُفْتَخِرُونَ بِهِمْ، وَالْمُفْتَرُونَ عَلَيْهِمْ؛ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَأَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ، وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ يَوْمَ الدِّينِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ؛ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَنْتُمْ، وَتُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا، لِأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ عِنْدَ رَبِّكُمْ مَسْئُولِيَّةُ شَخْصِيَّةٍ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَلَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ صَالِحَاتُ أَعْمَالِهِمْ، فَاطْرَحُوا الْأَوْهَامَ، وَاعْلَمُوا حُدُودَ مَسْئُولِيَّاتِكُمْ وَاعْمَلُوا ضِمْنَ حُدُودِ دَوَائِرِهَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ الْحَدِيثَ عَنْ افْتِرَاءَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٥) قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَلَا إِسْمَاعِيلَ

وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسْتَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٧﴾

أي: وقصر اليهود الهداية على اتباع اليهودية المحرفة التي وصلت إليه إبان تنزيل القرآن، فقالوا لغير اليهود من عرب وغير عرب: كونوا هوداً تهتدوا.

هود: جمع، مفردة «هائد»، أي: كونوا يهوداً.

وقصر النصارى الهداية على اتباع النصرانية المحرفة التي كانت عليه إبان تنزيل القرآن، فقالوا لغير النصارى من عرب وغير عرب: كونوا نصارى تهتدوا.

فادعى كل من الفريقين أنه على الحق، وأن الهداية منحصرة باتباع الملة التي هو عليها، مع أن كلا منهما مُحَرَّفٌ دَخَلَ فِيهِ بَاطِلٌ كَثِيرٌ جَدًّا، وَلَمْ يَبْقَ كَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَا كَمَا أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ عُهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فجاء التكليف الرباني للرسول مُحَمَّد ﷺ، ولكل دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿... قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾:

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ وَيَا كُلَّ دَاعٍ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ خَاتِمَةِ رِسَالَاتِ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: لَا نَكُونُ يَهُودًا وَلَا نَكُونُ نَصَارَى عَلَى مَا فِي هَاتَيْنِ الْمِلَتَيْنِ مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ دَخَلَ إِلَيْهِمَا، وَلَمْ يَبْقَا عَلَى أَصُولِهِمَا الصَّحِيحَةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ نَكُونُ مُتَّبِعِينَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَالَةَ كَوْنِهِ حَنِيفًا مَاثِلًا عَنْ كُلِّ الْأَذْيَانِ الْعُوجَاءِ الْمُجَافِيَةِ لِصِرَاطِ الْحَقِّ وَالرُّشْدِ وَالْهُدَى، وَمُلْتَزِمًا صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَا كَانَ

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَوِي أَخْفَ دَرَكَاتِ الشُّرْكِ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّةِهِ.

إِنَّ الْمِلَلَ الْمُحَرَّفَةَ عَنْ أَصُولِهَا الصَّحِيحَةِ قَدْ صَارَتْ بِالتَّحْرِيفِ بَاطِلَةً، وَهِيَ لَا تَخْلُو مِنْ شِرْكِ فِي إِلَهِيَّةِ اللَّهِ، بِمَا دَخَلَ فِيهَا مِنْ افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ، وَأَمَّا الْمِلَلَ الْوُضْعِيَّةُ فَالشُّرْكَ فِيهَا وَاضِحٌ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّةِ بَعَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ بِطَاعَةِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَجَاءَ التَّكْلِيفُ الرَّبَّانِيُّ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَلَا تَمْلِكُ إِلَّا إِلَهُنَا وَمَا تُشْرِكُ بِهِ إِلَهُنَا وَلَا يَتَّبِعُهُ أَتَابِعٌ﴾
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾:

إِنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ الْحَقُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا؛ مَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الصَّادِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ذِكْرُ بَعْضِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ كُتُبًا أَوْ صُحُفًا وَتَعَالِيمَ وَبَيِّنَاتٍ، وَجَاءَ فِيهَا ذِكْرُ سَائِرِ النَّبِيِّينَ إِجْمَالًا.

وجاء في الآية التَّنْوِيعُ فِي التَّغْيِيرِ فِي «وَمَا أُنْزِلَ» و«مَا أُوتِيَ» بِفَنِّيَّةٍ بِلَاغِيَّةٍ لِإِنَارَةِ الْاِتِّبَاهِ، وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ، فَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ لَدُنِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

وَأَرَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾: الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَوْلَادٍ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْلَادِ أَوْلَادِهِ تَسْلُسُلًا مَعَ الْأَجْيَالِ، فَقَدْ قَطَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ائْتَنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا، وَكَانَ فِيهِمْ رُسُلٌ وَأَنْبِيَاءٌ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ/٧ مِصْحَفِ/٣٩ نَزُولِ):

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ ائْتَنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ...﴾ ﴿١٦٦﴾.

وَلَا أَرَى أَنَّ اسْمَ «الْأَسْبَاطِ» خَاصٌّ بِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، فَقَدْ
أَوْقَعَ هَذَا التَّخْصِصُ فِي وَهْمٍ أَنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ أَنْبِيَاءُ، وَلَا دَلِيلَ
عَلَى نُبُوَّةِ غَيْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ، فَهُوَ نَبِيُّ وَرَسُولٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أَي: لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ وَغَيْرِهِ
مِنْهُمْ، طَوِيَتْ عِبَارَةٌ: «وغيره» إِبْجَازاً، لِسُهُولَةِ اسْتِخْرَاجِهَا بِقَلِيلٍ مِنْ
التَّأَمُّلِ، إِذْ لَفْظُ «أَحَدٍ» مُفْرَدٌ غَيْرُ قَابِلٍ لِلتَّفَرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ.

وَالْمُرَادُ بِنَفْيِ التَّفَرِيقِ: نَفْيُ التَّفَرِيقِ فِي الْإِيمَانِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
الْإِيمَانُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُسَاوِياً لِلْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنْهُمْ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مُصْطَفًى
مِنَ اللَّهِ.

أَمَّا فِي التَّفْصِيلِ فَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَ الرُّسُلِ وَبَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَى بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَمِنْهَا الْاِتِّبَاعُ فِي الشَّرَائِعِ
وَالْأَحْكَامِ، إِذْ نَحْنُ مُكَلَّفُونَ أَنْ نَتَّبِعَ آخِرَ تَنْزِيلِ رَبَّانِيٍّ، وَهُوَ مَا أُنْزِلَ عَلَى
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، إِذَا كَانَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مُخَالَفاً لِمَا أُنْزِلَ عَلَى
رَسُولٍ قَبْلِهِ، فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُؤْمِنَ بِذَلِكَ الرَّسُولِ إِيْمَاناً اِعْتِقَادِيّاً، وَأَنْ
نَعْمَلَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ الْخَاتَمِ لِرُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ ﷺ.

وَجَاءَ التَّغْلِيْقُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْاِثْنَيْنِ (١٣٥) وَ(١٣٦) بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن لَّوَلُوا فَلَا تَافُتُ فِي شِقَاقِي
سَيِّئِكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧) :

أَي: فَإِنْ آمَنَ الْمُقْصُودُونَ بِالْعِلَاجِ فِي هَذِهِ الْاَيَاتِ بِمِثْلِ مَا أَعْلَنْتُمْ
الْإِيمَانَ بِهِ كَمَا عَلَّمْنَاكُمْ؛ فَقَدْ اهْتَدَوْا، إِذْ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ دُخُولَ أَوَّلِ
أَبْوَابِ الْهِدَايَةِ، وَهُوَ بَابُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ الصَّحِيحِ.

وَإِنْ تَوَلَّوْا مُذَبِّرِينَ مُتَّبَعِينَ غَيْرَ مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ، فَمَا هُمْ إِلَّا فِي شِقَاقٍ.

الشَّقَاقُ: الْعَدَاوَةُ وَالْخِلَافُ، وَيُلْزَمُ عَنْهُمَا تَذِيرُ الْمَكَائِدِ الْحَرْبِيَّةِ. يُقَالُ لُغَةً: «شَاقَهُ، مُشَاقَّةً، وَشِقَاقًا»، أَي: خَالَفَهُ وَعَادَاهُ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الشَّقَاقُ: الْعَدَاوَةُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، وَالْخِلَافُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، سُمِّيَ ذَلِكَ شِقَاقًا: لِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ فَرِيقَتِي الْعَدَاوَةِ قَصَدَ شِقًا، أَي: نَاحِيَةً غَيْرَ شِقِّ صَاحِبِهِ.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ لَوَازِمِ الشَّقَاقِ فِي الْعَلَاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ تَذِيرُ الْمَكَائِدِ؛ وَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَكْفِيهِمْ مَكَائِدَ أَعْدَائِهِمْ وَشُرُورَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... نَسَيِّئُكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾، أَي: السَّمِيعُ لِمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ ضِدَّكُمْ، الْعَلِيمُ بِمَا يُدَبِّرُونَ مِنْ أَعْمَالٍ يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِضْرَارَ بِكُمْ، وَمُقَاوَمَةَ دَعْوَتِكُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَالسَّمِيعُ لِدُعَائِكُمْ أَنْ يَكْفِيَكُمْ مَكَائِدَهُمْ وَشُرُورَهُمْ، وَالْعَلِيمُ بِمَا تَقُومُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تُرْضِيهِ، وَمِنْهَا مُجَاهَدَتُكُمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ الْحَقِّ، وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وجاء في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) نَظِيرُ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (١٣٦) مِنْ سُورَةِ (البقرة/ ٨٧ نزول) وَسَبَقَ تَدْبِيرُهَا، أَمَّا التَّعْلِيقُ الرَّبَّانِيُّ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٨٩ نزول) فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٨٥﴾:

ومعلومٌ أَنَّ الْإِسْلَامَ لِلَّهِ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهَ بِهِ أَتْبَاعَ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الفصل العاشر

أهل الكتاب ومزاعمهم بشأن إبراهيم عليه السلام

زَعَمَ الْيَهُودُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَزَعَمَ النَّصَارَى أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَهُمَا زَعَمَانِ بَاطِلَانِ سَاقِطَانِ مُنَاقِضَانِ لِلوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ، فَالْيَهُودِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَابِقٌ لَهُ فِي التَّارِيخِ بِأَكْثَرٍ مِنْ (٤٠٠ سنة)، وَالنَّصْرَانِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَابِقٌ لَهُ فِي التَّارِيخِ بِأَكْثَرٍ مِنْ (١٨٠٠ سنة)، وَمَدُّوا أَكْذُوبَتَهُمْ هَذِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. أَفَيُنْسَبُ السَّابِقُ فِي تَارِيخِ الْوُجُودِ إِلَى الْآلِاحِقِ؟! إِنَّ هَذَا لِأَمْرٌ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ، يَشْتَمِلُ عَلَى بَاطِلٍ مَفْضُوحٍ وَوَقَاحَةٍ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَخْسِ النَّاسِ وَأَرَادِلِهِمْ.

■ وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي هَذَا الشَّانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَتَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

فَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ وَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ إِفْنَاعَهُمْ بِأَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: أَنَّ اللَّهَ أَبَانَ فِيمَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ ﷺ؛ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ، وَكَانَ حَنِيفًا مَائِلًا عَنْ كُلِّ الْمِلَلِ الْبَاطِلَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، بَلْ كَانَ مُسْلِمًا لِلَّهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ، مُتَقَادًا لِرَبِّهِ تَعَالَى، خَاضِعًا لَهُ، مُطِيعًا لَهُ فِي كُلِّ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

فَهَلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَا أُنْزِلَ فِي

كِتَابِهِ بِشَأْنِهِ، وَيَشَأْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَمَلَّتِيهِمَا، أَمْ اللَّهُ الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ، وَالْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا؟؟.

الأمر الثاني: إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ وَجُودُهُ فِي التَّارِيخِ؛ أَسْبَقَ مِنْ وَجُودِ الْيَهُودِ، وَمِنْ وَجُودِ مِلَّةٍ تُسَمَّى الْيَهُودِيَّةَ، وَأَكْثَرَ سَبْقًا مِنْ وَجُودِ النَّصَارَى، وَمِنْ وَجُودِ مِلَّةٍ تُسَمَّى النَّصْرَانِيَّةَ، فَكَتَمْتُمْ الشَّهَادَةَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا تَخْفَى، وَادَّعَيْتُمْ نَقِيضَهَا، فَرَعَمْتُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - السَّابِقَ فِي الوجودِ تَابِعٌ مِنْ أَتْبَاعِ الْيَهُودِ، أَوْ تَابِعٌ مِنْ أَتْبَاعِ النَّصَارَى، فَأَنْتُمْ بِهَذَا قَدْ ارْتَكَبْتُمْ كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الظُّلْمِ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ، لِمَا فِيهِ مِنْ افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكُنْتُمْ شَهَادَةً هِيَ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ رَبِّكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ كُتُبٍ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ؟﴾، إِنَّهُ قَدْ يُوْجَدُ مُشَارِكٌ لَهُ فِي دَرَكَةِ الظُّلْمِ، وَلَكِنْ لَا يُوْجَدُ أَظْلَمُ مِنْهُ، فَالظُّلْمُ الْمَتَعَلِّقُ بِحَقُوقِ ذَاتِ اللَّهِ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَعْمَالِهِ أَوْ أَحْبَارِهِ أَوْ بَيِّنَاتِهِ؛ مِنْ دَرَكَةٍ سَحِيقَةٍ سَوَاءً.

﴿... وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧١): أي: فَتَرَقَّبُوا عِقَابَهُ الشَّدِيدَ عَلَى ظُلْمِكُمُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ، وَقَدْ ادَّخَرَهُ لَكُمْ فَهُوَ نَازِلٌ بِكُمْ لَا مَحَالَةَ يَوْمَ الدِّينِ، إِلَّا إِذَا تُبْتُمْ، وَأَمَنْتُمْ بِالْحَقِّ، وَسَأَلْتُمْ رَبَّكُمْ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ.

■ وَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يُرَدِّدُونَ أَكْذُوبَتَهُمْ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَالْيَهُودُ اسْتَمَرُّوا عَلَى تَرْذِيدِ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَالنَّصَارَى اسْتَمَرُّوا عَلَى تَرْذِيدِ أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا؛ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ وَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا

مِنْ بَعْدُوهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلْذِّينِ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: نِدَاءٌ يُوجَّهُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَهُمْ الْمَعْرُوفُونَ فِي النَّاسِ قَبْلَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَزَلَّتِ السَّانِيَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدُوهُ﴾؟:

أي: لِمَ تُجَادِلُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - مُقَدِّمِينَ فِي جِدَالِكُمُ الْحُجَجِ الْبَاطِلَةِ السَّاقِطَةِ، إِذْ يَزْعُمُ الْيَهُودُ مِنْكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَيَزْعُمُ النَّصَارَى مِنْكُمْ أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَالْحَالُ أَنَّ التَّوْرَةَ الَّتِي يَعْتَبِرُهَا الْيَهُودُ مَضْدَرُ الْيَهُودِيَّةِ، وَالْإِنْجِيلَ الَّذِي هُوَ الْمَضْدَرُ الْأَوَّلُ لِلنَّصْرَانِيَّةِ؛ لَمْ يُنْزِلْهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِزَمَنِ طَوِيلٍ؟!، فَمَا قِيَمَةُ مُجَادَلَتِكُمْ وَمُحَاجَّتِكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَاطِلَةِ السَّاقِطَةِ!؟.

كُفُّوا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ هَذَا الْهَرَاءِ، وَدَعُوا هَذِهِ السَّفَاهَةَ.

﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾: أي: أَفْتَصِرُّونَ عَلَى الْبُهْتَانِ الْمُبِينِ الْمَفْضُوحِ، فَلَا تَعْقِلُونَ عَقْلًا عِلْمِيًّا حَقِيقَةً مَا أَنْتُمْ تَفْتَرُونَهُ، وَلَا تَعْقِلُونَ عَقْلًا إِرَادِيًّا نُفُوسَكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالْمَكَابِرَةِ فِي الْبَاطِلِ بِعِنَادٍ وَوَقَاحَةٍ وَسَفَاهَةٍ!!؟.

﴿هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾:

﴿هَكَأَنْتُمْ﴾: «ها» حَرْفُ تَنْبِيهِ. «أَنْتُمْ» مُبْتَدَأٌ.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: «ها» حَرْفُ تَنْبِيهِ. «أُولَءِ» اسْمُ إِشَارَةٍ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ.

﴿حَبَجْنَاهُ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي: جَادَلْتُمْ جِدَالًا بِالْبَاطِلِ فِيمَا لَكُمْ بِهِ أَصْلُ عِلْمٍ يُسَوِّغُ لَكُمْ أَنْ تُجَادِلُوا بِشَأْنِهِ، مُتَّخِذِينَ ذَرَائِعَ تُمْكُنْكُمْ مِنْ أَنْ تُرَاوِغُوا بِهَا، مُبْتَعِدِينَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْ تَضَعُوا عَلَيْهَا طِلَاءً مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ، وَأَنْ تُؤَوَّلُوا بِهَا نُصُوصَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَمَا يَحُلُّو لَكُمْ وَيُحَقِّقُ لَكُمْ مَا تُرِيدُونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزِينَتِهَا.

﴿فَلَمْ تَعَاوَنْ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾؟! : أي: فَلِمَ تَتَّخِذُونَ الْجِدَالَ وَتَقْدِيمَ الْحُجَجِ الْبَاطِلَةِ دَيْنَكُمْ، حَتَّى فِي الْقَضَايَا الَّتِي تَجْهَلُونَهَا وَلَيْسَ لَكُمْ بِهَا عِلْمٌ مُطْلَقًا، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَمَّا يَهْمُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ، فَصَارَ الْجِدَالُ وَالْاِخْتِجَاجُ بِالْبَاطِلِ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ الْمَلَاذِمَةِ لَكُمْ، وَعَادَةً مِنَ الْعَادَاتِ الَّتِي تَجِدُونَ فِي مُمَارَسَتِهَا لَذَّةٌ مِنْ لَذَاتِكُمْ، فَأَنْتُمْ تَلْهُونَ بِالْجِدَالِ وَتَلْعَبُونَ، لَا تَقْصِدُونَ بِهِ إِحْقَاقَ حَقٍّ وَلَا إِبْطَالَ بَاطِلٍ، بَلْ قَدْ يَسْرُكُم بِهِ أَنْ تُبْطِلُوا حَقًّا، وَأَنْ تُحَقِّقُوا بَاطِلًا؟! . إِنَّكُمْ تَجْعَلُونَ الْمُحَاجَجَةَ بِالْبَاطِلِ مَلْهَاءً مِنْ مَلَاهِيكُمْ، عَلَى خِلَافِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ وَالْفَضْلِ وَالْحِكْمَةِ.

﴿... وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦): أي: وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَعْلَمُ مَا تُضْمِرُهُ نَفُوسُكُمْ، وَمَا تَسْتَحْفُونَ بِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَمَا تَقْصِدُونَهُ مِنْ جَدَلِيَّاتِكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مِقْدَارَ مَا أَخْفَاهُ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، يُنْزِلُهُ بِكُمْ يَوْمَ الدِّينِ جَزَاءً كُفْرِكُمْ.

وَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ التَّعْلِيمِيِّ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، تَوَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧):

أي: إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا يُنَبِّئُكُمْ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - الَّذِي اجْتَبَاهُ وَاضْطَفَاهُ، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ النَّبُوَّةَ

وَالْكِتَابِ؛ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا كَمَا يَزْعُمُ الْيَهُودُ، وَلَا نَصْرَانِيًّا كَمَا يَزْعُمُ النَّصَارَى، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مَائِلًا عَنْ كُلِّ الْمِلَلِ الْبَاطِلَةِ، وَمُلتَزِمًا صِرَاطَ رَبِّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَكَانَ مُسْلِمًا لِرَبِّهِ إِسْلَامًا كَامِلًا، مُنْقَادًا، خَاضِعًا، مُطِيعًا طَاعَةً تَامَةً لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ. وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَيْ شِرْكَ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ:

﴿إِنَّ أَوَّلَى الْنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أَي: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالِافْتِحَارِ بِهِ، وَمُؤَالَاتِهِ، وَمُنَاصَرَةِ مِلَّتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؛ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ كِاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَإِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِوِلَايَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ يَشْمَلُهُمْ بِوِلَايَتِهِ، إِذْ هُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - وَلِيُّ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

أَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ شَرًّا.

الْوَلِيُّ: النَّاصِرُ، وَالْمُجِبُّ، وَالْمُعِينُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمَنْعُمُ.



الفصل الحادي عشر

الإسلام امتداد لِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: تَكْلِيفُ الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِأَنْ يَقُولَ مُعْلِنًا أَنَّهُ امْتِدَادُ لِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَام/ ٥ مصحف/ ٥٥ نزول) خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾:

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ يَا مَنْ جَعَلْنَاكَ خَاتِمَ الْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا انْتِوَاءَ، حَالَةً كَوْنُهُ دِينًا مُشْتَمِلًا عَلَى مَبَادِيٍّ وَحَقَائِقٍ وَفَضَائِلٍ وَمَحَاسِنَ، وَضَوَائِبَ لِلسُّلُوكِ النَّفْسِيِّ وَالْجَسَدِيِّ قِيَمَةً، أَي: مُسْتَقِيمَةً اسْتِقَامَةً تَامَةً، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا قِيَمَةٌ فَذَّةٌ، تُقَوِّمُ بِهَا مَا يَقْتَرِحُهُ النَّاسُ مِنْ بَدَائِلَ، فَتُكْشِفُ مَا فِيهَا مِنْ نَقْصٍ وَعُيُوبٍ وَمُخَالَفَاتٍ لِمَا تَقْتَضِيهِ سَعَادَةُ النَّاسِ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَمِيعُهَا قِيَمٌ عَظِيمَةٌ مُتَّصِفَةٌ بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ. وَحَالَةً كَوْنُهُ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وَكَوْنُ مَا جَاءَ بِهِ خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ ﷺ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ بَاغْتِبَارُ أَنَّ دِينَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَاحِدٌ فِي أَصُولِهِ وَعَقَائِدِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَكُلِّيَّاتِهِ السُّلُوكِيَّةِ.

وَفِي هَذَا إِغْلَامٍ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ بِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُخَالِفٌ لِمَا وَرِثَهُ أَجْدَادُهُمُ الْأَقْدَمُونَ، مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

ثَانِيًا: تَكْلِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَدْعُو أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَى اتِّبَاعِ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٩٥﴾.

ثَالِثًا: أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ اتِّبَاعَ الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْخَاتِمَةِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الشورى/ ٤٢ مصحف/ ٦٢ نزول):

﴿وَصَيَّنَّا يَهُدَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾:

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الَّذِي شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ؛ شَامِلٌ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَكِنْ أَضَافَ إِلَى مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَوْحَاهُ إِلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، فَخَصَّهُ فِيهِ بِزِيَادَاتٍ عَلَى مَا أَوْصَى بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ شُمُولِهِ مَا وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَيُظْهِرُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالذِّكْرِ، إِذْ خَصَّ كُلًّا مِنْهُمْ بِوَصَايَا فِيهَا زِيَادَاتٌ عَلَى مَا جَاءَ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَزَادَهُ مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ.

وَنُوصِيكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ بِأَنْ تُقِيمُوا الدِّينَ بِالْمُوَظَّعَةِ عَلَى مَا أَمَرَكُمُ رَبُّكُمُ فِيهِ، وَأَنْ تَجْعَلُوهُ مُسْتَقِيمًا عَلَى صِرَاطِ رَبِّكُمُ، وَنُوصِيكُمُ بِأَنْ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ إِلَى أَحْزَابٍ وَفِرَقٍ وَمَذَاهِبٍ.

﴿... كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ...﴾: أَي: كَبُرَ عَلَى نَفُوسِ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِمَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَشَقَّ وَثَقُلَ عَلَيْهِمْ تَحْمَلُهُ إِذْ رَأَوْهُ شَيْئًا كَبِيرًا.

﴿... اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾: أَي: اللَّهُ يَضْطَفِي مُقَرَّبًا إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَشِيئَتَهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، فَمَنْ يَغْتَرِضُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى اجْتِبَاءِ اللَّهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَهُوَ جَاهِلٌ بِحِكْمَةِ رَبِّهِ أَوْ جَا حِدْ لَهَا.

﴿... وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣): أَي: وَيَهْدِي إِلَى سُلُوكِ السَّبِيلِ الْمُوَصِّلِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَنَازِلِ الْقُرْبِ إِلَيْهِ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ أَنَا فَأَنَا.

رابعاً: خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى
 فِي سُورَةِ (الْمُمْتَحِنَةِ/ ٦٠ مصحف/ ٩١ نزول):

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ
 مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا
 حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لِاسْتَعِيزَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 وَاعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ
 يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾﴾

• قرأ عاصم: [أُسْوَةٌ] بِضَمِّ الهمزة. وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقِرَاءَةِ العشرة:
 [إِسْوَةٌ] بِكسْرِ الهمزة. وَهُمَا لُغَتَانِ.
 الْأُسْوَةُ: الْقُدْوَةُ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ.

لَمَّا بَلَغَ الْخِلَافَ وَالصَّرَاعُ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
 مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ ذُرْوَتَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَصَارَ التَّعَايُشُ بَيْنَ
 الْقَرِيبَيْنِ أَمْرًا صَعْبًا، وَتَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْهِجْرَةِ وَمُفَارَقَةِ قَوْمِهِ
 وَبِلَادِهِمْ وَجَمِيعِ أَرْضِهِمْ، وَرُبَّمَا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَتَهَاجِرُ يَا إِبْرَاهِيمَ أَنْتَ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ بَلَدِكَ وَتَفَارِقُ قَوْمَكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ: إِنَّا
 بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أَي: كَفَرْنَا بِأَنَّكُمْ مِنْكُمْ وَبِأَنَّكُمْ مِنَّا، فَلَا وِلَايَةَ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ، وَكَفَرْنَا بِأَنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقَّ الْقَوْمِيَّةِ أَوْ حَقَّ الْقَرَابَةِ أَوْ حَقَّ
 الْمُواطَنَةِ، وَكَفَرْنَا بِمَا تُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْ بَاطِلٍ.

﴿... وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ...﴾:

أَي: فَتَحْنُ أَعْدَاؤَكُمْ وَأَنْتُمْ أَعْدَاءُ لَنَا، وَنَحْنُ نُبْغِضُكُمْ بُغْضًا أَبَدِيًّا،
 حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَنَا لِأَنَّنا نَقَاوُمُ شِرْكَكُمْ،
 وَنُحَظِّمُ أَصْنَامَكُمْ.

هَذَا الْمَوْقِفُ الْإِيمَانِيُّ الْعَظِيمُ، مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنَ الَّذِينَ مَعَهُ، الْمَقْرُونُ بِصَلَابَةِ جِهَادِيَّةٍ وَقُوَّةٍ عَزِيمَةٍ؛ مَوْقِفٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَصِفِينَ بِهِ قُدْوَةً حَسَنَةً لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ. فَأَوْصَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي الرُّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ بِأَنْ يَتَّخِذُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِينَ مَعَهُ أُسْوَةً حَسَنَةً لَهُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْإِيمَانِيِّ الْجِهَادِيِّ الْعَظِيمِ. وَكَانَ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَدَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ مُشْرِكِي مَكَّةَ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ، وَقَامَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ وَعَزَوَاتٌ، وَصَارَتْ لِلْمُسْلِمِينَ دَوْلَةٌ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ حِينَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ ضِعْفَاءَ وَتَحْتَ سَطْوَةِ قُوَّةِ الْمُشْرِكِينَ، وَاضْطَهَادِهِمْ لَهُمْ.

وَلَيْلًا يَقْتَدِي الْمُسْلِمُونَ بِالْخَطَأِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ وَعَدَ أَبَاهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ مَعَ أَنْ أَبَاهُ كَانَ كَافِرًا لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ وَلَدِهِ لَهُ أَنْ يَنْبِذَ الشِّرْكَ وَالْأَصْنَامَ، وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبُّوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ:

﴿... إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ...﴾: أَي: فَلَا تَقْتَدُوا بِهِ فِي هَذِهِ أَخْذًا بِعُمُومِ تَوْصِيَّتِنَا لَكُمْ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، فَنَحْنُ لَا نُبِيحُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِكَافِرٍ.

وفي النَّصِّ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾:

أَي: مَا كَانَ مُبَاحًا لِلنَّبِيِّ وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا، وَمَا كَانَ مُبَاحًا لِلَّذِينَ آمَنُوا،

فِي كُلِّ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ عَلَيْنَا؛ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْكَافِرِينَ
أَعْدَاءَنَا مِنْ ذَرَكَةِ أَهْوَنِ الشَّرِكِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ ذَرَكَاتِ الْكُفْرِ، وَلَوْ كَانُوا
أُولَى قُرْبَى، كَأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
بِالْمَوْتِ أَوْ بِالْإِضْرَارِ الْعَنِيدِ عَلَى الْكُفْرِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، بِسَبَبِ
كُفْرِهِمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عُذْرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اسْتِغْفَارِهِ لِأَبِيهِ
الْمَشْرِكِ؛ بِأَنَّهُ كَانَ بِسَبَبِ مَوْعِدَةٍ سَبَقَ أَنْ وَعَدَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ
بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، طَمَعاً مِنْهُ فِي أَنْ يُؤْمِنَ وَيُسْلِمَ بَعْدَ طُولِ مُعَالَجَةٍ وَمُعَاشَرَةٍ
بِالْمَعْرُوفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا
فَعَلَ مُحَالِفاً حُكْماً شَرْعِيّاً كَانَ قَدْ تَبَلَّغَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَمَا فَعَلَهُ كَانَ
اجْتِهَاداً مِنْهُ لَمْ يُوَافِقْ فِيهِ وَجْهَ الصَّوَابِ.

وأخيراً أَكَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الثَّنَاءَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِأَنَّهُ أَوَّاهٌ
حَلِيمٌ.

الأَوَّاهُ: أي: الرحيم، الرقيق القلب، الكثير الحُزْنَ الَّذِي يَتَأَوَّهُ كَثِيراً
مِنَ الشَّفَقَةِ، أَوْ عِنْدَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَيُلَازِمُ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَثْرَةُ
التَّضَرُّعِ لِلَّهِ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَحَابِّهِ.

حَلِيمٌ: أي: كثير الحِلْمِ وَالْأَنَانَةِ، بَطِيءُ الْغَضَبِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ هِيَ
مِنْ صِفَاتِ عُظَمَاءِ الرُّجَالِ.

خامساً: وَخَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا أَتْبَاعَ الرَّسُولِ
مُحَمَّدٍ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَوَاتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ :

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَتْبَاعِ الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْخَاتِمَةِ؛ أَنَّهُ مَا جَعَلَ
عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ خَاتَمَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ حَرَجٍ مَا،
أَي: مِنْ ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ فِي التَّكَالِيفِ، بَلْ فِيهِ فُسْحَةٌ وَيُسْرٌ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ أَنَّ هَذَا الدِّينَ الَّذِي لَا حَرَجَ فِيهِ هُوَ مِلَّةُ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ سَمَاهُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ دَعَا رَبَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَكَ وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ :

فَالْإِسْمَاعِيلِيُّونَ مِنَ الْعَرَبِ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ، فَإِذَا أَضْفْنَا إِلَى هَذَا قَوْلُهُمَا فِي دُعَائِهِمَا عَقِبَ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ:

﴿رَبَّنَا وَأَنْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ .

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الرَّسُولُ رَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ
أَنَّ اسْمَ الْمُسْلِمِينَ تَسْمِيَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُلِّ مُتَّبِعِي الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ
الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا مُحَمَّدًا ﷺ.

أَمَّا كَوْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبًا لِكُلِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا أَتْبَاعِ الرَّسُولِ
الْخَاتِمِ ﷺ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ، فَالْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ هُمْ ذُرِّيَّةُ إِسْمَاعِيلَ،
فَأَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَذُرِّيَّةُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمُ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَبَقَايَا أَهْلِ مَدْيَنَ أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُلُّ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ مِنْ سَائِرِ شُعُوبِ الْأَرْضِ يُعْتَبَرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَثَابَةِ أَبِي لَهُمْ يَفْتَدُونَ بِهِ وَيَتَّبِعُونَ مِلَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرِيصًا عَلَى تَخْلِيصِ النَّاسِ جَمِيعًا مِنَ الشُّرْكِ وَمِنْ كُلِّ صُورِ الْكُفْرِ، وَعَلَى نَجَاتِهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

التدبر السريع للنص:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْكُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٢﴾:

الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ أَبْرَزُ الْأَرْكَانِ الْعَمَلِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ، فَجَاءَ الْاِقْتِصَارُ عَلَى ذِكْرِهِمَا، وَالْمَقْصُودُ سَائِرُ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ الْقَوْلِيَّةِ، وَالْقَلْبِيَّةِ، وَالْجَسَدِيَّةِ. ﴿وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ﴾: أَي: وَاخْضَعُوا لِرَبِّكُمْ وَأَطِيعُوهُ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا يُرْضِيهِ مِنْ عِبَادَاتٍ، وَاجِبَاتٍ أَوْ مَنُودَاتٍ، فِي سُلُوكِكُمْ النَّفْسِيَّ وَالْفِكْرِيَّ وَالْجَسَدِيَّ وَالْمَالِيَّ، وَاجْعَلُوا عِبَادَتَكُمْ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿وَأَقْكُوا الْخَيْرَ﴾: أَي: وَافْعَلُوا مَا هُوَ خَيْرٌ تَتَّقُوا الْعُقُولُ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ، وَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ بَيَانٌ خَاصٌّ مِنْ رَبِّكُمْ، كإِقَامَةِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ، وَتَذْلِيلِ الطَّرْفَاتِ وَشَقِّهَا، وَبِنَاءِ الْجُسُورِ، وَمَشَارِيعِ الْمِيَاهِ وَالرِّيِّ النَّافِعَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُحْصَى، وَتَتَّقُوا الْعُقُولُ السَّلِيمَةَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٢﴾: أَي: رَغْبَةً مِنَّا فِي أَنْ تُفْلِحُوا، وَرَجَاءَ مِنْكُمْ فِي أَنْ تُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ.

الْفَلَاحُ: الظَّفَرُ بِمَا هُوَ مَحْبُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ، وَالْفَوْزُ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَأَضْلُ الْفَلَاحِ الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

مِنْ حَرْجٍ قِلَّةٍ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ :

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أي: وَجَاهِدُوا فِي الْعَمَلِ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَائِمِينَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ،
الْجِهَادَ الصَّادِقَ الْمُخْلِصَ الْمُحَقَّقَ لِمَا يَطْلُبُهُ اللَّهُ مِنْكُمْ مِنْ مُجَاهَدَةٍ، فَهَذَا
هُوَ حَقُّ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الجهاد: بذلُ غَايَةِ الطَّاقَةِ لَدَى الْقِيَامِ بِعَمَلٍ مَا، كَأَنَّ الْعَمَلَ وَاقِعٌ بَيْنَ
مُتَصَارِعِينَ مُتَعَالِبِينَ.

حَقُّ الْجِهَادِ: أي: الْجِهَادُ الْحَقُّ، فَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى
المَوْصُوفِ، وَالْجِهَادُ الْحَقُّ: هُوَ الصَّادِقُ الْمُخْلِصُ الَّذِي تُبْذَلُ فِيهِ غَايَةُ
الطَّاقَةِ.

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: أي: اللَّهُ هُوَ الَّذِي اصْطَفَاكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، يَا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ أَتْبَاعَ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، فَجَعَلَكُمْ مِنْ بَيْنِ
سَائِرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لَكُمْ الْأُمَّةَ الْمُصْطَفَاةَ، الْمَكْلَفَةَ أَنْ تَحْمِلُوا رِسَالَةَ
مُحَمَّدٍ ﷺ وَتُبَلِّغُوهَا لِلنَّاسِ، كَمَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قِلَّةٍ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: سَبَقَ آيَةً تَدْبُرُ هَذَا الْبَيَانَ.

﴿وَفِي هَذَا﴾: أي: وَفِي هَذَا الدِّينِ الْخَاتِمِ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ
رَبُّكُمْ لَكُمْ.

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: أي: اجْتَبَى
رَسُولَكُمْ ﷺ لِلنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ؛ لِيَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا عَلَى مَنْ
تَبَلَّغَ مِنْكُمْ مَا أَمَرَ ﷺ بِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ، وَقَضَايَا دِينِ اللَّهِ

لِعِبَادِهِ، وَلِتُبْلَغُوا أَنْتُمْ مَا تَبَلَّغْتُمُوهُ مِنْ رَسُولِكُمْ ﷺ، أَوْ تَبَلَّغْتُمُوهُ بِالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ عَنْهُ ﷺ، جِيلاً فَجِيلاً، وَلِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فِيمَا بَلَّغْتُمُوهُمْ إِيَّاهُ، فَقَدْ جَعَلَكُمْ اللَّهُ بِاجْتِبَائِهِ لَكُمْ شُهوداً عُدُولاً، تُقْبَلُ شَهَادَتُكُمْ عَلَى النَّاسِ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فِيمَا أَدَّيْتُمُوهُ مِنْ بَلَاغٍ.

وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَهَاوُنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَبْلِيغِ دِينِ رَبِّهَا تَعَالَى لِلنَّاسِ؛ مَعْصِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ بِتَرْكِ فَرَضٍ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ عَلَيْهَا.

﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: هَذَانِ الرُّكْنَانِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ قَدْ أَوَّلَاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنَايَةً عَظِيمَةً بِتَكْرِيرِ الْأَمْرِ بِهِمَا فِي كِتَابِهِ.

﴿وَاَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾: أَي: وَالتَّجِئُوا إِلَى اللَّهِ مُتَّحِدِينَ، وَاحْتَمُوا بِحِمَاةِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِسْلَامِ لَهُ، وَالْعَمَلِ بِمَرْضِيهِ مَعَ كَمَالِ التَّوْحِيدِ، لِيَعَصِمَكُمْ وَيَحْفَظَكُمْ.

﴿... هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨): أَي: هُوَ الَّذِي يَحْمِيكُمْ بِوِلَايَتِهِ، وَيُفِيضُ عَلَيْكُمْ فَيُؤْضِ عَطَاءَاتِهِ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى الَّذِي يُحِيطُكُمْ بِوِلَايَتِهِ لَكُمْ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ لَكُمْ.

سَادِساً: وَوَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخُطَابَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ صَالِحَةٍ لِأَنَّهُ يُرَادُ بِهَا النَّاسُ جَمِيعاً، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٢٥):

اسْتَفْهَامٌ بِ «مَنْ» الاسْتِفْهَامِيَّةِ وَيُرَادُ بِهِ التَّفْهِي هُنَا، أَي: لَا يُوجَدُ أَحْسَنُ دِينًا مِنْ عَبْدٍ أَسْلَمَ قِيَادَةَ وَجْهَهُ لِلَّهِ فَانْقَادَ لَهُ مُطِيعاً خَاضِعاً، يَأْتِمُرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَالُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، يَعْْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنِيفاً مَائِلاً عَنْ كُلِّ مِلَّةٍ النَّاسِ الْكُفْرِيَّةِ، وَمُلْتَزِماً صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ جَاءَ بَيَانُ أَصُولِهَا، وَقَوَاعِدِهَا، وَأَنْوَاعِ سُلُوكِهَا الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الْخَاتِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ زِيَادَةِ تَفْرِيعَاتٍ وَتَفْصِيلَاتٍ لَا تَخْرُجُ عَنِ الْأُصُولِ الْكُلِّيَّةِ الْعَامَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلًا، أَي: عَبْدًا نَالَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ مَرْتَبَةَ الْخَلَّةِ، وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ.

وَلِرَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ أَعْظَمُ الدَّرَجَاتِ، إِذْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ الْعَظْمَى يَوْمَ الدِّينِ، مِنْ دُونِ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ.



الفصل الثاني عشر

مُتَفَرِّقَاتٌ فِيهَا بَيَانٌ مَّا عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ اضْطِفَائِهِ بَعْضَ عِبَادِهِ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ، فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِزْمَةً عَلَى الْعَالَمِينَ ۝﴾
 ﴿ذُرِّيَّتًا بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤):

فِي هَذَا النَّصِّ بَيَانٌ لِمَفَاصِلَ كُبْرَى مِنْ شَجَرَةِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

• فَاَلْمُصْطَفَى الْأَوَّلُ: آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ سُلَالَتِهِ عَدَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنْهُمْ شِيثُ، وَإِدْرِيسُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

• وَالْمُصْطَفَى الثَّانِي: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ سُلَالَتِهِ عَدَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، مِنْهُمْ هُودُ، وَصَالِحٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ كَثِيرُونَ لَمْ يَقْضِصِ اللَّهُ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ قَصَصِهِمْ.

• والمصطفى الثالث: إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَيُلْحَقُ بِهِ آلُهُ، وَمِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ عَلَيْهِمُ السَّلَام، وجاء التَّعْيِيرُ بعبارة: ﴿وَالْإِبْرَاهِيمَ﴾: لِلْعِلْمِ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، فَنَابَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ عِبَارَةِ: «وَالْإِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ»، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام.

• والمصطفى الرابع: «مُوسَى» عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ أَخُوهُ «هَارُونَ» عَلَيْهِ السَّلَام، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ أَبِيهِمَا «عِمْرَانُ = عِمْرَامُ» كُلُّ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَحْتَ عُنوان: «آلِ عِمْرَان». ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أَي: عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، أَي: اضْطَفَاهُمْ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، لِعِلْمِهِ بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَام.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ شَجَرَةَ الْمُصْطَفِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَام هُمْ ذُرِّيَّةُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ بَعْدَ آدَمَ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَمَنْ بَعْدَ نُوحٍ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وَفَرَعٌ عَظِيمٌ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَام.

وَقَدْ سَبَقَ فِي تَدْبِيرِ سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نزول) عِنْدَ تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٥٨) مِنْهَا؛ أَنَّنِي ذَكَرْتُ أَنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ وَلَوْطَ عَلَيْهِمَا السَّلَام هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، لَكِنْ بَدَأَ لِي الْآنَ اخْتِمَالُ وُجُودِ أَنْبِيَاءٍ وَرُسُلٍ مِنْ غَيْرِ فَرَعِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، مَعَهُ وَبَعْدَهُ، وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام.

فَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنَّهُ وَجَدَ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا لَمْ يُذَكِّرُوا فِي الْقُرْآنِ، هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، فِي أُمَّمٍ وَشُعُوبٍ، فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام أَوْ بَعْدَ حَيَاتِهِ وَقَبْلَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ، دُونَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَام.

هَذَا مَا فَهِمْتُهُ الْآنَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي سُورَةِ (الْحَلِيد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٢١) وَاللَّهُ أَعْلَم.

فَوْجُودُ أَنْبِيَاءٍ وَرُسُلٍ فِي شُعُوبٍ وَأُمَمٍ مُخْتَلِفَةٍ، فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ بَعْدَ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَبْلَ خَاتِمِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، مِنْ غَيْرِ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى قَصْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ جَمِيعاً مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثانياً: أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَدَدًا مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي سُورَةِ (مريم/ ١٩ مصحف/ ٤٤ نزول)، وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ بِشَأْنِهِمْ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا نُلِّيَ عَلَيْهِمْ عَائِثُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسُكُوتًا﴾ (٥٨) :

سَبَقَ تَذَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نزول) فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

ثالثاً: أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا أَوْحَى إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خُطَاباً لَهُ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (١١٣) :

وَلِحِكْمَةٍ يَذْكُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ أَسْمَاءَ بَعْضِ الرُّسُلِ، وَيَطْوِي ذِكْرَ آخَرِينَ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنَ الْبَارِزِينَ مِنْهُمْ وَمِنْ أُولِي الْعِزِّ، وَلَعَلَّ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَرْتَبِطَ الْمَتَدَبِّرُ مَعَ كُلِّ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ حَوْلَ مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ، لِيَفْهَمَهَا فَهْمًا تَكَامُلِيًّا، وَلِكَلَّا تَكُونَ النُّصُوصُ فِي مَوَاضِعِهَا مُكَرَّرَاتٍ تَكَرُّراً تَطَائُفِيًّا.

رَابِعاً: وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُسَلِّيه؛ أَنَّ أَقْوَامَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، وَمِنْهُمْ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى لَهُ فِي سُورَةِ (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾.

خامساً: وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِيثَاقَهُمْ، وَذَكَرَ بِالتَّفْصِيلِ بَعْضَهُمْ وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول) خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾.

الميثاقُ: هُوَ الْعَهْدُ الْمُؤَكَّدُ الْمُوثَقُ الْمَثْبُتُ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنَ التَّفَلُّتِ. والميثاق الغليظ: هُوَ الْمُقَوَّى الْمَشْدُدُّ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عُمُوماً، وَمِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ هُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ:

(١) أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ.

(٢) أَنْ لَا يُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي شَيْءٍ يَخَالِفُ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، أَوْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ.

(٣) أَنْ يَتَّبِعُوا مَا يُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ.

(٤) أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمْتُمْ ثُمَّ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

إِصْرِي: أي: عهدي الموثق المشدد.

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَيُلْحَقُ بِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ؛ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذَا بَعَثَهُ اللَّهُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَأَنْ يَنْصُرُوهُ، وَيَكُونُوا مِنْ أَتْبَاعِهِ.

سَادِسًا: حَسَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعَرَبَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مِنْهُمْ خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) بِشَانِهِمْ:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

أي: بَلْ أَيْحْسُدُونَ النَّاسَ أَبْنَاءَ عَمَّتِهِمْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مِنْهُمْ الرَّسُولَ الْخَاتِمَ - ﷺ - لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ الْمَجِيدَ، أَغْظَمَ كُتُبِهِ؟؟. استفهام فيه معنى التوبيخ، لاعتراضِهِمْ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ فِي عَطَاءَاتِهِ لِبَعْضِ عِبَادِهِ.

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فَرْعِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْكِتَابَ الشَّامِلَ لِلتَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، وَآتَيْنَاهُمُ الْحِكْمَةَ وَهِيَ مَا أُوتِيَهُ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ عِلْمٍ وَهَدَايَةٍ وَحَقَائِقَ زَائِدَةٍ عَلَى مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، وَآتَيْنَاهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا، وَهُوَ مَا آتَى اللَّهُ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَذُيُولَ مُلْكِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا.

فَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

أَعْرَضَ عَنْهُ وَنَأَى، أَوْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى، كَافِرًا حَسَدًا وَجُحُودًا، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ فِي جَهَنَّمَ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ نَارًا مُتَوَقَّدَةً شَدِيدَةً اللَّهَبِ لِنُعْذِيبِ الْكَافِرِينَ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي كُفْرِهِمْ.

سابعاً: وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَرْبَّةَ الرَّفِيعَةَ الَّتِي ارْتَقَى إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الْمَالِئَةُ دَوَاماً لِسَاحَةِ ذِكْرَاهُمْ وَتَصَوُّرَاتِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (ص/٣٨ مصحف/٣٨ نزول):

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

ثامناً: وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَنَفِّحِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَسَائِرَ الْكُفَّارِ بِالْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا بِكُفَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَمِنْهُمْ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (التَّوْبَةِ/٩ مصحف/١١٣ نزول):

﴿إِنَّهُمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الْمُؤْتَفِكَاتِ: أَي: الْمُنْقَلِبَاتِ، وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطَ، الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا سَافِلَهَا.

تاسعاً: لَمَّا رَأَى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّؤْيَا وَهُوَ طِفْلٌ، وَقَصَّهَا عَلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بَشَرَهُ بِبُشْرِيَّاتٍ، مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيِّئُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ قَبْلُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (يُوسُفَ/١٢ مصحف/٥٣ نزول):

﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَحْنِكُ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَدِّ

نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

عاشراً: وَحِينَ قَامَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَشَاطٍ دَعَوِيٍّ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَهُوَ فِي السَّجْنِ فِي مِصْرَ؛ قَالَ لِصَاحِبِيهِ فِي السَّجْنِ:

﴿... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا أَن تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

فَذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ اسْمَ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَاتَّبَعَهُ بِجَدِّهِ إِسْحَاقَ، وَأَبِيهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

حادي عشر: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيَّنًّا أَنَّ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْأَعْلَى/ ٨٧ مصحف/ ٨ نزول)، أَوْ بَعْضَ مَا جَاءَ فِيهَا مِمَّا يُدْرِكُ الْعَقْلُ أَنَّهُ مِمَّا تَشْتَرِكُ بَيَانِهِ الرُّسَالَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ كُلُّهَا:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٧٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٩﴾﴾:

ثاني عشر: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِي أَقْبَلَ فَأَسْلَمَ إِسْلَاماً ضَعِيفاً ثُمَّ تَرَجَعَ بِمُؤَثِّرٍ يَسِيرٍ عَلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَكِّنًا فِي مَوْقِفِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَكَفَرَ:

﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزِرَ وَزَرَهُ ﴿٣٨﴾ وَذَرَّ أُخْرَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤١﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٣﴾﴾.

الباب الثاني

بعض ما جاء في السنة بشأن إبراهيم عليه السلام

جاء في السنة النبوية ذكر إبراهيم عليه السلام في عدة أحاديث وروايات، اخترت منها ما يلي:

الحديث الأول:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. وَقَالَ: «بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ فَقَالَ: يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأَخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتْ اللَّهَ فَأُطْلِقَ. ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، وَإِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجِرٌ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، مَهْيَا؟، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ، أَوْ الْفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجِرٌ».

قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: تِلْكَ أُمُكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ. (يريد العرب المستعربة).

وجاء في رواية للبخاري:

«... فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضُّاً (أي: تَتَوَضَّأُ) وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَخْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا

عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، فَغَطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ^(١).
 قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ: هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا،
 فَقَامَتْ تَوَضُّأً وَتُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ
 وَأَخَصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ، فَغَطَّ حَتَّى
 رَكَضَ بِرِجْلِهِ^(١).

فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ: هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي
 الثَّالِثَةِ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
 وَأَعْظُوهَا أَجَرَ (أَي: هَاجِرًا).

فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ
 الْكَافِرَ وَأَخَذَ وَلِيدَةً^(٢).

الحديث الثاني:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«اخْتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ».
 وفي رواية: «بِالْقُدُومِ»، أَيْ: بِاللَّهِّ «الْقُدُومِ»، المعروفة عند النَّجَّارِينَ.

الحديث الثالث:

روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

- (١) أَيْ: صَارَ يُصَوِّتُ وَيُرَدِّدُ النَّفْسَ فِي خَيَاشِيمِهِ كَالْمَخْنُوقِ، وَصَارَ يَضْرِبُ بِرِجْلِهِ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهَا، بِحَرَكَاتٍ غَيْرِ إِرَادِيَّةٍ.
 (٢) كَبَتَ الْكَافِرَ: أَيْ: غَاظَهُ وَادَّلَهُ وَأَخْزَاهُ. وَالْوَلِيدَةُ: الْأَمَةُ، أَيْ: وَأَعْطَانِي أَمَةً تَحْلُمُنِي.

«أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ»^(١) مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعْفِي أَثَرَهَا عَلَى سَارَةٍ.

ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ^(٢) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، وَسِقَاءَ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟. قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ^(٣) حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٤) من سورة (إبراهيم/ ١٤ مصحف).

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ^(٥)، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ، هَلْ تَرَى

(١) الْمِنْطَقُ: مَا يُسَدُّ بِهِ الْوَسْطَ، وَيُظْهِرُ أَنَّهَا كَانَتْ تُعْلَقُ عَلَيْهِ قُمَاشًا طَوِيلًا يَجْرُ وَرَاءَهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَيُعْفِي أَثَرَ خَطْوِهَا عَلَى سَارَةٍ.

(٢) الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ.

(٣) الثَّنِيَّةُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ.

(٤) يَتَلَبَّطُ: أَي: يَضْطَرُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ ظَمْئِهِ.

أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطْتُ مِنَ الصَّفَا، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْوَادِي رَفَعْتَ طَرَفَ دِرْعِهَا^(١)، ثُمَّ سَعَتْ سَعِي الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّى جَاوَزْتَ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَيْتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرْتُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَقَعَلْتُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعِي النَّاسِ بَيْنَهُمَا».

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صِهْ (تُرِيدُ نَفْسَهَا). ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسَمِعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ، (أَي: مَا تُغِيثُنَا بِهِ).

فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَقُورُ بَعْدَمَا تَعْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»^(٢).

قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَأَرَضَعْتُ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ، لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْنَ اللَّهِ بَيْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ.

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ.

فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُقُقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ

(١) الدَّرْعُ: قَمِيصُ الْمَرْأَةِ، أَوْ ثَوْبُهَا.

(٢) أَي: لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنَ مَاءٍ جَارٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

جُرْهُمُ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَتَزَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَيْرًا عَائِفًا^(١)، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَيْنِ^(٢)، فَإِذَا هُم بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا.

قال: وأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟.

فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ. قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْأَنْسَ».

فَتَزَلُّوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَتَزَلُّوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ^(٣) وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهَ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ.

فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَّتَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ، فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آتَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيْرَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ

(١) الطير العائف: هو الذي يحوم حول الماء.

(٢) جريًّا أو جريَّين: أي: رسولاً أو رسولَين.

(٣) وأنفَسَهُمْ: أي: وصار أكثرهم نفاسةً وأعظمهم قدراً.

أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ، الْحَقِي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجْ مِنْهُمْ أُخْرَى.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟، وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ. فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتَ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟، قَالَتْ: اللَّحْمُ. قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟، قَالَتْ: الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حُبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ».

قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكَ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَتُعِينُنِي؟، قَالَ: وَأُعِينُكَ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا

هَنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ^(١) مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

قَالَ: فَجَعَلَا بَيْنِيَّانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

الحديث الرابع:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

الحديث الخامس:

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَخْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١). وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ أَنَسَا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ^(٢): ﴿... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣) إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَأَتَيْتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْبِزُ الْحَكِيمُ^(٤).

(١) الْأَكْمَةُ: تِلَّةٌ مُرْتَفِعَةٌ.

(٢) (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول).

(٣) (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول).

(٤) وهو عيسى عليه السلام (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول).

الحديث السادس:

رَوَى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

الحديث السابع:

روى الإمام أحمد في مُسْنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ جِبْرِيلَ ذَهَبَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فَسَاخَ، ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فَسَاخَ، ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الْقُصْوَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فَسَاخَ».

الحديث الثامن:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ».

ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟، فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

أي: فإذا بأبيه قد مُسِخَ فَصَارَ عَلَى صُورَةِ ذَكَرٍ ضَبْعٍ مُلْتَطِخٍ بِالنَّجَاسَةِ وَالْقَذَارَةِ.

الحديث التاسع:

روى مسلم عن جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ:

«إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا».



سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

٢١ مصحف ٧٣ نزول

وهي سورة مَكِّيَّة

(١)

نص الشّورة وما فيها مِنْ قُرْشِ القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينَةٍ

- ٢ - • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [مَا يَأْتِيهِمْ]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف.
وقراها يَنْقُوب: [مَا يَأْتِيهِمْ].
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مَا يَأْتِيهِمْ].
- ٣ - • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [أَفْتَأْتُونَ]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف.
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَفْتَأْتُونَ].
- ٤ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسايني، وخلف: [قَالَ رَبِّي].
وقراها باقي القراء العشرة: [قُلْ رَبِّي].
- ٥ - • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [فَلْيَأْتِنَا]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف. وقراها باقي القراء العشرة: [فَلْيَأْتِنَا].

أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يَوْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ
﴿٦٣﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٤﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْرٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا
بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكُضُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْأَنَا ظَالِمِينَ ﴿٦٩﴾ فَمَا زَالَتْ
تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿٧٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿٧١﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا
لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿٧٢﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿٧٣﴾
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

٧ - • قرأ حفص: [نُوحِي إِلَيْهِمْ].

وقراها حمزة، وَيَقُوبُ: [يُوحَى إِلَيْهِمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [يُوحَى إِلَيْهِمْ].

٧ - • قرأ ابن كثير، واليسائي، وخلف: [فَسَلُّوا].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاسْأَلُوا].

١٢ - • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [بَاسَنَّا]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [بَاسَنَّا].

عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَهِةٌ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي

- ٢٤ - • قرأ حفص: [مَنْ مَعِيَ] بفتح ياء المتكلم.
 وقرأها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.
- ٢٥ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [نُوحِي إِلَيْهِ].
 وقرأها باقي القراء العشرة: [يُوحَى إِلَيْهِ].
- ٢٥ - • قرأ يعقوب: [فَاعْبُدُونِي] بإثبات ياء المتكلم، وصلاً ووقفاً.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [فَاعْبُدُونِ] بحذف ياء المتكلم.
- ٢٨ - • قرأ يعقوب: [أَيْدِيهِمْ] بضم هاء الضمير.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [أَيْدِيَهُمْ] بكسر هاء الضمير.
- ٢٩ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي إِلَهٌ] بفتح ياء المتكلم.
 وقرأها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

الْظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا
فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا
مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا
لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ

٣٠ - • قرأ ابن كثير: [أَلَمْ يَرَ] بدون الواو العاطفة بَعْدَ هَمْزَةِ الاستفهام.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [أَوْ لَمْ يَرَ] بإثبات الواو العاطفة.

٣٠ - • قرأ ورش، والسُّوسِي، وأبو جعفر: [يُؤْمِنُونَ]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف. وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [يُؤْمِنُونَ].

٣٤ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابنُ عَاصِرٍ، وشُعْبَةُ، وأبو جعفر، ويعقوب: [مِتَّ] بضم الميم، وهو لغة.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [مِيتَّ] بكسر الميم، وهو لغة.

٣٥ - • قرأ يعقوب: [تُرْجَعُونَ] بالمبني للمعلوم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [تُرْجَعُونَ].

أي: يُرْجِعُكُمْ اللهُ إلى الحياة فَأَنْتُمْ تُرْجَعُونَ بالجبر.

٣٦ - • قرأ حفص: [إِلَّا هُزُوًا].

وقراها حمزة، وخلف: [إِلَّا هُزْءًا].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [إِلَّا هُزْءًا].

كَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا
 تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ
 وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
 بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ
 يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
 سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ
 بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا
 يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ
 مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ

٣٧ - • قرأ يعقوب: [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ] بحذف ياء المتكلم.

٣٩ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ] بضم هاء الضمير.

وقراها أبو عمرو، ويعقوب: [عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ] بكسر هاء الضمير.

وهذا كله عند الوصل، وأما عند الوقف فالجميع على كسر الهاء وإسكان الميم.

٤١ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ]. بكسر دال «لقد».

وقراها أبو جعفر وضلاً: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ]، ووقف بإسكان الياء.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ] بضم دال «لقد».

ووقف حمزة وهشام بإبدال الهمزة ياء ساكنة.

٤٤ - • قرأ أبو عمرو: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] بكسر الميم من «عليهم» وكسر الهاء.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] بكسر الهاء وضم الميم من

«عليهم». وهذا كله عند الوصل، وأما عند الوقف: فحمزة ويعقوب بضم

الهاء وإسكان الميم، ووقف الباقون بكسر الهاء وإسكان الميم.

أَنَا نَاتِي الْأَرْضِ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾
 قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
 يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
 يُنَوَّلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
 الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
 خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُنْقِبِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ
 مُبَارَكٌ أُنزِلَتْهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
 رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا
 هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا
 عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
 ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٤٥ - • قرأ ابن عامر: [وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ].

٤٧ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِثْقَالٌ] بالرفع.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مِثْقَالٌ] بالنصب.

٤٨ - • قرأ قتبل: [وَضِيَاءً].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَضِيَاءً].

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
 سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى
 أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا
 بِإِلَهِتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
 فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ
 فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ
 لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ
 وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ
 وَانصُرُوا إِلَهِتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا
 وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ
 ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ
 ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا

٥٨ - • قرأ الكسائي: [جُودًا].

وقراها باقي القراء العشرة: [جُودًا] وهما لغتان.

٦٣ - • قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: [فَسَلُّوهُمْ]. وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاسْأَلُوهُمْ].

٦٧ - • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: [أَف].

وقراها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: [أَف].

وقراها باقي القراء العشرة: [أَف].

صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ طَآءَنَّا عَنْهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَغَيْنَاهُ مِنْ آلِ قُرَيْبٍ أَلَّا كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٨﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُنَّا عَائِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً

٧٣ - قرأ يعقوب، وحمزة: [إِلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

٨٠ - قرأ ابن عامر، وحفص، وأبو جعفر: [لِنُخْصِنَكُمْ].

وقرأها شعبة، وزويس: [لِنُخْصِنَكُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِنُخْصِنَكُمْ].

٨٠ - قرأ السوسي، وأبو جعفر: [بَأْسِكُمْ]. وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بَأْسِكُمْ].

٨١ - قرأ أبو جعفر: [الرِّيحَ] بالجمع، للدلالة على الأنواع.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الرِّيحَ] بالافراد، على أنه اسم جنس، وهو

يشمل أنواع الرياح.

تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفْضُوكَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ
 عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ
 نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
 وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِزًّا لِلْعَبِيدِينَ ﴿٨٤﴾
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
 وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ
 إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي
 الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ
 نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي

٨٣ - • قرأ حمزة: [مَسَّنِيَ الضُّرُّ] بإسكان ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة: [مَسَّنِيَ الضُّرُّ] بفتح ياء المتكلم.

٨٧ - • قرأ يعقوب: [يُقْدِرُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [نَقْدِرُ].

٨٨ - • قرأ ابن عامر، وشعبة: [نُجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [نُنَجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ].

٨٩ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَزَكَرِيَّا إِذَا].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَزَكَرِيَّاءَ إِذَا]، وسهل الهمزة الثانية نافع، وابن

كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورؤيس.

وقراها بالتحقيق: ابن عامر، وشعبة، وروح.

فَرَدًّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ
﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَدْتَ فَرْحَهَا فنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ
﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾
حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ
أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَُوَلِّينَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا
بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ

٩٢ - • قرأ يعقوب: [فَاعْبُدُونِي] بإثبات ياء المتكلم، وصلاً ووقفاً.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [فَاعْبُدُونَ] بحذف ياء المتكلم.

٩٥ - • قرأ شُعْبَةُ، وَحْمَزَةُ، وَخَلْفٌ، [وَحَرَّمَ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [وَحَرَّمْ].

٩٦ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [فُتِحَتْ] بتشديد التاء.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [فُتِحَتْ].

٩٦ - • قرأ عاصِمٌ: [يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ].

هَٰؤُلَاءِ ءَالِهَةٌ مَّا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ
 فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
 لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ
 حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا
 يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرَغُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقَلَهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمْ
 الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ
 السِّجْلِ لِلْكِتٰبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا
 إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ
 الذِّكْرِ أَنِ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي
 هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

١٠٣ - • قرأ أبو جعفر: [لَا يُخْرِجُهُمْ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [لَا يُخْرِجُهُمْ].

١٠٤ - • قرأ أبو جعفر: [نَطْوِي السَّمَاءَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [نَطْوِي السَّمَاءَ].

١٠٤ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لِلْكِتٰبِ] بالجمع.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [لِلْكِتٰبِ] بالافراد.

والمؤدَّى واحد.

١٠٤ - • قرأ السُّوسي، وأبو جعفر، والأصبهاني عن وَرْش: [بَدَأْنَا] وصلًا ووقفًا.

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [بَدَأْنَا].

١٠٥ - • قرأ حمزة، وخلف: [فِي الزُّبُورِ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [فِي الزُّبُورِ].

١٠٥ - • قرأ حمزة وَصَلًا: [عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] بإسكان ياء المتكلم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بفتح ياء المتكلم.

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
وَّاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقَدْ ءَاذَنُكُمُ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعِدُونَ ﴿١١٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٢٠﴾
وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينٍ ﴿١٢١﴾ قُلْ رَبِّ
أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٢٢﴾

١١٢ - • قرأ حفص: [قَالَ رَبُّ أَحْكُم].

وقراها أبو جعفر: [قُلْ رَبُّ أَحْكُم].

وقراها باقي القراء العشرة: [قُلْ رَبُّ أَحْكُم].

١١٢ - • قرأ ابن ذكوان بخلف عنه: [يَصِفُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَصِفُونَ].

(٢)

مما وَرَدَ فِي السَّنةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (الأنبياء)

روى البخاري وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«بَنُو إِسْرَائِيلَ (أَي: الْإِسْرَاءُ)، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطِهَ، وَالْأَنْبِيَاءُ،

هُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي».

مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ: أَي: مِنَ الْكَرَامِ الْأَوَّلِ.

التَّلَاد: الْمَالُ الْأَصْلِيُّ الْقَدِيمُ، وَالْمُرَادُ مِنْ عِبَارَةِ «مِنْ تِلَادِي»: مِنْ

نَفْسِي الْقَدِيمِ الَّذِي أُمْتَلِكُهُ.

(٣)

مَوْضُوعُ سُورَةِ (الأنبياء)

يَدُورُ مَوْضُوعُ هَذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ بَيَانِ وَاقِعِ حَالِ كُفَّارِ مَكَّةَ وَمَنْ

حَوْلَهَا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِشَأْنِ الْقُرْآنِ، وَالرَّسُولِ ﷺ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَزَائِهِ الْأَكْبَرِ، وَبِشَأْنِ الْجَزَاءِ الْمَعْجَلِ الْمُؤَعَّدِ بِهِ.

وَيَدُورُ حَوْلَ مُعَالَجَتِهِمْ بِمُخْتَلِفِ وَسَائِلِ الْعِلَاجِ التَّرْبَوِيِّ، الْقَائِمِ عَلَى الْبَيَانِ الْمَقْرُونِ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، وَالْإِقْنَاعِ الْعَقْلِيِّ بِالْحَقِّ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، وَالْجَوَارِ الْجِدَالِيِّ بِالنَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ، وَمَطَالَبَةُ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ بِمَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِتَقْدِيمِ بُرْهَانِهِمْ، إِذَا كَانَ لَدَيْهِمْ بُرْهَانٌ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا يَعْتَقِدُونَ.

وَيَدُورُ حَوْلَ التَّعْرِيفِ بِحَقَائِقَ فِكْرِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ هِيَ مِنْ مَفْهُومَاتِ الدِّينِ، وَتَقْدِيمِ حَقَائِقَ كَوْنِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَظَوَاهِرَ كَوْنِيَّةٍ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ حَقٌّ.

وَفِي السُّورَةِ عَرَضُ لِمَحَاتٍ مُوجَزَاتٍ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، تُبَيِّنُ أَنَّهُمْ قَدْ حَمَلُوا رِسَالَةَ رَبَّانِيَّةً، ذَاتَ أَصُولٍ وَقَوَاعِدَ كَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ أُمَّتَهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

(٤)

دروس سورة (الأنبياء)

ظهر لي إمكانُ تَقْسِيمِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى (٢٤) دَرْسًا.

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٩).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ إِنْذَارٌ لِأَيِّمَةِ كُفَّارٍ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، بِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ حِسَابُهُمْ وَعِقَابُهُمْ، وَهُمْ غَافِلُونَ لَا عِبُونَ، لَا هُونَ، دُعَاةٌ لِلتَّنْفِيرِ مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ الدَّعَائِيَّةِ الْإِغْرَائِيَّةِ الْإِيهَامِيَّةِ الزُّخْرُفِيَّةِ.

وَفِيهَا تَوْصِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِأَن يَقُولَ لَهُمْ: رَبِّي يَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ،

وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ عِقَاباً شَدِيداً لِّافْتِرَائِكُمْ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ.

وفيها بيان رَبَّانِيٍّ عَنِ حَالَتِهِمُ الَّتِي بَلَّغُوا بِهَا الدَّرَكَةَ الْمَيُوسَّ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ مَعَهَا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةَ. وبيان عَنْ كَوْنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِثْلَ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ فِي الْوَحْيِ إِلَيْهِ، وَفِي بَشَرِيَّتِهِ، وَكَيْفَ نَصَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَأَهْلَكَ الْكُفْرَةَ الْمُسْرِفِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَاتُ مِنْ (١٠ - ١٥).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُهُمْ، مَعَ حَثِّهِمْ عَلَى أَنْ يَعْقِلُوا.

وفيها إِنْذَارٌ لَهُمْ بِأَهْلَاكِهِمْ إِذَا أَصْرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، كَمَا فَعَلَ رَبُّهُمْ بِكُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ: الْآيَاتُ مِنْ (١٦ - ٢٤).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مَقْرُونٌ بِحُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ؛ بِأَنَّ خَلْقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَيْسَ لَعِباً وَلَا لَهْواً، بَلْ هُوَ لِعَايَةِ حَكِيمَةٍ، هِيَ امْتِحَانُ النَّاسِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الْامْتِحَانُ يَسْتَتَبِعُ الْجَزَاءَ الْأَكْبَرَ يَوْمَ الدِّينِ.

وفيها مُنَاقَشَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي شُرُكِيَّاتِهِمْ، وَمَا يَفْتَرُونَهُ مِنْ بَاطِلٍ عَلَى اللَّهِ بَارِئِهِمْ، وَالْمَهِيْمَنَ عَلَيْهِمْ دَوَاماً بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وفيها تَعْلِيمُ الرَّسُولِ ﷺ وَكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أَنْ يُطَالِبَهُمْ بِبُرْهَانِهِمْ عَلَى مَا يَفْتَرُونَ مِنْ شُرُكِيَّاتٍ، مِنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ أَوْ دَلِيلٍ نَقْلِيٍّ عَنْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ السَّابِقِينَ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٢٥ - ٢٩).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّ

وَحَيَّ اللَّهُ إِلَيْهِ نَظِيرَ وَحْيِهِ إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، لِإِسْمَاعِ الْمَكْذُوبِينَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ دُونَ مُحَاظَبَتِهِمْ بِهَا.

وَفِيهَا عَرَضُ قَوْلِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ وَلَدًا، افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ بِادِّعَائِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، مَعَ بَيَانِ وَقَعِ حَالِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَام.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣٠ - ٣٣).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ ذِكْرُ حَقِيقَةِ عِلْمِيَّةِ كَوْنِيَّةِ كِبَرِيٍّ، هَلْ تَوَصَّلَ عُلَمَاءُ الْكَوْنِيَّاتِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، أَمْ لَمْ يَتَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهَا حَتَّى الْآنَ؟، وَهِيَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً عُظْمَى فَجَزَّأَهَا اللَّهُ إِلَى أَجْزَاءَ، وَجَعَلَ مِنْهَا نُجُومًا وَجَعَلَ مِنْهَا كَوَاكِبَ، وَمَجَرَّاتٍ.

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ، مَعَ بَيَانِ ظَوَاهِرِ كَوْنِيَّةِ أُخْرَى، فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ حِكْمَةِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّاسَ لِيَبْلُوَهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣٤ - ٤١).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةُ أَثْمَةِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ مَوْتَ الرَّسُولِ ﷺ لِتَتَخَلَّصَ مِنْ دَعْوَتِهِ، بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَإِسْمَاعِهِمْ بِأَسْلُوبِ غَيْرِ مُبَاشَرٍ، وَإِعْلَامِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ بِسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ لَمْ يَجْعَلْ لِيَشِيرِ مِنْ قَبْلِهِ الْخُلْدَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿... أَفَايُنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤).

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا رِحْلَةً امْتِحَانٍ بِمَا يَرَاهُ النَّاسُ شَرًّا وَبِمَا يَرَوْنَهُ خَيْرًا، وَأَنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعْثًا إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى، تَرْجِعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ إِلَى رَبِّهَا، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

وَفِيهَا بَيَانٌ مَوْقِفِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ مِنْ إِنْذَارَاتِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ، وَهُوَ مَوْقِفُ الاسْتِهْزَاءِ بِهَا وَبِالرَّسُولِ ﷺ الَّذِي يُنْذِرُهُمْ، مَعَ طَلِبِهِمْ تَعْجِيلَ تَحْقِيقِهَا تَعْبِيرًا عَنْ تَكْذِيبِهِمُ الرَّسُولَ ﷺ بِهَا.

وفيهما بيان أن الإنسان خُلِقَ مِنْ عَجَلٍ.

وفيهما مُعَالَجَتُهُمْ بِالترَّهيبِ، وَبِقِيَاسِهِمْ عَلَى مَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ كُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

الدرس السابع: الآيات من (٤٢ - ٤٧).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ أَسْلُوبَ حِوَارٍ إِفْتِنَاعِيٍّ، بِشَأْنِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَبِشَأْنِ إِلَهَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي لَا تَجْلُبُ لَهُمْ نَفْعًا، وَلَا تَذْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا.

وفيهما بَيَانٌ وَاقِعِ حَالِ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ طَالَتْ مُدَّةُ إِمْهَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ، مَعَ لَفَتِ نَظَرِهِمْ إِلَى بَعْضِ أدِلَّةِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ، الَّتِي تَكْشِفُ لِأَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ عَظَمَةَ اللَّهِ فِي تَصَارِيفِهِ لِكُونِهِ.

وفيهما تَعْلِيمُ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّي، وَلَا أُنْذِرُكُمْ مِنْ عِنْدِي، مَعَ بَيَانِ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ بِمِثَابَةِ الصُّمِّ تُجَاهَ إِنْذَارَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ.

وفيهما عَرْضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُرْهِبُ أُولِي الْأَلْبَابِ.

الدرس الثامن: الآيات من (٤٨ - ٥٠).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ لِقِطْعَةٍ مُخْتَارَةٍ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِشَأْنِ الْكِتَابِ الَّذِي آتَاهُمَا اللَّهُ إِيَّاهُ، وَبَيَانٌ أَنَّ الْقُرْآنَ ذِكْرٌ مُبَارَكٌ.

الدَّرْسُ التاسع: الآيات من (٥١ - ٧٣).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقَطَاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِفَضْلِ مَنْ فُضِّلَ دَعْوَتُهُ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ فِي قَوْمِهِ.

الدَّرْسُ العاشر: الآيتان (٧٤) و(٧٥).

وفيهما عرض لقطعة من قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَام.

الدرس الحادي عشر: الآيتان (٧٦) و(٧٧).

وفيهما عَرَضُ لِقِطْعَةٍ مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام.

الدرس الثاني عشر: الآيات من (٧٨ - ٨٢).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقَطَاتٍ مِنْ قِصَّتَيْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

الدَّرْسُ الثالث عشر: الآيتان (٨٣) و(٨٤).

وفيهما عَرَضُ لِقِطْعَةٍ مِنْ قِصَّةِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَام.

الدَّرْسُ الرابع عشر: الآيتان (٨٥) و(٨٦).

وفيهما ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَذِي الْكِفْلِ، مع بيان موجز عنهم عليهم السَّلَام.

الدرس الخامس عشر: الآيتان (٨٧) و(٨٨).

وفيهما لقطعة مُوجِزَةٌ مِنْ قِصَّةِ ذِي النُّونِ (= يُونس عَلَيْهِ السَّلَام).

الدرس السادس عشر: الآيتان (٨٩) و(٩٠).

وفيهما ذِكْرُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام، وَاسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ.

الدَّرْسُ السابع عشر: الآية (٩١).

وفيهما ذِكْرُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولمحة من قصّة حَمَلِهَا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الدرس الثامن عشر: الآيات من (٩٢ - ٩٤).

وفيهما بيان أَنَّ أُمَّمَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَكِنَّ النَّاسَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ عَلَى خِلَافٍ مَّا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ.

وفيهما بيان عاقبة كُلِّ عَامِلٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَكَسْبِهِ.

الدرس التاسع عشر: الآية (٩٥).

وفيهما بيان عَنْ حَالَةِ الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ، إِذْ لَمْ تُهْلَكْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ إِلَى حَالَةٍ مَيُؤُوسٍ مَعَهَا مِنْ إِضْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ.

الدرس العشرون: الآيتان (٩٦) و(٩٧).

وفيهما بيان عَنْ فَتْحِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَاقْتِرَابِ الْوَعْدِ الْحَقِّ.

الدرس الحادي والعشرون: الآيات من (٩٨ - ١٠٠).

وفيهما خطابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ مَعَ مَعْبُودَاتِهِمْ حَصَبُ جَهَنَّمَ.

وفيهما عَرْضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ تَعْذِيبِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

الدرس الثاني والعشرون: الآيات من (١٠١ - ١٠٤).

وفيهما بَيَانٌ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ.

الدرس الثالث والعشرون: الآيتان (١٠٥) و(١٠٦).

وفيهما بَيَانٌ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ.

الدرس الرابع والعشرون: الآيات من (١٠٧ - ١١٢) آخر السورة.

وفيهما خطابٌ للرَّسول ﷺ، ويُلْحَقُ بِهِ فِي بَعْضِهَا كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ،
وَفِي هَذَا الْخِطَابِ تَعْلِيمٌ دَعَوِيٌّ، يُنَاسِبُ الْمَرْحَلَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١ - ٩)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمَ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَيْبٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يَرْثُِونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاتَّبَعُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

القرءات:

(٢) • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [مَا يَأْتِيهِمْ] وكذلك قرأها

حمزة في الوقف.

وقرأها يعقوب: [مَا يَأْتِيهِمْ] بالهمزة المحققة مع ضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مَا يَأْتِيهِمْ] بالهمزة مع كسر هاء

الضمير.

(٣) • قرأ ورش، والسُّوسِيّ، وأبو جَعْفَر: [أَفْتَاتُونْ] وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَفْتَاتُونْ].

(٤) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [قَالَ رَبِّي].

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلْ رَبِّي].

وبينهما تكاملٌ في أداء المعنى المراد.

(٥) • قرأ ورش، والسُّوسِيّ، وأبو جعفر: [فَلْيَاتِنَا]، وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلْيَاتِنَا].

(٧) • قرأ حفص: [نُوحِي إِلَيْهِمْ].

وقرأها حمزة، ويعقوب: [يُوحَى إِلَيْهِمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُوحَى إِلَيْهِمْ].

(٧) • قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: [فَسَلُّوا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَاسْأَلُوا].

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ إِنْذَارٌ لِأَيِّمَةٍ كُفَّارٍ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ حِسَابُهُمْ وَعِقَابُهُمْ وَهُمْ غَافِلُونَ لَاعِبُونَ، لَاهُونَ، دُعَاةٌ لِلتَّنْفِيرِ مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ الدَّعَائِيَّةِ الْإِغْرَائِيَّةِ الْإِيهَامِيَّةِ الرُّخْرِفِيَّةِ.

وفيها تَوْصِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: رَبِّي يَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ عِقَابًا شَدِيدًا، لَافْتِرَائِكُمْ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ.

وَفِيهَا بَيَانٌ رَبَّانِيٌّ عَنِ حَالَتِهِمُ الَّتِي بَلَغُوا بِهَا الدَّرَكَةَ المَيُؤُوسِ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ مَعَهَا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الحُرَّةِ، وَبَيَانٌ عَنِ كَوْنِ الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِثْلَ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ فِي الْوَحْيِ إِلَيْهِ، وَفِي بَشَرِيَّتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُ كَمَا نَصَرَ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَهْلَكَ الكُفْرَةَ الْمُسْرِفِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾:

المراد بالناس في هَذِهِ الْآيَةِ فيما يَظْهَرُ: أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِدَلِيلِ وَضْفِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا؛ بِأَوْصَافٍ تَكْشِفُ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُرَادُونَ.

وَالْمُرَادُ بِاقْتِرَابِ حِسَابِهِمْ فِيمَا ظَهَرَ لِي؛ اقْتِرَابُ تَنْفِيذِ مُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى جَرَائِمِهِمْ، وَإِضْرَارِهِمْ بِعِنَادِ عَلَى الْكُفْرِ وَجُحُودِ الْحَقِّ، وَتَنْفِيذِ مَا يَتَّبَعُ مُحَاسَبَتَهُمْ مِنَ الْقَضَاءِ بِتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، لِبُلُوغِهِمْ دَرَكَةً لَا يَسْتَجِيبُونَ مَعَهَا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ مَهْمَا أُمِهُلُوا، فَقَدْ أُمِهُلُوا إِمْهَالًا طَوِيلًا مُنْذُ بَدَأَ الْبُعْثَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ حَتَّى نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ إِنْذَارُهُمْ بِاقْتِرَابِ حِسَابِهِمْ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِالتَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا فِعْلًا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا صَنَادِيدُ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ الْعِنَادِيِّ الْجُحُودِيِّ لِلْحَقِّ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ ظُهُورِ أدِلَّتِهِ، وَوُضُوحِ بَرَاهِينِهِ، وَسُقُوطِ ذَرَائِعِ الْمُشْرِكِينَ، وَافْتِصَاحِ إِضْرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَالَ هَؤُلَاءِ الْمَعْنِيِّينَ بِعُنْوَانِ النَّاسِ بِعِدَّةِ صِفَاتٍ، أَوَّلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿... وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾: أَي: اقْتَرَبَ لَهُؤُلَاءِ حِسَابُهُمْ وَلَوْاحِقُهُ، بِاقْتِرَابِ الزَّمَنِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِيهِ، فَهُمْ إِبَّانَ

نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي نَحْوِ الْخُمْسِ الْأَخِيرِ مِنَ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، وَكَانَتْ عَزْوُهُ بِذِرِّ الْكُبْرَى فِي أَوَائِلِ الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ.

اقتَرَابُ الشَّيْءِ: دُنُوهُ، بِتَنَاقُصِ الْمَسَافَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اقْتَرَبَ لَهُ، أَوْ قَلَّتْهَا، وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ قَدْ تَكُونُ زَمَانِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ مَكَانِيَّةً، فَاقْتِرَابُ مَوْسِمٍ مِنَ الْمَوَاسِمِ كَمَوْسِمِ الْحَجِّ؛ يَكُونُ بِقَلَّةِ الزَّمَنِ الْبَاقِي لَهُ. وَاقْتِرَابُ السَّفِينَةِ لِلْمِينَاءِ يَكُونُ بِقَلَّةِ الْفَاصِلِ الْمَكَانِيِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمِينَاءِ.

﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: أَي: مُنْعَمِسُونَ فِي غَفْلَةٍ، وَمُحَاطُونَ بِهَا. الْغَفْلَةُ: هِيَ انْصِرَافُ الذَّهْنِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الشَّيْءِ مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ الْإِدْرَاكِ، أَوْ وُجُودُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: أَي: يُعْطُونَ لِاقْتِرَابِ حِسَابِهِمْ عَارِضُهُمْ، أَي: جَانِبُهُمْ، وَهُوَ مَنْزِلَةٌ وَسَطَى بَيْنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ. وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ: يُكْنَى بِهِ عَنْ عَدَمِ تَوَجُّهِ الْحَوَاسِّ لِإِدْرَاكِهِ، مَرْتَبًا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مَلْمُوسًا.

وَجَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ التَّالِيَتَيْنِ مُتَابَعَةٌ تَفْصِيلِ حَالِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾:

الْصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي حَالَهُمْ عَلَيْهَا وَقَدْ اقْتَرَبَ حِسَابُهُمْ وَلَوْاحِقُهُ، هِيَ: أَنَّهُمْ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيَانِ قُرْآنِي مُحَدِّثِ التَّنْزِيلِ، تَلَاَهُ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ إِلَّا اسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ مُنْصَرِفَةً أَذْهَانُهُمْ عَنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ وَمَرَامِيهِ.

اللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدِّ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يُقَدِّمُ لَهُ نَفْعًا:

إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ، وَكَذَلِكَ الَّذِي يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِعَمَلٍ ذِي نَفْعٍ ضَيِّيلٌ، تَارِكًا عَمَلًا مُيَسَّرًا لَهُ ذَا نَفْعٍ عَظِيمٍ كَثِيرٌ.

كَلِمَةٌ ﴿ذِكْرٌ﴾ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ بَعْدَ تَلْقَى الْقُرْآنِ وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ؛ أَنْ يَبْقَى فِي النَّفْسِ ذِكْرًا يُسْتَدْعَى عِنْدَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ دَاعِيَةٍ إِلَى سَاحَةِ التَّذَكُّرِ الْحَاضِرِ، أَوْ تُسْتَدْعَى الْمَعَانِي الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا.

فَحَالُ هَؤُلَاءِ الْمَعْنِيِّينَ؛ أَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ قُرْآنٌ مُحَدَّثُ التَّنْزِيلِ تَلَّاهُ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ؛ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِمَا لَا نَفْعَ فِيهِ، أَوْ نَفْعُهُ قَلِيلٌ ضَيِّيلٌ، دُونَ أَنْ يَصِلَ مَا اسْتَمَعُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى مَرَائِجِ التَّفَكِيرِ لَدَيْهِمْ، اسْتِهَانَةً بِهِ، وَانْصِرَافًا كُلِّيًّا عَنْهُ، غَيْرَ عَابِثِينَ بِالْمَعَانِي الَّتِي دَلَّ أَوْ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ تَكُونُ لَاهِيَةً بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَطَالِبِ نَفُوسِهِمْ مِنْ زِينَاتِهَا وَلَذَائِهَا. فَهُمْ فِي حَالَةٍ لَهُوِهِمْ بِهِذِهِ الْأُمُورِ تَكُونُ تَصَرُّفَاتُهُمْ لَعِبًا.

أَوْ هُمْ فَعَلًا مَشْغُولُونَ بِاللَّعِبِ، كَالنَّزْدِ، وَنَحْوِهِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي حَالُهُمْ عَلَيْهَا وَقَدْ اقْتَرَبَ حِسَابُهُمْ وَلَوَاحِقُهُ، هِيَ: أَنَّ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ ظُلْمًا شَنِيعًا؛ يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا، بِقَضِيَّتَيْنِ لِنَشْرِهَمَا نَشْرًا إِعْلَامِيًّا.

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: هَلْ مُحَمَّدٌ - ﷺ - هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ؟، وَإِذَا كَانَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ فَلِمَ إِذَا اسْتَكْبَرَ عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَمْرَ وَالنَّاهِي لَكُمْ بِاسْمِ الدِّينِ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ عَنْ رَبِّكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَلِتَغْلِبُوهُ فِكْرِيًّا أَشْيَعُوا بَيْنَ جَمَاهِيرِكُمْ أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ لَهُ مِيزَةٌ خَاصَّةٌ تُؤْهِلُهُ لِأَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَرَسُولًا مِنْ رُسُلِهِ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ؟؟﴾.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: إِنَّ مَا يَتْلُوهُ مِنْ كَلَامِ ذِي تَأْثِيرٍ عَلَى الْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ بِبَلَاغَتِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَسَالِيْبِهِ الْعَجِيبَةِ، وَيَقُولُ: هَذَا الْكَلَامُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُوحَى بِهِ إِلَيْهِ؛ لَا سَبِيلَ لِحَرْفٍ جَمَاهِيرِكُمْ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: هَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ يُؤَثِّرُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَنْ تَقُولُوا لِحَمَاهِيرِكُمْ: أَتَأْتُونَ مُحَمَّدًا - ﷺ - لِتَسْمَعُوا مِنْهُ مَا يَسْحَرُكُمْ بِهِ مِنْ كَلَامٍ، وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْخَوَارِقِ الْعُظْمَى مَا يُثْبِتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، هَذَا مِنْكُمْ سَفَاهَةٌ وَنُقْصَانٌ عَقْلٍ، وَبِهَذَا تَصُدُّونَ جَمَاهِيرَ قَوْمِكُمْ عَنِ الدَّهَابِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْكَلَامِ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ.

دل على هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ؟﴾.

أي: أَفَقَدْتُمْ عُقُولَكُمْ وَتَقْدِيرَكُمْ لِلْأُمُورِ حَقَّ قَدْرِهَا فَأَنْتُمْ تَأْتُونَ مُحَمَّدًا - ﷺ - لِتَسْمَعُوا مِنْهُ مَا يَسْحَرُكُمْ بِهِ مِنْ كَلَامٍ، وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ.

النَّجْوَى: الْإِسْرَارُ بِالْحَدِيثِ. وَيُطْلَقُ لَفْظُ «النَّجْوَى» عَلَى الْمُتَنَاجِينَ، وَهُوَ مِنَ الْوَضْفِ بِالْمُضَدِّ.

وَإِسْرَارُهُمْ بِالنَّجْوَى؛ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ إِخْفَاءِ الظَّالِمِينَ مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ تَنَاجِيَهُمْ، حَتَّى لَا يَفْتَضِّحُوا بَيْنَ جَمَاهِيرِهِمْ بِالتَّأَمُّرِ عَلَى دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَحَتَّى لَا تُدْرِكَ جَمَاهِيرُهُمْ مَبْلَغُ مَكْرِهِمْ، فَلَا يَسْتَجِيبُوا لِإِدْعَائِهِمُ الْبَاطِلَةَ الْفَاجِرَةَ.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بَدَلٌ مِنْ وَاءِ الْجَمَاعَةِ فِي ﴿وَأَسْرُوا﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

في قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف.

وفي قراءة باقي القراء العشرة: [قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ (١)]:

وَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، أَي: قَالَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: [قُلْ: رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ...] الآية. فاستجاب الرسول ﷺ لأمرِ رَبِّهِ، وَإِذِ اسْتَجَابَ [قَالَ: رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ...] الآية.

فِي هَذَا التَّعْلِيمِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي نَفَّذَهُ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ إِنْذَارٌ لِأُتَمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ سَيَعَاقِبُهُمْ عَلَى مَوْقِفِهِمْ مِنْهُ، وَمِنْ دَعْوَتِهِ وَمِنْ الْقُرْآنِ الَّذِي يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، فَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - يَعْلَمُ كُلَّ قَوْلٍ يُقَالُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ وَخَدَهُ السَّمِيعُ لِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا يُعْلَمُ، وَمِمَّا يَسْمَعُهُ أَقْوَالُهُمْ، وَمِمَّا يَعْلَمُهُ أَعْمَالُهُمْ الْكَيْدِيَّةُ لِدِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ.

فَلْيَنْتَظِرُوا نِقْمَتَهُ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ الْحَكِيمُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ، وَهَذِهِ تُفْهَمُ بِاللُّزُومِ الْفِكْرِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ أَقْوَالِهِمُ الْمَعْبَرَةَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

• ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأِنَّا يَتَایَفُ كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾:

إِنَّ أُتَمَّةَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ لَمْ يَقْتَصِرُوا فِي مَجْمُوعِهِمْ عَلَى الطَّغْنِ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ السَّحَرِ؛ بَلْ أَصَافُوا إِلَيْهِ الطَّغْنَ بِثَلَاثِ شَتَائِمَ وَجْهَهَا لَهُ.

الشَّتِيْمَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ أَضْغَتْ أَحْلَامٌ، وَأَضْغَاتُ الْأَحْلَامِ: مَا كَانَ مِنْهَا مُلْتَبَسًا مضطرباً مُخْتَلِطًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَأَصْلُ الضَّغْتِ: قَبْضَةٌ مُخْتَلِطَةٌ مِنْ حَشِيشٍ وَأَعْوَادٍ.

أَي: بَعْضُ مَا يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ ﷺ - وَيَقُولُ هُوَ كَلَامٌ أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ؛ يُشَبِّهُ الْأَحْلَامَ الْمُلْتَبَسَةَ الْمُخْتَلِطَةَ، الَّتِي لَا يُفْهَمُ لَهَا تَعْيِيرٌ وَلَا تَأْوِيلٌ.

وَعَرَضَهُمْ مِنْ هَذَا صَرَفُ جَمَاهِيرِهِمْ عَنْ تَفْهَمِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، زَاعِمِينَ أَنَّهَا كَالْأَخْلَامِ الْمَلْتَسِسَةِ الَّتِي اخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَلَا يَصِحُّ إِشْغَالُ الْأَذْهَانِ بِتَفْهَمِ الْمُرَادِ بِهَا، وَالْبَحْثُ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا، وَهَذَا يَقُولُونَهُ لِلَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ تَفْهَمَ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ، وَإِذْرَاكَ الرُّوَاطِطِ الذَّهْنِيَّةَ بَيْنَ جُمْلِهِ.

الشَّيْئَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - يَأْتِي بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يَتْلُوهُ: مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ، أَوْ بِالنَّقْلِ عَنْ كُتُبٍ سَابِقَةٍ، وَيَزْعُمُ كَذِبًا أَنَّ اللَّهَ يُوحِي بِهِ إِلَيْهِ.

الافتراء: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ وَاضْطِنَاعُهُ عَنْ عَمْدٍ.

الشَّيْئَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - شَاعِرٌ، فَالْأَقْوَالُ الْمُؤَثَّرَةُ فِي نَفُوسِ بَعْضِ مُسْتَمْعِي مَا يَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ؛ هِيَ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّعْرِ الَّذِي أُوتِيَ مَوْهَبَتُهُ، وَيَبْتَعِدُ فِيهِ عَنْ نِظَامِ الشُّعْرِ وَأَوْزَانِهِ، لِغَايَةٍ فِي نَفْسِهِ يُرِيدُ تَحْقِيقَهَا بَيْنَ قَوْمِهِ، وَيُبَيِّنُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وِلِإِقْنَاعِ جَمَاهِيرِهِمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - يَفْتَرِي عَلَى رَبِّهِ، وَبِأَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا؛ قَالُوا: إِنْ كَانَ رَسُولًا حَقًّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ خَارِقَةٍ عَظِيمَةٍ مُعْجِزَةٍ، كَمَا أُرْسِلَ الرُّسُلُ السَّابِقُونَ مُؤَيَّدِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ الْكِبَارِ، كَعَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَاقَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِخْيَاءِ الْمَوْتَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمِي إِلَى أَنَّ الْمَغْنِيَّينَ بِالْعِلَاجِ؛ قَدْ وَصَلُوا أَوْ كَادُوا يَصِلُونَ إِلَى الدَّرَكَةِ الَّتِي تَقْضِي الْحِكْمَةَ بِتَغْذِيهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، فَلْيَرْتَقِبُوا تَحْقِيقَ مَا أُنْذِرُوا بِهِ، وَلَوْ اسْتَجَبْنَا لِمَا اقْتَرَحُوهُ مِنْ آيَاتِ كِبَارٍ فَلَنْ يُؤْمِنُوا كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ:

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ①:

أي: مَا آمَنَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ كَافِرَةٍ؛ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِهِمْ آيَةً عَظِيمَةً، فَأَجْرَيْنَاهَا لِرَسُولِنَا كَمَا طَلَبُوا، فَعَذَّبْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلَاكَ اسْتِصْصَالٍ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا مَعَ إِجْرَائِنَا الْآيَةَ الْعُظْمَى.

أَفْهَوْلَاءِ الْمَعْنِيُّونَ بِالْعِلَاجِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ سَيُؤْمِنُونَ إِنْ آتَيْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا - ﷺ - آيَةً عَظْمَى كَمَا طَلَبُوا؟!، إِنَّ التَّجْرِبَةَ لِكُفَّارِ الْقُرَى السَّابِقِينَ، الَّذِينَ كَانَ كُفْرُهُمْ كُفْرًا جُحُودِيًّا عِنَادِيًّا؛ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعَالَجِينَ الْمُشَابِهِينَ لِلْسَّابِقِينَ فِي كُفْرِهِمُ الْجُحُودِيَّ الْعِنَادِيَّ؛ لَنْ يُؤْمِنُوا وَلَوْ آتَيْنَا رَسُولَنَا - ﷺ - آيَةً عَظْمَى، فَأَجْرَاؤُهَا عَبَثٌ يَسْتَدْعِي إِهْلَاكَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا عَادًا وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَآلَهُ وَجَيْشَهُ.

هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، أَمَّا أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الْمَعَانِدُونَ الْجَاحِدُونَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ؛ فَسَيَكُونُ إِهْلَاكُهُمْ انْتِقَائِيًّا، إِذْ مَا زَالَ غَيْرُهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْإِيمَانِ، وَسَيُؤْمِنُونَ مَتَى زَالَتْ ضَوَاغِطُ الزَّعَامَاتِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ الطَّاعِيَةِ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، وَهَذَا مَا تَحَقَّقَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، إِذْ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

«مِنْ» فِي: ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ وَاسْتِغْرَاقِهِ كُلَّ الْقُرَى الْكَافِرَةِ.

وَأُطْلِقَ لَفْظُ «قَرْيَةٍ» وَالْمَرَادُ أَهْلُهَا، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِّ بِهِ، فَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا مُعَالَجَةً الْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ:

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَلِيلِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾:

سَبَقَ فِي الْآيَةِ (٣) بَيَانُ أَنَّ الْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ قَالُوا لِحِمَاهِيرِهِمْ لَصَدُّهُمْ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؟﴾!، فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ أَوَّلًا فَبِخِطَابِهِمْ عَقِبَ ذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [يُوْحِي إِلَيْهِمْ]، أَي: نُكَلِّفُ رُسُلَ الْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِأَمْرِنَا؛ أَنْ يُوْحُوا إِلَيْهِمْ مَا نَأْمُرُهُمْ بِهِ.

وَالْمَعْنَى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا بَشَرًا رِجَالًا، نُكَلِّفُ رُسُلَ الْوَحْيِ مِنَ مَلَائِكَتِنَا؛ أَنْ يُوْحُوا إِلَيْهِمْ مَا نُرِيدُ إِبْلَاعَهُمْ بِيَأَاهُ.

فَلَسْتُ يَا مُحَمَّدُ بِدَعَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، حَتَّى يَتَعَلَّلَ الْمَعَانِدُونَ الْجَا حِدُونَ بِبَشَرِيَّتِكَ، وَيَبَّأَنَّكَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَتَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لِاِكْتِسَابِ رِزْقِكَ.

وَتَوَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَعَانِدِينَ الْجَا حِدِينَ الصَّادِينَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ مِنْ جِمَاهِيرِهِمْ؛ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿... فَتَلَّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧): أَي: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ بِتَارِيخِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا بَشَرًا رِجَالًا، فَضَلَّاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْوَحْيِ إِلَيْهِمْ لِعِلْمِهِ بِهِمْ.

وَفِي اسْتِعْمَالِ «إِنَّ» الشَّرْطِيَّةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا بَشَرًا رِجَالًا، وَلَكِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ بَشَرِيَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَعَلَّةً يَخْذَعُونَ بِهَا وَيُعَزِّزُونَ الْجَهْلَةَ مِنْ جِمَاهِيرِهِمْ.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَانِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: دَلَّ عَلَى أَنَّ أُمَّةَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ مَا زَالُوا يُرَدُّونَ مَقَالَاتَهُمُ الَّتِي حَكَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ (الْفُرْقَانِ/٤٢ نزول) بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ...﴾ (٧).

فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بَيَانَ أَنَّ كُلَّ رُسُلِهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ.

أي: وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ السَّابِقِينَ وَفَقَ نِظَامَ جَسَدٍ حَيٍّ لَهُ صِفَاتُ
الْأَحْيَاءِ، وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ؛ بَلْ كَانُوا أَجْسَاداً حَيَّةً لَهَا صِفَاتُ
الْأَجْسَادِ الْحَيَّةِ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، فَهُمْ بَشَرٌ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَتَزَوَّجُونَ
النِّسَاءَ، وَلَهُمْ سَائِرُ صِفَاتِ الْبَشَرِ.

الْجَسَدُ: الْجِسْمُ، وَهُوَ مَالُهُ طُولٌ وَعَرْضٌ وَعُمُقٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ دُونَ
حَيَاةٍ، وَمِنْهُ مَا هُوَ غَيْرُ ذِي حَيَاةٍ كَجِسْمِ الْوَتَنِ.

وَتَقْتَضِي بِشَرِيَّتِهِمْ أَنْ يَمُوتُوا فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنْ لَا يَكُونُوا فِيهَا
خَالِدِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨﴾: أي: وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ.

وَطَمَّانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ بِأَنَّهُ سَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُمْ،
وَسَيُحَقِّقُ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ نَصْرِ وَنَجَاةٍ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِمْ لَهُمْ، بِأَسْلُوبِ بَيَانِ
سُنَّتِهِ الَّتِي حَقَّقَهَا لِرُسُلِهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَلِأَعْدَائِهِمُ الْكَافِرِينَ
الْمُسْرِفِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِدَائِهِمْ لِلْحَقِّ وَدُعَاتِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾:

أي: وَبَعْدَ مُدَّةٍ إِمْهَالٍ كَافِيَةٍ لِلْكَافِرِينَ الْمُسْرِفِينَ؛ صَدَقْنَا رُسُلَنَا
- عَلَيْهِمُ السَّلَامَ - الْوَعْدَ، بِتَحْقِيقِ مَا كُنَّا وَعَدْنَاهُمْ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ مِنْ كَيْدِ
أَعْدَائِهِمْ وَمَا دَبَّرُوهُ مِنْ شَرٍّ، وَأَنْجَيْنَا مَنْ نَشَاءُ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ
- عَلَيْهِمُ السَّلَامَ -، وَمَنْ قَضَتْ حُكْمَتُنَا بِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْإِهْلَاكَ،
وَأَهْلَكْنَا بِوَسَائِلِنَا الْكَفَرَةَ الْمُسْرِفِينَ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثته، وفتحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٠ - ١٥)

■ قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِهِ كَانَتْ طَائِفَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَنَلَّوْنَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾﴾:

القراءات:

(١٢) • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [بَأْسَنَا] بِإِذَالِ الْهَمْزَةِ الْفَاءِ.

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [بَأْسَنَا].

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُهُمْ، مَعَ حَثِّهِمْ عَلَى أَنْ يَعْقِلُوا.

وفيها إِنْذَارٌ لَهُمْ بِاللَّعْنِ وَالْإِهْلَاكِ إِذَا أَصْرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ عِنَادِيٍّ جُحُودِيٍّ، وَعِدَاءٍ لِدِينِ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ، كَمَا فَعَلَ رَبُّهُمْ بِكُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى خِطَابًا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُولَ ﷺ، وَكَذَّبُوا

بِالْقُرْآنِ الَّذِي يُوحِي اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَجَحَدُوا الْحَقَّ الْجَلِيلَ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ
دِينُ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ:

• ﴿لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠):

أي: أفسس لكم محققاً أنَّ الكتابَ الَّذِي نُوحِي بآياته وسوره إلى
رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ - ﷺ -؛ هو آيةٌ عظمى أَجَلُ مِنَ الآياتِ المَادِّيَةِ الَّتِي
تُطَالِبُونَ بِأَنْ يُؤْتَى مُحَمَّدٌ - ﷺ - مِنْهَا. فُهِمَ هَذَا مِنَ الرِّبْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ
وَبَعْضِ مَا جَاءَ فِي الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّورَةِ.

وَأُفْسِسُ لَكُمْ مُحَقَّقاً أَنَّا أُنزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ لِخَيْرِكُمْ فِيهِ ذِكْرُكُمْ، أي: فِيهِ
مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْهِدَايَةِ إِلَى سَعَادَةِ النَّاسِ مَا يُوْجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَدَبَّرُوهُ،
وَتَحْفَظُوا مَعَانِيَهُ فِي ذَاكِرَاتِكُمْ، وَتَسْتَدْعُوا مِنْهَا عِنْدَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مَا يُلَاقِيهَا
لِلْعَمَلِ بِهِ، وَالْاهْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ. وَفِيهِ شَرَفٌ عَظِيمٌ لَكُمْ، إِذْ أُنزِلَ بِلُغَتِكُمْ وَعَلَى
رَسُولٍ هُوَ مِنْكُمْ، لُغَةً وَنَسَباً، فَهُوَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلِمَ آذَا لَا تَفْتَخِرُونَ بِهِ
وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِ؟.

• ﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١١): أي: أَغْلَبَتْكُمْ أَهْوَاؤُكُمْ، وَدَوَافِعُ
كِبَرِكُمْ، وَتَقَالِيدُكُمْ الْعَمِيَاءَ، وَتُفُورُكُمْ مِنَ الْإِلْزَامِ بِدِينِ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ
لِعِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، فَجَعَلَكُمْ ذَلِكَ لَا تَعْقِلُونَ عَقْلاً عِلْمِيّاً حَقَائِقَ
هَذَا الدِّينِ، وَلَا تَعْقِلُونَ نُفُوسَكُمْ عَقْلاً إِرَادِيّاً عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا
وَكِبَرِهَا وَتَقَالِيدِهَا الْعَمِيَاءَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُلَوِّحُ بِإِنذَارِ الْمُعَالَجِينَ بِتَغْذِيهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ:

• ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١٢)
﴿فَلَمَّا أَحَسُوا بِأَنسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٣) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَيَّ مَا أَثَرْتُمْ
فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْتَلُونَ﴾ (١٤) قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٥) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَبِيدِينَ﴾ (١٦):

«كَمْ هُنَا حَبْرِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى عَدَدٍ كَثِيرٍ مُبْنِيهِمُ الْقَدْرِ وَالْجِنْسِ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ، وَتَمْيِيزُهَا هُنَا: ﴿مِنْ قَرِيبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾».

﴿قَصَمْنَا﴾: أَضْلُ الْقَضْمِ: الْكَسْرُ الَّذِي يَخْضُلُ فِيهِ انْفِصَالٌ، وَيُسْتَعْمَلُ الْقَضْمُ بِمَعْنَى الْإِهْلَاكِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

والمراد بـ ﴿قَرِيبٍ﴾: أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا، وَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِ بِهِ.

أي: وَعَدَدًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَى قَصَمْنَاهَا قَضْمًا تَغْذِيبًا وَإِهْلَاكِ مُسْتَأْصِلًا، وَهَذِهِ الْقُرَى كَانَتْ ظَالِمَةً ظُلْمًا شَنِيعًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْجُحُودِيِّ، الْمَضْحُوبِ بِالْكَيدِ الشَّدِيدِ ضِدَّ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَضِدَّ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ، كَحَالِ كُفَّارِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، الْمَعْنِيْنَ بِالْعِلَاجِ فِي السُّورَةِ.

وَيَعْدُ أَنْ أَهْلَكْنَا هَذِهِ الْقُرَى إِهْلَاكَ اسْتِثْصَالٍ؛ أَنْشَأْنَا قَوْمًا آخَرِينَ، حَلُّوا أَمَاكِينَ الْمُهْلِكِينَ، مِنْ سُلَالَاتٍ أَقْوَامٍ لَمْ يُهْلِكُوا، إِذْ لَمْ تَدْعُ الْحِكْمَةُ إِهْلَاكَهُمْ.

الإِنْشَاءُ: الْإِحْدَاثُ الْمَضْحُوبُ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ غَالِبًا.

أَمَّا الْكُفَّارُ سُكَّانُ الْقُرَى الَّتِي صَدَرَ الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ بِتَغْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا أَحْسَوْا بِأَنَّ عَذَابَ اللَّهِ الشَّدِيدَ تُقْبَلُ وَسَائِلُهُ نَحْوُهُمْ، وَنَحْوَ قُرَاهُمْ، صَارُوا يَرْكُضُونَ هَرَبًا مِنْ قُرَاهُمْ وَمَسَاكِينِهِمْ فِي كُلِّ اتِّجَاوٍ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَحِلَّ عَلَيْهِمُ الْمُعَذِّبَاتُ الْمَهْلِكَاتُ، وَكَانَ هَرَبُهُمْ هَذَا مُفَاجِئًا.

الْبَاسُ: شِدَّةُ الْعَذَابِ، وَالْحَرْبُ.

الْإِخْسَاسُ: الْإِدْرَاكُ بِالْحَوَاسِّ أَوْ بَعْضِهَا، وَهِيَ حَوَاسُّ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ، وَاللَّمْسِ، وَالشَّمِّ، وَالذَّوْقِ.

فَيَقَالُ لَهُمْ بِلِسَانٍ حَالِ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ، الَّذِي يَجْرِي تَنْفِيزُهُ بِالْقَهْرِ
الرَّبَّانِيِّ: لَا تَرْكُضُوا هَرَبًا مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ وَإِهْلَاكِهَ لَكُمْ، فَأَنْتُمْ هَالِكُونَ لَا
مَحَالَةَ.

وَيَقَالُ لَهُمْ أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ: ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسْكِنِكُمْ﴾: أي: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا إِذَا نَزَلَ بِكُمْ عَذَابُ رَبِّكُمْ وَإِهْلَاكِهَ لَكُمْ،
أَنْ تَرْجِعُوا لِأَنْكُمْ سَتَكُونُونَ هَلَكَى.

المُتْرَفُ: الكثيرُ الاستمتاعِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٣): اسْتِكْمَالٌ لِعِبَارَةِ التَّهْكُمِ، أي: وَلَنْ
تُسْأَلُوا عَنْ سَبَبِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ تَعْذِيبٍ لَكُمْ، وَتَدْمِيرٌ لِمَسَاكِينِكُمْ وَلِكُلِّ مَا
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ، لِأَنَّكُمْ وَاقِعُونَ فِي قَبْضَةِ التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَلَا
تُسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ وَلَا تُجِيبُونَ عَلَى شَيْءٍ.

وَيَكُونُ قَوْلُكُمْ الَّذِي تُرَدِّدُونَهُ اعْتِرَافًا بِجَرَائِمِكُمْ: إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ،
وَبِسَبَبِ ظُلْمِنَا الشَّدِيدِ، مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْعَنِيدِ؛ يُعَاقِبُنَا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ
بِتَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ مُسْتَأْصِلٍ.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾:

﴿يَوَيْلَنَا﴾: عِبَارَةٌ نُذِبَتْ تَحْمِيلُ مَعْنَى التَّفَجُّعِ، وَالتَّحَسُّرِ، وَالْحُزَنِ،
وَالتَّوَجُّعِ، كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَا عَذَابَنَا الشَّدِيدَ؛ هَلْ مِنَ الْمُمَكِنِ أَنْ تَنْصَرِفَ
عَنَّا، إِذَا اعْتَرَفْنَا بِجَرَائِمِنَا قَائِلِينَ: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾: أي: فَمَا زَالَتْ عِبَارَةُ: ﴿يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ﴾ دُعَاءُهُمُ الَّذِي يُكْرِّرُونَهُ، يَسْتَغِيثُونَ بِهِ رَبَّهُمْ أَنْ يَرْفَعَ مَا أَنْزَلَ بِهِمْ
بِاعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، وَلَكِنْ بَعْدَ بَدْءِ نُزُولِ الْعِقَابِ الرَّبَّانِيِّ لَا يَرْفَعُ
عِقَابَهُ الدُّعَاءُ.

الدَّعْوَى: مَصْدَرٌ كَالدَّعَاءِ، مِنْ فَعَلَ: «دَعَا يَدْعُو».

• ﴿حَقَّقْ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾: أي: حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ
بِالْمَنْجَلِ وَنَحْوِهِ، مُتْرَامِينَ هَلَكَى عَلَى الْأَرْضِ.

الْحَصِيدُ: الْمَحْصُودُ مِنَ الزَّرْعِ بِالْمَنْجَلِ وَنَحْوِهِ.

خَامِدِينَ: أي: قَتَلَى كَجَمْرِ كَانَ مُلْتَهَبًا فَأُظْفِئَ فَصَارَ فَحْمًا خَامِدًا
بَارِدًا، أَوْ صَارَ رَمَادًا.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٦ - ٢٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ۖ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا
لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعِلِينَ ۖ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا
هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ۖ ۝١٨ وَلَكُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۖ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۖ ۝٢٠
أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ۖ ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ ۝٢٢ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
ۖ ۝٢٣ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۖ ۝٢٤﴾

القراءات:

- (٢٤) • قرأ حفص: [مَنْ مَعِيَ] بِفَتْحِ ياء المتكلم.
وقراها باقي القراء العشرة بإسكانِ ياء المتكلم.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَّانٌ مَقْرُونٌ بِحُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ؛ بِأَنَّ خَلْقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَيْسَ لَعِبًا وَلَا لَهْوًا، بَلْ هُوَ لِعَايَةِ حَكِيمَةٍ، هِيَ امْتِحَانُ النَّاسِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الامْتِحَانُ يَسْتَشِيعُ الْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الدِّينِ.

وفيها مُنَاقَشَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي شُرُكِيَّاتِهِمْ، وَمَا يَفْتَرُونَ مِنْ بَاطِلٍ عَلَى اللَّهِ بَارِئِهِمْ، وَالْمُهَيِّمِينَ عَلَيْهِمْ دَوَامًا بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ.

وفيها تَعْلِيمُ الرَّسُولِ ﷺ وَكُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ أَنْ يُطَالِبَهُمْ بِزُهَانِهِمْ عَلَى مَا يَفْتَرُونَهُ مِنْ شُرُكِيَّاتٍ، مِنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، أَوْ دَلِيلٍ نَقْلِيٍّ عَنْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَأْبَى أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ذَوِي إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ، يَخْتَارُونَ بِهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ دُونَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ حَيَاةٌ أُخْرَى يَكُونُ فِيهَا حِسَابٌ، وَفَضْلٌ قَضَاءٍ، وَتَنْفِيزُ جَزَاءٍ، وَإِلَّا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ لَعِبًا وَلَهْوًا، وَقَدْ تَنَزَّهَ الْبَارِي - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - عَنِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ:

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾﴾:

أي: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَحْيَاءٍ وَمِنْهَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ذَوُو الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ، الْمُمَكِّنُونَ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْإِيمَانِ

وَالْكَافِرِ، وَالتَّافِعِ وَالضُّرِّ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَقَتْلِ
وَتَعْذِيبِ الْأَبْرِيَاءِ، وَأَكْلِ حُقُوقِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَبَذْلِ الْعَوْنِ وَالْعَطَاءِ،
وإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي نَفْعِ النَّاسِ، وَالْإِصْلَاحِ، إِلَى سَائِرِ الْمُتَضَادَّاتِ
وَالْمُتَنَاقِضَاتِ؛ مَا خَلَقْنَا ذَلِكَ لَأَعْبِينَ وَلَا لَاهِينَ، دُونَ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْخَلْقُ لَامْتِحَانٍ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ، وَدُونَ أَنْ يَسْتَتَبِعَ هَذَا الْاِمْتِحَانُ
الْحِسَابَ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ.

اللَّعِبُ: ضِدُّ الْجَدِّ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا دُونَ هَدَفٍ يَفْصِدُهُ
أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ وَالْكَمَالِ: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَشْغَلُ نَفْسَهُ
بِعَمَلٍ ذِي نَفْعٍ ضَيِّيلٍ حَقِيرٍ، وَهُوَ قَادِرٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِعَمَلٍ
ذِي نَفْعٍ جَلِيلٍ كَبِيرٍ؛ يُقَالُ لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ.

اللَّهُوُ: الْاِشْتِغَالُ بِضَيِّيلِ الْقِيَمَةِ انْصِرَافًا عَمَّا يَجِبُ تَوْجِيهُ الْجَهْدِ
وَالْعَمَلِ لَهُ.

إِنَّ الْخَالِقَ الْمُبْدِعَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا، وَهُوَ مُحِيطٌ
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَحَكِيمٌ فِي كُلِّ اخْتِيَارَاتِهِ؛ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ عَقْلًا أَنْ يَخْلُقَ
الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَبَثًا، وَأَنْ يَكُونَ لَاعِبًا أَوْ لَاهِيًا بِخَلْقِهِ لَهُمَا، دُونَ قَصْدِ
امْتِحَانِهِمَا فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِتْبَاعِ هَذَا الْاِمْتِحَانِ بِالْجَزَاءِ بِالْعَدْلِ أَوْ
بِالْفَضْلِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ أَيُّهَا الْكَافِرَةُ الْمُشْرِكُونَ الْآخِرَةَ وَالْجَزَاءَ؟!

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُوَ أَوْ
لَعِبًا، (وَلَنْ يُرِيدَ)؛ لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي عِبَادٍ يَفْرَحُونَ وَيَحْزَنُونَ، وَيَتَأَلَّمُونَ
وَيُسْرُونَ، وَيَغْضَبُونَ وَيَرْضَوْنَ، وَيَسْعُدُونَ وَيَشْقَوْنَ، إِلَى سَائِرِ الْمَشَاعِرِ
الْمُتَنَاقِضَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ، الَّتِي يَتَعَرَّضُونَ لَهَا فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ، دُونَ غَايَةِ
حَكِيمَةٍ، بَلْ لَوْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ لَفَعَلَهُ بِمَخْلُوقَاتٍ عِنْدَهُ لَا أَحَاسِيسَ لَهَا وَلَا
مَشَاعِرَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَيْسَ لَهَا صِفَاتُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَكَيْفَ تَغْفُلُونَ عَنْ
هَذِهِ الْحَقِيقَةِ!!؟.

• ﴿... إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (٧): أي: إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ عَلَى سَبِيلِ
الافتِرَاضِ الاحْتِمَالِيِّ الَّذِي نَتَزَرُّهُ عَنْهُ، وَلَا نَفْعَلُهُ أَيْضاً.

اسْتُعْمِلْتُ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْاِحْتِمَالَ مَرْفُوضٌ
أَيْضاً، لِأَنَّهُ يَتَنَافَى مَعَ كَمَالِ صِفَاتِ الرَّبِّ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ، فَهُوَ جَلٌّ جَلَالُهُ
وَعَظُمُ سُلْطَانُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ؛ لَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ وَلَا يَغْبُثُ، بَلْ كُلُّ
أَفْعَالِهِ حَكِيمَةٌ ذَوَاتُ غَايَاتٍ سَامِيَّاتٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعْقِيْباً عَلَى الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ السَّابِقَةِ فِي الْآيَتَيْنِ
(١٦) وَ (١٧):

• ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
نُصِفُونَ﴾ (٨):

الْقَذْفُ: رَمَى شَيْءٍ ثَقِيلٍ كَحَجَرٍ، أَوْ حَدِيدَةٍ، بِقُوَّةٍ مِنَ الْقَازِفِ، وَقَدْ
اسْتُعِيرَ الْقَذْفُ هُنَا لِتَقْدِيمِ الْحُجَّةِ الْحَقِّ بِقُوَّةٍ تُزْهِقُ الْبَاطِلَ، وَتُكْشِفُ أَنَّهُ
بَاطِلٌ لَا ثَبَاتَ لَهُ.

• ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بَيَّانِ الْحَقِّ حُجَّةً لِإِزَالَةِ الْبَاطِلِ وَجَعْلِهِ مَضْمَحاً
بِسُرْعَةٍ، فَالْعُقُوفُ الَّتِي تُدْرِكُ الْحَقَّ وَلَدَيْهَا الْاسْتِعْذَادُ لِلْإِيمَانِ بِهِ؛ تَطْرُدُ
الْبَاطِلَ عَنْهَا بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ.

• ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: أي: فَيَسْجُهُ حَتَّى يَبْلُغَ دِمَاعَهُ وَيُخْرِجَهُ مِنْ رَأْسِهِ.
وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ، إِذْ شُبِّهَ انْتِصَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ؛ بِمَنْ يَقْتُلُ
حَضْمَهُ بِأَسْلُوبِ شَجِّهِ، وَإِخْرَاجِ دِمَاعِهِ مِنْ رَأْسِهِ.

• ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: أي: فَإِذَا الْبَاطِلُ زَائِلٌ بِسُرْعَةٍ، دُونَ أَنْ يَكُونَ
لَهُ ثَبَاتٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى الْمُقَاوَمَةِ.

• ﴿... وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (٩): أي: وَلَكُمُ أَيْهَا الْكَافِرَةُ

الَّذِينَ تُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، مِنْ أَجْلِ مَا تَصِفُونَ رَبَّكُمْ بِهِ مِمَّا هُوَ مُنْزَعٌ عَنْهُ.

المعنى: لَا نَدْعُ الْبَاطِلَ الَّذِي تُرَوِّجُونَهُ أَيُّهَا الْمُبْطِلُونَ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ، وَهُوَ مُضَادٌّ أَوْ مُنَاقِضٌ لِلْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِي الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَيْنَاهُ لِعِبَادِنَا؛ لَا نَدْعُهُ يَنْتَشِرُ دُونَ أَنْ نُزْهِقَهُ بِالْبُرْهَانِ الدَّامِغِ، بَلْ نَقْذِفُ بِبَرَاهِينِ الْحَقِّ عَلَى رَأْسِهِ ذِي الدِّمَاغِ الْفَاسِدِ، فَيُكْسِرُ رَأْسَهُ، وَيُخْرِجُ دِمَاغَهُ، وَيَجْعَلُهُ قَتِيلًا زَاهِقًا زَائِلًا بِسُرْعَةٍ، فَلَا يَقْبَلُهُ إِلَّا الْفَاسِدُونَ الْمُجْرِمُونَ الْكَافِرَةُ بِالْحَقِّ الْجَلِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ مَالِكٌ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ مَنْ عِنْدَهُ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ:

• ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾:

«مَنْ» اسْمٌ مَوْصُولٌ خَاصٌّ بِذِي الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ غَالِبًا، فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ: الْمَلَائِكَةُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَقِسْمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ: هُمْ أَهْلُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَجِبْرِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَمَلَكِ الْمَوْتِ، وَنَحْوِهِمْ.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: أَي: لَا يَتَعَبُونَ، وَلَا يَمَلُونَ.

﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: أَي: لَا يَنْقُطِعُونَ عَنْ تَسْبِيحِهِمْ، وَلَا يَسْكُنُ نَشَاطُهُمْ بِفُتُورٍ يَغْرِضُ لَهُمْ.

المعنى: وَلِلَّهِ مِلْكٌ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ذَوِي الْعِلْمِ، وَلَهُ مِلْكٌ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ذَوِي الْعِلْمِ، وَجَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى أَنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَحْيَاءٍ وَأَشْيَاءٍ.

وَمَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى لَا يَسْتَكْبِرُونَ مُتَمَنِّعِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ عِبَادَاتٍ، وَلَا يَتَعَبُونَ وَلَا يَمَلُونَ، فَهُمْ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ دَوَاماً فِي كُلِّ أَجْزَاءِ دَوْرَةِ الزَّمَنِ، وَلَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ تَسْبِيحِهِمْ، وَلَا يَسْكُنُ نَشَاطُهُمْ بِقُتُورٍ يَعْزُضُ لَهُمْ، فَقَدْ مَنَحَهُمُ اللَّهُ فِي تَكْوِينِهِمُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّسْبِيحِ الدَّائِمِ، وَالرَّغْبَةَ الدَّائِمَةَ فِيهِ، كَمَا مَنَحَ النَّاسَ الرَّغْبَةَ فِي التَّنَفُّسِ الدَّائِمِ، لَا زَبَاطَ الْحَيَاةِ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاوِرِ الْمُشْرِكِينَ لِإِقْنَاعِهِمْ بِفَسَادِ شِرْكِهِمْ:

- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾
- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

«أم» هَذِهِ مُنْقَطِعَةٌ، وَمَعْنَاهَا يَنْحَلُّ إِلَى اسْتِفْهَامٍ مَعَ إِضْرَابِ انْتِقَالِيٍّ، وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامُ انْكَارِيٍّ، يُنْكَرُ الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ بِهِ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ.

- ﴿هُمْ يُبْشِرُونَ﴾: أَي: هُمْ يُخَيِّوْنَ الْمَوْتَى، يُقَالُ لُغَةً: «نَشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ، يَنْشُرُهُ، نَشْرًا، وَنُشُورًا، وَأَنْشَرَهُ إِنْشَارًا» أَي: أَحْيَاهُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

أَي: إِضْرَابًا عَنْ مَقَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ السَّابِقَةِ، وَعَنْ مَوَاقِفِهِمُ الضَّالَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنَ الرَّسُولِ - ﷺ -؛ أَتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ قَادِرُونَ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؟!.

إِنَّ إِلَهَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَى، فَهَلْ أَحْيَا شَيْءٌ مِنْهَا مَيِّتًا، وَبَعَثَتْهُ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟!

لَكِنَّ اللَّهَ خَالِقَ الْكَوْنِ كُلِّهِ يُحْيِي الْمَوْتَى، فَقَدْ مَكَّنَ رَسُولًا مِنْ رُسُلِهِ
وهو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَأَخِيَا قَتِيلَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لِيُخْبِرَ عَنْ قَاتِلِهِ، وَأَخِيَا الْعُزَيْرَ بَعْدَ أَنْ أَمَاتَهُ مِئَةَ عَامٍ، وَأَخِيَا حِمَارَهُ
وَأَرَاهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَخِيَا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الطُّيُورَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي
دَبَحَهَا وَخَلَطَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا، ثُمَّ دَعَاهُمْ
فَجِئْنَا إِلَيْهِ سَعْيًا.

وَجَاءَ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ بَيَانٌ أَنَّ إِلَهَةَ الْمُشْرِكِينَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا
تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَهُنَا جَاءَ بَيَانٌ أَنَّهَا لَا تُحْيِي الْمَوْتَى، لِقَطْعِ كُلِّ طَرِيقٍ عَلَى
دَعَاوَى الْمُشْرِكِينَ بِشَأْنِ آلِهَتِهِمْ.

وَجَاءَ التَّوَكُّيدُ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ «هُمْ» فِي عِبَارَةٍ: «هُمْ يُشْرُونَ»، وَهُوَ
تَوَكُّيدٌ لِنَفْيِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، إِذْ جَاءَ تَحْتَ عُمُومِ الاسْتِفْهَامِ
الْإِنْكَارِيِّ.

• ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (٢١):

أي: لَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهَةٌ حَقِيقَةٌ يَصِحُّ أَنْ تُعْبَدَ، إِذْ هِيَ
أَرْبَابٌ أَوْ لَهَا رُبُوبِيَّاتٌ خَلْقٌ أَوْ تَصَارِيفُ فِي الْكَوْنِ؛ لَفَسَدَتِ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ، وَلَمْ تَبْقَا عَلَى صَلَاحِهِمَا الدَّائِمِ الْمُسْتَمِرِّ، وَنِظَامِهِمَا الضَّابِطِ
لِكُلِّ أَصْغَرِ جُزْءٍ مِنْهُمَا مَوْقِعًا، وَحَرَكَةً، وَتَأَثَّرًا وَتَأَثِيرًا.

وَالسَّبَبُ الْمُؤَدِّي لِهَذَا الْفَسَادِ أَنَّ الْإِلَهَةَ الْأَرْبَابَ، الَّتِي لَهَا قُدْرَاتٌ
عَلَى أَنْ تَتَصَرَّفَ بِرُبُوبِيَّاتٍ بِإِرَادَاتٍ حُرَّةٍ غَيْرِ مَجْبُورَةٍ بِمُقْتَضَى رُبُوبِيَّاتِهَا الَّتِي
لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِي صِفَاتِهَا إِرَادَاتٌ ذَوَاتُ حُرِّيَّاتٍ لَا حَجَرَ عَلَيْهَا وَلَا مُجْبِرَ
لَهَا؛ مِنْ غَيْرِ الْمُمَكِّنِ عَقْلًا أَنْ تَتَّفِقَ إِرَادَاتُهَا الْحُرَّةُ عَلَى أَنْ تَتَصَرَّفَ بِمَا لَهَا
رُبُوبِيَّةٌ عَلَيْهِ؛ تَصَرُّفَاتٍ مُتَطَابِقَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُ الْإِلَهَةِ الْأَرْبَابِ إِنْقَادَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِفَلْقِ الْبَحْرِ لِمُوسَى

عَلَيْهِ السَّلَام بِمُعْجَزَةِ الْعَصَا، وَإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ وَجَيْشِهِ فِي مَكَانِ الْفَرَقِ؛ وَلَمْ يُرِدْ هَذَا إِلَهَ رَبِّ آخَرٍ، وَهُمَا مُتَكَافِئَانِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، فَأَيُّ الرَّبَّيْنِ تَتَحَقَّقُ إِرَادَتُهُ؟! .

هُنَا لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ فَسَادُ عَظِيمٍ نَتِيجَةِ تَضَارُبٍ وَتَعَارُضٍ الْإِرَادَتَيْنِ لِلرَّبَّيْنِ، وَيَتَفَاقَمُ الْأَمْرُ إِذَا كَانُوا آلِهَةً أَرْبَابًا.

وهَذَا مِثَالٌ لِحَدَثٍ جُزْئِيٍّ فِي مَكَانٍ مِنَ الْكَوْنِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ وَحْدَةٌ مُتَرَابِطَةٌ، فَكَيْفَ إِذَا تَصَوَّرْنَا مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ مِنْ اِحْتِمَالَاتٍ التَّعَارُضِ وَالتَّنَاقُضِ بَيْنَ إِرَادَاتِ الْآلِهَةِ الْأَرْبَابِ، ذَوِي الْقُوَى الْمُتَكَافِئَةِ فِي رُبُوبِيَّاتِهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيذِ مُرَادَاتِهَا؟! .

• ﴿... فَسَبِّحْنَا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢):

أَي: فَتَنَزَّهَ اللَّهُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ رَبُّ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَأَعْظَمُ مِنْهَا، عَمَّا يَصِفُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنْ لَهُ شُرَكَاءُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَيِّ وَصْفٍ مِنْهُمَا.

وَمِنْ صِفَاتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْأَلُهُ لِيُحَاسِبَهُ عَمَّا يَفْعَلُ، فَهُوَ الْقَهَّارُ الْجَبَّارُ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، دُونَ خَوْفٍ مِنْ سُؤَالٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ، وَلَكِنْ كُلُّ أَفْعَالِهِ حَكِيمَةٌ مُطَابِقَةٌ لِلْعَدْلِ أَوْ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ.

الْعَرْشُ: مَخْلُوقٌ أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَهُوَ فَوْقَهَا وَمُحِيطٌ بِهَا، وَهُوَ خَاضِعٌ لِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣):

أَي: لَا أَحَدَ يَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَفْعَلُ مُحَاسِبًا لَهُ عَلَى أَفْعَالِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ، ﴿وَهُمْ﴾: أَي: وَكُلُّ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَا

يَفْعَلُونَ؛ يُسْأَلُونَ عَمَّا يُفْعَلُونَ بِإِزَادَاتِهِمْ، وَيُحَاسِبُونَ عَلَيْهِ، وَيُحَكِّمُ عَلَيْهِمْ بِهِ، لِمُجَازَاتِهِمْ، مَا لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ أَوْ يَغْفُ عَنْهُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أَنْ يُطَالِبَ الْمُخَالِفِينَ بِبُرْهَانِهِمْ عَلَى مَا يَدْعُونَ:

• ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

«أَمْ» هُنَا مُنْقَطِعَةٌ نَظِيرُ سَابِقَتِهَا.

أي: إِضْرَابًا عَنِ اتِّخَاذِ الْمُشْرِكِينَ آلِهَةً أَرْبَابًا؛ اتَّخَذُوا إِلَهَةً لَيْسُوا أَرْبَابًا، وَلَكِنْ أَمَرَ الرَّبُّ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ بِعِبَادَتِهِمْ أَوْ أَذِنَ بِعِبَادَتِهِمْ لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، إِذْ لَا يَصِحُّ عِبَادَةُ مَنْ لَيْسَ رَبًّا إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ دَعْوَاهُمْ؛ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ أَوْ يَا دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ؛ عَلَى أَنَّ اللَّهَ الرَّبَّ الَّذِي لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ؛ أَمَرَكُمْ بِعِبَادَةِ إِلَهَتِكُمْ فِي كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ أَذِنَ لَكُمْ بِهِ.

هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى آخِرِ حَيَاةِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ ذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي، فَهَلْ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الصَّحِيحَةِ النَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَوْ أَذِنَ بِعِبَادَةِ إِلَهَةٍ مِنْ دُونِهِ؟ إِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا، وَبِهَذَا تَسْفُطُ ذَرَائِعُهُمْ كُلُّهَا.

وجاء التعليقُ الرَّبَّانِيُّ بَيَانٌ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُحِبُّونَ أَنْ يَعْلَمُوا الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ لَا يُرِيدُونَ اسْتِمَاعَ بَرَاهِينِ الْحَقِّ.

وبهذا انتهى تدبرُ الدرس الثالث من دُرُوس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (٢٥ - ٢٩)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩):

القراءات:

- (٢٥) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [نُوحِي إِلَيْهِ].
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يُوحَىٰ إِلَيْهِ] بالبناء لما لم يُسَمَّ فاعله.
- (٢٥) • قرأ يعقوب: [فَاعْبُدُونِي] بإثبات ياء المتكلم وضلاً ووقفاً.
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [فَاعْبُدُونَ] بحذف ياء المتكلم.
- (٢٨) • قرأ يعقوب: [أَيْدِيهِمْ] بضَم هاء الضمير.
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَيْدِيهِمْ] بكسر هاء الضمير.
- (٢٩) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي إِلَهٌ] بفتح ياء المتكلم.
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة بإسكان ياء المتكلم.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس خطابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ بِأَنَّ

وَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِ نَظِيرُ وَحْيِهِ إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، لِإِسْمَاعِ الْمَكْذِبِينَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ دُونَ مُحَاظَبَتِهِمْ بِهَا.

وفيهما عرضُ قولِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ وَلَدًا، افتراءً عَلَى اللَّهِ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، مَعَ بَيَانِ وَاقِعِ حَالِ الْمَلَائِكَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيْ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥). وفي القراءة الأخرى: [إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ] بالبناء لما لم يسم فاعله، أي: يُوحَى إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَوْ بِأَمْرِ رَبِّهِ.

«مِنْ» في: ﴿مِنْ رَّسُولٍ﴾ مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النْفِي.

بَعْدَ نَفْيِ وُجُودِ إِلَهَةٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ (٢٤)، وَمُطَابَقَةِ الْمُشْرِكِينَ بِتَقْدِيمِ بُرْهَانِهِمْ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ تَقْدِيمِ بُرْهَانٍ مَا؛ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاظَباً رَسُولَهُ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ؛ أَنَّهُ مَا أَرْسَلَ رَسُولًا مَا مِنْ قَبْلِهِ بِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ إِلَّا كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ الْوَحْيِ أَوْ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِ رَسُولِ الْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَضِيَّتَيْنِ:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّهُ لَا إِلَهَ يُعْبَدُ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: الْأَمْرُ بِعِبَادَتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ -:

﴿فَاعْبُدُونِ﴾.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ إِسْمَاعُ الْكُفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ بِأُسْلُوبِ خِطَابِ الرُّسُولِ ﷺ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ فِرْيَةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اتَّخَذَ وَلَدًا وَزَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

هَذَا النَّصُّ يُبَيِّنُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَنَاتُ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، أَوْ أَنْ تَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ تُنْجِبُ مِنْهُ أَوْلَادًا، فَالرَّبُّ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، أَوْ أَنْ يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ مِمَّا خَلَقَ زَوْجَةً أَوْ وَلَدًا. الْوَلَدُ: يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ قَبِيلَةَ خُرَاعَةَ (مِنْ سُكَّانِ ضَوَاحِي مَكَّةَ) كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَنَاتُ اللَّهِ، أُمّهَاتُهُنَّ مِنْ سَرَوَاتِ الْجِنِّ، أَيِ: مِنْ أَشْرَافِ الْجِنِّ، وَذَوِي الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ فِيهِمْ.

وَكَانَ عَلَىٰ اعْتِقَادِهِمُ الْبَاطِلِ هَذَا بَعْضُ الْعَرَبِ، وَمِنْهُمْ بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ.

• ﴿سُبْحَنَهُ﴾: أَيِ: تَنَزَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَيْسُوا أَوْلَادًا لِلَّهِ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿... بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾: أَيِ: لَيْسُوا أَوْلَادًا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَتَنَزَّهَتْ دَاتُهُ وَصِفَاتُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، بَلِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَمْلُوكُونَ لَهُ، وَقَدْ جَعَلَهُمْ مُّكْرَمِينَ، أَيِ: ذَوِي مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ، وَمُنْزَهِينَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بَارِئِينَ، إِذْ فَطَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، فَهُمْ لَا يَعْصُونَهُ، وَبِأَمْرِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - يَفْعَلُونَ أَفْعَالَهُمْ فِي كَوْنِهِ.

يُقَالُ لَعَةً: «أَكْرَمَ فُلَانٌ فُلَانًا» أَيِ: رَفَعَ مِقْدَارَهُ، وَأَعْظَمَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مِيزَةً ذَاتَ فَضْلٍ.

• ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ﴾: أي: لَا يَقُولُونَ قَوْلًا إِلَّا إِذَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يَقُولُوهُ، وإذا كَانُوا لَا يَقُولُونَ قَوْلًا مَّا إِلَّا بِأَمْرِهِ؛ فَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا مَّا إِلَّا بِأَمْرِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، من بَابِ أَوْلَى.

• ﴿... وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٧٧): أي: وَكُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَهُ بِأَمْرِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

جاء في هَذِهِ الْعِبَارَةِ التَّضْرِيحُ بِمَا فُهِمَ مِنَ الْعِبَارَةِ السَّابِقَةِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

• ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾: أي: يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَاضِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكُلِّ زَمَنِ مِنْ أَزْمَانٍ وَجُودِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَهُوَ الْوَاقِعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ، لِكُلِّ زَمَنِ مِنْ أَزْمَانٍ وَجُودِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَهُوَ الْوَاقِعُ خَلْفَهُمْ إِذْ هُوَ غَيْبٌ عَنْهُمْ.

• ﴿... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى...﴾: أي: وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِأَحَدٍ مِنَ الْعَصَاةِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى اللَّهُ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ.

وجاء في نُصُوصٍ أُخْرَى؛ أَنَّ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ لِأَحَدٍ لَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الدَّلَالَتَيْنِ نَفْهُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ شَفَاعَةَ أَحَدٍ لِأَحَدٍ؛ مَا لَمْ يَكُنِ الْمَشْفُوعُ لَهُ قَدْ ارْتَضَى تَعَالَى أَنْ يُشْفَعَ لَهُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ قَدْ أَذِنَ لِلشَّافِعِ بِأَنْ يَشْفَعَ لَهُ، فَهُمَا شَرْطَانِ.

وفي هَذَا تَبَيَّنَ لِمُؤَلَّهِي الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنْ اتِّخَاذِ عِبَادَتِهِمْ ذَرِيعَةً لِلانْتِفَاعِ بِشَفَاعَتِهِمْ، إِذْ هُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى اللَّهُ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ.

• ﴿... وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٧٨):

الْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ: خَوْفٌ مَضْحُوبٌ بِتَعْظِيمِ وَمَهَابَةِ، وَقَدْ يَفْتَرُونَ بِهَا
الْحُبَّ وَالْإِجْلَالَ.

مُشْفِقُونَ: أَي: خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

أَي: وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ إِجْلَالِ رَبِّهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ لَهُ، وَمَهَابَتِهِمْ مِنْهُ، وَحُبِّهِمْ
لَهُ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ سُلْطَانِهِ وَجَبَرُوتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

• ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾:

أَي: وَمَنْ يَقُلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيُعْبُدَهُ مَنْ يَنْخَدِعُ
بِقَوْلِهِ، فَذَلِكَ الْمُنْحَطُّ فِي دَرَكَاتِ الْإِثْمِ نَجْزِيهِ عَذَابًا فِي جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
أَبَدًا.

كَذَلِكَ الْجَزَاءُ الْأَلِيمُ الْخَالِدُ فِي جَهَنَّمَ نَجْزِي كُلِّ الظَّالِمِينَ، مِنْ دَرَكَاتِ
هَذَا الظُّلْمِ الشَّنِيعِ الَّذِي يَدَّعِي فِيهِ الظَّالِمُ أَنَّهُ إِلَهٌُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مَهْمَا كَانَ
قَبْلَ ادِّعَائِهِ ذَا مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ مُفَضَّلَةٍ عِنْدَ رَبِّهِ، مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ رَسُولًا،
وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ مَعْصُومُونَ بِعِصْمَةِ اللَّهِ عَنِ ارْتِكَابِ مِثْلِ هَذَا الظُّلْمِ الشَّنِيعِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٩)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الأنبياء)

الآيات من (٣٠ - ٣٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهَا

مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٣﴾ :

القراءات:

(٣٠) • قرأ ابنُ كثير: [أَلَمْ يَرَ] بِدُونِ الواوِ العاطفة بَعْدَ هَمْزَةٍ

الاستفهام.

وقراها باقِي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [أَوْ لَمْ يَرَ] بإثبات الواوِ العاطفة.

(٣٠) • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [يُؤْمِنُونَ]، وكذلك

قَرَأَهَا حَمْزَةً فِي الْوَقْفِ.

وقراها باقِي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [يُؤْمِنُونَ].

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ ذِكْرُ حَقِيقَةِ عِلْمِيَّةِ كَوْنِيَّةِ كُبْرَى: هَلْ تَوَصَّلَ عُلَمَاءُ الْكَوْنِيَّاتِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، أَمْ لَمْ يَتَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهَا حَتَّى الْآنَ؟، وَهِيَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً عَظُمَى، فَجَزَّأَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَجْزَاءٍ، وَجَعَلَ مِنْهَا مَجَرَّاتٍ، وَنُجُومًا، وَكَوَاكِبَ.

وَفِيهَا بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ، مَعَ بَيَانِ ظَوَاهِرِ كَوْنِيَّةِ أُخْرَى، فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ حِكْمَةِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّاسَ لِيَبْلُوَهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ، وَمُنْبَهًا عُلَمَاءَ

الْكَوْنِيَّاتِ عَلَيْهَا رَغْبَةً فِي أَنْ تَدْفَعَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ:

• ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَفَقَنْهُمَا
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

﴿رَتْقًا﴾: الرَّتْقُ في اللُّغَةِ: إِلْصَاقُ عَنَاصِرِ الشَّيْءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا خَلَلٌ يُفْسِدُ التَّمَاسُكَ بَيْنَهَا، وَوَحَدَتَهَا الْكُلِّيَّةُ.

يُقَالُ لُغَةً: «رَتَّقَ الشَّيْءَ، يَرْتِقُهُ، وَيَرْتُقُهُ، رَتْقًا» أَي: سَدَّ الْخَلَلَ بَيْنَ عَنَاصِرِهِ، وَجَعَلَهَا مُلْتَمِثَةً. وَيُقَالُ: «رَتَّقَ الشَّيْءُ، يَرْتَقُ، رَتْقًا» أَي: انْسَدَّ وَالتَّامَ.

﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾: أَي: كَانَتَا مَرْتُوقَتَيْنِ مُجْتَمِعَتَيْنِ كُتْلَةً عَظِيمَةً غَيْرَ مُقَسَّمةٍ وَلَا مُفَصَّلةٍ، أَطْلُقَ الْمُضَدُّ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ.

وَالْفَتْقُ: ضِدُّ الرَّتْقِ، وَمِنْ صُورِ الْفَتْقِ تَجْزِئَةُ الشَّيْءِ الْمُجْتَمِعِ، وَتَقْسِيمُهُ إِلَى أَقْسَامٍ وَأَجْزَاءٍ مُتَفَاصِلَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ.

أَي: أَمَّا زَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْكُونِيَّاتِ؛ بَعِيدِينَ عَنْ إِدْرَاكِ
أَدِلَّةٍ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً مُجْتَمِعَةً، فَفَتَقْنَاهُمَا
وَقَسَّمْنَاهُمَا إِلَى سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَمَجَرَّاتٍ كَثِيرَاتٍ فِيهَا بَلَائِينُ النُّجُومِ
وَالْكَوَاكِبِ، وَمِنْهَا الْأَرْضُ، وَلَمْ يَرَوْهَا رُؤْيَةً فِكْرِيَّةً عِلْمِيَّةً، تَهْدِيهِمْ إِلَى
الْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَالْهِيْتِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ - عَبْدُ اللَّهِ وَنَبِيُّهُ
وَرَسُولُهُ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

وَلَسْتُ أَذْرِي هَلْ وَصَلَ عُلَمَاءُ الْكُونِيَّاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ
الْكُونِيَّةِ، أَمْ لَمْ يَصِلُوا بَعْدُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا؟؟.

وفي القراءة الأخرى: [أَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا...]. دون حرف عطف بَعْدَ
همزة الاستفهام.

هَذِهِ الْقِرَاءَةُ يُقْصَدُ بِهَا الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى أَدِلَّةٍ يُدْرِكُونَ بِهَا أَنَّ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً مُجْتَمِعَةً، فَقَسَمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَجَرَّاتٍ وَنُجُومٍ وَكَوَاكِبٍ. وَالْأَسْتِفْهَامُ فِيهَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ عَلَى الَّذِينَ أَذْرَكُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَلَمْ تَهْدِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

• ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾:

ثَبَّتَ بِالنَّصِّ الصَّرِيحِ الْجَلِيِّ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ - مِنَ الطِّينِ، أَيْ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ، وَهُوَ حَيٌّ مُمْتَارٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ: ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِبَارَةِ هُنَا أَنَّ الْمَاءَ هُوَ الْمَادَّةُ الْأَكْثَرُ فِي بِنَاءِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ، حَتَّى النَّبَاتِ الْحَيِّ النَّامِي، وَأَنَّهُ لَا حَيَاةَ بِدُونِ مَاءٍ، وَلَا يَدْخُلُ فِي عُمُومِ: ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ، فَالْمَلَائِكَةُ خُلِقُوا مِنْ نُورٍ، وَالْجِنُّ خُلِقُوا مِنْ نَارٍ، وَقَدْ ثَبَّتَ هَذَا فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ. فَالْمُرَادُ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ مِنَ الْمَشْهُودِ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ الْكَوْنِيَّاتِ أَنَّ ثُلُثِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ مُكَوَّنٌ مِنَ الْمَاءِ، وَأَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ تَتَكَوَّنُ غَالِباً مِنَ الْمَاءِ، وَأَنَّ بَعْضَ الثَّمَرَاتِ فِيهَا مِنَ الْمَاءِ بِنِسْبَةِ (٨٠٪).

فَوْجُودُ الْمَاءِ بِنِسْبَةِ عُظْمَى فِي الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ يُلَايِمُهُ أَنْ يُقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْأَحْيَاءَ مَتَى فَقَدَتْ مِيَاهَهَا فَقَدَتْ حَيَاتَهَا، فَالْمَاءُ فِيهَا شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ حَيَاتِهَا.

• ﴿... أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: اسْتِفْهَامٌ فِيهِ تَلْوِيمٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا إِذَا عَرَفُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقَهُمَا اللَّهُ، وَعَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَ الْحَيَاةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانٌ بَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ

العظيم:

• ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١) ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣):

في هذه الآيات بيان خمس آيات من آيات الله في كونه:

الآية الكونية الأولى: دَلَّ عَلَيْهَا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾:

سَبَقَ أَنْ جَاءَ التَّنْبِيهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ فِي السُّورِ
التالية: «المرسلات/ ٣٣ الآية (٢٧) - ق/ ٣٤ الآية (٧) - النمل/ ٤٨ الآية (٦١) - لقمان/ ٥٧ الآية (١٠) - فصلت/ ٦١ الآية (١٠) - النحل/ ٧٠ الآية (١٥)».

أي: وَجَعَلْنَا بِقُدْرَتِنَا الْعَظِيمَةِ وَحِكْمَتِنَا السَّامِيَةِ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا رَوَاسِيَ ثَابِتَاتٍ رَاسِخَاتٍ، مَنَعَ أَنْ تَتَحَرَّكَ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَتَضْطَرِبَ بِهِمْ.

يقال لُغَةً: «مَادَ الشَّيْءُ، يَمِيدُ، مِيدًا، وَمِيدَانًا» أي: تَحَرَّكَ واضطرب.

الآية الكونية الثانية: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١):

فِجَاجًا: جَمْعُ «فَجَجَ»، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

سُبُلًا: جَمْعُ «سَبِيلٍ»، وَهُوَ مَا وَضَحَ مِنَ الطَّرِيقِ وَصَلَحَ لِلْعُبُورِ عَلَيْهِ.

أي: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ طُرُقًا وَاسِعَةً بَيْنَ الْجِبَالِ، وَهَذِهِ الْفِجَاجُ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ سُبُلًا يَتَّخِذُهَا النَّاسُ لِسُلُوكِهَا، وَرَغْبَةً فِي أَنْ يَهْتَدُوا إِلَى الْأَمَاكِينِ الَّتِي يَقْصِدُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهَا.

الآية الكونية الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢):

تَرَجَّحَ لَدَيَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ هُنَا الْغِلَافُ الْغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا عَلَا فَأَظْلَلُ يُسَمَّى فِي اللُّغَةِ سَمَاءً.

وَيَنْطَبِقُ عَلَى الْغِلَافِ الْغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ أَنَّهُ كَالسَّقْفِ، وَهَذَا السَّقْفُ مَحْفُوظٌ مِمَّا يُفْسِدُهُ وَيُغَيِّرُ نِظَامَهُ مِنَ الْقُوَى الْكَوْنِيَّةِ الْكُبْرَى، وَهُوَ حَافِظٌ لِلْأَرْضِ مِنْ أَشْعَةٍ ضَارَّةٍ تَأْتِي مِنَ الشَّمْسِ وَغَيْرِهَا مِنَ النُّجُومِ، وَحَافِظٌ لِلْأَرْضِ مِنَ النَّيَازِكِ وَالْأَجْرَامِ الَّتِي تَنْجَذِبُ إِلَيْهَا، إِذْ تَحْتَرِقُ وَهِيَ هَاوِيَّةٌ، فَتَجْزَأُ فَتَتَلَاشَى أَوْ تَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ غَيْرَ ذَاتِ أَثَرٍ مُدْمِرٍ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا مُعْرِضُونَ عَنِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ، لِلْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ الْعَزِيزَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ قَدْ أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا، وَامْتَنَّ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْأَرْضِ، إِذْ جَعَلَ حَوْلَ دَارِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْأَرْضِ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَحَافِظًا لَهُمْ مِمَّا تُظْلِقُهُ الْأَجْرَامُ الْكَوْنِيَّةُ مِنْ قَوَاتِلَ وَمُهْلِكَاتٍ وَضَارَاتٍ وَمُؤْذِيَّاتٍ.

الآية الكونية الرابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾:

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ التَّذْيِيرَ الرَّبَّانِيَّ الَّذِي نَتَجَّ عَنْهُ ظَاهِرِيًّا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ؛ هُوَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ.

وقد سبق في نجوم التنزيل التنبية على هذه الآية الكونية في عدة نصوص، وسبق بيان ما فَتَحَ اللَّهُ بِهِ بِشَائِنَهَا.

الآية الكونية الخامسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣):

أَيُّ: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ بِقُدْرَتِهِ الْمُقْرُونَةَ بِحُكْمَتِهِ وَعَظِيمَ رَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَعِلْمِهِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ التَّنْبِيهُ عَلَى آتِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فِي عِدَّةِ نُصُوصٍ، وَسَبَقَ بَيَانُ مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ بِشَانِهِمَا.

وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَاتِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ أَنَّهُمَا يَدُورَانِ سَبْحًا فِي أَفْلَاكِ مُحَدَّدَةٍ لَهُمَا فِي السَّمَاءِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بِضَمِيرٍ مَنْ يَعْلَمُ وَيَعْقِلُ، لِأَنَّ ضَبْطَ سَبْحِهِمَا فِي أَفْلَاكِهِمَا عَبْرَ الدُّهُورِ، دُونَ أَنْ يَتَعَرَّضَا لِخَلَلٍ يُخْرِجُهُمَا عَنِ النُّظَامِ الْمُقَدَّرِ الْمُقْضِي لَهُمَا؛ إِنَّمَا هُوَ بِخَلْقِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ، فَاَنْضِبَاطُ سَبْحِهِمَا دُونَ خَلَلٍ يُشْبِهُ انضِبَاطَ ذَوِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، مَعَ أَنَّ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِيهِمَا هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، لَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ يُشْبِهُ أَفْعَالَ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ الْعُلَمَاءِ الْعُقَلَاءِ الضَّابِطِينَ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومِنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الأنبياء)

الآيات من (٣٤ - ٤١)

قال الله عزَّ وجلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِلنَّاسِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِتَّيَحَذُّونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُنَّكُمْ وَهُمْ

يَذَكِّرِ الرَّحْمَنُ هُمْ كَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ :

القراءات:

- (٣٤) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: [مُتَّ] بضَمِّ الميم، وهو لغة مطابقةٌ للقياس.
- وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مِثَّ] بِكسْرِ الميم، وهو لغة سماعية.
- (٣٥) • قرأ يعقوب: [تَرْجِعُونَ] بالمبني للمعلوم.
- وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [تُرْجِعُونَ].
- أي يُرْجِعُكُمْ اللهُ إلى الحياة فأنتم تَرْجِعُونَ بِالْجَبْرِ.
- (٣٦) • قرأ حفص: [إِلَّا هُزُواً].
- وقرأها حمزة وخلف: [إِلَّا هُزْأاً].
- وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [إِلَّا هُزْأاً].
- (٣٧) • قرأ يعقوب: [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.
- وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ] بحذف ياء المتكلم.
- (٣٩) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ] بضم هاء الضمير.
- وقرأها أبو عمر، ويعقوب: [عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ] بِكَسْرِ هَاءِ الضمير. وهذا كله عند الوصل، وأمّا عند الوقف فجميع على كسر الهاء وإسكان الميم.

(٤١) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ]. بِكَسْرِ دال «لَقَدْ».

وقرأها أبو جعفر وضلاً: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ]: بالياء بدل الهمزة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ] بضم دال «لَقَدْ». ووقف حمزة، وهشام، بإبدال الهمزة ياء ساكنة.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةُ أَيْمَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ مَوْتَ الرَّسُولِ ﷺ، لِتَخْلُصَ مِنْ دَعْوَتِهِ، بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَإِسْمَاعِهِمْ بِأَسْلُوبِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، مَعَ إِغْلَامِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ بِسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ لَمْ يَجْعَلْ لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِهِ الْخُلْدَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... أَفَأَيْنِمْ تَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ۖ﴾ (٣٤).

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا رِحْلَةً امْتِحَانٍ بِمَا يَرَاهُ النَّاسُ شَرًّا، وَبِمَا يَرَوْنَهُ خَيْرًا، وَأَنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعَثًا إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى، تَرْجِعُ فِيهَا الْخَلَائِقُ إِلَى رَبِّهَا، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِذِ الْجَزَاءِ.

وَفِيهَا بَيَانُ مَوْقِفِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ مِنْ إِنْذَارَاتِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ، وَهُوَ مَوْقِفُ الْاسْتَهْزَاءِ بِهَا وَبِالرَّسُولِ ﷺ الَّذِي يُنْذِرُهُمْ، مَعَ طَلَبِهِمْ تَعْجِيلَ تَحْقِيقِهَا تَغْيِيرًا عَنْ تَكْذِيبِهِمُ الرَّسُولَ ﷺ بِهَا.

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ عَجَلٍ.

وَفِيهَا مُعَالَجَتُهُمْ بِالْتَّرْهيبِ، وَبِإِقْيَاسِهِمْ عَلَى مَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ كُفَّارِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ وَإِسْمَاعِياً لِمُتَرَبِّصِي مَوْتِهِ مِنْ أُمَّةِ الْمُشْرِكِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾. وفي قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ: [تُرْجَعُونَ].

دَلٌّ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٣٤) عَلَى أَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ ﷺ، مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ؛ صَارَتْ نَفُوسُهُمْ تُحَدِّثُهُمْ بِأَن يَنْتَظِرُوا مَوْتَهُ، فَإِذَا مَاتَ تَخَلَّصُوا مِنْ دَعْوَتِهِ، وَمِنْ الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ، وَفَرَّقَ بِهِ اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى الشُّرْكِ وَلَوَازِمِ الشُّرْكِ فِي السُّلُوكِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَاشِفَةً لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ مَا تُحَدِّثُهُمْ بِهِ نَفُوسُهُمْ، مَعَ الْعِلَاجِ الْمُنَاسِبِ لِهَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا إِبَّانَ تَنْزِيلِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءَ/ ٧٣).

ثُمَّ صَارُوا يَتَحَدَّثُونَ صَرَاحَةً بِهَذِهِ الْأُمْنِيَةِ إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الطُّورِ/ ٥٢ مصحف/ ٧٦ نزول)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا قَوْلَهُ:

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُنَّ أَلَمْ نُقَبِّحْ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾.

وَقَدْ جَاءَ الْعِلَاجُ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءَ/ ٧٣ نزول) بِبَيَانِ أَنَّ الرَّبَّ بِحِكْمَتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - قَضَى أَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِلْإِمْتِحَانِ، وَأَنْ تَكُونَ قَصِيرَةً لِلْمُتَمَتِّحِينَ، وَأَنْ تَنْتَهِيَ بِالْمَوْتِ، وَأَنْ تَكُونَ بَعْدَهَا رَجْعَةً إِلَى حَيَاةِ الْخُلُودِ، وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى يَكُونُ الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَتَحْقِيقُ الْجَزَاءِ، عَلَى مَا قَدَّمَ الْمُتَمَتِّحُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فِيهِ طَاعَةُ اللَّهِ، أَوْ عَمَلٍ فَاسِدٍ فِيهِ مَعْصِيَةُ اللَّهِ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾: أي: وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مُنْذُ عَهْدِ أَوَّلِ الْبَشَرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى زَمَنِكَ الَّذِي تَعِيشُهُ؛ الْخُلْدُ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَكُلُّ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ النَّاسِ قَدْ اسْتَوْفَى نَصِيبَهُ الْمَقْدَرُ لَهُ مِنَ الْحَيَاةِ هَذِهِ، حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَبِانْتِهَاءِ أَجَلِهِ فِيهَا أَمْتَاهُ، لِنَبْعَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مَعَ سَائِرِ الْمَبْعُوثِينَ.

وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ مُتَحَدِّثًا عَنْ مُنْتَظِرِي مَوْتِهِ مِنْ أُمَّةِ الشِّرْكِ:

• ﴿... أَفَايُنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤): أي: أَفَايُنَ مِتَّ يَا مُحَمَّدُ عَقِبَ انْتِهَاءِ أَجَلِكَ الْمَقْدَرِ لَكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ أَفَهُمْ وَخَدَهُمُ الْخَالِدُونَ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، دُونَ سَائِرِ الْبَشَرِ الْمَقْضِيِّ عَلَيْهِمْ بِالْمَوْتِ؟.

استفهامٌ يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أي: إِنَّهُمْ كَسَائِرِ الْبَشَرِ سَيَمُوتُونَ فِي آجَالِهِمُ الْمَقْدَرَةِ لَهُمْ، وَسَوْفَ يُبْعَثُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى مَعَ سَائِرِ الْمَبْعُوثِينَ، فَلَا يَطْمَعُ طَامِعٌ مِنْهُمْ بِأَنْ يَكُونَ خَالِدًا فِي ظُرُوفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَجَاءَ الْعِلَاجُ فِي سُورَةِ (الطور/ ٧٦ نزول) بِتَعْلِيمِ الرُّسُولِ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿تَرَيُّوْا﴾: أي: انْتَظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ مَا يَقْضِي اللَّهُ لَنَا.

رَيْبُ الْمُنُونِ: حَوَادِثُ الدَّهْرِ الْمَمِيئَةِ.

وَأَتَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبَيَانَ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣) بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾ (٢٥):

هَذَا بَيَانُ قَانُونِ رَبَّانِيٍّ عَامٍّ، تَمَّ بِهِ تَقْدِيرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ، فَجَعَلَ بِهِ كُلَّ النَّفْسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْأُولَى؛ لَا بُدَّ أَنْ تَذُوقَ الْمَوْتَ بَعْدَ انْتِهَاءِ آجَالِهَا الْمَقْدَرَةِ الْمَقْضِيَةِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

النَّفْس: هِيَ الطَّبْعَةُ الْمَقْدَرَةُ الْمُقْضِيَّةُ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ حَيًّا، وَفِيهَا خَرِيطَةُ تَكْوِينِهِ، وَكُلُّ صِفَاتِهِ الَّتِي سَيَكُونُ عَلَيْهَا وَهُوَ حَيٌّ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّفْسَ ذَاتَ حَيَاةٍ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَالرُّوحُ مَخْلُوقٌ رَبَّانِيٌّ يَكُونُ بِأَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِي، وَمَتَى اتَّصَلَ بِالنَّفْسِ كَانَتِ النَّفْسُ كَائِنًا حَيًّا، فَالرُّوحُ بِمِثَابَةِ الطَّاقَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا جِهَازُ النَّفْسِ أَعْمَالَهُ وَفُقْ خَرِيطَةُ تَكْوِينِهِ، وَحِينَ تَنْفَصِلُ هَذِهِ الطَّاقَةُ عَنِ النَّفْسِ تَذُوقُ النَّفْسِ الْمَوْتَ.

وَلِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ إِلَى أَدْنَاهَا نُفُوسٌ بِحَسَبِهَا، كُلُّ مَلَكٍ لَهُ نَفْسٌ، وَيَكُونُ حَيًّا بِاتِّصَالِهَا بِالرُّوحِ الَّتِي يَخْلُقُهَا اللَّهُ لَهُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ مُبَاشَرَةً، وَتَذُوقُ الْمَوْتَ بِانْفِصَالِ الرُّوحِ عَنْهَا. وَكَذَلِكَ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَكُلُّ جَنِّيٍّ، وَكُلُّ ذِي حَيَاةٍ حَتَّى الْحَشَرَاتِ وَالْمَيَكْرُوبَاتِ وَالْفَيْرُوسَاتِ، وَمَا دُونَ ذَلِكَ إِنْ وُجِدَ.

فَالْأَحْيَاءُ الدُّنْيَا، وَمَا فَوْقَهَا مِنَ الْمَرَاتِبِ، حَتَّى أَحْيَاءُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كإِسْرَافِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَجِبْرَائِيلَ؛ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسٌ خَاصَّةٌ بِهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَذُوقَ هَذِهِ النَّفْسُ الْمَوْتَ بِانْفِصَالِ الرُّوحِ عَنْهَا عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَلِ حَيَاتِهَا الْأُولَى، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ حَيَاةٌ خُلُودٌ لِبَعْضِ الْأَحْيَاءِ، وَلَا سِيَمَا مَنْ كَانَ مَوْضُوعًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

وَبَعْدَ هَذَا خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢٥):

• ﴿وَتَبْلُوكُم﴾: أَي: وَنُخْتَبِرُكُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ أَنْتُمْ فِيهَا مَوْضُوعُونَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

• ﴿بِالشَّرِّ﴾: أَي: بِمَا تَرَوْنَهُ شَرًّا مِمَّا تَكْرَهُونَ كَالْمَرَضِ، وَالْفَقْرِ،

وَالذُّلَّ، وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ، وَكَمَوْتٍ مَنْ هُوَ عَزِيزٌ وَيُعْتَبَرُ مَوْتُهُ مُصِيبَةً لَكُمْ، وَمَا تَرَوْنَهُ شَرًّا هُوَ فِي تَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا خَيْرٌ، لِأَنَّ الْامْتِحَانَ يَقْتَضِي اخْتِبَارَ الْمُتَمَتِّحِينَ بِمَا يَسُوؤُهُ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ خَيْرٌ، لِأَنَّهُ يُوصِلُ إِلَى كَشْفِ نَفْسِ الْمُتَمَتِّحِينَ، فَهُوَ فِي مَقَايِسِ الْامْتِحَانِ خَيْرٌ.

• ﴿وَالْخَيْرِ﴾: أي: وَنَبَلُّوكُمْ بِمَا تَرَوْنَهُ خَيْرًا مِمَّا تُحِبُّونَ، كَالصَّحَّةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالْعِنَى، وَالْعِزِّ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِاللَّذَاتِ وَالسَّارَاتِ.

• ﴿فِتْنَةً﴾: أي: ابْتِلَاءً، فَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، لِتَوْكِيدِ مَعْنَى الْابْتِلَاءِ.

فَالِابْتِلَاءُ بِالْمَكَارِهِ هُوَ لِاخْتِبَارِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ وَالِالْتِمَاجِ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ.

وَالِابْتِلَاءُ بِالْمَحَابِّ وَالسَّارَاتِ هُوَ لِاخْتِبَارِ الشُّكْرِ، وَالنَّعَاءِ عَلَى اللَّهِ بِالْمَحَامِدِ، وَالِإِيمَانِ الْعَمِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ بِالْإِبْجَادِ وَالْإِمْدَادِ، وَالْحَيَاةِ، وَفَضَّلَ بِالْإِنْسَانِيَّةِ، وَرَزَقَ، وَعَافَى وَأَمْتَعَ، وَابْتَلَى لِيَمْتَحِنَ.

• ﴿... وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾: أي: وَسَنُيْمِتُكُمْ، ثُمَّ نَبْعَثُكُمْ، وَإِلَى حِسَابِنَا، وَفَضَّلَ قَضَائِنَا، وَتَنْفِيزَ جَزَائِنَا؛ تُرْجِعُكُمْ بِالْبَعْثِ، فَتَرْجِعُونَ بِالْجَبْرِ، فَلَا تَمْلِكُونَ عِنَادًا وَلَا قُدْرَةً عَلَى الْمُمَانَةِ.

وَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ الْعَوْدُ إِلَى خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ، لِيُعْلِمَهُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِمَا يُؤْذِيهِ بِهِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ: فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ:

• ﴿وَإِذَا رَأَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

أي: وَإِذَا رَأَاكَ أَيْمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا رَسُولَنَا يَا مُحَمَّدُ؛ مَا يَتَّخِذُونَكَ

إِلَّا إِنْسَانًا مُّسْتَهْزِئًا بِهِ، قَائِلِينَ لِأَتْبَاعِهِمْ: أَهَذَا الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ؛ يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ يَعْبُدُونَهَا بِسُوءٍ، وَيَلُومُكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا، وَهِيَ مِيرَاثُ قَوْمِكُمُ الدِّينِيِّ.

«إِنْ» حَرْفُ نَفْيٍ بِمَعْنَى «مَا».

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي ﴿أَهَذَا الَّذِي...﴾؟: اسْتِفْهَامُ اسْتِهْزَاءٍ وَسُخْرِيَّةٍ.

• ﴿... وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٦): أَي: وَالْحَالُ أَنَّهُمْ بِالذِّكْرِ الْمُنْزَلِ مِنَ الرَّحْمَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْكِتَابِ الْمُعْجَزِ الَّذِي هُوَ هُدًى وَنُورٌ؛ هُمْ كَافِرُونَ.

إِنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ، لِأَنَّهُ يَذْكُرُ أَوْثَانَهُمُ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ بِسُوءٍ، فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ، الْهَادِي إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ، وَالْمُنْزَلِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الرَّحْمَنِ.

ضَمِيرُ الْفَضْلِ فِي: ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ جِيءَ بِهِ لِتَوْكِيدِ كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ لَا يَكْفُرَ بِهِ، وَفِي هَذَا تَلْوِيمٌ شَدِيدٌ ضَمِنِيٌّ لَهُمْ، وَإِيمَاءٌ إِلَى سَفَاهَتِهِمْ وَقِلَّةِ عُقُولِهِمْ.

وَانْتَقَلَ الْبَيَانُ فِي هَذَا الدَّرْسِ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ اسْتِعْجَالِ أُيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ مَا أُنْذِرُوا بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ (٢٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠):

بَدَأَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانِ أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ خُلِقَتْ مِنْ عَجَلٍ، فَهُوَ عَاجُولٌ بِفِطْرَتِهِ.

العَجَلُ: السُّرْعَةُ، وَهِيَ خِلَافُ الْبُطْءِ.

وَمَا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ فِطْرَةِ السُّرْعَةِ؛ تَجْعَلُهُ يَسْتَعْجِلُ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَتَحْرِمُهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْأَنَاءِ وَالْحِلْمِ، وَمِنْ فَضِيلَةِ إِتْقَانِ أَعْمَالِهِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِتْقَانَهَا إِلَى زَمَنِ طَوِيلٍ، وَهُوَ بَاسْتِعْجَالِهِ يُرِيدُ اخْتِصَارَ هَذَا الزَّمَنِ، فَتَأْتِي أَعْمَالُهُ نَاقِصَةً وَغَيْرَ مُتَقَنَةٍ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠) بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ عَجُولٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا:

﴿... وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝﴾.

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/ ٧٣) الْجَارِي تَذَبُّرُهَا؛ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْعَجَلََّةَ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، كَالْمَاءِ وَالتُّرَابِ فِي جَسَدِهِ، فَهِيَ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْمُحَرَّكَةِ لِمَطَالِبِهِ وَأَعْمَالِهِ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنْ جَسَدٍ وَنَفْسٍ، أَمَّا الْجَسَدُ فَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ غُنْصُرَهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ، وَأَمَّا النَّفْسُ فَدَلَّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ عَلَى أَنَّ السُّرْعَةَ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْكُبْرَى الَّتِي كُوتَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ مِنْهَا، لِأَنَّ السُّرْعَةَ مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْجَسَدِ.

عَلَى أَنَّ صِفَاتِ النَّفْسِ الَّتِي كُوتَتْ مِنْهَا كَثِيرَةٌ، مِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ ضَعِيفٌ، وَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ قَتُورٌ، وَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ جَحُودٌ، وَمِنْهَا أَنَّهُ هَلُوعٌ.

وَهَذِهِ صِفَاتٌ غَالِبَاتٌ عَلَى مُعْظَمِ النَّاسِ، وَهُمْ مَطَالِبُونَ بِضَبْطِ نَفُوسِهِمْ بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ إِرَادَاتٍ حَرَّةٍ قَادِرَةٍ عَلَى الضَّبْطِ الْمَطْلُوبِ مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ وَالْإِيمَانِ الصَّادِقِ.

وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ عَجَلٍ تَوَظُّتَهُ لِبَيَانِ اسْتِعْجَالِ أُمَّةٍ

الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ تَحْقِيقَ مَا أُنْذِرُوا بِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٢٧): أي: سَأُرِيكُمْ آيَاتِي الْجَزَائِيَّةَ الْمُؤَجَّلَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَالْمُعَجَّلَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا.

وَعُلُوءًا فِي تَعَلُّلِهِمْ لِلتَّكْذِيبِ بِمَا أُنْذِرُوا بِهِ؛ صَارُوا يُكَرِّرُونَ سُؤَالَهِمْ عَنِ الزَّمَنِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِيهِ وَاقِعًا، مَا وَعَدُوا خَبْرًا بِأَنَّهُ سَيَتَحَقَّقُ مُسْتَقْبَلًا، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨): أي: وَيَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّمَا أَخْبَرُوهُمْ بِمَا أُنْذَرُهُمْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ: فِي أَيِّ زَمَنِ يَتَحَقَّقُ هَذَا الْوَعْدُ، إِنْ كَانَ مَا تُخْبِرُونَ بِهِ خَبْرًا صَادِقًا؟!.

إِنَّهُمْ مِنْ حِمَاقَتِهِمْ يَجْعَلُونَ صِدْقَ الْوَعْدِ مُرْتَبِطًا بِالتَّعْرِيفِ بِوَقْتِ تَنْفِيزِهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَنْ يَعِدُ بِعِقَابٍ مِنَ الْبَشَرِ إِنَّمَا يُنْفِذُهُ فَجْأَةً وَمُبَاغَةً، وَلَا يُخْبِرُ عَنِ الزَّمَنِ الَّذِي يُحَقِّقُ فِيهِ عِقَابَهُ وَانْتِقَامَهُ، فَمَا بِالْهَمِّ يَجْعَلُونَ هَذَا السُّؤَالَ الَّذِي يُكَرِّرُونَهُ تَعَلُّةً لِلتَّكْذِيبِ بِمَا أُنْذِرُوا بِهِ؟!.

وَبَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلَاجَهُمْ بِتَقْدِيمِ لَقِطَةٍ مِنْ وَاقِعِ تَعَذِّبِهِمُ الَّذِي سَوْفَ يُلَاقُونَهُ يَوْمَ الدِّينِ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ﴾ (٢٩):

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُخْبِرُونَ خَبْرًا صَادِقًا، وَلَكِنَّهُمْ يُكْذِبُونَ وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا صِدْقَ الْخَبَرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مُصْداقِينَ مَا سَوْفَ يَخْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ، حِينَ يُلْقَوْنَ فِي النَّارِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكْفُوا عَنْ وُجُوهِِهِمْ لَهَبَ النَّارِ، فَضْلًا عَنْ سَائِرِ مُقَدِّمِ أَجْسَادِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكْفُوا عَنْ ظُهُورِهِمْ لَهَبَ النَّارِ، فَضْلًا عَنْ سَائِرِ مُؤَخَّرِ أَجْسَادِهِمْ.

وَكَفَّ النَّارَ عَنْهُمْ يَكُونُ بِجَعْلِهَا تَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَلَا تَمَسُّهُمْ، كَكَفِّ
الْأَيْدِي عَنْ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ يَكُونُ بِضَمِّهَا وَإِبْعَادِهَا عَنْ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِأَذَى أَوْ
بِمَا يَسْتَبِيرُهُمْ لِلْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ قِتَالِيَّةٍ.

فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَ عَذَابِ النَّارِ عَنْهُمْ، وَإِذَا أَرَادُوا الِاسْتِنصَارَ
بِمَنْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُنْصَرُونَ، إِذْ لَا يُوجَدُ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ.

وَبَعْدَ تَقْدِيمِ لَقْطَةٍ سَرِيعَةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ؛ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ عَمَّا أُنْذِرُوا بِهِ مِنْ مُعْجَلِ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ تَعَالَى:

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٤١):

أَي: وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ عُقُوبَاتِنَا الْمُعْجَلَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا نَعْلَمُهُمْ بِزَمَنِ
وُقُوعِهَا، بَلْ تَأْتِيهِمْ مُفَاجَأَةً دُونَ إِشْعَارٍ سَابِقٍ، فَتَبْهَتُهُمْ، إِذْ يَسْكُتُونَ
مُنْقَطِعِينَ مُتَحِيرِينَ مُنْذَهَشِينَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا عَنْهُمْ، وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ
يُنْظِرَهُمْ وَيُؤَخِّرَ عِقَابَهُمْ لِيُؤْمِنُوا، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ.

﴿بَغْتَةً﴾: أَي: مُفَاجَأَةً دُونَ إِشْعَارٍ سَابِقٍ، يُقَالُ لُغَةً: «بَغْتُهُ، يَبْغَتْهُ،
بَغْتًا، وَبَغْتَةً» أَي: فَجَأَةً، وَبَهْتُهُ.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: يُقَالُ لُغَةً: «بُهَتَ فُلَانٌ» أَي: نَزَلَ بِهِ مَا يُسْكِتُهُ وَيَجْعَلُهُ
مُتَحِيرًا مُنْذَهَشًا.

وَبَعْدَ هَذَا خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ مُسْلِيًا لَهُ، وَمُطْمَئِنًّا لَهُ
بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُنْزِلٌ بِأَعْدَائِهِ السَّاجِرِينَ بِهِ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَفِي
هَذَا إِسْمَاعٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّ اللَّهَ سَيَعَاظِيهِمْ عِقَابًا مُعْجَلًا:

• ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١):

جاء توكيدُ هذا البيانِ بلامِ القسمِ، و«قَدْ» الدالةُ على التحقيقِ، مُراعاةً لحالِ أئمةِ الكُفرِ والشُّركِ المُستهزئينِ بالإنذاراتِ، استهزاءً يُشعِرُ بأنَّهم يُكذِّبونَ بها.

• ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: أي: وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ كَثِيرِينَ مِنْ قَبْلِكَ، مِنْ قَبْلِ أَقْوَامِهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ بِمَا أَنْذَرُوهُمْ بِهِ بَلَاغًا عَنْ رَبِّهِمْ.

• ﴿... فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

يُقَالُ لُغَةً: «حَاقَ بِهِ الشَّيْءُ» أي: أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ. و«حَاقَ بِهِ الْأَمْرُ» أي: لَزِمَهُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ، «حَاقَ، يَحِيقُ، حَيْقًا، وَحُيُوقًا، وَحَيْقَانًا».

المعنى: فَبَعْدَ الإِمْهَالِ الطَّوِيلِ الَّذِي قَضَتْ بِهِ حِكْمَةُ اللَّهِ؛ أَصَابَ الَّذِينَ سَخِرُوا بِرُسُلِ رَبِّهِمْ - مُحِيطًا بِهِمْ - الْعِقَابُ الَّذِي أَنْذَرُوا بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ تَكْذِيبًا بِهِ، وَهُوَ الْعِقَابُ الْأَلِيمُ الْمُهِلِكُ.

وبهذا انتهتْ تدبُّر الدرس السادس من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الأنبياء)
الآيات من (٤٢ - ٤٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّنَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

القراءات:

(٤٤) • قرأ أبو عمرو: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] بِكسرِ الهاء والميم من «عَلَيْهِمْ».

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] بضم الهاء والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] بِكسرِ الهاء وضم الميم من «عليهم».

وهذا كله عند الوصل، وأما عند الوقف: فحمزة، ويعقوب بضم الهاء وإسكان الميم، ووقف الباقيون: بكسر الهاء وإسكان الميم.

(٤٥) • قرأ ابن عامر: [وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ].

(٤٧) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِثْقَالُ] بالرفع، على أن «كان» تامة.

وقراها باقي القراء العشرة: [مِثْقَالُ] بالنصب، على أن «كان» ناقصة.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ فلكل داع إلى الله من أمته؛ أسلوب حوار إقناعي، بشأن ربوبية الله التي لا يشاركه فيها أحد في الوجود كله. وبسأن آلهة المشركين التي لا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضرراً.

وفيهما بيان واقع حال المشركين، إذ طالت مدة إمهال الله عز وجل لهم، مع لفت نظرهم إلى بعض أدلة الله الكونية، التي تكشف لأهل العقل والرشد عظمة الله عز وجل في تصاريفه لكونه.

وفيهما تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ؛ أن يقول لأئمة الكفر والشرك الذين طال إمهال الله عز وجل لهم: إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّي، وَلَا أُنذِرُكُمْ مِنْ عِنْدِي، مع بيان الله لهم بأنهم بمشابهة الصم تجاه إنذارات ربهم لهم.

وفيهما عرض مشهد من مشاهد يوم القيامة يزهب أولي الألباب.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِكُلِّ رِسَالَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هُمْ عَالِمَةُ تَمَنُّهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ؟﴾: أي: مَنْ يَحْفَظُكُمْ؟.

﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾: أي: وَلَا هُمْ مِنَّا يُحْفَظُونَ أَوْ يُجَارُونَ.

المعنى: قُلْ لِلْكَفَرَةِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ بِهَذَا الدِّينِ: مَنْ يَحْفَظُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ حَوَادِثِ رَبِّكُمْ الرَّحْمَنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ بِكُمْ مَا تَكْرَهُونَ مِنْ مَصَائِبَ فِي أَجْسَامِكُمْ، أَوْ فِي أَهْلِكُمْ أَوْ أَوْلَادِكُمْ، أَوْ فِيمَنْ تُحِبُّونَ مِنَ النَّاسِ، أَوْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ فِي أَمْوَالِكُمْ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ؟.

إِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُجِيبُوا عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، بِأَنَّ أَحَدًا يَحْفَظُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ حَوَادِثِ رَبِّهِمُ الرَّحْمَنِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ.

• ﴿... بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾: أي: إِنَّهُمْ لَا

يَكْتَرِثُونَ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَا يُطْرَحُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُؤَالٍ يُذَكِّرُهُمْ بِاللَّهِ وَسُلْطَانِهِ عَلَى كَوْنِهِ، وَتَصَارِيفِهِ، فَيُعْرِضُونَ عَنِ الْإِجَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ السَّابِقِ، لِأَنَّهُمْ دَوَامًا عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ، لَا يَشْغَلُونَ أَفْكَارَهُمْ وَنُفُوسَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ.

الإعراض: حَالَةٌ وَسَطَى بَيْنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِذْبَارِ، وَيَكُونُ مَعَهَا انْصِرَافُ النَّفْسِ انْصِرَافًا كُلِّيًّا عَمَّا أُعْرِضَ الْإِنْسَانُ عَنْهُ.

• ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْنَا إِلَهُةً تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣):

«أم» هِيَ لِلإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِيُّ مُضْمَنَةٌ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ. أَي: بَلْ، أَلَهُمْ إِلَهَةٌ مِنْ دُونِ رَبُّوبِيَّتِنَا الْمُهِيمِنَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَهَذِهِ الْإِلَهَةُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ تُنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ مَصَائِبَ وَنَكَبَاتٍ؟، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ أَنْفُسِهَا مِنَّا، إِنْ أَرَدْنَا إِيَادَتَهَا أَوْ إِهْلَاكَهَا، وَلَيْسَ لَهَا مِنَّا حَافِظٌ يَحْفَظُهَا، وَلَا مُجِيرٌ يُجِيرُهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا عِلَّتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ، وَمُقَدِّمًا شَاهِدًا كَوْنِيًّا عَلَى فَسَادِ تَصَوُّرَاتِهِمْ:

• ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤):

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ مُصَدِّرًا بَيَانَهُ بِإِضْرَابِ انْتِقَالِيٍّ بِحَرْفِ «بَلْ»، فَيُبَيِّنُ أَنَّ عِلَّةَ الْمَعَالَجِينَ النَّفْسِيَّةَ؛ أَنَّهُمْ اغْتَرَوْا بِطُولِ الْمُدَّةِ الَّتِي مَتَّعْنَاهُمْ فِيهَا وَمَتَّعْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ آبَاءَهُمْ دُونَ أَنْ نُسَلِّبَ مِنْهُمْ النِّعْمَةَ، وَنُنْزِلَ بِهِمُ النِّقْمَةَ، مَعَ التِّزَامِ بِشُرْكَهِمْ وَلَوَازِمِهِ فِي السُّلُوكِ، فَزَعَمُوا أَنَّ طُولَ الزَّمَنِ وَهُمْ مُعَافُونَ مِنْ نِقْمَتِنَا وَشَدِيدِ عَذَابِنَا إِمْهَالًا لَهُمْ بِمُقْتَضَى حِكْمَتِنَا؛ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَالَهُمْ سَيَسْتَمِرُّ فِي عَافِيَةٍ، وَسَيَبْقَى لَهُمْ وَقَعُ التَّفَوُّقِ

على الرُّسُولِ ﷺ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَمْوَالِ وَفِي الْقُوَّةِ الْقِتَالِيَّةِ، فَإِذَا اضْطُرُّوا إِلَى مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ بِمُقْتَضَى نَفُوذِهِمْ.

لَا يَغْتَرُّوا بِطُولِ مُدَّةِ عَافِيَتِهِمْ إِمَهَالاً لَهُمْ حَتَّى بُلُوغِهِمْ دَرَكَةَ الْيَأْسِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ، فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِنَا فِي كَوْنِنَا أَنْ نَجْعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلاً، مَهْمَا طَالَتْ مُدَّةُ هَذَا الْأَجَلِ.

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ؛ حَرَكَةُ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الَّتِي تَضْرِبُ الْيَابِسَةَ عِنْدَ الشَّوَاطِئِ، وَيَمُرُّورِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ يَمْتَدُّ الْبَحْرُ عَلَى الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ، فَيُظْهِرُ لِلْمُلَاحِظِينَ ذَوِي الْفِكْرِ الْعِلْمِيِّ؛ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْقُصُ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ مِنْ أَطْرَافِهَا الَّتِي تَضْطَدُّ بِهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ الْكُونِيَّةُ لَا تَظْهَرُ بِمُرُورِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ لِلنَّاسِ الْعَادِيِّينَ، بَلْ تَحْتَاجُ أَجْيَالاً وَقُرُوناً، فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿... أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ ١٩:

دَعْوَةٌ لِأَذْكِيَاءِ الْعَافِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْثِ فِي الْكُونِيَّاتِ؛ أَنْ يُلَاحِظُوا أَجَالَ مَا يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ مِنْ أَحْدَاثٍ جِسَامٍ ضَمَّنَ سُنَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كَوْنِهِ، لِيُذَرِّكُوا أَنَّ إِمَهَالَ مُسْتَحَقِّي عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ مُتَّسِقٌ مَعَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْأَجَالِ، فَلَا يَغْتَرُّوا بِطُولِ مُدَّةِ الْإِمَهَالِ.

فَالْمَعْنَى: أَمَّا زَالَ الْمُؤَهَّلُونَ لِإِدْرَاكِ حِكْمَتِنَا السَّامِيَةِ فِي الْأَجَالِ غَارِقِينَ فِي غَفْلَاتِهِمْ، فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ مِنْ أَطْرَافِهَا الْمُلَاصِقَةِ لِلْبَحَارِ، فنَضْرِبُهَا بِأَمْوَاجِ الْبَحَارِ، وَحَرَكَةِ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ فِي أَرْوَاقِ طَوِيلَةٍ، فَتَنْقُصُ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ مِنْ أَطْرَافِهَا، فَيَتَسَّعُ سَطْحُ الْبَحْرِ أَخْذاً مِنْ مَسَاحَةِ سَطْحِ الْيَابِسَةِ عِنْدَ الشَّوَاطِئِ.

فَطَوَّلُ مُدَّةِ الزَّمَنِ جُزْءٌ مِنْ أَعْمَالٍ هَذَا النِّقْصِ الْمَتَابِعِ، وَلَكِنْ لَا يَظْهَرُ هَذَا النِّقْصُ لِلنَّاسِ إِلَّا بَعْدَ قُرُونٍ.

• ﴿... أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤): أي: إِذَا كَانَ لِكُلِّ حَدَثٍ فِي سُنَّتِنَا أَجَلٌ قَدْ يَطُولُ وَقَدْ يَقْصُرُ، وَقَدْ قَدَّرْنَا أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ؛ هُمُ الْغَالِبِينَ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ وَفِيمَا حَوْلَهَا.

أَقْبَعَدَ هَذَا التَّقْدِيرَ الْمُقْضِيَّ مِنَّا يَتَصَوَّرُ الْكُفْرَةُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْغَالِبِينَ لِرَسُولِنَا - ﷺ - وَلِلْمُسْلِمِينَ؟! . إِنَّهُمْ وَاهِمُونَ مَغْرُورُونَ جَاهِلُونَ بِسُنَّتِنَا فِي كَوْنِنَا، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْرِفَةَ الْحَقِيقَةِ مِنْ بَيَانَاتِنَا الَّتِي بَلَّغَهُمْ بِآيَاهَا رَسُولُنَا الْمُؤَيَّدُ مِنَّا بِمُعْجَزَاتِنَا وَآيَاتِنَا الْبَاهِرَاتِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ مَا يَقُولُهُ لِلْمُعَالَجِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمَكْذِبِينَ، مَعَ بَيَانِ إِصَابَةِ أَسْمَاعِهِمْ بِالصَّعَمِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا الدِّينِ، وَالْإِنْذَارِ بِعِقَابِ اللَّهِ لِلْمُسْتَحِقِّينَ عِقَابًا وَعَذَابًا مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُنْتَقِمِ الْجَبَّارِ:

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥) وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَلَّىَٰنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦):
وفي قراءة ابن عامر: [وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ].

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُعَالَجِينَ مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَأَتْبَاعِهِمْ: إِنِّي لَا أُنذِرُكُمْ مِنْ عِنْدِي، فَأَنَا لَا أَمْلِكُ إِنْذَارَكُمْ، إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِمَا أَتْلَقَاهُ مِنَ الْوَحْيِ عَنْ رَبِّي رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي بِيَدِهِ فِعْلُ مَا يَشَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَلَقَ مَا يَشَاءُ، وَإِهْلَاكَ مَنْ يَشَاءُ، وَمُعَاقِبَةُ مَنْ يَشَاءُ، وَمُكَافَأَةُ مَنْ يَشَاءُ، وَنَصْرُ مَنْ يَشَاءُ، وَخَذْلُ مَنْ يَشَاءُ.

وَلَكِنْ لَا يَسْمَعُ نِدَاءَكَ وَدُعَاءَكَ الْمُصَابُونَ بِدَاءِ الصَّعَمِ عَنْ سَمَاعِ دُعَاءِ مَنْ يُنذِرُهُمْ بِعِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الدِّينِ وَقَضَايَاهُ، وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ، وَلِلدِّينِ كُلِّهِ مَكْذِبُونَ، إِذْ هُمْ مَقْتُونُونَ بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَتَحْقِيقِ لَذَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا.

وَأُقْسِمُ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ مَسًّا غَيْرَ شَدِيدٍ؛ نَفْحَةٌ خَفِيفَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ أَیُّهَا
الْمُتَلَقِّي لِهَذَا الْبَيَانِ؛ لَيَقُولُنَّ شَاكِرِينَ تَعَاسَتْهُمْ وَمُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ: يَا وَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

الْإِنذَارُ: الْإِخْبَارُ بِعَاقِبَةٍ فِيهَا شَرٌّ لِمَنْ يُوجَّهُ لَهُ.

الدُّعَاءُ: الدَّاءُ وَرَفْعُ الصَّوْتِ بِأَمْرِ مَا.

الْمَسُّ: تَوْصِيلُ شَيْءٍ إِلَى جِسْمٍ بِلَا شِدَّةٍ، وَبِهِ يَحْصُلُ إِحْسَاسٌ
خَفِيفٌ.

نَفْحَةٌ: نَسَمَةٌ قَلِيلَةٌ، أَوْ مِقْدَارُهَا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.

يَا وَيْلَنَا: أَي: يَا حُزْنَنا الشَّدِيدَ، وَيَا تَوَجُّعَنَا وَيَا تَفَجُّعَنَا مِمَّا نَزَلَ بِنَا
مِنْ عَذَابٍ.

﴿... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦): أَي: إِنَّا نَسْتَحِقُّ عَذَابَ رَبِّنَا لِأَنَّنَا كُنَّا
ظَالِمِينَ ظُلْمًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا لِقِطْعَةٍ مِنْ لَقَطَاتِ مَوْزِنِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ
الْقَضَاءِ يَوْمَ الدِّينِ، وَمُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا﴾ (٤٧):

وفي قراءة نافع، وأبي جعفر: [وَإِنْ كَانَ مِثْقَالًا] بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنْ
«كَانَ» تَامَّةً، وَلَفْظُ «مِثْقَالٌ» فَاعِلٌ.

سَبَقَ فِي الْمَلْحَقِ الثَّالِثِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول)
بَيَانُ مَا يَكْفِي حَوْلَ الْوُزْنِ فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَضَعُ الْمَوَازِينَ: إِحْضَارُهَا وَإِجَادُهَا فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ.

الْمَوَازِينَ: جَمْعُ الْمِيزَانِ، وَأَفْهَمُ مِنْ دَلَالَةِ الْجَمْعِ تَعَدُّدُ أَفْرَادِهَا، وَتَعَدُّدُ أَنْوَاعِهَا، فَلِلْأَعْمَالِ الْجَسَدِيَّةِ مَوَازِينُ بِحَسَبِ أَنْوَاعِهَا، وَلِلْأَعْمَالِ الْفِكْرِيَّةِ مَوَازِينُ بِحَسَبِ أَنْوَاعِهَا، وَلِلنِّيَّاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَسَائِرِ أَعْمَالِ النَّفْسِ مَوَازِينُ بِحَسَبِ أَنْوَاعِهَا، وَلِقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِهِ وَكَثَافَتِهِ وَرِقَّتِهِ مَوَازِينُ. وَكُلُّ ذَلِكَ لِإِظْهَارِ كَمَالِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ لِلْعِبَادِ الَّذِينَ يُحَاسِبُونَ وَيُفَصِّلُ الْقَضَاءَ بِشَأْنِهِمْ.

القِسْطُ: الْعَدْلُ، وَهُوَ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَوَازِينَ الَّتِي يَضَعُهَا لِحِسَابِ النَّاسِ فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ يَوْمَ الدِّينِ بِأَنَّهَا مَوَازِينُ عَادِلَةٌ تُحَقِّقُ كَمَالَ الْعَدْلِ لِكُلِّ مَنْ يُوزَنُ لَهُ.

المعنى: وَنَضَعُ بِمَا لَنَا مِنْ رُبُوبِيَّةٍ عَظِيمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ لِحِسَابِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَلَا تُظْلَمُ يَوْمَئِذٍ نَفْسٌ شَيْئًا بِالنَّقْصِ مِنْ حَسَنَاتِهَا، أَوْ الزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ الزِّيَادَةُ فِي السَّيِّئَاتِ أَوْ النَّقْصُ مِنَ الْحَسَنَاتِ شَيْئًا قَلِيلاً جِدًّا، فَكُلُّ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ نَأْتِي بِهِ وَنَزِنُهُ بِالْمِيزَانِ الْمُلَائِمِ لِنَوْعِهِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ نُحَاسِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾: أَي: وَكَفَىٰ بِنَا عَادِينَ، وَمُحْصِينَ، وَمُقَدِّرِينَ لِكُلِّ شَيْءٍ كَبِيرًا كَانَ أَمْ صَغِيرًا وَدَقِيقًا.

الباء في ﴿بِنَا﴾: حَرْفُ جَرٍّ زَائِدٌ فِي الْفَاعِلِ الْمُظْهَرِ، وَهَلِيزِ الزِّيَادَةِ نَأْتِي كَثِيرًا بَعْدَ «كَفَىٰ». أَي: وَنَحْنُ نَكْفِي عَنْ كُلِّ حَاسِبٍ، حَالَةً كَوْنِنَا حَاسِبِينَ، بِالْجَمْعِ، مُرَاعَاةً لِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس السابع من دُرُوس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معاونته، ومددِهِ، وتوفيقِهِ، ومِيتِهِ، وفتحِهِ.



(١٢)

التدبر التحليلي للدرس الثامن من دُروس سورة (الأنبياء) الآيات من (٤٨ - ٥٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُنَافِقِينَ ۖ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۖ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۖ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا ۖ﴾ (٤٨)

القراءات:

(٤٨) • قرأ قُتُبُل: [وَضِيَاءَ] وهي لهجةٌ مِنَ اللَّهجات.

• وَقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [وَضِيَاءَ]، وهو مُضدَّرٌ لِفعلٍ «ضَاءَ» بِمَعْنَى: أَنَارَ وَأَشْرَقَ.

تمهيد:

في آياتِ هذا الدرسِ بَيَانُ لِقِطْعَةٍ مُّخْتَارَةٍ مِنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِشَأْنِ الْكِتَابِ الَّذِي آتَاهُمَا اللَّهُ إِيَّاهُ، تَمْهِيداً لِّبَيَانِ أَنَّ الْفُرْقَانَ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ﷺ، وَيُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا الْمَكْذِبِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾، بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ التَّلْوِيْمِيِّ.

التدبر التحليلي:

يُوجِّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِطَابَ بِضَمِيرِ الْمُتَحَدِّثِ الْعَظِيمِ، لِمُعَالَجَةِ مُكَذِّبِي الرُّسُولِ ﷺ وَالْمَكْذِبِينَ بِالذِّكْرِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي أَنزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، فَيُؤَكِّدُ لَهُمْ بِالْقَسَمِ الْمُنَوِيِّ، وَبِ«قَدْ» أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - آتَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا

لِلْمُتَّقِينَ، وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُرْآنَ ذِكْرًا مُبَارَكًا ثَرَّ الْمَعَانِي
وَالدَّلَالَاتِ، وَخَاطَبَ الْمَكْذِبِينَ الْكُفْرَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿... أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ ۝٥٥﴾!؟: دُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ عُذْرٌ فِي هَذَا الْإِنْكَارِ، وَقَدْ سَبَقَهُ
التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَأَنْتُمْ مُعْتَرِفُونَ بِهِذِهِ
الْحَقِيقَةِ، وَتَذْكُرُونَ أَنَّ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - رَسُولَانِ
أَرْسَلَهُمَا اللَّهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمَا كِتَابًا فِيهِ التَّعَالِيمُ الدِّينِيَّةُ، وَفِيهِ
مَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِمُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ،
وَأَنْ يَعْمَلُوا بِهِ طَاعَةً لِرَبِّهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾:
- ﴿وَلَقَدْ﴾: الْوَاوُ عَاطِفَةٌ مَوْضُوعٌ عَلَى مَوْضُوعٍ، وَ«الْأَم» وَاقِعَةٌ فِي
جَوَابِ قَسَمٍ مَنُوي، وَ«قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيقٍ، وَهَذَا التَّوَكِيدُ يُلَايِمُ حَالَ مُكْذِبِي
الرَّسُولِ ﷺ، الْمَكْذِبِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.
- ﴿آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ﴾: أَي: آتَيْنَاهُمَا بِعِظْمَةِ رُبُوبِيَّتِنَا عَنْ طَرِيقِ
الْوَحْيِ.

- ﴿... الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾، ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
كِتَابَ التَّوْرَةِ بِأَوْصَافٍ وَصَفَهُ بِهَا، وَهِيَ هُنَا ثَلَاثَةٌ أَوْصَافٍ:
- الْصِّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ «فُرْقَان»، وَهَذَا اللَّفْظُ مَصْدَرُ «فَرَقَ»، يُقَالُ لَعَةً:
«فَرَقَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْأَشْيَاءِ، يَفْرُقُ، فَرَقًا، وَفُرْقَانًا» أَي: فَصَلَ مُمَيِّزًا
بَيْنَهُمَا. وَيُقَالُ: «فَرَقَ بَيْنَ الْخَضْمَيْنِ» أَي: حَكَمَ وَفَصَلَ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كِتَابَ التَّوْرَةِ بِأَنَّهُ فُرْقَانٌ، لِأَنَّهُ يَفْرُقُ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالْعَيِّ،
وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَسَائِرِ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُطَالِبِينَ بِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ
فِيهِ.

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ «ضِيَاءٌ»، أَي: لَهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْعَوَايَةِ، لِمَعْرِفَةِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَنَسْتَفِيدُ مِنْ كَوْنِهِ ضِيَاءً أَنَّ فِيهِ أَنْوَارَ عِلْمٍ تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنَّ فِيهِ حَرَارَةً إِنْذَارَ بَعْدَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ، لِلْكَفَرَةِ الْمَكْذُوبِينَ الْمُعْرِضِينَ. فَالضِّيَاءُ فِيهِ نُورٌ وَحَرَارَةٌ، وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَسَمَّى الْقَمَرَ نُورًا.

الصِّفَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنَّهُ «ذِكْرٌ»، أَي: يَجِبُ أَنْ يَتَبَلَّغَهُ الْمَأْمُورُونَ بِأَنْ يَحْمِلُوهُ وَيَأْخُذُوهُ بِقُوَّةٍ، وَأَنْ يَتَفَهَّمُوا مَعَانِيَهُ وَيَتَدَبَّرُوهَا، وَأَنْ يَصْعُوهَا فِي ذَاكِرَاتِهِمْ، وَأَنْ يَتَذَكَّرُوا مِنْهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مَا يَلَائِمُهَا، لِلْعَمَلِ بِهَا طَاعَةً لِلَّهِ، وَسَعْيًا لِنَيْلِ رِضْوَانِهِ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الَّذِينَ اسْتَفَادُوا مِنْ كَوْنِ كِتَابِ التَّوْرَةِ فُرْقَانًا، وَضِيَاءً وَذِكْرًا؛ هُمُ الْمُتَّقُونَ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ أَلْسَاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

الْمُتَّقُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ وَقَايَةً مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ، بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، فَيَقْبِلُهُمُ اللَّهُ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، وَيَجْزِيهِمْ بِالْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ سُعْدَاءَ مُنْعَمِينَ.

• ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: هُمُ الَّذِينَ يَخَافُونَ عِقَابَ رَبِّهِمْ وَعَذَابَهُ وَهُوَ بِالْغَيْبِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى حَوَاسِهِمُ الظَّاهِرَةِ، لَكِنَّهُمْ مُوقِنُونَ بِذَاتِهِ وَبِصِفَاتِهِ الْحُسْنَى، مِنْ أَدِلَّةِ الْفِكْرِ السَّدِيدِ، وَالْعَقْلِ الرَّشِيدِ، وَخَوْفُهُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ وَعِقَابِهِ مَمْرُوجٌ بِإِجْلَالِهِ وَإِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ وَحُبِّهِ، فَالْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ فِي الْاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ فِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي.

وَعَالَمِ الْغَيْبِ: هُوَ كُلُّ مَا غَابَ عَنِ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ،
وَلَهُ وُجُودٌ قَابِلٌ لِأَنَّهُ يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ لَوْ أُوتِيَتْ الْقُدْرَةُ عَلَى إِدْرَاكِهَا.
أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مَشْهُودٌ لَهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ
سُلْطَانُهُ.

• ﴿... وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٤٩): أَيُّ: وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ
الدِّينِ، وَبِالْحَيَاةِ الْآخِرَى وَمَا فِيهَا مِنْ جَزَاءٍ وَخُلُودٍ، وَيَوْمِ الدِّينِ وَمَا فِيهِ
يَكُونُ بَدْؤُهُ بِسَاعَةِ الْبَعْثِ، الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْمَوْتَى بِخَلْقِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ التَّكْوِينِي،
مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي لَمْ تَفْنَ فِيهَا آخِرُ حَافِظَةِ طَبْعَةِ نَفْسِهِمْ، مِنْ ذَرَاتِ
أَجْسَادِهِمْ.

وَبِمَا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِذَا الْيَوْمِ وَبِمَا يَجْرِي فِيهِ مِنْ جَزَاءٍ؛ فَإِنَّهُمْ
مُشْفِقُونَ دَوَامًا، خَائِفُونَ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ عِقَابَ اللَّهِ
عَلَيْهَا، فَيَحَاوِلُونَ دَوَامًا الْإِتِمَامَ بِطَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ عَلَى مِقْدَارِ اسْتَطَاعَتِهِمْ.

السَّاعَةُ: يُرَادُ بِهَا هُنَا سَاعَةُ الْبَعْثِ.

مُشْفِقُونَ: أَيُّ: خَائِفُونَ مِنَ الْجَزَاءِ الْعِقَابِيِّ، الَّذِي تَجْرِي أَحْدَاثُهُ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي يَبْدَأُ بِسَاعَةِ بَعْثِ الْمَوْتَى، بَعْدَ انْقِضَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْقُرْآنِ الَّذِي بَلَّغَهُ لِلنَّاسِ آخِرُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ ﷺ، خِطَابًا لِلْمُنْكَرِينَ الْمَكْذِبِينَ:

• ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠):

• ﴿وَهَذَا﴾: أَيُّ: الْقُرْآنُ الَّذِي يُبَلِّغُهُ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - .

• ﴿ذِكْرٌ﴾: أَيُّ: يَجِبُ أَنْ تَتَبَلَّغُوهُ، وَتَتَفَهَّمُوا مَعَانِيَهُ وَتَتَدَبَّرُوا
دَلَالَاتِهِ، وَأَنْ تَضَعُوهَا فِي ذَاكِرَاتِكُمْ، وَأَنْ تَتَذَكَّرُوا مِنْهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مَا
يُلَاحِظُهَا، لِلْعَمَلِ بِهَا طَاعَةً لَنَا، وَسَعْيًا لِنَيْلِ رِضْوَانِنَا.

• ﴿مُبْرَكٌ﴾: أي: ذو بَرَكَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ التَّوْرَةِ. وَالْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الْحِسِّيَّاتِ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ.

وَمَعْنَى كَوْنِ الْقُرْآنِ مُبَارَكًا أَنَّهُ لَا تَنْضَبُ فُيُوضُ مَعَانِيهِ، وَأَنَّهُ ذُو خَيْرَاتٍ كَثِيرَاتٍ جِدًّا، فِكْرِيَّةٍ، وَنَفْسِيَّةٍ، وَشِفَائِيَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

• ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: أَنْزَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ - ﷺ - بِطَرِيقِ الْوَحْيِ.

• ﴿... أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥١): أي: أَمَرُكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرَةُ الْمُشْرِكُونَ أَمْرٌ مُسْتَنَكِرٌ جِدًّا، فِيهِ بُعْدٌ كَثِيرٌ عَنِ الْحَقِّ وَالرُّشْدِ، أَمَا زِلْتُمْ عَلَى ضَلَالِكُمْ الْقَدِيمِ، فَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ الْقُرْآنَ، وَتُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ الْمَبْلَغَ لَهُ، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ مِنَ التَّوْرَةِ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ بَرَكَةً وَخَيْرًا، وَأَنْتُمْ تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ أَهْلُ عَقْلِ وَرَأْيٍ سَدِيدٍ وَعَمَلٍ رَشِيدٍ!!.

الاستفهامُ هُنَا يَحْمِلُ مَعْنَى الْإِنْكَارِ الشَّدِيدِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّشْرِيبِ، وَالْإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ الْجَزَاءِ الْعِقَابِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٣)

التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الأنبياء)

الآيات من (٥١ - ٧٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا

بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّرْتُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ
وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ
﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ
هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ
﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَهْلِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا
بِإِلَهِنَا يَتَّبِعُهُمْ كَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلُهُم كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا
عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُ
كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾
وَبَخَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾

القراءات:

(٥٨) • قرأ الكِسَائِيُّ: [جُذَاذًا] بِكسْرِ الجيم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [جُذَاذًا] بِضَمِّ الجيم.

وَهُمَا لُغَتَانِ.

(٦٣) • قرأ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ: [فَسَلُّوهُمْ]. وكذلك

قراها حمزة في الوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [فَاسَلُّوهُمْ].

وَهُمَا لُغَتَانِ.

(٦٧) • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: [أف].

وقراها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: [أف].

وقراها باقي القراء العشرة: [أف].

وهي لغات من أصل لغات عشر لها.

(٧٣) • قرأ يعقوب، وحمزة: [إليهم] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [إليهم] بكسر الهاء.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس عرض لقطات من قصة إبراهيم عليه السلام، وهي تتعلق بفضل من فصول دعوته إلى دين الله الحق في قومه.

وقد سبق تدبر آيات هذا الدرس تدبراً تكاملياً مع سائر النصوص القرآنية المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام، في الملحق الثاني من ملاحق تدبر سورة (إبراهيم/ ٧٢ نزول).

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾:

الرُّشْدُ: السلوك الفكري، والنفسي، والخلقي، والعملِي؛ الموافق للحق والصواب، أو لما هو الأفضل والأحسن والأكثر نفعاً، والأبعد عن الضرر.

أي: ولقد آتينَا إبراهيمَ - عليه السلام - رُشدَهُ مِن قَبْلِ إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - وإنزال القرآن عليه.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَرَحَلَةً مِنْ مَرَاكِحِ مَسِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ:

● ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّيْتُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾:

بَدَأَ بِدَعْوَةِ أَبِيهِ قَبْلَ دَعْوَةِ سَائِرِ قَوْمِهِ، عَمَلًا بِالْمَنْهَجِ الدَّعْوِيِّ الْأَمْتَلِ، الَّذِي يَسْتَدْعِي دَعْوَةَ الْأَقْرَبِينَ مِنْ أَهْلِهِ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

● ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾؟: أَي: مَا حَقِيقَةُ هَذِهِ التَّمَاثِيلِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، الَّتِي تَنْحِتُونَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ، أَوْ تَصْنَعُونَهَا مِنْ غَيْرِ الْحِجَارَةِ، حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهَا بِاللَّوَانِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، كَالْمُلَازِمَةِ، وَالطَّوَافِ، وَالِدُعَاءِ، وَالرُّكُوعِ، وَتَقْدِيمِ الْقَرَابِينَ.

● ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾: أَي: الَّتِي أَنْتُمْ لِأَجْلِ عِبَادَتِهَا مُقِيمُونَ عِنْدَهَا، وَمُلَازِمُونَ الْمَكَانَ الَّذِي تَصْنَعُونَهَا فِيهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَكَفَ فِي الْمَكَانِ يَعْكَفُ، وَيَعْكِفُ، عَكْفًا، وَعُكُوفًا» أَي: أَقَامَ فِيهِ وَلَزِمَهُ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْعُكُوفِ أَنْ يَكُونَ لِلْعِبَادَةِ لُغَةً.

وَقَدْ صَارَ الْعُكُوفُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ أَوْ لِغَيْرِهِ.

● ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾﴾: أَي: قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ وَجَّهَ لَهُمُ السُّؤَالُ مِنْ قَوْمِهِ: نَحْنُ نَعْبُدُهَا بِهَذَا الْعُكُوفِ تَقْلِيدًا لِآبَائِنَا، إِذْ وَجَدْنَاهُمْ لَهَا عَابِدِينَ.

● ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾: أَي: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ أَجْرَى هَذَا الْحَوَارَ مَعَهُمْ: لَقَدْ كُنْتُمْ

أَنْتُمْ بِعِبَادَةِ هَٰذِهِ التَّمَاثِيلِ، وَكَانَ آبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلُكُمْ بِعِبَادَتِهَا؛ فِي ضَيَاعٍ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَاضِحٍ جَلِيٍّ، إِذْ لَيْسَ لِهَٰذِهِ التَّمَاثِيلِ رُبُوبِيَّةٌ وَلَا إِلَهِيَّةٌ.

فَدَهَشَ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ مِنْ مُوَاجَهَتِهِ لَهُمْ بِحَزْمٍ وَثِقَةٍ مِمَّا قَالَ لَهُمْ، إِذْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُنْعَمِسُونَ فِي ضَلَالٍ وَضَيَاعٍ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَهَٰذَا الضَّلَالُ مُبِينٌ، أَي: جَلِيٌّ وَوَاضِحٌ.

• ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ٥٥﴾: أي: قَالُوا لَهُ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ طَرِيقَتِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَأَنْتَ جَادٌ فِيمَا قُلْتَ، أَمْ قُلْتَ مَا قُلْتَ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ تُرِيدُ أَنْ تَلْعَبَ بِأَعْصَابِنَا، وَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَثِيرَ انْفِعَالَنَا؟ أَجِئْنَا بِالْحَقِّ الَّذِي تُؤْمِنُ بِهِ؟

• ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦﴾: أي: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ: أَنَا لَسْتُ مِنَ اللَّاعِينَ، بَلْ أَنَا جَادٌ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ، فَرَبُّكُمْ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ، وَيُهَيِّمُنْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِيكُمْ، وَيُجْرِي تَصَارِيفَهُ بِكُمْ، بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيُؤْتِيَكُمْ مِمَّا تَسْأَلُونَهُ، هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْمُتَصَرِّفُ دَوَامًا فِيهِمَا بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَالْمُهَيِّمُنْ دَوَامًا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمَا. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا إِبْدَاعًا وَفَقَ نِظَامَ الْفَطْرِ مِنَ الْبَاطِنِ، الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ خَلْقٌ مِنَ الْعَدَمِ، لِأَنَّ مَا بَعْدَ عُمُقِ بَاطِنٍ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْعَدَمُ لَا مَحَالَةَ.

• ﴿... وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦﴾: أي: وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ شُهُودًا فِكْرِيًا مَقْرُونًا بِالْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ يُعْلِنُونَ شَهَادَتَهُمْ بِهِ، شَهَادَةً بِاللِّسَانِ مُطَابِقَةً لِمَا فِي الْقَوَادِ مِنْ إِيْمَانٍ، رَاسِخٍ الْأَرْكَانِ، ثَابِتِ الْبُتْيَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَخْكِي مَا حَدَّثَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ فِيمَا

أَرَى، دُونَ أَنْ يُسْمَعَ مُحَاوِرِيهِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ تَحْطِيمِ أَصْنَامِهِمْ:

• ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾﴾:

تَاللَّهِ: قَسَمٌ بِحَرْفِ «التَّاء»، وهو خاصٌّ بالدُّخُولِ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ.

الْكَيْدُ: التَّدْبِيرُ الَّذِي فِيهِ مَكْرُوهٌ لِمَنْ دُبِّرَ ضِدُّهُ، وَيُطْلَقُ الْكَيْدُ عَلَى الْحَرْبِ، وَعَلَى إِعْدَادِ وَسَائِلِهَا، وَعَلَى الْحِيلَةِ.

وَكَانَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِهِ، وَدَبَّرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ أَنْ يُحْطَمَ أَصْنَامُهُمْ فِي الْمَكَانِ الْكَبِيرِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِهَا.

• ﴿... بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾﴾: أَي: فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَكُونُونَ فِيهِ بَعِيدِينَ عَنْ مَدِينَتِكُمْ، وَخَارِجِينَ مُدِيرِينَ مُبْتَعِدِينَ عَنْ أَسْوَارِهَا، أَوْ عَمَّا حَوْلَهَا مِنْ مَزَارِعَ، إِذْ تَكُونُ مَدِينَتُكُمْ خَالِيَةً مِمَّنْ يُرَاقِبُ مَا يَجْرِي فِي بَيْتِ أَصْنَامِكُمْ.

وَكَانَ لَهُمْ يَوْمَ عِيدٍ يَخْرُجُونَ فِيهِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ إِلَى مَكَانٍ وَاسِعٍ جَامِعٍ، بَعِيدٍ عَنْ حُدُودِهَا، يَفْعَلُونَ فِيهِ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ مِنْ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَزِينَةٍ وَأَكْلِ وَشُرْبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَسَنَحْتُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفُرْصَةَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي الَّتِي يَكُونُ بَعْدَهَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ أَعْيَادِهِمْ الْكُبْرَى، الَّتِي يَخْرُجُ فِيهَا كُلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِلْمُشَارَكَةِ فِي هَذَا الْعِيدِ، فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي الثُّجُومِ فَقَالَ: إِنِّي سَأَكُونُ غَدًا سَقِيمًا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشَارِكَ فِي هَذَا الْعِيدِ الْقَوْمِيِّ.

فَاسْرَعَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَى عِيدِهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ خَالِيَةً مِنْ أَيِّ رَقِيبٍ يُرَاقِبُ حَرَكَتَهُ؛ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ، فَدَخَلَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ، وَجَعَلَ يُحْطِمُ الْأَصْنَامَ بِأَسْنَانِهِ أَكْبَرِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَا فَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَوْتَانِهِمْ:

• ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨):

[الجُذَاذُ]: المَقَطَّعُ الْمَكْسَرُ. وكذلك [الجِذَاذُ] بكسر الجيم.

أي: فَجَعَلَ الْأَصْنَامَ قِطْعًا مَكْسَرَةً، بِاسْتِثْنَاءِ أَكْبَرِهَا، لَمْ يُكْسَرْ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ فَيَسْأَلُوهُ: مَنْ كَسَرَ سَائِرَ الْأَصْنَامِ، فَلَا يَجِدُوا عِنْدَهُ جَوَابًا، فَيَعْلَمُوا أَنََّّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، بِدَلِيلٍ عَمَلِيٍّ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهَا تَجْلُبُ نَفْعًا أَوْ تَدْفَعُ ضَرًّا؛ أَنْ يُعْلِمَهُمْ بِمَنْ حَطَّمَ سَائِرَ الْأَصْنَامِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهَا، وَيَحْمِيَهَا مِنَ التَّحْطِيطِ وَالتَّكْسِيرِ.

وَحِينَ عَادَ قَوْمُهُ مِنْ عِيدِهِمْ وَجَدُوا أَصْنَامَهُمْ فِي الْبَيْتِ الْكَبِيرِ لَهَا جُذَاذًا، بِاسْتِثْنَاءِ أَكْبَرِهَا حَجْمًا، أَوْ أَكْبَرِهَا فِي الْإِلَهِيَّةِ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ كَسَرَ وَحَطَّمَ أَصْنَامَهُمْ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا؟

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١):

أي: فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتِبَرَاؤُهُمْ، بَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا أَصْنَامَهُمْ مُحَطَّمَةً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ فَعَلَ هَذَا التَّحْطِيطَ وَالتَّكْسِيرَ بِالْهَيْتَا؟ ... إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩): أي: المتجاوزين حُدُودَ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ الَّذِي يُؤْمِنُ قَوْمُنَا بِهِ. فَأَكْدُوا قَوْلَهُمْ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ - وَاللَّامَ الْمَزْحَلَّةَ»، أي: بِالْمَسَاوِيَّاتِ لَهَا فِي لُغَتِهِمْ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ، وَيَقُولُ: إِنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ، وَهَذَا الْفَتَى يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ.

قَالَ قَادَةُ قَوْمِهِ: فَأَتُوا بِهِ، وَأَخْضَرُوهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ الَّذِينَ تَجْمَعُونَهُمْ لِهَذَا الْغَرَضِ، لِيَشْهَدُوا مُسَاءَ لَتْنَا لَهُ، وَمَا نَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ، إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَطَّمَ أَصْنَامَهُمْ.

فَأَخْضَرَهُ الْجُنُودُ لِيَسْأَلَهُ الْقَادَةُ بِحُضُورِ جَمْعٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ هَذَا فِي بَيْتِ أَصْنَامِهِمُ الَّذِي جَرَى فِيهِ التَّحْطِيطُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١١٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١٤﴾:

أي: قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِلِسَانٍ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ مِنْ كِبَرَائِهِمْ وَقَادَتِهِمْ: أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا التَّحْطِيطَ وَالتَّكْسِيرَ بِآلِهَتِنَا مِنَ الْأَصْنَامِ يَا إِبْرَاهِيمُ؟؟.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَهْزِئًا بِهِمْ وَمُسْتَخِفًّا بِعُقُولِهِمْ: لَا، بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا الَّذِي لَمْ يَمْسَهُ تَكْسِيرٌ وَلَا تَحْطِيطٌ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

لَقَدْ هَزَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُقُولَهُمْ وَأَجْهَزَةَ الْإِذْرَاكِ فِيهِمْ هَزًّا عَنيفًا بِهَذِهِ الْإِجَابَةِ، وَلَا سِيَّمَا قَوْلَهُ لَهُمْ: فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

تَحَدَّثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَصْنَامِهِمْ كَأَنَّهَا عُقْلَاءُ مُرَاعَاةَ لَاغْتِفَادِ قَوْمِهِ فِيهَا.

فَرَجَعُوا إِلَى عُمُقِ أَنْفُسِهِمْ يُحَاكِمُونَهَا، إِذْ كَشَفُوا أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تُجِيبُ عَلَى أَسْئَلَةٍ عَابِدِيهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ أَنْفُسِهَا التَّكْسِيرَ وَالتَّحْطِيطَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَوْ قَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي مُحَاكَمَةِ دَاخِلِيَّةِ

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ بَاتِّخَاذِ آلِهَةٍ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَنْطِقُ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِيَ أَنْفُسَهَا مِمَّنْ يُرِيدُ تَكْسِيرَهَا وَتَحْطِيمَهَا.

لَكِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَتْ عَوَامِلُ كِبَرِهِمْ، وَانْتَصَرَهُمْ لِسَوَابِقِ اخْتِيَارَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ، تَنْفُخُ فِي صُدُورِهِمْ، فَانْقَلَبَتْ مَفَاهِيمُهُمُ الَّتِي قَوْمَهَا التَّنْبِيهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، فَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، إِذْ صَارَ أَعْلَاهُمْ وَهُوَ مَوْضِعُ جِهَازِ الْعِلْمِ فِيهِمْ؛ فِي مَوْضِعِ أَقْدَامِهِمْ، وَهَذَا انْتِكَاسٌ جَعَلَهُمْ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٥٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾﴾:

جَاءَ إِطْلَاقُ عِبَارَةٍ: ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَى انْقِلَابِ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يَقُومَهَا وَيَجْعَلَهَا سَوِيَّةً مُعْتَدِلَةً غَيْرَ مُنْكَسَةٍ؛ تَنْبِيهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا.

التَّنْكِيسُ: قَلْبُ الشَّيْءِ، وَجَعْلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، أَوْ جَعْلُ أَعْلَاهُ يَمِيلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَسْفَلِهِ.

نَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ: أَي: قَلْبُوا فَجَعَلْتَ رُؤُوسَهُمْ فِي مَوَاضِعِ أَقْدَامِهِمْ، وَجَعَلْتَ أَقْدَامَهُمْ فِي مَوَاضِعِ رُؤُوسِهِمْ، عَلَى عَكْسِ الْوَضْعِ الطَّبِيعِيِّ لِلنَّاسِ.

شُبَّهَ انْقِلَابُ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ؛ بِحَالَةِ تَنْكِيسِ رُؤُوسِهِمْ، وَاسْتَعِيرَ هَذَا التَّنْكِيسُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى انْقِلَابِ مَفَاهِيمِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ.

وَدَلَّ الْعَطْفُ بِحَرْفِ الْعَطْفِ «ثُمَّ» عَلَى أَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا مُدَّةً مُتَرَاخِيَةً

عَلَى حَالَةِ الرُّشْدِ الَّتِي أَوْصَلَهُمْ إِلَيْهَا التَّنْبِيهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، لَكِنَّهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ رَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ شِرْكِيٍّ وَثَنِيٍّ، مُحَافِظَةً عَلَى مَرَائِزِ زَعَامَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، وَقِيَادَتِهِمْ لَهُمْ.

وَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥): أي: فَكَيْفَ تُطَالِبُنَا بِأَنْ نَسْأَلَهُمْ؟!، أَتَسْخَرُ مِنَّا وَتَسْتَهْزِئُ بِنَا وَنَحْنُ كُبرَاءُ قَوْمِكَ وَسَادَاتُهُمْ وَذُؤُو السُّلْطَانِ فِيهِمْ؟؟.

• ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧):

فَأَعْلَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِنكَارَهُ الشَّدِيدَ لِعِبَادَتِهِمْ مَعْبُودَاتٍ لَا تَنْفَعُهُمْ شَيْئًا، وَلَا تَضُرُّهُمْ شَيْئًا، بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ.

وَأَتْبَعَهُ بِكَلِمَةِ التَّضَجُّرِ وَالتَّكْرَرِ يُوجِّهُهَا لَهُمْ وَلِمَا يَعْبُدُونَ.

«أَفَ»: كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ وَتَكْرَرٍ، وَهِيَ اسْمٌ فِعْلٍ مُضَارِعٍ بِمَعْنَى أَتَضَجَّرُ، أي: أَتَضَجَّرُ مِنْ شِدَّةِ تَقَدُّرِ نَفْسِي طَرِيقَتَكُمْ الْبَاطِلَةَ، الدَّالَّةَ عَلَى سَفَاهَةِ الْمُسْتَمْسِكِينَ بِهَا، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ «أَفَ» أَوْجَّهَهَا لَكُمْ وَلِكُلِّ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَالْمَعْنَى: قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِينَ يُسَائِلُونَهُ فِي مَجْلِسِ مُحَاكَمَتِهِ، بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ هُوَ مُحَطَّمُ أَصْنَامِهِمْ: أَبْلَغْتَ سَفَاهَتَكُمْ وَعَبَاوَتَكُمْ وَحِمَاقَتَكُمْ غَايَاتِهَا الْمُنْكَرَةَ!؟.

فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْمُهَيِّمِينَ عَلَيْكُمْ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ أَقَلَّ نَفْعٍ، وَلَا يَضُرُّكُمْ أَقَلَّ ضَرٍّ.

إِنَّكُمْ تَعْبُدُونَ أَوْثَانًا عَلَى تَوَهُمِ أَنَّهَا تَجْلُبُ لَكُمْ نَفْعًا مَا، أَوْ تَدْفَعُ

عَنْكُمْ ضَرًّا مَا، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ جَلْبَ نَفْعٍ وَلَا دَفْعَ ضَرٍّ.

«أَف» أَوْجَّهَهَا لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَدْ أَضَجَرْتُمُونِي مِنْ قَذَارَةٍ أَعْمَالِكُمْ، وَقَذَارَةٍ وَحَقَارَةٍ أَضْنَامِكُمْ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا إِلَهَةً تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

• ﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) : أي: انْظَمَسَتْ بَصَائِرُكُمْ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ الْجَلِيِّ، وَذَهَبَتْ مِنْ رُؤُوسِكُمْ عُقُولُكُمْ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، لَا عَقْلًا عِلْمِيًّا، وَلَا عَقْلًا إِرَادِيًّا.

فَبَلَغَ الْغَضَبُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ يُسَائِلُونَهُ وَيُحَاكِمُونَهُ مَبْلَغَهُ الْأَقْصَى.
■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَانِهِمْ:

• ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٧٤):

أي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ حَرِّقُوهُ، وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ الَّتِي حَطَّمَهَا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى أَنْ تُعَاقِبُوهُ مُعَاقِبَةً رَادِعَةً لِكُلِّ مَنْ يُخَالِفُ دِينَكُمْ وَدِينَ آبَائِكُمْ، وَتُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ.
وَأَعِدُّوا مَا يُلْزَمُ لِتَحْرِيقِهِ، وَقَامُوا بِالتَّنْفِيزِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا كَيْفَ حَمَى نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٧٥) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٦):

أي: فَلَمَّا قَدَّحُوهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي أَعَدُّوَهَا لَهُ، وَكَادَ يَصِلُ جَسَدُهُ إِلَى الْجَحِيمِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فَتَحَوَّلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ مِنْ نَارٍ مُحْرِقَةٍ قَاتِلَةٍ ضَارَةٍ أَوْ مُؤَذِيَةٍ؛ إِلَى مِثْلِ نُورٍ بَارِدٍ لَا حَرَارَةَ فِيهِ، وَهَبَطَ إِلَى بَاطِنِ الْجَحِيمِ فِي الصُّورَةِ، مَحْمُولًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَيْنِ وَأَنْعَمَ مَا

يُحْمَلُ عَلَيْهِ جَسَدٌ، فَوَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَذَفُوهُ إِلَيْهِ سَالِمًا، لَمْ يَنْلُهُ ضَرٌّْ وَلَا أذى.

وَانْتَصَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ عَلَى كُبرَاءِ قَوْمِهِ وَذَوِي السُّلْطَانِ فِيهِمْ، وَظَهَرَ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّهُ هُوَ الْأَعْلَى، وَأَنَّ قَوْمَهُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى بَاطِلٍ، وَأَنَّ ذَوِي السُّلْطَانِ وَالْقُوَّةَ فِيهِمْ هُمُ الْأَسْفَلُونَ.

وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ يَمْشِي بَيْنَ قَوْمِهِ مُنْتَصِرًا، مُعْتَزًّا بِرَبِّهِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ أَنْ يَمَسَّهُ بِسُوءٍ، مَهْمَا عَلَتْ مَكَائِثُهُ.

■ وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذِهِ النَّتِيجَةِ الْمُخْزِيَةِ لِقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾: أَي: فَجَعَلْنَا مَنْ أَرَادَ بِهِ كَيْدًا بِالتَّحْرِيقِ، وَهُمْ كُبرَاءُ قَوْمِهِ وَقَادَتُهُمْ؛ الْأَخْسَرِينَ، وَدُونَهُمْ فِي الْخَسَارَةِ سَائِرُ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِصْدَارَ قَرَارِ التَّحْرِيقِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَبَجَيْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٣﴾﴾:

يُظْهَرُ أَنَّ «نُمرودَ» وَأَرْكَانَ سُلْطَانِيهِ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ غِيلَةً، وَفِي الْحَقَاءِ، بَعْدَ أَنْ هُزِمُوا فِي قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْرِيقًا وَعَلَانِيَةً عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، وَأَمَّا لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَالْمَجَاهِرِينَ بِنُصْرَتِهِ، وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يُهَاجِرَ هُوَ وَلَوْطُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ فِيهَا، وَهِيَ أَرْضُ فِلِسْطِينَ، وَمَعَهُمَا مَنْ يُرِيدُ مُصَاحَبَتَهُمَا، فَقَدْ انْتَهَتْ وَظِيفَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بِلَادِهِ، بَعْدَ أَنْ جَرَتْ أَحْدَاثُ عَزَمَ قَوْمِهِ عَلَى تَحْرِيقِهِ، وَنَجَاتِهِ بِمُعْجَزَةٍ رَبَّانِيَّةٍ خَارِقَةٍ.

وَلَمَّا عَزَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى تَنْفِيذِ الْهَجْرَةِ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِلْوَطِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سُبُلَ نَجَاةٍ، وَمَعَهُمَا مَنْ صَاحَبَهُمَا مِنْ عَشِيرَتَيْهِمَا.

وَانْتَهَتْ الْهَجْرَةُ بَعْدَ سِنِينَ وَمَرَاحِلَ إِلَى الْاِسْتِقْرَارِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَهِيَ بِلَادُ الشَّامِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

وَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَمَةِ الْمَضْرِيَّةِ «هَاجَرَ» إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْعَجُوزِ الْعَقِيمِ بِخَارِقَةٍ رَبَّانِيَّةٍ اسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ، ثُمَّ وَهَبَهُ حَفِيداً مِنْ ابْنِهِ «إِسْحَاقَ» هُوَ «يَعْقُوبُ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَكَانَ نَافِلَةً زَائِدَةً عَلَى الْبُشْرَى لَهُ بِإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (١١٢) مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦ نزول)، فَكَانَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ أَيْضاً.

وَمِنْ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَيْمَةً يُؤْتَمُّ بِهِمْ، إِذْ جَعَلَهُمْ رُسُلًا يُوْحَى إِلَيْهِمْ بِوَصْفِ كَوْنِهِمْ رُسُلًا، يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ بِأَمْرِهِ. وَمِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ:

(١) الْأَمْرُ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَعْمَلُوهَا، فِي السُّلُوكِ النَّفْسِيِّ، وَالسُّلُوكِ الظَّاهِرِ.

(٢) الْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِلَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ -، وَالْمَرَادُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ الْمَدَاوِمَةُ وَالْمُواظَبَةُ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمَبِينَةِ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَأَدَاؤُهَا عَلَى الْوُجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ فِيهَا، أَيْ: جَعْلُهَا مُسْتَقِيمَةً، وَخَالِصَةً لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(٣) الأَمْرُ بِإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَهُوَ إِنْفَاقُ مَا فَرَضَ اللَّهُ فِي الْأَمْوَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

• ﴿... وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ﴾ (٧٢): أي: وَكَانُوا فِي حَيَاتِهِمْ لَنَا وَحَدْنَا عَابِدِينَ، لَا يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِنَا أَحَدًا وَلَا شَيْئًا يُفْسِدُ صَفَاءَ الْإِخْلَاصِ لَنَا فِي عِبَادَاتِهِمْ.

الْعِبَادَةُ: هِيَ الْخُضُوعُ، وَالطَّاعَةُ، وَفِعْلُ مَا يُرْضِي الْمَعْبُودَ، وَتَرْكُ مَا لَا يُرْضِيهِ، وَرَأْسُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ بِالْغَيْبِ، لِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

والعبادة لَا تَكُونُ صَحِيحَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ لِلرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهَا، لِأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الْمَالِكُ، الْمُهْنِمُنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وبهذا انتهى تدبرُ الدرس التاسع من دُرُوس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

التدبر التحليلي للدرس العاشر من دُرُوس سورة (الأنبياء)

الآيتان (٧٤ و ٧٥)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرَبِ إِلَيْهِ كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْكَتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسِقِينَ﴾ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥):

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس لَفْظَةُ مُوجَزَةٌ مِنْ قِصَّةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَاتِهِ وَمَعَ قَوْمِهِ، وَمَا أَثَابَهُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا وَصَفَهُ بِهِ.

وقد سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ تَدَبُّراً تَكَامُلِيّاً مَعَ سَائِرِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِلُوطِ ابْنِ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فِي الْمُلْحَقِ الْخَامِسِ مِنْ مَلَا حِقِ تَدَبُّرِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول)، بعنوان: «دراسة تَكَامُلِيَّةٌ لِلنُّصُوصِ بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ فِي الْقُرْآنِ».

التدبر التحليلي:

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ فَيَذْكُرُ فِي هَذَا الدَّرْسِ خَمْسَ قَضَايَا: الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - آتَى لُوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ حُكْماً.

الْحُكْمُ: هُوَ فِقْهُ الْأُمُورِ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَحُدُودِهِمَا، وَمَعْرِفَةُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَحُدُودِهِمَا، وَالْحَسَنِ وَالسَّيِّئِ وَحُدُودِهِمَا، وَالْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ وَحُدُودِهِمَا.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يُصْدِرُ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ أَحْكَامُهُ الْعِلْمِيَّةَ وَالْقَضَائِيَّةَ.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - آتَى لُوطاً عَلَيْهِ السَّلَامَ عِلْماً، أَي: عِلْماً صَحِيحاً حَقّاً نَافِعاً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْظَمُ الْعِلْمِ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا الدِّينِ، وَبِالْآخِرَةِ ذَاتِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا.

وَمِنَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ إِيَّاهُ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ وَقَضَايَاهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولاً إِلَى أَهْلِ سُدُومَ، وَكَانَتْ قُرَاهُمْ فِي مَكَانِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فِي فِلِسْطِينَ، قَبْلَ أَنْ يُهْلِكَهُمْ اللَّهُ وَيَقْلِبَ بِلَادَهُمْ عَالِيَهَا سَافِلَهَا.

القضية الثالثة: أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - نَجَّاهُ مِنْ أَهْلِ
سُدُومَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْخَبَائِثَ، وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الرُّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، بِوَقَاحَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ إِلَى غَايَتِهَا، وَبِنِسْبَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا
نَظِيرٌ فِي تَارِيخِ النَّاسِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ سُدُومَ بِقَوْلِهِ: ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ۝٧٤﴾:

السُّوءُ: كُلُّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَمُسْتَنَكِرٌ.
الْفُسُوقُ: الْعُضْيَانُ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ وَأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ.
وَهُوَ مُصْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» أَي: خَرَجَتْ
مِنْ قَشَرَتِهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَشَرَتِهَا تَعَرَّضَتْ لِلْفَسَادِ السَّرِيعِ.
القضية الرابعة: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثَابَ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَأَدْخَلَهُ فِي رَحْمَتِهِ، فَهُوَ مَشْمُولٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَاتِ أَجْزَائِهِ الْكُبْرَى
وَالصُّغْرَى، الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَمِنْ أَثَارِ رَحْمَتِهِ جَنَّتُهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ
سُلْطَانُهُ.

القضية الخامسة: ثَنَاءُ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - عَلَى لُوطٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ عِنْدَهُ.

لفظ «الصَّالِحِينَ» جاء في القرآنِ وُضُفًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ، وَوُضُفًا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصَّالِحِينَ الْأَوَابِينَ،
الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا بَعْضَ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ رَجَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ عَلَى وَجْهِ السُّرْعَةِ، وَلَوْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ ذَلِكَ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس العاشر من دروس سورة (الأنبياء).
والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِه.



(١٥)

التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآيتان (٧٦ و ٧٧)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾:

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس عرضُ لقطة من قصة نوح عليه السلام مع قومه في التاريخ.

والدراسة الشاملة التكاملية للنصوص القرآنية المتعلقة بنوح عليه السلام وقومه؛ قد آتاني الله كتابتها في كتاب خاص، بعنوان: «نوح عليه السلام وقومه في القرآن الكريم» فليرجع إليه.

التدبر التحليلي:

﴿وَنُوحًا﴾ بالنصب، عطفًا على: ﴿وَلُوطًا﴾، في أول الدرس السابق.

أي: وضع في ذاكرتك هذا الموجز من قصة نوح عليه السلام مع قومه أيها المتلقي، حين نادانا داعيًا من قبل من سبق أن ذكرنا من الرسل عليهم السلام؛ أن ننجيه وننجي أهله من الكرب العظيم الذي أنزلهم به قومهم بالقتل، وحذروا نوحًا عليه السلام من متابعة دعوته إلى دين الله تعالى فيهم.

الكرب: الحزن والغم يأخذ بالنفس، كأن حبلاً أوبرم عليها وشدَّ شدًا مؤلمًا، ووصف الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الكرب بأنه عظيم، إذ كان قوم نوح عليه السلام قد شدّدوا الضَّغط عليه وعلى أهله.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ وَنَجَّيْنَا أَهْلَهُ مِنْ كَيْدِ قَوْمِهِمْ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْهُمْ، بِالطَّافِنَا الْخَفِيَّةِ، وَنَصَرْنَاهُ حَامِينَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْإِعْجَازِيَّةِ، وَآيَاتِنَا الْبَيَانِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهِ، وَهُمْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَام الَّذِينَ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَاسْتَمَرَّ مُنْذُ بَغْيَتِهِ حَتَّى أَوَاحِرِ إِقَامَتِهِ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَنَبَذَ الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، وَمِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ أَهْلُهُ بِاسْتِثْنَاءِ وَاحِدٍ مِنْ أُنْبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَام، فَإِنَّهُ كَانَ كَافِرًا مُعْتَزِلًا، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ بِشَأْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، حِينَ قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام لِرَبِّهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾. وَبِاسْتِثْنَاءِ زَوْجَتِهِ أَيْضًا، الَّتِي مَاتَتْ كَافِرَةً.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام بِقَوْلِهِ:

• ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ...﴾ (٧٦)

السُّوءُ: كُلُّ مَا هُوَ قَبِيحٌ مِنْ فِكْرٍ، أَوْ اغْتِقَادٍ، أَوْ خُلُقٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ شَيْءٍ مَادِّيٍّ كَرِيهٍ.

وإِضَافَةُ لَفْظِ «قَوْمٍ» إِلَى لَفْظِ «سَوْءٍ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَرَكَاتِهِمِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ تَكَادُ تَنْحَصِرُ بِمَا هُوَ قَبِيحٌ، فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَلَا عِلَاجَ لَهُمْ إِلَّا الْإِهْلَاكُ وَالْإِبَادَةُ الْعَامَّةُ، وَلِهَذَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَبَادَهُمُ بِالطُّوفَانِ الْعَامِ، فَقَالَ بِشَأْنِهِمْ:

• ﴿... فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٧٧) أي: بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

أَجْمَعِينَ: حَالٌ مِنْ أَغْرَقْنَاهُمْ.

وبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دُروس سورة (الأنبياء) الآيات من (٧٨ - ٨٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

القراءات:

(٨٠) • قرأ ابن عامر، وحفص، وأبو جعفر: [لِنُخْصِنَكُمْ].

وقرأها شعبة، وزويّر: [لِنُخْصِنَكُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِيُخْصِنَكُمْ].

وفي هذه القراءات تكامل في الأداء البياني مع تَقْنُنِ في التعبير.

(٨٠) • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [بَأْسِكُمْ]. وكذلك قرأها حمزة

في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بَأْسِكُمْ].

(٨١) • قرأ أبو جعفر: [الرِّيحَ]، بالجمع للدلالة على الأنواع.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الرِّيحَ]، بالافراد على أَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ،

وهو يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الرِّيحِ.

تَمْهيد:

في آيات هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّتِي دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي حَيَاتَيْهِمَا.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ الْآيَاتِ مِنْ: (٧٨ - ٨٠) مِنْ هَذَا الدَّرْسِ تَدَبُّراً
تَكَامُلِيّاً فِي الْمُلْحَقِ الثَّالِثِ مِنْ مَلَا حِقِ تَدَبُّرِ سُورَةِ: (ص/٣٨ نزول):

التدبُّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَظْفاً عَلَى مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي السُّورَةِ مِنْ رُسُلٍ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ
دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِيُخَفِّيَكُمْ مِنْ بَاسِكِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ ثَلَاثِ قَضَايَا:

القَضِيَّةُ الْأُولَى: حُكْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَادِثَةِ تَعَدُّ مِنْ غَنَمِ بَعْضِ
الْقَوْمِ عَلَى حَرْثِ آخَرِينَ فَأَفْسَدَتْهُ كُلُّهُ، فَعَلِمَ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحُكْمِ
أَبِيهِ، فَرَأَى رَأْيَا آخَرَ، فَأَقَرَّهُ أَبُوهُ عَلَيْهِ، وَرَجَعَ عَنْ حُكْمِهِ.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: بَيَانُ تَسْخِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ مَعَ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَبِّحْنَ، بِقَضَاءِ سَابِقٍ وَتَنْفِيذٍ لَاحِقٍ.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: امْتِنَانُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ بِتَعْلِيمِهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
صِنَاعَةَ الدُّرُوعِ الْوَاقِيَاتِ فِي الْحَرْبِ، مِنَ السُّيُوفِ وَالرَّمَاكِ وَالسَّهَامِ
وَنَحْوِهَا، وَهَذَا الْعِلْمُ قَدْ أَخَذَهُ النَّاسُ عَنْهُ فَاَنْتَفَعُوا بِهِ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ.

• أَمَّا الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: فَقِصَّتُهَا جَمْعاً مِمَّا رَوَى الطَّبْرِيُّ بِأَسَانِيدِهِ عَنْ

ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في روايات متعَدِّدات؛ أنَّ أصحابَ غنمٍ تركوا غنمَهُم لَيْلاً دُونَ حِرَاسَةٍ وَلَا رِعَايَةٍ، فَدَخَلَتْ هَذِهِ الْغَنَمُ فِي أَرْضٍ مَخْرُوثَةٍ مَبْدُورَةٍ قَدْ نَبَتَ زَرْعُهَا، فَأَكَلَتْ مَا أَكَلَتْ مِنَ الزَّرْعِ وَأَفْسَدَتْ سَائِرَهُ.

فَتَرَفَعَ الْخُضَمَانُ بِقَضِيَّتَيْهِمَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَحَقَّقَ مِنْ وُقُوعِ الْحَادِثَةِ، وَيُظْهَرُ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ قِيَمَةَ الْغَنَمِ تُسَاوِي قِيَمَةَ مَا أَكَلَتْ الْغَنَمُ وَأَفْسَدَتْ مِنَ الزَّرْعِ.

فَحَكَمَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَفْعِ الْغَنَمِ كُلِّهَا لِأَصْحَابِ الزَّرْعِ تَعْوِيضاً لَهُمْ، بِسَبَبِ أَنَّ أَصْحَابَ الْغَنَمِ تَرَكَوا غَنَمَهُمْ لَيْلاً دُونَ حِمَايَةٍ وَلَا رِعَايَةٍ، حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَدَوَانٌ عَلَى زَرْعِ أَصْحَابِ الْحَرْثِ، فَأَكَلَتْ مِنْهُ مَا أَكَلَتْ، وَأَفْسَدَتْ سَائِرَهُ.

وَعَلِمَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحُكْمِ أَبِيهِ وَكَانَ قَتَى يَافِعاً مُلْهِماً ذَا فَهْمٍ وَحِكْمَةٍ، فَقَالَ لِأَبِيهِ: أَرَى أَنْ يَكُونَ الْقَضَاءُ غَيْرَ الَّذِي قَضَيْتَ. فقال داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ؟.

قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْحَرْثَ لَا يَخْفَى عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ فِي كُلِّ عَامٍ، فَلَهُ مِنْ صَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِهَا وَأَصْوَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ ثَمَنَ الْحَرْثِ، فَإِنَّ الْغَنَمَ لَهَا نَسْلٌ فِي كُلِّ عَامٍ.

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: تُدْفَعُ الْغَنَمُ لِأَهْلِ الزَّرْعِ، يَسْتَشْمِرُونَ أَلْبَانَهَا وَأَصْوَافَهَا وَأَوْلَادَهَا، وَتُدْفَعُ الْأَرْضُ لِأَهْلِ الْغَنَمِ، يَبْذُرُونَ لِأَهْلِ الْحَرْثِ مِثْلَ حَرْثِهِمْ، فَإِذَا بَلَغَ الْحَرْثُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ؛ أَخَذَ أَصْحَابُ الْحَرْثِ حَرْثَهُمْ، وَرَدُّوا الْغَنَمَ إِلَى أَصْحَابِهَا.

فَقَالَ دَاوُدُ لابْنِهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قَدْ أَصَبْتَ، الْقَضَاءُ كَمَا قَضَيْتَ.

فَالْنَبِيُّ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضَاءُهُ الْأَوَّلُ، وَحَكَمَ بِمَا قَضَى بِهِ ابْنُهُ
سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ غَضَاضَةً أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا هُوَ
الْأَقْرَبُ إِلَى كَمَالِ الْعَدْلِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِّ وَلَدِهِ سُلَيْمَانَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ...﴾ (٧٨):

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي قِصَّةَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الَّتِي كَانَتْ وَقْتُ حُكْمِهِمَا فِي قِصَّةِ الْحَرْثِ.

الحَرْث: هُوَ الْعَمَلُ فِي الْأَرْضِ لاسْتِنْبَاتِ زَرْعِهَا، أَوْ غَرْسِ شَجَرِهَا،
وَيُطْلَقُ الْحَرْثُ أَيْضاً عَلَى الزَّرْعِ الثَّابِتِ نَفْسِهِ، كَمَا ذَكَرَ الزَّجَّاجُ.

قال الأزهري: الْحَرْثُ: قَذْفُكَ الْحَبِّ فِي الْأَرْضِ لِازْدِرَاعٍ،
وَالْحَرْثُ: الزَّرْعُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ...﴾ (٧٨):

أي: يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ فِي قِصَّةِ حَدَثٍ حِينَ نَفَسَتْ فِي الْحَرْثِ
غَنَمُ الْقَوْمِ. (ال) في: [الْقَوْمِ] لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْجِنْسِ فَقَطْ.

﴿نَفَسَتْ﴾: أي: رَعَتْ لَيْلًا دُونَ رَاعٍ، يُقَالُ لُغَةً: «نَفَسَتْ الْإِبِلُ، أَوْ
الْغَنَمُ، أَوْ نَحَوُهُمَا، تَنْفُسُ، وَتَنْفُسُ، نَفْسًا، وَنُفُوشًا» أي: انْتَشَرَتْ لَيْلًا
فَرَعَتْ دُونَ رَاعٍ، وَالوَاحِدُ مِنْهَا «نَافِسٌ».

ويقال لغة: «أَنَفَسَ الرَّاعِي مَا شِئْتُهُ» أي: أَرْسَلَهَا لَيْلًا تَرَعَى وَنَامَ

عَنْهَا.

فَإِذَا فَعَلْتَ الْمَاشِيَةَ مِثْلَ ذَلِكَ نَهَاراً قَالَ الْعَرَبُ: «هَمَلْتُ»، وَلَا يَقُولُونَ: «نَفَسْتُ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿... وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨):

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانٌ لِإِخْدَى مُفْرَدَاتٍ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ عَامَّةٍ، مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ شُهُودُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ حَدِيثٍ يَحْدُثُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ.

الشَّاهِدُ: الْحَاضِرُ الْعَالِمُ بِالْمَشْهُودِ.

وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ الْعَامَّةُ قَدْ جَاءَ بَيَانُهَا فِي عِدَّةٍ نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ، مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْبُرُوجِ/ ٢٧ نزول):

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١):

وَشُهُودُ اللَّهِ هُوَ حُضُورُهُ مُحِيطاً بِعِلْمِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ وَأَتَمِّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ (٧٩):

أَي: فَفَهَّمْنَا الْقَضِيَّةَ وَالْحُكْمَ الْأَقْرَبَ لِكَمَالِ الْعَدْلِ فِيهَا سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ -، وَهَذَا التَّفْهِيمُ مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْهَامِ الرَّبَّانِيِّ، بِمَعُونَةٍ غَيْرِ مُدْرَكَةٍ بِالْحِسِّ، لَكِنْ يَظْهَرُ أَثَرُهَا بِحُصُولِ الْفَهْمِ.

الْإِلْهَامُ: شَيْءٌ خَفِيٌّ غَيْرُ الْوَحْيِ الْمَعْرُوفِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَقَدَّمَ سُلَيْمَانَ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ لِأَبِيهِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَبَلَهُ وَقَضَى بِهِ، عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

وَأَتْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ: ﴿... وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ (٧٩):

سبق آنفاً في تدبر الآية (٧٤) بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَانُ مَعْنَى الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ، وَأَقُولُ هُنَا: أُبَرِّزُ مَعَانِي الْحُكْمِ فِيهِ الْأُمُورَ، وَحُسْنَ الْإِدَارَةِ، وَالْقَضَاءَ بِالْعَدْلِ، وَأَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ سُلَّمٌ لَا نِهَآيَةَ لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، قَابِلٌ لِأَنْ يَتَنَامَى دَوَاماً.

وَجَاءَ التَّنْكِيرُ فِي كَلِمَتِي: ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ لِلإشْعَارِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ آتَاهُمَا مِقْدَاراً مَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ، كَانَا فِيهِ مُتَفَوِّقَيْنِ عَلَى نَظَرَاتِهِمَا فِي زَمَانِهِمَا.

أَمَّا كَمَالُ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ فَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ لَمْ يُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً، وَكَمَالُ الْحُكْمِ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى سُمُولِ الْعِلْمِ.

• وَأَمَّا الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ فَقَدْ جَاءَ بَيَانُهَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾﴾:

التَّسْخِيرُ: التَّذْلِيلُ لِعَمَلٍ مَا، أَوْ أَمْرٍ مَا، وَجَعَلُ الشَّيْءِ مُطَاوِعاً لِمَا يُرَادُ مِنْهُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، ضِمْنَ قَانُونِ التَّسْخِيرِ الرَّبَّانِيِّ لَهُ، بِالطَّبْعِ وَالْفِطْرَةِ، أَوْ بِالْقُوَّةِ وَالْإِلْزَامِ وَالْقَهْرِ، أَوْ بِالاخْتِيَارِ الْحَرِّ، لِمَا فِي الْمَطَاوِعَةِ مِنْ مَصْلَحَةٍ لِلْمَطَاوِعِ.

وَمَسْأَلَةُ تَسْخِيرِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ سَبَقَ بَيَانُهَا لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَتَيْنِ (١٨) وَ (١٩) مِنْ سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول)، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وَيَذُلُّ قَوْلُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ عَلَى تَنْفِيذِ مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَضَاهُ بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ، فَتَحَقَّقَ فِي الْوَاقِعِ التَّنْفِيذُ عَلَى وَفْقِ سَابِقِ التَّقْدِيرِ وَالْقَضَاءِ.

• وَأَمَّا الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ فَقَدْ جَاءَ بَيَانُهَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِيَنَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ :

اللَّبُوسُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا يُلبَسُ سَاتِراً لِكُلِّ الْجِسْمِ أَوْ بَعْضِهِ، وَجَمْعُهُ «اللَّبْسُ». وَيُطْلَقُ: «اللَّبُوسُ» عَلَى الدَّرْعِ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا.

﴿لِنُحْصِيَنَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ﴾: الْبَأْسُ: الْحَرْبُ، وَالشَّدَّةُ فِيهِ، أَي: لِتَقِيَكُمْ وَتَحْمِي أَجْسَادَكُمْ مِنْ ضَرَبَاتِ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ وَسِهَامٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي الْحَرْبِ، وَرَغْبَةً فِي سَلَامَتِكُمْ.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ ثَلَاثِ أَفْكَارٍ ذَاتِ شَأْنٍ:

الفِكرَةُ الْأُولَى: أَنَّ صُنْعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلدُّرُوعِ ذَاتِ الزَّرْدِ؛ قَدْ كَانَ بِتَعْلِيمٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، كَمَا عَلَّمَ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ صُنْعَ الْفُلِّكِ.

الفِكرَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْتَنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِتَعْلِيمِهِمْ عَنْ طَرِيقِ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَسِيْلَةً مِنْ وَسَائِلِ إِخْصَانِهِمْ، مِنْ شُرُورِ حَرْبٍ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ أَنَّهُ عَلَّمَ عِبَادَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ صِنَاعَةَ أَدَوَاتِ الْقِتَالِ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ فِي عِبَادِهِ مَا يُوصِلُهُمْ إِلَى صُنْعِ كُلِّ شَيْءٍ يَقْدِرُونَ عَلَى صُنْعِهِ بِمَا وَهَبَهُمْ.

الفِكرَةُ الثَّالِثَةُ: دَعْوَةُ اللَّهِ عِبَادَهُ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ هِدَايَتِهِمْ إِلَى وَسَائِلِ سَلَامَتِهِمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿... فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾: اسْتَفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ التَّرْغِيبُ فِي الشُّكْرِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ إِشْعَاراً بِمِيزَةِ مَا آتَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾:

وفي قراءة أبي جعفر: [الرِّيحَ عَاصِفَةً]، للدلالة على الأنواع، وبالإفراد: [الريح]: اسمُ جنسٍ شامل لكلِّ أنواعِها.

أي: وَسَخَرْنَا لِسُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَام - الرِّيحَ والرِّيحَ حَالَةً كَوْنُهَا عَاصِفَةً.

الرِّيحَ العاصِفَةً: هِيَ الَّتِي اشْتَدَّ هُبُوبُهَا حَتَّى صَارَتْ تَحْمِلُ الْعَصْفَ فَتَدُورُ بِهِ وَتَرْمِيهِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ. الْعَصْفُ: نَبَاتُ الْأَرْضِ الْيَابِسِ، وَوَرَقُ الزَّرْعِ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ: (سَبَأ/ ٥٨ نزول) بَيَانُ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِأَنَّهُ آتَاهُ «الرِّيحَ»، وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي جَعْفَرٍ: «الرِّيحَ»، غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ، فَقَالَ تَعَالَى فِيهَا:

• ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ...﴾ ﴿١٧﴾

وَجَاءَ فِي سُورَةِ: (ص/ ٣٨ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿٣٦﴾

وفي قراءة أبي جعفر: [الرِّيحَ].

فَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ: (ص/ ٣٨ نزول) دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - سَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْوَاعَ الرِّيحِ، فَهِيَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ لَيْتَةً حَيْثُ قَصَدَ وَأَرَادَ. رُخَاءً: أَي: لَيْتَةً غَيْرَ شَدِيدَةٍ.

حَيْثُ أَصَابَ: أَي: حَيْثُ قَصَدَ وَأَرَادَ.

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ: (سَبَأ/ ٥٨ نزول) دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - سَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْوَاعَ الرِّيحِ بِسُرْعَةٍ يُقَدَّرُ غُدُوها بِشَهْرٍ لِقَافِلَةِ الْمُسَافِرِينَ، وَيُقَدَّرُ رَوَاحُها بِشَهْرٍ لِقَافِلَةِ الْمُسَافِرِينَ.

الْغُدُوُّ: الذَّهَابُ فِي وَقْتِ الْغُدُوَّةِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ

الشَّمْسِ.

الرَّوَّاح: السَّيْرُ فِي الْعَشِيِّ، وَهُوَ فِي الْغَالِبِ مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ إِلَى الْغُرُوبِ.

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ: (الأنبياء/ ٧٣ نزول) دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - سَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ الْعَاصِفَةَ، فَهِيَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ حَوْلَ مَكَانِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَيْ: وَتَجْرِي بِأَمْرِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَأَمَرَهَا أَنْ تَجْرِيَ إِلَيْهِ.

فَكَانَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا التَّسْخِيرِ الرَّبَّانِيِّ سُلْطَانٌ عَلَى الرِّيحِ، فَهِيَ تَتَحَرَّكُ بِأَمْرِهِ فِي سُرْعَةٍ، غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، إِذَا أَرَادَ أَنْ تَكُونَ سَرِيعَةً، وَتَجْرِي رُخَاءً بِأَمْرِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ تَكُونَ لَيِّنَةً غَيْرَ شَدِيدَةٍ، وَتَجْرِي قَوِيَّةً عَاصِفَةً حَيْثُمَا يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَاصِفَةً، وَيُظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَاصِفَةً فِي وَجْهِ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ عَاصِفَةً شَدِيدَةً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾﴾: أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَيْنَا أَيُّ تَصَرُّفٍ مِنْ تَصَرُّفَاتِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا سَخَّرْنَا لَهُ، وَهَذَا دَاخِلٌ فِي كُلِّيَّةِ عَامَّةٍ هِيَ: «أَنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ مِمَّا تَشْمَلُهُ دَائِرَةُ الْعِلْمِ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾:

أَيْ: وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ بِسُلْطَانِنَا مِنْ أَنْ يَغُصُّوهُ وَيَخْرُجُوا عَنْ طَاعَتِهِ.

وجاء في سورة: (ص/ ٣٨ نزول) بَيَّانُ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ، فَمَنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَشُدَّهُمْ أَدْلَاءَ بِالسَّلَاسِلِ الْمُلاَثِمَةِ لَطَبِيعَتِهِمْ، وَأَنْ يَأْمَرَ بِتَعْذِيبٍ مَنْ يَشَاءُ تَعْذِيبُهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى فِيهَا:

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلِّ بَنَّاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٢٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٨﴾﴾.

الشَّيَاطِينُ: هُمْ كَفَرَةُ الْجَنِّ، وَهُمْ جُنُودُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ.

المعنى: وَمِنَ الشَّيَاطِينِ سَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَام - بِسُلْطَانٍ جَعَلْنَاهُ لَهُ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ يَسْتَعِذُّ مِنْهُمْ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فِي الْبَحَارِ لاسْتِخْرَاجِ مَا يَشَاءُ اسْتِخْرَاجَهُ مِنْهَا. وَيَسْتَعِذُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فِي أَعْمَالِ الْبِنَاءِ، وَالْحَمْلِ وَالنَّقْلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالٍ هِيَ أَقْلُ مَشَقَّةٍ مِنَ الْغُوصِ فِي الْبَحَارِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ سُلْطَانًا عَلَى مَنْ سَخَّرَهُمْ لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَمَنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ قَيَّدَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ، وَأَدَبَهُمْ بِالْإِذْلَالِ وَالتَّعْذِيبِ.

مُقَرَّنِينَ: أَي: مَشْدُودِينَ.

فِي الْأَصْفَادِ: أَي: فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، مُفْرَدُهَا: «الصَّفْد»، وَ«الصِفَاد».

وهكذا خَصَّ اللَّهُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِمُلْكٍ عَظِيمٍ كَانَ لَهُ بِهِ سُلْطَانٌ مَا عَلَى الرِّيَّاحِ، وَسُلْطَانٌ عَلَى بَعْضِ شَيَاطِينِ الْجَنِّ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآيتان: (٨٣ و ٨٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

القراءات:

(٨٣) • قرأ حمزة: [مَسَّنِيَ الضُّرُّ] بإسكان ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة: [مَسَّنِيَ الضُّرُّ] بفتح ياء المتكلم.

تمهيد:

في آتَيْ هَذَا الدَّرْسِ عَرُضَ لَفْظَةٍ مُوجِزَةٍ مِنْ قِصَّةِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد سَبَقَ فِي تَدْبِيرِ سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول) فِي الصَّفَحَاتِ مِنْ (٥٧٦ - ٥٨٦)^(١) تَدْبِيرُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَدْبِيرًا تَكْمِيلِيًّا، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

التدبر التحليلي:

لَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ بَلَاءً عَظِيمًا، وَطَالَتْ مُدَّةُ بَلَاءِهِ، وَجَعَلَ الشَّيْطَانُ يُوسِسُ لَهُ دَوَامًا لِيُخْرِجَهُ عَنْ صَبْرِهِ عَلَى بَلَاءِهِ، لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَفْرَغَ عَلَيْهِ صَبْرًا عَظِيمًا اشْتَدَّ مِنْهُ غَيْظُ الشَّيْطَانِ.

وَنَادَىٰ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ مُسْتَعِيدًا بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (ص/ ٣٨) نَزُولِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٨٣﴾﴾:

النُّصْبُ: التَّعَبُ والمشقة والإعياء. والمراد بالعذاب: العذاب النَّفْسِيُّ الَّذِي مَسَّهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

ثُمَّ نَادَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ لِيَرْفَعَ عَنْهُ بَلَاءَهُ، وَقَالَ فِي دُعَائِهِ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣) نَزُولِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾:

أَي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِبَيَانِ رَبِّكَ؛ مَا دَعَا بِهِ أَيُّوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَبَّهُ لِيَرْفَعَ عَنْهُ الضُّرَّ الَّذِي مَسَّهُ وَطَالَ أَمَدُهُ فِيهِ، حِينَ قَالَ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ:

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ مِنْ «أَنِّي»، عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ «الْبَاءِ». وَتَأَدَّبَ مَعَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَارَةِ: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ»، وَلَمْ يَقُلْ: «أَصَابَنِيَ الضُّرُّ»، مَعَ أَنَّهُ فَقَدَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَصِحَّتَهُ. فَالْمَسُّ يُعَبِّرُ بِهِ عَنِ الْإِحْسَاسِ الْخَفِيفِ بِالشَّيْءِ الْمُلَاصِقِ.

وعبارة: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فِيهَا دَلَالَةٌ بِالْكِنَايَةِ عَنْ طَلَبِ رَفْعِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ وَضُرٍّ.

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ، وَزَادَهُ مِنْهُ فَضْلًا، وَقَالَ فِي بَيَانِ هَذَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾﴾:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾: أَي: دُعَاءُهُ الَّذِي دَعَاهُ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ فِي اللفظ. وَمَعْنَى «اسْتَجَابَ لَهُ»: قَبْلَ تَحْقِيقِ مَا طَلَبَ فِي دُعَائِهِ.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾: أي: فأزلنا ما نزل به من ضرٍّ، وهو سوء الحال في جسده.

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي: ورددنا وأوصلنا إليه أهله الذين كان قد سلبهم غزاةً، وهبنا له مثلهم معهم.

﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي: رحمة من عندنا ذات أثر في إيصال ما وهبناه إليه.

﴿... وَذَكَرَى لِلْعَايِدِينَ ۝٨٤﴾: الذكري: اسمٌ للتذكير، أي: وتذكيراً منا للعابدين بالصبر، بأن عاقبتهم أن نزيل عنهم ما أنزلنا بهم من بلاءٍ، وأن نزيدهم من فضلنا عطاءاتٍ ترضيهم.

وَيُرْجَعُ فِي النَّظَرَاتِ التَّكَامُلِيَّةِ بَيْنَ نَصِّ سُورَةِ (الأنبياء/٧٣) وَنَصِّ سُورَةِ (ص/٣٨) إِلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (ص/٣٨)، فِي الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وبهذا تمَّ تدبرُ الدرس الثالث عشر من دُرُوس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دُرُوس سورة (الأنبياء)
الآيتان (٨٥ و ٨٦)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٦﴾:

تَمْهِيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مُوجِزٌ جَدًّا عَنْ ثَلَاثَةِ رُسُلٍ تَجْمَعُهُمْ صِفَةُ الصَّبْرِ، وَهُمْ: «إِسْمَاعِيلُ» و«إدْرِيسُ» و«ذُو الْكِفْلِ» عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَبَانَ اللَّهُ أَنَّهُ أَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

التدبر التحليلي:

إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الْابْنُ الْبَكْرُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ هَاجِرِ الْمِصْرِيَّةِ، الَّتِي وَهَبَهَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ لِسَارَةِ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَهَبَتْهَا سَارَةُ لِرِزْوَجِهَا إِبْرَاهِيمَ، فَوَلَدَتْ لَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَسَافَرَ بِهِمَا فَأَسْكَنْهُمَا بِمَكَّةَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَمَّا كَبِرَ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، اضْطَفَّاهُ اللَّهُ فَجَعَلَهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

إدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ: أَنَّ «إدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» هُوَ: أَخْنُوخُ بْنُ يَارَدَ بْنِ مَهْلَلِيِّ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنْوَشَ بْنِ «شِيثٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرُوا أَنَّ شَيْثًا كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا يُسَمَّى «صُحُفَ شِيثٍ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ أُمَّةَ السَّرِّيَّانِ أَقْدَمُ الْأُمَمِ، وَأَنَّ مِلَّتَهُمْ هِيَ: مِلَّةُ الصَّابِيِّينَ، نِسْبَةً إِلَى «صَابِيٍّ»، أَحَدِ أَوْلَادِ «شِيثٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَذَكَرَ الصَّابِيُّونَ أَنََّّهُمْ أَخَذُوا دِينَهُمْ عَنْ «شِيثٍ» و«إدْرِيسَ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَنَّ لَهُمْ كِتَابًا يَعْزُونَهُ إِلَى «شِيثٍ»، وَيُسَمُّونَهُ «صُحُفَ شِيثٍ».

قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ: «إدْرِيسُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ نَظَرَ فِي النُّجُومِ وَالْحِسَابِ، وَأَوَّلُ مَنْ خَاطَ الثِّيَابَ^(١).

ذُو الْكِفْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ: هُوَ ابْنُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ

(١) انظر بَقِيَّةَ الْبَيَانِ عَنْ إدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّفَحَاتِ مِنْ (٥٤٢ - ٥٤٨) مِنَ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ، عِنْدَ تَدْبِيرِ الْآيَتَيْنِ (٥٦ وَ ٥٧) مِنْ سُورَةِ (مَرِيَمَ/ ٤٤ نَزُول).

السَّلَام، واسمُهُ فِي الْأَصْلِ «بِشْر»، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَام،
وَسَمَّاهُ «ذَا الْكِفْلِ»، وَكَانَ مُقَامُهُ فِي الشَّامِ، وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَتَنَاقَلُونَ أَنَّ لَهُ
قَبْرًا فِي جَبَلِ قَاسِيُونَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والقرآن المجيد لَمْ يَزِدْ عَلَى ذِكْرِ اسْمِهِ فِي عِدَادِ الْمُرْسَلِينَ، وَلَمْ أَقِفْ
عَلَى تَرْجَمَةٍ مَبْسُوطَةٍ لَهُ.

وَرُوي عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ قَدْ تَكْفَّلَ لِابْنِي قَوْمِهِ أَنْ
يَكْفِيَهُمْ أَمْرُهُمْ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَسُمِّيَ: «ذَا الْكِفْلِ».

وقد أبان الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ الثَّلَاثَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَام مَا يَلِي:
(١) أَنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيَوَاتِهِمْ مِنَ الصَّابِرِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، وَعَلَى مَا
يُنْزَلُ بِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ بَلَاءٍ.

(٢) أَنَّ اللَّهَ أَذْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ، فَهُمْ سُعْدَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
الْمُحِيطَةِ بِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِهِمْ.

(٣) أَنَّهُمْ مِنْ زُمَرَةِ الصَّالِحِينَ. وَقَدْ سَبَقَ قَرِيباً شَرْحُ (الصَّالِحِينَ) فِي
الاستعمالات القرآنية.

وبهذا انتهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٩)

التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (الأنبياء)
الآيتان (٨٧ و ٨٨)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾:

القراءات :

(٨٧) • قرأ يَعْقُوبُ: [لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ]، أي: لَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ]، أي: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ.

(٨٨) • قرأ ابْنُ عَامِرٍ، وشُعْبَةُ: [نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ].

تمهيد :

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ لَقِطَةٌ مُوجِزَةٌ مِنْ قِصَّةِ ذِي النُّونِ (= يُونُسَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي دَاخِلِ تَدَبُّرِ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦ نزول) دِرَاسَةٌ تَكَامِلِيَّةٌ لِلنُّصُوصِ الْقِرَاءَتِيَّةِ بِشَأْنِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَ تَدَبُّرِ الْآيَاتِ مِنْ (١٣٩ - ١٤٨) مِنَ السُّورَةِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا.

التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِصًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ :

أَي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ هَذَا الْمَوْجِزَ مِنْ قِصَّةِ ذِي النُّونِ (وَهُوَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حِينَ ذَهَبَ تَارِكًا قَوْمَهُ «أَهْلَ نَيْنَوَى» مُغَاضِبًا لَهُمْ، إِذْ دَعَاهُمْ طَوِيلًا إِلَى دِينِ اللَّهِ فَمَا اسْتَجَابُوا لَهُ، فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ، وَفَارَقَهُمْ اجْتِهَادًا مِنْهُ، دُونَ أَنْ يَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ إِذْنًا أَوْ أَمْرًا بِمُفَارَقَتِهِمْ، ظَانًّا أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ، فَيُؤَاخِذُهُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ قَوْمَهُ دُونَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِهَذِهِ الْمَفَارَقَةِ.

ذَكَرَهُ اللهُ بِعُنْوَانٍ: «ذَا النُّونُ»، أي: صَاحِبَ النُّونِ الَّذِي التَّقَمَّهُ فِي الْبَحْرِ.

النُّونُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَوِيّ، وَلَعَلَّهُ صِنْفٌ خَاصٌّ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَّاتِ الْعُظْمَى.

مُغَاضِباً: أي: هَاجِراً قَوْمَهُ، وَمُتَبَاعِداً عَنْهُمْ، أَوْ جَرى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مُجَادَلَاتٍ شَدِيدَاتٍ أَغْضَبَتْهُ مِنْهُمْ، وَأَغْضَبَتْهُمْ مِنْهُ.

• ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أي: فَظَنَّ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ فَتَجْعَلَهُ مُلْزَماً بِالْأَمْرِ أَوْ بِالْإِذْنِ الصَّرِيحِ بِمُفَارَقَةِ قَوْمِهِ، بِاِغْتِبَارِهِ نَبِيّاً رَسُولاً يُوحَى إِلَيْهِ.

وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِباً لَهُمْ، تَوَجَّهَ جِهَةً سَاحِلِ الْبَحْرِ لِيَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدِهِ عَلَى مَرْكَبَةٍ بَحْرِيَّةٍ، تُقَرَّبُهُ إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِهِ، فَوَجَدَ فُلْكَاً مُنَاسِباً، فَتَفَاوَضَ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى أَنْ يُرَكِّبُوهُ مَعَهُمْ، فَوَافَقُوهُ عَلَى طَلَبِهِ فَأَرَكَّبُوهُ.

وَطَوَّتِ النُّصُوصُ الْقَرَأْنِيَّةُ بَيَانَ أَنَّ الْبَحْرَ هَاجٍ وَمَاجٍ، وَأَنَّ أَصْحَابَ الْفُلْكِ وَرُكَّابَهَا خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ، فَفَرَّزُوا أَنْ يُجْرُوا قُرْعَةً لِإِسْقَاطِ مَنْ تَقَعُ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ.

فَاجْرُوا الْقُرْعَةَ فَخَرَجَ سَهْمُ «يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِأَنَّهُ هُوَ الرَّجُلُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِأَنْ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ، دَلَّ عَلَى هَذَا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الصافات/ ٥٦ نزول).

فَأَرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حُوتاً عَظِيماً فَالتَقَمَهُ، أي: فَجَعَلَهُ كَلْقَمَةً فِي جَوْفِ قَمِيهِ.

وَحِينَ وَجَدَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ بِمَثَابَةِ لُقْمَةٍ فِي فَمِ حُوتٍ عَظِيمٍ، وَوَجَدَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْكُرَ اللهَ وَيُسَبِّحَهُ وَيَدْعُوهُ؛ اسْتَعْلَى قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ

بِالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالْإِغْتِرَافِ بِذَنْبِهِ، إِذْ فَارَقَ قَوْمَهُ دُونَ إِذْنِ صَرِيحٍ مِنْ رَبِّهِ.

هُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

• ﴿... فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧):

أي: فَكَادَى رَبُّهُ وَهُوَ مُحَاطٌ بِظُلْمَةِ جَوْفِ فَمِ الْحَوْتِ، وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةِ الْغَيْمِ فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ، بِالنَّدَاءِ الَّذِي يُفَسِّرُهُ مَا يَلِي:

(١) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾: أي: رَبِّ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ؛ إِلَّا أَنْتَ، فَأَنْتَ وَحْدَكَ الرَّبُّ الَّذِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

(٢) ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أي: تَنَزَّهْتَ عَنْ كُلِّ شَرِيكَ، وَتَنَزَّهْتَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِرُبُوبِيَّتِكَ وَالْهَيْئَتِكَ، وَتَنَزَّهْتَ عَنْ أَنْ تُجْرِيَ مُقَادِيرَكَ دُونَ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِفَةً بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ.

(٣) ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: أؤكدُ اغْتِرَافِي بِذَنْبِي، إِذْ ذَهَبْتُ مُغَاضِبًا قَوْمِي الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي، دُونَ أَنْ أَتَلَقَّى أَمْرًا أَوْ إِذْنًا مِنْكَ بِانْصِرَافِي عَنْهُمْ، وَقَدْ اخْتَرْتَنِي رَسُولًا لَهُمْ يُوحَى إِلَيَّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨):

أي: فَاقْبَلْنَا أَنْ نُجِيبَ لَهُ دُعَاءَهُ، وَخَلَّصْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِي جَوْفِ فَمِ الْحَوْتِ، فَقَدَرْنَا أَنْ يَلْفِظَهُ الْحَوْتُ عَلَى الْيَاسَةِ قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَقَعَلَ.

وَمِثْلَ هَذَا التَّخْلِيسِ مِنَ الْغَمِّ نُخَلِّصُ سَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ، ضَمَّنَ سِتْنَا فِي تَصَارِيفِنَا بِعِبَادِنَا.

وأحيل القارئ عَلَى مَا جَاءَ فِي تَدْبِيرِ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦ نزول) بِشَأْنِ «يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء).
والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٠)

التدبير التحليلي للدرس السادس عشر من دروس سورة (الأنبياء)
الأيتان (٨٩ و ٩٠)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾:

القراءات:

(٨٩) • قرأ حفص، وحزمة، والكسائي، وخلف: [وَزَكَرِيَّا إِذَا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَزَكَرِيَاءَ إِذَا].

وسهل الهمزة الثانية: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر،
ورؤيس.

وقرأها بالتحقيق: ابن عامر، وشعبة، وروح.

تمهيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ ذِكْرُ النَّبِيِّ الرَّسُولِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاةَ أَنْ تَكُونَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ (٢ - ١٥) مِنْ سُورَةِ (مَرْيَمَ/ ٤٤ نزول) بَيَانُ مُفْصَّلٍ عَنْ دُعَاءِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتِجَابَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ دُعَاءَهُ، مَعَ دِرَاسَةِ تَكَامُلِيَّةٍ لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ ^(١) فَفِيهِ الْاسْتِيعَابُ الْمُنْشُودُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) •

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ وَبَيَانَاتِهِ؛ قِصَّةَ النَّبِيِّ الرَّسُولِ «زَكَرِيَّا» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ نَادَى رَبَّهُ دَاعِيًا طَالِبًا أَنْ لَا يَتْرُكُهُ فَرْدًا مُنْقَطِعًا، مَحْرُومًا مِنَ الذُّرِّيَّةِ فِي شَجَرَةِ نَسَبِهِ، كَفَرَعَ انْتَهَى الْامْتِدَادُ مِنْ جِهَتِهِ عِنْدَهُ، فَصَارَ وَحِيدًا فَرِيدًا مُنْقَطِعًا، بَيْنَمَا تَمْتَدُّ الْفُرُوعُ الْأُخْرَى فِي شَجَرَةِ النَّسَبِ بِالذَّرَارِي مِنْ كُلِّ جَوَانِبِ الشَّجَرَةِ.

ضَعْ هَذَا فِي ذَاكِرَتِكَ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُ الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ، وَحِكْمَةَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - فِي تَلْيِيقِ مَطَالِبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

وَأُنَتِي زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ دُعَائِهِ عَلَى رَبِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾: أي: وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ تَرْجِعُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَالْأَحْيَاءِ إِلَى مَحْضِ مُلْكِهِ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَعَظُمَ سُلْطَانُكَ.

لَفْظُ «الْوَارِثِ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَحْضِ مُلْكِهِ كُلُّ شَيْءٍ جَعَلَ هُوَ لِبَعْضِ عِبَادِهِ تَمْلُكَاً صُورِيًّا لَهُ، وَعَلَى أَنَّهُ تَعَوَّدُ إِلَيْهِ الْأَشْيَاءُ الْمَمْلُوكَةُ هِيَ وَمَالُكُوهَا، مَعَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ مُلْكَ اللَّهِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مُسْتَمِرٌّ لَا يَنْقَطِعُ، فَاللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - هُوَ

الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ الْبَاقِي، الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى مَحْضِ مِلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ كُلِّ شَيْءٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾:

أي: فَقَبِلْنَا أَنْ نُحَقِّقَ لَهُ طَلْبَهُ فِي دُعَائِهِ، فَأَجْرَيْنَا الْمَقَادِيرَ الَّتِي تَحَقَّقُ بِهَا أَنْ وَهَبْنَا لَهُ وَلَدًا ذَكَرًا سَمَّيْنَاهُ يَحْيَىٰ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَاقِرًا فَأَصْلَحْنَاهَا لَهُ، وَجَعَلْنَاهَا قَابِلَةً لِأَنْ تَحْمِلَ وَتَلِدَ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَبَبَ خَرْقِهِ لِلْعَادَةِ فِي إِصْلَاحِ زَوْجِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَعَ صَالِحَةً نَقِيَّةً فَقَالَ تَعَالَى:

(١) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: أي: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالنِّيَّاتِ وَالْأَخْلَاقِ.

(٢) ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: أي: وَيَدْعُونَنَا فِي حَالَتِنِ الرَّغْبِ وَالرَّهَبِ، فَإِذَا رَغِبُوا دَعَوْنَا لِتَحْقِيقِ مَا رَغِبُوا فِيهِ، وَإِذَا رَهَبُوا دَعَوْنَا لِنَحْمِيَهُمْ مِمَّا رَهَبُوا مِنْهُ.

أي: وَيَدْعُونَنَا رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ.

(٣) ﴿... وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾: أي: وَكَانُوا لَنَا خَاضِعِينَ، خَائِفِينَ، سَاكِنِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ.

وبهذا انتهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢١)

التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآية (٩١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا
ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾:

تمهيد:

في هذه الآية حديثٌ مُقتَضِبٌ جدًّا عَنْ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَحَمْلَهَا
بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِخَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ دُونَ مُعَاشَرَةٍ ذَكَرَ، إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهَا فِي
خَلْوَتِهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَفَخَ فِي جَنْبِ صَدْرِهَا نَفْخَةً أَوْصَلَهَا اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ إِلَى رَحِمِهَا، وَعَقَدَ فِيهِ خَلِيَّةَ الْجَنِينِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، وَبِهَذِهِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ اكْتَمَلَتْ فِي خَلْقِ النَّاسِ الْآيَاتُ
كُلُّهَا، إِذْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الطِّينِ مُبَاشَرَةً مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا
أُنْثَى، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ دُونَ أُنْثَى، وَخَلَقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُنْثَى
دُونَ ذَكَرٍ، وَخَلَقَ وَيَخْلُقُ سَائِرَ النَّاسِ ضِمْنَ نِظَامِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ
الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ الْآيَاتِ مِنْ (١٦ - ٤٠) مِنْ سُورَةِ (مَرْيَمَ) بَيَانُ مُفْصَلٍ
بِشَأْنِ مَرْيَمَ وَحَمْلِهَا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ تَدَبُّرِ تَكَامُلِيٍّ لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ
الْمَتَعَدِّدَةِ الْوَارِدَةِ بِشَأْنِهَا فِي مُخْتَلِفِ السُّورِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

التدبر التحليلي:

• ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: أَي: وَضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي
لِكَلَامِ رَبِّكَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ مِنْ قِصَّةِ مَرْيَمَ الَّتِي صَانَتْ فَرْجَهَا وَحَفِظَتْهُ مِنْ
ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالذُّنُوبِ، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهَا بِكَمَالِ عِفَّتِهَا،

وَطَهَّارَتَهَا، وَحِفْظَهَا لِنَفْسِهَا مِنْ مُعَاشَرَةِ أَيِّ رَجُلٍ، وَلَوْ كَانَتْ مَخْطُوبَةً لَهُ.

• ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾: أي: فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَام - كَمَا جَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى فَنَفَخَ فِيهَا، أي: فِي جَسَدِهَا مِنْ جَنْبِ دِرْعِهَا عَلَى صَدْرِهَا، أَوْ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، نَفْخَةً سَلَكْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ طَرِيقَهَا إِلَى فَرْجِهَا فَمَكَانٍ حَمَلِهَا، فَتَمَّ بِأَمْرِنَا وَخَلَقْنَا حَمْلَهَا بِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام -.

• ﴿... وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩١): أي: وَجَعَلْنَا بِقُدْرَتِنَا عَلَى مَا نَشَاءُ مَرِيَمَ إِذْ حَمَلَتْ بِغَيْرِ ذَكَرٍ، وَابْنَهَا إِذْ انْعَقَدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ دُونَ أَبِي، بِنَفْخَةِ نَفْخِهَا مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِنَا فِي جَسَدِهَا بِأَمْرِ مِنَّا، وَبِتَقْدِيرِ وَقْضَاءِ مِنَّا، وَجَعَلْنَا ابْنَهَا فِي حَيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ آيَةً عَظِيمَةً مِنْ آيَاتِنَا لِلْعَالَمِينَ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّنا نَفْعَلُ فِي كَوْنِنَا مَا نَشَاءُ، فَإِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِقَ عَادَةً مِنْ عَادَاتِنَا خَرَقْنَاهَا، لِيَعْلَمَ الْعَالَمُونَ أَنَّنا عَلَى فِعْلٍ مَا نَشَاءُ قَادِرُونَ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٢)

التدبر التحليلي للدرس الثامن عشر من دروس سورة (الأنبياء)
الآيات من (٩٢ - ٩٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُوعٌ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونٌ ﴿٩٤﴾:

القرءات :

(٩٢) • قرأ يعقوب: [فَاعْبُدُونِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَصَلًا وَوَقْفًا.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاعْبُدُونِ] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ أُمَّةَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنَّ النَّاسَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ عَلَى خِلَافٍ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ.

وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ عَاقِبَةَ كُلِّ عَامِلٍ تَكُونُ بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَكَسْبِهِ.

التدبر التحليلي:

بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ (١٤) رَسُولًا فِي السُّورَةِ مَعَ مُوجَزَاتٍ مُخْتَرَلَاتٍ مِنْ قِصَصِهِمْ؛ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ (٩٢) مِنْ هَذَا الدَّرْسِ؛ أَنَّهُ خَاطَبَهُمْ وَكَذَلِكَ سَائِرُ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: بِأَنَّهُمْ رُسُلُ أُمَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَسُولًا لِأُمَّةٍ خَاصَّةٍ بِهِ، مُنْفَصِلَةً عَنْ سَائِرِ الْأُمَمِ.

فَالدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَكُلُّ مَوْضُوعٍ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُطَالَبٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، وَأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ.

وَعَلَى مَدَى التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ وَظُرُوفِهِ الْمُتَقَلِّبَةِ؛ اضْطَفَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ رُسُلًا، يُبَلِّغُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ؛ مَا يُلَايِمُ تَطَوُّرَهُمُ الْبَشَرِيَّ، فِكْرِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا.

إِنَّ الدِّينَ بِأُسُسِهِ الْكُلِّيَّةِ وَاحِدٌ، وَإِنَّ الرَّبَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ، وَإِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا سَلَالَةُ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ هُوَ «آدَمُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّ الْبُعْثَ وَالْحِسَابَ وَفَضْلَ الْقَضَاءِ الرَّبَّانِيِّ أُمُورٌ خَاضِعَةٌ لِنِظَامِ رَبَّانِيٍّ وَاحِدٍ، وَفِي الْآخِرَةِ دَارَانِ، دَارُ نَعِيمٍ، وَدَارُ عَذَابٍ، وَالْمُتَمَتِّحُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُجَاوِزُونَ فِيهِمَا عَلَى سِوَاءٍ.

وَعَلَى كُلِّ قَوْمٍ جَاءَهُمْ رَسُولٌ؛ أَنْ يُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَغَيْرِهِ، إِذْ هُمْ جَمِيعاً أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، لِلنَّبُوءَةِ، أَوْ لِلنَّبُوءَةِ وَالرَّسَالَةِ.

فَخَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعاً بِقَوْلِهِ:

• ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٦):

فَأَقْوَامُ الرُّسُلِ أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَرَبُّهُمْ رَبٌّ وَاحِدٌ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُمْ مُطَاعُونَ بِعِبَادَتِهِ، مُسْتَسْلِمِينَ لِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، أَوْ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ (المؤمنون/ ٢٣ مصحف/ ٧٤

نزول):

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١)

وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥١):

النِّدَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ آمَنُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَوَجَّهَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَمْرَ بِأَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَيُقِفُّهُمْ مِنْ وَصْفِ مَا يَأْكُلُونَ مِنْهُ: بِالطَّيِّبَاتِ؛ أَنْ يَجْتَنِبُوا الْأَكْلَ مِنَ الْحَبَائِثِ. وَوَجَّهَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَمْرَ بِأَنْ يَعْمَلُوا صَالِحاً، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَمَلِهِ، كِلَافِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَنَشْرِ دِينِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَأْدِيَةِ النَّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ لِمُسْتَحِقِّيهَا، وَكُلِّ شَيْءٍ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِتَرْكِهِ أَوْ نَهَى عَنْ فِعْلِهِ، فَكَفَتْ النَّفْسَ عَنْ فِعْلِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، يُشِيبُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

﴿... إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١): أَي: إِنِّي بِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ،

لَا يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، سَوَاءً أَكَانَتْ مُمَارَسَاتٍ لِأَشْيَاءَ، أَوْ كَانَتْ تَرْوِكاً لِأَشْيَاءَ. فَإِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ فَلَكُمْ عِنْدِي ثَوَابٌ عَلَيْهَا، يُلَايِمُ عَظَمَتِي وَجَلَالِي وَجُودِي وَكَرَمِي.

وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ مِنْ عَهْدِ آدَمَ حَتَّىٰ بَغْيَةِ آخِرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
هِيَ أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، غَيْرُ مُتَفَاصِلَةٍ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَىٰ رُسُلِهَا، الَّذِينَ بَعَثْتُهُمْ
لِتَبْلِغَ دِينِي الَّذِي اضْطَفَيْتُهُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَأَنَا رَبُّكُمْ جَمِيعاً فَاعْبُدُونِي، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتِي وَمُخَالَفَتِي، فَإِذَا
عَبَدْتُمُونِي بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، أَذْخَلْتُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّتِي
وَأَثْبَتُكُمْ ثَوَاباً عَظِيماً، وَإِذَا عَصَيْتُمُونِي فَلَمْ تَتَّقُوا عِقَابِي عَاقَبْتُكُمْ عِقَاباً
أَلِيماً، وَجَعَلْتُ مُسْتَحَقِّي الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ: خَالِدِينَ فِي النَّارِ.

لَكِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ مُتَّبِعُوا الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - الَّذِينَ حَرَّفُوا فِي
دِينِ اللَّهِ؛ أَمَرَ اللَّهُ لَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا أُمَّةً رَبَّانِيَّةً وَاحِدَةً، يَعْمَلُونَ بِمَا يَأْتِي بِهِ
الرَّسُولُ اللَّاحِقُ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ دِينِ اللَّهِ لَهُمْ.

فَتَعَصَّبَ الصَّابِثُونَ لِلَّذِينَ يَنْسُبُونَهُ إِلَىٰ صَابِيٍّ، عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ
مِنْ تَحْرِيفٍ وَنِسْيَانٍ، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينُ صَابِيٍّ، وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ لِلنَّاسِ.

وَتَعَصَّبَ الْيَهُودُ لِلَّذِينَ يَنْسُبُونَهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ، عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنْ تَحْرِيفٍ وَنِسْيَانٍ، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينُ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ لِلنَّاسِ.

وَتَعَصَّبَ النَّصَارَىٰ لِلَّذِينَ الْمَحْرَفِ الَّذِي يَنْسُبُونَهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ لِلنَّاسِ.

وَحَجَبَ الْمُتَعَصِّينَ مِنْ اتِّبَاعِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ تَعَصُّبُهُمُ الْبَاطِلُ؛ عَنْ اتِّبَاعِ
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولاً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ،
فَأَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَافِلَةِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ، الَّتِي بَدَأَتْ فِي عَهْدِ آدَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّىٰ بَغْيَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،
وَسَتَّسَمَرَتْ مَا دَامَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، يَتَّبِعُ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَلَّغَهُ
عَنْ رَبِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَيُؤْمِنُ

بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، لَا يُفَرِّقُ فِي الْإِيمَانِ بَيْنَ أَحَدٍ وَآخَرَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى آخِرِ تَنْزِيلِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، مُبَيِّنًا تَعَالِيمَ الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَأَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ.

وإيجازاً لهذا الواقع الذي خالف به أتباع الأديان أمر الله بأن يكونوا أمة ربّانية واحدة؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سورة (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

• ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ...﴾ (٩٣) : أي: وجعلوا لأنفسهم ولآيات الأديانهم المحرّفة، وتفاضلوا فيما بينهم أمماً متفرّقة، وأحزاباً متعدّية متخالفة، وخرجوا عن صراط الأمة الربّانية الواحدة. وأنذرهم الله بعقاب أليم يوم الدين بأسلوب كِنَائِي فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... كُلُّ إِلَهٍ رَجِعُوا﴾ (٩٣).

وَرَادَ الْأَمْرُ بَيَاناً فِي سُورَةِ (المؤمنون/ ٢٣ مصحف/ ٧٤ نزول) فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾ (٥٣) ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤) ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ (٥٥) ﴿سُلَاحٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦):

• ﴿زُبُرًا﴾: أي: قطعاً متفرّقة خارجة عن صراط الأمة الربّانية الواحدة، أي: قطعاً. الزُّبُورَةُ: القِطْعَةُ مِنَ الْحَدِيدَةِ، وَالْجَمْعُ: زُبُر. وَالزُّبُرُ: جَمْعُ زُبُور وهو: الكتاب المزبور، أي: المكتوب.

• ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: الحزب: الجماعة المتفكّقة المتناصرة على أمر ما، والجماعة الذين تشاكلت مبادئهم وأهواؤهم.

• ﴿فِي غَمَرَتِهِمْ﴾: الغمرة: الضلالة التي تغمر صاحبها.

أي: فَقَطَّعَ الْمُشْتَمُونَ إِلَى الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - قَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ قِطْعاً مُتَفَرِّقَةً خَارِجَةً عَنِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَكَوَّنُوا أَحْزَاباً مُتَعَادِيَةً

مُتَخَالِفَةً فِي مَبَادِيهَا وَأَهْوَائِهَا، وَكُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ فَرِحُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيفَاتٍ فِي دِينِ اللَّهِ، يُرْضُونَ بِهَا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَتَجْعَلُ لِقَادَتِهِمُ الدُّيُونِيِّينَ زَعَامَاتٍ وَمَصَالِحَ وَمَنَافِعَ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا هُوَ لَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ الْحَقُّ، قَبْلَ التَّحْرِيفِ الَّذِي غَيَّرُوا بِهِ دِينَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.

وتوجَّهَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، بِأَسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِيِّ؛ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿فَذَرَهُمْ فِي غَرَّتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ﴾ (٥٤): أي: فَاثْرَكْهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ الْعَامِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ، تَسْقُطُ بِالْفَتْحِ الْإِسْلَامِيُّ فِيهِ غُرُوشُهُمْ، وَتَنْدَجِرُ جُيُوشُهُمْ، أَوْ حَتَّىٰ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ تَنْتَهِي فِيهِ آجَالُهُمْ، وَيَلْقَوْنَ فِيهِ عَذَابَ رَبِّهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُبَيِّنًا غُرُورَهُمْ بِمَا يُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَالْمَالِ وَالْبَنِينَ، لِيَلْبُوهُمْ فِيمَا آتَاهُمْ:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ۖ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾ (٥٥) ﴿٥٦﴾؟؟:

أي: أَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، لِنَلْبُوهُمْ بِهَا، وَمِنْهَا الْمَالُ وَالْبَنُونَ؛ أَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّنَا نُسَارِعُ فِي مَنَحِهِمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْ خَيْرَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ إِكْرَامًا لَهُمْ وَإِنْعَامًا، لِأَنَّهُمْ مُفْضِلُونَ عِنْدَنَا؟!.

لَا يَتَوَهَّمُوا هَذَا التَّوَهُّمَ الْبَاطِلَ، فَإِنَّ مِنْ حِكْمَتِنَا فِي دُنْيَا الْامْتِحَانِ أَنْ نُؤْمِلِيَ لِلظَّالِمِينَ، وَنُمِدَّهُمْ بِعَطَاءَاتِنَا، ثُمَّ نُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ جَرَائِمِهِمْ عِقَابًا أَلِيمًا.

وَأَبَانَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ سُلْطَانُهُ؛ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ إِمْدَادَهُمْ بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَىٰ إِكْرَامِنَا وَإِنْعَامِنَا لَهُمْ، بَلْ هِيَ سُنَّتُنَا فِي امْتِحَانِنَا لِعِبَادِنَا، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿... بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾: الشُّعُورُ: أَذْنَى دَرَجَاتِ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ، وَنَفْيُ الشُّعُورِ بِالشَّيْءِ نَفْيٌ لِلْعِلْمِ بِأَذْنَى دَرَجَاتِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ. أَمَّا بَقِيَّةُ النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول) فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

• ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُوبٌ ﴿٩٤﴾﴾:

هَذِهِ الْآيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى بَعْضِ بُنُودِ قَانُونِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ يَوْمَ الدِّينِ، أَيْ: فَمَنْ يَعْمَلُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ - شَيْئاً مِنَ الصَّالِحَاتِ، الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِعَمَلِهَا، أَوْ رَغَبَ فِيهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً مُسْتَوْفِياً شُرُوطَ الْإِيمَانِ الْمُنْجِي عِنْدَ اللَّهِ؛ فَهُوَ سَعْيٌ يَشْكُرُهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَكْفُرُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِجَلِ أَعْمَالِهِ، تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ. وَبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٣)

التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة (الأنبياء)
الآية (٩٥)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾:

القراءات:

• قرأ شُعْبَةُ، وحمزَةً، وخلف: [وَحَرَّمَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [وَحَرَّامٌ].

حَرَّمَ وَحَرَّامٌ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى: «المنع».

التدبر التحليلي:

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى الَّذِينَ قَضَىٰ أَنْ يُهْلِكَهُمْ؛ قَدْ وَصَلُوا إِلَىٰ دَرَكَةٍ مِنَ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ مَيُّوسٍ مَعَهَا مِنْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ إِلَىٰ مُسْتَوَى الْمَظْمُوعِ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، فَكَانَ مِنَ الْحَكْمَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ تَنْفِيذِهَا ضِمْنَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي تَصَارِيفِهِ بِعِبَادِهِ؛ أَنْ يُهْلِكَهُمْ، كَمَا أَهْلَكَ كُفَّارَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُفَّارَ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُفَّارَ قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ضِمْنَ هَذَا الْمَعْنَى يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي هِيَ دَرْسٌ مُفْصَلٌ مِنْ دُرُوسِ هَذِهِ السُّورَةِ.

فَالْمَعْنَى: وَمَنْعٌ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، الميؤوسِ مَعَهُ: مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، أَنْ لَا تُهْلِكَهُمْ ضِمْنَ سُنَّتِنَا فِي تَصَارِيفِنَا بِعِبَادِنَا، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ مُسْتَوَى الْمَظْمُوعِ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، فَحَقٌّ أَنْ نُهْلِكَهُمْ. وبهذا انتهت تدبر الدرس التاسع عشر من دروس سورة (الأنبياء). والحمد لله على معُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٤)

التدبر التحليلي للدرس العشرين من دروس سورة (الأنبياء)
الآيتان (٩٦ و ٩٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لَنَا قَدْ كُنَّا
فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾:

القرءات:

(٩٦) • قرأ ابنُ عامر، وأبو جعفر، ويعقوبُ: [فُتِحَتْ] بِشَدِيدِ النَّاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [فُتِحَتْ].

يُظْهَرُ أَنَّ قِرَاءَةَ «فُتِحَتْ» رُوعِي فِيهَا حَالُ الَّذِينَ يُصَابُونَ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، إِذَا انْسَاحُوا نَحْوَ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى بِشُرُورِهِمْ.

وَأَنَّ قِرَاءَةَ «فُتِحَتْ» رُوعِي فِيهَا حَالُ الَّذِينَ يَكُونُ مُصَابُهُمْ بِشُرُورِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ غَيْرَ ذِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ.

(٩٦) • قرأ عاصمٌ: [يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ] بِهَمْزَةٍ سَاكِتَةٍ.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ].

وَيُظْهَرُ أَنَّهُمَا نُظْلَقَانِ مَعْرُوفَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ لِهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ.

تَمْهيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ فَتْحِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَعَنْ اقْتِرَابِ الْوَعْدِ الْحَقِّ، وَهُوَ قِيَامُ سَاعَةِ إِمَاتَةِ الْأَحْيَاءِ وَتَغْيِيرِ نِظَامِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

التدبر التحليلي:

سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي سُورَةِ (الْكَهْف/ ٦٩ نزول) حَدِيثٌ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَإِقَامَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ السِّدِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمٍ كَانُوا يُعَانُونَ أَشَدَّ الْمُعَانَةِ مِنْ شُرُورِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

وَهُنَا فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء/ ٧٣ نزول) جَاءَ حَدِيثٌ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَفَتْحِهِمْ، أَي: فَتْحِ الْحَوَاجِزِ الرَّبَّانِيَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقْوَامِ، وَعَنْ انْسِيَاحِهِمْ مُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا يَكُونُ مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ قِيَامِ الْقِيَامَةِ، الَّتِي يَكُونُ بِهَا انْتِهَاءُ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وجاء في هذه السورة بيان أنهم حين يفتحون، وينساحون في الأرض خارج حدود بلادهم؛ ينسلون من كل حدب، فقال تعالى:

• ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦):

• ﴿حَقَّ﴾: حرف تبتدئ بعده الجمل الاسمي والفعلية، لا عمل له، ويسمى حرف ابتداء.

• ﴿إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: فتح الأقوام يشبه فتح حواجز الأنهر، التي تجعلها تتدفق سيلاً هداراً.

• ... ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦):

الحذب: هو ما ارتفع وغلظ من الأرض.

﴿يَنْسِلُونَ﴾: أي: يسرعون. والنسلان: مشية الذئب إذا أسرع. وهو الإسراع في المشي دون السعي.

أي: ويأجوج ومأجوج، حين يفتحون وينساحون خارج حدود بلادهم؛ يكونون مُسرِعِينَ للسلب والنهب والقتل والافساد في الأرض من كل مرتفع من الأرض، إذ ينصبون للقيام بشؤونهم انصباباً.

وبعد أن ينساح هؤلاء المفسدون الهمج الأشرار، يكون الوعد الحق بقيام ساعة إنهاء ظروف الحياة الدنيا؛ قد اقترب، ففتح يأجوج ومأجوج من أمارات اقتراب هذه الساعة.

وعندئذ تشخص أبصار الذين كفروا دُعراً من قيام الساعة، وفي بيان هذا قال الله عز وجل:

• ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ أَلَمْ نَكُنْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٧):

• ﴿إِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يقال لغة: شخص فلان يبصره، أي: فتح عينيه ولم يظرف بهما دهشة أو خوفاً.

• ﴿يَوَلِّنَا﴾: أي: يَقُولُونَ مُتَحَسِّرِينَ مُتَفَجِّعِينَ حَزِينِينَ، خَائِفِينَ مِنْ مَصِيرِهِمْ: يَا وَيَلْنَا، أي: مَا أَشَدَّ مُصِيبَتَنَا، وَمَا أَسْوَأَ مَصِيرَنَا.

• ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾: أي: قَدْ كُنَّا غَارِقِينَ فِي غَفْلَةٍ، نَافِرِينَ مِنْ أَحَادِيثِ السَّاعَةِ وَقِيَامِهَا، غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَخْبَارَ الْمُرْسَلِينَ عَنْهَا. جَاءَتْ التَّعْدِيَةُ بحرف «مِنْ» على تَضْمِينِ الغَفْلَةِ مَعْنَى الثُّقُورِ.

وَالْغَفْلَةُ عَنِ الشَّيْءِ: هِيَ الانْصِرَافُ الْحِسِّيُّ وَالْفِكْرِيُّ عَنْ مُلَاحَظَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ الإِدْرَاكِ، أَوْ وُجُودِ أدْلَتِهِ، وَإِمْكَانِ إِدْرَاكِ ذَلِكَ لَوْلَا وُجُودُ الصَّارِفِ أَوْ السَّهْوِ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ إِطْبَاقِ الْجَفْنَيْنِ عَلَى الْعَيْنَيْنِ، وَمَا تُظَلِّبُ رُؤْيَتُهُ حَاضِرٌ فِي مَجَالِ النِّظَرِ.

والمعرض عَنِ الإِيمَانِ بَقِيَامِ السَّاعَةِ شَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ وَشَهَوَاتُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ عَنِ التَّبَصُّرِ بِمَصِيرِهِ، وَالْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي سَوْفَ يُلَاقِيهِ.

وَبَعْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَى غُمِّي مَا فِي أَنْفُسِهِمْ يُدْرِكُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، جَاحِدِينَ الْحَقَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ بَرَاهِينُ الْعَقْلِ، وَالنُّصُوصُ الْمُنَزَّلَةُ فِي كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَيَقُولُونَ مَا أَبَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٧).

وَأَوَّلَى مَا نَفَهُمُ بِهِ الْمُرَادَ مِنْ فَتْحِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَأَنَّهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ؛ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ ذِكْرٌ لِلدَّجَّالِ، وَنُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَتْلُهُ لَهُ بَبَابٍ لَّدُنْ، وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَأْنِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَفِيمَا يَلِي الْمَقْطَعُ الْمُتَعَلِّقُ بِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:

«فَيْنَمَا هُوَ (أي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ^(١) عِبَادِي، إِلَى الطُّورِ.

(١) أي: فَبَالِغٍ بِحِفْظِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ، وَخُذْهُمْ إِلَى الطُّورِ.

وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ
أَوَائِلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ، فَيَشْرُبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ أَوَاخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ
كَانَ بِهَٰذِهِ مَرَّةً مَاءٌ.

وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ
خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ.

فَيَرْغَبُ^(١) نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ^(٢) فِي
رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسَى (أَي: قَتَلَى) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي
الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ.

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ
الْبُخْتِ^(٣)، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ^(٤) مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٌ، فَيَغْسِلُ
الْأَرْضَ، حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ^(٥).

ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمِئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ
مِنَ الرِّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا^(٦)، وَيُبَارِكُ اللَّهُ فِي الرِّسْلِ (أَي: فِي اللَّبَنِ)،
حَتَّى إِنَّ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ^(٧) مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةُ مِنَ الْبَقَرِ
لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةُ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَحْدَ مِنَ النَّاسِ.

(١) أَي: فَيَدْعُو وَيَدْعُوا أَصْحَابُهُ مَعَهُ رَبَّهُمْ.

(٢) النعف: دُودٌ يَكُونُ فِي أَنْوْفِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ.

(٣) البُخْت: الْإِبِلُ الْخُرَاسَانِيَّةُ، وَهِيَ طَوِيلَةُ الْأَعْنَاقِ.

(٤) لَا يَكُنُ مِنْهُ: أَي: لَا يَسْتُرُ وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ.

(٥) كَالزَّلْفَةِ: أَي: كَالْمِرْآةِ.

(٦) بِقُحْفِهَا: أَي: بِنُصْفِ قَشَرَتِهَا.

(٧) الْفِئَامُ مِنَ النَّاسِ: أَي: الْجَمَاعَةُ مِنْهُمْ. وَاللَّفْحَةُ: اللَّبُونُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبِطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْنِهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس العشرين من دروس سورة (الأنبياء).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِهِ.



(٢٥)

التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (٩٨ - ١٠٠)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ إِلَٰهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

تمهيد:

في آيات هذا الدرس خطاب من الله عز وجل للمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ مَعَ مَعْبُودَاتِهِمْ حَصْبُ جَهَنَّمَ.

وفيها عَرْضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ تَعَذِّيبِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِلْمُشْرِكِينَ عِبَادَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ:

• ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

الْحَصْبُ: صِغَارُ الْحِجَارَةِ، وَالْحَطْبُ، وَكُلُّ مَا يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ وَقُودٍ.

• ﴿إِنَّكُمْ﴾: أي: يَا أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ عِبَادَ الْأَضْنَامِ.

• ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: مِمَّا لَا يَعْلَمُ وَلَا يَعْقِلُ، وَهِيَ الْأَضْنَامُ وَالْأَوْثَانُ، فَلَفِظُ «مَا» اسْمُ مَوْضُولٍ مَوْضُوعٌ فِي الْأَصْلِ لِمَا لَا يَعْقِلُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْعَاقِلُ مَعَ غَيْرِهِ تَغْلِيْبًا، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا مَا لَا يَعْقِلُ، أَمَّا مَنْ يَعْقِلُ لَا يَدْخُلُ جَهَنَّمَ، إِلَّا إِذَا كَانَ رَاضِيًا بِأَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

• ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾: أي: أَنْتُمْ وَقُودٌ مِنْ وَقُودِ جَهَنَّمَ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُكُمْ تَتَجَدَّدُ، وَهَذَا الْوَقُودُ يَتَعَذَّبُ بِاخْتِرَاقِهِ وَاشْتِعَالِهِ، وَأَضْنَامُكُمْ كَصِغَارِ الْحِجَارَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ وَقُودِ جَهَنَّمَ، أَمَّا كِبَارُ الْحِجَارَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ وَقُودِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ، فَهِيَ صُخُورٌ عَظِيمَةٌ قَدْ تَكُونُ الصَّخْرَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهَا بِمِثَابَةِ جَبَلٍ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلْكَافِرِينَ:

﴿... فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (التَّحْرِيمِ/ ٦٦ مصحف/ ١٠٧ نزول) خِطَابًا لِلَّذِينَ آمَنُوا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦١﴾.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾.

هَذِهِ النُّصُوصُ مِنَ السُّورِ الَّتِي سَبَقَ بَيَّانُهَا؛ مُكَمَّلَةٌ لِمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٩٨) مِنْ سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

• ﴿... أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٩٨): وَرُودُ الْمَكَانِ: الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ، وَقَدْ يُصَاحِبُهُ الدُّخُولُ فِيهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، لِأَنَّ الْخُطَابَ مُوجَّهٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هُمْ حَصَبُ جَهَنَّمَ، يُقَالُ لُغَةً: «وَرَدَ الْمَكَانَ، وَوَرَدَ عَلَى الْمَكَانِ» أَي: أَشْرَفَ عَلَيْهِ، دَخَلَهُ أَوْ لَمْ يَدْخُلْهُ. يُقَالُ: «وَرَدَ، يَرِدُ، وَرُودًا» أَي: حَضَرَ.

و﴿لَهَا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿وَرِدُونَ﴾، أَضْلُ الْعِبَارَةِ: «أَنْتُمْ وَارِدُونَهَا»، وَلِمُرَاعَاةِ رُؤُوسِ الْآيَاتِ؛ قُدِّمَ الْمَعْمُولُ فَضَعُفَ عَمَلُ الْعَامِلِ «وَارِدُونَ»، فَجِيءَ بِلَامِ التَّقْوِيَةِ، وَأَدْخِلْتَ عَلَى الضَّمِيرِ «لَهَا».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَوْقِفًا مِنْ مَوَاقِفِ يَوْمِ الدِّينِ وَمَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِهِ، بَعْدَ إِدْخَالِ الْمُشْرِكِينَ وَأَصْنَامِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، وَهَذَا الْمَشْهَدُ يُعْبَرُ عَنْ نَفْسِهِ بِالْعِبَارَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٩):

أَي: لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ آلِهَةً حَقًّا مَا وَرَدُوا جَهَنَّمَ وَدَخَلُوهَا حَصَبًا، وَكَانُوا وَقُودًا مِنْ وَقُودِهَا.

وَجَاءَ التَّعْلِيلُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَصْنَامِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٩): أَي: وَكُلٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَصْنَامِهِمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ:

• ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠):

الزَّفِيرُ: إِخْرَاجُ النَّفْسِ مِنَ الصَّدْرِ بِقُوَّةٍ حَتَّى الْغَايَةِ، بَعْدَ مَلْءِ الصَّدْرِ

بِهِ. وَضِدُّهُ: «الشَّهِيْقُ»، فَهُوَ أَخَذَ النَّفْسَ بِقُوَّةٍ إِلَى دَاخِلِ الصَّدْرِ، حَتَّى امْتَلَأَ الرَّتَّتَيْنِ بِهِ.

وَلَا يَكُونُ زَفِيرٌ إِلَّا وَيَعْقُبُهُ شَهِيْقٌ، وَإِجَازاً فِي التَّعْبِيرِ جَاءَ فِي الْآيَةِ ذِكْرُ الزَّفِيرِ فَقَطْ، لِيَفْهَمَ الْمَتَدَبِّرُ أَنَّ الْمَعْدِّيْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمِنْهُمْ الْمَشْرِكُونَ عِبَادُ الْأَصْنَامِ؛ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ.
وَالْمَطْوِيُّ هُنَا جَاءَ مُصَرَّحاً بِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول):

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ (١١٦):

• ﴿... وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١١٠): أَي: وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ مَا يُمْتِغ وَيَسُرُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ، أَمَّا مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَوِيلِ وَالصُّرَاخِ وَأَصْوَاتِ قَذَائِفِ النَّارِ، وَتَفْجَرَاتِ الْمَتَفَجِّرَاتِ فِيهَا، وَمِثْلِ قَوْلِ اللَّهِ لَهُمْ، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ/ ٢٣ مصحف/ ٧٤ نزول):

﴿قَالَ أَخْسَأُ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١١٨): فَهُوَ مِمَّا يَزِيدُ فِي عَذَابِهِمْ، وَلَا يُجِبُونَ أَنْ يَسْمَعُوهُ، وَهُوَ لَدَى التَّدْقِيقِ لَيْسَ سَمَاعاً.

وَيَظْيِرُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (طه/ ٤٥ نزول) بِشَأْنِ حَالِ الْمُجْرِمِ وَهُوَ يُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ:

﴿إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّهُمُ بُحْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٧٤):

أَي: لَا يَمُوتُ فِيهَا مَوْتاً مُرِيحاً مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَحْيَا فِيهَا حَيَاةَ ذَاتِ رَاحَةٍ مِنَ الْعَذَابِ، فَتَفْنِي الْحَيَاةَ عَنْهُ تَفْنِي حَيَاةَ خَالِيَةٍ مِنَ الْعَذَابِ.
وَكَذَلِكَ لَا يَسْمَعُونَ سَمَاعاً مُمْتِعاً أَوْ مُرْسِئاً، بَلْ يَسْمَعُونَ سَمَاعاً يَزِيدُ فِي عَذَابِهِمْ، وَهَذَا لَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ سَمَاعاً، بَلْ هُوَ تَعْذِيبٌ.

وَبِهَذَا انْتَهَى تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الْحَادِي وَالْعُشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني والعشرين من دُروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٠١ - ١٠٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

القراءات:

(١٠٣) • قرأ أبو جعفر: [لَا يُحْزَنُهُمْ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [لَا يَحْزَنُهُمْ].

قال الجوهري: «حَزَنَةُ الأمر» لُغَةٌ قُرَيْش. و«أَحْزَنَهُ الأمر» لُغَةٌ تَمِيم، اه، والمعنى واحد، الحُزْنُ: ضِدُّ الْفَرْحِ وَالشُّرُورِ.

(١٠٤) • قرأ أبو جعفر: [نَطْوِي السَّمَاءَ]، وهي على معنى أَنَّ اللَّهَ يَطْوِيهَا.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نَطْوِي السَّمَاءَ] بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

(١٠٤) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لِلْكِتَابِ] بِالْجَمْعِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَة: [لِلْكِتَابِ] بِالْإِفْرَادِ.

وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتَابِ الْجَنْسُ.

(١٠٤) • قرأ السُّوسِي، وأبو جَعْفَر، والأصْبَهَانِي عن وَرْش: [بَدَأْنَا] وصلًا ووقفًا.

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [بَدَأْنَا].

تَمْهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ يَوْمَ الدِّينِ مِنْ دُخُولِ النَّارِ، يَوْمَ يَطْوِي اللهُ السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَبَادِرُ أَنْ أُجْعَلَ هَذَا الدَّرْسُ مُلْحَقًا بِالدَّرْسِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، إِلَّا أَنِّي آثَرْتُ هَذَا الْفَضْلَ، إِذْ لَمْ أَزْتَخْ إِلَى مَا وَسَّعَ فِيهِ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ مِنْ بَيَانِ سَبَبِ النُّزُولِ، وَمَجَادَلَةِ «ابْنِ الزُّبَيْرِ» الرَّسُولَ ﷺ حَوْلَ كَوْنِ بَعْضِ الْمَعْبُودِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبَعْضِ الْبَشَرِ الصَّالِحِينَ. إِذْ هُمْ لَا يَدْخُلُونَ فِي: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، لِأَنَّ «مَا» لَا تَقَعُ عَلَى ذِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَخْفَى عَلَى عَرَبِ الْحِجَازِ، وَلَا سِوَا أَهْلِ مَكَّةَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ يَعَصِمُهُمُ اللهُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ:

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٨﴾﴾:

الْحَسِيسُ: مَصْدَرٌ لِفِعْلِ «حَسَّ الشَّيْءُ»، وَحَسَّ بِهِ أَي: أَدْرَكَهُ بِإِخْدَى حَوَاسِهِ. فَمَعْنَى ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: لَا يَسْمَعُونَ صَوْتًا مِنْهَا تُذَكِّرُهُ فِي الْعَادَةِ حَاسَةُ السَّمْعِ، بِسَبَبِ بُعْدِهِمُ الشَّاسِعَ عَنْهَا، وَهُمْ يُنَعَّمُونَ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

وَالْمَعْنَى فِيمَا أَرَى: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَجَاءَتْهُمْ

الْبِشَارَةَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، بَأَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَلَا يَدْخُلُونَهَا، فَسَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْبِشَارَةِ الْحُسْنَىٰ بِهَذَا، قَبْلَ الْحِسَابِ، وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، يَوْمَ الدِّينِ؛ أُولَٰئِكَ الْفَضْلَاءُ رَفِيعُوا الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ عَنْ جَهَنَّمَ مُبْعَدُونَ، وَفِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يُنْعَمُونَ، وَحِينَ يَكُونُونَ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ يُنْعَمُونَ؛ لَا يَظْرُقُ سَمْعُهُمْ صَوْتُ مَا مِمَّا يُسْمَعُ عَادَةً مِنْ أَصْوَاتِ جَهَنَّمَ وَأَصْوَاتِ الْمُعَذِّبِينَ فِيهَا، لِئَلَّا يَتَكَدَّرُوا بِسَمَاعِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الْمُرْعِجَةِ. وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ؛ مُنْعَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَخَالِدُونَ خُلُودًا أَبَدِيًّا فِيهَا.

وَلَا يَتَعَارَضُ هَذَا مَعَ مَا جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ (٧١ و ٧٢) مِنْ سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نَزُول) بِشَأْنِ وُرُودِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى جَهَنَّمَ، لِأَنَّ مَا جَاءَ فِيهِمَا هُوَ الْوُرُودُ عَلَى الصَّرَاطِ، الَّذِي يُضْرَبُ عَلَى وَسْطِ أَعْلَى جَهَنَّمَ مِنْ حَافَّةٍ إِلَى الْحَافَةِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ يَكُونُ وُرُودُهُمْ جَهَنَّمَ وَرُودَ إِشْرَافٍ سَرِيعٍ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، كَمَا سَبَقَ لَدَى تَدْبِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نَزُول)، وَلَا يُصَاحِبُهُ شَيْءٌ مِمَّا يُعَكِّرُ صَفْوَهُمْ أَوْ يُؤْذِيهِمْ.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾: هَذَا الْبَيَانُ يَتَعَلَّقُ بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، بَعْدَ صُذُورِ الْحُكْمِ بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الدُّخُولِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ.

هَؤُلَاءِ الْفَضْلَاءُ ذَوُو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ قَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمُ الْبُشْرَى الْحُسْنَىٰ، بِأَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الدُّخُولِ فِي النَّارِ، وبِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا فِي الصَّحِيحِ الْقَاطِعِ مِنَ التَّصَوُّصِ الدِّينِيِّ، فَلَا مَجَالَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ.

الْحُسْنَى: وَصَفٌ لِذَاتِ صِفَةٍ هِيَ الْأَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَوَّلَى مَا نَقَدَّرُهُ «الْبُشْرَى»، أَي: سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْبُشْرَى الْحُسْنَى.

• ﴿... أُولَئِكَ عَنَّا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١): أي: أولئك الفضلاء ذُورُ المنازلِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَنَا عَنْ جَهَنَّمَ مُبْعَدُونَ إِبْعَاداً سَحِيقاً.

• ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي: لَا يَسْمَعُونَ صَوْتاً مِنْهَا تُذَرِّكُهُ فِي الْعَادَةِ حَاسَّةُ السَّمْعِ، لِئَلَّا تَشْمِئَزَّ نُفُوسُهُمْ مِنْ سَمَاعِ أَصْوَاتِ كَرِيبَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ.

• ﴿... وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢): أي: وَهُمْ خَالِدُونَ خُلُوداً أَبَدِيّاً لَا نِهَآيَةَ لَهُ، فِي مُحِيطٍ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ، مِنْ كُلِّ جِنْسٍ، وَكُلِّ نَوْعٍ، وَكُلِّ صِنْفٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ الْفُضَّلَاءِ ذَوِي الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣):

الْفَزَعُ: مَشَاعِرُ أَلَمٍ فِي النَّفْسِ طَوِيلِ الْأَمَدِ، بِسَبَبِ مَحْبُوبٍ أَوْ مَرْغُوبٍ فِيهِ قَدْ فَاتَ، أَوْ بِسَبَبِ مَكْرُوهٍ نَازِلٍ أَوْ مُتَوَقَّعِ النَّزُولِ، كَالْحُزْنِ عَلَى مَحْكُومٍ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ.

الْفَزَعُ: الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ الَّذِي تَظْهَرُ لَهُ آثَارُ نُفُورٍ فِي حَرَكَاتِ الْجِسْمِ. وَالْفَزَعُ الْأَكْبَرُ يَكُونُ عَقِبَ بَغْثِ النَّاسِ لِتَلَقِّي أَحْدَاثٍ وَوَقَائِعِ يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ، فَالْكَافِرُونَ وَمُرْتَكِبُو كَبَائِرِ الْإِثْمِ؛ يَفْزَعُونَ مِمَّا سَيَلَاقُونَ مِنْ جَزَاءٍ كَانُوا قَدْ أُنْذِرُوهُ. وَالْمَقْصُرُونَ يَحْزَنُونَ إِذْ يَنْجَلِي لَهُمْ بُوضُوحُ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ أَنَّهُمْ قَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثَوَاباً عَظِيماً، كَانُوا مِنَ الْمُمَكِّنِ السَّهْلِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَظْفَرُوا بِهِ، لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا تَحَمَّلُوا مُخَالَفَةَ نُفُوسِهِمْ فِي تَرْكِ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرَكُوهَا، أَوْ فِي فِعْلِ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوهَا.

أَمَّا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْبُشْرَى الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْبُشْرَيَاتِ عِنْدَ مَوْتِهِمْ وَيَعْغَدُهُ؛ فَإِنَّهُمْ فِي أَمْنٍ نَفْسِي تَامٌ، فَلَا تُفْزِعُهُمُ الْأَحْدَاثُ الْجَسِيمَاتُ الْمَشِيرَاتُ لِلْفَرْعِ الْأَكْبَرِ فِي قُلُوبٍ وَنَفُوسٍ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ أَنَّهُمْ قَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَقَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَحْسَنُ الْبُشْرَيَاتِ بِأَحْسَنِ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

• ﴿... وَنَلَقْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣):

• ﴿وَنَلَقْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةَ﴾: أي: وَتَلَقَّاهُمْ مَلَائِكَةُ التَّكْرِيمِ، وَرَبَّمَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِحَقَاوَةٍ وَتَكْرِيمٍ، عَامِدِينَ قَاصِدِينَ لِقَاءَهُمْ أَنَا فَأَنَا، أَخْذًا مِنْ صِغَةِ «تَفَعَّلَ» الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّكَلُّفِ وَالتَّدْرُجِ، وَتُحْمَلُ (ال) فِي «الْمَلَائِكَةِ» عَلَى أَهْلِ الْكَمَالِ فِيهِمْ.

• ﴿... هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣): أي: تَقُولُ

لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ حِينَ تَتَلَقَّاهُمْ: هَذَا يَوْمُكُمْ الْعَظِيمُ الَّذِي سَتَكُونُونَ فِيهِ سُعْدَاءَ أَبَدًا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُوعَدُونَهُ.

وَهَذَا التَّلَقِّي قَدْ يَكُونُ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ أَيْضًا عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ أَيْضًا وَهُمْ فِيهَا زِيَادَةً فِي الْإِيْنَسِ وَالتَّكْرِيمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ بَعْضَ بَيَانٍ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤):

• ﴿نَطْوِي﴾: الطَّيُّ ضَمُّ بَعْضِ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضٍ، أَوْ لَفُّ بَعْضِ الشَّيْءِ فَوْقَ بَعْضٍ.

﴿السَّجِّلِ﴾: يَطْلُقُ عَلَى الْكَاتِبِ، وَعَلَى الْكِتَابِ.

أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ الْأُولَى، وَالَّتِي يَتِمُّ بِهَا إِنَّهَا طُرُوفُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ أَنْ يَطْوِيَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - السَّمَاءَ كُلَّهَا، الشَّامِلَةَ لِلْسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا فِي دَاخِلِهَا مِنْ أَشْيَاءَ، وَمِنْهَا كُرَّةُ الْأَرْضِ، كَطَيِّ الْكَاتِبِ لِلْكِتَابِ أَوْ لِلْكِتُبِ، فَيُضَمُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، أَوْ يُلَفُّ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيُنْهَى كُلُّ نِظَامِهَا الْقَائِمِ الْآنَ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ يُؤَسِّسُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - كَوْنًا جَدِيدًا لِلْحَيَاةِ الْأُخْرَى، فَيُعِيدُ بِنَاءَ الْكَوْنِ الْجَدِيدِ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ، كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ خَلْقٍ لِلْحَيَاةِ الْأُولَى، وَلَا يَشْمَلُ هَذَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

وهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَهُ وَعْدًا، عَلَيْهِ أَنْ يُحَقِّقَهُ لَا مَحَالَةَ، إِنَّهُ - عَظَمَ سُلْطَانُهُ - لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنَّهُ بِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَهُ حَتْمًا.

﴿... إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٢): أي: إِنَّا سَوْفَ نَكُونُ فَاعِلِينَ هَذَا مُسْتَقْبَلًا، فَفَعَلُ «كَانَ» مُسْتَعْمَلٌ هُنَا بِمَعْنَى الْاِسْتِقْبَالِ، وَهَذَا أَحَدُ اسْتِعْمَالَاتِ أَرْبَعَةِ لِفْعَلِ «كَانَ»، وَهِيَ: «الْمَاضِي، وَالْحَال، وَالْاِسْتِقْبَالِ، وَالْاِسْتِمْرَارِ».

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث والعشرين من دروس سورة (الأنبياء) الأيتان (١٠٥ و ١٠٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾:

القراءات:

(١٠٥) • قرأ حمزة، وخلف: [في الزبور]، وهو جمع مُفْرَدُهُ: «الزُّبُر»، وهو المكتوب، فمعنى «الزُّبور»: الكتب.

وقراها باقي القراء العشرة: [في الزبور]، ومعناه في اللغة: الكتاب المزبور، يقال لغة: «زبر الكتاب» أي: كتبه، أو أنقن كتابته. وغلب إطلاق لفظ «الزبور» على الكتاب الذي آتاه الله داود عليه السلام.

فبين القراءتين تكامل، أي: في كتاب داود عليه السلام، وفي كتب أخرى من كتب بني إسرائيل.

(١٠٥) • قرأ حمزة وضلاً: [عبادني الصالحون] بإسكان ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بفتح ياء المتكلم.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بيان أن الأرض (وهي الأرض المقدسة في الشام حول المسجد الأقصى = فلسطين) يرثها عباد الله الصالحون، المؤمنون الذين يقيمون الصلاة، ويعملون بأحكام شريعة الله لعباده، ويعبدونه لا يشركون بعبادته شيئاً.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا خَبَرَ تَارِيخِيًّا سَيَأْتِي مَسْبُوقًا بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ التَّحْقِيقِ:

• ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥):

• ﴿وَلَقَدْ﴾: اللّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنْوِيٍّ، وَلَفْظُ «قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيقٍ، وَهَذَا التَّوَكِيدُ مُوجَّهٌ لِلشَّاكِّينَ، وَالْمُنْكَرِينَ.

• ﴿كَتَبْنَا﴾: الْكِتَابَةُ تَكُونُ لِمَعْلُومٍ سَابِقٍ لَهَا، وَهَذَا الْمَعْلُومُ إِذَا كَانَ مُتَضَمَّنًا خَبَرَ عَمَّا سَيَحْصُلُ أَوْ سَوْفَ يَحْصُلُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَصَائِصِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، وَكُلُّ مَعْلُومٍ رَبَّانِيٍّ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ عَلَى وَفْقِ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ.

• ﴿فِي الزَّبُورِ﴾: أَي: فِي الْكِتَابِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَخَذًا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نزول):

﴿... وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.

وَقِرَاءَةُ: [فِي الزَّبُورِ]: أَي: فِي كُتُبٍ أُخْرَى مِنْ كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرِ كِتَابِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ تَذُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَكْتُوبَ الْعِلْمِيَّ مَوْجُودٌ أَيْضًا فِيمَا يُنْسَبُ إِلَى غَيْرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُتُبٍ، غَيْرِ كِتَابِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

• ﴿... مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أَي: مِنْ بَعْدِ التَّوْرَةِ الَّتِي كَتَبْنَا فِيهَا هَذَا النَّبَأَ الْخَبَرِيَّ الْمُسْتَقْبَلِيَّ، فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْرَةَ فِي الْقُرْآنِ: «ذِكْرًا»، كَمَا سَمَّى الْقُرْآنَ «ذِكْرًا».

• ﴿... أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥):

مِنَ الْمُرَجَّحِ بِلَا شُبْهَةٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَرْضِ هِيَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهِيَ فِلِسْطِينُ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَ قَدْ وَعَدَ اللَّهُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنْ جَعَلَ مِيرَاثَهَا مِنْ بَعْدِ فَسَادِهِمْ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَيَذُلُّ عَلَى وَعْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَمْنَحَهُمْ إِيَّاهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْمَائِدَةِ/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول):

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْرُكُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾:

فَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي يَعْتَنِي الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ بِأَنْ يَكْتُبَهُ فِي التَّوْرَةِ، وَفِي الزَّبُورِ، وَفِي كُتُبِ أُخْرَى مِنْ كُتُبِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ عَطَاءَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ لَهُمْ لَيْسَ عَطَاءً دَائِمًا، إِنَّمَا هُوَ عَطَاءٌ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَكُونُوا صَالِحِينَ لِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، فَإِذَا فَسَدُوا سَلَبَهَا اللَّهُ مِنْهُمْ وَأَوْرَثَهَا عِبَادًا صَالِحِينَ غَيْرَهُمْ، لِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَحَقَّقَ فِي تَارِيخِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَلَقَدْ مَنَحَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَيَّامَ «طَالُوتَ»، وَاسْتَمَرَّتْ تَحْتَ سُلْطَانِهِمْ فِي عَهْدِي دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَزَمَنٍ لَيْسَ بِطَوِيلٍ بَعْدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا فَسَدُوا سَلَبَهَا اللَّهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَلَمَهَا لِلنَّصَارَى فَلَمْ يَكُونُوا صَالِحِينَ، ثُمَّ سَلَمَهَا لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الْمُسْلِمِينَ، فِي عَهْدِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَبَعْدَ قُرُونٍ فَسَدَ حَالُ سُكَّانِهَا الْمُسْلِمِينَ، فَغَلَبَهُمُ النَّصَارَى، وَبَعْدَ قَرْنٍ أَوْرَثَهَا اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَجِهَادِهِ الْمُظْفَرِ.

وَهَكَذَا يَبْقَى مِيرَاثُ هَذِهِ الْأَرْضِ لِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، مَهْمَا تَأَمَّرَ

الْعَالَمُ الْكَافِرُ عَلَى انْتِزَاعِهَا مِنْهُمْ، وَيَكُونُ تَسْلِيْطُ اللهِ غَيْرَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ فِيْهَا؛ بِسَبَبِ مَعَاصِيْهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيْمِ.

وَالْعِبَادُ الصَّالِحُونَ الْوَارِثُونَ لَهَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِ شَرِيعَةِ اللهِ لِعِبَادِهِ، وَيَعْبُدُونَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِ وَارِثِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ:

• ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِيْنَ﴾ (١٠٦): أَي: إِنَّ فِي هَذَا الْبَيَانِ بَشَانِ وَارِثِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ؛ لَبَلَاغًا يَنْتَفِعُ بِدَلَالَتِهِ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ حَرِيصُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا عَابِدِينَ لِرَبِّهِمْ، وَمُحَافِظِينَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُ بِمَا يُرْضِيهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ -، وَعِنْدِيذٍ يَكُونُونَ مُؤَهَّلِينَ لِأَنْ يُوْرِثَهُمُ اللهُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فِي بِلَادِ الشَّامِ. وَحِينَ لَا يَكُونُونَ صَالِحِينَ وَعَابِدِينَ رَبَّهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَسْلُبُهُمُ الْمِيرَاثَ، وَيُمْكِّنُ أَمَمًا أُخْرَى مِنَ التَّسْلُطِ عَلَيْهِمْ وَإِذْلَالِهِمْ وَطَرْدِهِمْ، كَمَا سَلَّطَ اللهُ «نَبُوخَذَّ نَصْر» عَلَى الْيَهُودِ فَسَاقَهُمْ عَبِيدًا إِلَى بِلَادِهِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ فِلِسْطِينَ كَقُطْعَانِ الْبَهَائِمِ مُعَذِّبِينَ.

وَيَلْمَحُ الْمَتَدَبِّرُ الْمُتَعَمِّقُ إِشْعَارًا ضَمْنِيًّا لِلْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ، بِأَنَّ عِبَادَ اللهِ الصَّالِحِينَ هُمْ الَّذِينَ سَيَكُونُونَ الْوَارِثِينَ لَهَا بَعْدَ حِينٍ.

وبهذا انْتَهَى تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع والعشرين من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٠٧ - ١١٢) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقَدْ ءَدَبْنَاكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَذْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعُ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾:

القراءات:

(١١٢) • قرأ حفص: [قَالَ رَبِّ احْكُمْ]، بالفعل الماضي وكسِرِ الباءِ المشدَّدة.

وقراها أبو جعفر: [قُلْ رَبِّ احْكُمْ]، يَفْعَلِ الأمر وضمّ الباءِ المشدَّدة.
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [قُلْ رَبِّ احْكُمْ]، يَفْعَلِ الأمر وكسِرِ الباءِ المشدَّدة.
بَيَّنَّ «قال» و«قُلْ» تكاملٌ فِكْرِي، أي: قَالَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ «قُلْ»،
فنفَّذَ الأمرَ، فَ «قَالَ»، وهذه قراءة حفص.

و«رَبِّ» و«رَبِّ» وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ.

• قرأ ابنُ ذَكْوَانَ بِخَلْفِ عَنْهُ: [يَصِفُونَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [تَصِفُونَ].

تمهيد:

في هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ الَّذِي هُوَ آخِرُ دُرُوسِ السُّورَةِ؛
خَطَابٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، يَتَضَمَّنُ تَعْلِيماً دَعَوِيّاً يُنَاسِبُ الْمَرْحَلَةَ
الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا هَذِهِ السُّورَةُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾:

أي: وَمَا اضْطَفَيْنَاكَ نَبِيًّا نُوحِي إِلَيْكَ، وَمَا اخْتَرْنَاكَ رَسُولًا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَخَاتَمًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَلِلْمُرْسَلِينَ؛ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.

كَلِمَةُ «رَحْمَةً» مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَنَّهَا حَالٌ، وَصَاحِبُ هَذِهِ الْحَالِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلُ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، وَهُوَ «نَا»، أَوْ الْمَفْعُولُ بِهِ وَهُوَ «لَكَ».

فَعَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْحَالِ «نَا» ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ؛ فَالْمَعْنَى أَنَّ إِرْسَالَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَثَرًا مِنْ أَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ.

الرَّحْمَةُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ، وَهِيَ صِفَةُ نَفْسِيَّةٍ نُشِئَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ صِفَاتِهِ الْحَسَنَى، وَمِنْ أَثَارِهَا الْعَطَاءُ، وَالْمَعُونَةُ، وَالتَّوْفِيقُ، وَإِزَالَةُ الْبُؤْسِ، وَالْإِمْدَادُ بِمَا يَسْرُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَحَابِّ الْعِبَادِ.

وَعَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْحَالِ «لَكَ» ضَمِيرُ الْخِطَابِ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ فَالْمَعْنَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ، أَي: رَاحِمٌ لَهُمْ رَحْمَةً مِنْ أَسْمَى دَرَجَاتِهَا الْبَشَرِيَّةِ، بِسَبَبِ حِرْصِهِ الشَّدِيدِ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ الْعَالَمِينَ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ اللَّهِ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ، وَعَلَى أَنْ يَظْفَرُوا بِالنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ الْخَالِدِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَهُوَ أَيْضًا بِمَثَابَةِ رَحْمَةِ لَهُمْ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ لَهُمْ وَيُبَلِّغُهُمْ أَعْظَمَ دِينٍ، ذِي هِدَايَةٍ مُثَلَّى تُنْجِيهِمْ إِذَا اتَّبَعُوهَا وَعَمِلُوا بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا

وَعَذَابِ الآخِرَةِ، وَتُظْفَرُهُمْ بِالسَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ الْخَالِدَةِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿...﴾ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾: أَطْلِقَ لَفْظَ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَقَطْ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْإِنْسِ فَقَطْ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهَذَا الْإِطْلَاقُ الْأَخِيرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ هُنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ بَعْدِ بَعْتِهِ، وَلَا يُوجَدُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رِسَالَتَهُ ﷺ تَزِيدُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ.

والقصر في الآية بالنفي والاستثناء قَصْرٌ إِضَافِيٌّ عَلَى مَا يَظْهَرُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُكَلِّفُ رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يُوجِّهَ بَيَانًا دَعْوِيًّا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ:

• ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾:

أَي: قُلْ لِمَنْ تُبَلِّغُهُمْ دِينَ اللَّهِ لَهُمْ بِشَأْنِ الْإِلَهِيَّةِ: مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي الَّذِي بَعَثَنِي رَسُولًا لِلْعَالَمِينَ، حَوْلَ مَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْإِلَهِ الْوَاحِدِ؛ مَا إِلَهُكُمُ الْحَقُّ الَّذِي هُوَ رَبُّ لَكُمْ، وَلَا رَبُّ لَكُمْ غَيْرُهُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ؛ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

• ﴿...﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾: أَي: فَهَلْ تُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَهَلْ تُسَلِّمُونَ لِلَّهِ رَبِّكُمْ، فَتَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا.

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ دَعْوَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ الْمَطْوِيِّ ضِمْنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، بِأَرْقِ اسْلُوبٍ وَأَلْطَفِهِ، وَهُوَ اسْلُوبُ الْعَرْضِ بِالِاسْتِفْهَامِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَابِعُ التَّعْلِيمَ الدَّعْوِيَّ لِلرُّسُولِ ﷺ:

• ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾:

• ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: فَإِنْ أَدَارُوا لِدَعْوَتِكَ ظُهُورَهُمْ وَابْتَغَوْا، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا وَأَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَشُرَكِيَائِهِمْ.

• ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾: آذَنْتُكُمْ: أي: أَعْلَمْتُكُمْ.

عَلَى سَوَاءٍ: أي: عَلَى أَمْرٍ هُوَ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أي: مُسْتَوٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، لَا نُعْطِيكُمْ فِيهِ إِلَّا مَا تُعْطُونَنَا أَنْتُمْ فِيهِ.

وَلَدَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ، مِنْ مَرَاجِلِ الدَّعْوَةِ الْمَكِّيَّةِ الَّتِي قَارَبَتْ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ؛ نَذْرُكَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَحْسُنُ أَنْ يُعْلَنَ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ مِنْ الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ، هُوَ الْإِعْلَامُ بِالْمُقَاطَعَةِ وَالْمُفَاصَلَةِ وَالشَّقَاقِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَدْ اسْتَنْفَذَتْ دَعْوَةُ الْحَقِّ مُعْظَمَ وَسَائِلِهَا، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمُلَائِنَةِ جَدْوًى، وَصَارَ إِعْلَانُ الْمَفَارَقَةِ وَالْمُفَاصَلَةِ وَالْمُقَاطَعَةِ، هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُلْجَأَ إِلَيْهِ.

فَالْمَعْنَى: فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ فِي مَكَّةَ: لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ بَعْدَ الْعِلَاجِ الطَّوِيلِ إِلَّا الْإِدْبَارُ وَالْإِبْتِعَادُ وَالْمُشَافَةُ، لِهَذَا أَعْلَمْتُكُمْ بِشِدَّةِ أُنَّا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَمْرٍ سَوَاءٍ مِنَ الْمُقَاطَعَةِ وَالْمُفَاصَلَةِ وَالشَّقَاقِ، فَلَا تَلَاقِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَنَا عَلَى مَائِدَةِ دَعْوِيَّةٍ، لَقَدْ اتَّخَذْتُمُونَا أَعْدَاءً، فَنَحْنُ نَعْمِلُكُمْ بِالْمِثْلِ فَتَتَّخِذْكُمْ أَعْدَاءً.

• ﴿وَإِنْ أَذْرَيْتَ أَقْرَبَ أَمْرٍ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾:

إِنَّ إِعْلَانِ الْمَفَاصَلَةِ وَالْمُقَاطَعَةِ وَالشَّقَاقِ، بَيْنَ فِتْنَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيْنَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ تَنْزِيلِ هَذِهِ السُّورَةِ؛ يُحَرِّكُ نُفُوسَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: إِذَا كُنْتَ قَدْ يَسُسْتَ مِنْ اسْتِجَابَتِنَا لِدَعْوَتِكَ، وَأَعْلَنْتَ مُفَاصَلَتَنَا وَمُقَاطَعَتَنَا وَالْإِعْرَاضَ عَنْ دَعْوَتِنَا؛ فَمَتَى يَتَحَقَّقُ مَا كُنْتَ تُنْذِرُنَا بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ الْمَعْجَلِ فِي الدُّنْيَا، بَعْدَ أَنْ

أَنْهَيْتَ مُتَابِعَتَنَا بِدَعْوَتِكَ، وَالْإِلْحَاحَ عَلَيْنَا بِتَذْكِيرِكَ وَتَحْذِيرِكَ وَإِنْذَارِكَ وَفُنُونِ
إِقْنَاعَاتِكَ وَتَرْغِيَّاتِكَ وَتَرْهِيَّاتِكَ؟؟.

فَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ:

﴿وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾:

«إِنْ» حَرْفُ نَفْيٍ، أَي: وَمَا أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُنْذِرُونَهُ مِنْ وَعِيدِ
بِعِقَابِ اللَّهِ لَكُمْ.

وَالْمَعْنَى: لَسْتُ أَنَا الْمُنْذِرُ لَكُمْ بِالْعِقَابِ، وَإِنَّمَا الْمُنْذِرُ لَكُمْ خَالِقُكُمْ
وَرَازِقُكُمْ، رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْوَعِيدَ بِعِقَابِكُمْ الْمُعْجَلِ
فِي الدُّنْيَا، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ وَقْتِ تَنْفِيذِ هَذَا الْعِقَابِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ
يُعَلِّمْنِي بِهِ.

• ﴿تُوعَدُونَ﴾: الْوَعْدُ: هُوَ الْإِخْبَارُ بِمَا تَمَّ الْعَزْمُ عَلَى فِعْلِهِ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ، يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَفِي الشَّرِّ، يَقَالُ لُغَةً: «وَعْدَهُ يَنْفَعُ وَوَعْدَهُ
يُضُرُّ».

أَمَّا الْوَعِيدَ وَالْإِنْعَادُ فَهُمَا فِي الشَّرِّ خَاصَّةً.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - مَا تُوعَدُونَ؛
عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ مَا تُعْلِنُونَهُ وَمَا تَكْتُمُونَهُ، فَقَالَ تَعَالَى فِي التَّعْلِيمِ:

• ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾:

الْجَهْرُ بِالْقَوْلِ: رَفَعَ الصَّوْتِ بِهِ، فَيَسْمَعُهُ الْقَرِيبُ مِنْهُ، وَضِدُّهُ كَتْمُ
الْقَوْلِ.

الْمَعْنَى: وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ يَعْلَمُ الْقَوْلَ الَّذِي تَجْهَرُونَ
بِهِ، فَتَرْفَعُونَ بِهِ أَصْوَاتَكُمْ، وَيَعْلَمُ الْقَوْلَ الَّذِي يَجْهَرُ بِهِ كُلُّ قَائِلٍ، وَيَعْلَمُ الْقَوْلَ
الَّذِي تَكْتُمُونَهُ فِي نَفْسِكُمْ وَلَا تَظْهَرُونَهُ، وَكُلَّ قَوْلٍ يَكْتُمُهُ كَاتِمٌ فِي نَفْسِهِ.

أَي: يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَغَيْرَ الْمَجْهُورِ بِهِ، وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَكُلَّ مَا يَكْتُمُهُ غَيْرُكُمْ، وَمَا يَكْتُمُونَهُ هُوَ: تَسَاوُلُهُمْ عَنْ عَدَمِ تَنْفِيذِ اللَّهِ مَا أُنْذَرَهُمْ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ التَّعْلِيمَ الدَّعْوَى لِلرَّسُولِ ﷺ:

• ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾:

أَي: وَمَا أَدْرَى لَعَلَّ إِمْهَالَ اللَّهِ لَكُمْ، وَتَأْخِيرَ تَنْفِيذِ عِقَابِهِ؛ هُوَ تَطْوِيلٌ لِمُدَّةِ امْتِحَانِكُمْ، وَمَنْعٌ لَكُمْ إِلَى حِينٍ، بِمَا قَسَمَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُحِبُّونَهَا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فِتْنَةً لَكُمْ: أَي: امْتِحَانٌ لَكُمْ وَاخْتِبَارٌ.

وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ: أَي: وَانْتِفَاعٌ بِلَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى حِينٍ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ فِيهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَعْلِيمَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾:

هَذِهِ قِرَاءَةُ حَفْصٍ، وَقَرَأَهَا جُمْهُورُ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [قُلْ]، أَي: قَالَ اللَّهُ لَهُ: [قُلْ]، فَتَفَذَّ الْأَمْرَ الرَّبَّانِي، بِدَلَالَةِ قِرَاءَةِ حَفْصٍ: [قَالَ].

• ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾: أَحْكُم بِالْحَقِّ: أَي: أَقْضِ بِالْحَقِّ، فَالْحُكْمُ بِالشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ؛ هُوَ الْقَضَاءُ بِهِ عَلَيْهِ.

وَالْمَعْنَى: رَبِّ أَحْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ مِنْ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ. وَيَلْزَمُ مِنَ الْحُكْمِ بِالْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ تَنْفِيذُ هَذَا الْحُكْمِ ضِمْنَ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِيُغْتَبَرَ بِهِ أَوَّلُ الْعُقُولِ، وَلِتَرْتَفَعَ بِهِ رَأْيَةُ الْإِسْلَامِ، وَيَعْلَمُوا بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى بَاطِلِ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ عَلَى وَفْقِ حِكْمَةِ اللَّهِ، بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ.

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
أُيُمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ، بِمَعْرَكَةِ بَذْرِ الْكُبْرَى، وَلَعَلَّهَا لَمْ تَمْضِ ثَلَاثُ
سِنِينَ أَوْ أَقَلُّ عَلَى دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ أَحْكِرْ بِالْحَقِّ﴾.

وَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ بِشَأْنِ عَقَائِدِهِمُ الشَّرَكِيَّةِ
وَالْكُفْرِيَّةِ خِتَامًا لِلْحَدِيثِ مَعَهُمْ:

• ﴿... وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾:

أي: وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي بَلَغَتْ رَحْمَتُهُ غَايَةَ مَا يُتَصَوَّرُ مِنْ رَحْمَةٍ؛
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَخَوِّ إِبْطَالِ مَا تَصِفُونَهُ مِنْ بَاطِلٍ، بِادِّعَاءِ أَنْ لَهُ شُرَكَاءَ فِي
رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَبَادِّعَاءَاتٍ أُخْرَى بِاطِّلَاتٍ، إِذْ تُحِلُّونَ بَعْضَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ، وَتُحَرِّمُونَ بَعْضَ مَا أَحَلَّ، وَتُشَارِكُونَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ.

يُقَالُ لَعَةً: «اسْتَعَانَ فُلَانٌ فُلَانًا، وَاسْتَعَانَ بِهِ»: أي: طَلَبَ عَوْنَهُ.

• ﴿... عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾: أي: عَلَى مَا تَصِفُونَ اللَّهَ رَبَّكُمْ بِهِ
مِنْ صِفَاتٍ بَاطِلَاتٍ، لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا مِنْ تَنْزِيلِ رَبَّانِي.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنبياء)
وهو الدرس الأخير مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٩)

ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الأنبياء)

تُوجَدُ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول) اخْتِيَارَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَدْ
فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِاسْتِخْرَاجِ مَا يَلِي مِنْهَا:

أولاً: مِنَ الْإِيجَازِ بِالْحَذْفِ الْأَمْثَلَةِ التَّالِيَةِ:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّاهُمَا وَجَعَلْنَاهُمَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

(الواو) فِي ﴿أَوَلَمْ﴾ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحذُوفٍ مَطْوِيٍّ يُمَكِّنُ اسْتِخْرَاجَهُ ذَهْنًا. وَالتَّقْدِيرُ: أَمَّا زَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْكَوْنِيَّاتِ؛ بَعِيدِينَ عَنْ إِدْرَاكِ أَدِلَّةٍ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً مُجْتَمِعَةً، فَفَتَقْنَاهُمَا وَقَسَّمْنَاهُمَا إِلَى سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَمَجَرَّاتٍ كَثِيرَاتٍ فِيهَا بَلَائِينَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَمِنْهَا الْأَرْضُ، وَلَمْ يَرَوْهَا رُؤْيَةً فِكْرِيَّةً عِلْمِيَّةً تَهْدِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ... ﴿٦٦﴾﴾:

أَي: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا رَوَاسِيَ مَنَعَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾:

أَي: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أَخْبِرُونَا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

المثال الرابع: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ

مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾:

أَي: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ﴾

أَحْدَاثٍ يُرِيدُ ﴿الْخَبْرُ﴾ أَنْ يَتَّبِلَكُمْ بِهَا، لَكِنَّهُمْ لَا يُيَالُونَ بِأَنْ يُجِيبُوا عَلَى هَذَا السُّؤَالِ ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ دَوَامًا، لَا يَشْعَلُونَ أَفْكَارَهُمْ بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ وَأَيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ.

المثال الخامس: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾:

الفاء في ﴿أَفَلَا﴾ تَعِطْفٌ عَلَى مَحذُوفٍ مَطْوِيٍّ مِنَ السَّهْلِ إِذْرَاكُهُ وَتَقْدِيرُهُ، أَي: أَمَا زَالَ الْمُؤْهَلُونَ لِإِذْرَاكِ حِكْمَتِنَا السَّامِيَةِ فِي الْأَجَالِ غَارِقِينَ فِي غَفْلَاتِهِمْ، فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ الْيَاسَةَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا الْمُلَاصِقَةِ لِلْبَحَارِ، فَتَضْرِبُهَا بِأَمْوَاجِ الْبَحَارِ وَحَرَكَةِ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ فِي أَزْمَانٍ طَوِيلَةٍ، فَتَنْقُصُ الْأَرْضَ الْيَاسَةَ مِنْ أَطْرَافِهَا، فَيَتَسَّعُ سَطْحُ الْبَحْرِ.

المثال السادس: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةَ لِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿كَأَلِ اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾:

أَي: أَبْلَغْتَ سَفَاهَتَكُمْ وَغَبَاوَتَكُمْ وَحِمَاقَتَكُمْ غَايَاتِهَا، فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ.

المثال السابع: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةَ لِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لقومه:

﴿أَفِ لَكَ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾:

الفاء في: ﴿أَفَلَا﴾ تَعِطْفٌ عَلَى مَحذُوفٍ مَطْوِيٍّ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْظَمَسَتْ بَصَائِرُكُمْ عَنْ إِذْرَاكِ الْحَقِّ الْجَلِيِّ، وَذَهَبَتْ مِنْ رُؤُوسِكُمْ عُقُولُكُمْ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ عَقْلًا عِلْمِيًّا، وَلَا عَقْلًا إِرَادِيًّا.

المثال الثامن: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي جَهَنَّمَ:

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠):

أي: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ زَفِيرٌ إِلَّا وَيَتَّبَعُهُ شَهيقٌ.

ثانياً: مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ:

قول الله تَعَالَى:

﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَيْبٍ أَهْلَكْتَهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١):

وقول الله تَعَالَى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرَيْبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١٢):

جاءَ في هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ إِطْلَاقُ لَفْظِ «القرية»، والمرادُ أَهْلُهَا، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِ فِيهِ، فَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ.

ثالثاً: مِنَ الْاسْتِعَارَةِ:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ (١٣):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتَعِيرَ فِعْلُ «نَقْذِفُ»: لِتَوْجِيهِ بَيَانِ الْحَقِّ، فِي حِوَارِ جِدَالِي، وَفِعْلُ «يَدْمَغُهُ» أَي: يَكْسِرُ رَأْسَهُ وَيُخْرِجُ دِمَاعَهُ: لِإِبْطَالِ الْبَاطِلِ بِزُهَانِ الْحَقِّ.

وَالْاسْتِعَارَتَانِ قَائِمَتَانِ عَلَى تَشْبِيهِ حُجَّةِ الْحَقِّ بِقَذِيفَةٍ قَاتِلَةٍ، وَتَشْبِيهِ الْبَاطِلِ بِرَأْسِ حَيَوَانٍ خَبِيثٍ إِذَا أَصَابَتْهُ قَذِيفَةٌ قَاتِلَةٌ كَسَرَتْهُ وَأَخْرَجَتْ دِمَاعَهُ، وَجَعَلَتْ الْحَيَوَانَ صَرِيعاً.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مُحَاوِرِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِلْيَةِ قَوْمِهِ:

﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥):

لَقَدْ جَعَلَهُمْ بَيَانُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدْرِكُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ، بَعْدَ أَنْ هَزَّ عُقُولَهُمْ هَزًّا عَنِيفًا.

لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى سَوَائِهِمْ، بَلِ رَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ شِرْكَ عِنَادِي، فَشَبَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَالَهُمْ بِالَّذِينَ انْقَلَبُوا فَصَارَتْ رُءُوسُهُمْ فِي مَوَاضِعِ أَقْدَامِهِمْ، وَصَارَتْ أَقْدَامُهُمْ فِي مَوَاضِعِ رُءُوسِهِمْ.

وَجَاءَتْ اسْتِعَارَةُ عِبَارَةِ: ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى رُجُوعِهِمْ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ، وَإِضْرَارٍ عَلَيْهِ بِعِنَادٍ، وَعَلَى انْقِلَابِ مَقَاهِمِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ.

رابعاً: مِنَ الْقَصْرِ:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، إِذَا اسْتَمَعُوا مَا يَنْزِلُ مِنْ آيَاتِ قُرْآنِيَّةٍ:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرُ اسْتِمَاعِ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ لِمَا يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ عَلَى اسْتِمَاعِهِمْ لَهُ فِي حَالِهِ كَوْنِهِمْ يَلْعَبُونَ.

وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ فَلِلْمُشْرِكِينَ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧):

في هذه الآية بيان قصر إرسال الرُّسل السابقين لخاتم المرسلين عليهم السلام على كونهم رجالاً.

وهو قصر حقيقي بالنفي والاستثناء.

المثال الثالث: قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بِضَمِيرِ المتكلم العظيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١٥):

في هذه الآية بيان قصر إرسال الرُّسل السابقين لخاتم المرسلين عليهم السلام على كون الموحى إليهم: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وهو قصر إضافي، أي: بالإضافة إلى ادعاءات المشركين. وهو قصر بالنفي والاستثناء.

المثال الرابع: قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿وَلِذَا رَأَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ...﴾ (٣٦):

أي: ما يتخذونك إلا مهزوءاً به، وهو قصر إضافي بالنفي والاستثناء.

المثال الخامس: قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بضمير المتكلم العظيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢١٧):

في هذه الآية بيان قصر إرسال مُحَمَّدٍ ﷺ على كونه رحمة للعالمين.

ويظهرُ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ الْقَضْرِ الْإِضَافِيِّ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَفْهُومُ الرَّحْمَةِ يَشْمَلُ كُلَّ وَظَائِفِ الرَّسُولِ وَمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ فِي رِسَالَتِهِ.

المثال السادس: قول الله تعالى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٨)

أي: مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، هَذَانِ قَضَرَانِ، أَوَّلُهُمَا قَضَرٌ إِضَافِيٌّ، وَالْقَضَرُ الثَّانِي قَضَرٌ حَقِيقِيٌّ.

خامساً: مِنْ خُرُوجِ الْاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلٍ دَلَالَتِهِ:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً لِقَوْلِ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ طَعْنًا فِي رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ:

﴿... هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٢)

فِي هَذَا الْقَوْلِ اسْتِفْهَامَانِ:

الاستفهام الأول: ﴿هَذَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، هَذَا الْاسْتِفْهَامُ يُرَادُ بِهِ التَّنْفِي، أَي: فَلَا يَصِحُّ عَقْلاً أَنْ يَكُونَ رَسُولاً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الاستفهام الثاني: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، هَذَا الْاسْتِفْهَامُ تَحْذِيرِيٌّ وَتَلْوِيمِيٌّ مِنْ قِبَلِ أُمَّةِ الْكُفْرِ لَجَماهيرهم.

المثال الثاني: قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) ؟:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟: اسْتِفْهَامٌ، يُرَادُ بِهِ التَّلْوِيمُ وَالتَّشْرِيبُ وَالْحَثُّ عَلَى أَنْ يَعْقِلُوا.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ﴾ (١١) ؟:

الاستفهام في «أم» استفهام إنكاري توبيخي.

ونظيره قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ (٢٤) ؟:

المثال الرابع: قول الله عزَّ وجلَّ يحكي قول المشركين استهزاءً

بالرَّسول ﷺ:

﴿... أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ...﴾ ؟:

الاستفهام في هذه العبارة استفهام استهزاء وسخرية.

المثال الخامس: قول الله عزَّ وجلَّ بشأن الذين كفروا:

﴿... أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) ؟:

استفهام يراد به النفي، أي: لن يكونوا هم الغالِبين.

المثال السادس: قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠) ؟:

الاستفهام في هذه الآية استفهام إنكاري تلويحي.

المثال السابع: قول الله عزَّ وجلَّ حكاية لقول إبراهيم عليه السلام

لقومه في حوارٍ دعويٍّ:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) أَمْ

لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) ؟:

الاستفهامان في هاتين الآيتين استفهام إنكاري تلويحي.

المثال الثامن: قول الله عزَّ وجلَّ في بيان بعض صفات داود عليه

السلام:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِيَنَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾؟ :
استفهام يراد به الترغيب في الشكر والحث عليه.

المثال التاسع: قول الله عز وجل خطاباً تعليمياً لرسوله ﷺ:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾﴾؟ :

عبارة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟ عرض بلطف ورفق بأسلوب الاستفهام.

وأكتفي بهذه المستخرجات، مع وجود كثير غيرها في السورة.
وبهذا انتهى هذا الملحق والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه،
ومنته، وفتحِهِ.



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

٢٣ مصحف ٧٤ نزول

وهي سورة مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا

(١)

نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ
 ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
 رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
 فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ

- ٨ - • قرأ ابن كثير: [لَأَمَانَتِهِمْ] بالافراد.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [لَأَمَانَاتِهِمْ] بالجمع.
 والمؤدى واحد.
 ٩ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [صَلَاتِهِمْ] بالافراد.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [صَلَوَاتِهِمْ] بالجمع.
 ١٤ - • قرأ ابن عامر، وشعبة: [عِظْمًا] بالافراد، و[العظم] بالافراد.
 وقرأهما باقي القراء العشرة: [عِظَامًا] بالجمع، و[العظام] بالجمع.

أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ
 بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾
 وَانزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَأْنَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى
 ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ
 وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُّهٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٌ
 تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّالِكِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ
 لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسَفِّكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
 كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
 مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن
 قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

٢٠ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [سَيْنَاءَ] بكسر السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [سَيْنَاءَ] بفتح السين.

٢٠ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وزُوريس: [تَنَبَّتُ] من فعل «أَنَبْتُ» وقرأها باقي

القراء العشرة: [تَنَبَّتُ] من فعل «نَبَت».

٢١ - قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب: [تُسَفِّكُم].

وقرأها أبو جعفر: [تُسَفِّكُم]، وقرأها باقي القراء العشرة: [تُسَفِّكُم].

وفي هذه القراءات تَفْتَنُ.

والمؤدَّى واحد.

٢٣ - قرأ الكسائي، وأبو جعفر: [مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ].

شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ
 (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَوُّوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ
 الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٧)
 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَسَنَا
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ
 أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ

- ٢٦ - • قرأ يعقوب: [كذَّبُونِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [كذَّبُونَ] بحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً.
 ٢٧ - • قرأ حفص: [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] بثنوين لام «كل»، وقرأها باقي القراء
 العشرة: [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ].
 ٢٩ - • قرأ شعبة: [مُنْزَلًا].
 وقرأها باقي القراء العشرة: [مُنْزَلًا].
 ٣٢ - • قرأ يعقوب: [فِيهِمْ] بضم الهاء.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ] بكسر الهاء.
 ٣٢ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمة، ويعقوب: [أَنِ اعْبُدُوا] بكسر النون.
 وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ اعْبُدُوا] بضم النون.
 ٣٢ - • قرأ الكسائي، وأبو جعفر: [مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ].
 وقرأها باقي القراء العشرة: [مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ].

مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
 مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ
 ﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ
 ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
 انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾
 فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعِيرِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا
 تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا تَرَا كُلَّ

٣٥ - • قرأ نافع، وحفص، وحزمة، والكسائي، وخلف: [مِثْم].

وقراها باقي القراء العشرة: [مِثْم].

وهما وجهان عريان.

٣٦ - • قرأ أبو جعفر: [هِيَاتَ هِيَاتَ] بكسر التاء فيهما.

وقراها باقي القراء العشرة: [هِيَاتَ هِيَاتَ] بفتح التاء فيهما.

٣٩ - • قرأ يعقوب: [كَذَّبُونِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [كَذَّبُونَ] بحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً.

٤٤ - • قرأ أبو عمرو: [رُسَلْنَا] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسَلْنَا] بضم السين.

٤٤ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [تَتَرَا] بالتثنية وصلًا، وبإبدال الهمزة وفتحة.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَتَرَا] وضلاً ووقفًا.

مَا جَاءَ أُمَّةَ رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا
عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً
وَوَاسَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَّهُمْ فِي
عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ اِيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

٥٠ - • قرأ ابن عامر، وعاصم: [رَبْوَةٍ] بفتح الراء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [رَبْوَةٍ] بِضَمِّ الراء.

٥٢ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: [وَأَنَّ هَٰذِهِ] بفتح همزة «أَنَّ». وقراها

ابن عامر: [وَأَنَّ هَٰذِهِ] بفتح الهمزة وإسكان النون.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [وَأَنَّ هَٰذِهِ].

٥٢ - • قرأ يعقوب: [فَاتَّقُونِي] بإثبات ياء المتكلم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [فَاتَّقُونِ] بحذف ياء المتكلم مع ملاحظة هُنَا.

٥٣ - • قرأ يعقوب، وحزمة: [لَدَيْهِمْ] بِضَمِّ الهاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [لَدَيْهِمْ] بِكسْرِ الهاء.

وهما لغتان.

٥٥ - • قرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر: [اِيْحَسِبُونَ] بِفَتْحِ السِّين.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [اِيْحَسِبُونَ] بِكسْرِ السِّين.

وهما لغتان.

وَبَيْنَ ۝ (٥٥) سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَتَائِبٌ رَّبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝ (٦١) وَلَا تَكُلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ۝ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ ۝ (٦٤) لَا يَخِرُّوهُمُ الْيَوْمَ إِنكُرُ مَتَا لَا تُنصِرُونَ ۝ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ۝ (٦٧) أَفَلَمْ يَذَرُّوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ۝ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ ۝ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝ (٧٠) وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۝ (٧١) بَلْ أَلَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۝ (٧٢)

٦٤ - • قرأ يعقوب: [مُتْرَفِيهِمْ]، بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [مُتْرَفِيهِمْ]، بكسر الهاء

٦٧ - • قرأ نافع: [تَهْجُرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَهْجُرُونَ].

٧١ - • قرأ يعقوب: [فِيهِمْ] بضم الهاء، ووقف عَلَيْهَا بِهَاءِ السَّكْتِ بِخُلْفٍ عَنْهُ.

وقراها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ] بِكسر الهاء.

وَهُمَا لَعْنَان.

أَمَرْتَهُمْ خُرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ حَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّوكَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا
بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِّلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ
الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ
قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا
مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ

٧٢ - • قرأ ابنُ عامر: [خُرْجًا فَخَرَجَ].

وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [خُرْجًا فَخَرَجَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [خُرْجًا فَخَرَجَ].

٧٢ - • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وَهُوَ] بإسكان الهاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [وَهُوَ] بضم الهاء.

وهما لفتان.

٧٣ و ٧٤ • قرأ قنبل بخلف عنه، ورؤيس: [إِلَى صِرَاطٍ] وَ [عَنِ السِّرَاطِ]. وقرأ

الأولى خلف عن حمزة: بِإِسْمَامِ الصَّادِ صَوْتُ الرَّاي. وقرأ الثانية بِإِسْمَامِ

الصاد صوت الزاي: حمزة بخلف عن خلاد.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [إِلَى صِرَاطٍ] وَ [عَنِ الصِّرَاطِ]. وهو الثاني لقنبل، واخلاد.

٧٧ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

٨٢ - • قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [مِثْنًا].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مِثْنًا].

وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيَئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

٨٥ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [تَذَكَّرُونَ]، أضلَّها [تَذَكَّرُونَ].

٨٧ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ].

٨٩ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ].

٩٢ - • قرأ نافع، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: [عَالِمُ الْغَيْبِ]

برفع «عالم».

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [عَالِمُ الْغَيْبِ] بِجَرِّ «عالم».

وهما وجهانِ نَحْوَيَانِ جائزان.

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
 رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
 ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
 هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
 الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ
 ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
 فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ
 وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَانِي تُنَلِّ
 عَلَيَّكُمْ فَاكْتُمْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا
 وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
 ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا

٩٨ - • قرأ يعقوب: [يَحْضُرُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلأ ووقفأ.
 وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَة: [يَحْضُرُونَ] بحذف ياء المتكلم مع مُلَا حَظَّتْهَا
 ذَهْنًا.

٩٩ - • قرأ يعقوب: [ارْجِعُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلأ ووقفأ.
 وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَة: [ارْجِعُونَ] بحذف ياء المتكلم مع مُلَا حَظَّتْهَا
 ذَهْنًا.
 ١٠٠ - • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ غَمر، وأبو جعفر: [لَعَلِّي أَعْمَلُ]
 بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَة بِإِسْكَانِ ياء المتكلم.

١٠٦ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [شِقْوَتُنَا].

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَة: [شِقْوَتُنَا]، وهما لعتان.

١٠٨ - • قرأ يعقوب: [وَلَا تُكَلِّمُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلأ ووقفأ.

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَة: [وَلَا تُكَلِّمُونَ] بحذف ياء المتكلم مع مُلَا حَظَّتْهَا
 ذَهْنًا.

فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾
 قَالُوا لَيْسَ لَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
 لَّيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ
 الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اعْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

١١٠ - • قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: [سُخِرِيًّا] بضم السين.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [سَخِرِيًّا] بكسر السين.

١١١ - • قرأ حمزة، والكسائي: [إِنَّهُمْ هُمْ] بكسر همزة «إِنْ».

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [أَنْهُمْ هُمْ] بفتح همزة «أَنْ»، وبيْنَهُمَا تكامل.

١١٢ - • قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: [قُلْ كَمْ لَيْسَتْ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [قَالَ كَمْ لَيْسَتْ].

١١٣ - • قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف، ووفقاً حمزة: [فَسَلِ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [فَاسْأَلِ]، وهما وَجْهَان عَرَبِيَان.

١١٤ - • قرأ حمزة، والكسائي: [قُلْ إِنْ لَيْسَتْ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [قَالَ إِنْ لَيْسَتْ].

١١٥ - • قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [لَا تُرْجَعُونَ] بفتح التاء وكسر

الجيم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [لَا تُرْجَعُونَ] بضم التاء وفتح الجيم.

(٢)

مما وَرَدَ في السُّنَّةِ بِشأنِ سورة (المؤمنون)

روى البيهقي وغيره من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال:
«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ».

(٣)

مَوْضُوعُ سُورَةِ (المؤمنون)

ظَهَرَ لِي أَنَّ بُورَةَ مَوْضُوعِ هَذِهِ السُّورَةِ بَيَانُ الْغَرَضِ مِنْ خَلْقِ
الإنسان، مَعَ وَضْفِ بَعْضِ مَرَاجِلِ خَلْقِهِ، وَمَسِيرَتِهِ فِي رِحْلَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ
بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، إِلَى سَعَادَتِهِ، أَوْ شَقَاوَتِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِهِ
ابْتِلَاؤُهُ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ مَجَازَاتُهُ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ الْخُلُودِ
الْأَبَدِيِّ.

وَدَارَ حَوْلَ هَذِهِ الْبُورَةِ بَيِّنَاتٌ تَتَعَلَّقُ بِهَا:

(١) فِجَاءُ فِيهَا بَيَانُ فَلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ ذِكْرِ أَوَّلَى صِفَاتِهِمْ السُّلُوكِيَّةِ
الْعَمَلِيَّةِ بِالْبَيَانِ.

(٢) وَجَاءَ فِيهَا بَيَانُ بَعْضِ مَرَاجِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ حَتَّى جَعَلِهِ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، مَعَ الْإِلْمَاحِ إِلَى مَسِيرَتِهِ فِي مُدَّةِ ابْتِلَاؤِهِ، وَبَيَانُ إِمَاتَتِهِ،
وَبَعْثِهِ، لِيَلْقَى جَزَاءَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ.

(٣) وَجَاءَ فِيهَا عَرَضُ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَعَرَضُ لَقَطَاتٍ
مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَصِ بَعْضِ الرُّسُلِ، تَمْهِيداً لِبَيَانِ أَنَّ أَقْوَامَ الرُّسُلِ أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ
وَاحِدَةٌ.

(٤) وَجَاءَ فِيهَا بَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ،
وَذِكْرُ بَيَاجِازِ لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ، مَعَ بَيَانِ عِقَابِ اللَّهِ لِمُتَرَفِفِهِمْ
عِقَاباً مُعَجَّلاً، وَكَيْفَ يُوَاجِهُونَ هَذَا الْعِقَابَ الْمَعَجَّلَ.

(٥) وَجَاءَ فِيهَا بَيَانَاتٌ أُخْرَى، كُلُّهَا ذَاتُ صَلَةٍ بِبُورَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

(٤)

دروس سُورَةِ (المُؤْمِنُونَ)

بَدَأَ لِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ يُمَكِّنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى (١٥) دَرَسًا كَمَا يَلِي:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ١١).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ فَلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ ذِكْرِ أُولَى صِفَاتِهِمُ السُّلُوكِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الْكُبْرَى بِالْبَيَانِ، وَهِيَ صِفَاتٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ.

الدرس الثاني: الآيات من (١٢ - ١٦).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنِ بَعْضِ مَرَاجِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، حَتَّى جَعَلَهُ سَوِيًّا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

ثُمَّ بَعْدَ مُرُورِهِ مَرَحَلَةَ ابْتِلَائِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ يُمِيتُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ الْبَرْزَخِ يَبْعَثُهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - لِيَلْقَى حِسَابَهُ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، وَجَزَاءَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ.

الدرس الثالث: الآيات من (١٧ - ٢٢).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرْضُ بَعْضِ آيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَبَعْضِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ رِزْقٍ وَغَيْرِهِ.

الدرس الرابع: الآيات من (٢٣ - ٣٠).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرْضُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الدرس الخامس: الآيات من (٣١ - ٤١).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرْضُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ عَادٍ، دُونَ تَضْرِيحٍ بِذِكْرِ اسْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْمِ قَوْمِهِ.

الدرس السادس: الآيات من (٤٢ - ٤٤).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مُجْمَلٌ عَنْ رُسُلٍ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِدَّةِ أَقْوَامٍ.

وَعَنْ رُسُلٍ تَتَابَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - أَهْلَكَ أَقْوَامَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ بِحُكْمَتِهِ وَعَذَلِهِ.

الدرس السابع: الآيات من (٤٥ - ٤٩).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ إِيجَازٌ فِي لَقَطَاتٍ لِقِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِرْسَالِهِمَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ، مَعَ بَيَانٍ إِيْتَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابَ التَّوْرَةِ رَغْبَةً فِي هِدَايَةِ الَّذِينَ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِ.

الدرس الثامن: الآية (٥٠).

وفيها لَقِطَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمِّهِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَإِيْوَاتِهِمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

الدرس التاسع: الآيات من (٥١ - ٥٦).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَاطَبَ الْمُرْسَلِينَ جَمِيعاً بِأَنَّ أَقْوَامَهُمْ أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَكِنَّ أَقْوَامَهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِذَا التَّكْلِيفِ الرَّبَّانِيِّ، بَلْ تَفَرَّقُوا إِلَى أَحْزَابٍ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، مَعَ تَوْصِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَسْلُوبٍ يُعَامِلُهُمْ بِهِ.

الدرس العاشر: الآيات من (٥٧ - ٦٧).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ لِصِفَاتِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وفيها ذُكِرَ بإيجازٍ للظَّالِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ، مَعَ بَيَانِ عِقَابِ اللَّهِ لِمُتَرَفِّهِمْ، وَكَيْفَ يُوَاجِهُونَ هَذَا الْعِقَابَ.

الدَّرْسُ الحادي عشر: الآيات من (٦٨ - ٧٧).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنِ حَالِ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، وَحَالِ الرَّسُولِ ﷺ مَعَهُمْ.

الدَّرْسُ الثاني عشر: الآيات من (٧٨ - ٨٣).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ لَمَحَةٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ وَالْحَيَاةَ الْآخِرَى حَقٌّ، مَعَ عَرْضِ قَوْلٍ مُنْكَرِي ذَلِكَ.

الدَّرْسُ الثالث عشر: الآيات من (٨٤ - ٩٢).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ حِوَاراً جَدَلِيّاً يُحَاوِرُ بِهِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَكَةَ الْمُؤُوسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ.

وَهَدَفُ هَذَا الْحِوَارِ إثْبَاتُ مُلْكِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا، وَإِثْبَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لِلسَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ بِيَدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

وفيها بَيَانٌ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَعَ تَقْدِيمِ حُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدَةِ، الْمُسْتَلْزِمَةِ أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ غَيْرُهُ.

الدرس الرابع عشر: الآيات من (٩٣ - ٩٨).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ تَعْلِيمَاتٍ ثَلَاثُ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.

الدرس الخامس عشر: الآيات من (٩٩ - ١١٨) آخر السورة.

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ لَقَطَاتٌ مِنْ أَحْدَاثٍ تَبْدَأُ عِنْدَ الْمَوْتِ، ثُمَّ

تَكُونُ بَعْدَ الْبُعْثِ، ثُمَّ مَا يَلْقَى الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَمَا يُقَالُ لَهُمْ، وَمَا يُجِيبُونَ بِهِ، وَمَا يُرَدُّ بِهِ عَلَيْهِمْ.

وفيها بَيَانُ مَا يُسْأَلُهُ الْمُبْعُوثُونَ عَنْ مُدَّةِ بَقَائِهِمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

وفيها بَيَانُ إِفْنَاعِيٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ ضَرُورَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، مَعَ إِنْذَارٍ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ.

وفيها تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ أَنَّ يَقُولَ: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (١ - ١١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمَ الرَّخِيمَ﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
الْعُلُوِّ مَعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾:

القراءات:

- (٨) • قرأ ابن كثير: [لَأَمَانَتِهِمْ] بالافراد، وهو اسمُ جنسٍ.
وقراها باقي القراء العشرة: [لَأَمَانَاتِهِمْ] بالجمع.

والمؤدّي واحد.

(٩) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [صَلَاتِهِمْ] بالإنفراد، وهو اسمُ جنس.

وقراها باقي القراء العشرة: [صَلَوَاتِهِمْ] بالجمع، والمؤدّي واحد.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيانُ فلاح المؤمنين، مع ذكرِ أولى صفاتهم السلوكيّة العمليّة الكبرى بالبيان، وهي في السلوك من آثارِ صدق إيمانهم، وصحّة يقينهم بالله وباليوم الآخر.

وجاء في آيات هذا الدرس ما رواه الإمام أحمد، وعبد الرزاق، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصحّحه، وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:

(كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ؛ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيّ النَّحْلِ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَمَكُنَّا سَاعَةً، فَسُرِّيَ عَنْهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْظِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا».

ثُمَّ قَالَ:

«لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ثُمَّ قَرَأَ:

«قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...» حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَ).

أُطْلِقَ عَلَيْهَا عَشْرٌ: بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْحَادِيَةَ عَشْرَةٌ تَتِمَّةٌ فِي الْمَعْنَى لِلْعَاشِرَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: «قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيقٍ وَتَوْكِيدٍ.

«أَفْلَحَ»: أي: فاز ونجا وَظَفِرَ، وَأَصْلُ الْفَلَاحِ الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ والخير. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَإِنَّمَا قِيلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَفْلِحُونَ: لِفُوزِهِمْ بِبَقَاءِ الْأَبَدِ، أي: سَعْدَاءِ.

فالمعنى: قَدْ فَازَ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا يُرِيدُونَ، وَظَفِرُوا بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيِّ.

وَالْمُؤْمِنُونَ: هُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَأَذَعَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَاتَّجَهَتْ عَوَاطِفُهُمْ لِلتَّسْلِيمِ الْكَامِلِ، بِكُلِّ مَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، فَصَارَتْ إِرَادَاتُهُمْ تَتَوَجَّهُ بِدَوَافِعٍ مِنْ إِيْمَانِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ بَعْضَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ الظَّاهِرِ:

• ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾:

أي: الَّذِينَ يُؤَدُّونَ صَلَاتَهُمْ مِنَ الْفَرَاغِ وَالنَّوَافِلِ، وَيَكُونُونَ خَاشِعِينَ فِيهَا.

الْخُشُوعُ: السُّكُونُ، وَالْخُضُوعُ، وَالْخَوْفُ، وَالتَّذَلُّلُ.

وَالْخَاشِعُ: الَّذِي يَرْمِي بِبَصَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَخْفِضُ طَرْفَهُ.

وَأَصْلُ الْخُشُوعِ وَصْفٌ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ سُكُونًا وَخُضُوعًا لِلَّهِ وَخَوْفًا مِنْهُ، فَيَكُونُ لَهُ فِي الظَّاهِرِ سُكُونٌ وَخُضُوعٌ وَخَفْضُ طَرْفٍ إِلَى الْأَرْضِ.

وَيَذُلُّ عَلَى هَذَا مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ؛ رَأَى رَجُلًا كَثِيرَ الْحَرَكَةِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ

الظاهر:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣):

اللَّغْوُ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ، إِذْ لَا فَائِدَةٌ مِنْهُ.

وَمِنَ اللَّغْوِ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ بِمُشَاهَدَةِ لَاعِبِي كُرَةِ الْقَدَمِ فِي مُنَافَسَاتِهِمْ، وَنَحْوِهِمْ مِنَ اللَّاعِبِينَ، وَمُشَاهَدَةُ التَّمَثِيلَاتِ الَّتِي لَا فَائِدَةٌ مِنْهَا إِلَّا التَّسْلِيَةُ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ.

مُعْرِضُونَ: الْإِعْرَاضُ حَالَةٌ وَسَطَى بَيْنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ، أَي: يَكْفُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ بِأَيِّ لَغْوٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ يُرْجَى مِنْهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ

الظاهر:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٢٤): الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هُنَا بَذْلُ الْمَالِ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَدَوِي الْحَاجَاتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ قُضُولِ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَمْلِكُهَا الْمُؤْمِنُونَ.

وَقَدْ جَاءَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى تَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ مِنَ الْأَمْوَالِ مُنْذُ أَوَائِلِ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ دَعْوَةً إِلَى الْبَذْلِ مِنْ قُضُولِ الْأَمْوَالِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، الَّتِي أَوْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَبْذَلَ دَوَى السَّعَةِ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا، دُونَ تَحْدِيدِ الْمَقْدَارِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْوَالِ، وَدُونَ تَحْدِيدِ الزَّمَنِ الَّذِي إِذَا مَضَى وَجَبَتْ عَقِبُهُ الزَّكَاةُ، لِأَنَّ فَرَضَ الزَّكَاةِ الَّتِي هِيَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، مَعَ تَحْدِيدِ مَقَادِيرِهَا، وَالْأَنْصِبَةِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا زَكَاةُ الْأَمْوَالِ؛ قَدْ كَانَ فِي أَوَائِلِ الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ، فَكُلُّ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ دَعْوَةٌ عَامَّةٌ إِلَى بَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ.

ولفظ «الزَّكَاةِ» يُطْلَقُ فِي اللَّغَةِ عَلَى مَعْنَيْنِ: الطَّهَارَةِ، وَالنَّمَاءِ، وَتَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ تُطَهِّرُ النُّفُوسَ مِنْ دَاءِ الشُّحِّ، وَتُظَهِّرُ الْمَالَ مِمَّا أُوجِبَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ بَذْلِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَيُكَافِيهِ اللَّهُ عَلَيْهَا بِتَنْمِيَةِ أَمْوَالِ الْبَاذِلِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَيُضَاعِفُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ ثَوَابَ الْبَاذِلِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.

وقد جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرٌ لِلزَّكَاةِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْصَاهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ هَذَا حِينَ أَنْطَقَهُ اللَّهُ وَهُوَ طِفْلٌ (الآيات من ٢٩ - ٣٣ من سورة مريم).

وَجَاءَ فِيهِ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ (الآية ٥٥ من سورة مريم).

فَالزَّكَاةُ مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ فِي الرِّسَالَاتِ السَّابِقَاتِ.

• ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: أَي: لِتَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فاعِلُونَ، اللَّامُ لَامُ التَّقْوِيَةِ، لِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ عَلَى الْعَامِلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ الظَّاهِرِ:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾:

الْفُرُوجُ: جَمْعُ «فَرْجٍ» وَهُوَ الْعَضْوُ التَّنَاسُلِيُّ مِنَ الرَّجُلِ، وَالْعَضْوُ التَّنَاسُلِيُّ مِنَ الْمَرْأَةِ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ هُنَا عَنِ الرِّجَالِ، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ تَخْصِيصُ النِّسَاءِ بِالذِّكْرِ فِي الْآيَةِ (٣٥) مِنْ سُورَةِ (الْأَحْزَابِ/ ٣٣) مَصْحَف/ ٩٠ نزول).

حِفْظُ الشَّيْءِ: يَكُونُ بِصِيَانَتِهِ، وَبِالْمَوَاطَبَةِ عَلَى رِعَايَتِهِ، وَكَفِّهِ عَمَّا يَجْلِبُ ضَرَرًا أَوْ أَذًى، وَمَنْعِهِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ فِي الْمَوْبَقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ.

وَحِفْظَ الْفُرُوجِ فِي الدِّينِ يَكُونُ بِصِيَانَتِهَا وَإِمْسَاكِهَا عَنْ فِعْلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، كَالرَّنَا، وَإِثْيَانِ الذُّكُورِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَإِثْيَانِ الْبَهَائِمِ، وَإِثْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَذْبَارِهِنَّ.

• ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٦):

أي: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، مِنْ إِثْيَانِ أَحَدٍ - أَنْثَى أَوْ ذَكَرٍ - شَهْوَةً؛ إِلَّا قَصْرًا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ بِعَقْدِ شَرْعِيٍّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ إِمَاءٍ، فَإِنَّهُمْ إِذَا جَامَعُوا زَوْجَاتِهِمْ أَوْ إِمَاءَهُمْ، عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْذُونِ بِهِ شَرْعًا؛ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ.

وقد اتَّفَقَتِ الدُّوَلُ عَلَىٰ إلْغَاءِ نِظَامِ الرِّقَاقِ، فَلَا وُجُودَ الْيَوْمَ لِلْإِمَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ حَسَنٌ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ حَثَّ عَلَىٰ عِنَقِ الْأَرْقَاءِ بِصُورَةٍ إِفْرَادِيَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ إلْغَاءُ نِظَامِ الرِّقَاقِ مِنْ طَرَفِ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ، بَيْنَمَا هُوَ أَحَدُ شَرَائِعِ الْأَمَمِ وَالشُّعُوبِ غَيْرِ الْمُسْلِمَةِ، فَإِذَا حَارَبُونَا لَمْ يَخْشَوْا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يُسْتَرْقَ فَيَكُونَ عَبْدًا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ.

مَلُومِينَ: جَمْعُ «مَلُومٍ»، وَهُوَ اسْمٌ «مَفْعُولٍ»، مِنْ فِعْلِ «لَامَهُ»، أَي: وَجَّهَ لَهُ لَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ.

• ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧):

أي: فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ الْحَدَّ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، فَأَرَادَ مُعَاشَرَةَ غَيْرِ زَوْجَتِهِ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ النِّسَاءِ، فِي فُرُوجٍ أَوْ أَذْبَارٍ؛ فَأُولَٰئِكَ الْبُعْدَاءُ الْمُعْصَاةُ الْمَتَسَفِّلُونَ: هُمُ الْعَادُونَ الظَّالِمُونَ، الْمُتَجَاوِزُونَ لِلْحَدِّ الْمَأْذُونِ بِهِ شَرْعًا فِي السُّلُوكِ الْإِرَادِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ

الظَّاهِرِ:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿٨﴾ :

الأمانة: تُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْوَفَاءِ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْوَدِيعَةِ.

فَكُلُّ مَا يُسْتَأْمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلٍ، أَوْ سِرٍّ، أَوْ خَبَرٍ، أَوْ تَكْلِيفٍ؛ هُوَ أَمَانَةٌ، وَالْوَفَاءُ بِتَحْقِيقِ مَطْلُوبٍ مِنْ اسْتَأْمَنَهُ: أَمَانَةٌ، وَهَذَا هُوَ حِفْظُهَا وَرِعَايَتُهَا.

وَكُلُّ وَدِيعَةٍ تُوضَعُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ هِيَ أَمَانَةٌ، وَرِعَايَتُهَا تَكُونُ بِحِفْظِهَا، وَتَأْدِيَةِ مَطْلُوبٍ صَاحِبِ الْوَدِيعَةِ بِشَأْنِهَا.

وبالتَّوَسُّعِ فِي مَفْهُومِ الْأَمَانَةِ؛ نُلَاحِظُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَعْطَى الْإِنْسَانَ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ، وَجَعَلَهَا أَمَانَةً عِنْدَهُ، وَكَلَّفَهُ أَنْ لَا يَخْتَارَ بِهَا مَا فِيهِ مَعْصِيَةٌ لَهُ، فِي السُّلُوكِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَحَذَّرَهُ إِذَا اخْتَارَ مَعْصِيَتَهُ مِنَ الْعِقَابِ الْعَادِلِ عَلَيْهَا، وَأَظْمَعَهُ إِذَا اخْتَارَ طَاعَتَهُ فِي مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ؛ بِأَنْ يَجْزِيَهُ ثَوَابًا عَظِيمًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، مَعَ بَعْضِ ثَوَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا، إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ.

وَكُلُّ جَارِحَةٍ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَالْجَوَارِحِ الْبَاطِنَةِ؛ هِيَ أَمَانَةٌ عِنْدَهُ، لِأَنَّهَا مِلْكٌ لِلَّهِ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ وَدِيعَةً عِنْدَهُ، وَجَعَلَ لَا سِتْخْدَامَهَا وَالانْتِفَاعَ بِهَا شُرُوطًا، وَكُلُّ مُخَالَفَةٍ لِهَذِهِ الشُّرُوطِ خِيَانَةٌ لِلْأَمَانَةِ.

العَهْدُ: يُطْلَقُ الْعَهْدُ فِي اللُّغَةِ عَلَى كُلِّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَصِيَّةِ، وَعَلَى الْيَمِينِ، وَعَلَى الْوَفَاءِ، وَعَلَى الْحِفَاطِ وَرِعَايَةِ الْحُرْمَةِ، وَالْأَمَانِ.

ويُطْلَقُ الْعَهْدُ عَلَى مَا يَلْتَزِمُ بِهِ الْعَبْدُ تُجَاهَ رَبِّهِ، كَالْمَبَايِعَاتِ مَعَ الرُّسُولِ ﷺ.

أَمَّا الْعَهْدُ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمَكْلُفِينَ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ فَقَدْ تَضَمَّنَ مَا يَلِي:

(١) أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الْمُبَلِّغِينَ عَنْهُ، الْمُؤَيَّدِينَ مِنْهُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ، مُعْتَرِفِينَ مُذْعِنِينَ.

(٢) أَنْ يَعْبُدُوهُ وَخَدَهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ سِوَاهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

(٣) أَنْ لَا يَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ، بِطَاعَتِهِ وَالاسْتِجَابَةِ لِيُوسَاوِسِهِ وَاتِّبَاعِ خُطْوَاتِهِ.

فَمَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» مُؤْمِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا بِكُلِّ ذَلِكَ، وَهَذِهِ بَيْعَةٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ، وَهُوَ مُطَالِبٌ بِالْوَفَاءِ بِهَا.

﴿رَعُونَ﴾: أَي: حَافِظُونَ، بِمُقْتَضَى حُقُوقِ الْأَمَانَاتِ، وَحُقُوقِ الْعَهْدِ، يُؤَدُّونَ وَاجِبَاتِ الْأَمَانَاتِ وَالْعُهُودِ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا نُهِوا عَنْهُ فِيهَا.

رِعَايَةُ الشَّيْءِ: تَكُونُ بِحِفْظِهِ، وَبِالْقِيَامِ بِمَا يَلْزَمُ لَهُ مِنْ حِمَايَةٍ وَنَمَاءٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السُّلُوكِ الظَّاهِرِ:

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾:

أَي: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمُ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النَعِيمِ:

• ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾:

الْوَارِثُ: آخِذُ الشَّيْءِ دُونَ عِوَضٍ، مِمَّنْ كَانَ مَالِكاً لَهُ فَسُلِبَتْ مِلْكِيَّتُهُ بِمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ، كَالْمَغْلُوبِ فِي الْقِتَالِ يَأْخُذُ الْغَالِبُ مَا كَانَ مِلْكَاً لِلْمَغْلُوبِ مِيراثاً.

والميراث عطاءٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ للوارث، لِأَنَّ مِلْكَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ هُوَ لِلَّهِ خَالِطٍ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ، وَهُوَ عَطَاءٌ بِدُونِ عِوَضٍ. وَحِينَ يَمُوتُ الْمَيِّتُ تَصِيرُ كُلُّ مُمْتَلَكَاتِهِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا امْتِلَاقاً صُورِيّاً بِتَمْلِيكِ اللَّهِ لَهُ؛ خَالِيَةً مِنْ مِلْكِ غَيْرِ اللَّهِ لَهَا، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا مِيراثاً لَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: (آل عمران/ ٣ مصحف) الآية (١٨٠).

وَقَدْ وَزَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ مِلْكَاً لِلْمَيِّتِ مِيراثاً لِمَنْ جَعَلَ لَهُمُ الْحُقُوقَ فِي تَرْكِتِهِ.

والمؤمنون الَّذِينَ جَاءَتْ صِفَاتُهُمْ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٢ - ٩) جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَعْظَمَ الْوَارِثِينَ يَوْمَ الدِّينِ، إِذْ يَجْعَلُهُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ خَالِدِينَ بِلا نِهَآيَةٍ.

وَأَلَحِظُ فِي هَذَا الْمِيرَاثِ مَعْنَيْنِ:

المَعْنَى الْأَوَّلُ: أَنَّهُ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ، لِأَنَّ مَا يُقَدَّمُهُ الْمُؤْمِنُونَ مَهْمَا قَدَّمُوا؛ لَا يُكَافِئُ نِعْمَةً حَاسَةً مِنْ حَوَاسِّهِمُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا. فَالْجَزَاءُ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ فِي الدُّنْيَا، هُوَ فَيْضُ عَطَاءٍ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ -.

المَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِكُلِّ عِبَادِهِ فِي الْفِرْدَوْسِ أَنْصِبَةً يَنَالُونَهَا إِذَا حَقَّقُوا فِي أَنْفُسِهِمْ شُرُوطَ الظَّفَرِ بِهَا.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْعِبَادِ لَا يُحَقِّقُونَ شُرُوطَ الظَّفَرِ بِهَا، فَيَمْنَحُ اللَّهُ أَنْصِبَتَهُمُ الْمُقَدَّرَةَ لِلَّذِينَ حَقَّقُوا فِي أَنْفُسِهِمْ شُرُوطَ الظَّفَرِ بِالْفِرْدَوْسِ، بِفَضْلِ اللَّهِ.

الْفِرْدَوْسُ: رَبْوَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُهَا، وَأَفْضَلُهَا، وَأَعْلَى مَنَازِلِهَا.
وَلَفْظُهُ يُذَكِّرُ وَقَدْ يُؤَنَّثُ.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسْطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ،
وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي، وغيرهم، عن
عبادة بن الصاميت، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،
وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ
الْأَرْبَعَةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُوا اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ».

وبهذا انتهت تدبر الدرس الأول من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (١٢ - ١٦)

قال الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنَ شَاءَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَعْثُوتَ ۝١٦﴾ *

القراءات:

(١٤) • قرأ ابن عامر، وشُعْبة: [عَظْماً] بالإنفراد. و[الْعَظْمَ]

بالإنفراد.

وقرأهما باقي القُرَّاء العَشْرَة: [عِظَماً] بالجمع. و[الْعِظَامَ] بالجمع.

والمؤدَّى واحد، لِأَنَّ الْإِنْفِرَادَ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَّانٌ عَنْ بَعْضِ مَرَاجِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، حَتَّى جَعَلَهُ سَوِيًّا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

ثُمَّ بَعْدَ مُرُورِهِ مَرَحَلَةَ ابْتِلَائِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ يُمِيتُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرْزَخِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، لِيَلْقَى حِسَابَهُ وَفَضْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، وَجَزَاءَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَى أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَحَوَاءَ:

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢):

«الواو» هُنَا عَاطِفَةٌ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ، وَ«اللام» فِي ﴿لَقَدْ﴾ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنُوي. وَ«قَدْ» حَرْفٌ تَحْقِيقِي يُفِيدُ زِيَادَةَ التَّوَكِيدِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْقَسَمُ.

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمَتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ بِعِبَارَةٍ: ﴿خَلَقْنَا﴾، لِلْإِشَارَةِ إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الْخَلْقِ تَذْيِيرًا وَتَقْدِيرًا وَقَضَاءً، وَتَنْفِيذًا وَمُتَابَعَةً مَعَ أَصْغَرِ وَحْدَةٍ زَمَنِيَّةٍ تَمُرُّ فِيهَا أَطْوَارُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ حَيَاتُهُ، ثُمَّ مَوْتُهُ ثُمَّ بَعْثُهُ، وَمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ.

﴿مِنْ سُلَّالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾: السَّلَالَةُ مَا اسْتُلِّ مِنَ الشَّيْءِ وَانْتُزِعَ بِرَفْقٍ، كَانْتِزَاعِ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ الطَّرِيِّ اللَّيِّنِ. وَهَكَذَا تُسْتَلُّ أَغْذِيَةُ النَّبَاتَاتِ مِنَ الطِّينِ، أَيْ: مِنَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِعَنَاصِرِ تُرَابِ الْأَرْضِ، ضِمَّنَ نِظَامَ عَجِيبٍ يَشْتَمِلُ عَلَى آيَاتٍ مُّعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ. وَهَكَذَا تُسْتَلُّ عَنَاصِرُ بِنَاءِ الْأَجْسَادِ مِنَ الْأَغْذِيَةِ ضِمَّنَ نِظَامٍ عَجِيبٍ مُّدهِشٍ يَشْتَمِلُ عَلَى آيَاتٍ مُّعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ، وَهَكَذَا تُسْتَلُّ النُّطْفَةُ الْمَنُويَّةُ مِنَ الْجَسَدِ ضِمَّنَ نِظَامٍ عَجِيبٍ مُّدهِشٍ يَشْتَمِلُ عَلَى آيَاتٍ مُّعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ بَعْضِ أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ:

• ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٣):

النُّطْفَةُ: وَالنُّطَافَةُ: فِي اللَّغَةِ الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ، وَالْمَرَادُ بِالنُّطْفَةِ هُنَا مَنِيُّ الرَّجُلِ.

فِي قَرَارٍ: أَيْ: فِي مَكَانٍ يَثْبُتُ فِيهِ الشَّيْءُ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَثْبُتُ فِيهِ جُزْءٌ صَغِيرٌ مِنَ النُّطْفَةِ بَعْدَ تَلْقِيحِهَا لِبَيِضَةِ الْمَرْأَةِ، فِي جِدَارِ الرَّحِمِ بِعِنَايَةِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ.

مَكِينٍ: أَيْ: ثَابِتٍ مُّتَمَكِّنٍ بِالطَّافِ اللَّهُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَإِذَا كَانَ الْقَرَارُ الَّذِي تُجْعَلُ فِيهِ النُّطْفَةُ مَكِيناً كَانَتْ هِيَ ثَابِتَةً فِيهِ بِعِنَايَةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ بَعْضِ أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ:

• ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً

فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤):

• ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: أَيْ: وَبَعْدَ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ

وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ - النُّطْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، وَمَرَّ فَاصِلٌ زَمَنِيٍّ نِسْبِيٍّ؛ أَظْهَرَ مِنْ

أَطْوَارِ الْخَلْقِ أَنْ خَلَقَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً، وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى طَوْرِ الْعَلَقَةِ مَرَّتَ فِي أَطْوَارٍ بَعْدَ أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي مَرَّتَ فِيهَا مَا بَيْنَ النُّطْفَةِ وَالْعَلَقَةِ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ كُلِّ طَوْرٍ وَطَوْرٍ ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لظُهورِهِ.

الْعَلَقَةُ: قِطْعَةٌ مِنَ الدِّمِ الْغَلِيظِ الْمُتَمَاسِكِ. وَالْعَلَقُ: اسْمُ جَمْعِيٍّ لِلْعَلَقَةِ.

• ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: أي: وَلَمْ يَمُضْ فَاكِصٌ زَمَنِيٌّ طَوِيلٌ؛ إِذْ جَاءَ طَوْرُ خَلْقِ اللَّهِ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، أَيِ قِطْعَةٍ فِيهَا تَمَاسُكٌ مَا كَاللَّحْمِ. الْمُضْغَةُ: الْقِطْعَةُ الَّتِي تُمَضَّغُ مِنْ لَحْمٍ وَغَيْرِهِ.

• ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾: أي: وَعَقِبَ وَصُولِ الْجَنِينِ إِلَى طَوْرِ الْمُضْغَةِ؛ خَلَقَ اللَّهُ الْمُضْغَةَ عِظَامًا، وَهَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ مُتَابِعُو الْبَحْثِ فِي الْأَجَنَةِ.

• ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾: أي: وَعَقِبَ وَصُولِ الْجَنِينِ إِلَى الطَّوْرِ الَّذِي تَكُونُ بِهِ عِظَامًا، كَسَا اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ الْعِظَامَ لَحْمًا.

• ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: أي: وَبَعْدَ فَاكِصٍ زَمَنِيٍّ نَسَبِيٍّ أَنْشَأَ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - الْجَنِينَ خَلْقًا آخَرَ، وَيُظْهَرُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْآخَرَ هُوَ نَفْخُ الرُّوحِ فِيهِ، وَجَعَلَهُ إِنْسَانًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ يَنُمُو نُمُوًّا شَبِيهًا بِالنَّمُو النَّبَاتِيِّ.

• ﴿... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: ﴿١٤﴾

فَتَبَارَكَ: أي: فَتَنَامَى، وَتَزَايَدَ، وَتَعَاطَمَ، بِالْإِطْلَاقِ الْعَامِ، فَوْقَ كُلِّ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ مِنْ كَمَالَاتٍ، وَهُوَ عَلَى وَزْنِ «تَفَاعَلَ» مِنَ الْبَرَكَةِ، وَهِيَ فِي اللَّغَةِ الزِّيَادَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: أي: أَحْسَنُ الْمَصُورِينَ وَالْمُقَدَّرِينَ.

الْخَلْقُ: يَأْتِي فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَيْنِ:

المعنى الأول: التقدير، وهو إعطاء أجزاء الشيء مقاديرها بإحكام، وعلى هذا المعنى قال الله عز وجل في خطابه لعيسى عليه السلام في سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول):

﴿... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِي...﴾ (١١٠).

المعنى الثاني: ابتداء الشيء على غير مثال سبق، وإيجاده من العدم، وهذا المعنى لا ينطبق على غير الله عز وجل.

ولعلماء الأحياء من مختلف التخصصات دراسات مستفيضات حول إنقان خلق الإنسان، والأطوار التي يمر خلقه بها، وما جاء في القرآن مطابق للحقائق الثابتة التي توصل علماء الكونيات إليها.

■ قول الله تعالى متابعاً ببيان مسيرة وجود الناس:

• ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦):

أي: ثم إنكم أيها الناس بعد انتهاء ما قدر لكل منكم من حياة في هذه الدنيا، حياة الابتلاء لَمَيِّتُونَ.

جاء تأكيد هذه العبارة بالمؤكدات: «إِنَّ - والجملة الاسمية - واللام المزحلقة»، مع أن الموت حقيقة لا يجحدها إنسان لديه أدنى إدراك.

ويبدو لي أن الداعي لهذا؛ التناظر بين هذه الآية وبين الآية (١٦)، والإشعار بأن الموت حدث مقصود في خطة التكوين، ليكون بعده فاصل برزخ بين الموت والبعث، ثم يأتي البعث للحياة الأخرى الأبدية، حياة الجزاء الأكبر.

■ قول الله تعالى أيضاً:

• ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦):

أي: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا النَّاسُ بَعْدَ مُرُورِ مُدَّةِ الْمَوْتِ الْمُقَدَّرَةِ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ؛ تُبْعَثُونَ لِتَلْقَوْا ظُرُوفَ الْحَيَاةِ الْآخِرَى الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقُ الْجَزَاءِ، وَأَحْدَاثُ قَدَرِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَضَاهَا، كَالْحَشْرِ، وَالْوِزْنِ، وَالصِّرَاطِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (المؤمنون).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (١٧ - ٢٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقْدِيرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوَكَّهُ كَثِيرَةً ﴿١٩﴾ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَجَرَةً تُخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغِ الْلَاكِلِينَ ﴿٢١﴾ وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبَرَةٌ تُسْقِيَكُم مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

القراءات:

(٢٠) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [سَيْنَاءَ]

بِكسْرِ السين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [سَيْنَاءَ] بِفَتْحِ السِّين.

(٢٠) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، ورؤيس: [تُنْبِتُ] مِنْ فعل «أُنْبِتَ». وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [تَنْبِتُ] مِنْ فعلٍ «نَبَتَ».

(٢١) • قرأ نافع، وابنُ عامر، وشُعْبَة، ويعقوب: [نَسْقِيكُمْ] من فعل «سَقَاهُ». وقرأها أبو جَعْفَر: [تَسْقِيكُمْ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نُسْقِيكُمْ] مِنْ فعل «أَسْقَاهُ».

وفي هَذِهِ القراءات تَفَنُّنٌ، والمؤدَّى واحد.

تمهيد:

في آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ بَعْضِ آيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ فِي كونه، وَبَعْضِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ رِزْقٍ وَغَيْرِهِ، تَذْكِيراً لَهُمْ بِأَنْ يُقَابِلُوا نِعَمَهُ بِالشُّكْرِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِلنَّاسِ وَمُبَيِّناً بَعْضَ آيَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ فِي كَوْنِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ:

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾: سبق نَظِيرُهَا فِي بَدْءِ الدَّرْسِ الثَّانِي.

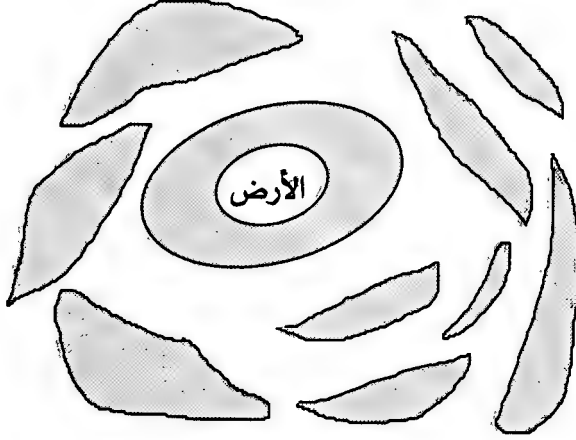
• ﴿فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: أَي: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سَمَّاها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُنَا طَرَائِقَ، لِأَنَّ بَعْضَهَا يُحِيطُ بِبَعْضٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ فَوْقَ شَيْءٍ آخَرَ: طَرِيقَةً.

الطَّرَائِقُ: جَمْعُ الطَّرِيقَةِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ. وَالطَّرَائِقُ: الطَّبَقَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وَكَوْنُهَا فَوْقَ النَّاسِ؛ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي يَسْكُنُهَا النَّاسُ تُحِيطُ

بِهَا السَّمَاءُ الدُّنْيَا، وَأَنَّ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ تُحِيطُ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهَكَذَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْمُحِيطَةِ بِالسَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

وفي تصوّرٍ تَخِيلِيٍّ تَقْرِيبِيٍّ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَصْغَ الصُّورَةَ الثَّالِيَةَ:



مجموعة مَجَرَّاتٍ ذَاتُ نِظَامٍ حَرَكي لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تُمَثِّلُ السَّمَاءَ الْأُولَى. فَالسَّمَاءُ الْأُولَى تُمَثِّلُهَا مَجَرَّاتٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ، وَبَعْدَهَا مَجَرَّاتٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ ذَاتُ نِظَامٍ حَرَكيٍّ تُمَثِّلُ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ.

وَهَكَذَا إِلَى غَايَةِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَفِي كُلِّ مَجَرَّةٍ مِنَ النُّجُومِ الْعَظْمَى مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ، يُقَدَّرُ بَعْضُهَا عُلَمَاءُ الْكُونِيَّاتِ بِالْمِلَايِينَ، وَيُقَدَّرُونَ بَعْضُهَا بِالْمِلْيَارَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

• ﴿... وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: أَي: وَمَا كُنَّا عَمَّا خَلَقْنَا مِنْ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ بِكُلِّ مَا فِيهِ غَافِلِينَ، بَلْ نَتَابِعُ تَسْيِيرَهُ بِتَقْدِيرِنَا وَقُدْرَتِنَا، مِنْ أَصْغَرِ وَخَدَةِ ذَرِّيَّةٍ فِيهِ إِلَى أَكْبَرِ مَخْلُوقٍ فِيهِ، مَعَ أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ، وَاسْتِمْرَاراً مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَعْمَالَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - مُطَابِقَةٌ لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ، الْمَشْمُولَةِ بِعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً ذَكَرَ بَعْضُ آيَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ﴿٨﴾.

صَارَ مِنَ الْبَدَهِياتِ الْعِلْمِيَّةِ أَنَّ الْمَاءَ يُنْزَلُ مِنَ السَّحَابِ بَعْدَ تَبَخُّرِهِ مِنْ مِيَاهِ الْأَرْضِ، وَتَجْمُعِهِ سُحُبًا، وَمَعْلُومٌ فِي اللُّغَةِ أَنَّ السَّحَابَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ سَمَاءً، لِأَنَّ كُلَّ مَا عَلَا فَأَظْلَّ يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظًا: «سَمَاءً».

وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ فِي كَوْنِهِ، وَهِيَ مِنْ نِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِعْلَامُ بِثَلَاثِ قَضَايَا ذَاتِ شَأْنٍ فِي الْمَفْهُومَاتِ الدِّينِيَّةِ:

القَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ افْتَضَتْ أَنْ يُنْزَلَ الْمَاءُ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ مِنَ الْأَرْضِ بِقَدَرٍ سَبَقَ بِهِ تَقْدِيرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ، مُلَائِمًا لِحِكْمَةِ ابْتِلَائِهِ عِبَادَهُ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ.

بِقَدَرٍ: أَي: بِمِقْدَارٍ مُحَدَّدٍ، وَتَدْبِيرٍ حَكِيمٍ.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ - أَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ، فِي تَجَاوَيْفٍ فِي بَاطِنِهَا، وَعَلَى سَطْحِهَا فِي بُحَيْرَاتٍ عَظِيمَاتٍ وَأَنْهَارٍ كَبِيرَةٍ، تُسَهِّلُ عَلَى النَّاسِ الْانْتِفَاعَ بِهِ فِي مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ، مَعَ اخْتِزَانِهِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَلِلْهَامِ النَّاسِ وَسَائِلَ اسْتِخْرَاجِهِ مِنْهَا.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ الْمُؤَكَّدُ عَلَى أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ - لِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِالْمَاءِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ لَهُ طَلْبًا، مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ فِي حَيَوَاتِهِمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ﴿٨﴾. فَإِذَا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَرْضِ مَاءَهَا؛ تَعَرَّضَ الْأَحْيَاءُ فِيهَا لِلْهَلَاكِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ بَعْضِ آثَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ بِالْمَاءِ فِي الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْآثَارُ مِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٌ لِلْآكِلِينَ ﴿١٨﴾﴾:

أي: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشَّجَرِ، وَهَذِهِ الْجَنَّاتُ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ تَتَفَكَّهُونَ بِهَا، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ قُوتًا لِبِنَاءِ أَجْسَادِكُمْ وَإِمْدَادًا بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْعَمَلِ.

وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِالْمَاءِ أَيْضاً شَجَرَةً مُبَارَكَةً، كَانَتْ فِي أَصْلِ إِنشَائِهَا تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ طُورٍ سَيْنَاءَ، ثُمَّ زَرَعَهَا النَّاسُ بِالتَّوَسُّيعِ الزَّرَاعِيِّ فِي مُعْظَمِ بِلَادِ الشَّامِ، ثُمَّ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِيهَا، وَهِيَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَنْبُتُ مُلْتَبِسَةً بِالذَّهْنِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِزَيْتِ الزَّيْتُونِ، الَّذِي تَذْهَنُونَ بِهِ شُعُورَكُمْ وَأَجْسَادَكُمْ، لِمَا فِيهِ مِنْ مَنَافِعَ لَهَا، وَالَّذِي تَأْكُلُونَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ صَنِيعِ خُبْزِكُمْ وَصَنِيعِ كَثِيرٍ مِنْ أَطْعِمَتِكُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ كَمَا تَأْكُلُونَ الْخَبْزَ، وَغَيْرَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تُؤْكَلُ وَتُضْمَعُ.

• ﴿فَأَنْشَأْنَا﴾: الْإِنْشَاءُ: الْإِحْدَاثُ الْمَضْحُوبُ بِالتَّكَامُلِ الْمْتَدَرِّجِ غَالِبًا.

• ﴿جَنَّاتٍ﴾: جَمْعُ «جَنَّةٍ»، وَهِيَ مَا يَحْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ وَزُرُوعٍ وَأَنْهَارٍ، وَقَدْ تَكُونُ فِيهَا قُصُورٌ. وَتُطْلَقُ «الْجَنَّاتُ» عَلَى الْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ الْمَكْتَنَّةِ بِالأَشْجَارِ، فَهِيَ سَابِرَةٌ لِمَا تَحْتَهَا.

وَأَصْلُ مَادَّةِ «جَنٍّ» تَدَوُّرٌ حَوْلَ مَعْنَى السَّرِّ.

• ﴿مِنْ نَخِيلٍ﴾: «النَّخْلُ» وَ«النَّخِيلُ» اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِيٍّ، وَاحِدُهُ «النَّخْلَةُ»، وَهِيَ شَجَرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَثَمَرُ مَا يُثْمَرُ مِنْهَا: الْبَلَّحُ وَالتَّمَرُ.

وَقَدْ ذُكِّرَتْ هُنَا الشَّجَرَةُ لِتَشْمَلَ الْمُثْمِرَ مِنَ النَّخْلِ، وَغَيْرِ الْمُثْمِرِ، وَهُوَ مَا يَكُونُ لِلزَّيْتِ وَلِمَنَافِعَ أُخْرَى غَيْرِ الْأَكْلِ مِنْهَا.

وَتُغْتَبَرُ شَجَرَةُ النَّخِيلِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْجَارِ نَفْعاً لِلنَّاسِ غِذَاءً وَفَاكِهَةً وَادِّخَاراً، وَأَعْمِدَةً، وَيُصْنَعُ مِنْ أَلْيَافِهَا حَبَالٌ، وَمِنْ أَوْرَاقِهَا سُفُرٌ وَأَدَوَاتُ حِفْظٍ، وَمِنْ جَرِيدِهَا أَعْوَادٌ وَعِصِيٌّ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَا شَيْءَ فِي شَجَرِ النَّخِيلِ إِلَّا يَنْتَفِعُ بِهِ.

وَكَانَ شَجَرُ النَّخِيلِ عِمَادَ حَيَاةِ عَرَبٍ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

• ﴿وَأَعْنَابٍ﴾: «أَعْنَابٌ» جمع «عَنْبٍ»، وهو ثَمَرُ الشَّجَرِ الَّذِي يُسَمَّى كَرْمًا. وَقَدْ ذُكِرَ هُنَا الثَّمَرُ، دُونَ ذِكْرِ اسْمِ الشَّجَرِ، لِأَنَّ أَجَلَ مَنَافِعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَكُونُ فِي ثَمَرِهَا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ».

• ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ﴿١٧﴾

• ﴿فَوْكُهُ﴾: جَمْعُ «فَاكِهَةٍ»، وَهِيَ تُطْلَقُ غَالِبًا عَلَى الثَّمَارِ الَّتِي تُؤْكَلُ لِلتَّلَذُّذِ بِطُعُومِهَا، لَا لِتَحْصِيلِ الْقُوَّةِ مِنْهَا.

وَهَذَا التَّفَكُّهُ يَحْصُلُ بِالْأَكْلِ مِنْ ثَمَارِ النَّخِيلِ وَمِنْ الْعِنَبِ، وَيَحْصُلُ بِالْأَكْلِ مِنْ ثَمَرَاتِ أَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ الَّتِي تُوجَدُ دَاخِلَ الْجَنَّاتِ مَعَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ عَدَدًا.

• ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أَي: وَمِنْ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَمِمَّا فِي الْجَنَّاتِ مِنْ زُرُوعٍ؛ تَأْكُلُونَ مَا هُوَ قُوَّةٌ لَكُمْ يُمِدُّكُمْ بِالْقُوَّةِ وَبِالْقُدْرَةِ عَلَى الْعَمَلِ بِنَشَاطٍ وَهِمَةٍ.

• ﴿وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَنِيعَ اللَّائِكِينَ﴾: ﴿٢٠﴾

أي: وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ أَیُّهَا النَّاسُ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ طُورِ سَيْنَاءَ، وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ تَنْبُتُ مُخْتَلِطَةً إِمَارُهَا بِالذَّهْنِ، أي: بِمَادَّةِ زَيْتِيَّةٍ دَسِمَةٍ يُدْهَنُ بِهَا الشَّعْرُ وَالْجِسْمُ، وَيُؤْكَلُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ صَبْغٍ لِلْخُبْزِ، أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا يُؤْكَلُ مَعْمُوسًا بِالزَّيْتِ.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ».

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ مَعَ أَنَّنا نُلَاحِظُ أَنَّ شَجَرَ الزَّيْتُونِ مُنْتَشِرٌ فِي بِلَادِ الشَّامِ، وَفِي تُرْكِيَا، وَفِي الْيُونَانِ، وَفِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ وَتُونِسَ، وَاسْبَانِيَا، وَالْجَزَائِرِ، وَغَيْرِهَا، وَيُظْهَرُ لِي تَأْيِيدُ فِكْرَةٍ أَنَّ أَوَّلَ أَرْضٍ خَرَجَتْ مِنْهَا أَشْجَارُ الزَّيْتُونِ هِيَ أَرْضُ طُورِ سَيْنَاءَ، وَمِنْهَا بَدَأَ النَّاسُ يَنْشُرُونَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وَيَتَوَالَى نَشْرُهَا مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَرَاءَهَا، بِحَسَبِ اهْتِمَامِ النَّاسِ بِالْفَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ لِأَشْجَارِ الزَّيْتُونِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا بَعْضَ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ وَنِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ:

• ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٦﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ مُذَكِّرًا لَهُمْ بِآيَةِ خَلْقِهِ الْأَنْعَامِ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَنَافِعَ لَهُمْ، وَآيَةِ إلهَامِهِ أَنْ يَصْنَعُوا الْفُلْكَ لِيَرْكَبُوا عَلَيْهَا، وَلِتَجْرِيَ فِي الْمَاءِ، وَتَنْقُلَهُمْ وَأَشْيَاءَهُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ.

• ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ﴾: أي: وَإِنَّ لَكُمْ أَیُّهَا النَّاسُ فِي الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقْنَاهَا لَكُمْ لَعِبْرَةً. يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى بِ «إِنَّ - وَالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَةِ وَاللَّامِ الْمَرْخُلَقَةِ» مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْبَيَانُ.

الْأَنْعَامُ: هِيَ الْأَمْوَالُ الرَّاعِيَّةُ: «الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ وَتَدْخُلُ فِي الْغَنَمِ الْمِعْزُ»، وَلَفْظُ «الْأَنْعَامِ» يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ.

• ﴿لَمِزَةٌ﴾: أَي: لَآيَةٌ تَعْبُرُونَ عَلَى دَلَالَتِهَا إِذَا تَفَكَّرْتُمْ، فَتُوصِلُكُمْ إِلَى إِدْرَاكِ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَشُمُولِ عِلْمِهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى.

• ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بِضَمِّ النُّونِ مِنْ فِعْلِ «أَسْقَى» وَفِي قِرَاءَةِ أُخْرَى: [تَسْقِيكُمْ] مِنْ «سَقَى»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَفِي قِرَاءَةٍ ثَالِثَةٍ: [تَسْقِيكُمْ] أَي: تَسْقِيكُمْ الْأَنْعَامَ.

• ﴿وَمَا فِي بُطُونِهَا﴾: أَي: مِمَّا تَحْتَوِيهِ بُطُونُهَا، وَهُوَ اللَّبَنُ الَّذِي يُخْرِجُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَثْدَانِهَا، وَيَسْتَخْلِصُهُ مِنْ بَيْنِ قَرِثٍ وَدَمٍ لَبَنًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ.

• ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: أَي: وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، إِذْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ مِنْ أَصْوَابِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَأَوْبَارِهَا، وَجُلُودِهَا، وَعِظَامِهَا، وَكُلِّ شَيْءٍ فِي أَجْسَامِهَا، غَيْرِ الْأَكْلِ مِنْ لُحُومِهَا وَشُحُومِهَا، وَالشُّرْبِ مِنْ أَلْبَانِهَا.

• ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أَي: وَمِنْ الْأَنْعَامِ تَأْكُلُونَ، وَهُوَ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنْ لُحُومِهَا وَشُحُومِهَا، وَمَا لَانَ لَهُمْ مِنْ غَضَارِيفِهَا وَبَعْضِ عِظَامِهَا، وَنَقْيِ عِظَامِهَا وَهُوَ الْمَخُّ.

• ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾: أَي: وَعَلَى بَعْضِ الْأَنْعَامِ تُحْمَلُونَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَإِنْعَامَاتِهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ دَلَّلَهَا لَكُمْ، وَهِيَ الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، حِينَ تَجُرُّ بِأَكْتَافِهَا مَرَائِبَ تَرْكُبُونَهَا فَتَكُونُ حَامِلَةً لَكُمْ وَلِإِتْقَانِكُمْ، وَنَاقِلَةً لَكُمْ إِلَى مَا تُرِيدُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ. وَهَذِهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَنْعَامِ، مَعَ اسْتِخْدَامِهَا فِي الْحَرْثِ وَالنَّضْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَذَلُّلِ صِعَابِ.

وَأَمَّا الْفُلُكُ فَقَدْ أَلْهَمَكُم رُبُّكُمْ صِنَاعَتَهَا، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ وَعِنَايَتِهِ وَحِفْظِهِ يَحْمِلُكُمْ عَلَيْهَا جَارِيَةً فِي الْمَاءِ إِلَى بِلَادٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِهَا إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ، وَيَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ عَلَيْهَا، وَلَوْ شَاءَ لَأَغْرَقَكُمْ أَنْتُمْ وَمَا تَصْحَبُونَ، وَلَكِنَّهُ يَحْمِيكُمْ بِرَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِكُمْ، وَحِينَ تَقْتَضِي مَشِيئَتُهُ عِقَابَكُمْ بِإِهْلَاكِ جَمَاعِيٍّ فَإِنَّهُ يُغْرَقُكُمْ وَمَا تَصْحَبُونَ، وَيُغْرَقُ فُلَكُمْ.

الْفُلُكُ: مَرْكَبُ الْبَحْرِ، يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْأَثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحه.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٢٣ - ٣٠)

قال الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَيْصُوا بِهِ حَقًّا حِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَوُّرُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ

مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ أَلَمُعِدْ لِلَّهِ الَّذِي نَجِّنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٨٠﴾ :

القراءات:

(٢٣) • قرأ الكسائي، وأبو جعفر: [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]: بجرٍ «غيره».

وقراها باقي القراء العشرة: [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]: برفعٍ «غيره».

وهما وجهان عريبان جاذبان.

(٢٦) • قرأ يعقوب: [كَذَّبُونِي]: بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [كَذَّبُون]: بحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً.

(٢٧) • قرأ حفص: [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ]: بتثوين لام «كل».

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ]: على إضافة «كل» لـ «زَوْجَيْنِ».

(٢٩) • قرأ شعبة: [مُنْزِلًا]: وهو اسم مكان النزول، من فعلٍ: «نَزَلَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [مُنْزَلًا]: وهو اسم مكان النزول، من فعل «أَنْزَلَ»، أو هو مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ، أي: إِنْزَالًا.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس عرض لقطات موجزاتٍ مِنْ قصّة نوح عليه السلام، وفي الكتاب الذي فتح الله به عليّ بعنوان: «نوح عليه السلام وقومُه في القرآن المجيد» دراسةٌ تدبريّةٌ تكامليةٌ لهذا النصّ مع سائر

النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمَتَعَلِّقَةُ بِنُوحٍ وَقَوْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاقْتَصِرْ هُنَا عَلَى تَحْلِيلِ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الدَّالِّ عَلَى عَظَمَةِ صِفَاتِهِ:

● ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَذَابٍ إِلَّا نَفْثُ أَعْيُنٍ مُّزِينَةٍ﴾ (٢٣):

● ﴿وَلَقَدْ﴾ سَبَقَ نَظِيرُهَا فِي السُّورَةِ مَعَ التَّحْلِيلِ، وَالْعُطْفُ هُوَ مِمَّنْ قَبِيلِ عَظَمِ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ.

● ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: أَي: أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ، فَتَبَّأْنَاهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلْنَاهُ، وَهَذَا يُفْهَمُ بِاللُّزُومِ الدُّهْنِيِّ، فَالْإِرْسَالُ الرَّبَّانِيُّ يَكُونُ لِمَنْ يَضْطَفِيهِ اللَّهُ فَيُوحِي إِلَيْهِ، فَيَجْعَلُهُ نَبِيًّا، ثُمَّ يُكَلِّفُهُ أَنْ يَحْمِلَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَيُبَلِّغَهَا كَمَا يَأْمُرُهُ.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفًا أَنْ يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ لِجَمِيعِ النَّاسِ، بَلْ كَانَ مُكَلَّفًا أَنْ يُبَلِّغَهَا لِقَوْمِهِ فَقَطْ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ مَضْمُونَ رِسَالَتِهِ صَالِحٌ لِعُمُومِ النَّاسِ.

وَنَتَسَاءَلُ: هَلْ كَانَ قَوْمُهُ كُلُّ النَّاسِ فِي عَصْرِهِ، أَمْ كَانُوا بَعْضَ النَّاسِ؟

أقول: لَا نَمْلِكُ إِجَابَةً مُّحَدَّدَةً تَسْتَنِدُ إِلَى مَا لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْاِحْتِمَالُ الْمُضْعَفُ لَهَا، لَكِنْ جَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دُرِّيَّةَ نُوحٍ كَانُوا هُمُ الْبَاقِينَ بَعْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

● ﴿فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَذَابٍ إِلَّا نَفْثُ أَعْيُنٍ مُّزِينَةٍ﴾: أَي: اْعْبُدُوا اللَّهَ

وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذْ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، لِأَنَّهُ لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، وَالْعِبَادَةُ حَقُّ الرَّبِّ الَّذِي هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ آلِهَةٍ مِنْ دُونِهِ فَهِيَ لَيْسَتْ بِآلِهَةٍ تَعْبُدُ، إِذْ هِيَ أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا، وَصُورٌ صَوَّرْتُمُوهَا، وَأَوْثَانٌ نَحْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ، لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ.

• ﴿مِنْ إِلَهِ﴾: لفظ «مِنْ» حرف جر زائد، جيء به للتخصيص على العموم المنفي، ولفظ «إِلَهِ» مبتدأ مجرور لفظاً بحرف الجر الزائد، مرفوع محلاً، ولفظ «غَيْرُ» نعت للفظ «إِلَهِ» مراعى فيه المحل، أو بدل، وفي قراءة «غَيْرِهِ» بالجر روعي الحركه التي اقتضاها حرف الجر الزائد في لفظ «إِلَهِ».

• ﴿أَفَلَا نُنْفِئُونَ﴾: عرض رفيق بأسلوب الاستفهام، يتضمن دعوتهم إلى اتقاء عقاب الله وعذابه، مع ما قد يحمل من تعجب واستغراب واستنكار.

أي: إذا لم تؤمنوا بالله، ولم تعبده وحده لا شريك له؛ نزل بكم عقابه وعذابه يوم الدين، مع عذاب وعقاب قد ينزل بكم في الدنيا. فالرشد والعقل يقتضيان منكم أن تتقوا ذلك بالإيمان بأن الله هو رب العالمين الذي لا رب في الوجود غيره، وبأنه هو الإله الواحد الأحد، الذي لا إله بحق في الوجود كله غيره، وبالتعبير عن إيمانكم الصادق بعبادته وحده.

العبادة: هي الخضوع والطاعة على مقدار الاستطاعة، والقيام بما يرضي المعبود، وترك ما لا يرضيه. ورأس العبادة الدعاء بالغيب، لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَقَالَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام لِرَفْضِ دَعْوَتِهِ لَهُمْ:

• ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ قَرِيبٌ هُوَ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٧٥﴾﴾:

• ﴿الْمَلَأُ﴾: هُمْ سَادَةُ الْقَوْمِ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَوُجْهَاتُهُمْ وَأَعْيَانُهُمُ الَّذِينَ يَمْلَأُونَ عُيُونَ الْعَامَّةِ.

• ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: هَذِهِ الْعِبَارَةُ قَدْ تَكُونُ وَصْفاً تَقْيِيدِيّاً لِلْقَائِلِينَ مِنْ مَلَائِقَةِ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ تَكُونُ وَصْفاً كَاشِفاً، وَالْاِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَرْجَحُ فِيمَا أَرَى، لِأَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي قَالُوهُ لَا يَقُولُونَهُ إِلَّا إِذَا كَانُوا كَافِرِينَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ مَلَائِقَةِ قَوْمِهِ قَدْ آمَنُوا بِهِ، وَبِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ.

• ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: أَي: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَجَمَاهِيرِهِمْ مَا هَذَا الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَرُسُولٌ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ، وَيَتَزَوَّجُ كَمَا تَتَزَوَّجُونَ، وَيَعْمَلُ لِكَسْبِ رِزْقِهِ كَمَا تَعْمَلُونَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مُؤَهَّلاً لِأَنْ يَكُونَ نَبِيّاً يَتَلَقَّى الْوَحْيَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا أَنْ يَكُونَ رَسُولاً يُبَلِّغُنَا مَا يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُبَلِّغَنَا إِيَّاهُ.

وأشاروا إلى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «هَذَا» لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ بِاحْتِرَامٍ وَإِكْبَارٍ، اِزْدِرَاءً بِهِ، وَسُخْرِيَةً مِنْهُ، لِيَصُدُّوا جَمَاهِيرَهُمْ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ.

• ﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾: التَّفَضُّلُ: تَكَلُّفُ الْفَضْلِ، وَالْفَضْلُ فِي اللَّغَةِ: الزِّيَادَةُ، وَشَاعَ فِي زِيَادَةِ الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ وَالْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

زَعَمَ مَلَائِقَةُ قَوْمِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِينَ كَفَرُوا لَجَمَاهِيرِهِمْ أَنَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيدُ بَادِعَاءً أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَا فَضْلٍ عَلَيْهِمْ بِصِفَةِ لَا

يَمْلِكُونَ نَظِيرَهَا، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَجْعَلُهُ سَيِّدًا عَلَيْهِمْ، وَقَائِدًا لَهُمْ، وَأَمِيرًا نَاهِيًا مُطَاعًا، يَسْتَمِدُّ سُلْطَانَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَفْرِضُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ فِي رِسَالَتِهِ، إِذْ هُوَ كَاذِبٌ فِي ادِّعَائِهِ.

• ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: أي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ رُسُلًا إِلَى النَّاسِ يُبَلِّغُونَ عَنْهُ دِينَهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً، وَلَمْ يُرْسِلْ رُسُلًا بَشَرًا، زَاعِمِينَ وَمُوهِمِينَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَا تَقْضِي بِهِ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، أَوْ هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُمْكِنُ الَّذِي تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ.

وَأَمَّا أَنْ يُرْسِلَ رَسُولًا بَشَرًا فَهَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَلَا مَقْبُولٍ، وَمُدَّعِي الرِّسَالَةِ مِنَ الْبَشَرِ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، تَنْهَيًا لَهُ أُمُورٌ يَزْعُمُ بِهَا أَنَّهُ رَسُولٌ، أَوْ هُوَ كَذَّابٌ يَقْتَرِي عَلَى اللَّهِ.

إِنَّهُمْ يَتَنَاقَضُونَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ فِي قَبُولِ هَذَا التَّوَهُّمِ، إِذْ قَبِلُوا أَنْ يَتَلَقَّى الْمَلَائِكَةُ عَنِ اللَّهِ، مَعَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ الْقَادِرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَلَائِكَةً لَدَيْهِمْ الْاسْتِعْدَادُ لِلتَّلَقِّي عَنْهُ؛ كَيْفَ لَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ هَذَا الْاسْتِعْدَادِ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَضْطَفِيهِمْ بِالنُّبُوَّةِ، ثُمَّ يُكَلِّفُهُمْ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا إِلَى أَقْوَامِهِمْ.

• ﴿... مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤): أي: مَا وَصَلَتْ أَخْبَارٌ إِلَى أَسْمَاعِنَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَقَ فِي تَارِيخِ أَجْدَادِنَا الْقَدَمَاءِ؛ أَنْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنَ الْبَشَرِ يُبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ بِهَذِهِ الْمَقُولَةِ إِضَافَةَ دَلِيلٍ تَارِيخِيٍّ يَشْهَدُ لادِّعَائِهِمْ بِأَنَّ الْبَشَرَ لَا يَضْلُحُونَ لِأَنْ يَكُونُوا رُسُلًا لِلَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ إِزْسَالَ رَسُولٍ إِلَى النَّاسِ.

وهذا الدليل ساقط لا تنهض به حجة، لأنه قائم على ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِإِزْسَالِ رَسُولٍ سَابِقِينَ.

إِنَّهُمْ لَوَ صَدَقُوا لَمَّا كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ عَدَمِ إِرْسَالِ رُسُلٍ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَكَمْ مِنْ أَخْبَارٍ ضَاعَتْ فِي التَّارِيخِ، وَلَا سِيمًا فِي الْقُرُونِ الْأُولَى
الَّتِي لَمْ تَكُنِ الْأَخْبَارُ فِيهَا تُدَوَّنُ فِي الْكُتُبِ.

وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ انْحَرَفَتْ عَنْ دِينِ اللَّهِ
الْحَقِّ؛ إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا رَسُولًا مُنْذِرًا، اسْتِكْمَالًا لِحِكْمَةِ الْإِبْتِلَاءِ
فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهَا نَبِيٌّ أَوْ مُبَلِّغُونَ
يُبَلِّغُونَهَا رِسَالَةَ رَسُولٍ سَابِقٍ.

إِنَّ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ؛ لَا يَقْتَضِي أَنْ مَا تَتَضَمَّنُهُ الْأَخْبَارُ
غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ.

• ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: «إِنْ» حرف نفى مثل «مَا». «جِنَّةٌ»
أي: جنون، يُقَالُ لُغَةً: «جُنٌّ، جَنًّا، وَجُنُونًا، وَجِنَّةٌ، وَمَجِنَّةٌ» أي: زَالَ
عَقْلُهُ.

عبارة: ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ بِصِيغَةِ الْمُضَدِّ الْمُنْكَرِ؛ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ
يَقْصِدُوا أَنْ يَقُولُوا: هُوَ مَجْنُونٌ جُنُونًا مُطْبِقًا، بَلْ مَا فِيهِ هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ
الْجُنُونِ، وَقَدْ يَعْنُونَ جُنُونَ الْعَظَمَةِ وَحُبَّ الْاسْتِعْلَاءِ.

وَالْقَصْرُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ مِنْ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، وَهُوَ
مِنْ نَوْعِ الْقَصْرِ الْإِضَافِيِّ.

• ﴿... فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٥): فَتَرَبَّصُوا: أي: فَتَرَبَّصُوا
وَانْتَظَرُوا. يُقَالُ لُغَةً: «رَبَّصَ بِالشَّيْءِ رَبْصًا، وَتَرَبَّصَ بِهِ تَرَبُّصًا» أي: اُنْتَظَرَ
بِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا.

المعنى: فَانْتَظَرُوا بِهِ إِلَىٰ حِينٍ مَا شَيْئًا نَخْلُصُ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ،
وَمِنْهَا اُنْتَظَارُ مَوْتِهِ، فِي زَمَنِ سَيَاتِي.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا لَقِطَةً مِنْ أَوَاخِرِ مَسِيرَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةُ، وَيَأْسِهِ مِنْ اسْتِجَابَةِ قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِ، وَتَهْدِيدِ قَوْمِهِ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ بِالرَّجْمِ:

● ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ (٢٣): أي: قال: رَبِّ انصُرْنِي بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ لِي. «ما» في ﴿بِمَا﴾: مُضْدرِيَّةٌ.

وَسَكَتَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ عَنْ تَعَرُّضِهِ وَتَعَرُّضِ أَهْلِهِ لِتَهْدِيدِ قَوْمِهِ لَهُمْ بِالرَّجْمِ تَأْدِيبًا مَعَ اللَّهِ، وَتَسْلِيمًا لِمَا يَقْدُرُهُ وَيَقْضِيهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَا أَمَرَ بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ، مَعَ تَوَابِعِ صِنَاعَتِهِ لَهُ:

● ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ لِلَّهِ الْخُذْ إِلَيَّ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِزْلًا مَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾:

● ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾:

الْفَاءُ فِي ﴿فَأَوْحَيْنَا﴾ فَصِيحَةٌ تَعْطِفُ عَلَى مَحْذُوفٍ، أَي: فَاسْتَجَبْنَا دُعَاءَهُ، وَقَدَّرْنَا نَصْرَهُ وَقَضَيْنَاهُ، وَاخْتَرْنَا إِهْلَاكَ قَوْمِهِ الظَّالِمِينَ بِوَسِيلَةِ الْإِغْرَاقِ، وَأَعْلَمْنَاهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، فَلَا تَبْتِئْسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (أَخْذًا مِنْ نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ أُخْرَى)، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا.

«أَنْ» فِي الْعِبَارَةِ: تَفْسِيرِيَّةٌ، وَهِيَ بِمَعْنَى «أَي»، وَهِيَ الَّتِي يَسْبِقُهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ.

أَصْلُ الصَّنْعِ الْعَمَلُ، وَاشْتَهَرَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي يَتَطَلَّبُ

خِبْرَةً وَمَهَارَةً مَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ بِنَاءَ سَفِينَةٍ تَجْرِي فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ، وَتَحْمِلُ بَشَرًا وَبِهَائِمَ وَمَوَادَّ تَمْوِينِيَّةً، وَتَتَعَرَّضُ لِهَطُولِ أَمْطَارٍ غَزِيرَةٍ عَلَيْهَا كَأَفْوَاهِ الْقُرْبِ، وَيَتَقَادَفُهَا مَوْجٌ كَالْجِبَالِ؛ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَهَارَةٍ صِنَاعِيَّةٍ رَفِيعَةٍ جِدًّا، يُبَاشِرُهَا دُوَّ خِبْرَةٍ عَالِيَةٍ فِي الْهَنْدَسَةِ وَالْبِنَاءِ وَالتَّفْصِيلِ وَالتَّرْكِيبِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِحَاطَةٍ بِالتَّوْجِيهِ وَالتَّسْهِيدِ التَّامِّينِ، حَذَرًا مِنْ وَقُوعِ الْخَلَلِ أَوْ الْخَطَأِ الَّذِي قَدْ يُودِي بِرُكَّابِ السَّفِينَةِ إِلَى الْعَرَقِ السَّرِيعِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَطْلُوبَ صُنْعُهُ عَمَلٌ مُبْتَكِرٌ، لَمْ يَخْضَعْ لَتَجَارِبٍ، وَإِنَّمَا يُصْنَعُ لِيَكُونَ هُوَ وَسِيلَةَ النِّجَاحِ مُبَاشَرَةً بَعْدَ إِنْتِمَائِهِ الصَّنْعِ.

ومع أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَتْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالنَّجَارَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ سَفُنًا بَحْرِيَّةً، وَلَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِلْمٌ بِالسُّفُنِ فِي زَمَانِهِ، لِهَذَا كَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِمَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ لِصُنْعِهَا، وَأَنْ يُحَاطَ بِالْعِنَايَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْحَفَظِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ إِلَيْنَا الْأَنْبِيَاءَ﴾ أَي: بِعِنَايَتِنَا وَمُرَاقَبَتِنَا الدَّائِمَةِ لَكَ، وَوَحِينَا إِلَيْكَ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَهُ.

الْفُلُكُ: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَرَكَبَةٍ بَحْرِيَّةٍ تَجْرِي فِي الْمَاءِ، وَلَفْظُ «الْفُلُكِ» يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ.

• ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ...﴾:

وَقَرَأَ جُمْهُورُ الْقُرَّاءِ: [مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] بِإِضَافَةِ لَفْظِ «كُلِّ» إِلَى «زَوْجَيْنِ»، أَي: مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ مِنْ أَصْنَافِ الْبَهَائِمِ اثْنَيْنِ، وَلَا تَحْمِلُ أَكْثَرُ، فَلَا ثَنَانٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى مَعَ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَكْفِيَانِ لِلتَّكَاثُرِ فِيمَا بَعْدُ.

وَالْتَّنْوِينُ فِي لَفْظِ «كُلِّ» عَلَى قِرَاءَةِ حَفْصٍ عَوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْمَحذُوفِ.

• ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: فإذا جاءتْ مُقَدِّمَاتُ تَنْفِيذِ أَمْرِنَا بِإِهْلَاكِ ظَالِمِي قَوْمِكَ غَرَقًا:

• ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾: التَّنُور: هُوَ الْفُرْنُ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ، وَرُويَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: أَنَّ التَّنُورَ وَجْهَ الْأَرْضِ، وَجَاءَ فِي اللُّغَةِ أَنَّ كُلَّ مَفْجَرٍ مَاءٍ تَنْوَرُ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي صَالِحَةٌ.

أي: وَفَارَتِ الْعُيُونُ فَوْرَانًا زَائِدًا عَنْ عَادَتِهَا، وَفَارَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْمَاءِ مِنَ الْمَوَاقِعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَتَفَجَّرُ فِيهَا عُيُونُ الْمَاءِ، حَتَّى الْأَمَاكِنُ الْبَعِيدَةُ عَنْ مَوَاطِنِ الْعُيُونِ، كَالْمَخَابِرِ فَارَتْ أَيْضًا بِالْمَاءِ.

يقال لغة: «فَارَ الْمَاءُ، يَفُورُ، فَوْرًا، وَفَوْرَانًا» أي: خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ وَجَرَى مُتَدَفِّقًا، فَهُوَ «فَوَارٌ».

• ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾: أي: فَأَدْخَلَ فِي الْفُلْكِ بَانِتِظَامٍ وَإِحْكَامٍ.

• ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾: أي: مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّتِي يُهْمُّكَ حَمْلُهُ لِلتَّكَاثُرِ عِنْدَ الْهُبُوطِ مِنَ الْفُلْكِ إِلَى الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ؛ زَوْجَيْنِ، أَحَدُهُمَا ذَكَرٌ وَالْآخَرُ أُنْثَى.

• ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: أي: وَأَسْلَفَكَ فِي الْفُلْكِ أَهْلَكَ كُلَّهُمْ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ الصَّادِرُ عَنَّا بِأَنَّهُ مِنَ الْمُغْرَقِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ وَبَقِيَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَدَلَّ نَصٌّ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ عَلَى أَنَّ أَحَدَ أَوْلَادِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ نَسَبًا، لَكِنَّهُ بِكُفْرِهِ قَطَعَ حَقَّهُ فِي أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿... وَلَا تَحْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٧٧): أي: وَلَا تُحَاطِبْنِي يَا نُوحُ فِي رَفْعِ هَذَا الْعِقَابِ عَنْهُمْ، أَوْ إِمْهَالِهِمْ، أَوْ التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَأَمْرُ إِهْلَاكِهِمْ جَمِيعًا صَارَ قَضَاءً مُبَرَّمًا، وَطَرِيقُهُ إِهْلَاكِهِمْ سَتَكُونُ إِغْرَاقًا بِالْمَاءِ، مَعَ أَنَّهُمْ فِي بَرٍّ آمِنٍ مِنَ الْغَرَقِ بِحَسَبِ الْعَادَةِ.

• ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ أَلَمَّذُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوَمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ :

أي: فَإِذَا حَصَلَ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ الْإِسْتِقْرَارُ الْمَلَائِمُ الْمُسْتَوِي الَّذِي لَا يَجْعَلُ بَعْضُ جَوَانِبِ الْفُلِكِ أَثْقَلَ مِنْ مُقَابِلِهِ، لِتَكُونَ عِنْدَ الْجَزْيِ مُسْتَوِيَةً عَلَى الْمَاءِ، وَأَخَذْتَ تَجْرِي مُسْتَوِيَةً؛ فَادْكُرِ اللَّهَ بِالنَّاءِ عَلَيْهِ، وَاحْمَدُهُ فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا بِتَدْبِيرِهِ وَعِنَايَتِهِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، أَي: مِنْ دَرَكَةِ أَشْنَعِ الْكُفْرِ مَعَ تَهْدِيدِ رَسُولِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَهْدِيدِ أَهْلِهِ بِالرَّجْمِ، لِلتَّخَلُّصِ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَنَبَذِ الشِّرْكَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ.

نَجَّانَا: أَي: خَلَّصَنَا وَأَنْقَذَنَا.

• ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ :

أي: وَقُلْ يَا نُوحُ رَبِّ أَنْزِلْنِي (أَي: أَنَا وَمَنْ مَعِيَ) مُنْزَلًا مُبَارَكًا (أَي: مَكَانَ إِنْزَالٍ مُبَارَكٍ، وَإِنْزَالًا مُبَارَكًا فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ لَنَا)، وَأَنْتَ رَبُّ خَيْرِ الْمُنْزِلِينَ لِلْعِبَادِ - إِذَا شِئْتَ - الْخَيْرِ الْكَثِيرَ لَهُمْ.

عبارة: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ عِبَارَةٌ ثَنَاءً عَلَى اللَّهِ تَتَضَمَّنُ دُعَاءً بِأَنْ يُنْزِلَهُمْ بَعْدَ الرُّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ خَيْرَ مَكَانٍ نُزُولٍ وَخَيْرَ إِنْزَالٍ.

• ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ : أَي: إِنَّ فِيهَا عَرَضَاتٍ دَالَاتٍ مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ آيَاتٍ عَدِيدَاتٍ دَالَاتٍ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ الْعَظِيمَةِ، وَأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَمِنْهَا حِكْمَتُهُ فِي امْتِحَانِ عِبَادِهِ، وَفِي مَجَازَاتِهِمْ بِالْعَدْلِ وَبِالْفَضْلِ.

لَمُبْتَلِينَ: أَي: لِمُمْتَحِنِينَ عِبَادَنَا جَمِيعًا مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ وَمَنْ آمَنَ حَتَّى رُسَلْنَا، «وَأَنَّ» هَذِهِ الْمَحَقَّقَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارَقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحه.



(٩)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٣١ - ٤١)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَرَأَيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٣٢﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾ هَٰئِلَاتِ هَٰئِلَاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤١﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعِيرِ ﴿٤٢﴾﴾

القراءات:

(٣٢) • قرأ يعقوب: [فِيهِمْ] بِضَمِّ الْهَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ] بِكَسْرِ الْهَاءِ.

(٣٢) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [أَنْ اعْبُدُوا]

بِكَسْرِ النُّونِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَنْ اعْبُدُوا] بِضَمِّ النُّونِ.

(٣٢) • قرأ الكسائي، وأبو جعفر: [مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ] بِجَرِّ (غَيْرِهِ)

مراعاة للفظ «إِلَه».

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ] بِرَفْعِ (غَيْرِهِ) مراعاة لِمَحَلِّ «إِلَه».

(٣٥) • قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [مِثْمُ]، وهي لغة مَسْمُوعَة.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مُتْم] على القياس.

فالقراءتان وجهان عَرَبِيَّان.

(٣٦) • قرأ أبو جعفر: [هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ] بِكَسْرِ التَّاءِ فِيهِمَا.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ] بِفَتْحِ التَّاءِ فِيهِمَا.

وهما وَجْهَانِ عَرَبِيَّان.

(٣٩) • قرأ يَعْقُوبُ: [كَذَّبُونِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوَضَلِ

وَالْوَقْفِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَة: [كَذَّبُونِ] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ

مِلَاحَظَتِهَا ذَهْنًا.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لِقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ عَادٍ، دُونَ تَضْرِيحٍ بِذِكْرِ اسْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْمِ قَوْمِهِ.

وَقَدْ سَبَقَتْ دِرَاسَةُ هَذَا الدَّرْسِ دِرَاسَةُ تَدْبِيرِيَّةٍ تَكَامُلِيَّةٍ؛ فِي الْمُلْحَقِ الثَّانِي مِنْ مَلَا حَقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول).

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ مَنْ أَنْشَأَهُمْ بَعْدَ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَفَرَة:

• ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١): أَي: وَبَعْدَ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُرُورِ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ مِنَ الدَّهْرِ؛ أَنْشَأْنَا قَرْنًا آخَرِينَ، يُطْلَقُ «الْقَرْنُ» وَيُرَادُ بِهِ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُمْ اقْتَرَنُوا مَعًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

وَكُلُّ قَوْمٍ لِرَسُولٍ عَاشُوا فِي زَمَانِهِ هُمْ قَرْنُهُ. دَلَّ عَلَى مُرُورِ مُدَّةٍ غَيْرِ قَصِيرَةٍ حَرْفُ الْعُطْفِ «ثُمَّ».

وهؤلاء هم «عَادٌ» قَوْمُ النَّبِيِّ الرَّسُولِ «هُودٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِهِمْ:

• ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢):

وفي القراءة الأخرى: [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ] مُرَاعَاةٌ لِحَرَكَةِ حَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ فِي: [مِنْ إِلَهٍ].

أي: فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ نَسَبًا وَلُغَةً وَمَكَانَ إِقَامَةٍ هُوَ «هُودٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِرِسَالَةٍ كَلَّفْنَاهُ فِيهَا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذْ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَأَنْ يَقُولَ لَهُمْ وَاعْظَا وَمُحَذِّرًا لَهُمْ مِنْ عِقَابِ رَبِّهِمْ عَلَى شُرَكِيَّاتِهِمْ وَلَوَازِمِ شُرَكِيَّاتِهِمْ فِي السُّلُوكِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، بَعَرَضٍ مَشُوبٍ بِتَلْوِيمٍ إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ لَقَطَاتٍ مِنْ مُوجَزِ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَعَ قَوْمِهِ:

• ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرِفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٣٤):

الْمَلَأُ: أَشْرَافُ الْقَوْمِ وَأَعْيَانُهُمْ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَأَ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ:

الصِّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُمْ كَفَرُوا كُفْرًا إِرَادِيًّا، بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ مِنْ حَقٍّ أَدْرَكُوا أَنَّهُ حَقٌّ، بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي قُدِّمَتْ لَهُمْ، بِشَأْنِ رَبُّوبِيَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ بِحَقِّ غَيْرِهِ.

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُمْ كَذَبُوا بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَلِقَاءِ اللَّهِ فِيهَا لِلْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَرَفِّينَ قَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَكَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ بِهَا.

المترف: هو الكثير الاستمتاع بما أنعم الله عليه مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَأْتِي لَفْظُ «الْمُتَرَفِّ» بِمَعْنَى الْبَطْرِ الْمُسْتَكْبِرِ.

الواو في: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي﴾ تَعَطَّفُ عَلَى مَحذُوفٍ، وَهُوَ كُلُّ مَا قَالُوهُ فِي قِصَّتِهِمْ مَعَ رَسُولِهِمْ، وَرَفَضِهِمْ الِاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهُوا لِجَمَاهِيرِهِمْ، بُغْيَةً صَدَّهُمْ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أي: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ عَادٍ لِجَمَاهِيرِهِمْ: مَا هَذَا الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّكُمْ وَيَأْتِيكُمْ بِبَلَاغَاتٍ عَنْهُ؛ إِلَّا بَشَرٌ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ مِنْ طَعَامٍ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ مِنْ شَرَابٍ، فَهُوَ لَا يَصْلَحُ لِأَنْ يَكُونَ رَسُولًا يَتْلَقَى عَنِ اللَّهِ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِي وَالتَّعْلِيمَاتِ، إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

هَذِهِ مَقُولَةٌ تَضْلِيلِيَّةٌ كَاذِبَةٌ، بَلِ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ إِلَى الْبَشَرِ بَشَرًا مِثْلَهُمْ.

وَقَالُوا لِجَمَاهِيرِهِمْ أَيْضًا:

• ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ: إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ﴾ ﴿٣٤﴾:

أي: وَتُقْسِمُ لَكُمْ بِأَنَّكُمْ أَهْلِ الْجَمَاهِيرِ إِنْ أَطَعْتُمْ وَاتَّبَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى نَبْدِ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهَةٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَرَكْ عَادَاتِكُمْ وَتَقَالِيدَكُمْ الْمُورُوثَةَ؛ إِنَّكُمْ حِينَئِذٍ لَخَاسِرُونَ.

عِبَارَاتٌ مَشْحُونَاتٌ بِالْمُؤَكَّدَاتِ بُغْيَةً الْإِقْنَاعِ بِالْبَاطِلِ الَّذِي يُرِيدُ كُفْرَاءَ عَادٍ إِقْنَاعَ جَمَاهِيرِهِمْ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ مَقَالَاتٍ مَلَأَ عَادٍ لِحِمَاهِهِرْهَمَ بُغْيَةً صَدَّهْمَ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِذَعْوَةِ رُسُولِهِمْ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿أَيُّدُكُمْ أَتَمَّ إِذَا مِثْمَ وَكُثْمَ تُرَابًا وَعِظْلَمًا أَتَمَّ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾:

أي: وَقَالَ مَلَأَ قَوْمَ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحِمَاهِهِرْهَمَ بِأَسْلُوبِ الِاسْتِفْهَامِ الِإِنْكَارِيِّ الِاسْتِهْزَائِيِّ: أَيُّدُكُمْ وَغَدًا عَجِيبًا مُسْتَعْرَبًا بَعِيدًا عَمَّا يُقْبَلُ فِي الْعُقُولِ، فَيَذْكُرُ لَكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِثْمَ، وَدُفِنْتُمْ فِي قُبُورِكُمْ، وَبَلَيْتَ أَجْسَادُكُمْ، وَصِرْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا نَخْرَةً بَالِيَةً؛ سَوْفَ تُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءَ، وَتُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ، لِتَلْقَوْا حِسَابَ رَبِّكُمْ، وَحُكْمَهُ فِيكُمْ، ثُمَّ لِيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ؟؟؟.

وقالوا: ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

هَيَّاتَ: اسم فعلٍ ماضٍ بِمَعْنَى «بَعُدَ»، أي: مَا تُوعَدُونَهُ مِنَ الْبُعْثِ وَالْحَيَاةِ الْآخَرَى أَمْرٌ مُسْتَعْرَبٌ مُسْتَبْعَدٌ لَا تُصَدِّقُهُ الْعُقُولُ.

وَبَعْدَ هَذَا الِاسْتِجْعَادِ الَّذِي لَا يَقْتَرِنُ بِحُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ؛ تَصَوَّرُوا أَنَّ جَمَاهِيرَهُمْ افْتَنَعُوا بِمَقَالَتِهِمْ، فَقَالُوا لَهُمْ جَازِمِينَ: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، يَمُوتُ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا، وَيَحْيَا مَنْ يَحْيَا فِيهَا فَقَطْ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ لِلْعَيْشِ فِي ظُرُوفِ حَيَاةٍ أُخْرَى.

وَشَعَرَ مَلَأُ «عَادٍ» أَنَّهُمْ اسْتَحْوَذُوا عَلَى نُفُوسِ جَمَاهِيرِهِمْ فَقَالُوا لَهُمْ بِشَانَ رُسُولِهِمْ «هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»:

• ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾:

أي: مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ كَاذِبٌ فِي ادِّعَائِهِ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَلَا بِمُسْلِمِينَ لَهُ.

صُمِّنَ لَفْظُ «مُؤْمِنِينَ» الَّذِي يُعَدَّى بِالْبَاءِ؛ مَعْنَى لَفْظِ «مُسْلِمِينَ» الَّذِي يُعَدَّى بِاللَّامِ، فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ، فَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ بِإِيجَازٍ شَدِيدٍ نِهَایَةَ عَادِ إِهْلَاكِهِمْ، وَدُعَاءُ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبُّهُ بِأَنْ يَنْصُرَهُ كَمَا دَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبْلُ:

• ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ (٣٩) ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَنَنَّ نَدِمِينَ﴾ (٤١) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١):

أَي: قَالَ هُوْدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ مَسِيرَتِهِ الدَّعْوِيَّةَ لِقَوْمِهِ، بَعْدَ أَنْ يَسَّ مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ: رَبِّ انصُرْنِي بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ لِي.

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَحِيًّا: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَنَنَّ نَدِمِينَ﴾ (٤١): أَي: بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ أَكْثَدُ لَكَ أَنََّّهُمْ يُصْبِحُونَ نَادِمِينَ، إِذْ يَأْتِيهِمْ عَذَابُنَا فِي الصَّبَاحِ. لَفْظُ «مَا» بَعْدَ «عَنْ» فِي ﴿عَمَّا﴾ حَرْفُ زَائِدٍ لِتَوْكِيدِ قِلَّةِ الزَّمَنِ.

وَنَزَلَ بِهِمْ عِقَابُ اللَّهِ فِي الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ لِإِهْلَاكِهِمْ، فَأَخَذَتْهُمُ مَعَ الرِّيَّاحِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَى أَرْضِهِمُ الصَّيْحَةُ الْعُظْمَى، وَهِيَ صَوْتُ عَظِيمٍ مُهْلِكٍ، وَتُطْلَقُ الصَّيْحَةُ عَلَى الْعَذَابِ، وَكَانَ أَخْذُهَا لَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَ تَعْدِيْبِهِمْ أَخْذًا بِالْحَقِّ، إِذْ كَانُوا ظَالِمِينَ.

• ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً﴾: أَي: فَجَعَلْنَاهُمْ بَعْدَ إِهْلَاكِهِمْ مِثْلَ الْغُثَاءِ، وَهُوَ مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ رَغْوَةٍ وَمِنْ فُتَاتِ الْقُمَامَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَحْمِلُهَا السَّيْلُ.

• ... ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١): أَي: فَطَرْدَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ مِنْ مَوَاقِعِ تَنْزَلَاتِ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وبهذا انتهت الدرس الخامس من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِه.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دُروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٤٢ - ٤٤)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَأُ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

القراءات:

(٤٤) • قرأ أبو عمرو: [رُسَلْنَا] بِسُكَّانِ السَّيْنِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسَلْنَا] بِضَمِّ السَّيْنِ.
وهما نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

(٤٤) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [تَتْرَأُ] بِالتَّنْوِينِ
وصلاً، وَيَبْدَالِهِ أَلِفًا وَقَفًّا.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَتْرَأُ] وَضلاً وَقَفًّا.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مُجْمَلٌ عَنْ رُسُلِ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بَعْدَ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَدَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ، وَعَنْ رُسُلٍ تَتَابَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ،
وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَكَ أَقْوَامَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ وَرَفَضُوا الْاسْتِجَابَةَ
لِدَعْوَتِهِمْ، وَكَانَ إِهْلَاكُهُ لَهُمْ مِنْ آثَارِ حِكْمَتِهِ وَعَذْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَظُمَ
سُلْطَانُهُ، وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾:

أي: وَبَعْدَ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي أَهْلَكْنَا بِرِ عَادًا قَوْمَ «هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَام» أَنشَأْنَا قُرُونًا مُتَعَدِّدِينَ آخِرِينَ.

القرن: هو من الناس أهلُ زَمَانٍ واحد، وَكُلُّ قَوْمٍ رَسُولٍ عَاشُوا فِي زَمَانِهِ هُمْ قَرْنُهُ.

وَأَرْسَلْنَا إِلَى هَذِهِ الْقُرُونِ رُسُلًا، فَكَذَّبُوهُمْ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ وَحَيًّا مِنْ لَدُنَّا، فَاسْتَحَقُّوا الْإِهْلَاكَ كَمَا أَهْلَكْنَا عَادًا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، أَشَارَ إِلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

هَذَا الْاسْتِعْمَالُ جَاءَ فِي الْآيَةِ (٥) مِنْ سُورَةِ (الحجر/ ٥٤ نزول) بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾.

وَسَائِرُ نَظَائِرِهِ جَاءَتْ فِي مَعْرِضِ إِهْلَاكِ مُسْتَحَقِّي الْإِهْلَاكِ مِنْ أَقْوَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَام.

وَالْمَعْنَى: لِكُلِّ أُمَّةٍ كَافِرَةٌ قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى إِهْلَاكَهَا بِكُفْرِهَا، وَتَكْذِيبِهَا رُسُلَ رَبِّهَا؛ لَا بُدَّ أَنْ يُهْلِكَهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ لِإِهْلَاكِهَا، دُونَ تَقْدِيمِ أَوْ سَبْقِ، وَلَا تَأْخِيرِ.

اسْتَأْخَرَ: طَلَبَ تَأْخِيرَ مَا حَلَّ أَجَلُهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

تَتْرًا وَتَتْرَى: يُقَالُ لُغَةً: «جَاءُوا تَتْرًا، وَجَاءُوا تَتْرَى» أي: مُتَوَاتِرِينَ، وَأَضْلُهُ مِنْ «وَتَرٍ»، وَالتَّابِعُ يُقْصَدُ بِهِ تَتَابُعٌ مَعَ فَاصِلٍ زَمَنِي بَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَآخِر.

أي: وَبَعْدَ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي أَهْلَكْنَا بِهِ قُرُونًا كَذَبَتْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ؛ أَنْشَأْنَا أَمَمًا مُتَعَدِّدَةً، وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا تَتَرَى مُتَتَابِعِينَ مَعَ فَوَاصِلَ زَمَنِيَّةٍ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْأُمَمِ أَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَتْ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ، فَأَهْلَكْنَا هُمْ مُتَتَابِعِينَ، وَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ فِي الْإِهْلَاكِ بَعْضًا.

• ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي: وَلَمْ نُبْقِ أَثَرًا لِأَجْسَادِهِمْ، فَصَارُوا أَحَادِيثَ تُرَوَّى يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ الرُّوَاةُ الْإِخْبَارِيُّونَ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ وُجُودٌ فِي الْحَيَاةِ.

• ﴿... فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فَطَرْدًا مِنْ حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ مُوجَّهًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ، أي: لَيْسَ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِأَنْ يُؤْمِنُوا وَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، مَهْمَا أُمْهِلُوا، إِذْ بَلَغُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ مَعَهَا أَنْ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس السادس من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معاونته، ومدِّه، وتوفيقه، وميثته، وفتحِهِ.



(١١)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٤٥ - ٤٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

تَمْهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ إيجازٌ فِي لَقَطَاتٍ مُخْتَزَلَاتٍ لِقِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِرْسَالِهِمَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ، مَعَ بَيَانِ إِيْتَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابَ التَّوْرَةِ رَغْبَةً فِي هِدَايَةِ الَّذِينَ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ شَرَائِعَ وَأَحْكَامٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٤٥):

أي: وَبَعْدَ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي أَهْلَكْنَا فِيهِ أُمَّمًا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلَنَا تَتْرَى، كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ، أَرْسَلْنَا مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ وَأَخَاهُ هَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - مَصْحُوبَيْنِ بِآيَاتِنَا التَّسْعِ، وَهِيَ: «١ - الْعَصَا ٢ - الْيَدِ ٣ - الْقَمَلِ ٤ - الضَّفَادِعِ ٥ - الدَّمِ ٦ - الطُّوفَانِ ٧ - الْجَرَادِ ٨ - السَّنُونِ وَهِيَ سَنَوَاتُ الْجَذْبِ وَالْفَقْطِ ٩ - نَقْصِ الثَّمَرَاتِ».

• ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٤٥): أي: وَحُجَّةٍ بُرْهَانِيَّةٍ وَاضِحَةٍ تَكْشِفُ صِحَّةَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَفَسَادَ مَا عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ وَمَلَكُهُ وَمِنْ وَرَائِهِمَا الْمَضْرِيُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا:

• ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْنَاهُ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦):

أي: إِلَى فِرْعَوْنَ وَهُوَ مَلِكُ مِصْرَ فِي زَمَانِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، وَإِلَى مَلِكِهِ، وَهُمْ وَزَرَاؤُهُ وَأَعْوَانُهُ فِي سُدَّةِ الْحُكْمِ، وَمُسْتَشَارُوهُ، وَعَلِيَّةُ قَوْمِهِ، وَيُلْحَقُ بِهِمْ سَائِرُ الْمَضْرِيِّينَ، لِأَنَّ دِينَهُمْ تَابِعٌ لِدِينِ فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ.

• ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: أي: فامتنعوا عن قبول الحق معاندةً وتكبراً، واشتدوا في تكبرهم.

• ﴿... وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦): أي: وكانوا قوماً قد وضعوا أنفسهم بما لديهم من جنود مطيعين، وأموال كثيرة، وقصور وجنات؛ موضعاً عالياً رفيعاً جداً بين المصريين، وفوق الإسرائيليين الذين جعلوهم عبيداً لهم.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً:

• ﴿فَقَالُوا أَنْزِلْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ (٤٧) ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨):

أي: فقال فرعون وملؤه بأسلوب الاستفهام الإنكاري الاستكباري: أنؤمن مسلمين لبشرين مثلنا وهما موسى وهارون، وإن جاءا بآيات عظيمة تثبت صحة ادعائيهما، وصحة الدين الذي يدعوان إليه؛ والحال أن قومهما وهم بنو إسرائيل لنا عابدون مسخرون لخدمتنا؟!.

فَكَذَّبُوهُمَا اسْتِكْبَاراً وَعِنَاداً مُصِرِّينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمُ الْعَمِيَاءَ.

• ﴿... فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨): أي: فافتضت حكمتنا أن نهلكهم فأغرقناهم، كما أبتا في غير هذا الموضع من القرآن، ومنه ما سبق بيانه في نجوم التنزيل، فكانوا من زمر المهلكين الذين أهلكناهم في تاريخ الناس، بسبب تكذيبهم رسلنا الصادقين المؤيدين منا بالآيات البينات.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً:

• ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٤٩):

أي: ونقسم لكم مؤكدين أيها الناس الذين تتلقون بياننا هذا؛ أننا

آتَيْنَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - الْكِتَابَ، وَهُوَ كِتَابُ التَّوْرَةِ، بَعْدَ إِهْلَاكِ
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَجُنْدِهِ بِآيَةِ فَلَقِ الْبُحْرِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَهْتَدِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمَا
جَاءَ فِيهِ مِنْ هِدَايَةِ لِلنَّاسِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس السابع من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٢)

التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (المؤمنون) (الآية (٥٠))

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾: ﴿٥٠﴾

القراءات:

(٥٠) • قرأ ابن عامر، وعاصمٌ: [رَبْوَةٍ] بفتح الراء.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُبْوَةٍ] بضم الراء.

رَبْوَةٌ، وَرَبْوَةٌ، وَرَبْوَةٌ: مَا كَانَ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ ارْتِفَاعًا لَا يَصِلُ إِلَى
مُسْتَوَى جَبَلٍ، فَالْقَرَاءَتَانِ نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

تمهيد:

في آية هذا الدرس لَفْظَةٌ عَنْ عِيسَى وَأُمِّهِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،
وإِوَائُهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

التدبر التحليلي:

الْقَرَارُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَثْبُتُ فِيهِ الشَّيْءُ، وَمَضْدَرُ «قَرَّ» بِمَعْنَى أَقَامَ،
وَبِمَعْنَى سَكَنَ وَاطْمَأَنَّ.

• ﴿وَمَعِينٍ﴾: أي: وَمَاءٍ جَارٍ يَسْهُلُ التَّنَاولُ مِنْهُ كَنَهْرٍ، أَوْ جَدُولٍ.
 الْمَعْنَى: وَجَعَلْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فِي حَمَلٍ أُمِّهِ بِهِ دُونَ أَنْ يَمَسَّ أُمُّهُ
 ذَكَرَ فِي زَوَاجٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ آيَةٌ مِنْ آيَاتِنَا الْمُخَالَفَةِ لِسُنَّةِ التَّنَاسُلِ.
 وَتَعَرَّضَ الْأَطْفَالُ الصُّغَارُ لِأَوَامِرِ قَتْلِ فِي بَيْتٍ لَحْمٍ مِنْ قَبْلِ
 «هَيْرُودُس» مَلِكِ فِلِسْطِينَ بِمُوَافَقَةِ رُومَا، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظْهَرَ وَلَدٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ
 دَاوُدَ وَيَتَرَبَّعَ عَلَى عَرْشِ الْبِلَادِ.
 فَأَجْرَى اللَّهُ الطَّافَةَ الْخَفِيَّةَ، فَأَخْرَجَ عِيسَى وَأُمُّهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ مِنَ
 النَّاصِرَةِ، فَجَعَلَهُمَا يَأُويَانِ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ نَقِيٍّ الرِّيحِ، حَسَنٍ الْإِقَامَةِ،
 وَفِيهِ مَاءٌ مَعِينٌ يَسْهُلُ التَّنَاولُ مِنْهُ، خَارِجٌ أَمْكِنَةَ التَّخَوُّفِ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلَةٍ
 «هَيْرُودُس».

وَقَدْ جَاءَ فِي بَيَانِ مَوْضِعِ هَذِهِ الرَّبُّوَةِ عِدَّةُ أَقْوَالٍ:

(١) قِيلَ: هُوَ فِي دِمَشْقَ.

(٢) وَقِيلَ: هُوَ الرَّمْلَةُ مِنْ فِلِسْطِينَ.

(٣) وَقِيلَ: هُوَ فِي مِصْرَ.

وَالْقَوْلُ الْأَخِيرُ يُوَافِقُ مَا جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى «مَتَّى»، وَفِي
 الْإِنْجِيلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى «بَرْنَابَا».

وَلَمَّا بَلَغَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعُمَرِ سَبْعَ سِنِينَ، وَكَانَ قَدْ هَلَكَ
 «هَيْرُودُس»؛ رَجَعَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى النَّاصِرَةِ.

وَلَمَّا بَلَغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ عُمرِهِ؛ سَافَرَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ، وَدَخَلَ وَسَطَ الْعُلَمَاءِ، وَصَارَ يُحَاجُّهُمْ فِي مُخَالَفَاتِهِمْ لِلشَّرِيعَةِ
 الَّتِي أَوْحَى اللَّهُ بِهَا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثه، وتيسيره.



(١٣)

التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٥١ - ٥٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾
وَلَاِنَّ هَذِهِ أُمْتُكُمْ أُمَّةٌ وَجِدَّةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَتَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّ مَا بُدِّعُوا
بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نَسَاجِدُ هُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾:

القراءات:

(٥٢) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: [وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ] بفتح همزة «أَنَّ»، أي: واعلموا أَنَّ.

وقراها ابن عامر: [وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ] بفتح الهمزة وإسكان النون، على أَنَّها المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ] على أَنَّها جملة مستأنفة.

(٥٢) • قرأ يعقوب: [فَاتَّقُونِي] بإثبات ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاتَّقُونِ] بحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً.

(٥٣) • قرأ يعقوب، وحمزة: [لَدَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَدَيْهِمْ] بكسر الهاء.

وهما لغتان.

(٥٥) • قرأ أُنْبُ عَامِرٍ، وعَاصِمٌ، وحمزة، وأبو جعفر: [أَيَحْسَبُونَ]

بفتح السين.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَيَحْسَبُونَ] بِكسر السين.

وَهُمَا لَغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ الظَّنُّ الضَّعِيفُ السَّاقِطُ.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَاطَبَ الْمُرْسَلِينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامَ - جَمِيعاً بِأَنَّ أَقْوَامَهُمْ أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَكِنْ أَقْوَامُهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَذَا التَّكْلِيفِ الرَّبَّانِيِّ، بَلْ تَفَرَّقُوا إِلَى أَحْزَابٍ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، مَعَ تَوْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَسْلُوبٍ يُعَامِلُهُمْ بِهِ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْآيَةِ (٩٢) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/٧٣) نَزُولُ بَيَانٍ مُوجِزٍ لِمَضْمُونِ هَذَا الدَّرْسِ، وَجَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ مِنْ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) بَيَانٌ أَوْسَعُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى نِدَاءٌ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَيُلْحَقُ بِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ:

• ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١):

أَيُّ: كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَهِيَ الَّتِي أَحْلَلْتُهَا لَكُمْ، فَهِيَ بِذَوَاتِهَا طَيِّبَاتٌ، وَهِيَ بِجَعْلِهَا حَلَالًا طَيِّبَاتٌ طَيِّبًا مَعْنَوِيًّا، فَاجْتَمَعَتْ فِيهَا مِيزَتَانِ.

الطَّيِّبُ: ضِدُّ الْخَبِيثِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى النَّاسِ الْخَبَائِثَ، وَهِيَ الْأَشْيَاءُ الْقَذِرَةُ وَالضَّارَّةُ، وَالطَّيِّبُ مِنَ الْمَأْكَلِ مَا هُوَ لَذِيذٌ لَا ضَرَرَ فِيهِ.

• ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾: أي: واعملوا عملاً صالحاً من كل شيء له
اِخْتِمَالاً: عَمَلٌ صَالِحٌ، وَعَمَلٌ فَاسِدٌ.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ كُلُّ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَعْمَلُوهُ،
وَالْعَمَلُ غَيْرُ الصَّالِحِ هُوَ كُلُّ عَمَلٍ نَهَى اللَّهُ عِبَادَهُ عَنْ أَنْ يَعْمَلُوهُ.

• ﴿... إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١): فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ كِنَايَةٌ عَنِ
التَّرْغِيبِ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ فِعْلِ غَيْرِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ
عنها، طمعاً بِثَوَابِهِ وَخَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ، إِذِ الْعَلِيمُ بِالْأَعْمَالِ الْجَوَادِ الْعَدْلُ قَدْ
أَعَدَّ لِعِبَادِهِ ثَوَاباً وَعِقَاباً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً لِدَعَاةِ لَجَمِيعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَعَهُمُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ:

• ﴿وَلِئِنْ هَدَيْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢):

يُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا سَبَقَ أَنْ أَنْزَلَهُ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/
٧٣ نزول) مَعَ تَكَامُلِ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِيهَا:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢):

أي: فَاعْبُدُونِي وَحْدِي، وَلَا تَفْرُقْكُمْ الْأَهْوَاءُ وَالْعَصِيَّاتُ وَالْأَنَانِيَّاتُ،
وَمَتَاعَاتُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا عِقَابِي، فَإِنَّكُمْ إِذَا تَفَرَّقْتُمْ، وَلَمْ تَعْمَلُوا بِأَمْرِي
بِأَنْ تَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً: عَاقِبَتُكُمْ، وَهَذَا الْخِطَابُ مُوجَّهٌ لِاتِّبَاعِ الرُّسُلِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا الرُّسُولَ اللَّاحِقَ كَمَا اتَّبَعُوا
الرُّسُولَ السَّابِقَ، إِذْ هُمْ جَمِيعاً أُمَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَيَعْبُدُونَ رَبًّا وَاحِداً.

فَالْمَعْنَى: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ حَتَّى بَعَثَ آخِرَ
الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ؛ هِيَ
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، غَيْرُ مُتَفَاصِلَةٍ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى رُسُلِهَا الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِتَبْلِيغِ دِينِي
الَّذِي اصْطَفَيْتُهُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَأَنَا رَبُّكُمْ جَمِيعًا، فَاعْبُدُونِي وَخُذِي جَمِيعًا وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرِي، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتِي وَمُخَالَفَتِي، فإذا عَبدْتُمُونِي بِفِعْلِ مَا أَمَرُكُمْ بِهِ، وَتَرَكْتُمْ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ؛ أَذْخَلْتُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّتِي، وَأَثْبَتُكُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا، وَإِذَا عَصَيْتُمُونِي بِتَرَكْتُمْ مَا أَمَرُكُمْ بِهِ، أَوْ فِعْلٍ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ، فَلَمْ تَتَّقُوا عِقَابِي؛ عَاقَبْتُكُمْ عِقَابًا أَلِيمًا، وَجَعَلْتُ مُسْتَحَقِّي الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ خَالِدِينَ فِي النَّارِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ حَالِ أَقْوَامِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، إِذْ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً رَبَّانِيَّةً:

● ﴿فَنَقُطِعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ ذُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

● ﴿فَنَقُطِعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ﴾: أَي: تَفَرَّقُوا، وَبَالَغُوا فِي تَقْطِيعِ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ جَامِعًا لَهُمْ عَلَى أُمَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ.

● ﴿ذُبُرًا﴾: أَي: قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً خَارِجَةً عَنْ صِرَاطِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ. ذُبُرًا: أَي: قِطْعًا. الذُّبُرَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَدِيدَةِ، وَالْجَمْعُ: ذُبُرٌ. وَالذُّبُرُ جَمْعُ «ذُبُورٍ» وَهُوَ: الْكِتَابُ الْمَذْبُورُ. أَي: الْمَكْتُوبُ.

أَي: تَفَرَّقُوا كَتَفَرَّقِ الْكُتُبِ ذَاتِ الْمَضَامِينِ الْمُضَادَّةِ.

● ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: الْحِزْبُ: الْجَمَاعَةُ الْمُتَّفِقَةُ الْمُتَنَاصِرَةُ عَلَى أَمْرِ مَا، وَالْجَمَاعَةُ الَّتِي تَشَاكَلَتْ مَبَادِئُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ.

أَي: فَتَقَطَّعَ الْمُتَمَتُّونَ إِلَى الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَجَعَلُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً، خَارِجَةً عَنِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَكَوْنُوا أَحْزَابًا مُتَعَادِيَةً مُتَخَالِفَةً فِي مَبَادِئِهَا وَأَهْوَائِهَا، وَكُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ بَاطِلٍ، وَفَرِحُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيفَاتٍ فِي دِينِ اللَّهِ، يُرْضُونَ بِهَا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَتَجْعَلُ لِقَادَتِهِمُ الدِّينِيِّينَ زَعَامَاتٍ وَمَصَالِحَ وَمَنَافِعَ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُطَالِبُوا بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، قَبْلَ التَّحْرِيفِ الَّذِي غَيَّرُوا بِهِ دِينَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.

فَتَعَصَّبَ الصَّابِثُونَ لِلَّذِينَ يَنْسُبُونَهُ إِلَى «صَابِئ» عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنْ تَحْرِيفٍ وَنَسْيَانٍ، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينُ صَابِئٍ، وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ.

وَتَعَصَّبَتِ الْيَهُودُ لِلَّذِينَ يَنْسُبُونَهُ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنْ تَحْرِيفٍ وَنَسْيَانٍ، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينُ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ. وَكَذَلِكَ فَعَلْتَ فِرْقَهُمْ.

وَتَعَصَّبَ النَّصَارَى لِلَّذِينَ الْمَحْرَفِ الَّذِي يَنْسُبُونَهُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَكَأَنَّ الدِّينَ دِينِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ، وَكَذَلِكَ فَعَلْتَ فِرْقَهُمْ.

وَحَجَبَ الْمُتَعَصِّبِينَ مِنْ أَتْبَاعِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ وَفِرْقَتِهَا تَعَصُّبُهُمُ الْبَاطِلُ؛ عَنْ أَتْبَاعِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَأَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَافِلَةِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ، الَّتِي بَدَأَتْ فِي عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى بَغَتْ مُحَمَّدٌ ﷺ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسَتَسْتَمِرُّ مَا دَامَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، يَتَّبِعُ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَلَّغَهُ عَنْ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَيُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، لَا يُفَرِّقُ فِي الْإِيمَانِ بَيْنَ أَحَدٍ وَآخَرٍ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى آخِرِ تَنْزِيلِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ، مُبَيِّنًا تَعَالِيمَ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَكَفَّلَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِ.

وَقَدْ دَبَّ دَاءُ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ إِلَى بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُنْتَمِيَةِ إِلَى أَتْبَاعِ الرُّسُولِ الْخَاتَمِ ﷺ، فَحَرَفَ قَادَتَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَتَعَصَّبُوا لِتَحْرِيفَاتِهِمْ، وَكَانَتْ لَهُمْ فِرْقٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَلَا تَدْخُلُ فِيهِمُ الْمَذَاهِبُ الْاجْتِهَادِيَّةُ فِي الْفُرُوعِ، فِي أُمُورٍ أَذِنَ اللَّهُ بِالْاجْتِهَادِ فِيهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِكُلِّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَمِهِ بِشَأْنِ الَّذِينَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً:

- ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنْذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾:
 - ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾:
- الْعَمْرَةَ: الضَّلَالَةُ الَّتِي تَغْمُرُ صَاحِبَهَا.

أي: فَاتْرَكْتُهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ الْغَامِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ تَسْقُطُ بِالْفَتْحِ الْإِسْلَامِيُّ غُرُوشُهُمْ، وَتَنْدَحِرُ جُيُوشُهُمْ، أَوْ حَتَّىٰ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ تَنْتَهِي فِيهِ آجَالُهُمْ وَيَلْقَوْنَ فِيهِ عَذَابَ رَبِّهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، إِذْ هُمْ مَيُؤُوسٌ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ الْحَرَّةَ لِدَعْوَةِ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، بَعْدَ أَنْ تَلَقَّوْا بَيِّنَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا سَبَقَ مِنْ نُجُومِ التَّنْزِيلِ.

- ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنْذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾:

أي: أَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مَا نُنْذِرُهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، لِنَبْلُوهُمْ بِهَا، وَمِنْهَا الْمَالُ وَالْبَنُونَ؛ أَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّنَا نُسَارِعُ فِي مَنَحِهِمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْ خَيْرَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ إِكْرَاماً لَهُمْ وَإِنْعَاماً، لِأَنَّهُمْ مُفْضَلُونَ عِنْدَنَا.

لَا يَتَوَهَّمُوا هَذَا التَّوَهُّمَ الْبَاطِلَ، فَإِنَّ مِنْ حِكْمَتِنَا فِي دُنْيَا الْامْتِحَانِ أَنْ نُمْلِي لِلظَّالِمِينَ، وَنُؤَمِّدَهُمْ بِعَطَاءَاتِنَا، حَتَّىٰ يَتِمَادُوا فِي ظُلْمِهِمْ فَتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عُذْرٌ مَا.

- ﴿... بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾: أَي: بَلْ لَمْ نُؤَمِّدَهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِكْرَاماً لَهُمْ وَإِنْعَاماً، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ يُمْتَحَنُونَ، لِأَنَّهُمْ فِي وَحْلِ شَهَوَاتِهِمْ غَارِقُونَ.

الشُّعُور: أَدْنَى دَرَجَاتِ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ، وَنَفْيِ الشُّعُورِ بِالشَّيْءِ نَفْيٌ لِلْعِلْمِ بِهِ بِأَدْنَى دَرَجَاتِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس التاسع من دروس سورة (المؤمنون).
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٥٧ - ٦٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشِفُّونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ يَثَابَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۚ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْغَزَاةِ وَهُمْ لَهَا سَوِيقُونَ ۚ وَلَا نَكُلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبْقَىٰ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ۚ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ۚ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنًا لَا تَنْصُرُونَ ۚ قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۚ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَنهَجُونَ ۚ﴾

القراءات:

(٦٤) • قرأ يعقوب: [مُتْرَفِيهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [مُتْرَفِيهِمْ] بكسر الهاء.

(٦٧) • قرأ نافع: [تَنْهَجُونَ] من فعل «أَهَجَرَ» أي: قَالَ الْهَجَرَ

والقيح من القول.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَنْهَجُونَ] من فعل «هَجَرَ» ويظهر أنه لُغَةٌ

بِمَعْنَى «أَهَجَرَ» أي: قَالَ قَوْلًا سَيِّئًا قَبِيحًا، وَرُبَّمَا كَانَ فَاحِشًا.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان لصفات المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، وفيها ذكر بإيجاز للظالمين الذين هم في غمرة الضلال، مع بيان عقاب الله لمترفيهم، وكيف يواجهون هذا العقاب، وهم لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً منه.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى مبيناً بعض صفات المؤمنين الذين يسارعون في

الخيرات:

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتَوْنَ بِالنَّبِيِّاتِ الرَّبِّاتِ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦١﴾﴾:

الخشية من الله: خوف مضحوب بتعظيم وإجلال كبيرين، وقد يفترون بذلك: الحب، الذي يغرسه ويؤميه شعور العبد بوافر إنعامات الله عليه.

• ﴿مُشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون حذرون دوماً من عقابه.

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتَوْنَ بِالنَّبِيِّاتِ الرَّبِّاتِ﴾: أي: والمؤمنات هم بآيات ربهم البينانية في القرآن المجيد يؤمنون دوماً في الحال والاستقبال، فلا يشكون في شيء منها، وإيمانهم بها يجعلهم يذركون وجوب عملهم بما فيها من تكاليف، فعلاً أو تركاً.

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: أي: لا يشركون ربهم شيئاً، من بشر، أو ملائكة، أو جن، أو ما لا حياة له، ولا يعتقدون أن الأسباب تعمل دون مسببها، بل يعتقدون أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء من قنوات الأسباب.

• ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (١٠): أي: والذين يؤتون من الأعمال الصالحات ما آتوا، ومنها بذل الصدقات وعطاءات المال، أي: ويجتنبون ما يجتنبون من أعمال سيئات، طاعة لله، والحال أن قلوبهم وجلة خائفة من التقصيرات في أداء الواجبات وترك المحرمات، أو خائفة من عدم الإخلاص المطلوب فيما يفعلون وفيما يتركون، ويضعون نصب أعينهم أنهم إلى ربهم راجعون يوم القيامة، لمحاسبتهم، وفصل قضائه بينهم، ومجازاتهم.

فهؤلاء الذين استجمعوا في داخل قلوبهم ونفوسهم هذه الصفات:

(١) أنهم من خشية ربهم مشفقون.

(٢) أنهم بآيات ربهم البيانية في كتابه يؤمنون.

(٣) أنهم لا يشركون بربهم شيئاً.

(٤) أنهم يؤتون ما آتوا من أعمال صالحة، ويتركون ما يتركون من أعمال سيئة؛ والحال أن قلوبهم وجلة خائفة من أنهم لم يؤدوا حق الله عليهم كما يجب عليهم.

قال الله بشأنهم:

• ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١١):

أي: أولئك الفضلاء من المؤمنين؛ قد اجتمعت في قلوبهم ونفوسهم عوازل إيمانية باعثة تجعلهم يسارعون في فعل الخيرات دون وجود محرمات تحرضهم على ذلك، ويسارعون في ترك المحرمات دون وجود محرمات تحرضهم على ذلك، فما لديهم من العوازل الإيمانية الباعثة؛ تكفيهم لأن توجههم تلقائياً لفعل الصالحات وترك السيئات، وتجعلهم سابقين لها.

الخيرات: جَمْعُ «الْخَيْرَةِ»، وَهِيَ الْفَاضِلَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

اسْتَعْمَلَ فِعْلَ «آتَى، يُؤْتِي» بِمَعْنَى: فَعَلَ عَمَلًا يَرَاهُ صَالِحًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ تَكْلِيفِ الْعِبَادِ، وَمُبَيِّنًا تَسْجِيلَ

أَعْمَالِهِمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَمُبَيِّنًا قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ قَانُونِ الْجَزَاءِ:

• ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٦):

• ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أَي: وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا مَا حِينَ

نُكَلِّفُهَا بِفِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ؛ إِلَّا بِمِقْدَارِ طَاقَتِهَا وَاسْتِطَاعَتِهَا، وَإِلَّا بِمِقْدَارِ جِدَّتِهَا مِنْ مَالٍ أَوْ قُوَّةٍ، وَهَذَا الْمَرَادُ مِنَ الْوُسْعِ.

التَّكْلِيفُ: الْإِلْزَامُ بِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ عَلَى فَاعِلِهِ أَوْ تَارِكِهِ. وَالتَّكْلُفَةُ: هِيَ

الْمَشَقَّةُ فِي الْفِعْلِ أَوْ فِي التَّرْكِ.

• ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: أَي: وَفِي رِحْلَةِ امْتِحَانِ الْعِبَادِ

الْمُكَلِّفِينَ نُسْجِلُ عَلَيْهِمْ كُلَّ أَعْمَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَمِنْهَا نِيَّاتُهُمْ وَأَحَادِيثُ نَفُوسِهِمْ، وَمُكْتَسَبَاتُهُمُ الْإِرَادِيَّةُ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَعِنْدَ الْحِسَابِ نَعْرِضُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ كِتَابَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِالْحَقِّ كَمَا

تَنْطِقُ أَشْرَاطُهُ تَسْجِيلِ الصُّوْتِ وَالصُّورَةِ، مُضَافًا إِلَيْهَا حَرَكَاتُ النَّفْسِ وَخَوَاطِرُ الْفِكْرِ، وَكُلُّ عَمَلٍ إِرَادِيٍّ بَاطِنٍ، كَالْحَسَدِ وَإِرَادَةِ الشَّرِّ.

• ﴿... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٦): أَي: وَعِنْدَ إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ

لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَلَا يَزَادُ فِي ذُنُوبِ الْمُذْنِبِ أَصْغَرَ ذَنْبٍ، بَلْ يَغْفُو اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ، وَلَا يُنْقِصُ مِنْ صَالِحَاتِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي أَصْغَرَ عَمَلٍ صَالِحٍ مَهْمَا قَلَّ، بَلْ يِضَاعَفُ لَهُ الْعَمَلُ وَالْأَجْرُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً جَدًّا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، عَلَى

الرُّغْمِ مِنْ طُولِ مُدَّةِ الْعِلَاجِ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ:

• ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ (٦٣):

الْغَمَرَةُ: الضَّلَالَةُ الَّتِي تَغْمُرُ صَاحِبَهَا.

أي: بَلْ قُلُوبُ هَٰؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ؛ مُنْعِمَسَةً فِي ضَلَالَةٍ غَامِرَةٍ لَهَا، وَهِيَ ضَلَالَةُ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ بِالْحَقِّ وَمُعَادَاةِهُ وَمُعَادَاةِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالْعَمَلِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ رَسُولِ رَبِّهِمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَلَوْ بِوَسِيلَةِ الْحَرْبِ.

فَهُمْ بَعِيدُونَ بُعْدًا شَاسِعًا مِنْ مَنَزِلَةِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، بِسَبَبِ انْغِمَاسِهِمْ فِي الْكُفْرِيَّاتِ وَالْجَرَائِمِ الْكُبْرَى، دَلَّ عَلَى هَٰذَا: ﴿فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾.

وَلَهُمْ أَعْمَالٌ قَبِيحَةٌ مِنْ دُونِ الْكُفْرِيَّاتِ الَّتِي هُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْهَا، كَطُلُمِ النَّاسِ، وَأَكْلِ حُقُوقِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَكَافَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي هِيَ دُونَ الْكُفْرِ أَحْسَنُ الدَّرَكَاتِ وَأَقْبَحُهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُنْذِرًا لِّهَٰؤُلَاءِ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ، فِي نِهَآيَةِ مَرَاجِلِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا آلِيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ لَنَكْصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

• ﴿حَتَّىٰ﴾: حَرْفٌ تَبَدُّئِيٌّ بَعْدَهُ الْجُمْلُ، وَتُسَمَّى الْابْتِدَائِيَّةُ، وَلِلْفِظِ «حَتَّى» وَجُوهٌ أُخْرَى عِنْدَ النِّحَاةِ.

• ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾:

الْمُتْرَفُونَ: هُمُ الَّذِينَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ وَالْمَالِ وَمَتَاعَاتِ

الحياة الدنيا، لِيَبْلُوَهُمْ، فَكَانُوا بِهِ ذَوِي رَفَاهِيَةٍ زَائِدَةً، وَرُبَّمَا جَعَلَهُمْ ذَلِكَ مُسْتَكْبِرِينَ يَطْرَيْنَ.

أي: حَتَّىٰ حِينٍ نَأْخُذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مُتَرْفُونَ وَنَقْبِضَ عَلَىٰ مَوَاطِنِ الْأَلَامِ مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ، الَّذِي نُهْلِكُهُمْ بِهِ.

• ﴿إِذَا هُمْ يَخْتَرُونَ﴾: أي: يُفَاجِئُونَ بِأَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ مُسْتَغِيثِينَ ضَارِعِينَ، دَاعِينَ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

• ﴿لَا يَخْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُصَرُونَ﴾ (١٥): أي: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ مُسْتَغِيثِينَ لِكَشْفِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، إِنَّ كَلِمَةَ الْعَذَابِ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْكُمْ، فَلَنْ تَجِدُوا مُغِيثًا يُغِيثُكُمْ وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ، فَيَحْمِيكُمْ مِنْ عَذَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ بِكُمْ.

• ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَنكُصُونَ﴾ (١٦):

النُّكُوصُ: الرَّجُوعُ إِلَىٰ خَلْفٍ. نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ: أي: رَجَعَ إِلَىٰ جِهَةِ عَقْبَيْهِ. الْعَقَبُ: عَظْمٌ مُؤَخَّرِ الْقَدَمِ.

أي: قَدْ كَانَتْ آيَاتِي الْبَيَانِيَّةُ مِنْ كِتَابِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ رَسُولِي، أَوْ مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَكُنْتُمْ تَرْفُضُونَ الْإِسْتِمَاعَ إِلَيْهَا، وَتُدْبِرُونَ عَنْهَا، وَتَرْجِعُونَ إِلَىٰ جِهَةِ أَعْقَابِكُمْ، كُفْرًا بِهَا، وَتَكْذِيبًا لِرَسُولِي الَّذِي بَلَّغَهَا عَنِّي.

• ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّونَ﴾ (١٧):

• ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: أي: مُسْتَكْبِرِينَ عَلَىٰ الرَّسُولِ الَّذِي كَانَ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ كِتَابِي، وَمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ. ضَمَّنَ فِعْلُ اسْتَكْبَرَ مَعْنَىٰ فِعْلُ «اسْتَهْزَأَ»، فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ، وَجَرَىٰ هَذَا فِي اسْمِ الْفَاعِلِ، فَأَعْنَتْ هَذِهِ التَّعْدِيَّةُ عَنْ عِبَارَتَيْنِ، وَهَذَا مِنْ إيجازات القرآن الرَّفِيعَةِ.

• ﴿سَمِيرًا تَهْجُرُونَ﴾ وفي قراءة نافع [تُهْجِرُونَ].

السَّامِر: المتسَامِرُونَ، الَّذِينَ يَتَحَادَثُونَ فِي مَجَالِسِ سَمَرِهِمْ لَيْلاً.

تَهْجُرُونَ: أي: تَقُولُونَ الْهَجَرَ، وَهُوَ الْقَبِيحُ مِنَ الْقَوْلِ، طَعْنًا فِي آيَاتِ كِتَابِ رَبِّكُمْ، وَطَعْنًا فِي رَسُولِهِ وَفِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

أي: وَكُنْتُمْ تَسْتَمْتِعُونَ فِي مَجَالِسِ سَمَرِكُمْ بِالطَّعْنِ بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ وَبِكُلِّ الدِّينِ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ، بِالْأَقْوَالِ الْقَبِيحَةِ السَّيِّئَةِ، وَبِمُخْتَلَفِ صُورِ الْهَجْرِ مِنَ الْقَوْلِ.

وبهذا انتهت تدبُّر الدرس العاشر من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معونته، ومدَّه، وتوفيقه، وميثقه، وفقهه.



(١٥)

التدبُّر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٦٨ - ٧٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرَاتٌ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَلَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّتُ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾:

القراءات:

(٧١) • قرأ يَعْقُوبُ: [فِيهِنَّ] بِضَمِّ الهاء، ووقف عَلَيْهَا بِهَاءِ السَّكْتِ بِخُلْفٍ عَنْهُ.

وقراها بَاقِي القراء العَشْرَةُ: [فِيهِنَّ] بِكَسْرِ الهاء.
ضم الهاء وكَسْرُ الهاء لُغَتَانِ.

(٧٢) • قرأ ابن عامر: [خَرَجًا فَخَرَجُ].

وقراها حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفَ: [خَرَجًا فَخَرَجُ].

وقراها بَاقِي القراء العَشْرَةُ: [خَرَجًا فَخَرَجُ].

الْخَرَجُ، وَالْخَرَجُ: الضَّرِيبَةُ أَوْ الْإِتَاوَةُ الَّتِي تُفَرِّضُ عَلَى النَّاسِ،
فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٧٢) • قرأ قَالُونَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [وَهُوَ]

يَأْسُكَانِ الهاء.

وقراها بَاقِي القراء العَشْرَةُ: [وَهُوَ] بِضَمِّ الهاء.

وَهُمَا لُغَتَانِ.

(٧٣ و ٧٤) • قرأ قُنْبُلٌ بِخُلْفٍ عَنْهُ، وَرُوَيْسٌ: [إِلَى سِرَاطٍ] وَ[عَنِ

السَّرَاطِ]. وقراها حَلَفَتْ عَنْ حَمْزَةً: بِإِشْمَامِ الصَّادِ صَوْتِ الزَّاي. وقرأ

الثَّانِيَةُ بِإِشْمَامِ الصَّادِ صَوْتِ الزَّاي حَمْزَةً بِخُلْفٍ عَنْ خِلَادٍ.

وقراها بَاقِي القراء العَشْرَةُ: [إِلَى صِرَاطٍ] وَ[عَنِ الصَّرَاطِ]. وهو

الثَّانِي لِقُنْبُلٍ، وَلِخِلَادٍ.

(٧٧) • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بِضَمِّ الهاء.

وقراها بَاقِي القراء العَشْرَةُ: [عَلَيْهِمْ] بِكَسْرِ الهاء.

تَمْهِيدُ:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ حَالِ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ إِبَّانَ تَنْزِيلِ
السُّورَةِ، وَحَالِ الرَّسُولِ ﷺ مَعَهُمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُعَالَجِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصْرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ مِنْ أَثَمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ:

• ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُوا ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَانُوا لِلْحَقِّ كَافِرُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ حَوَارٌ يَتَنَاولُ تِسْعَ قَضَايَا:

القَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: الفاء فِي ﴿أَفَلَمْ﴾ فَصِيحَةٌ، تَعِطْفُ عَلَى مَحذُوفٍ.

أي: أَنْظَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَذْهَانُهُمْ وَعُقُولُهُمْ، بِغِشَاوَاتٍ مِنْ أَهْوَائِهِمْ، وَشَهَوَاتِهِمْ، وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَوَابِقِ مَفَاهِيمِهِمُ الضَّالَّةِ، فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِي سَوَابِقِ نُجُومِ التَّنْزِيلِ، وَكَانَ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ رَسُولُنَا، وَيَتَّبِعُ تَذَكِيرَهُمْ بِهِ!!؟.

وَتَدَبَّرُ الْقَوْلَ يَكُونُ بِفَهْمِ الْعُنَاصِرِ وَالْأَجْزَاءِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا، وَبِتَتَّبِعِ اللِّوَاظِمِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَلْزَمُ عَنْهُ حَتَّى نَهَايَاتِهَا وَأَدْبَارِهَا، وَأَوَاخِرِهَا.

إِنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّرُوا مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ تَدَبُّراً كَمَا يَنْبَغِي لَأَفْتَنَعُوا بِأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾: أي: بَلْ: أَجَاءَهُمْ مِنْ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ؟!، إِنَّهُمْ إِذَا ادَّعَوْا هَذَا فَهُمْ كَاذِبُونَ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ

جَاءَهُمْ وَأَسَّسَ لَهُمْ قَوَاعِدَ الدِّينِ وَشَعَائِرَ الْعِبَادَاتِ رَسُولَانِ جَلِيلَانِ هُمَا إِبْرَاهِيمُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَاسْتَمَرَّ دِينُ اللَّهِ الْخَالِي مِنَ الشِّرْكِ وَالْوُثْنِيَّاتِ؛ زَمَنًا طَوِيلًا هُوَ السَّائِدُ فِي مَكَّةَ وَالْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى جَلَبَ الْأَوْثَانَ «عَمْرُ بْنُ لُحَيٍّ»، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدَعَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

القضية الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٦٩): أي: بَلْ: أَلَمْ يَعْرِفُوا الرَّسُولَ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ!!؟ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - ﷺ -، الَّذِي نَشَأَ بَيْنَهُمْ قَبْلَ بَعْثِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، عَرَفُوا فِيهَا أَنَّهُ أَعْظَمُ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَنَّهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَأَنَّهُ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ، إِلَى سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ، وَهُمْ لَا يُنْكِرُونَ هَذَا.

إِنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا رَسُولَهُمُ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ بِكَمَالَاتِهِ، فَهَلْ يَصِحُّ عَقْلًا أَنْ يُكَذِّبُوهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِبِلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ فِي حَيَاتِهِ فِي كَبِيرَةٍ وَلَا صَغِيرَةٍ!!؟.

القضية الرابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: **الْجِنَّةُ:** الْمُرَادُ بِهَا هُنَا «الْجُنُونُ».

أي: بَلْ: أَيْقُولُونَ بِهِ جُنُونٌ؟!، وَهُوَ أَغْقَلَ النَّاسَ، وَأَكْثَرَهُمْ ذُكَاءً، وَحَسَبُهُ أَنَّهُ يُبْلَغُ عَنْ رَبِّهِ أَعْظَمَ بَيَانٍ يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ، وَمَفْهُومَاتٍ دَقِيقَاتٍ جَدًّا.

القضية الخامسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٠): أي: لَقَدْ عَرَفُوا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَقٍّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ آبَاءُهُمُ الْأَوَّلِينَ فِي رِسَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ أَغْقَلَ النَّاسِ وَأَكْثَرِهِمْ ذُكَاءً وَفَهْمًا وَفِظَنَةً، فَهَذِهِ أُمُورٌ مُسْتَقِيقُونَ بِهَا فِي قُلُوبِهِمْ،

فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا هُوَ الْبَائِثُ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ . بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِ نُفُوسِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمُ الضَّاعِطُونَ عَلَى بَقِيَّةِ مُجْتَمَعِهِمْ لِهَذَا الْحَقِّ كَارِهُِونَ ، فَهُمْ غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ لِقَبُولِهِ ، وَتَرَكُوا مَا هُمْ مُنْعَمُونَ فِيهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمُسَخِطَةِ لِلَّهِ رَبِّهِمْ .

القضية السادسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾:

أي: وَلَوْ أَتَبَعَ اللَّهُ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ - وَلَنْ يَتَّبِعَهَا - لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، مِنْ مَلَائِكَةٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ، لَأَنَّ أَهْوَاءَ النَّاسِ لَا حُدُودَ لَهَا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ مَا يَتَعَارَضُ مَعَ أَهْوَاءِ الْآخَرِينَ، وَلَنَجْمَ عَنْ ذَلِكَ مَا يَنْجُمُ عَنْ تَعَدُّدِ الْأَرْبَابِ، وَهُوَ فَسَادٌ فِي نِظَامِ الْكُونِ كُلِّهِ، وَفَسَادٌ فِي نِظَامِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

لَكِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْوَاءَ النَّاسِ، بَلْ يَخْتَارُ بِحُكْمَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ مَا يُحَقِّقُ صِلَاحَهُ، وَيَمْنَعُ عَنْهُ الْفَسَادَ، وَكَذَلِكَ مَا يَخْتَارُهُ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ وَتَعْلِيمَاتِهِ.

القضية السابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ أَلِيتَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦):

أي: بَلْ أَلِيتَهُمْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ الْقَضَايَا الَّتِي تَنْفَعُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، لَكِنَّهُمْ عَانَدُوا فَهُمْ عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرًا مُذَكَّرًا لَهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِمْ وَآجِلِهِ: مُعْرِضُونَ.

الإغراض: حَالَةٌ وَسَطَى بَيْنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مُبَالَاتِهِمْ وَعَدَمِ تَوَجُّهِهِمْ لِلانْتِفَاعِ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ لِهِدَايَتِهِمْ وَهَدَايَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

القضية الثامنة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ: ﴿أَمْ تَسْتُلْهُمْ خَرَجًا فَخَرَجُكَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ (٧٧):

أي: بَلْ أَسْأَلُهُمْ مَالاً مُّقَابِلَ تَعْلِيمِهِمْ وَهَدَايَتِهِمْ وَتَرْكِيبَتِهِمْ وَقِيَادَتِهِمْ عَلَى صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ؟؟.

إِنَّكَ لَمْ تَسْأَلُهُمْ، وَلَا تَسْأَلُهُمْ مَالاً، وَلَا أَجْراً وَلَا خَرَجاً تَفْرِضُهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّكَ عَلَى يَقِينٍ كَامِلٍ بِأَنَّ أَجْرَ رَبِّكَ الَّذِي أَعَدَّهُ لَكَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَالٍ يَجْمَعُهُ الْجَامِعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿... وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ (٧٦): أي: وَأَمَّا رِزْقُكَ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ.

إِنَّ هَذَا الْخِطَابَ الْمَوْجَّهَ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الظَّاهِرِ؛ يُرَادُ بِهِ إِسْمَاعُ الْمَكْذِبِينَ الْكَافِرَةِ، الَّذِينَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقْصِدُ مِنْ دَعْوَتِهِ سُلْطَاناً وَمَالاً وَفِيراً يَجْمَعُهُ بِحَسَبِ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْأُمَرَاءِ مَعَ شُعُوبِهِمْ.

القَضِيَّةُ التَّاسِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦):

أي: وَأَمَّا مَضْمُونُ دَعْوَتِكَ؛ فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ يُوهِمُ أَنَّكَ تَسْعَى لِمُلْكٍ وَسُلْطَانٍ وَاسْتِعْلَاءٍ فِي الْأَرْضِ، أَوْ تَسْعَى لِمُتْلَاكِ أَمْوَالٍ يَسْعَى لِمُتْلَاكِهَا الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ، أَوْ تَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى مَا تَشْتَهِي مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَنْتَ أَوَّلُ سَالِكِيهِ وَالْمُلْتَزِمِينَ بِحُدُودِهِ لَا تَحِيدُ عَنْهُ، فَلَا تَتَجَاوَزُهُ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ الْاِخْتِيَارِيَّةِ.

أَكَّدَ اللَّهُ الْجُمْلَةَ بِ «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْحَلَةُ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا بَعْضَ صِفَاتِ الْكَافِرَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ:

• ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ﴾ (٧٤) ❁ وَلَوْ

رَحْمَتُهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِّلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَّرِعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ :

في هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانٌ لِأَرْبَعِ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ جَزَاءٍ، عَلَى مُكَتَسَبَاتِ النَّاسِ الْإِرَادِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

الصفة الأولى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ﴾ ﴿٧٤﴾ :

• ﴿لَنُكَيِّبُنَّ﴾: أي: لَمَائِلُونَ مُنْحَرِفُونَ.

أي: فَمِنْ صِفَاتِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَبِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الْمُعَدَّةِ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ الرَّبَّانِيَّةِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ؛ أَنَّهُمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَبَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ لِسُلُوكِ النَّاسِ الْإِرَادِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ؛ لَمَائِلُونَ مُنْحَرِفُونَ إِلَى سُبُلِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا سَالِكُوهَا إِلَى عَذَابِ النَّارِ.

الصفة الثانية: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِّلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ :

• ﴿لِّلْجَوِّ﴾: أي: لَبِثُوا مُلَازِمِينَ مَا هُمْ فِيهِ.

• ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: الطُّغْيَانُ: هُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الْحَدِّ الْمَحْتَمَلِ فِي الْعِضْيَانِ، إِلَى مَوَاقِعِ الضَّرَرِ وَالْإِفْسَادِ وَالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ.

• ﴿يَعْمَهُونَ﴾: الْعَمَهُ: التَّحِيرُ، وَالتَّرَدُّدُ، وَانْطِمَاسُ الْبَصِيرَةِ، وَهُوَ فِي الْبَصِيرَةِ كَالْعَمَى فِي الْبَصَرِ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ؛ كَانُوا فِي حَالَةٍ ضُرٍّ وَبُؤْسٍ، وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا هُوَ الْجَوْعُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، فَأَكَلُوا «الْعِلْهَز»^(١).

فَالْمَعْنَى: وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ فَأَزَلْنَا عَنْهُمْ مَا يُعَانُونَ مِنْ ضُرٍّ؛ لَمَا تَرَكُوا قَبَائِحَهُمْ، وَلَمَا تَابُوا إِلَى بَارِيهِمْ، بَلْ لَبِثُوا مُلَازِمِينَ كُفْرَهُمْ غَارِقِينَ فِي طُغْيَانِهِمُ الْعَالِينَ فِيهِ، وَلَا اسْتَمَرُّوا يَعْصَمُونَ وَيَتَحَيَّرُونَ فِيمَا يَخْتَارُونَ مِنْ مَسَالِكِ يَرْضُونَ بِهَا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، كَالْعُمَى الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي أَرْضٍ وَعِرَّةٍ لَا مَسَالِكَ فِيهَا تَهْدِيهِمْ.

الصفة الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَّرِعُونَ﴾ (٧٦):

- ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أي: فَمَا ذَلُّوا وَلَا خَضَعُوا لِرَبِّهِمْ.
- ﴿وَمَا يَضَّرِعُونَ﴾: أي: وَمَا يَتَذَلَّلُونَ وَمَا يَخْضَعُونَ دَاعِينَ أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا أَنْزَلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ.

يَصِفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَالَهُ أَخَذَ فِيهَا الْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ بِعَذَابٍ لَيْسَ بِشَدِيدٍ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ تَذَلُّ لِرَبِّهِمْ وَلَا تَضَرُّعٌ لَهُ بِالْدَّعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَوَارِضِ الدَّهْرِ وَتَقَلُّبَاتِهِ، وَلَيْسَ تَذَكِيرًا لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الَّذِي لَا يَجْرِي شَيْءٌ فِي الْكُونِ إِلَّا بِأَمْرِهِ أَوْ بِإِذْنِهِ وَعِلْمِهِ.

الصفة الرابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٧):

- ﴿مُبْلِسُونَ﴾: أي: سَاكِتُونَ، يَأْتِسُونَ، نَادِمُونَ.
- ﴿حَتَّىٰ﴾: ابْتِدَائِيَّةٌ. وَهِيَ حَرْفٌ يَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلِ الْأَسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ.

(١) الْعِلْهَز: الدَّمُ الْمَجْمَدُ يُحْلَظُ بِالْوَبَرِ وَيُشَوَّى عَلَى النَّارِ.

وَالْمَعْنَى: حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ قُدْرَتِهِمْ عَلَى التَّحَمُّلِ: أَبْلَسُوا، سَكُوتاً، وَيَأْساً، وَنَدَمًا، مُذْرِكِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، فِي غُلُوِّهِمْ بِمَا يُسَخِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الْمُهِلَكَ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الحادي عشر من دروس سورة (المؤمنون).
والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتح.



(١٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٧٨ - ٨٣)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمُعُوتُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

القراءات:

(٨٢) • قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [مِثْنَا]
بكسر الميم. وقرأها باقي القراء العشرة: [مُتْنَا] بِضَمِّ الميم.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان لمحة مما يدل على أن البعث والحياة الأخرى حق، مع عرض قول منكري ذلك.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِمُنْكَرِي الْبُعْثِ:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

أي: كَيْفَ تُنْكِرُونَ الْبُعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ، الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ خَالِقُكُمْ وَبَارِئُكُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ بِلِجَادٍ مُتَدَرِّجٍ: السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ، وَهِيَ أَعْظَمُ الْأَجْهَازَةِ الَّتِي فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا كَثِيرًا!!

فَالسَّمْعُ: أي: أَدَاتُهُ، وَهُوَ جِهَازٌ عَجِيبُ الْخَلْقِ وَالصُّنْعِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ، يُوصَلُ إِلَيْهِ الْمَسْمُوعَاتُ أَجْهَازَةً عَجِيبَةً الصُّنْعِ فِي الْأُذُنِ، وَمُوصِلَاتٌ دَقِيقَاتٌ جَدًّا، بَيْنَ الْأُذُنِ وَجِهَازِ السَّمْعِ فِي الدِّمَاغِ.

وَالْأَبْصَارُ: مَرَاكِزُ إِدْرَاكِ لِلْمَرْتَبَاتِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ، وَتُوصَلُ إِلَيْهَا صُورَ الْمَرْتَبَاتِ: الْأَعْيُنُ ذَوَاتُ الصُّنْعِ الْعَجِيبِ، وَمُوصِلَاتٌ دَقِيقَاتٌ جَدًّا بَيْنَ الْأَعْيُنِ وَمَرَاكِزِ إِدْرَاكِ صُورِ الْمَرْتَبَاتِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ.

وَالْأَفْئِدَةُ: وَهِيَ مَرَاكِزُ فَهْمِ الْأُمُورِ وَالْقَضَايَا، وَتَحْلِيلِ عَنَاصِرِهَا وَتَرْكِيبِهَا، وَاسْتِثْنَاكِ قَضَايَا أُخْرَى تَلْزَمُ عَنْهَا، بِالتَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَإِبْدَاعِ صُورٍ جَدِيدَةٍ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ قُدْرَاتٍ تَحِيلٍ وَاسِعَةٍ امْتَنَزَ بِهَا إِبْدَاعُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

وَهَذِهِ الْأَجْهَازَةُ وَالْأَدَوَاتُ تَتَطَلَّبُ مِنْكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا بَارِئَكُمْ عَلَيْهَا بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِعَظِيمِ صِفَاتِهِ، وَبِالاسْتِجَابَةِ لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَبِفِعْلِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَبِتَرْكِ مَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ، وَبِتَصْدِيقِ مَا أَنْبَأَكُمْ بِهِ مِنَ الْبُعْثِ، وَيَوْمِ الدِّينِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ.

وَلَكِنَّكُمْ قَلِيلًا جَدًّا تَشْكُرُونَ، إِنْ اتَّجَهَتْ قُلُوبُكُمْ وَنَفُوسُكُمْ لَشُكْرِهِ، لِأَنَّكُمْ تُؤْزِرُونَ تَلَبُّيَةً أَهْوَائِكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ، وَمَتَاعَاتِكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابُهُ لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾:

• ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: خَلَقَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَيَأْتِي الذَّرْءُ بِمَعْنَى الْبَثِّ وَالتَّكْثِيرِ عَنْ طَرِيقِ الذَّرْيَةِ.

• ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي: وَإِلَى حِسَابِهِ، وَفَضْلِ قَضَائِهِ، وَتَحْقِيقِ جَزَائِهِ؛ يَبْعَثُكُمْ وَيَحْشُرُكُمْ إِلَى مَوَاقِفِ حِسَابِكُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الحشر: هُوَ السَّوْقُ وَالْجَمْعُ.

أي: فَالَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكُمْ وَيَحْشُرَكُمْ لِمَوَاقِفِ حِسَابِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا مَجَالَ لِلتَّشَكُّكِ فِي هَذَا، وَقَدْ أَنْبَأَكُمْ بِهِ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ الْمَوْعِدُ مِنْهُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ.

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَا أَحَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ يُحْيِي سِوَاهُ، وَلَا أَحَدَ فِي الْوُجُودِ يُمِيتُ بِفَضْلِ الرُّوحِ عَنْ ذِي الْحَيَاةِ سِوَاهُ، أَمَّا مَا يَتَّخِذُهُ النَّاسُ مِنْ أَسْبَابِ قَتْلِ: فَهِيَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَإِذْنِهِ، وَلَكِنَّ الْإِمَاتَةَ لَا تَكُونُ حَقِيقَةً إِلَّا مِنَ اللَّهِ.

• ﴿وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: وَلَهُ وَحْدَهُ كُلُّ مَا يَجْرِي مِنْ مُخْتَلِفَاتٍ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، تَقْدِيرًا وَخَلْقًا وَفِعْلًا، فَلَا يَجْرِي فِي كَوْنِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَقْدَرُهُ اللَّهُ وَيَقْضِي بِهِ، أَوْ يَأْذُنُ بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ لَهُ، وَلَكِنَّ التَّنْفِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ وَفِعْلِهِ.

• ﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾: أي: أَسْلَبْتُ مِنْكُمْ عُقُولَكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ بِأَجْهَظَةِ الْعِلْمِ وَالْإِذْرَاكِ لَدَيْكُمْ، وَضَعُفَتْ إِرَادَاتُكُمْ

فَأَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ أَنْ تَغْفِلُوا نُفُوسَكُمْ عَنْ أَهْوَائِكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ الَّتِي تَنْزِلُ بِكُمْ إِلَى دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ!!؟ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنْ مُنْكَرِي الْبُعْثِ:

• ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْبَعُوثُونَ﴾ (٨٢) ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَمَا بَأْسُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣):

لَمْ يَجِدُوا إِلَّا تَرْدِيدَ عِبَارَةِ الاسْتِغْرَابِ وَالتَّعَجُّبِ الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَهَا وَكَانَ مُنْكَرُوا الْبُعْثِ مِنْ قَبْلِهِمْ يُرَدِّدُونَهَا .

اسْتِفْهَامُهُمْ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الاسْتِفْهَامِ التَّعَجُّبِيِّ الاسْتِغْرَابِيِّ الَّذِي لَا يَقْتَرِنُ بِدَلِيلٍ مَا، فَهُوَ لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي مُنَاطَرَةِ عَقْلِيَّةٍ .

• ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَمَا بَأْسُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ بِأَنَّا سَنُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، وَوَعْدِ آبَائِنَا هَذَا الْوَعْدَ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْ هَذَا الْوَعْدِ حَتَّى الْآنَ شَيْءٌ .

إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَعْتَمِدُ عَلَى مُعَالِظَةٍ لَا يَتَذَرَعُ بِهَا إِلَّا صِغَارُ الْعُقُولِ، فَالْوَعْدُ مُقَيَّدٌ بِأَنَّ الْبُعْثَ سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْوَعْدَ لَمْ يَتَحَقَّقْ .

إِنَّ عُمَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا يَنْحَصِرُ بِعُمُرِ قَوْمٍ وَلَا عِدَّةِ أَقْوَامٍ، وَلَا يَنْحَصِرُ بِعُمُرِ أُمَّةٍ وَلَا بِأَعْمَارِ عِدَّةِ أُمَمٍ، إِنَّ عُمَرَ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَوْعِبَ كُلَّ مَنْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مُمْتَحِنِينَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَنْتَهَ بَعْدُ إِيجَادُهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَاسْتَعْجَالُ الْبُعْثِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِيجَادُ النَّاسِ، اسْتَعْجَالٌ لِلشَّيْءِ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُنَافٍ لِمَنْطِقِ الْعَقْلِ وَمَقَاسِيهِ .

وَبَنَوْا عَلَىٰ مَقُولِهِمْ السَّقَاطَةَ قَوْلُهُمُ الْفَاجِرَ:

• ﴿... إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣): أي: مَا هَذَا النَّبَأُ عَنِ الْبُعْثِ إِلَّا أَبَاطِيلُ الْأَوَّلِينَ وَأَكَاذِيبُهُمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني عشر من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميته، وفتحِهِ.



(١٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٨٤ - ٩٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ﴾ (٨٧) ﴿قُلْ مَنْ يَدْبِرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِزُّ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩) ﴿بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٢):

القراءات:

(٨٥) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ]، أضلها «تَذَكَّرُونَ».

(٨٧ و ٨٩) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [سَيَقُولُونَ اللَّهُ].

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ].

(٩٢) • قرأ نافع، وشعبة، وحَمْزَة، والكسائي، وأبو جَعْفَر، وخلف: [عَالِمُ الْغَيْبِ] برفع لفظ «عالم»، على أَنَّهُ خَبَرٌ لمبتدأ محذوف تقديره «هُوَ».

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [عَالِمُ الْغَيْبِ] بجر لفظ «عالم»، على أَنَّهُ صِفَةٌ للفظ الجلالة في [سُبْحَانَ اللَّهِ].

تمهيد:

في آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ حِوَاراً جَدَلِيّاً، يُحَاوِرُ بِهِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَكَةَ الْمُؤْتَسِرِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

وَهَدَفَ هَذَا الْحِوَارُ إِثْبَاتَ مِلْكِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا، وَإِثْبَاتَ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - لِلسَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ بِيَدِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

وفِيهَا بَيَانٌ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مع تقديم حُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، الْمُسْتَلْزِمَةِ أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهَ الَّذِي لَا إِلَهَ بِحَقِّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ غَيْرُهُ، تَبَارَكَتْ صِفَاتُهُ، وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ حِوَاراً جَدَلِيّاً، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ ﷺ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾:

هَذَا الْحِوَارُ يَتَضَمَّنُ سُؤَالَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَهَذَا السُّؤَالُ يَسْتَدْعِي أَنْ يُجِيبُوا عَلَيْهِ لِإِلْزَامِهِمْ بِالْحَقِّ.

السُّؤَال: مِلْكُ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا لِمَنْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟
فَإِنْ قَالُوا: هَٰذِهِ مِلْكُ آلِهَتِهِمْ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. عِنْدِيذٍ يَتَسَنَّوْنَ
لِلْمُحَاوِرِ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: هَلْ آلِهَتُكُمْ هِيَ الَّتِي خَلَقَتِ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا
وَمَا فِيهَا، حَتَّى تَكُونَ هِيَ الْمَالِكَةُ؟!، فَإِنْ كَانَتْ هِيَ الْخَالِقَةُ؛ فَأُثْبِتُوا
هَٰذَا بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، وَأَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ دَلِيلًا عَقْلِيًّا يُثْبِتُهُ، أَوْ قَدِّمُوا لَنَا شَاهِدًا
حِسِّيًّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ آلِهَتَكُمْ تَخْلُقُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ، أَوْ فِيمَا عَلَيْهَا مِنْ
أَحْيَاءَ.

وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُقَدِّمُوا شَاهِدًا حِسِّيًّا عَلَى هَٰذَا، إِلَّا أَوْهَامًا بَاطِلَةً
تَسْقُطُ بِأَدْنَى حُجَّةٍ.

عِنْدِيذٍ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرِفَ دَوُو الرِّأْيِ وَالْعَقْلِ مِنْهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ
الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا، وَالْخَالِقُ هُوَ الْمَالِكُ حَتْمًا، وَهُوَ الَّذِي لَهُ
التَّصَرُّفُ وَالْحُكْمُ.

• ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: دَلَّ حَرْفُ السَّيْنِ عَلَى أَنَّ الْإِجَابَةَ الصَّحِيحَةَ
لَيْسَتْ جَاهِزَةً لَدَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يُوصَلُ إِلَيْهَا جَوَارِ جَدَلِيٍّ بُرْهَانِيٍّ يَقُومُ بِهِ
الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ.

فَإِذَا وَصَلَ مَعَهُمْ إِلَى هَٰذَا الْاِعْتِرَافِ، قَالَ لَهُمْ مَا جَاءَ فِي نِهَآيَةِ
التَّعْلِيمِ:

• ﴿... أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ !!؟﴾: أَي: أَتُسْتَهَيِّنُونَ بِالْحَقِّ، فَلَا تَضَعُونَ
هَٰذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي ذَاكِرَاتِكُمْ بَعْدَ الْاِفْتِنَاعِ بِهَا، لِتُبْعِدَ عَنْ أَذْهَانِكُمْ أَوْهَامَ
الشُّرْكِ، وَأَوْهَامَ التَّعَلُّقِ بِالْإِلَهِةِ مُفْتَرَاةٍ عَلَى اللَّهِ لَا تَمْلِكُ أَنْ تَتَصَرَّفَ بِشَيْءٍ مِنَ
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَمَا عَلَيْهَا!!؟.

الاسْتِفْهَامُ هُنَا تَحْضِيضِيٌّ، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى تَلْوِيمِ الْمَكَابِرِينَ الْمُصْرِينَ
عَلَى شُرْكِائِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ التَّعْلِيمَ لِحَوَارِ آخِرَ عَلَى مَنْهَجِ الْحَوَارِ السَّابِقِ:

● ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُ ﴿٨٧﴾: وفي القراءة الأخرى: [سَيَقُولُونَ الله]:

أُسْلُوبُ هَذَا الْحَوَارِ مُنَاطِرٌ لِلْحَوَارِ السَّابِقِ، وَهَذَا السُّؤَالُ يَسْتَدْعِي أَنْ يُجِيبُوا عَلَيْهِ لِإِلْزَامِهِمْ بِالْحَقِّ.

أَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: فَفِي السُّؤَالِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَلِمَنْ يَرْجِعُ مَلِكُهُمَا؟.

إِنَّهُمْ تُجَاهَ هَذَا السُّؤَالِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ رُبُوبِيَّةَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرُبُوبِيَّةَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَآلِهَتِهِمْ، فَهُمَا مِلْكٌ لَهَا، لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَزْعُمُ مِثْلَ هَذَا الزَّعْمِ، بَلْ هُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ رُبُوبِيَّةَ آلِهَتِهِمْ قَاصِرَةٌ عَلَى بَعْضِ أَحْدَاثٍ فِي الْأَرْضِ، أَمَّا أَحْدَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ وَالتَّغْيِيرَاتُ فِيهِمَا فَهِيَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ الرُّبُوبِيَّةَ صِفَةٌ تَشْمَلُ كُلَّ تَصَارِيفِ الْخَالِقِ الرَّبِّ لِمَنْ هُوَ تَحْتَ سُلْطَانِ رُبُوبِيَّتِهِ، فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِهِ، وَفِي كُلِّ سَكْنَةٍ مِنْ سَكَنَاتِهِ، وَفِي كُلِّ تَغْيِيرٍ فِي دَاتِهِ أَوْ فِي صِفَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْلُو مُشْرِكٌ فَيَزْعُمَ أَنَّ رَبًّا مَا مِنْ دُونِ اللَّهِ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

وَإِذَا تَلَجَّلَجَ الْمَسْئُولُ الْمُشْرِكُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُجِيبُ جَوَاباً سَوِيّاً؛ اسْتَطَاعَ الْمُحَاوِرُ لَهُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ؛ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ مَعْنَى كَلِمَةِ «الرَّبِّ»، وَأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُهَيِّمِينَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَبَعْدَ الشَّرْحِ الْحَوَارِيِّ الَّذِي يُقْنِعُ بِهِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ الْمُحَاوِرِينَ الْمُشْرِكِينَ بِالْحَقِّ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرِفَ ذُوو الرَّاْيِ وَالْعَقْلِ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَمَالِكُهُمَا. وَبَيَّنَّ بِدَايَةِ الْحَوَارِ وَالْإِلْزَامِ بِالْحَقِّ زَمَنَ عَبَّرَتْ عَنْهُ السَّيْنُ فِي:

• ﴿سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ﴾ في قراءة جُمْهُورِ القراء، وَ [سَيَقُولُونَ اللّٰهُ] فِي قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو، وَيَعْقُوبَ، أَي: اللّٰهُ رَبُّهُمَا.

عِنْدِيذٍ يَتَسَنَّى لِلدَّاعِي إِلَى اللّٰهِ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ مَا جَاءَ فِي نِهَايَةِ التَّعْلِيمِ:

• ﴿... أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾؟!﴾: أَي: أَفَقَدْتُمْ مَدَارِكَكُمْ فَلَا تَتَّقُونَ عِقَابَ رَبِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذْ تَجْعَلُونَ شُرَكَاءَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ!!؟.

■ قَوْلُ اللّٰهِ تَعَالَى يُتَابِعُ التَّعْلِيمَ الْحَوَارِيَّ عَلَى مَنْهَجِ الْحَوَارِينَ السَّابِقِينَ:

• ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾:

وفي قراءة أبي عمرو، وَيَعْقُوبَ: [سَيَقُولُونَ اللّٰهُ]:

الْمَلَكُوتُ: صِغَةُ مَأْخُودَةٍ مِنَ الْمُلْكِ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ، وَالْمُلْكُ: هُوَ السُّلْطَانُ، وَالْعِزَّةُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّصَرُّفِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ، وَلصاحب المُلْكِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.

أَي: قُلْ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللّٰهِ لِلْمُشْرِكِينَ:

مَنْ بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُجِيرُ فَيَحْمِي مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ، وَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ يُجِيرُ عَلَيْهِ مَنْ قَضَى عَلَيْهِ بِعِقَابٍ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ هَذَا السُّؤَالِ وَأَبْعَادَ دَلَالَتِهِ!!؟؟.

هَذَا السُّؤَالُ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ مِنَ السُّؤَالِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْحَوَارُ الْأَوَّلُ، وَأَعَمُّ وَأَشْمَلُ مِنَ السُّؤَالِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْحَوَارُ الثَّانِي.

إِنَّ مُلْكَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ سِوَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي يَتَضَمَّنُ الْمُلْكَ أَيْضاً؛ أَعَمُّ مِنْ مِلْكِيَّةِ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا، وَأَعَمُّ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُهِيمَةِ بِصِفَاتِهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

يُضَافُ إِلَى هَذَا الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ عَلَى حِمَايَةِ مَنْ اخْتَمَى بِهِ، وَإِجَارَةِ مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ، وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِيَ وَيُجِيرَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ.

والإجابة على هذا السؤال بِعِبَارَةِ ﴿لِلَّهِ﴾ أو بِعِبَارَةِ ﴿اللَّهُ﴾ لَا تُبْقِي ذَرِيعَةً لِلْمُشْرِكِينَ يَتَذَرَّعُونَ بِهَا لِتَحْسِينِ شُرَكَاهُمْ وَتَرْيِينِهِ.

وَلَنْ يَجِدَ الْمُشْرِكُونَ الْمُنَاطِرُونَ فِي الْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ؛ إِلَّا أَنْ يَتَلَجَّلُوا، وَيَتَهَرَّبُوا إِلَى قَضَايَا جَانِبِيَّةٍ لَا تَتَّصِلُ بِمَوْضُوعِ السُّؤَالِ.

عِنْدَئِذٍ يَجِدُ الْمُنَاطِرُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مَا يَشْرَحُهُ بِالتَّفْصِيلِ وَبِالِاسْتِنَادِ إِلَى الْمَرَحَلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ لِلْجَوَارِ، وَبِمَا يَشْرَحُهُ بِالتَّفْصِيلِ يُفْنِغُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ الْمُحَاوِرِينَ الْمُشْرِكِينَ بِالْحَقِّ، أَوْ يُسَكِّتُهُمْ إِنْكَاتِ الْإِزَامِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرِفَ دَوُو الرِّأْيِ وَالْعَقْلِ مِنْهُمْ فَيَقُولَ: إِنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ: هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَبَيْنَ بَدَايَةِ الْجَوَارِ وَالْإِزَامِ بِالْحَقِّ زَمَنٌ عَبَّرَتْ عَنْهُ السَّيْنُ فِي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فِي قِرَاءَةِ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ، وَ[سَيَقُولُونَ اللَّهُ] فِي قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو، وَيَعْقُوبَ، أَيِ: اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ: اللَّهُ يَرْجِعُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ.

عِنْدَئِذٍ يَتَسَنَّى لِلدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ مَا جَاءَ فِي نِهَايَةِ التَّعْلِيمِ:

• ﴿... فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩): أَيِ: فَمِنْ أَيْنَ تُسْحَرُونَ عَنْ إِذْرَاكِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَتُضَرَّفُونَ عَنْهَا مُتَأَثِّرِينَ بِضَلَالَاتٍ وَزُخْرُفٍ أَقْوَالِ أَيْمَةِ الشُّرْكِ الْمُضِلِّينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى تَعْقِيبًا عَلَى بَاطِلِ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَالنَّهْمَ لَكَذِبُونَ﴾ (٩٠): أي: لا شيء عند المشركين يستحق أن يُعْبَأَ بِهِ أو يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ، بَلِ الْحَقُّ مَا جِئْنَاهُمْ بِهِ فِي آيَاتِ كِتَابِنَا، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِنَا، وَإِنَّهُمْ فِي كُلِّ مَفْهُومَاتِهِمُ الشَّرِكِيَّةِ وَدَعَاوَاهُمْ بِشَأْنِ وُجُودِ آلِهَةٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَكَاذِبُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا التَّعْقِيبَ عَلَى بَاطِلِ الْكُفَرَةِ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾:

• ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾: أي: مَا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ وَلَدًا يُعِينُهُ وَيُشَارِكُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَنَفْيُ الْوَلَدِ يَقْتَضِي نَفْيَ أَكْثَرِ مِنْ وَلَدٍ.

وجاءت «من» زائدة لتوكيد عموم النفي والتنصيص عليه.

إِنَّ وَلَدًا يَنْفَصِلُ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ يَتَنَافَى عَقْلًا مَعَ أَرْزَلِيَّةِ اللَّهِ وَأَبْدِيَّتِهِ، فَالْأَرْزَلِيُّ الْأَبْدِيُّ لَا يَتَغَيَّرُ، وَالْمَتَغَيِّرُ لَا يَكُونُ أَرْزَلِيًّا وَلَا أَبْدِيًّا، وَهُوَ لَا يَلِدُ وَلَا يُولَدُ، وَالَّذِي يَلِدُ أَوْ يُولَدُ لَا يَكُونُ أَرْزَلِيًّا وَلَا أَبْدِيًّا.

وَاتِّخَاذُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَلَدًا بِالتَّبَنِّي نَقْصٌ يَنْزَعُهُ عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ مُتَابِعُ أَعْمَالِ الْخَلْقِ فِيهِ مِنْ أَصْغَرِ ذَرَّةٍ إِلَى أَكْبَرِ مَجَرَّةٍ، حَتَّى الْعَرْشِ، فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْحَاجَةُ لِاتِّخَاذِ وَلَدٍ بِالتَّبَنِّي.

• ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾: «من» مِثْلُ سَابِقَتِهَا زِيدَتْ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ وَالتَّنْصِصِ عَلَيْهِ.

أي: وَمَا كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ هُوَ رَبُّ خَالِقٍ، أَمَّا مَا يَتَّخِذُ النَّاسُ مِنْ آلِهَةٍ فَهِيَ بَاطِلَةٌ، إِذْ لَيْسَ لَهَا رُبُوبِيَّةٌ وَلَا خَلْقٌ، بَلْ هِيَ مُفْتَرَاةٌ مَكْذُوبَةٌ عَلَى اللَّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَشَمَلَ سُلْطَانُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

• ﴿إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ :

أي: لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ الرَّبُّ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ؛ إِلَهَةٌ هِيَ أَرْبَابُ خَالِقَةٍ، مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُعْبَدَ؛ لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ هُوَ رَبُّ خَالِقٍ بِمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي خَلَقَهَا مِنْ أَشْيَاءٍ وَأَحْيَاءٍ، وَانْتَحَى بِهَا نَاحِيَةً مِنَ الْفَرَاغِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي أَبْعَادِ مَا بَعْدَ السَّمَاوَاتِ وَالْعُرُشِ وَكُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ، الْخَاضِعِ لِنِظَامِ وَحْدَةٍ مُتَمَاسِكَةٍ مِنْ أَفْصَى الْكَوْنِ إِلَى أَقَاصِيهِ، وَلَجَعَلَ لِمَخْلُوقَاتِهِ كَوْنًا مُنْفَصِلًا عَنِ كَوْنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وَحِينَ تَتَفَاصَلُ الْأِلَهَةُ الْأَرْبَابُ، وَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَوْنٌ فِي الْفَرَاغِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ وَرَاءَ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِي هُوَ خَلَقَ اللَّهُ وَمِلْكُهُ؛ فَسَيَحْضُلُ بَيْنَ الْأِلَهَةِ الْأَرْبَابِ ذَوَاتِ الْأَكْوَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ؛ تَنَافُسٌ وَصِرَاعَاتٌ تُفْضِي إِلَى أَنْ يَغْلُو بَعْضُهُمُ الْأَشَدُّ قُوَّةً عَلَى بَعْضِهِمُ الْأَضْعَفُ، وَتَنْتَهِي الصِّرَاعَاتُ بِغَلَبَةِ الْأَقْوَى، وَبِقَاءِ رَبِّ وَاحِدٍ فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

هَذِهِ حُجَّةٌ فِكْرِيَّةٌ لِإِقْنَاعِ الْمُشْرِكِينَ بِبُطْلَانِ وُجُودِ إِلَهَةٍ بِحَقِّ، هِيَ أَرْبَابُ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

• ﴿... سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) : أي: تَنَزَّهَ اللَّهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الَّذِي لَا إِلَهَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ مَا فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَهَذَا مَا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، إِذْ يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَنْ لَهُ فِي الْوُجُودِ شَرِيكًا أَوْ شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

• ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٢) :

الْغَيْبُ: مَا غَابَ عَنِ مُشَاهَدَةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِدْرَاكَاتِهِمْ.

الشَّهَادَةُ: مَا يَشْهَدُهُ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَوْ كَانَ غَيْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَخْلُوقَاتٍ أُخْرَى.

أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا شَيْءَ هُوَ غَيْبٌ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِ، بَلْ كُلُّ مُوْجُودٍ هُوَ مَشْهُودٌ لَهُ، حَتَّى نَوَاةِ الذَّرَّةِ، وَالْأَلِكِثْرُونَ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَهَا، وَمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ.

فالمعنى: تَنْزِيهَاً لِلَّهِ عَمَّا يَصِفُ الْمُشْرِكُونَ، كَيْفَ يَدَّعُونَ أَنَّ اللَّهَ شُرَكَاءُ وَهُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَهُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ، وَعَالِمُ الشَّهَادَةِ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِمْ!!، وَمِنَ الْغَيْبِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ مَا وَرَاءَ هَذَا الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ إِلَهَةٌ هِيَ أَرْبَابُ لَكَانَ عَالِمًا بِهَا.

• ﴿... فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٧): أي: فَتَسَامَى وَتَرَفَعَ اللَّهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ الْحَقُّ عَمَّا يُشْرِكُ الْمُشْرِكُونَ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (المؤمنون).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (المؤمنون)
الآيات من (٩٣ - ٩٨)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ مَا يُوعَدُونَ﴾ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾:

القراءات:

(٩٨) • قَرَأَ يَعْقُوبُ: [يَحْضُرُونِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَضَلًّا وَوَقْفًا.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَحْضُرُونَ] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ مُلَاحَظَتِهَا ذَهْنًا.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ تَعْلِيمَاتٍ ثَلَاثُ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ:

• ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيَّتِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِلْمَاحٌ ضَمْنِيٌّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ بِأَنَّهُ سَيُرِيهِ مَا يَعِدُ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكَ وَالضَّلَالِ الْمَعَانِدِينَ الْمُكَابِرِينَ، الَّذِينَ يُشَاقِقُونَ الرَّسُولَ - ﷺ - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَيَخْرِصُونَ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْهُمْ بِآيَةٍ وَسِيلَةٍ تُتَّاحَ لَهُمْ، وَقَدْ حَصَلَ هَذَا فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكِبْرَى بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ.

• ﴿قُلْ رَبِّ﴾: دُعَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلِمَةٍ: «رَبِّ» هُوَ الْأَدَبُ فِي دُعَاءِ الرَّبِّ وَنِدَائِهِ، وَهُوَ الْأَدَبُ الَّذِي التَزَمَ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَدْعِيَّتِهِمْ بِاسْتِثْنَاءِ أَحْوَالِ نَادِرَةٍ جِدًّا يَقُولُ فِيهَا الدَّاعِي: «يَا رَبِّ»، وَيَكُونُ فِي ذَاتِ اللَّهِ لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ.

• ﴿... إِنَّمَا تُرِيَّتِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾: «إِنَّمَا» هِيَ مُرَكَّبَةٌ مِنْ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةِ وَحَرْفِ «مَا» الْمَزِيدِ لِلتَّوَكِيدِ، وَلِذَا جَاءَ تَوَكِيدُ فِعْلِ الشَّرْطِ بِنَوْنِ التَّوَكِيدِ الثَّقِيلَةِ.

أَي: رَبِّ إِنَّ تُرْنِي مَا يُوعَدُ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ مِنْ عِقَابٍ مُعَجَّلٍ؛
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي عِنْدَ انْزَالِ عِقَابِكَ وَتَعْذِيبِكَ بِهِمْ ضِمْنَ الْمَكَانِ الَّذِي تُنْزِلُ
عَلَيْهِمْ فِيهِ وَسَائِلَ عِقَابِهِمْ وَتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ.

وَفِي تَكْرِيرٍ لَفِظِ «رَبِّ» دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَحْسُنُ بِالَّذِي يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ بِدُعَاءِ ذِي فَقَرَاتٍ؛ أَنْ يُكْرَرَ قَبْلَ كُلِّ فِقْرَةٍ مِنْهُ عِبَارَةٌ «رَبِّ»، لِمَا فِي
هَذَا التَّكْرِيرِ مِنْ تَجْدِيدٍ لِلإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِعْلَانِ خُضُوعٍ
وَذُلٍّ لَهُ وَتَضَرُّعٍ، وَهَذَا أَدْعَى لِلِاسْتِجَابَةِ.

وَفِي عِبَارَةٍ: ﴿رَبِّ إِمَّا تُرِيتَنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ مَعْنَى الدُّعَاءِ بِأَنْ يُرِيَهُ اللَّهُ
ذَلِكَ دُونَ تَضَرُّعٍ بِهَذَا الطَّلَبِ، فَفِي الْفِقْرَتَيْنِ مَطْلُوبَانِ، وَقَبْلَ كُلِّ
مَطْلُوبٍ مِنْهُمَا عِبَارَةٌ إِيْمَانٍ وَخُضُوعٍ وَذُلٍّ وَتَضَرُّعٍ لِلرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ
سُلْطَانُهُ.

وَأُطْمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ ﷺ بِأَنْ يُرِيَهُ بِأَشَدِّ أَعْدَاءِ دَعْوَتِهِ مَا
يُوعَدُونَ مِنْ عِقَابٍ وَإِذْلَالٍ وَإِهْلَاكِ، فَقَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُؤَكِّدًا:
• ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيَكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ (٩٥):

جاء في هَذِهِ الْعِبَارَةِ التَّوَكُّيدُ بـ «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ
الْمُزْحَلَّةُ.

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذَا التَّوَكُّيدِ إِسْمَاعُ الْكُفْرَةِ الْمَعَانِدِينَ
الظَّالِمِينَ، الْمَوْعُودِينَ بِالْعِقَابِ.

الْوَعْدُ: يَكُونُ بِالْخَيْرِ، وَيَكُونُ بِالشَّرِّ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْوَعْدُ بِالشَّرِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُتَابِعُ تَعْلِيمَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦):

أَي: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ بِأَفْعَالِهِمْ أَوْ بِأَقْوَالِهِمْ؛ فَلَا تُقَابِلْ سَيِّئَاتِهِمْ

بَسِيَّاتٍ، بَلِ ادْفَعْ السَّيِّئَةَ الَّتِي تَنَالُكَ مِنْهُمْ؛ بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

إِنَّ الدَّفْعَ بِالْخَصْلَةِ الْأَحْسَنِ يَهْدِمُ مِنْ غَنَفٍ قَبِيحَتِهِمْ، وَيَجْعَلُهُمْ يَتَوَقَّفُونَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا أَوْ بِأَفْبَحَ مِنْهَا، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، إِذْ هُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَبِمَا يَقُولُونَ.

• ﴿... نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦): أي: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْذُونَكَ بِهِ مِنْ أَقْوَالٍ يَصِفُونَكَ بِهَا مِنْ كُلِّ ذِي عِلْمٍ، كَمَا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْذُونَكَ بِهِ مِنْ أَفْعَالٍ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ، وَنَحْنُ بِحُكْمَتِنَا نُمَهِّلُهُمْ إِلَى الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ لِعِقَابِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَعْلِيمَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾:

حِينَ يُؤْذِي الْإِنْسَانُ مَهْمًا كَانَ ذَا خُلُقٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَشَرِ؛ قَدْ تَنَاقَرُ نَفْسُهُ، وَقَدْ تُحَدِّثُهُ بِأَنْ يَنْتَقِمَ لِنَفْسِهِ، وَلَكَلَّا يَتَعَرَّضَ الرَّسُولُ ﷺ لِهَذَا وَنَحْوِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُعَاءَ الْوَقَايَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا، فَعَلَّمَهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِرَبِّهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَسْتَعِيدَ بِهِ مِنْ حُضُورِهِمْ وَلَوْ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِهِمْ زَاتِهِمْ.

هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ: خَاطِرَاتُهُمْ الَّتِي يُخْطِرُونَهَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَفِكْرِهِ وَقَلْبِهِ.

وبهذا انتهَى الدرس الرابع عشر من دروس سورة (المؤمنون).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٩)

التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (المؤمنون)

الآيات من (٩٩ - ١١٨) آخر السورة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
رَزَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
هُمْ الْمُقِيلُونَ ۚ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ۚ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَى
عَلَيْكَ فَكُنتَ بِهَا تَكَذِّبُونَ ۚ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
ضَالِّينَ ۚ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۚ (١٠٧) قَالِ أَخَشِئُوا فِيهَا وَلَا
تُكَلِّمُونَ ۚ (١٠٨) إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۚ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرًا حَتَّى أَتَوْكُم بِذِكْرٍ وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَصْحَكُونَ ۚ (١١٠)
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ (١١١) قُلْ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ
عَدَدُ سِينِينَ ۚ (١١٢) قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ۚ (١١٣) قُلْ إِنْ لَيْسَتْ
إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا
لَا تُرْجَعُونَ ۚ (١١٥) فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ
ۚ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۚ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۚ﴾ (١١٨)

القراءات:

(٩٩) • قرأ يعقوب: [ارْجِعُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.
وقرأها باقي القراء العشرة: [ارْجِعُونَ] بحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً.

(١٠٠) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: [لَعَلِّي أَعْمَلُ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

(١٠٦) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [شَقَاوُنَا].

وقراها باقي القراء العشرة: [شِفُونَا].

الشَّقْوَةُ، والشَّقَاوَةُ: الشَّقَاءُ، والتَّعَاسَةُ وسوء الحال، والضَّلَالُ، وهذا المعنى الأخير هو المناسبُ هنا فيما أرى.

(١٠٨) • قرأ يعقوب: [وَلَا تُكَلِّمُونِي] بإثبات ياء المتكلم وضلاً ووقفاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَا تُكَلِّمُونِ] بحذف ياء المتكلم مع مُلَاخَظَتِهَا ذهناً.

(١١٠) • قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: [سُخْرِيًّا] بضَمِّ السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [سِخْرِيًّا] بِكسْرِ السين.

سُخْرِيًّا، وَسِخْرِيًّا: لُغَتَانِ بمعنى واحدٍ، وهُوَ الْهُزُّ وَالسُّخْرِيَّةُ.

(١١١) • قرأ حمزة، والكسائي: [إِنَّهُمْ هُمْ] بِكسْرِ همزة «إِنَّ».

وقراها باقي القراء العشرة: [أَنَّهُمْ هُمْ] بفتح همزة «أَنَّ»، وبين القراءتين تكاملٌ في المعنى.

(١١٢) • قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: [قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ].

(١١٣) • قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف، ووقفاً حمزة: [فَسَلِ].

وقراها باقى القراء العشرة: [فاسأل].

وهما وجهان عريان.

(١١٤) • قرأ حمزة، والكسائي: [قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ].

وقراها باقى القراء العشرة: [قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ].

(١١٥) • قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [لَا تُرْجِعُونَ]

بفتح التاء وكسر الجيم.

وقراها باقى القراء العشرة: [لَا تُرْجِعُونَ] بضم التاء وفتح الجيم.

وبينهما تكامل في الأداء البياني.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس الأخير من دروس السورة:

(١) لَقَطَاتٌ من أحداثٍ تبدأ عند الموت، وأحداثٍ تكون بعد البعث، وأحداثٍ تكون حينما يدخل الذين خسروا أنفسهم في جهنم، وبعض ما يقال لهم فيها، وما يجيئون به، وما يرد به عليهم.

(٢) بَيَانٌ مَا يُسْأَلُهُ الْمَبْعُوثُونَ عَنْ مُدَّةِ بَقَائِهِمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

(٣) بَيَانٌ إِقْنَاعِيٍّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ ضَرُورَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، مع إنذار المشركين بأنهم لا يفلحون.

(٤) تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ:

﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ أَنْهَوْا رِحْلَةَ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

كَاْفِرِينَ، مُكْذِبِينَ يَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
وفي قراءة: [ارْجِعُونِي]:

«حَتَّىٰ»: هُنَا ابْتِدَائِيَّةٌ يُبْتَدَأُ بِعَدِّهَا بِجُمْلَةٍ مَا.

أَي: حِينَ يَجِيءُ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ وَيَرَىٰ مَلَائِكَةَ التَّعْذِيبِ الْمُخِيفَةِ، وَتَنَكُّشِفُ عَنْهُ الْحُجُبُ، وَيَرَىٰ مَكَانَهُ مِنْ جَهَنَّمَ؛ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا، لِيُؤْمِنَ إِيمَانًا صَاحِحًا صَادِقًا، وَيَعْمَلَ أَعْمَالًا صَالِحَةً يَدْفَعُهُ إِلَىٰ عَمَلِهَا إِيمَانُهُ، فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ مُتَذَلِّلًا خَاضِعًا مُعْتَرِفًا بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ: رَبِّ ارْجِعُونِي (يُخَاطَبُ رَبَّهُ بِضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ الْعَظِيمِ)، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا يُرْضِيكَ فِيمَا تَرَكْتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَجَالَاتِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

لَكِنْ قَاتِ الْأَوَانَ، وَانْتَهَى زَمَنُ الْامْتِحَانِ، وَدَخَلَ الْمِيتُ عَتَبَةَ الْآخِرَةِ، وَشَاهَدَ مِنْهَا مَشَاهِدَ تَجَعُّلِهِ يُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا كَانَ يَكْفُرُ بِهِ، وَيُكْذِّبُ بِهِ إِيْمَانَ شُهُودٍ، لَا إِيمَانًا بِالْغَيْبِ اسْتِنَادًا إِلَىٰ بَرَاهِينِ الْعَقْلِ، وَقَدْ كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ عَقْلَهُ وَيُؤْمِنَ بِالْغَيْبِ.

إِنَّ الْإِيْمَانَ الْمَبْنِيَّ عَلَىٰ الشُّهُودِ الْحِسِّيِّ لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي اخْتِبَارِ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ.

وَيَأْتِي الرَّدُّ الرَّبَّانِيُّ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾:

«كَلَّا» كَلِمَةٌ زَجَرٍ فِيهَا مَعْنَى التَّوْبِيخِ وَالتَّخْصِيرِ وَالتَّنْذِيرِ، وَأَرَىٰ أَنَّهَا أَوْ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَاهَا تَصِلُ إِلَىٰ نَفْسِ الْكَافِرِ الَّذِي طَلَبَ إِزْجَاعَهُ إِلَىٰ طُرُوفِ حَيَاةِ الْامْتِحَانِ.

أما عبارة: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فالظاهر أنها تصل إلى الملائكة الموكلين به، والمعنى: أنها كلمة صادرة عنه غير مسبقة منا باحتمال أن نستجيب طلبه فيها أو في أمثالها، بعد انتهاء كل ظروف امتحانه، ودخوله مراحل أزمان الجزاء.

ورغبة الكافر أن يقضي الله له باستئناف رحلة امتحانه حتى تمنيه أن يكون تراباً؛ قد جاء بشأنها عشرة نصوص متكاملة فيما بينها، وهي تدل على عشرة مواقف في عشر مراحل بدأ من موقفه عند الموت، حتى تمنيه أن يكون تراباً وهو في جهنم وقد سبقت دراسة هذا^(١).

• ﴿وَمِنْ ذَرِّيَّتِهِم بِرَزْخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

أي: ومن وراء الموتى، ومشاهداتهم التي يشهدونها عند الموت وعقبه، وما يكون منهم وعليهم؛ فاصل يستمر زمنه إلى يوم يُبعثون، ليلاقوا أحداث يوم الدين، يوم الجزاء الأكبر.

كل زمن مستقبل بالنسبة إلى الذين لا يعلمون مستقبلهم هو وراءهم لأن ظهورهم موجهة له.

■ قول الله تعالى يتابع بيان أحداث ما بعد الموت:

• ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ (١٢١) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٢٢) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٢٣) ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٢٤):

أي: فإذا نفخ في الصور نفخة البعث بعد انتهاء البرزخ الفاصل بين الموت والبعث؛ خرج المبعوثون الذين كانوا موضوعين في الحياة الدنيا

(١) انظر الملحق الثامن من ملاحق تدبر سورة (الأعراف/ ٣٩ نزول) في المجلد الخامس.

مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ لِمُلَاقَاةِ حِسَابِهِمْ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ الَّذِي قَضَى بِهِ اللَّهُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَجِدُونَ أَنْسَاباً نَافِعَةً لَهُمْ، إِذْ يَأْتِي كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى رَبِّهِ فَرْدًا، لِيُحَاسِبَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ بَأَنَّهُ مِنْ سَلَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ أَبٍّ أَوْ جَدٍّ لِرَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ حِسَابُهُ وَعَذَابُهُ أَشَدَّ إِذْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَقَدْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا جَاءَ بِهِ وَخَالَفَهُ كُفْرًا وَعِنَادًا، وَاتَّبَاعًا لِلْهَوَىٰ وَإِثَارًا لِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَوَلَدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآزَرَ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾: أي: وَلَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ يُعِينَهُ، أَوْ يَدْفَعَ عَنْهُ شَيْئًا، مَهْمَا كَانَتِ الْقَرَابَةُ بَيْنَهُمْ قَرِيبَةً، لِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مَشْغُولٌ بِمُومٍ نَفْسِهِ، وَقَدْ تَحَدَّثُ مَوَاقِفُ يَفِرُّ فِيهَا الْمَرْءُ مِنْ أَقْرَبِ أَقْرِبَائِهِ وَأَحْبَابِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (عَبَسَ/ ٢٤ نزول):

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ③٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ③٥ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ③٦ لِ كُلِّ آتْرِ بِنْتِهِمْ يَوْمَ ذِئْدِ شَأْنٍ يُعِينُهُ ③٧﴾:

الصُّور: مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ، إِحْدَى جِهَتَيْهِ فُتْحَةٌ دَائِرِيَّةٌ ضَيِّقَةٌ نِسْبِيًّا، وَالْأُخْرَى وَاسِعَةٌ جِدًّا، وَبَاطِنُهُ فَارِعٌ، يُمَكِّنُ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ، فَيُضْدِرُّ صَوْتًا بِحَسَبِهِ، وَلَهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يُؤَمِّرُ بِالنَّفْخِ فِيهِ نَفْخَةً إِنَّهَا طُرُوفُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنَفْخَةُ الْبَعْثِ.

وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ الْمُرَادُ هُنَا هُوَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

• ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ③٧ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ③٨ تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْعِخْلِ ③٩﴾:

• ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: أَفْلَحَ: أي: نَجَا وَفَارَ وَظَفِرَ، وَأَضْلُ الْفَلَاحِ: الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ.

• ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾: أي: تَمَسُّ وُجُوهَهُمُ النَّارُ فَتُحْرِقُهَا إِحْرَاقاً غَيْرَ مُنْضِجٍ لِلْحُومِهَا وَعِظَامِهَا، أَمَّا جُلُودُهُمْ فَكُلَّمَا نَضِجَتْ بَدَلَهُمُ اللَّهُ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

• ﴿كَلِثُونَ﴾: الْكَلِخُ: شِدَّةُ الْعُبُوسِ فِي الْوَجْهِ مَعَ تَقَلُّصِ عَضَلَاتِهِ، وَالْكَالِخُ: مَنْ قَصُرَتْ شَفَتُهُ أَوْ شَفَتَاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ، وَمِثْلُ هَذَا يَخْذُثُ مِنْ لَفْحِ النَّارِ لِلْوَجْهِ.

جاء ذكر «المَوازِينِ» في العبارَتَيْنِ مَجْمُوعاً، وَأَرَى أَنَّ الْجَمْعَ يَرَادُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهَا مَوَازِينُ مُتَنَوِّعَةٌ تُنَاسِبُ صُنُوفَ الْأَعْمَالِ وَأَنْوَاعِهَا، الْقَلْبِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ، وَالْفِكْرِيَّةِ، وَالْجَسَدِيَّةِ، ثُمَّ تُجْمَعُ نَتَائِجُ حِسَابَاتِ الْمَوَازِينِ، وَتُبْنَى عَلَيْهَا أَحْكَامُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَطَرِيقَةُ الْوِزْنِ فِي مَوَازِينِ يَوْمِ الدِّينِ؛ تَعْتَمِدُ عَلَى ثِقَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَمَّا الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ وَالْأَعْمَالُ الْحَيَادِيَّةُ الَّتِي لَا تُصَنَّفُ مَعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلَا مَعَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ؛ فَهِيَ سَالِبَةٌ خَفِيفَةٌ، أَوْ طَائِشَةٌ إِلَى جَانِبِ السَّلْبِ، فَهِيَ لَا وَزْنَ لَهَا، وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ ذَاتُ وَزْنٍ سَالِبٍ.

وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ تَشْمَلُ كُلَّ مَا يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ، مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ، وَتَحُلُّ مَحَلَّ رِضَى مِنْهُ، فَتَشْمَلُ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ الصَّادِقَ، وَالنِّيَّاتِ، وَالْأَفْكَارَ، وَحَرَكَاتِ النُّفُوسِ الْإِرَادِيَّةِ، وَتَشْمَلُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ، وَالْمَقْرُونَةَ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى، مَعَ التَّزَامِ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ^(١).

(١) انظر تمة هذا التحليل ما جاء في تدبر سورة (القارة/ ٣٠ نزول).

وَأُظْلِمَتْ كَلِمَةُ «الْمَوَازِينِ» وَأُرِيدَ بِهَا مَا يُوزَنُ بِهَا، لِأَنَّ مَا يُوزَنُ بِهَا هُوَ الَّذِي يَنْثَقُلُ وَيَخْفُ، وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ مَا يَحُلُّ بِهِ.

المعنى: فَمَنْ ثَقُلَتْ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ لَدَى وَزْنِهَا فِي مَوَازِينِ مَا اكْتَسَبَ مِنْ أَعْمَالٍ إِرَادِيَّةٍ، فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَأُولَئِكَ الْفُضَّلَاءُ رَفِيعُوا الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ هُمْ الْمُفْلِحُونَ النَّاجُونَ الْفَائِزُونَ الظَّافِرُونَ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، عَلَى دَرَجَاتِهِمْ الَّتِي مُنِحُوهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا قَدَّمُوا.

وَمَنْ خَفَّتْ أَعْمَالُهُ إِذْ كَانَتْ سَيِّئَةً أَوْ حِيَادِيَّةً لَدَى وَزْنِهَا فِي مَوَازِينِ مَا اكْتَسَبَ مِنْ أَعْمَالٍ إِرَادِيَّةٍ، فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَأُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ الْمَتَسَقِّلُونَ بِمَا اكْتَسَبُوا الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ؛ مُقِيمُونَ دَائِمًا وَأَبَدًا فِي جَهَنَّمَ، يُعَذَّبُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، أَشَدَّهَا عَذَابُ الْحَرِيقِ، إِذْ تَمَسُّ وُجُوهُهُمْ وَسَائِرُ أَجْسَادِهِمْ تَبَعًا لَوُجُوهِهِمْ؛ النَّارُ فَتُحْرِقُهَا إِحْرَاقًا غَيْرَ مُنْضِجٍ لِلْحُومِهَا وَعِظَامِهَا، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ كَالْحُوتِ، تَقَبَّضَتْ عَضَلَاتُ وُجُوهِهِمْ غُبُوسًا وَكَرْبًا، وَقَصُرَتْ بِالْحَرِيقِ شِفَاهُهُمْ عَنْ أَسْنَانِهِمْ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ خَسَارَةَ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْخَسَارَاتِ.

وَقَدْ جَاءَتْ إِعَادَةُ الضَّمِيرِ عَلَى «مَنْ» فِي الْعِبَارَتَيْنِ بِالْأَفْرَادِ أَوَّلًا مُرَاعَاةً لِللَّفْظِ «مَنْ»، وَأُشِيرَ إِلَيْهَا بِلَفْظِ «أُولَئِكَ» فِي الْعِبَارَتَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ مُرَاعَاةً لِمَعْنَاهَا، إِذْ لَفْظُ «مَنْ» الْمَوْصُولَةُ: مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ بَعْضِ أَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ خَفَّتْ مَوَازِينُهُمْ:

• ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَدْعِي إِلَى عَذَابِكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٥٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٥١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا

ظَلِمُوا ۖ ﴿١١٧﴾ قَالَ أَخَشُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١١٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَلِرَحْمَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٩﴾ فَأَخَذْتُوهُمْ سَخِرْنَا حَتَّىٰ أَسْوَأَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآرِضُونَ ﴿١٢١﴾ :

آيَاتٌ فِيهَا بَيَانٌ حِوَارِ بَيْنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ وَبَيَّنَ أَهْلَ النَّارِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِيهَا، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ يَصِلُهُمْ؛ وَإِمَّا أَنْ يُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُكَلَّفُونَ أَنْ يُشْرِفُوا عَلَىٰ تَعْذِيبِهِمْ فِي جَهَنَّمَ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي جَهَنَّمَ، وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا جَوَابًا لِّضَرْعِهِمْ أَنْ يُخَفِّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ:

• ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ :

أي: أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ آيَاتِي الْبَيَانِيَّةَ الْمُنَزَّلَةَ، وَهِيَ مِنْ كِتَابِي لِلنَّاسِ؛ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ فِي حَيَاةِ الْاِمْتِحَانِ، مِنْ قَبْلِ رَسُولِي، أَوْ مِنْ قَبْلِ مُبَلِّغِي رَسُولِيهِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَكُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ تُكَذِّبُونَ بِهَا رَسُولِي الَّذِي بَلَّغَهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَأْيِيدِي لَهُ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ الْمُثَبِّتَاتِ صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

فَيَجِئُونَ بِمَضْمُونٍ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ :

جَاءَ التَّغْيِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَقُولُونَهُ بِدُونِ شَكٍّ، وَهُوَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ الشَّامِلِ لِمَا كَانَ، وَلِمَا يَكُونُ، وَلِمَا سَوْفَ يَكُونُ، وَهُوَ بِمِثَابَةِ الْأَمْرِ الَّذِي تَحَقَّقَ وَقُوعُهُ فِي الْمَاضِي، إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ عَلَىٰ خِلَافِهِ.

الشَّقْوَةُ: الشَّقَاءُ، وَهُوَ الْعُسْرُ وَالتَّعَبُ، وَالشَّدَّةُ، وَالضَّلَالُ. وَالشَّقِي: التَّعِيسُ غَيْرُ السَّعِيدِ.

• ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: أي: غَلَبَتْ عَلَى إِرَادَاتِنَا ضَلَالَتُنَا الَّتِي اتَّبَعْنَا بِهَا أَهْوَاءَنَا وَشَهَوَاتِنَا وَمَتَاعَاتِنَا مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَجَلَبَتْ لَنَا التَّعَاسَةَ وَسُوءَ الْحَالِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ.

وَاعْتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا:

• ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١١٦): أي: وَكُنَّا فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ قَوْمًا ضَالِّينَ ضَلَالًا إِرَادِيًّا، لَمْ نَكُنْ فِيهِ مَجْبُورِينَ.

وَطَمِعُوا إِذْ مَكَّنُوهُمُ مِنَ الْجَوَارِ مَعَ رَبِّهِمْ، وَبَعْدَ إِعْلَانِهِمُ الْاعْتِرَافَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا ضَالِّينَ؛ أَنْ يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ مِنْ جَهَنَّمَ وَيَسْتَأْنِفُوا رِحْلَةَ امْتِحَانِهِمْ إِذَا دَعَا بِذَلِكَ وَتَضَرَّعَ، فَقَالُوا كَمَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ:

• ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١١٧):

أي: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَأَرْجِعْنَا إِلَى حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، لِنَعْمَلَ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُرْضِيكَ عَنَّا، فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ، فَإِنَّا ظَالِمُونَ ظُلْمًا مِنْ أَحْسَنِ الدَّرَكَاتِ، وَنَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ.

لَقَدْ تَوَهَّمُوا أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرْجَعَهُمْ إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فَإِنَّهُ يُرْجِعُهُمْ وَيُبْقِي فِي ذَاكِرَاتِهِمْ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَحْدَاثِ الْآخِرَةِ وَعَذَابِ جَهَنَّمَ، إِنَّ ظُرُوفَ امْتِحَانِهِمُ الْمُسْتَأْنَفِ سَتَكُونُ مُمَازِلَةً لَامْتِحَانِهِمُ الْأَوَّلِ تَمَامًا، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَمْسَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَاكِرَاتِهِمْ كُلَّ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَحْدَاثِ الْآخِرَةِ وَعَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُونَ مِثْلَ مَا كَانُوا فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَئِذٍ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودُوا إِلَى مَا سَبَقَ أَنْ نُهَوَا عَنْهُ، فَلَا فَائِدَةَ تَرْجَى مِنْ إِعَادَتِهِمْ، إِنَّ اخْتِيَارَهُمُ الثَّانِي سَيَكُونُ مُطَابِقًا لاختيارهم الأول.

لِهَذَا يُجِيبُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْبَيَانُ التَّالِي:

• ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١١٨):

الْخَاسِيَةُ: الدَّلِيلُ الْمَطْرُودُ الْمُبْعَدُ.

أي: كُونُوا أَذِلَّةً مَطْرُودِينَ مُبْعَدِينَ مِنْ وَاسِعِ رَحْمَتِي، تُعَذَّبُونَ فِي جَهَنَّمَ، وَلَا تُكَلِّمُونِي بِدُعَاءٍ وَلَا بِتَلْفِيقٍ أَعْدَارٍ.

وَأَقَامَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِنُظْرَائِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ فِي وَضْعِهِمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالْتِزَامِ الْبَاطِلِ، بَلْ آمَنُوا وَاسْتَغْفَرُوا وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ، بَيْنَمَا كَانَ الْجَهَنَّمِيُّونَ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ:

• ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾:

أي: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي الَّذِينَ وَضَعْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، لَهُمْ تَقْصِيرَاتٌ وَمَعَاصٍ وَذُنُوبٌ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا؛ يَقُولُونَ: رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَوْجَبْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ وَلَكِنَّا ارْتَكَبْنَا خَطَايَا، فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا خَطَايَانَا، وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، فَاجْعَلْنَا يَوْمَ الدِّينِ مِنَ الْفَائِزِينَ فِي جَنَّتِكَ النَّاجِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

الفوز: يَأْتِي بِمَعْنَى الظَّفَرِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الشَّرِّ، وَبِمَعْنَى الرِّيحِ.

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ أَيُّهَا الْجَهَنَّمِيُّونَ وَأَنْتُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ مَسْخُورًا مِنْهُمْ، مُسْتَهْزَأً بِهِمْ، لِتَصُدُّوهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَتَرُدُّوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَارْتِكَابِ أَشْنَعِ الْكِبَايِرِ وَأَقْبَحِهَا، فَصَبَرُوا عَلَى اسْتِهْزَائِكُمْ بِهِمْ، وَفَرِحْتُمْ أَنْتُمْ بِأَنَّهُ يُوجَدُ بَشَرٌ تَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، وَجَرَّكُمْ فَرَحُكُمْ وَسُرُورُكُمْ بِالتَّعَالِي مُسْتَهْزِئِينَ عَلَى بَشَرٍ أَمْثَالِكُمْ؛ حَتَّىٰ صِرْتُمْ لَا تُفَكِّرُونَ بِذِكْرِي، وَيُعْجِبُكُمْ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَضْحَكُوا مِنْهُمْ، وَتَوذُّوهُمْ فِي نَفُوسِهِمْ، وَحَسُنَ فِي نَفُوسِكُمْ أَنْ تَسْتَمِرُّوا كَافِرِينَ مُكَذِّبِينَ يَوْمَ الدِّينِ.

هَؤُلَاءِ: إِنِّي بِعَفْوِي وَرَحْمَتِي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا جَزَاءَاتٍ ثَلَاثِمِ أَوْضَاعَهُمْ، وَأَنْزَلْنَاهُمْ مَنَازِلَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ بِحَسَبِ مَا قَدَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ عَمَلٍ، وَكُنْتُمْ تَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ لَهُمْ فَوْزٌ عِنْدِي، فَحَيِّبْتُ ظَنِّكُمْ الْبَاطِلَ، وَاثْبَتُ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ لَا أَنْتُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ بَعْضِ أَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ بَعْدَ الْبُعْثِ:

• ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾:

وَجَاءَ فِي قِرَاءَةِ أُخْرَى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

وَجَاءَ أَيْضاً: ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾:

يَبْدُو أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَكْلَفِينَ أَنْ يُشْرِفُوا عَلَى سَوْقِهِمْ وَالْقَائِمِينَ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِهِمْ؛ أَنْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ مُدَّةِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبُعْثِ، فَإِذَا سَمِعَ إِجَابَتَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فجاءت قراءة «قُلْ» و«قَالَ» في الآية (١١٢)، وقراءة «قُلْ» و«قَالَ»

في الآية (١١٤) دالة على هذا، أي: قَالَ اللَّهُ لَهُ: «قُلْ»، فَنفَّذَ الْأَمْرَ الرَّبَّانِيَّ و«قَالَ».

أي: قَالَ الْمَلَكُ الْمَكْلَفُ الْمَأْمُورُ بِالْإِشْرَافِ عَلَى سَوْقِهِمْ وَتَعْذِيبِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ كَثِيرُونَ: كَمْ أَقَمْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبُعْثِ؟.

فَيُجِيبُونَ بِحَسَبِ مَا يَتَصَوَّرُونَ، لِأَنَّ الْإِحْسَاسَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ مَهْمَا طَالَ يَكُونُ مُلَغًى مِنْ نَفْسِهِمْ، فَالسَّاعَةُ وَمِليَارَاتُ الْقُرُونِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى إِحْسَاسِهِمْ سَوَاءً، وَنَحْنُ نَشْهَدُ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْجَرَاحِيَّةِ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ تَخْدِيرٍ.

إِنَّهُمْ يُجِيبُونَ بِحَسَبِ تَصَوُّرِهِمُ السَّائِلَ لَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُونَ لَهُ:

• ﴿لَيْتَنَا﴾: أَي: أَقَمْنَا بِحَسَبِ تَصَوُّرِنَا، لِأَنَّا كُنَّا قَاقِدِينَ الْإِحْسَاسَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ، يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَلَا تَسْأَلُنَا نَحْنُ، وَلَكِنْ اسْأَلِ الْعَادِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِحْسَاسِ بِمُرُورِ الزَّمَنِ مِنَ الْأَحْيَاءِ، كَأَهْلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمَأْمُورُ بِسُؤَالِهِمْ:

• ﴿... إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١٤):

أَي: مَا لَيْتُمْ مَهْمَا طَالَ زَمَنٌ مُكْثِكُمْ مَوْتًا فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَزْمَانِ الدَّهْرِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخُلُودِ الَّذِي سَتَخْلُدُونَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى إِدْرَاكِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَتُؤْمِنُونَ بِأَنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ وَمُجَازَوْنَ جَزَاءً خَالِدًا فِي أَزْمَانٍ مُتَوَالِيَاتٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا لَهُمْ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ:

• ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾:

الْعَبَثُ: الْعَمَلُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ فَايِدَةٌ تُرْجَى، وَلَا غَايَةٌ يَقْصِدُ تَحْقِيقَهَا الْحُكَمَاءُ، أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ، فَكَيْفَ يُتَّهَمُ بِالْعَبَثِ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!.

إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ حَيَاةٌ أُخْرَى، يَتَحَقَّقُ فِيهَا جَزَاءُ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُوَضَّعِ الْامْتِحَانِ؛ لَكَانَ خَلْقُ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَبَثًا مِنَ الْعَبَثِ الَّذِي يَتَنَزَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ عَنْهُ، وَتَصَوُّرُ هَذَا مِنْ قَبْلِ الْمَمْتَحَنِينَ أَتَاهُمْ اللَّهُ بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ كُفْرٌ شَنِيعٌ بِصِفَاتِ جَلِيلَاتٍ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ، يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

المعنى: أَفَقَدْتُمْ قُدْرَاتِ التَّفْكِيرِ الَّتِي خَلَقْتُهَا فِيكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ، فَتَوَهَّمْتُمْ أَنَّكُمْ لَمْ نَخْلُقْكُمْ إِلَّا عَمَلًا عَبَثًا، لَيْسَ مُسْتَتَبَعًا بِغَايَةٍ حَكِيمَةٍ هِيَ الْجَزَاءُ بَعْدَ حَيَاةِ الْامْتِحَانِ.

وَتَوَهَّمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تُرْجِعُونَ إِلَيْنَا فِي حَيَاةٍ أُخْرَى لِتُحَاسِبَكُمْ، وَتَفْصِلَ الْقَضَاءَ بَيْنَكُمْ، وَتُجَازِيَكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ أَوْهَامَكُمْ، وَجَحَدْتُمْ الْحَقَائِقَ الْكُبْرَى، وَكَذَّبْتُمْ رَسُولِي فِيمَا بَلَغَ عَنِّي.

وبعد هذا البيان أبان الله عز وجل؛ أَنَّهُ تَعَالَى وَتَسَامَى عَنْ تَصَوُّرَاتِ الْكَافِرِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ الْمَلِكُ لِلْوُجُودِ كُلِّهِ، الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالسُّلْطَانُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ مِنَ الْأَزَلِ بِلاِ بَدَايَةٍ، إِلَى الْأَبَدِ بِلاِ نِهَايَةٍ، بِذَاتِهِ وَبِكُلِّ صِفَاتِهِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَنَزُّهُهُ عَنِ صِفَاتِ النُّقْصَانِ، وَبِمَا أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

العرش: مَخْلُوقٌ أَعْظَمُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمُحِيطٌ بِهَا، وَرُوي أَنَّ السَّمَاوَاتِ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِ كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاقَةٍ وَاسِعَةٍ.

الكريم: الْجَامِعُ لِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُلَائِمَةِ لِخَلْقِهِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمُحِيطًا بِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ، رَبُّطًا بِمَا جَاءَ بِشَأْنِهِمْ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ:

• ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾:

أي: وَمَنْ يَعْْبُدُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ غَيْرَهُ، وَهَذَا الْإِلَهَ لَا بُرْهَانَ لَهُ يُثَبِّتُ بِهِ رُبُوبِيَّتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ؛ فَإِنَّمَا حَسَابُهُ يَوْمَ الدِّينِ عِنْدَ رَبِّهِ عَلَى كُفْرِهِ خُلُودًا فِي

عَذَابِ الْجَحِيمِ، لِأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ، أَي: لَا يَنْجُونَ، وَلَا يَفُوزُونَ، وَلَا يَنْظُرُونَ بِمَا يُرِيدُونَ، بَلْ هُمْ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ خَالِدُونَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ بَرَهَانٌ يَدُلُّ عَلَى وجودِ إِلَهٍ حَقٍّ غَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

جُمْلَةٌ: ﴿... إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾﴾: وَقَعَتْ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ عِبَارَةٌ: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ودَالَّةٌ عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خِتَامِ السُّورَةِ خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ:

• ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٨﴾﴾:

أَي: وَقُلْ أَنَا فَانَا أَوْ تُمَّ أَنَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، مَا أَعْلَمُ مِنْهَا وَمَا لَا أَعْلَمُ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ فِي كُلِّ أَحْوَالِي، وَفِي كُلِّ شَأْنِي، وَأَنْتَ رَبُّ خَيْرِ الرَّاحِمِينَ، إِذْ تَمْنَحُ رَحْمَتَكَ عِبَادَكَ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِكَ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سورة (المؤمنون)، وَتَمَّ تَدَبُّرُ السُّورَةِ كُلِّهَا.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٠)

ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (المؤمنون)

يُوجَدُ فِي سورة (المؤمنون) اخْتِيَارَاتٌ بَلَاغِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، تَفْضَّلَ اللَّهُ عَلَيَّ بِاسْتِخْرَاجِ مَا يَلِي مِنْهَا:

أولاً: من الْقَصْرِ:

وهو تَخْصِصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِعِبَارَةِ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

وفي السورة مِنْهُ عِدَّةُ أَمْثَلَةٍ، مِنْهَا مَا يَلِي:

المثال الأول:

■ قول الله تعالى حِكَايَةً لِّقَوْلِ كُفَّارٍ مَلَأَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام عَنْهُ
لجماهيرهم:

﴿قَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ
عَلَيْكُمْ...﴾ (٢٤):

أي: قالوا: ليس نوح إلا بشراً مثلكم، فليس هو نبياً ولا رسلاً.
وهو قَصْرٌ إضافي، بالنفي والاستثناء.

ونظيره قولهم بِشَأْنِهِ:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ...﴾ (٢٥):

أي: ما هو إلا رجل به نوع جنون.

وهو أيضاً قَصْرٌ إضافي، بالنفي والاستثناء.

المثال الثاني:

■ قول الله تعالى حِكَايَةً لِّقَوْلِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَام لِقَوْمِهِ «عَاد» يدعوهم
إلى التوحيد:

﴿... مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ (٢٢):

أي: ليس لكم إله حق هو ربكم غير الله رب العالمين.

وهو قَصْرٌ حقيقي، بالنفي والاستثناء.

المثال الثالث:

■ قول الله تعالى حِكَايَةً لِّقَوْلِ مَلَأَ «عَادٍ» لجماهيرهم بِشَأْنِ الْبُعْثِ:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا

رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨):

فِي هَذَا النَّصِّ قَصْرَانِ:

الأول: بَيَانُهُ: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، فَلَا بَعْثَ لِلْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ. وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي، مَعْنَاهُ: لَا حَيَاةَ لَنَا غَيْرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ. وَهُوَ ادِّعَاءٌ كَاذِبٌ مِنْهُمْ. وَأَدَاةُ الْقَصْرِ: النْفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

الثاني: بَيَانُهُ: مَا هُوَ «أَي: هُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ. «إِنْ» حَرْفُ نَفْيٍ فِي الْمَثَلَيْنِ.

المثال الرابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ (٦٧):

أَي: تَكْلِيفُنَا لِكُلِّ نَفْسٍ مَقْصُورٌ عَلَى أَنَّهُ ضِمْنِ حُدُودِ طَاقَتِهَا. وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ.

المثال الخامس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا بَعْضَ أَعْمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ...﴾ (٨٠):

أَي: كُلُّ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ مَقْصُورَةٌ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ. وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ. وَأَدَاتُهُ تَعْرِيفٌ طَرَفِي الْإِسْنَادِ ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾، أَي: لَا غَيْرُهُ.

المثال السادس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِمُنْكَرِي الْبُعْثِ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥):

أي: أَوَلَمْ تَهْتَمُّمْ أَنَّا مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا عَبَثًا، فَقَصَرْتُمْ خَلْقَنَا لَكُمْ عَلَى أَنَّهُ عَبَثٌ مِنَ الْعَبَثِ، لَيْسَ لَهُ غَايَةٌ حَكِيمَةٌ.
وهو قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ بَادِعَاءٍ كَاذِبٍ. وَأَدَاتُهُ «أَنَّمَا».

المثال السابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٧):

أي: فَمَا حِسَابُهُ إِلَّا عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهو قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ، وَأَدَاتُهُ «إِنَّمَا».

ولهذه الأمثلة نظائر في السورة.

ثانياً: من تنزيل القريب منزلة البعيد ارتفاعاً أو تسفلًا:
ومن أمثلته في السورة ما يلي:

المثال الأول:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:

﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١):

أي: أُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ عُلُوًّا فِي مَنَازِلِ رَفِيعَةٍ بَرًّا وَإِحْسَانًا؛ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

المثال الثاني:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُفْلِحِينَ، وَبِشَأْنِ الْخَاسِرِينَ:

﴿مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٢٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٢٣﴾
 أي: فأولئك رَفِيعُوا المنزلةَ جدًا عِنْدَ رَبِّهِمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.
 وأولئك الْبَعِيدُونَ فِي اتِّجَاهِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ.

ثالثاً: مِنَ الْإِيجَازِ:

مِنْ أُمُثْلَةِ الْإِيجَازِ فِي السُّورَةِ، مَا يَلِي:

المثال الأول:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٣):

الفاء مِنْ عبارة: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تَعْطِفُ عَلَى مَحذُوفٍ مِنَ السَّهْلِ إِذْرَاكُهُ ذَهْنًا، أَي: أَلَيْسَ لَدَيْكُمْ مَشَاعِرُ خَوْفٍ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ رَبِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي تَجْعَلُونَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، فَأَنْتُمْ لَا تَتَّقُونَ عِقَابَهُ الشَّدِيدَ.

ونظيرها قَوْلُ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ «عاد» فِي الْآيَةِ (٣٢).

المثال الثاني:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ مَا قَالَهُ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَاوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ...﴾ (٧٧):

أي: أَنْ أَصْنَعْ الْفُلْكَ مُسَدِّدًا وَمَحْمِيًّا بِمُرَاقَبَتِنَا لَكَ بِأَعْيُنِنَا، وَمُوجَّهًا وَمُعَلِّمًا بِوَحْيِنَا.

المثال الثالث:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ الْمُتَرَفِّينِ إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عَذَابَهُ:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَالُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ أَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرًَا مَنُجِّرُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

أولاً: ضُمِّنَ فِعْلٌ: «تَنْصُرُونَ» مَعْنَى فِعْلٍ: «تُحْمَوْنَ» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ، فَأَعْنَتِ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ، وَهَذَا مِنَ الْإِيجَازِ الْبَدِيعِ فِي الْقُرْآنِ.
وَالْمَعْنَى: فَأَنْتُمْ لَا تُنصُرُونَ وَلَا تُحْمَوْنَ مِنْ عَذَابِنَا.

ثانياً: وَضُمِّنَ اسْمُ الْفَاعِلِ: «مُسْتَكْبِرِينَ» مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ: «مُسْتَهْزِئِينَ» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ.

وَالْمَعْنَى: مُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ.

المثال الرابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْكَفَرَةِ السَّابِقِ ذِكْرُهُمْ:

﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ ... ﴿٦٨﴾﴾:

الفاء في عبارة: ﴿أَفَلَمْ﴾ تَعَطَّفَتْ عَلَى مَحذُوفٍ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ أَنْ يُدْرِكَهُ.

وَالْمَعْنَى: أَنْظَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَأَذْهَبَتْهُمْ، وَعُقُولُهُمْ، بِغَشَاوَاتِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَوَابِقِ مَفَاهِيمِهِمُ الضَّالَّةِ، فَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ فِي سَوَابِقِ نُجُومِ التَّنْزِيلِ.

وَلِهَذِهِ الْأُمُثْلَةُ نَظَائِرُ فِي السُّورَةِ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ اسْتِخْرَاجُهَا.

رابعاً: من التوكيد لوجودِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ بِلَاغِيًّا:

في هَذِهِ السورة أمثلة كثيرةٌ مِنْهُ، أقتصرُ على استخراجِ مَا يلي منها:

المثال الأول:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ وحتى الآية (١١):

جاءَ التوكيد في هَذَا النصِّ بحرف «قَدْ» الَّذِي يَدُلُّ عَلَى التَّحْقِيقِ مَعَ التَّوَكُّيدِ، والداعي إِلَى التَّوَكُّيدِ كَوْنُ الموعودينَ بِالفلاحِ هم المؤمنونَ عَلَى اختلافِ مراتبِهِمْ وَدَرَجاتِهِمْ مِنْ أَذْنَى دَرَجاتِ الأبرارِ، فما دُونَ ذَلِكَ قَلِيلاً مِنْ دَرَجاتِ مَرْتَبَةِ المتقينَ، وَأَحْوالُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ تَحْتَاجُ تَوْكِيداً.

المثال الثاني:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٧﴾﴾ وَحَتَّى الآية (١٦).

وَنَظِيرُهُ قولُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ وَحَتَّى

الآية (٢٠):

جاءَ التوكيدُ بعبارة ﴿لَقَدْ﴾، فاللَّامُ في جوابِ قَسَمِ مَنْوِيٍّ، و«قَدْ» حَرْفُ تَوْكِيدٍ وَتَحْقِيقٍ، والداعي إِلَى التَّوَكُّيدِ فِيهِمَا أَنَّ البَيَانَ مُوجَّهٌ لِغَيْرِ المؤمنينَ، فحالاتُهُمْ تَسْتَدْعِي تَوْكِيداً.

المثال الثالث:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿٧٤﴾﴾:

عبارة: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ مؤكدة بالمؤكدات: «إِنَّ - والجملة الاسمية - واللام المرحلة».

والداعي إلى التوكيد هنا أَنَّ المخاطبين الأولين بالبيان: الْكَافِرُونَ.

ونظيره قول الله تَعَالَى:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ... ﴿٦١﴾﴾.

المثال الرابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٢٢﴾﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

جاء التوكيد بعبارة ﴿لَقَدْ﴾ لِأَنَّ الْمُغْنِيَيْنِ بِالخِطَابِ: مُنْكَرُ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَحَالَتُهُمْ تَسْتَدْعِي تَوْكِيدَ الْخَبَرِ لَهُمْ.

المثال الخامس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِطَابِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام:

﴿... وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾:

في عبارة: ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ التوكيد بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية «لأنَّ نوحاً عليه السلام كَانَ ذَا رَأْفَةٍ كَبِيرَةٍ، وَجِلْمٍ عَظِيمٍ، وَرَجَاءٍ بِأَنْ يَسْتَجِيبَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ مِنْهُمْ، فَحَالُهُ تَسْتَدْعِي التَّوْكِيدَ لَهُ بِأَنْ كُلَّ كُفَّارٍ قَوْمِهِ مُّعْرِفُونَ، لِئَلَّا يَسْأَلَ رَبَّهُ إِنْهَا لَهُمْ».

المثال السادس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢):

جاء التوكيد بـ «إِنَّ - والجملة الاسمية» لِأَنَّ الْمَعْنِيَيْنِ بِالْخِطَابِ تَغْرِيزاً: أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الْمَكْلُفُونَ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً.

المثال السابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾:

جاء التوكيد في الآيتين بـ «إِنَّ - والجملة الاسمية - واللام المزحلقة» لِأَنَّ الْمَعْنِيَيْنِ بِالْخِطَابِ تَغْرِيزاً: الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ.

ولهذه الأمثلة نظائر في السورة، تركتها لاستخراج المتدبر ذي الدراسة البلاغية.

وبهذا أكتفي بشأن استخراجات بلاغيات السورة.

والحمد لله على معونته، ومدده، ونوفيقه، وميته، وفتحِه.



سُورَةُ السَّجْدَةِ

٣٢ مصحف ٧٥ نزول

وهي سورة مَكِّيَّة ولم يَصِحَّ استثناء
بعض آيات منها وَجَعَلَهَا مَدَنِيَّة

(١)

نصّ السورة وما فيها من فُرُشِ القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ تَنْزِلْ اَلْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
 اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا
 اَتَهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اَللَّهُ اَلَّذِي
 خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى
 عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ اَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
 ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ اَلْاَمْرَ مِنَ السَّمٰوٰءِ اِلَى الْاَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ اِلَيْهِ فِي
 يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ اَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذٰلِكَ عَلِمُ
 اَلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ اَلَّذِي اَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ
 خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْاِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ
 سُلٰلَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِهِ
 وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْاَبْصَرَ وَالْاَفْئِدَةَ فَلْيَلَّحُوا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
 وَقَالُوا اِذَا ضَلَلْنَا فِي الْاَرْضِ اِئِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَآءِ

٧ - • قرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وخلف: [خَلَقَهُ] فعلاً ماضياً.

وقراها باقي القُرَّاء العشرة: [خَلَقَهُ] مضدراً لفعل «خلق».

والمؤدَّى واحد.

١٠ - • قرأ نافع، والكسائي، ويعقوب: [اِئِنَّا ضَلَلْنَا فِي الْاَرْضِ اِئِنَّا].

رَبِّهِمْ كَفَرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَنفَعَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا

= وقرأها ابنُ عامر، وأبو جعفر: [إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَيْنَا]. وقرأها باقي القراء العشرة: [أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَيْنَا].

ومؤدَّى هـ هذه القراءات واحد، وهي من التفتن في البيان.

١١ - • قرأ يعقوب: [تُرْجَعُونَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [تُرْجَعُونَ].

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني، أي: يُرْجِعُكُمْ اللهُ، فترجعون بالجبر.

١٧ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [مَا أُخْفِيَ] بإسكان الياء. وقرأها باقي القراء العشرة:

[مَا أُخْفِيَ] بفتح الياء.

أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ
الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ
مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ
أَيِّمَةً يَّهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ
الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا
يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَّأْكُلُ مِنْهُ أَنعُمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾ .

٢٠ - • قرأ: [وَقِيلَ] بِإِشْمَامِ كَسْرَةِ الْقَافِ الضَّمِّ: هَشَامٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَرُوَيْسٌ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ بِالْيَاءِ الْخَالِصَةِ.

٢٤ - • قرأ حمزة، والكسائي، وَرُوَيْسٌ: [لَمَّا صَبَرُوا].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ: [لَمَّا صَبَرُوا].

وَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي آدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

أَي: جَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً حِينَمَا صَبَرُوا، وَلِأَجْلِ أَنَّهُمْ صَبَرُوا.

(٢)

مما ورد في السنة بشأن سورة (السجدة)

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِ «أَلَمْ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ» وَ«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ».

(٢) وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ «أَلَمْ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ» وَ«تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ». وَرُوِيَ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي فَضْلِ قِرَاءَةِ «السَّجْدَةِ».

(٣)

موضوع سورة (السجدة)

مُتَابَعَةُ مُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ وَيَوْمَ الدِّينِ، وَبَيَانُ أَنَّ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُخْتَارُونَ أَحْرَارٌ.

وبيان بعض الصفات التي يتحلَّى بها المؤمنون، وتقديم لفظة مِنْ تَارِيخِ رِسَالَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ كِتَابَ التَّوْرَةِ لِيَكُونَ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِيهَا إِمَّاخٌ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِيَكُونَ هُدًى لِلْعَالَمِينَ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وبيان عن الكفار الذين لم يستجيبوا لدعوته، مع بعض مناقشة لهم، وَإِجَابَتِهِمْ عَلَى بَعْضِ أَسْئَلَتِهِمُ السَّاقِطَةِ، وَتَوْجِيهِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَرَّفَهُ مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.

(٤)

دروس سورة (السجدة)

بِالتَّأَمُّلِ بَدَأَ لِي أَنَّ السُّورَةَ هَذِهِ تَنْقَسِمُ إِلَى سِتَّةِ دُرُوسٍ كَمَا يَلِي:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٩).

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ عَنِ الْقُرْآنِ، وَادِّعَاءِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّ
الرُّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ افْتَرَاهُ عَلَى رَبِّهِ، مَعَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، بِمَا يُنَاسِبُ الْمَرْحَلَةَ
الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.

وَفِيهَا بَيَانُ بَعْضِ ظَوَاهِرِ خَلْقِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَبَعْضِ صِفَاتِهِ، وَمِنْهَا
خَلْقُ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ قَلِيلًا مِمَّنِ النَّاسِ يَشْكُرُونَ.

الدرس الثاني: الآيات من (١٠ - ١٢).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مَقَالَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، مَعَ عِلَاجِهِمْ
بِبَيَانِ الْحَقِّ، وَالتَّرْهيبِ بَعَرَضٍ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الدرس الثالث: الآيتان (١٣ و ١٤).

وَفِيهِمَا بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّاسَ ذَوِي حُرِّيَّةٍ فِي اخْتِيَارِ سُلُوكِهِمْ
الْإِرَادِي، إِذْ وَضَعَهُمُ اللَّهُ فِي مَوْضِعِ الْامْتِحَانِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ
اخْتَارَ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِ؛ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جَاءَ مِنَ
عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ؛ كَانَ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي جَهَنَّمَ
يَوْمَ الدِّينِ.

الدرس الرابع: الآيات من (١٥ - ٢٢).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
جَلَّ جَلَالُهُ، مَعَ بَيَانِ ثَوَابِهِمُ الْعَظِيمِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَفِيهَا بَيَانُ الْفَرْقِ الشَّاسِعِ بَيْنَ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَمَنْ كَانَ فَاسِقًا.

الدرس الخامس: الآيتان (٢٣ و ٢٤).

وَفِيهِمَا ضَرْبُ مَثَلٍ تَارِيخِيٍّ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُولِ ﷺ، وَبِالْقُرْآنِ؛ بِأَنَّ اللَّهَ

قَدْ أَرْسَلَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآتَاهُ كِتَابَ التَّوْرَةِ، وَجَعَلَهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلِإِسْأَلَ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

الدرس السادس: الآيات من (٢٥ - ٣٠) آخر السورة.

وفيهما مُعَالَجَةٌ لِلْكَافِرِينَ بِالْإِنذَارِ وَالتَّرْهيبِ، وَبِالْإِقْنَاعِ. وفيها بَيَانُ سُؤَالِهِمْ عَنْ زَمَنِ نَصْرِ الرُّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَمُعَالَجَتُهُمْ بِالتَّرْهيبِ. وفيها تَوْصِيَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ بِأَنْ يُعْرَضَ عَنِ الْمَكْذِبِينَ الْمُعَانِدِينَ، وَبِأَنْ يَتَنَبَّهَ وَلَا يَسْتَعْجَلَ طَلَبَ الْإِنْتِصَارِ عَلَيْهِمْ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (السجدة) الآيات من (١ - ٩)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْخَفِيَّ وَالْزَّهِيرَ﴾

﴿الْمَ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ إِشْنَذِرْ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

القراءات:

(٧) • قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [خَلَقَهُ] فعلاً ماضياً.

وقراها باقي القراء العشرة: [خَلَقَهُ] مضدراً لفعل «خلق».
ومؤدّى القراءتين واحد.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان عن القرآن، وادعاء الكافرين بأن الرسول محمداً ﷺ افتراه على ربه، مع الرد عليهم بما يناسب المرحلة التي نزلت فيها السورة.

وفيها بيان بعض ظواهر خلق الله عز وجل في كونه، وبعض صفاته الجليّة، ومن ظواهر خلقه: خلق الإنسان.

وفيها أن قليلاً ما من الناس يشكرون الله تعالى على ما أولاهم من نعمه الكثيرة العظيمة.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿الْعَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾:

• ﴿الْعَمَّ ١﴾: هَذِهِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَعْضِ أَوَائِلِ السُّورِ. وَقَدْ سَبَقَ لَدَى تَدْبِيرِ أَوَّلِ سُورَةِ (الْقَلَمِ/ ٤) نَزُولِ بَيَانِ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

• ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾:

المرادُ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنُ، وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ بَيَانِ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ عَلَى

مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَيْسَ كَلَاماً مِنْ كَلَامِهِ وَلَا عَمَلاً مِنْ أَعْمَالِهِ، وَلَا مَنْقُولاً مِنْ كِتَابٍ سَابِقٍ.

ولفظ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ مُبْتَدَأٌ مَعْرَفٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْكِتَابِ، وَخَبَرُهُ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أَي: كَائِنٌ هَذَا التَّنْزِيلُ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كُلُّ الْعَالَمِينَ، اللَّفْظُ الشَّامِلُ: لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ، وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ، مِنْ أَقَاصِيهِ إِلَى أَقَاصِيهِ.

• ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أَي: حَالَةٌ كَوْنِهِ لَا شَكَّ فِيهِ، فَالرَّيْبُ هُوَ الشَّكُّ.

وَنَفْيُ الشَّكِّ عَنِ الْقُرْآنِ يُدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ:

الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: أَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ بَيَانٍ هُوَ حَقٌّ، فَلَيْسَ فِي قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَاهُ بَاطِلٌ، أَوْ مَشْكُوكٌ فِيهَا، لِتَرَدُّدِهَا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ، لَدَى النِّظَرِ الْفِكْرِيِّ الْمُتَجَرِّدِ غَيْرِ الْمَتَأَثِّرِ بِالْأَهْوَاءِ.

وهَذَا الْمَعْنَى تَشْهَدُ لَهُ نُصُوصٌ قُرْآنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ فِي سُورَةِ (النِّسَاءِ/ ٩٢) نَزُولٍ:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾ (١٥).

الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ الْقُرْآنَ لَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مُنَزَّلاً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا الْمَعْنَى يُفْهَمُ بِاللُّزُومِ الْفِكْرِيِّ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ كُلَّ بَيَانٍ جَاءَ فِيهِ هُوَ حَقٌّ، إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدَ النَّاسُ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً عَنْ مُطَابَقَةِ الْحَقِّ فِي بَيَانَاتٍ كَثِيرَاتٍ مِنْ بَيَانَاتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْتُمْ بَلِّ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣).

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾: أي: بل: أَيْقُولُ أَيْمَةَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ
إِبَّانَ إِنْزَالِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَبْلَ إِنْزَالِهَا:

مُحَمَّدٌ قَدْ افْتَرَى الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ، فَلَيْسَ هُوَ كَلَامًا
مُنَزَّلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَخَاطَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ لِيُسْمِعَهُمْ بِقَوْلِهِ:

• ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: لَمْ يَصْدُقُوا فِي ادِّعَائِهِمْ، بَلْ
كَذَبُوا، وَلَمْ يَتَأَثَّرُوا بِأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ حَقٌّ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُنَزَّلًا
مِنْ رَبِّكَ، فَهُمْ مُعَانِدُونَ جَا حِدُونَ.

• ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾:

﴿نَذِيرٌ﴾: هُنَا اسْمٌ لِلْإِنْذَارِ مَصْدَرٍ أَنْذَرَ. وَالْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ وَالْإِخْبَارُ
بِعَوَاقِبِ غَيْرِ سَارَّةٍ، كَشَرِّ قَادِمٍ، أَوْ عُقُوبَةٍ عَلَى مُكْتَسَبٍ إِرَادِيٍّ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ
عَمَلٍ أَوْ اعْتِقَادٍ.

الْمَعْنَى: لِنُبَلِّغَ وَتَعَلَّمَ وَتَعِظَ وَتُنْذِرَ قَوْمًا الشَّيْءَ الَّذِي سَبَقَ أَنْ أَتَاهُمْ
مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ، وَإِنْذَارٍ بِعَذَابِ اللَّهِ لِمَنْ كَفَرَ وَكَذَّبَ وَعَصَى، وَهُوَ مَا جَاءَ
بِهِ إِلَيْهِمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَاسْتَمَرَ مُتَوَارِنًا فِيهِمْ، حَتَّى
أَدْخَلَ الْوَثْنِيَّةَ فِي مُجْتَمَعِهِمْ «عَمَرُوا بَنُ لُحْيٍ».

هَذَا مَا صَحَّ عِنْدِي فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَسَبَقَ أَنْ أَوْضَحْتُهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ
لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول) عِنْدَ الْآيَةِ (٤) مِنْهَا.

• ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: رَغْبَةً فِي أَنْ يَهْتَدُوا بِاخْتِيَارِهِمِ الْحُرَّ،
دُونَ جَبْرِ، إِذْ هُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

«لَعَلَّ» مُسْتَعْمَلَةٌ بِمَعْنَى الرَّغْبَةِ هُنَا، لَا بِمَعْنَى التَّرَجُّيِ، لِأَنَّ الْبَيَانَ صَادِرٌ
عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّرَجُّيُّ لَا يَلِيقُ بِعِلْمِهِ الشَّامِلِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا بَعْضَ آثَارِ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١﴾:

أي: الله عَزَّ وَجَلَّ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، هِيَ أَقْسَامُ زَمَنِيَّةٍ سَمَّى اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا يَوْمًا.

لَمَّا كَانَتِ الْأَيَّامُ تَخْتَلِفُ مَقَادِيرُ أَرْزَامِهَا، فَلِأَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمٌ خَاصٌّ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِكُلِّ كَوْكَبٍ يَوْمٌ بِحَسَبِ دَوْرَتِهِ حَوْلَ نَفْسِهِ بِاتِّجَاهٍ مَنبَعِ ضَوْئِي، وَلَهُ مِقْدَارٌ خَاصٌّ بِهِ، وَلِلْمَجَرَّةِ الَّتِي نَحْنُ وَمَجْمُوعَتُنَا الشَّمْسِيَّةُ جُزْءٌ صَغِيرٌ مِنْهَا يَوْمٌ، وَلِهَذَا الْيَوْمُ مِقْدَارٌ مَعَ الزَّمَنِ خَاصٌّ بِهِ، حَتَّى عُمْرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلُّهَا يَوْمٌ، وَحَتَّى كُلُّ أَرْزَامٍ الْآخِرَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا يَوْمٌ؛ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بَاسِطِطَاعَتِنَا تَحْدِيدُ مِقْدَارِ زَمَنِ الْيَوْمِ مِنَ الْأَيَّامِ السَّتَةِ، الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا أَخْذًا مِنَ التَّصَوُّصِ.

• ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: دَلَّ حَرْفُ «ثُمَّ» عَلَى أَنَّ الْاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ قَدْ كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.

جاء في القرآن بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وَبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

الاستواء: في اللُّغَةِ الْإِسْتِقَامَةُ وَالْإِعْتِدَالُ. وَيُقَالُ لُغَةً: «اسْتَوَى عَلَى كَذَا» أَي: اعْتَدَلَ وَاسْتَقَامَ فَوْقَهُ. وَيُقَالُ: «اسْتَوَى إِلَى فِعْلٍ كَذَا» أَي: اعْتَدَلَ وَاسْتَقَامَ مُتَوَجِّهًا لِفِعْلِهِ، قَاصِدًا إِلَيْهِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ آخَرَ.

ويقال لغة: «اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى سَرِيرِ الْمُلِكِ» أَي: تَوَلَّى تَصْرِيفَ شُؤُونِ مَمْلَكَتِهِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى، فَنَحْنُ نُثَبِّتُهُ ضِمْنَ حُدُودِ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - وَنَقُولُ: هُوَ اسْتَوَاءٌ يَلِيْقُ بِذَاتِهِ، سُبْحَانَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْوَاصِفُونَ، ضِمْنَ حُدُودِ مُدْرَكَاتِهِمُ الْقَاصِرَاتِ الضَّيِّلَاتِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَى إِدْرَاكِ ذَاتِهِ، إِذْ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

وَأَحْسَنُ بَيَانٍ حَوْلَ الْاسْتِوَاءِ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَفْسَهُ؛ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِذَعَةٍ».

الْعَرْشُ: مَخْلُوقٌ أَعْظَمُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمُحِيطٌ بِهَا. وَرُويَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَرْسِيِّ كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ وَاسِعَةٍ، وَالْكَرْسِيُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَرْشِ كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ وَاسِعَةٍ.

- ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾:
- الخطاب في: ﴿مَا لَكُمْ﴾ لِكُلِّ النَّاسِ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْكُفْرَةَ الْمَشْرُكُونَ.
- ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أَي: مِنْ غَيْرِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ جَمِيعاً دُونَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: أَي: لَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَلِيٌّ مَا يَتَوَلَّى أُمُورَكُمْ بِعَوْنِهِ، وَإِمْدَادَاتِهِ، وَجَلِبِ الْخَيْرِ لَكُمْ، وَدَفَعَ الضَّرَّ عَنْكُمْ، وَنَصَرَكُمْ، وَحَمَّائَتَكُمْ، وَرَزَقَكُمْ، وَمُتَابَعَةِ خَلْقِهِ لَكُمْ فِي أَطْوَارِكُمْ أَنَا فَاأنا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَكُمْ مِمَّا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْوَلِيِّ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَفِيعٍ يَشْفَعُ لَكُمْ، إِذْ لَا شَفِيعَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

«مِنْ» حَرْفُ جَرٍّ زَائِدٌ جِيءَ بِهِ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ وَالتَّنْصِصِ عَلَيْهِ.

• ﴿أَفَلَا نَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: أحرمتُمْ مِنَ الإِذْرَاكِ السَّوِيِّ، وَالْفَهْمِ الصَّحِيحِ النَّافِعِ الْمُؤَثِّرِ فِي الْإِعْتِقَادِ وَتَوْجِيهِ السُّلُوكِ الْإِرَادِيِّ، فَلَا تَضَعُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فِي ذَاكِرَاتِكُمْ، ثُمَّ تَتَذَكَّرُونَهَا عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ، فَتَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهَا، التَّزَاماً بِمَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِمَرَاضِي رَبِّكُمْ، وَتَحْقِيقِ بَعْضِ الشُّكْرِ لَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً مَا سَبَقَ:

• ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾:

• ﴿يُدَبِّرُ﴾: التَّدْبِيرُ: إِعْدَادُ الْخُطَطِ الدَّقِيقَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تَكْفُلُ أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ، بَدْءاً مِنْ بَدَايَتِهَا حَتَّى أَوَاخِرِهَا، وَتَكْفُلُ أَحْسَنَ النَتَائِجِ بَعْدَ أَوَاخِرِهَا.

• ﴿الْأَمْرُ﴾: أي: كُلُّ الْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْخَلْقِ وَتَغْيِيرِ وَتَضْرِيْفِ كُلِّ شَيْءٍ فِي الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ، وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ، وَسَائِرِ الْأَحْدَاثِ الْمُتَغَيِّرَةِ وَالثَّابِتَةِ زِيَادَةً وَنَقْصاً وَإِيجَاداً وَإِعْدَاماً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

• ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾: أي: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ كُلَّهُ الْمُنْبَثِّ الْأَفْرَادِ، بَدْءاً مِنْ أَوَّلِ السَّمَاءِ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ وَحَتَّى غَايَةِ مَرَكَزِ الْأَرْضِ.

• ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: أي: ثُمَّ يَعْرُجُ صَاعِداً إِلَيْهِ أَثَرُ تَدْبِيرِهِ بِالْبَيَانِ وَالْوُضُفِ الشَّامِلِ لِلذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَكُلِّ شَيْءٍ.

• ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾: أَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ صَحِيفَةَ التَّدْبِيرِ تَشْمَلُ أَحْدَاثَ يَوْمِ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّ النَّاسُ، تُنَزَّلُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُأْمُورِينَ بِتَنْفِيزِ أَحْدَاثِ هَذَا التَّدْبِيرِ، ثُمَّ بَعْدَ التَّنْفِيزِ

تَعْرُجُ صَاعِدَةً أَثَارُ التَّذْيِيرِ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْزَالِ صَحِيفَةِ التَّذْيِيرِ وَبَعْدَ أَنْزَالِهَا، وَأَثْنَاءَ تَنْفِيذِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَبَعْدَ تَنْفِيذِ كُلِّ غُنْصَرٍ مِنْ عَنَاصِرِهَا، وَلَكِنَّ سُنَّتَهُ فِي كَوْنِهِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَضْرِيْفٍ فِيهِ خَاضِعاً لِنِظَامِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، وَهُوَ الْفَعَالُ الْحَقِيقِيُّ فِي الْكَوْنِ مِنْ خِلَالِ قَنَوَاتِ الْأَسْبَابِ.

وَصَحِيفَةُ التَّذْيِيرِ وَغُرُوجُ أَثَارِ مَا جَاءَ فِيهَا إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ تَشْمَلُ أَحْدَاثَ زَمَنِ يَوْمٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّ النَّاسُ، أَي: نَحْو (٣٦٥٠٠) يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ النَّاسِ بِحَسَبِ النِّظَامِ الشَّمْسِيِّ، أَوْ نَحْو (٣٥٤٠٠) يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ النَّاسِ بِحَسَبِ النِّظَامِ الْقَمَرِيِّ، وَهَذَا لِحُزْرٍ مِنَ الْكَوْنِ يَبْدَأُ مِنْ مُحِيطِ السَّمَاءِ الْعُلْيَا حَتَّى مَرَكِزِ الْأَرْضِ.

فعل «كان» في عبارة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ يُرَادُ بِهِ الْكِتُونَةُ الْمُسْتَمَرَّة.

هَذَا الْبَيَانُ يُعَلِّمُنَا أَنَّ نَتَّخِذُ تَدْبِيرَاتٍ مُحْكَمَةً لِدَوْلِنَا وَلِقَضَايَانَا الْعَامَّةِ يَجْرِي تَنْفِيذُهَا خِلَالَ سِنَوَاتٍ عَدِيدَاتٍ، وَقَدْ تَوَصَّلَتِ الدُّوَلُ إِلَى مَا يُسَمُّونَهُ مَثَلًا الْخَطَّةَ الْخُمْسِيَّةَ لِلإِصْلَاحِ الْاِقْتِصَادِيِّ أَوْ لِغَيْرِهِ مِنْ مَشَارِيعٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ بَعْضِ صِفَاتِهِ وَظَوَاهِرِ خَلْقِهِ:

• ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾:

• ﴿ذَلِكَ﴾: أَي: الرَّبُّ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْبَعِيدُ جِدًّا بِذَاتِهِ عَنْ إِدْرَاكِ كُلِّ مَا خَلَقَ وَمَنْ خَلَقَ مِنْ ذَوِي الْإِدْرَاكِ.

• ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أَي: عَالِمٌ كُلِّ مَا هُوَ غَيْبٌ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَوْ بَعْضِهِمْ، وَكُلِّ مَا هُوَ مَشْهُودٌ لَهُمْ.

أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَلَا شَيْءَ فِي كَوْنِهِ هُوَ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِ غَيْبٌ.

• ﴿الْعَزِيزُ﴾: أي: القَوِيُّ الْعَالِبُ لِكُلِّ الْقَوَى فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، لِأَنَّهَا خَلَقَتْ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُلْغِي وَجُودَهَا إِذَا شَاءَ.

• ﴿الرَّحِيمُ﴾: أي: العَظِيمُ الرَّحْمَةُ، الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَنَالُ مِنْهَا مَنْ تَعَرَّضَ لِنَفَحَاتِهَا أَوْ فُيُوضَاتِهَا.

• ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: أي: الَّذِي جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مَخْلُوقًا حَسَنًا بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْوُضُوعِ الَّتِي أَعَدَّهُ فِي كَوْنِهِ لَهَا.

وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ]: أي: الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِذْ جَعَلَهُ مَخْلُوقًا حَسَنًا بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْوُضُوعِ الَّتِي أَعَدَّهُ فِي كَوْنِهِ لَهَا. ﴿خَلَقَهُمْ﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ.

• ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾: وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ أَبُو الْبَشَرِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ﴿٨﴾

النَّسْلُ: الْوَلَدُ وَالذَّرِّيَّةُ.

السُّلَالَةُ: مَا اسْتُثْلِيَ مِنَ الشَّيْءِ وَانْتَزِعَ بِرَفْقٍ، كَانْتِزَاعِ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ الطَّرِيِّ اللَّيِّنِ.

• ﴿مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: أي: مِنَ الْمُنِيِّ، فَهُوَ فِي نَظَرِ النَّاسِ مَاءٌ مُُّمْتَهَنٌ حَقِيرٌ لَا يَعْزُونَ بِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ - جَلَّ جَلَالُهُ - حَاوِيًا لِيُزَوِّرَ الذَّرِّيَّةَ، الَّتِي يَلْتَقِي وَاحِدٌ مِنَ الْمَلَائِكِينَ فِي نُظْفَةٍ يَقْذِفُهَا الذَّكَرُ؛ بِبَيِّضَةٍ يُفْرِزُهَا مَبِيضُ الْأُنْثَى، فَيَكُونُ اللَّهُ مِنْهُمَا الْجَنِينُ.

• ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِيَّ﴾: أي: ثُمَّ فِي أَطْوَارٍ مِنَ الْخَلْقِ

جَعَلَهُ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ سَوِيًّا، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ الَّتِي هِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ الْمُبَاشِيرِ الصَّادِرِ عَنْهُ، وَالَّذِي لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ مَخْلُوقٍ سَابِقٍ.

إِضَافَةُ «الرُّوحِ» إِلَى اللَّهِ هِيَ عَلَى مَعْنَى الْمَلِكِ، لَا عَلَى مَعْنَى الْإِشْتِقَاقِ مِنْ ذَاتِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَتَوَهَّمُ صِغَارُ الْعُقُولِ، إِذْ كُلُّ مَخْلُوقٍ لِلَّهِ هُوَ مِلْكٌ لَهُ.

• ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾:

كَانَ الْكَلَامُ بِأَسْلُوبِ الْحَدِيثِ عَنِ الْغَائِبِ، فَصَارَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ الْتِفَاتٌ إِلَى أَسْلُوبِ خِطَابِ النَّاسِ.

السَّمْعُ: أَي: أَدَاتُهُ الَّتِي تَجْعَلُ الْحَيَّ يَسْمَعُ، وَهُوَ جِهَازٌ عَجِيبُ الْخَلْقِ وَالصَّنْعِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ، يُوصِلُ إِلَيْهِ الْمَسْمُوعَاتِ أَجْهَزَةٌ عَجِيبَةٌ الصَّنْعِ فِي الْأُذُنِ، وَمُوصِلَاتٌ دَقِيقَاتٌ جَدًّا بَيْنَ الْأُذُنِ وَجِهَازِ السَّمْعِ فِي الدِّمَاغِ.

الْأَبْصَارُ: هِيَ مَرَاكِزُ إِدْرَاكِكَ لِلْمَرْتَبَاتِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ، وَتُوصِلُ إِلَيْهَا صُورَ الْمَرْتَبَاتِ الْأَعْيُنِ ذَوَاتُ الصَّنْعِ الْعَجِيبِ، وَمُوصِلَاتٌ دَقِيقَاتٌ جَدًّا بَيْنَ الْأَعْيُنِ وَمَرَاكِزِ إِدْرَاكِكَ صُورَ الْمَرْتَبَاتِ فِي دَاخِلِ الدِّمَاغِ.

الْأَفْئِدَةُ: هِيَ مَرَاكِزُ فَهْمِ الْأُمُورِ وَالْقَضَايَا، وَتَحْلِيلِ عَنَاصِرِهَا وَتَرْكِيبِهَا، وَاسْتِثْنَاكِ قَضَايَا أُخْرَى تَلْزَمُ عَنْهَا، بِالتَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَإِبْدَاعِ صُورٍ جَدِيدَةٍ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ قُدْرَاتٍ تَحْيِلٍ وَاسِعَةٍ اِمْتَّازَ بِهَا إِبْدَاعُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

وَهَذِهِ الْأَجْهَزَةُ وَالْأَدَوَاتُ تَتَطَلَّبُ مِنْكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا رَبَّكُمْ الَّذِي جَعَلَهَا لَكُمْ، فَتُؤْمِنُوا بِهِ، وَبِعَظِيمِ صِفَاتِهِ، وَأَنْ تَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَبِفِعْلِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَبِتَرْكِ مَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ، وَلِكَيْتَكُمْ:

• ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ أَي: فَوَاقِعُ حَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يُثَبِّتُ أَنَّكُمْ

شُكْرًا قَلِيلًا جَدًّا تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ. قَلِيلًا: صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ مُطْلَقٍ مَحْذُوفٍ مُقَدَّمٍ عَلَى فَعْلِهِ. و«ما» كَلِمَةٌ إِبْهَامِيَّةٌ لِتَوْكِيدِ الْقَلَّةِ. وهذا القليلُ يَنْحَصِرُ بِالْمُؤْمِنِينَ.

وبهذا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الأول من دُرُوسِ سورة (السَّجْدَةِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دُرُوسِ سورة (السجدة) الآيات من (١٠ - ١٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

القراءات:

(١٠) • قرأ نافع، والكسائي، ويعقوب: [إِنْدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّا].

وقراها ابن عامر، وأبو جعفر: [إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أُنْدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا].

ومؤدَّى هَذِهِ القراءات وَاحِد، وَهِيَ مِنَ التَّفْنُّنِ فِي الْبَيَانِ.

(١١) • قرأ يعقوب: [تُرْجَعُونَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [تُرْجَعُونَ].

وبين القراءتين تَكَامُلٌ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِي، أي: يُرْجِعُكُمُ اللَّهُ، فَتَرْجِعُونَ بِالْجَبْرِ.

تَمْهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مَقَالَةٍ مِنْ مَقَالَاتِ الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعْثِ، مَعَ عِلَاجِهِمْ بِبَيَانِ الْحَقِّ، وَالتَّرْهيبِ بِعَرَضِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَذْكُرُ مَقَالَةً مِنْ مَقَالَاتِ مُنْكَرِي الْبَعْثِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ بَيَانُ ادْعَائِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - افْتَرَى الْقُرْآنَ عَلَى رَبِّهِ:

• ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهْنَا لِمِى خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ (١٠) ﴿؟!﴾.

• ﴿ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ضَاعَتْ ذَرَاتُ أَجْسَادِنَا فِي تَرَابِ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ.

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَبَانَ اللَّهُ لَهُمْ رَدًّا عَلَى هَذَا الْاِسْتِفْهَامِ الْاِنْكَارِي، الَّذِي لَا حُجَّةَ مَعَهُ غَيْرَ مُجَرَّدِ الْاِسْتِغْرَابِ وَالْاِسْتِغْنَاءِ؛ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٢).

وظَاهِرٌ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي الْإِعَادَةِ إِعَادَةُ كُلِّ ذَرَاتِ الْأَجْسَادِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ.

وَتَشْبِيهُ الْإِعَادَةِ بِالْبَدْءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النُّوَّةَ الْأُولَى الَّتِي أَنْشَأَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا؛ هِيَ الَّتِي يُنْشَأُ اللَّهُ عَلَى نَظِيرِهَا مِنْ مُشْتَقَّاتِهَا جَسَدَ الْإِنْسَانِ حِينَ إِعَادَتِهِ بِالْبَعْثِ لِحَيَاةِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى، هَذَا مَا دَلَّتْ عِدَّةُ نُصُوصٍ، إِذْ يُنْبِئُهُ اللَّهُ مِنَ النُّوَّةِ الَّتِي تَبْقَى فِي عَجَبِ الذَّنْبِ لَا تَفْنَى.

فَلْيَدْعُ الْمَشْكُوكُونَ الْأَوْهَامَ الَّتِي يَظَرِّحُونَهَا لِلتَّشْكِيكِ بِالْبَعْثِ وَالْحَيَاةِ الْآخَرَىٰ.

فَمُنْكِرُوا الْبَعْثِ يُشَكِّكُونَ بِإِمْكَانِهِ بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ الاسْتِغْرَابِيِّ، فَيَقُولُونَ: أَإِذَا مِتْنَا وَفَنِيَتْ أَجْسَادُنَا وَصَارَتْ ذَرَاتٍ ضَائِعَاتٍ فِي تَرَابِ الْأَرْضِ؛ إِنَّا لَنُبْعَثُ خَلْقًا جَدِيدًا مُطَابِقًا لِمَا كُنَّا عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى؟!، إِنَّ هَذَا مُسْتَبْعَدٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصُلَ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١١﴾﴾: أَي: لَيْسُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْبَعْثَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا، فَفِي سَوَابِقِ التَّنْزِيلِ أَنْزَلْنَا مَا أَقْنَعَهُمْ بِأَنَّ رَبَّهُمْ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَيُفْنِيَ أَجْسَادَهُمْ، بَلْ هُمْ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَلْقَوْا رَبَّهُمْ لِيُحَاسِبَهُمْ، وَيَفْصَلَ قَضَاءَهُ بَيْنَهُمْ، وَيُجَازِيَهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شُرْكَ وَلَوَازِمِهِ فِي السُّلُوكِ، الَّذِي يُرْضُونَ بِهَا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَهُمْ يَسْتُرُونَ بَرَاهِينَ الْجَزَاءِ وَحِكْمَةِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ، الَّذِي يَكُونُ فِيهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْحِسَابِ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ.

أَضْلُ الْكَفْرِ: السُّتْرُ، وَالْكُفْرُ: جُحُودُ الْحَقِّ، وَيَكُونُ بِسْتِرِ ادِّلَّتِهِ وَبَرَاهِينِهِ، بِالْأَدِلَّةِ الْوَاهِيَةِ وَيُزْخَرِفُ الْقَوْلَ الْخَادِعَ لِصِغَارِ الْعُقُولِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ وَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿قُلْ يَنفَعْنَكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾﴾:

بِمَا أَنَّ مُنْكَرِي الْبَعْثِ لَمْ يَأْتُوا بِجَدِيدٍ بِشَأْنِ انْكَارِهِمْ لِلْبَعْثِ، غَيْرَ مُجَرَّدِ الاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ الاسْتِغْرَابِيِّ، فَالْحِكْمَةُ تَقْتَضِي الْاِقْتِصَارَ عَلَى إِخْبَارِهِمْ بِالْحَقِيقَةِ، بَدَأَ مِنْ انْتِهَاءِ حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ، حَتَّى غَايَةَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ حِسَابُهُمْ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ.

أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، ويا أَيُّهَا الداعي إلى الله من أُمَّتِهِ:

• ﴿يَتَوَفَّنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: أي: يَدْعُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَيَوَاتِكُمُ الْمَقْدَرَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهَا تَامَّةً، وَفِي لَحْظَةِ اسْتِيفَائِهِ لَهَا؛ يَنْزِعُ رُوحَهُ مِنْ جَسَدِهِ وَنَفْسِهِ، فَتَذُوقُ نَفْسُهُ الْمَوْتَ، وَيَصِيرُ جَسَدُهُ خَالِيًا مِنَ الْحَيَاةِ، لَا حَرَكَةَ لَهُ وَلَا فِكْرَ وَلَا مَشَاعَرَ وَلَا إِحْسَاسَ بِشَيْءٍ مَا، وَيَصِيرُ سَائِرًا فِي أَطْوَارِ الْفَنَاءِ، بِسَبَبِ انْفِصَالِ رُوحِهِ عَنِ نَفْسِهِ.

وَجَرَى الاسْتِعْمَالِ عَلَى إِطْلَاقِ الْوَفَاةِ عَلَى الْمَوْتِ، وَإِطْلَاقِ التَّوْفِيِّ عَلَى الْإِمَاتَةِ بِفَضْلِ الرُّوحِ عَلَى النَّفْسِ.

وَأَرَى أَنَّ أَضْلَ الْمَعْنَى تَرْكُ الْحَيِّ يَسْتَوْفِي أَجَلَ بَقَائِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِذَا اسْتَوْفَى أَجَلَهُ فَصَلَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ لِهَذِهِ الْعَايَةِ رُوحَهُ عَنِ نَفْسِهِ، فَيَصِيرُ الْحَيُّ مَيِّتًا.

وَمَلَكُ الْمَوْتِ يُرَادُ بِهِ صِنْفُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِفَضْلِ الْأَرْوَاحِ عَنِ النَّفُوسِ، وَلَمْ يَأْتِ فِي النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ ذِكْرُ اسْمِ رَئِيسِ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَشْهُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ أَنَّهُ «عِزْرَائِيلُ» لَا يُعْرَفُ لَهُ أَضَلُّ مَقْبُولٌ يُسْنَدُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ مَنْ يَقُومُ بِفَضْلِ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ عَنْ نَفُوسِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُجْمُوعًا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

• ﴿الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: أي: الَّذِي وُكِّلَ بِأَمْرِ اللَّهِ بِأَنْ يَنْزِعَ أَرْوَاحَكُمْ عَنْ نَفُوسِكُمْ.

• ﴿... ثُمَّ إِلَيْ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرَزَخِ

الْفَاصِلِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ تُرْجَعُونَ إِلَى رَبِّكُمْ، لِيُحَاسِبَكُمْ وَيَفْصِلَ الْقَضَاءَ بَيْنَكُمْ، وَيُنْفِذَ مَا يَقْضِي بِهِ مِنْ جَزَاءٍ بِالْعَدْلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ الْمُجْرِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْكِرُوا الْبَعْثِ الَّذِينَ يَدُورُ الدَّرْسُ حَوْلَ عِلَاجِهِمْ:

• ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢):

• ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾: أي: مُطَاطَبُوا رُءُوسِهِمْ يُخْنُونَهَا إِلَى الْأَسْفَلِ مِنَ الذَّلِّ وَالْانْكِسَارِ وَالْخُضُوعِ.

أي: وَلَوْ تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي أَيَّا كُنْتَ؛ حِينَ يَكُونُ الْمُجْرِمُونَ وَمِنْهُمْ مَنْكِرُوا الْبَعْثِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ نَاكِسِي رُءُوسِهِمْ يَخْفِضُونَهَا وَيُخْنُونَهَا إِلَى الْأَسْفَلِ ذُلًّا وَانْكِسَارًا وَخُضُوعًا، وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا أَحْدَاثًا جَسِيمَةً عَظِيمَةً مُخِيفَةً مِمَّا سَيَلْقَاهُ الْكَافِرُونَ الْجَا حِدُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَسَمِعْنَا مِنْ زَفِيرِ جَهَنَّمَ وَشَهِيقِهَا وَأَصْوَاتِهَا الْمُرْعِبَةِ؛ مَا جَعَلَ قُلُوبَنَا تَكُونُ عَلَى يَقِينٍ مِمَّا كُنَّا نَكْفُرُ بِهِ وَنُكَذِّبُ بِهِ، فَارْجِعْنَا إِلَى حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ نَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا عَلَى وَفْقٍ مَا تَأْمُرُنَا بِهِ أَوْ تَنْهَانَا عَنْهُ.

لِكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ رَفَضَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ دُعَاءَ مُمَائِلًا لِهَذَا الدُّعَاءِ.

لِأَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا إِلَى حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، إِذْ يُرَدُّونَ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَمَامًا، لَا يَذْكُرُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ شَيْئًا، لِتَكُونَ ظُرُوفُ امْتِحَانِهِمْ مُتَسَاوِيَةً.

وجواب «لَوْ» محذوف إيجازاً، وَمِنْ السَّهْلِ تَقْدِيرُهُ، أي: لَتَرَيْنَ الْمُجْرِمِينَ فِي حَالَةِ مَهَانَةٍ وَذُلٍّ وَذَغَرٍ شَدِيدٍ يُثِيرُ الْحُسْرَةَ عَلَيْهِمْ.

وَبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (السَّجْدَةِ).

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتِّتِهِ، وَفَتَحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (السجدة) الآيتان (١٣ و ١٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا
نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾:

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بيان أن الله خلق الناس ذوي إرادات حرة،
ليبلوهم فيما آتاهم ضمن ظروف هذه الحياة الدنيا، إذ وضعهم الله فيها
موضع الامتحان، فمن اختار في حياة امتحانه أن يكون من الكافرين
المكذبين بما جاء من عند الله رب العالمين، على لسان رسوله ﷺ المؤيد
بالآيات البينات والمُعجزات الباهرات؛ كان من الخالدين في جهنم يوم
الدين.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾:

أي: وَلَوْ شِئْنَا لَسَلَبْنَا كُلَّ نَفْسٍ ذَاتِ إِرَادَةٍ حُرَّةٍ مَوْضِعَهُ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ إِرَادَتَهَا الْحُرَّةَ فَجَعَلْنَاهَا مَخْلُوقًا مَجْبُورًا، وَحِينَئِذٍ
نَخْتَارُ أَنْ نُؤْتِيَ كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا بِالْجَبْرِ، كَمَا خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ مَهْدِيِّينَ لَا
يَعْصُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ شَرًّا، وَلَا نَخْتَارُ أَنْ نَخْلُقَ نَفْسًا مَجْبُورَةً عَلَى الضَّلَالَةِ

وفعل الشرِّ، وأمَّا الشَّيَاطِينُ فَهُمْ مَرَدَّةٌ كَفَرَةُ الْجَنِّ، وَهُمْ مِنْ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

وَلَكِنْ لَمْ نَشَأْ أَنْ نَسْلُبَ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ إِرَادَاتِهِمْ، فَهَذَا مُخَالَفٌ لِحُكْمَتِنَا مِنْ خَلْقِهِمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَجْتَازُوا مُدَّةَ حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ مُخْتَارِينَ لِنَبْلُوهُمْ فِيمَا آتَيْنَاهُمْ، وَلِنُكْشِفَ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِنُجَازِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِحَسَبِ اخْتِيَارَاتِهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهَا.

أَمَّا الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ الْمَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ؛ فَلَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْهُمْ جُنًّا وَإِنْسًا، خَالِدِينَ فِيهَا يُعَذَّبُونَ.

وَطَوَى النَّصُّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَلِي: وَلَأُسْعِدَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، بِحَسَبِ مُكْتَسَبَاتِهِمْ الْإِرَادِيَّةِ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، بِفَعْلٍ مَا أَمَرْتُهُمْ بِفَعْلِهِ، وَتَرَكْتُ مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْ فَعْلِهِ.

• ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: أي: وَلَكِنْ ثَبَتَ الْقَوْلُ الصَّادِرُ مِنِّي، فَلَا اسْتِثْنَاءَ فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ عَنْهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنِ الْجَهَنَّمِيِّينَ:

• ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ﴿٤﴾:

اسْتَعْمِلَ فِعْلُ «ذُوقُوا» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ النَّفْسِيِّ وَالْأَلَمِ الْجَسَدِيِّ، لِأَنَّ حِسَّ الذَّوْقِ مِنْ أَشَدِّ الْحَوَاسِّ إِذْرَاكَاً لِلْمَحْسَّاتِ.

• ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾: أي: بِسَبَبِ مَا تَرَكْتُمْ. أَضْلُ مَعْنَى النِّسْيَانِ فِي اللَّغَةِ التَّرْكُ.

أي: فَذُوقُوا الْإِحْسَاسَ بِالْأَلَمِ وَوُفُوكُمْ أَذِلَّاءَ خَائِفِينَ مَذْعُورِينَ،

مُطَاطِئِي رُؤُوسِكُمْ، تَدْعُونَ رَبَّكُمْ أَنْ يَسْتَأْنِفَ حَيَاةَ ابْنِائِكُمْ، فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ، بِسَبَبِ تَرْكِكُمْ الْعَمَلَ لِلِقَاءِ رَبِّكُمْ لِيَحَاسِبَكُمْ، وَيَفْصِلَ الْقَضَاءَ بِمَجَازَاتِكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: إِنَّا تَرَكْنَا الْعِنَايَةَ بِكُمْ وَشُمُولَكُمْ بِرَحْمَتِنَا، فِي مُقَابِلِ تَرْكِكُمْ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ بِمَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ مُخْزِيًا وَمُعَذِّبًا: ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ أَيْضًا فِي جَهَنَّمَ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ اعْتِقَادِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ، وَأَعْمَالٍ جَسَدِيَّةٍ ذَاتِ تَوَجُّهِ إِرَادِيٍّ جَاوِدٍ لِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدَةِ، وَلِلْإِهْيَئَةِ الَّتِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (السجدة).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (السجدة)

الآيات من (١٥ - ٢٢)

قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ (١٥) نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝ (٢٠) وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ

الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿١٧﴾ :

القراءات:

(١٧) • قرأ حمزة، ويعقوب: [مَا أُخْفِي] بِاسْكَانِ الْيَاءِ عَلَى أَنَّهُ فَعْلٌ مضارع.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [مَا أُخْفِي] بِفَتْحِ الْيَاءِ عَلَى أَنَّهُ فَعْلٌ مَاضٍ.
(٢٠) • قرأ هُشَام، وَالْكَسَائِي، وَرُوَيْس: [وَقِيلَ] بِإِشْمَامِ كَسْرَةِ الْقَافِ الضَّمِّ.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بِالْيَاءِ الْخَالِصَةِ.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، مع بيان ثوابِهِم الْعَظِيم عند اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.
وفيها بيانُ الْفَرْقِ الشَّاسِعِ بَيْنَ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَمَنْ كَانَ فَاسِقًا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا بَعْضَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَقِينَ فِي دَرَجَاتِ مَرْتَبَتِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ:

• ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَسْجَافُ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ :

• ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: أي: لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الْمُنَزَّلَةِ فِي كِتَابِنَا، إِيْمَانًا مِنْ دَرَجَاتٍ رَفِيعَاتٍ فَوْقَ دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، فَهِيَ مِنْ دَرَجَاتِ مَرْتَبَتِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ.

فَالْقَصْرُ بِأَدَاةٍ «إِنَّمَا» قَصْرٌ عَلَى تَقْدِيرِ مَطْوِيَّاتٍ فِي النَّصِّ، أَي: إِنَّمَا يُؤْمِنُ هَذَا الْإِيمَانَ الْعَظِيمَ بِآيَاتِنَا الْمُنَزَّلَاتِ فِي كِتَابِنَا؛ هُم الَّذِينَ يَتَحَلَّلُونَ بِالصِّفَاتِ السَّتِ التَّالِيَاتِ:

الصِّفَةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾:

أَي: هُم الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ ارْتَقَوْا فَوْقَ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، وَتَدَرَّجُوا فِي دَرَجَاتٍ مَرْتَبَتِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، فَإِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهَا، وَنَفَذَتْ إِلَى قُلُوبِهِمْ مَشَاعِرُ الْإِحْسَاسِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ؛ خَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَاضِعِينَ مُتَضَرِّعِينَ فِي عِبَادَةٍ صَادِقَةٍ لَهُ، تُعَبِّرُ عَنْ مَبْلَغِ إِيْمَانِهِمُ الْعَظِيمِ بِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَأَرَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ مِنْ صِفَاتِ الْأَبْرَارِ أَوْ الْمُحْسِنِينَ، غَفَلَ الْمُتَدَبِّرُونَ عَنْهَا، وَغَفَلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْهَا، وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ السُّجُودِ عِنْدَ مَوَاضِعِ السَّجَدَاتِ فِي الْقُرْآنِ.

• ﴿خَرُّوا﴾: أَي: أَسْرَعُوا فِي خَفْضِ رُؤُوسِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ لِمَوْضِعِ جِبْهَاتِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ، خُضُوعًا لِلَّهِ وَذُلًّا.

يُقَالُ لُعَّةٌ: «خَرَّ الْمَاءُ يَخِرُّ وَيَخِرُّ خَرًّا» أَي: سَقَطَ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سُفْلٍ بِلَا تَوَقُّفٍ.

• ﴿سُجَّدًا﴾: جَمْعُ «سَاجِدٍ»، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ مَنْ يَضَعُ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ عِبَادَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَي: خَرُّوا حَالَةَ كَوْنِهِمْ هَاوِينَ لِيَكُونُوا سَاجِدِينَ عِبَادَةً لِرَبِّهِمْ وَإِجْلَالًا وَإِعْظَامًا وَشُكْرًا.

التَّذْكِيرُ بِآيَاتِ اللَّهِ: هُوَ تَكَرُّرُ تِلَاوَتِهَا أَنَا فَأَنَا عَلَى مَنْ سَبَقَ أَنْ تَبْلَغَهَا وَأَمَّنْ بِهَا.

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِهِ فِي كِتَابِهِ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ عَظْفًا عَلَى: ﴿خُرُوا سُجَّدًا﴾.

وهَذَا التَّسْبِيحُ قَدْ يَكُونُ فِي حَالَةِ سُجُودِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ.

أَي: وَنَزَّهُوا رَبَّهُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتٍ، وَهَذَا التَّسْبِيحُ مَقْرُونٌ بِحَمْدِهِ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي هِيَ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَسَمَتْ صِفَاتُهُ الْحُسْنَى.

فَالْبَاءُ الْجَارَةُ فِي: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ هِيَ بِمَعْنَى الْمُلَابَسَةِ، أَي: تَسْبِيحًا مُمْتَزَجًا بِحَمْدِهِ وَمُلَابَسًا لَهُ، فَالتَّنْزِيهُ وَالْحَمْدُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مُجْتَمِعَانِ مُمْتَزَجَانِ.

تَسْبِيحُ اللَّهِ: تَنْزِيهُهُ وَتَقْدِيسُهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. حَمْدُ اللَّهِ: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ جَلِيلَاتٍ وَأَسْمَاءٍ حُسْنَى.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَطَاعَتِهِ فِيمَا جَاءَ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهِي وَتَرْغِيَّاتٍ بِأَفْعَالٍ وَتُرُوكِ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥): أَي: وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ مُمْتَنِعِينَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ.

الاسْتِكْبَارُ: التَّرَفُّعُ وَالتَّعَالِي، وَالْامْتِنَاعُ عَنْ طَاعَةٍ مَنْ تَجِبُ طَاعَتُهُ.

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، لِيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، بِالصَّلَاةِ وَبِالذِّكْرِ وَبِتِلَاوَةِ آيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَبِالدُّعَاءِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَبْرَارِ وَالْمُحْسِنِينَ، لِأَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي

النَّوَافِلِ لَيْسَ مِنْ مَرْتَبَةِ الْمُتَّقِينَ، بل هو من مَرْتَبَةِ الْأَبْرَارِ وَمَرْتَبَةِ الْمُحْسِنِينَ.
دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

• ﴿تَجَافَى﴾: أي: تَبَاعَدُ بِتَكْلُفٍ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ.
• ﴿جُنُوبُهُمْ﴾: الْجُنُوبُ: جَمْعُ «جَنْبٍ»، وَالْجَنْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَاحِيَّتُهُ، وَشِقُّهُ، وَلِلْإِنْسَانِ جَانِبَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَالنَّائِمُ فِي الْغَالِبِ يَنَامُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ.

• ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: الْمَضَاجِعُ: جَمْعُ «الْمَضْجَعِ»، وَهُوَ مَوْضِعُ الْجَنْبِ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مَا كَخَشَبَةٍ أَوْ سَرِيرٍ أَوْ نَحْوَهُمَا.

الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فِي أَحْوَالِ الْخَوْفِ، لِيُصْرِفَ عَنْهُمْ مَا يَخَافُونَ مِنْهُ، وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ فِي أَحْوَالِ الطَّمَعِ، لِيُؤْتِيَهُمْ مَا يَطْمَعُونَ فِيهِ، وَمَا يُحِبُّونَ الِاسْتِمْتَاعَ بِهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَظْفَرُوا بِهِ يَوْمَ الدِّينِ مِنْ سَعَادَةِ أَبَدِيَّةٍ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، وَأَنْ يَفِيَهُمْ عَذَابُ النَّارِ، وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ اعْتِقَادٍ أَوْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:
أي: حَالَةَ كَوْنِهِمْ خَائِفِينَ، وَحَالَةَ كَوْنِهِمْ طَامِعِينَ.

اسْتُعْمِلَ الْمُضَدُّ فِي مَوْقِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ. وَاسْتُعْمِلَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ «يَدْعُونَ»: لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَجَدُّدِ دُعَائِهِمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَائِفًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ طَامِعًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَائِفًا وَطَامِعًا مَعًا.

الصِّفَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ أَنَا فَنَاءً مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ، فِي سُبُلِ الْخَيْرِ وَمَرْضَاةِ اللَّهِ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمَاكِلَ، وَالْمَشَارِبَ، وَالْمَسَاكِينَ،

وَالْأَكْسِيَّةَ، وَالْأَذْوِيَّةَ، وَالْمَرَائِبَ، وَسَائِرَ مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ حَاجَةً حَقِيقَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ وَأَذِنَ بِالِاسْتِمْتَاعِ بِهِ، وَيتوسَّعونَ فِي هَذَا الْإِنْفَاقِ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقَهُونَ ۖ﴾ (١٦).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَى الثَّوَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَخْفَاهُ لِهَذِهِ الزُّمَرَةِ مِنَ الْأَبْرَارِ وَالْمُحْسِنِينَ:

• ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧):

﴿مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: أي: مِنْ سُرُورٍ وَنَعِيمٍ وَرِضَا، يُقَالُ لُغَةً: «قَرَّتْ عَيْنُ فُلَانٍ» أي: بَرَدَتْ، وَاسْتَعْمِلَ هَذَا التَّعْيِيرُ كِنَايَةً عَنِ السُّرُورِ وَالرِّضَا.

أي: هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ وَالْمُحْسِنُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَدَّرَ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا فَوْقَ مَا جَاءَ التَّضَرُّيحُ بِهِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَهَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ؛ قَدْ أُخْفِيَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَهُوَ لَا يُعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَلِكٍ وَلَا إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ إِلَّا حِينَ يُسْعِدُ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الزُّمَرَةَ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ قَبْلَ ذَلِكَ هَذَا الْجَزَاءَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَخْفَاهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ.

روى البخاري ومسلم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:

«أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَدُنُّ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

• ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧): أي: بِسَبَبِ مَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ مِنْ صَالِحَاتٍ جَاءَ بَيَانُهَا فِي صِفَاتِهِمُ السُّتِّ الَّتِي سَبَقَ شَرْحُهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا نَفْيَ التَّسَاوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ الْكَفَرَةَ:

● ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿٧٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٨٠﴾﴾:

الفاسق: العاصي، والمخالف لأوامر الله ونواهيه، والخارج عن الحق، وهو مضطلل إسلامي لم يكن معروفاً عند العرب.

وللفسق دركات أحسنها يكون بالكفر بالله وبما جاء عن الله جُحوداً وعناداً وإصراراً على الباطل واتباع الهوى.

والمُرَاد بالفاسق في هذا النص: هو مَنْ كَانَ فَسَقُهُ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

المأوى: المكان والمنزل الذي يُنْزَلُ فِيهِ وَيُسْكَنُ، وعبرة: ﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾: أي: جَنَّاتُ الْمَكَانِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُمْ لِيَأْوُوا إِلَيْهِ، وَيُنْزِلُوا فِيهِ، فِي سُكْنَى أَبَدِيَّةٍ.

● ﴿نُزُلًا﴾: النُّزْلُ: مَا يُعِدُّهُ الرَّجُلُ لَضَيْفِهِ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ، وَنُقِلَ عَنْ الرَّجَاجِ: أَنَّ النَّزْلَ يُطْلَقُ عَلَى الْمَنْزِلِ.

فَالْجَنَّاتُ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَضَيْفُوهِ الَّذِينَ يُكْرِمُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ، بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ يُرْضِيهِ.

والفاء في ﴿أَفَمَنْ﴾ تَعَطُّفٌ عَلَى مَحْذُوفٍ مِنَ السَّهْلِ تَقْدِيرُهُ.

المعنى: أَفَقَدْ أَلْعَدْتُ الرَّبَّانِيَّ، وَفَقَدْتُ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ، فَيَسْتَوِي فِي جَزَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ؛ مَنْ كَانَ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ مُؤْمِنًا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ؛ وَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يُؤْمِنُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِيْمَانِ بِهِ؟؟؟!

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ الْكَافِرِينَ؛ لَا يَسْتَوُونَ فِي حُكْمَةِ اللَّهِ السَّامِيَةِ، وَعَذْلِهِ فِي الْجَزَاءِ.

• ﴿أَنَا﴾ حَرْفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ والتَّوَكُّيدِ، وَفِيهِ هُنَا مَعْنَى التَّفْصِيلِ، وَهِيَ نَائِبَةٌ عَنِ أَدَاةِ الشَّرْطِ وَجُمْلَتِهِ.

أي: أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَعَمِلُوا مِنَ الصَّالِحَاتِ مَا يُعْبَرُ عَنْ صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ وَصِحَّتِهِ؛ فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ أَرْضُهَا مَسْكَنُهُمُ الْأَبَدِيُّ الْخَالِدُ، وَفِيهَا ضِيَافَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ لَهُمْ، وَهَذَا قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ مِنَ صَالِحَاتٍ تُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا بِالْكَفْرِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَيَلْزَمُ مِنْ كُفْرِهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا السَّيِّئَاتِ الْكَبِيرَاتِ؛ فَقَدْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَكُونَ مَكَانُ إِقَامَتِهِمْ دَارَ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ. وَهُمْ يُحَاوِلُونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، لَكِنَّهُمْ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا؛ أُعِيدُوا إِكْرَاهًا حَتَّى يَكُونُوا فِي وَسْطِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُعِيدُونَهُمْ فِيهَا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ بِهِ تُكَذِّبُونَ عِنَادًا وَإِصْرَارًا عَلَى الْبَاطِلِ، وَاتِّبَاعًا لَشَهَوَاتِ نَفْسِكُمْ، وَرَغْبَاتِهَا مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ عَذَابِ الَّذِينَ فَسَقُوا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ:

• ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾:

• ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾: اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمِ مَنْوِي، فَالْفِعْلُ مُؤَكَّدٌ بِقَسَمِ مُقَدَّرٍ، وَبُنُوْنُ التَّوَكُّيدِ الثَّقِيلَةِ. أَي: وَنُقَسِّمُ لِنَجْعَلَنَّهُمْ يَذُوقُونَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى.

• ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: أَي: مِنَ الْعَذَابِ الْأَقْرَبِ، وَهُوَ مَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ مَوْتِهِمْ، وَطَوِيٍّ فِي النَّصِّ

وَصَفَّ هَذَا الْعَذَابِ بِأَنَّهُ أَصْغَرُ، لِدَلَالَةِ مُقَابِلِهِ الْأَخْرَوِيِّ إِذْ جَاءَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ.

• ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: دُونَ: ظَرَفُ مَكَانٍ مَنْصُوبٍ، وَمَعْنَاهُ هُنَا: «قَبْلَ». وَالْمَرَادُ بِالْعَذَابِ الْأَكْبَرِ عَذَابُ الْآخِرَةِ.

المعنى: وَنَفْسُهُمْ لَنَذِيقَنَّهِنَّ بَعْضَ الْعَذَابِ الْأَقْرَبِ الْأَصْغَرِ وَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَبْلَ إِذَاقَتِهِمُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الدِّينِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى رُسُلِهِمْ، فَيُؤْمِنُوا بِمَا أَوْجَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا مِنَ الصَّالِحَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ وَصِحَّتِهِ فِي قُلُوبِهِمْ.

كَلِمَةُ «لَعَلَّ» فِي عِبَارَةِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَعْنَى الرَّغْبَةِ، لَا عَلَى مَعْنَى التَّرَجُّيِ وَالتَّرَقُّبِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى تَغْقِيًّا عَلَى ذِكْرِ أَحْوَالِ الْمُكَذِّبِينَ بآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ لَدُنْهُ:

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٢٢).

اسْمُ الْاسْتِفْهَامِ فِي عِبَارَةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أَي: لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مُشَارَكَةِ آخَرِينَ لَهُ فِي الْأَظْلَمِيَّةِ، لَكِنْ لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِنْهُ.

مُنْتَقِمُونَ: أَي: مُعَاقِبُونَ، يُقَالُ لُغَةً: «انْتَقَمَ، يَنْتَقِمُ، انْتِقَامًا مِنْ الْمَذْنِبِ» أَي: عَاقِبَهُ.

الْمَعْنَى: وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ سَبَقَ لَهُ أَنْ تَبْلَغَ آيَاتِ رَبِّهِ، وَذُكِّرَ بِهَا أَنَا فَانَا، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا اتِّبَاعًا لِأَهْوَاءِ نَفْسِهِ وَشَهَوَاتِهَا وَمَتَاعَاتِهَا مِنَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا، فَصَارَ بِإِعْرَاضِهِ مُجْرِمًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ، وَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
سَوْفَ يَنْتَقِمُ مِنْهُ يَوْمَ الدِّينِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع من دروس سورة (السجدة).
والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحه.



(٩)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (السجدة) الآيتان (٢٣ و ٢٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِيَّ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى
لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

القراءات:

(٢٤) • قرأ حمزة، والكسائي، ورؤيس: [لَمَّا صَبَرُوا].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَمَّا صَبَرُوا].

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد. أي: جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً
حِينَما صَبَرُوا، ولأجل أنهم صَبَرُوا.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس ضرب مثل للمكذبين بالرسول ﷺ، وبالقُرآن؛
بأن الله أرسل موسى عليه السلام، وآتاه كتاب التوراة، وجعله هدى لبني
إسرائيل، فأرسل الرسل وإنزال الكتب من سنن الله في عباده الذين
وضعهم في الحياة الدنيا موضع الامتحان.

وفيهما إطماعٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ وبِالْقُرْآنِ بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ، إِذَا صَبَرُوا وَكَانُوا بَيَّاتٍ اللَّهُ يُوقِنُونَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا لِمَكْذِبِ الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِلْمُكَذَّبِ بِالْقُرْآنِ فِي خِطَابٍ مُوجَّهٍ لَهُ:

• ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٣):

وَضَحَّ لِي بَجَلَاءِ أَنَّ الْخِطَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُوجَّهٌ لِمَنْ يُكَذِّبُ الرُّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَيُكَذِّبُ الْقُرْآنَ، أَوْ يُعْرِضُ عَنْ آيَاتِهِ نُفُورًا مِنَ الْعَمَلِ بِمَا جَاءَ فِيهَا، فَمُضْمُونُ هَذَا الْخِطَابِ مَعَ مَلَاَحَظَةِ سَوَابِقِهِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الَّذِي وَضَحَّ لِي.

• ﴿وَلَقَدْ﴾: اللَّامُ واقعةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنُويٍّ، و«قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيقٍ وَتَوْكِيدٍ، و«الواو» تَعَطُّفٌ مَوْضُوعاً عَلَى مَوْضُوعٍ، وَهَذَا التَّوْكِيدُ يُلَاحِظُ أَنَّ يَكُونُ الْبَيَانُ الْمُؤَكِّدُ بِهِ مُوجَّهًا لِلْمُكَذِّبِ أَوْ الشَّاكِّ.

• ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ أَي: فِي شَكٍّ، وَمَجَادَلَةٍ.

الْمَعْنَى: وَيَا أَيُّهَا الْمُنْكَرُ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ، وَالْمَكْذِبِ بِالْقُرْآنِ؛ لَقَدْ بَعَثْنَا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ؛ رَسُولًا عَظِيمًا هُوَ مُوسَى، وَآتَيْنَاهُ كِتَابَ التَّوْرَةِ، وَجَعَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ فِي مُجْتَمَعِكَ الْعَرَبِيِّ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى شَكٍّ فِي مُوسَى وَالتَّوْرَةِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَوْفَ تَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَعْلَمُ حِينَئِذٍ يَقِينًا أَنَّا أَرْسَلْنَاهُ وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ، وَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَفِي مُجَادَلَةٍ حَوْلَهَا، فَهِيَ بَيَانٌ مِنْ رَبِّكَ عَمَّا سَوْفَ يَكُونُ حَقًّا.

فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ فِكْرٌ قِيَاسِيٌّ سَلِيمٌ فَقَسْ إِرْسَالَنَا لِمُحَمَّدٍ، وَإِنزَالَنَا الْقُرْآنَ عَلَيْهِ هُدًى لِلْعَالَمِينَ؛ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ سُنَّتِنَا فِي عِبَادِنَا وَمِنْهَا إِرْسَالُ مُوسَى وَإِنزَالُ كِتَابِ التَّوْرَةِ عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ بَعْضِ مَا كَرَّمَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّوْرَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِظْمَاعاً لِمَنْ يُؤْمِنُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ؛ بِأَنْ يُكْرَمَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّكْرِيمَ، بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ:

• ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) : وفي القراءة الأخرى: [لِمَا صَبَرُوا]: أي: لِأَجْلِ صَبْرِهِمْ.

أي: وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيْمَةً يُفْتَدَى بِهِمْ، وَيَهْدُونَ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْتَّرْكِ، وَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً حِينَمَا صَبَرُوا وَلِأَجْلِ أَنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِفِعْلِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْ فِعْلِهِ، وَصَبَرُوا فِي مَجَالِ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَنُصْحِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، وَلِأَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا فِي كِتَابِ التَّوْرَةِ يُوقِنُونَ.

الْيَقِينُ: الْعِلْمُ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ وَلَا يُدَاخِلُهُ شَكٌّ.

وَفِي هَذَا إِظْمَاعٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُوقِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ؛ أَنَّهُمْ إِذَا بَلَغُوا مُسْتَوًى يَسْتَحِقُّونَ بِهِ أَنْ يَكُونُوا أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (السجدة).

والحمد لله على معاونته، ومددوه، وتوفيقه، وميثته، وفتحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (السجدة) الآيات من (٢٥ - ٣٠) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾
أُولَئِكَ يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِسْنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

تمهيد:

في آياتِ هذا الدرسِ معالجة للكَافِرِينَ بِالْإِنذارِ والترهيبِ،
وبالإقناع، وفيها بَيَانُ سُؤالِهِمْ عَنْ زَمَنِ نَصْرِ الرُّسُولِ - ﷺ - والمؤمنين
عليهم، مَعَ مُعَالَجَتِهِمْ بِالترهيبِ.

وفيها تَوْصِيَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ بِأَنْ يُعْرِضَ عَنِ الْمَكْذِبِينَ
الْمُعَانِدِينَ، وبِأَنْ يَنْتَظِرَ وَلَا يَسْتَعْجَلَ طَلَبَ الْإِنصَارِ عليهم.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُنذِرُ الْكَافِرِينَ بِمَا سَيَلْقَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُخَاطَبُ
بِهِ كُلُّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِي:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾:
- ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: أَضْلُ «الْفَصْلِ»: الْفَرْقُ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَوْ
أَشْيَاءَ، وَلَمَّا كَانَ قَضَاءُ الْحَاكِمِ بَيْنَ خَصْمَيْنِ يَعْتَمِدُ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا
سُمِّيَ حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ فَضْلًا.

فَمَعْنَى: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يَفْضِي بَيْنَهُمْ وَيُزِمُّ قَضَاءَهُ وَيَبْتِئُهُ، مُبَيِّنًا حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمُقْتَضَى عَدْلِهِ وَقُضْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

• ﴿... فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥): أي: فيما كانوا في الحياة الدُّنْيَا حَيَاةَ الْامْتِحَانِ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَةِ لَهُ، وَأَفْعَالٍ حَسَنَةٍ وَأَفْعَالٍ قَبِيحَةٍ سَيِّئَةٍ.

وَيُلْزَمُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ قَضَاءَهُ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْمَطْلُوبِ الرَّبَّانِيِّ مِنْهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ؛ أَنْ يُنْفَذَ بِحُكْمَتِهِ جَزَاءُهُ، فَهُوَ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَسَبِهِ عَلَى وَفْقِ دَرَكَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا.

كما يَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِحَسَبِهِ، عَلَى وَفْقِ دَرَجاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا.

أي: إِنَّ رَبَّكَ يَا أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي الصَّالِحُ لِلْخِطَابِ؛ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَفْصِلُ قَضَاءَهُ بَيْنَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَكَذَّبُوا رُسُولِي، وَكَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ؛ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْبُعْثِ، فِي كُلِّ مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ عَنِ مَطْلُوبِي مِنْهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ فَضْلِ قَضَائِي فِيهِمْ، أَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَسَبِهِ، عَلَى وَفْقِ الدَّرَكَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً عِلَاجَ الْكُفْرَةِ الْمَكْذِبِينَ:

• ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦):

• ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: أي: أَو لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، يُقَالُ لُغَةً: «هَدَيْتَ لَهُ» أي: بَيَّنْتَ لَهُ.

«الواو» تَعِطُفٌ عَلَى مَحذُوفٍ، أي: أَمَا زَالُوا جَاهِلِينَ بِسُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَهْلَكَهُمْ رَبُّهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، فَهُمْ الْآنَ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ كَأَرْضِ ثُمُودَ، وَأَرْضِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَأَرْضِ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامَ، حِينَ يُسَافِرُونَ إِلَى الشَّامِ أَوْ إِلَى مِصْرَ.

إِنَّ فِي مَوَاطِنِ الْمُهْلَكِينَ السَّابِقِينَ وَبَقَاءِ بَعْضِ آثَارِهِمْ فِيهَا لآيَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي إِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ، الَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ عِنَادًا وَاتِّبَاعًا لِأَهْوَاءِ نَفُوسِهِمْ وَشَهَوَاتِهَا.

الْقُرْنُ مِنَ النَّاسِ: أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَسُمُّوا فِي اللُّغَةِ قَرْنًا لِأَنََّّهُمْ افْتَرَنُوا مَعًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

• ﴿... أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦): «الفاء» تَعِطُفٌ عَلَى مَحذُوفٍ مَطْوِيٍّ، أي: أَهْمُ صُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ أَخْبَارَ الْمُهْلَكِينَ السَّابِقِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَهُمْ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا عِلَاجَ الْكُفْرَةِ الْمَكْذِبِينَ مُتَحَدِّثًا بِضُمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧):

• ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾: أي: إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَوْصَلَ مَا عَلَيْهَا مِنْ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ فَصَارَتْ جَرْدَاءَ.

الْمَعْنَى: أَعْمُوا أَوْ هُمْ غَافِلُونَ، وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ بِسَوْقِ السُّحْبِ وَإِنْزَالِ الْأَمْطَارِ مِنْهَا، أَوْ بِسَوْقِ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ وَالْجَدَاوِلِ وَالْعُيُونِ، إِلَى الْأَرْضِ الْجَرْدَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا نَبَاتٌ وَلَا أَشْجَارٌ، فَنُخْرِجُ بِالْمَاءِ الَّذِي

جَعَلْنَاهُ سَبَبًا لِنَبَاتِ الزَّرْعِ زَرْعًا مُخْتَلِفَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ، وَهَذَا الزَّرْعُ الَّذِي نُنْبِتُهُ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُونَ مِنْهُ هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَسَائِرُ النَّاسِ.

• ﴿... أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧)؟! : أي: أَنْظَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ، فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ هَذِهِ الظُّوَاهِرَ مِنْ آيَاتِنَا الْعَظِيمَةِ فِي كَوْنِنَا الَّذِي هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِنَا، وَكُلُّ حَدِيثٍ فِيهِ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِنَا، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَفَكَّرُوا فِيمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا فِي كَوْنِنَا، وَأَرَادُوا الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ وَنَجَاةَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ عَذَابِنَا، لَأَمَنُوا بِرَبُّوبِيَّتِنَا الَّتِي لَا شَرِيكَ لَنَا فِيهَا، وَبِالْهَيْئَتِنَا الَّتِي لَا شَرِيكَ لَنَا فِيهَا، وَلَا مَنَّا بِرَسُولِنَا، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ، وَلَا جَهْدُوا فِي طَاعَتِنَا بِفِعْلِ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَتَرَكْ مَا نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ، عَلَى مِقْدَارِ مَا يَسْتَطِيعُونَ، أَوْ يَتَسَيَّرُ لَهُمْ مِمَّا يُعْبَرُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا عِلَاجَ الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ:

• ﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾:

• ﴿الْفَتْحُ﴾: يُرَادُ بِهِ هُنَا نَصْرُ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ.

لَقَدْ فَهِمَ الْكَفَرَةُ الْمَكْذِبُونَ، مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ؛ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ رَسُولَهُ ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ هُمُ الْجَمَاعَةُ الْأَقْوَى عُدَّةً وَعَدَدًا، فَصَارُوا يُكَرِّرُونَ عَلَى جَمَاعَاتِ الْمُؤْمِنِينَ سَاخِرِينَ وَمُسْتَهْزِئِينَ قَوْلَهُمْ: مَتَى يَكُونُ هَذَا النَّصْرُ لَكُمْ عَلَيْنَا، وَأَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ مِنْ وَسَائِلِهِ عُدَّةً وَلَا عَدَدًا، بَلْ نَحْنُ مَالِكُو هَذِهِ الْوَسَائِلِ، وَلَوْ نَهَضْنَا لِحَرْبِكُمْ فَإِنَّا نَسْتَأْصِلُكُمْ.

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْإِشَارَةُ إِلَى تَحْدِيدِ زَمَنِ يَتَحَقَّقُ فِيهِ نَصْرُ

الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَكُونَ يَوْمَ النَّصْرِ مُفَاجَأَةً غَيْرَ مُتَّظَرَةٍ.

فَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ وَكُلَّ مُؤْمِنٍ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ:

• ﴿... يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٩﴾﴾:

أي: إِنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ الَّذِي قَضَى اللَّهُ أَنْ يَنْصُرَنَا فِيهِ عَلَيْكُمْ؛ سَتَجِدُونَ فِيهِ أَنْفُسَكُمْ تَحْتَ سُلْطَانِ عِقَابِ اللَّهِ، وَمَنْ يَخْطُرُ لَهُ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ يَوْمَئِذٍ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَلَا يَرْفَعُ عَنْهُ عُقُوبَةَ اللَّهِ، وَمَنْ يَدْعُو مِنْكُمْ رَبَّهُ أَنْ يُمَهِّلَهُ لِيُؤْمِنَ وَيُسْلِمَ وَيَعْمَلَ صَالِحًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، إِذْ انْتَهَتْ مُدَّةُ الْإِمْتِحَانِ وَجَاءَتْ مُدَّةُ الْجَزَاءِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ وَكُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ؛ التَّصَرُّفَ الْحَكِيمَ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْكُفْرَةُ الْمَكْذُوبُونَ، وَعِنْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي صَارُوا يُكْرَّرُونَ فِيهِ سُؤَالُهُمْ عَنْ زَمَنِ نَصْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ:

• ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٢٠﴾﴾:

• ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: الْإِعْرَاضُ: وَسَطُ بَيْنِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ، أَي: أَشْعِرْهُمْ بِأَنَّكَ غَيْرُ مُهْتَمٍّ لَهُمْ، وَغَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُجَادِلُهُمْ، حَتَّى لَا تَسْتَشِيرَهُمْ فَيَعِدُّوا الْعُدَّةَ لِمُحَارَبَتِكَ وَمُحَارَبَةِ أَصْحَابِكَ.

• ﴿وَأَنْتَظِرْ﴾: أَي: وَانْتَظِرِ الْيَوْمَ الَّذِي نُحَقِّقُ فِيهِ نَصْرَكَ وَنَصْرَ أَصْحَابِكَ عَلَيْهِمْ، مُوقِنًا بِأَنَّ يَوْمَ نَصْرِكُمْ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ.

• ﴿... إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٢٠﴾﴾: أَي: وَسَنُثَبِّطُهُمْ عَنْ أَنْ يَتَحَرَّكُوا لِقِتَالِكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ قُوَّةَ تَقَاوُمُونَهُمْ بِهَا، وَنَجْعَلُهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفُرْصَةَ الْمُلَائِمَةَ لِلتَّخْلُصِ مِنْكُمْ، فِي حِينٍ أَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ فِي الْوَاقِعِ عِقَابَنَا لَهُمْ بِنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَقَتْلِ صَنَادِيدِهِمْ وَجَبَابِرَتِهِمْ.

وقد حَصَلَ هَذَا فِي مَعْرَكَةِ بَذْرِ بَتَائِدِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ الْمُيْمِنِ .

وبهذا انتهى تدبر الدرس السادس وهو الدرس الأخير من سورة (السجدة).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِه .



(١٠)

ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (السجدة)

من الاختيارات البلاغية في هذه السورة ما يلي:

أولاً: من التوكيد لوجود داعٍ بلاغي له، قول الله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾﴾:

«من» في: ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ حَرْفُ جَرٍّ زَائِدٌ جِيءَ بِهِ لَتَوْكِيدِ اسْتِعْرَاقِ النَّفْيِ في: ﴿مَا لَكُمْ﴾ والتنصيصِ عَلَيْهِ.

والداعي البلاغي أَنَّ الْمُغْنِيَّ بِالْخِطَابِ مُشْرِكُونَ.

ثانياً: من خروج الاستفهام عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ فِي الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ:

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً لِقَوْلِ مُنْكَرِي الْبَعْثِ:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾:

الاستفهام في: ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تَعَجُّبِيٌّ اسْتِعْرَابِيٌّ يَرَادُ بِهِ النَّفْيُ وَالْإِنْكَارُ.

أي: لا يُمكنُ أَنْ نُخْلَقَ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ فَنَاءِ أَجْسَادِنَا، وهم في هَذَا مُكَابِرُونَ لَا يَحْتَجُّونَ إِلَّا بِالاستغراب.

ثالثاً: من الإيجاز بالحذف عِدَّةُ أُمُثَلَةٍ في السورة:

المثال الأول:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿... مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾﴾:

في عبارة: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ إيجازٌ بالحذف، فالقاءُ فَصِيحَةٌ تُعْطَفُ عَلَى مَحذُوفٍ، أي: أُحْرِمْتُمْ مِّنَ الإِذْرَاكِ السَّوِيِّ، وَالْفَهْمُ الصَّحِيحُ النَّافِعُ الْمُؤَثِّرُ فِي الْإِعْتِقَادِ وَتَوْجِيهِ السُّلُوكِ الْإِرَادِيِّ، فَلَا تَضَعُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فِي ذَاكِرَاتِكُمْ، ثُمَّ تَتَذَكَّرُونَهَا عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ، وَتَعْمَلُونَ بِمَا تَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ.

المثال الثاني:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٢﴾﴾:

«بل» من عبارة: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ تَدُلُّ عَلَى مَحذُوفٍ مَّطْوِيٍّ، أي: لَيْسُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْبَعْثَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلاً، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَفْنَعْنَاهُمْ بِالْحَقِّ، بَلْ هُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَلْقَوْا رَبَّهُمْ لِيَحَاسِبَهُمْ وَيُجَازِيَهُمْ، فَهُمْ يَسْتُرُونَ بَرَاهِينَ الْجَزَاءِ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ.

المثال الثالث:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ...﴾ ﴿١١﴾:

أي: يَتَوَفَّاكُم مَلَكَ الموت الذي وُكِّلَ بِفَضْلِ أَرْوَاحِكُمْ عَنْ نُفُوسِكُمْ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

المثال الرابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...﴾ ﴿١٢﴾:

جواب «لو» محذوف، من السَّهْلِ عَلَى المتدبِّر تقديره: أي: لَتَرَيْنَ الْمُجْرِمِينَ فِي حَالَةِ مَهَانَةٍ وَذِلَّةٍ وَذُعْرِ شَدِيدٍ يُثِيرُ مَشَاعِرَ الْحُسْرَةِ عَلَيْهِمْ.

المثال الخامس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾:

أي: وَلَوْ شِئْنَا لَسَلَبْنَا كُلَّ نَفْسٍ ذَاتِ إِرَادَةٍ حُرَّةٍ إِرَادَتَهَا الْحُرَّةَ، فَجَعَلْنَاهَا مَخْلُوقًا مَجْبُورًا، وَحِينَئِذٍ نَخْتَارُ أَنْ نُؤْتِيَ كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا بِالْجَبْرِ، كَمَا خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ مَجْبُورِينَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُهْدِيَيْنَ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ.

المثال السادس:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾:

أي: إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا إِيمَانًا مُتَّفِقًا مِنْ مُسْتَوَى الْأَبْرَارِ أَوْ الْمُحْسِنِينَ
الَّذِينَ

المثال السابع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿١٨﴾:

أي: كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ.

المثال الثامن:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾:

أي: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ سَبَقَ أَنْ تَبْلُغَ آيَاتِ رَبِّهِ، وَتَفْهَمَهَا وَأَمَّنْ بِهَا،
وَبَعْدَ ذَلِكَ ضَعُفَ ارْتِبَاطُهُ بِهَا، وَذُكِّرَ بِهَا أَنَا فَأَنَّا مِنْ قِبَلِ الْمَذْكُرِينَ، ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ، فَصَارَ بِاعْرَاضِهِ مُجْرِمًا.

المثال التاسع:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكَانِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾:

«الفاء» في عبارة: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ تَعِطْفُ عَلَى مَحْذُوفٍ مَطْوِيٍّ،
تقديره: أَهْمُ صُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ أَخْبَارَ الْمُهْلِكِينَ السَّابِقِينَ.

المثال العاشر:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْكَفَرَةِ الْمَعَانِدِينَ أَيْضاً:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ
أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٧٧)

«الواو» في عبارة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ تَعْطِفُ عَلَى مَحذُوفٍ، تقديره: أَعْمُوا
أَوْ هُمْ غَافِلُونَ وَلَمْ يَرَوْا.

و«الفاء» في عبارة: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ تَعْطِفُ عَلَى مَحذُوفٍ أَيْضاً،
تقديره: أَنْظَمَسْتُ أَبْصَارَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.

وبهذا أكتفي استخراجاً لِلْبَلَاغِيَّاتِ الْمُخْتَارَاتِ فِي السُّورَةِ.

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



سُورَةُ الطُّورِ

٥٢ مصحف ٧٦ نزول

وهي كُلُّهَا سورة مَكِّيَّةٌ بلا خلاف

(١)

نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
 الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ
 الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾
 أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٤﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا
 تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٦﴾ فَكِهِينَ ﴿١٧﴾ بِمَا ءَانَتْهُمْ رَبُّهُمْ
 وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ

١٨ - • قرأ أبو جعفر: [فكِهِينَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [فأكِهِينَ].

الفَكِهُ، والفاكِه: يَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ. وَهُوَ النَّاعِمُ الْقَرِحُ الْمَسْرُورُ.

عَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ
 ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ
 فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
 ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ آتَاهُ
 اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

- ٢١ - • قرأ أبو عمرو: [وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ].
 وقرأها ابنُ عامر، ويعقوب: [وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ].
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ].
 وفي هذه القراءات تكاملٌ في أداء المعنى المراد.
- ٢١ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [الْحَقْنَا بِهِمْ
 ذُرِّيَّتَهُمْ] بالجمع.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] بالافراد.
 ومؤدَى القراءتين واحد.
- ٢١ - • قرأ ابنُ كثير - بخلف عن قنبل -: [الْفَنَاهُمْ] بكسر اللام. وقرأها قنبل
 بوجهه الثاني: [وَمَا لِنَاهُمْ]..
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [الْفَنَاهُمْ] بفتح اللام.
 ويظهر أنَّ فتح اللام وكسرها لغتان.
 والمعنى: نَقَضْنَاهُمْ.
- ٢٣ - • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ].
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ].
- ٢٨ - • قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر: [نَدْعُوهُ أَنَّهُ] بفتح همزة «أَنَّ»، أي: لِأَنَّهُ.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نَدْعُوهُ إِنَّهُ] بكسر همزة «إِنَّ»، على الاستئناف.
 وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد.

يَكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَحْلَمُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ
 خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ
 الْمُصْبِطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ
 بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
 أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُيُونَ ﴿٤١﴾
 أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ
 إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
 السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

٣٢ - • قرأ أبو عمرو: [أَمْ تَأْمُرُهُمْ]. بخلف عن الدوري، والوجه الثاني للدوري اختلاس ضمة الراء.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَمْ تَأْمُرُهُمْ].

وكل قارئ على أصله من الإبدال وعديه.

٣٧ - • قرأ هشام: [المصْبِطُونَ]. وخلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي. ولقنبل، وابن ذكوان، وحفص: بالسين والصاد. ولخالد: بالإشمام والصاد.

وقراها باقي القراء العشرة: [المصْبِطُونَ] بالصاد الخالصة.

٤٥ - • قرأ أبو جعفر: [يُلَاقُوا]. وقراها باقي القراء العشرة: [يُلَاقُوا].

ومؤدى القراءتين واحد.

الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

٤٥ - • قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: [يُصْعَقُونَ] بالمبني لما لم يسم فاعله.
وقرأها باقي القراء العشرة: [يُصْعَقُونَ].
أي: يُصْعَقُونَ، فهم يُصْعَقُونَ.

(٢)

مما ورد في السنة بشأن سورة (الطور)

(١) روى البخاري ومسلم وغيرهما عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور.

(٢) وروى البخاري وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها سمعتُ رسولَ الله ﷺ يصلِّي إلى جنبِ البَيْتِ بالطورِ وكتابِ مَسْطُورٍ».

أي: يقرأ بِسُورَةِ «الطُورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ».

(٣)

موضوع سورة (الطور)

يَدُورُ موضوع سورة (الطور) حَوْلَ مُعَالَجَةِ الْمَكْذِبِينَ يَوْمَ الدِّينِ، وَالْمَكْذِبِينَ بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالْقُرْآنِ، وَمُعَالَجَةِ جَا حِدِي الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَمُدَّعِي أَكَاذِيبَ اعْتِقَادِيَّةٍ تُنَاقِضُ مَا يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَمُعَالَجَةِ مُرِيدِي تَدْبِيرِ الْكَيْدِ لِلتَّخْلُصِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَمُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ بِالْإِنذَارِ بِالْإِهْلَاكِ.

وفي ختام السُّورَةِ تَوْصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ بِالتَّصَرُّفِ الْحَكِيمِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَهُ مَعَ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ الْمَعَانِدِينَ، فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ وَقَبْلَهَا، وَهُوَ تَرْكُهُمْ يُمَعِّنُونَ فِي كُفْرِيَّاتِهِمْ، وَالِاشْتِغَالُ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَكَةَ الْمِئْثُوسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

(٤)

دروس سورة (الطور)

ظهر لي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ يُمْكِنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٢٨).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْكِيدُ تَحْقِيقِ الْبُعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ، مَعَ تَقْدِيمِ بَعْضِ مَشَاهِدَ مِنْ يَوْمِ الدِّينِ لِلْكَافِرِينَ، وَبَعْضِ مَشَاهِدَ لِلْمُتَّقِينَ.

الدرس الثاني: الآيات من (٢٩ - ٤٤).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهِ الرَّسُولِ ﷺ لِأَنْ يُتَابَعَ تَذْكِيرُهُ مَنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ مِئْثُوسٍ مَعَهَا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ، مَعَ مَعَالَجَةِ الْكَافِرِينَ بِشَأْنِ عِدَّةٍ قَضَايَا.

الدرس الثالث: الآيات من (٤٥ - ٤٩) آخر السورة.

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْصِيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَرَّفَهُ؛ تُجَاةَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ مِئْثُوسٍ مَعَهَا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ، مَعَ بَيَانِ الدَّوَاءِ الدِّينِيِّ الَّذِي عَلَيْهِ ﷺ أَنْ يُدَاوِيَ نَفْسَهُ بِهِ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الطور) الآيات من (١ - ٢٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ مَا لَهُ
مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا
١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾
أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ فَتَكْبِهِينَ يَمَّا ءَانَهُمْ رَيْثُكُمْ وَوَقَلَهُمْ رَيْثُكُمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْخَفَاءِ يَوْمَ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا
أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ
مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢﴾ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ ٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨﴾:

القراءات:

(١٨) • قرأ أبو جعفر: [فَكْبِهِينَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاكِهِينَ].

الْفِكَهَةُ، وَالْفَاكِهَةُ: يَذْلَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ النَّاعِمُ الْفَرِحُ

الْمُسْرُورُ.

(٢١) • قرأ أبو عمرو: [وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ].

وقراها ابن عامر، ويعقوب: [وَأَتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَأَتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] بالإنفراد.

(٢١) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب:

[أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] بالجمع.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] بالإنفراد.

ومؤدّي القراءتين واحد.

(٢١) • قرأ ابن كثير - بخلف عن قبل -: [الْإِنْتَاهُمْ] بكسر اللام.

وقراها قبل بوجهه الثاني: [وَمَا لِنْتَاهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [الْإِنْتَاهُمْ] بفتح اللام.

ويظهر أنَّ كسر اللام لغة، ومعناها واحد.

(٢٣) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَا لَعُوَ فِيهَا وَلَا

تَأْيِيم].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا لَعُوَ فِيهَا وَلَا تَأْيِيم].

وهما وجهان عربيان جائزان عند النحاة.

(٢٨) • قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر: [نَدْعُوهُ أَنَّهُ] بفتح همزة

«أَنَّ»، أي: لَأَنَّهُ.

وقراها باقي القراء العشرة: [نَدْعُوهُ إِنَّهُ] بكسر همزة «إِنَّ»، على

الاستيفاناف.

وبيّن القراءتين تكاملاً في أداء المعنى المراد.

تَمْهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْكِيدُ تَحْقِيقِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ، مع تقديم بَعْضِ مَشَاهِدَ مِنْ يَوْمِ الدِّينِ لِلْكَافِرِينَ، وبعضِ مَشَاهِدَ لِلْمُتَّقِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣﴾ وَأَلَيْتَ الْمَعْمُورِ ٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَفَّعٌ ٧﴾ مَا لَمْ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾:

(١) أَقْسَمَ رَبَّنَا - جَلَّ جَلَالُهُ - بِالطُّورِ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَانِبِهِ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، إِذِ اخْتَارَ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ أَحَدَ الْأُمُكِنَةِ الْعُظْمَى لِرَسُولِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَبَقَ أَنْ أَقْسَمَ بِهِ فِي سُورَةِ (التين/ ٢٨) نزول) مع ثَلَاثَةِ مِنْ مَهَابِطِ الْوَحْيِ، هِيَ: بِلَادُ التِّينِ، وَبِلَادُ الزَّيْتُونِ، وَبِلَادُ الْأَمِينِ (مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ).

وجبل الطور يُسَمَّى عند الإِسْرَائِيلِيِّينَ جبل «سِيناء»، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «جَبَلِ حُورَيْب»، وَيَرَى بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَنَّهُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِجَبَلِ مُوسَى. وَهَذَا الْجَبَلُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ عَظِيمُ الْارْتِفَاعِ، وَمِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ تَسَلُّقُهُ، لِأَنَّهُ حَادُّ الصَّخُورِ، وَشَدِيدُ الانْحِدَارِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُطِيلَ النَّظَرَ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ تُؤْلِمَهُ عَيْنَاهُ لِأَنَّهُ شَدِيدُ التَّوْهُّجِ الضَّوْنِيِّ^(١).

(٢) وَأَقْسَمَ رَبَّنَا - فِيمَا أَرَى - بِالتَّوْرَةِ، تَحْتَ عُنْوَانِ: ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣﴾ أَي: فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ أَسْطُرًا، فَالْأَسْطُرُ: الصَّفُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) انظر: «قاموس الكتاب المقدس»، عند مادة «سِيناء».

- ﴿فِي رَقٍّ﴾: الرَّقُّ: جِلْدٌ رَقِيقٌ يُكْتَبُ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُخْتَارُ غَالِبًا مِنَ الْجُلُودِ لِلْكِتَابَةِ عَلَيْهَا، وَخَاصَّةً جُلُودُ الْغَزَلَانِ، لِرِقَّتِهَا وَبَيَاضِهَا.
- ﴿مَنْشُورٍ﴾: أَيُّ: مَبْسُوطٍ غَيْرِ مَطْوِيٍّ بَلَفٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ لَفًّا دَائِرِيًّا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَذَكَرُ عِبَارَةً: ﴿وَكُتِبَ مَنْشُورٍ﴾ ٢ ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ ٣ ﴿بَعْدَ الْقَسَمِ بِالطُّورِ يَرْشُخُ أَنْ يَكُونَ كِتَابَ التَّوْرَةِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَوَضَفَهُ بِأَنَّهُ مَنْشُورٌ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ غَيْرِ مَطْوِيٍّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْكِتَابَ الْأَصْلِيَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَ التَّحْرِيفَاتِ الَّتِي أَدْخَلَهَا الْيَهُودُ، وَأَنَّهُ كَانَ مَنْشُورًا فِي رَقٍّ، وَكَانَ مَنْشُورًا بِاسْتِطَاعَةِ كُلِّ قَارِئٍ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ وَيَقْرَأَهُ، أَمَّا بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَ الْيَهُودُ فِيهِ تَحْرِيفَاتِهِمْ، فَصَارُوا يَكْتُبُونَ كِتَابَهُمْ فِي كُتُبٍ، وَكَانَ أَحْبَارُهُمْ هُمْ الْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهَا، فَيُظْهِرُونَ مِنْهَا مَا يُرِيدُونَ إِظْهَارَهُ، لِمُوَافَقَتِهِ لِأَهْوَائِهِمْ، وَيُخْفُونَ مِنْهَا مَا يُرِيدُونَ إِخْفَاءَهُ، وَلَا يَجْعَلُونَهَا مَنْشُورَةً يَقْرَأُهَا كُلُّ قَادِرٍ عَلَى الْقِرَاءَةِ، لِئَلَّا تُكْتَشَفَ تَحْرِيفَاتُهُمْ.

أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالتَّوْرَةِ كَمَا أَقْسَمَ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَبِالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ.

(٣) وَأَقْسَمَ رَبُّنَا بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَهُوَ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِزِيَارَتِهِ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَقَدْ صَحَّ هَذَا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَا مَجَالَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ.

- رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ هَبَّاقٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ

الْإِسْرَاءِ، بَعْدَ مُجَاوَزَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ:

«... فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ، آخَرَ مَا عَلَيْهِمْ...».

(٤) وَأَقْسَمَ رَبُّنَا بِالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَهِيَ السَّمَاءُ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاءَ بِأَنَّهُ رَفَعَهَا، وَمِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الغاشية/ ٦٨ نزول):

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾﴾:

وقول الله تَعَالَى فِي سُورَةِ (الرَّحْمَن/ ٩٧ نزول):

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾.

وقول الله تَعَالَى فِي سُورَةِ (الرعد/ ٩٦ نزول):

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴿٢﴾﴾.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ، آيَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، تَسْتَحِقُّ أَنْ يُقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ دَلَالَاتٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُظْمَى وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.

(٥) وَأَقْسَمَ رَبُّنَا بِالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، أَيِ: الْمُمْتَلِئِ مَاءً وَعَجَائِبَ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ تَسْتَحِقُّ أَنْ يُقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا.

وَأَوَّلُ مَا يَدْخُلُ فِي دَلَالَةِ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: بَحْرُ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ آيَةٌ مَشْهُودَةٌ لِلنَّاسِ فِيهَا، وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ دَلَالَةِ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ بَحْرِ أَوْ بَحَارٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً وَعَجَائِبَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ فِيهَا.

أَمَّا الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ بِالطُّورِ، وَبِالتَّوْرَةِ، وَبِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَبِالسَّمَاءِ، وَبِالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿٧﴾ مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ :

أي: إِنَّ جَزَاءَ رَبِّكَ بِالْعَذَابِ لِمُسْتَحَقِّي الْعَذَابِ لِأَمْرٍ سَيَقَعُ لَا مَحَالَةَ.
وَأَقْتَصَرَ النَّصُّ عَلَى ذِكْرِ الْجَزَاءِ بِالْعَذَابِ لِأَنَّ الْمَعْنِيَيْنِ بِالْخِطَابِ
الْمُؤَكِّدِ بِالْأَقْسَامِ الْعِظَمَى هُمُ الْكَفَرَةُ الْمَعَارِدُونَ الْمَكْذُبُونَ يَوْمَ الدِّينِ.

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمَصْدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَهُمْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ جَزَاءَهُمْ
بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ لَوَاقِعٌ حَتْمًا، فَهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ خَبْرًا جَدِيدًا، وَلَا تَوْكِيدًا
لِهَذَا الْخَبَرِ بِالْأَقْسَامِ.

• ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ ﴿٨﴾ : أي: لَا يُوجَدُ دَافِعٌ مَا يَدْفَعُهُ، لِأَنَّ الْأَمْرَ
كُلَّهُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ، فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ أَمْرًا قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، وَلَا أَحَدٌ
يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِقِطَتَيْنِ مِنْ أَحْدَاثٍ مُقَدَّمَاتِ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي
يُجَازَى فِيهِ الْكَفَرَةُ الْمَكْذُبُونَ بِعَذَابِ رَبِّهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿يَوْمَ نَمُورُ أَسْمَاءَ مَوْرًا﴾ ﴿٩﴾ وَنَسِيرُ الْجِبَالِ سَيْرًا﴾ ﴿١٠﴾ :

الْمَوْرُ: التَّحَرُّكُ وَالتَّدَافُعُ وَالاضْطِرَابُ كَالْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ الثَّائِرِ، أَوْ
كَالْعُلْيَانِ الشَّدِيدِ فِي الْقَدْرِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يُطْبَخُ فِيهَا الطَّعَامُ الْمَقْطَعُ قِطْعًا.

أي: يَوْمَ يَكُونُ مِنْ أَحْدَاثِهِ فِي بَدَايَاتِهِ، لِتَبْدِيلِ صِفَاتِ السَّمَاءِ غَيْرَ
السَّمَاءِ، وَتَبْدِيلِ صِفَاتِ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ؛ أَنْ تَتَحَرَّكَ أَجْرَامُ السَّمَاءِ
وَتَتَدَافَعُ وَتَضْطَرِبَ وَتَجْرِي فِي غَيْرِ مَجَارِيهَا، وَتَسِيرَ فِي غَيْرِ مَسِيرَاتِهَا،
وَهَذَا الْمَوْرُ يَكُونُ فِيهَا شَدِيدًا، وَأَنْ تَسِيرَ الْجِبَالُ بِتَسْيِيرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
لَهَا، تَمْهِدًا لِبُثْثِهَا وَتَفْثِثِهَا، وَجَعَلَ الْأَرْضَ مُسَطَّحًا مُسْتَوِيًا مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى
أَقْصَاهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعًا:

• ﴿قَوْلٌ بَيِّنٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ :

أي: فَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الدِّينِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبُعْثِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ، وَفَضْلٍ قَضَاءٍ، وَجَزَاءٍ، فِي جَنَّةٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ الْمَصْدُقِينَ، وَفِي نَارٍ عَظِيمَةٍ لِلْكَافِرِينَ الْمَجْرِمِينَ الْمَكْذِبِينَ، الَّذِينَ جَحَدُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَكَذَّبُوهُمْ فِيمَا بَلَّغُوا عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُمْ مُؤَيَّدُونَ مِنْ رَبِّهِمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَيَمْلِكُونَ بُرْهَانَ الْعَقْلِ وَشَوَاهِدَ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ الْعَظِيمِ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

«وَيْلٌ»: كَلِمَةُ عَذَابٍ، وَفِيهَا مَعْنَى الْوَعِيدِ بِحُلُولِ عِقَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَوَرَدَ أَنَّ كَلِمَةَ «وَيْلٌ» اسْمٌ عَلَّمَ عَلَى وَادٍ فِي جَهَنَّمَ. وَهِيَ هُنَا فِي الْآيَةِ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ: «لِلْمُكَذِّبِينَ».

• ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ :

• ﴿فِي خَوْضٍ﴾: أَصْلُ «الْخَوْضِ» الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي التَّلَبُّسِ فِي الْأَمْرِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ.

وَالْخَوْضُ مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ. وَيُقَالُ: «خَاضَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ» أَي: خَلَطَهُ.

أي: إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ؛ أَنَّهُمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ الْحَيَاتِيَّةِ يَخُوضُونَ عَلَى غَيْرِ هُدًى، كَمَنْ يَخُوضُ فِي الْمَاءِ فَيَعْكُرُهُ بِالطَّيْنِ الرَّاسِبِ فِي الْقَاعِ، وَقَدْ يَكُونُ طِينًا أَسْوَدَ، فَيُفْسِدُ صَفَاءَ الْمَاءِ، وَالْمَرَادُ خَوْضُهُمْ فِي ارْتِكَابِ الْمَحْرَمَاتِ وَالشُّرُورِ وَأَنْوَاعِ الضَّرِّ وَالْأَذَى، وَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ عَلَى

غَيْرِ هُدًى يَلْعَبُونَ، فَلَا يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَهَا نَتَائِجُ نَافِعَةٌ لَهُمْ، بَلْ نَتَائِجُهَا ضَارَّةٌ لَهُمْ فِي النَّظَرِ الْبَعِيدِ.

وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ (١٣):

الدَّعْ: الدَّفْعُ الشَّدِيدُ الْعَنِيفُ بِجَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ.

أي: يَوْمَ يُدْفَعُونَ دَفْعًا عَنِيفًا بِجَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ، إِلَى أَبْوَابِ نَارِ جَهَنَّمَ لِقَذْفِهِمْ فِيهَا، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ شَيْئًا.

وَحِينَ إِصْصَالِهِمْ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ السَّائِقُونَ لَهُمْ بِأَسْلُوبِ الدَّعْ:

• ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٤) أَفَسِحْرُ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾: ﴿١٦﴾:

أي: هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ الْأَخْبَارَ عَنْهَا، وَأَنَّهَا حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَتَزْعُمُونَ لِجَمَاهِيرِكُمْ أَنَّ الرُّسُولَ يَسْحَرُ النَّاسَ بِأَقْوَالِهِ، لِيُقْنِعَهُمْ بِأَنَّ الْآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ حَقٌّ؛ أَفَسِحْرُ هَٰذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ الْيَوْمَ، أَمْ أَنْتُمْ عُمِّي لَا تُبْصِرُونَ.

• ﴿أَصَلُّوْهَا﴾: أي: لِيَتَمَسَّ نَارُهَا جُلُودَكُمْ وَتُحْرِقَهَا، وَكُلَّمَا نَضِجَتْ بِدَلَّكُمْ اللَّهُ جُلُودًا غَيْرَهَا، لِيَتَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي تُحْسِنُونَهُ فِي أَجْهَرَةِ الْإِحْسَاسِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي جُلُودِكُمْ.

• ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: فَلَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ إِذَا جَزَعْتُمْ وَأَعْلَنْتُمْ ضَجْرَكُمْ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمُ الصَّبْرَ أَوْ عَدَمَ الصَّبْرِ، فَلَا أَمْرَانِ مُسْتَوِيَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَذَابِ.

• ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾: أي: مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مُطَابِقَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ سَيِّئَاتٍ وَقَبَائِحِ اعْتِقَادِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ وَظَاهِرَةٍ جَسَدِيَّةٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْزِضُ لَقَطَاتٍ مِنْ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ:

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ فَكَيْهِنْ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾:

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: وَهُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى عَلَى دَرَجَاتِهِمُ الْمُتَفَاضِلَةِ فِيهَا، وَكَمَالِ التَّقْوَى يَكُونُ بِفِعْلِ كُلِّ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ كُلِّ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يُوصَلُ إِلَى كَمَالِ التَّقْوَى التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ وَتَوْبَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ.

• ﴿فِي جَنَّتٍ﴾: أَيُّ: يُقِيمُونَ دَوَامًا بِلَا نِهَايَةٍ فِي جَنَّاتٍ، هِيَ أَقْسَامٌ مِنْ عُمُومِ الْجَنَّةِ الْعُظْمَى.

الجنة: مَا يَحْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ وَزُرُوعٍ وَأَنْهَارٍ وَقُصُورٍ، وَكُلِّ مَا يُمْتَنِعُ الْأَنْفُسَ وَالْحَوَاسَّ، وَهِيَ يَوْمَ الدِّينِ مَا يُحَقِّقُ كُلَّ أَنْوَاعِ السَّعَادَاتِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ الْخَالِدِ الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ.

• ﴿وَنَعِيمٍ﴾: أَيُّ: وَفِي مُحِيطٍ بِهِمْ مِمَّا يَجْعَلُهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِكُلِّ مَا يُحِبُّونَ وَيَسْتَهْنُونَ مِنْ لَذَائِ وَمَسَرَّاتٍ وَأَنْوَاعِ سَعَادَاتٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ تَخْصِيصُ لَذَّاتِ الْآخِرَةِ بِاسْمِ «نَعِيمٍ»، وَتَخْصِيصُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا بِاسْمِ «مَتَاعٍ»؛ لِلْفَرْقِ الْكَبِيرِ بَيْنَهُمَا.

• ﴿فَكَيْهِنْ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أَيُّ: مُنَعِّمِينَ، فَرِحِينَ، مَسْرُورِينَ، يَتَنَاوَلُونَ لَذَّاتِهِمْ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُمْ، مُعْجِبِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ طَيِّبَاتٍ وَأَنْوَاعِ سَعَادَاتٍ.

• ﴿وَوَقَّهْمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: هَذِهِ الْعِبَارَةُ تُشْعِرُ بَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ خَطَايَا كَثِيرَةٍ، كَانَ قَدْ ارْتَكَبَهَا بَعْضُهُمْ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ بِخَطَايَاهُمْ عَذَابًا مَّا فِي الْجَحِيمِ، فَعَفَرَهَا اللَّهُ رَبُّهُمْ لَهُمْ، وَوَقَّاهُمْ مَّا كَانُوا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذَابٍ مَّا فِي الْجَحِيمِ.

وَيُقَالُ لَهُمْ تَكْرِيماً:

• ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾:

• ﴿هَنِيئًا﴾: أي: سَائِغًا لَذِيذًا، يُقَالُ لُغَةً: «هَنِيءُ الطَّعَامِ، أَوْ الشَّرَابِ، يَهْنَأُ، هَنَاءً، وَهَنَاءَةٌ» أي: سَاعٌ، وَلَذَّةٌ.

أي: كُلُوا أَنْوَاعَ وَأَصْنَافَ مَأْكُولَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ طَيِّبَاتٍ، وَاشْرَبُوا أَنْوَاعَ وَأَصْنَافَ مَشْرُوبَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ طَيِّبَاتٍ، أَكْثَلًا سَائِغًا لَذِيذًا طَيِّبًا، بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ وَخُلُقِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّكُمْ، وَطَلَبًا لِثَوَابِهِ الْعَظِيمِ، إِذْ كُنْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾:

• ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: الْمُتَّكِئُ: هُوَ مَنْ يَسْتَوِي قَاعِدًا عَلَى وَطْءٍ مُتَمَكِّنًا. الْإِتْكَاءُ: هُوَ الْجُلُوسُ بِتَمَكُّنٍ عَلَى مَجْلِسٍ وَثِيرٍ، وَيُصَاحِبُهُ غَالِبًا وَضْعُ الْيَدِ أَوْ الْيَدَيْنِ عَلَى مَا يَحْمِلُهُمَا لِلرَّاحَةِ.

• ﴿سُرُرٍ﴾: جَمْعُ «سَرِيرٍ»، وَهُوَ الْمَضْجَعُ ذُو الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعَةِ، الَّتِي تَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ، وَنَحْوُهُ، وَيُسَطُّ عَلَيْهِ الْفِرَاشُ اللَّيِّنُ عَلَى قَدْرِ الْمُسَطِّحِ مِنْهُ.

وهذه الْأَسِرَّةُ مَصْفُوفَةٌ بِهَدَفٍ جَعَلَ الْمُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَتَحَادَّثُونَ، وَيُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُمْ سَعْدَاءُ بِمَا يُنْعَمُونَ بِهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ.

• ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: أي: وَزَوَّجْنَا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ بِزَوَّجَاتٍ حُورٍ عِينٍ.

الحُور: جمع «الْحَوْرَاء»، وهي مِنَ النِّسَاءِ الْبَيْضَاءِ.

الْعِين: جمع «الْعَيْنَاء»، وهي مِنَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْعَيْنِ الْحَسَنَةِ الْوَاسِعَةِ.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ كُلَّ مَا يُذَكَّرُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ نَعِيمٍ لِلرِّجَالِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَلِلنِّسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَظِيرُهُ عَلَى مَا يَشْتَهَيْنَ، وَذِكْرُ الرِّجَالِ لَا يُفِيدُ التَّخْصِصَ، بَلْ تَطْوِي النُّصُوصُ كُلُّهَا مَعْنَى: وَلِلنِّسَاءِ كَذَلِكَ عَلَى مَا يَشْتَهَيْنَ مِمَّا يُلَائِمُ أَنْوَتَهُنَّ.

وَكَذَلِكَ مَا يُذَكَّرُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ عَذَابٍ لِلرِّجَالِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَلِلنِّسَاءِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ نَظِيرُهُ عَلَى مَا يُلَائِمُ دَرَكَتَهُنَّ فِيهَا.

وَكُلُّ بَيَانٍ يَتَحَدَّثُ عَنِ الرِّجَالِ فَالنِّسَاءُ مَشْمُولَاتٌ بِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ بِطَبِيعَتِهِ مِنْ خَصَائِصِ الرِّجَالِ لَا تُشَارِكُ فِيهِ النِّسَاءُ، وَلَا تُشَارِكُ بِمِثْلِهِ أَوْ نَظِيرِهِ أَوْ مُقَابِلِهِ، أَوْ جَاءَ فِي النَّصِّ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّخْصِصِ صَرَاحَةً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ ذُرِّيَّاتِ الَّذِينَ آمَنُوا وَالْحَاقِ اللَّهُ لَهُمْ بِأَصُولِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ:

• ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلِّ أَمْرٍ يَمَّا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾: ﴿٧٦﴾

وفي قراءة: [ذُرِّيَّاتِهِمْ] بالجمع، ومؤدَّى القراءتين واحد.

وفي قراءة: [وَاتَّبَعْنَاهُمْ]: أي: فَاتَّبَعْتَهُمْ وَاتَّبَعْنَاهُمْ مَعُونَةً وَتَوْفِيقاً وَالْهَامَا بَتَرْبِيَةِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُمْ، فَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

• ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: وَمَا نَقَضْنَا الْأَصُولَ الَّتِي

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِنْ نَاسَا لَهُمْ وَإِكْرَامًا وَإِسْعَادًا؛ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ بِهَذَا الْإِلْحَاقِ، وليس المراد بِالْإِلْحَاقِ إِعْطَاءُهُمْ مَنَازِلَ تُسَاوِي مَنَازِلَ أَصُولِهِمْ، بل المراد مُشَارَكَتُهُمْ لَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ الواسعة جدًا.

يُقَالُ لُغَةً: «أَلَتَ الشَّيْءَ، يَأْلَتُهُ، أَلْتَا» أي: نَقَصَهُ.

وَدَلَّتْ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ عَلَى أَنَّهُ يُوجَدُ أَيْضًا: «أَلَتَ الشَّيْءَ، يَأْلَتُهُ» مِنْ بَابِ «عَلِمَ يَعْلَمُ» والمعنى واحد.

و«مِنْ» فِي «مِنْ شَيْءٍ» مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ وَالتَّنْصِيسِ عَلَيْهِ.

أي: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا بِإِيمَانِهِمْ صَالِحَاتٍ اسْتَحَقُّوا بِهَا مَنَازِلَ وَدَرَجَاتٍ مُرْتَفِعَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، وَاتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ صَحِيحٍ مَقْبُولٍ اسْتَحَقُّوا بِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ مُجَازَاتِهِمْ بِبَعْضِ الْعُقُوبَاتِ؛ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، إِنْ نَاسَا وَإِكْرَامًا وَإِسْعَادًا لَهُمْ، وَجَعَلْنَاهُمْ مَعَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمُ الْمُرْتَفِعَاتِ، دُونَ أَنْ نَنْقُصَ هَؤُلَاءِ الْأُصُولَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا، فَمَنَازِلُهُمْ وَاسِعَةٌ جَدًّا، وَالنَّعِيمُ فِيهَا يَكْفِي أَصْحَابَ الْمَنَازِلِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَمْثَالِهِمْ وَأَمْثَالِ ذُرِّيَّتِهِمْ، فَادْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ نَصِيبًا مِنْهَا يَتَّسِعُ لِضُيُوفٍ كَثِيرِينَ يُعَدُّونَ بِمِثَالِ الْمَلَائِكَةِ.

• ﴿... كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿٦﴾:

• ﴿بِمَا كَسَبَ﴾: أي: بِمَا فَعَلَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿رَهِينٌ﴾: أي: مَحْبُوسٌ، وَهُوَ مِنَ الشُّيُوعِ فِي الْاِسْتِعْمَالِ.

المعنى: كُلُّ امْرِئٍ اجْتَنَزَرَ رِحْلَةَ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَانَ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ فِيهَا أَعْمَالًا يُجَازَى عَلَيْهَا بِالْعِقَابِ، فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْبَسُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِ، عِقَابًا أَوْ غُفْرَانًا، فَإِذَا عُوقِبَ أَوْ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ بِحُكْمَتِهِ، أُفْرِجَ عَنْهُ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ.

دَلَّتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بِطَرِيقِ إِيْمَائِي؛ عَلَى أَنَّ الْمُلْحَقِينَ مِنَ الدَّرِّيَّاتِ بِأُصُولِهِمْ ذَوِي الدَّرَجَاتِ الْمُرْتَفِعَاتِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ؛ كَانُوا مَحْبُوسِينَ بِمَا كَسَبُوا مِنْ خَطَايَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، حَتَّى قَضَى اللَّهُ بِشَأْنِ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِالْعِقَابِ أَوْ بِالْغُفْرَانِ، وَحَتَّى نُفِذَ فِيهِ قَضَاءُ اللَّهِ.

هَذِهِ الْآيَةُ (٢١) جَاءَتْ مُعْتَرِضَةً ضَمْنِ بَيَانِ اللَّقَطَاتِ الْمُخْتَارَاتِ مِنْ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ فِي جَنَاتٍ وَنَعِيمٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ اللَّقَطَاتِ الْمُخْتَارَاتِ مِنْ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ:

• ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ﴾ (٢٢) يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾:

• ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾: أَي: وَتَابَعْنَا إِيْتَاءَهُمْ زِيَادَاتٍ، إِمْدَاداً لَهُمْ بِفَاكِهَةٍ عَلَى أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا، وَلَحْمٍ عَلَى أَنْوَاعِهِ وَأَصْنَافِهِ، مِمَّا، يَشْتَهُونَ أَكْلَهُ مِنْهُمَا، وَأَشْهَى اللَّحُومِ لَحْمُ الطَّيْرِ.

• ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ (٢٣):

• ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا﴾ أَي: يَتَجَادَبُونَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِيْنَاسٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

• ﴿كَأَسَا﴾: الْكَأْسُ: الْقَدْحُ مَا دَامَ فِيهِ الْخَمْرُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَمْرٌ فَهُوَ «كُوب».

• ﴿لَا لَعْوٌ فِيهَا﴾: أَي: لَا يُوجَدُ عِنْدَ شُرَبِهِمْ لَهَا كَلَامٌ لَا يُعْتَدُ بِهِ، وَلَا دَلَالَةٌ لَهُ وَلَا مَعْنَى يُقْصَدُ بِهِ، كَمَا يَكُونُ عِنْدَ شُرَابِ خُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ لَعْوٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمُ الضَّاطِّطَةُ لِتَصْرِفَاتِهِمْ مَسْلُوبَةٌ، بِخِلَافِ خَمْرِ الْجَنَّةِ فَفِيهَا لَذَّةُ الْخَمْرِ عَلَى أَكْمَلِ صِفَاتِهَا، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهَا غَوْلٌ يَغْتَالُ الْعُقُولَ، كَخَمْرِ الدُّنْيَا، وَيَجْعَلُ شَارِبِيهَا تَنْطَلِقُ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ سَفَاسِفُ أَقْوَالٍ، وَلَعْوٌ لَا نِظَامَ لَهُ، وَبَاطِلٌ وَمُنْكَرٌ.

• ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾: أي: وَلَا يَتَّهِمُ شَارِبُوهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْإِثْمِ، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ شَارِبِيهَا قَدْ يَصِلُونَ إِلَى حَالَةٍ مِنْ فَقْدِ التَّوَازُنِ الْعَقْلِيِّ إِلَى أَنْ يَشْتَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِاتِّهَامِهِ بِارتِكَابِ الْإِثْمِ.

• ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ (٢٤):

أي: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ لِخِدْمَتِهِمْ غِلْمَانٌ مَمْلُوكُونَ لَهُمْ، وَيُطِيعُونَهُمْ عَلَى مَا يُرِيدُونَ، وَهُمْ مِنَ الْحُسْنِ فِي جَمَالِ جُلُودِ أَجْسَادِهِمْ: كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ الرَّائِعَةِ، صَفَاءً، وَبَرِيقًا، وَلَمَعَانًا، وَنُوعًا.

• ﴿غِلْمَانٌ﴾: أي: خَدَمٌ، جمع «غَلَامٍ»، وَيَكُونُ غَالِبًا دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ.

اللُّؤْلُؤُ: هُوَ الْحَبُّ النَّفِيسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْدَافِ، وَتُضَنَعُ مِنْهُ عُقُودٌ جَمِيلَةٌ نَفِيسَةٌ غَالِيَةُ الْأَثْمَانِ، وَلَهُ أَلْوَانٌ بَيَضاءُ غَالِبًا، يُمَازِجُهَا مَا يُشَبِّهُ الْأَشِعَّةَ ذَاتَ الْأَلْوَانِ الْبَهِيَّةِ.

المَكْنُونُ: أي: الْمَحْفُوظُ الْمَسْتَوْرُ الَّذِي لَمْ تَعْبَثْ بِهِ أَيْدِي الْعَاشِينَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا يُغَيِّرُ صَفَاءَهُ، وَنَقَاءَهُ، وَدَرَجَةَ جَمَالِهِ، مِنْ عَوَارِضَ مُخْتَلِفَةٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَحْكِي مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ مُحَادَثَةِ بَعْضِ الْمُتَّقِينَ لِبَعْضٍ وَهُمْ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ:

• ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا

مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾:

• ﴿مُشْفِقِينَ﴾: أي: خَائِفِينَ خَذِرِينَ، يَقَالُ لُغَةً: «أَشْفَقَ فُلَانٌ مِنْ

أَمْرٍ مَا» أي: خَافَهُ وَخَذِرَ مِنْهُ.

• ﴿فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: الْمَنْ: الْإِنْعَامُ، وَالْإِحْسَانُ، يَقَالُ لُغَةً: «مَنْ

عَلَيْهِ» أي: أَنْعَمَ عَلَيْهِ نِعْمَةً طَيِّبَةً، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِعَطِيَّةٍ.

- ﴿وَوَقْنَا﴾: أي: وَحَمَانَا، وَحَفِظْنَا، وَصَانَنَا، وَصَرَفَ عَنَّا.
- ﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾: أي: عَذَابَ الرِّيحِ الحَارَّةِ الَّتِي تَنْفُذُ فِي مَسَامِ الْجِسْمِ.

المعنى: وأقبلَ بعضُ المتقين، الَّذِينَ هُمْ فِي جَنَاتٍ وَنَعِيمٍ، يَظَرُحُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي مَجْلِسِ مُحَادَثَةٍ بَيْنَهُمْ؛ أَسْئَلُهُ تَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَلْ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي مَنَحَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا بِفَضْلِهِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ.

وبما أَنَّهُمْ أَصْحَابُ مَنَازِلٍ مُتَمَاثِلَةٍ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي زِيَارَةِ لِأَحَدِهِمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جَوَابُ سُؤَالِهِمْ وَاحِدًا.

- ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾:

أي: قَالُوا: إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، إِذْ كُنَّا نَمَارِسُ حَيَوَاتِنَا فِي أَهْلِنَا؛ مُشْفِقِينَ خَائِفِينَ مِنْ أَنْ نُجَارَى عَلَى الْخَطَايَا الَّتِي ارْتَكَبْنَاهَا، وَأَنْ لَا يَشْمَلَنَا غُفْرَانُ اللَّهِ لَهَا وَتَجَاوُزُهُ عَنِ الْمُجَازَاةِ عَلَيْهَا لِكَثْرَتِهَا، وَلَكِنَّا مَا كُنَّا نَخَافُ أَنْ يُعَذِّبَنَا رَبُّنَا بِالْحَرِيقِ بِلَهَبِ النَّارِ مُبَاشَرَةً لِأَنَّنَا مُؤْمِنُونَ، لَكِنْ قَدْ نُعَذِّبُ بِالسَّمُومِ فِي دَارِ الْعَذَابِ وَهُوَ عَذَابُ الرِّيحِ الْحَارَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْمَسَامِ، لَاسْتِحْقَاقَنَا هَذَا بِحَسَبِ خَطَايَانَا.

- ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي: فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَنْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا بِأَنْ تَجَاوَزَ عَنْ مُجَازَاتِنَا عَلَى خَطَايَانَا.

• ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: أي: وَصَرَفَ عَنَّا عَذَابَ السَّمُومِ الَّذِي كُنَّا نَسْتَحِقُّهُ بِحَسَبِ خَطَايَانَا، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ رَبُّنَا بِفَضْلِهِ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ مِنْ غُفْرَانٍ لِحَطَايَانَا، وَنَدْعُوهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ مُجَازَاتِنَا عَلَيْهَا.

- ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾: أي: إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا نَدْعُوهُ أَنْ يُغْفِرَ لَنَا، فَاسْتَجَابَ لَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ.
• ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾:

الْبَرُّ: أي: ذو الْعَطَاءِ الْوَاسِعِ، وَالْفَضْلِ الْجَزِيلِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَمْنَحُ عَطَاءَهُ جَمِيعَ النَّاسِ مُحْسِنُهُمْ وَمُسَيِّئُهُمْ.

الرحيم: أي: ذو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، الَّذِي يُنْعِمُ عَلَى عِبَادِهِ بِالنِّعَمِ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الطور).
والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الطور) الآيات من (٢٩ - ٤٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ذَكَرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا بَجُونٍ﴾ (٢٩) **﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِمْ رَبِّ السَّمُوتِ﴾** (٣٠) **﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَتَرَبِّصِينَ﴾** (٣١) **﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْحَلِمَهُمْ يَهْدُوا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾** (٣٢) **﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (٣٣) **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾** (٣٤) **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾** (٣٥) **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾** (٣٦) **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾** (٣٧) **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾** (٣٨) **﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾** (٣٩) **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾** (٤٠) **﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾** (٤١) **﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾** (٤٢) **﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** (٤٣) **﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾** (٤٤):

القراءات:

(٣٢) • قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: [أَمْ تَأْمُرُهُمْ] بِخُلْفٍ عَنِ الدُّوْرِي، وَالْوَجْهُ الثَّانِي لِلدُّوْرِي: اخْتِلَاسُ ضَمَّةِ الرَّاءِ. وَلَعَلَّ الْإِسْكَانَ وَالْاِخْتِلَاسَ تَخْفِيفٌ مِنْ تَوَالِي الضَّمَّاتِ.

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [أَمْ تَأْمُرُهُمْ].

وَكُلُّ قَارِئٍ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الْإِبْدَالِ وَعَدَمِهِ.

(٣٧) • قَرَأَ هِشَامٌ: [الْمُسَيِّطُرُونَ]. وَلَخَلَفَ عَنْ حَمْزَةٍ: بِإِشْمَامِ الصَّادِ صَوْتِ الزَّايِ. وَلَقُنْبِلٍ، وَابْنُ ذَكْوَانَ، وَحَفْصٌ: بِالسَّيْنِ وَالصَّادِ. وَلِخَلَادٍ: بِالْإِشْمَامِ وَالصَّادِ.

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [الْمُصَيِّطُرُونَ] بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مَا يَلِي:

١ - تَوَجُّيْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يُتَابَعُ تَذَكُّيرُهُ مَنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيُؤُوسٍ مَعَهَا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحُرَّةِ.

٢ - مُعَالَجَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْكَافِرِينَ بِشَأْنِ عِدَّةٍ قَضَايَا هُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِهَا إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، مِنْهَا مَا هُوَ قَدِيمٌ يُصَرُّونَ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَدِيثٌ كإِرَادَةِ الْكَيْدِ لِلتَّخْلُصِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٧﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَرِّضِينَ ﴿٣٨﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ يَهْدًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٩﴾﴾:

أَشَاعَ أَيْمَةُ مُشْرِكِي مَكَّةَ فِي جَمَاهِيرِهِمْ لِصَدِّهِمْ عَنِ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ أَنَّ مُحَمَّدًا كَاهِنٌ، وَأَشَاعُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَشَاعُوا أَنَّهُ شَاعِرٌ إِذَا مَاتَ انْتَهَى تَأْثِيرُهُ فِي الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ بِالشُّعْرِ مِنْ قَوْمِنَا.

الْكَاهِنُ: الذي يُخْبِرُ بِالْغِيَبَاتِ، وَيَعْتَقِدُ الْعَرَبُ أَنَّ مِنَ الْكَهَنَةِ مَنْ لَهُ صِلَةٌ بِحَنٍّ يُخْبِرُونَهُ بِغِيَبَاتٍ، أَوْ يَتَعَاطَى التَّنَجِيمَ بِرَبْطِ حَوَادِثِ الْأَرْضِ بِحَرَكَاتِ النُّجُومِ.

الْمَجْنُونُ: الْمُسْتَوْرُ الْعَقْلُ، أَوِ الذَّاهِبُ الْعَقْلُ، أَوِ الْفَاسِدُ الْعَقْلُ.

تَتَرَبَّصُ: أي: نَتَتَّظِرُ بِصَبْرٍ.

رَبِيبُ الْمُنُونِ: أي: حَوَادِثُ الدَّهْرِ الْمُمِيتَةِ.

أَحْلَامُهُمْ: أي: عُقُولُهُمْ.

طَاغُونُ: أي: مُتَجَاوِزُونَ حَدَّ الْعِصْيَانِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ الْمَأْلُوفِ عِنْدَ الْجَنَآةِ، غُلُوءًا وَإِسْرَافًا فِي ارْتِكَابِ الْآثَامِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى الْحَقِّ، كَطُغْيَانِ الْمَاءِ الْمُهِلِكِ الْمُدْمِرِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ قَائِلًا: ﴿فَمَا أَنْتَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾: أي: مَا أَنْتَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ رَبُّكَ عَلَيْكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، فَالْكَهَنَةُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَالْمَجْنُونُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ كَلَامٌ يَعْجِزُ الْعُقَلَاءَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَبْنِيَةً وَمَعَانِي.

وَالْعَرَضُ مِنْ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ بِهِذَا؛ إِسْمَاعُ مُفْتَرِي هَلِيزِ الْإِشَاعَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْبَاطِلَةِ وَمَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُشْرِكِينَ، مَعَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ: مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بَيَّانٍ مُوجَّهٍ لِجَمِيعِ الْمُؤَهِّلِينَ لاسْتِمَاعِ الْخِطَابِ وَفَهْمِهِ، مِنْ خِلَالِ تَوْجِيهِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ:

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْنِ﴾ (٢٩): أي: بل؛ أيقولون في تناقضاتهم وتخبّطهم في الظلمات، وهم يذيعون المفتريات لصّد جماهير قومهم عن التأثير بالبيان القرآني الربّاني: مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ نَصْبِرُ عَلَيْهِ زَمَنًا، وَنَنْتَظِرُ أَنْ تَنْزِلَ بِهِ بَعْضُ حَوَادِثِ الدَّهْرِ الْمُهْلِكَةِ الْمُمِيتَةِ، وَحِينَئِذٍ نَتَخَلَّصُ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ، وَتَفَرَّقُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي مُجْتَمَعِنَا تَأْثِيرٌ مَا، لِضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ.

فقال الله جلّ جلاله لِرَسُولِهِ ﷺ مُعَلِّمًا:

• ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (٣١): أي: قل لهم: انتظروا بصبرٍ موتي، فَإِنِّي مَعَكُمْ مُنْتَظَرٌ بِصَبْرٍ تَحْقِيقٍ وَعِدِ رَبِّي، بِأَنْ يَنْصُرَنِي عَلَيْكُمْ، وَبِأَنْ يَنْصُرَ دَعْوَتِي حَتَّى تَصِلَ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ وَكُلِّ أُمَّةٍ، وَأَنْ يَنْصُرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَاتَّبَعُونِي.

وَكَانَ أَثْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ الَّذِينَ يَرَوُّجُونَ هَذِهِ الْإِشَاعَاتِ الْإِعْلَامِيَّةَ الْبَاطِلَةَ؛ يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْأَخْلَامِ وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ؛ أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ إِشَاعَاتِهِمُ الْإِعْلَامِيَّةُ؛ تَتَنَافَى مَعَ مَا يُوصَفُونَ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ أَهْلُ أَخْلَامٍ وَعُقُولٍ رَاجِحَةٍ، فَقَالَ بِأُسْلُوبِ الْاسْتِفْهَامِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا مَرْفُوضٌ مُسْتَنْكَرٌ، وَالْآخَرُ هُوَ الْوَاقِعُ الَّذِي يَشْهَدُ لَهُ سُلُوكُهُمُ الْجَاحِدُ لِلْحَقِّ، وَالظَّالِمُ لَهُ بِطَغْيَانٍ:

• ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٣٢):

أي: بل، بإضرابٍ انتقالي؛ أأمرهم أخْلَامُهُمْ (أي: عُقُولُهُمُ الرَّاجِحَةُ) بِهَذَا الْبَاطِلِ، الَّذِي يُشِيعُونُهُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَا يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمُ الْحَقِّ الْمُعْجِزِ، إِنَّ هَذِهِ الْإِشَاعَاتِ لَا تَصْدُرُ عَنْ ذَوِي عُقُولٍ رَاجِحَةٍ، وَنُفُوسِ ذَاتِ سُلُوكٍ سَوِيٍّ رَشِيدٍ، فَهُمْ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا سُفْهَاءَ لَيْسَ لَهُمْ عُقُولٌ سَلِيمَةٌ الْإِذْرَاكِ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا ذَوِي نُفُوسٍ بَاغِيَّةٍ ظَالِمَةٍ مُجْرِمَةٍ،

فَهُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، مُجْتَمِعُونَ فِي صِفَاتِهِمُ النَّفْسِيَّةِ وَمُتَوَاطُّونَ عَلَى الطُّغْيَانِ.

وبما أَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي مُجْتَمِعِهِمْ بِأَنَّهُمْ ذَوُو أَحْلَامٍ وَعُقُولٍ رَاجِحَةٍ؛ فَقَدْ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، وَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالطُّغْيَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ بَيَانَ إِشَاعَاتِهِمُ الْإِعْلَامِيَّةِ بِشَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ:

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤):

• ﴿نَقُولُ﴾: أي: ادَّعَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ وَهُوَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ.

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾: أي: بل؛ أَيْقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا تَقُولُ الْقُرْآنَ عَلَى اللَّهِ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَهُوَ لَيْسَ بِكَلَامٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ عِلَّتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ لَيْسَتْ الشَّكُّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ بَلْ عِلَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣): أي: بَلْ عِلَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا، وَاقْتَضَى الْبَيَانُ هُنَا أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ رَبُّهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ صِنَاعَةٌ بَشَرِيَّةٌ، وَتَقُولُ بَشَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤):

أي: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ صِنَاعَةً بَشَرِيَّةً تَقُولُهُ مُحَمَّدٌ - ﷺ - عَلَى رَبِّهِ كَمَا يَزْعُمُونَ كَاذِبِينَ؛ فَهُمْ بَشَرٌ وَيَفْتَخِرُونَ بِأَنَّهُمْ الْفُصَحَاءُ وَالْبُلَغَاءُ وَأَصْحَابُ

العقولِ الرَّاجِحَةِ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ مُنْفَرِدِينَ أَوْ مُجْتَمِعِينَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدَّعُونَ.

وَأَعْرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُوَاجَهَتِهِمْ بِهَذَا الْخُطَابِ، لِيَكُونَ خُطَاباً عَامّاً فِيهِ تَحْرِيسُ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِمْ عَلَى مُطَالَبَتِهِمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بَيَانٌ مُوجَّهٌ لِمُنْكَرِي وَجُودِ رَبِّ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَمِنْهُمْ الدَّهْرِيُّونَ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿وَمَا يَهْلِكَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾:

• ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُفْقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

أي: بَلْ؛ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ وَجُودَ خَالِقِ رَبِّ لِهَذَا الْكَوْنِ؛ أَلَمْ يَفْكُرُوا فِي أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ بَشَرًا أَحْيَاءَ، وَخُلِقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَكَانُوا بَشَرًا أَحْيَاءَ، فَكَيْفَ خُلِقُوا؟؟!!

• ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟﴾: أي: أَتَحَوَّلُوا مِنَ الْعَدَمِ الْعَامِّ الْمَظْلُوقِ دُونَ مُوجِدٍ فَصَارُوا بَشَرًا أَحْيَاءَ.

إِنَّ مِنَ الْأَوَّلِيَّاتِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَحَوَّلَ الْعَدَمُ الْعَامُّ الْمَظْلُوقُ إِلَى كَائِنٍ مَوْجُودٍ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ بِصِفَاتٍ تُخَالِفُ صِفَاتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي رُكِّبَ مِنْهَا كَانَتْ صِفَاتُهُ عَدَمًا، وَتَنْطَبِقُ عَلَيْهَا اسْتِحَالَةُ التَّحَوُّلِ الدَّائِي، وَكُلُّ مَادَّةٍ سَابِقَةِ الْوُجُودِ لَا تَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّحْوِيلِ الْمُتَقَنِّ ذِي الْعَالِيَةِ الْحَكِيمَةِ.

• ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ؟﴾: أي: أَمْ هُمْ حِينَ كَانُوا عَدَمًا خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ، فَحَوَّلُوهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَهَذِهِ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا لَا يَقْبَلُهَا مَنْ لَدَيْهِ أَقْلُ الْقُدْرَاتِ الْفِكْرِيَّةِ.

• ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟﴾: أي: بَلْ؛ أَيْدَعُونَ أَنَّهُمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَيْسَ لَهَا رَبٌّ خَالِقٌ مُهْنِمٌ عَلَى الْوُجُودِ كُلِّهِ.

لِكِنَّ هَذَا الْادِّعَاءَ لَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ مُنْكَرِي وَجُودِ اللَّهِ
الْخَالِقِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• ﴿... بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦): أي: بَلْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُوقِنُوا
بِالْحَقِّ، مَهْمَا افْتَضَّتِ الْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ الْقَطْعِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ أَنْ يُوقِنُوا بِهِ،
لَأَنَّهُمْ مُنْسَاقُونَ إِلَى الْبَاطِلِ وَالضَّلَالَاتِ بِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ مِنْ
مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ (٣٧): أي: بَلْ أَسْتَغْنُوا
عَنِ الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، لِأَنَّ خَزَائِنَ رَبِّكَ أَيُّهَا
الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي حَيَوَاتِهِمْ؛ هِيَ عِنْدَهُمْ وَفِي
مُتَنَاولِ أَيْدِيهِمْ، مَعَ أَنَّنَا لِنُنَبِّهِهُمْ كُلَّمَا افْتَضَّتْ حِكْمَتُنَا حَاجَتَنَا عَنْهُمْ بَعْضَ
خَزَائِنِنَا، فَلَا نَسْقِيهِمْ مَاءَ أَحْيَانًا، وَلَا نُنْبِتُ لَهُمْ زَرْعًا أَحْيَانًا، وَنُسَلِّطُ
عَلَيْهِمْ مَا يَكْرَهُونَ أَحْيَانًا.

• ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾؟: أي: بَلْ: أَهْمُ الْمُضْطَرُونَ عَلَى تَصَارِيفِ
الْكُونِ، وَالْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ فِيهِ؟!!

وهَذَا أَمْرٌ لَا يَدَّعُونَهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُدْعِنُوا اللَّهَ فِي تَصَارِيفِهِ فِي كَوْنِهِ،
وَفِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، إِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ لِأَنْفُسِهِمُ النَّجَاةَ وَالْفَوْزَ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ
يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلَيَاتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨):

أي: بَلْ: أَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ مَا يَقْضِيهِ اللَّهُ، وَتُبَلِّغُهُ مَلَائِكَتُهُ التَّبْلِيغِ فِي
السَّمَاءِ لِمَلَائِكَتِهِ التَّنْفِيزِ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ شَيَاطِينُ
الْأَرْضِ يَتَرَاكِبُونَ لَاسْتِرَاقِ السَّمْعِ قَبْلَ بَغْتَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُبَلِّغُونَ مَا اسْتَرْقَوْهُ
لِأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، فَمُبْعُونَ مِنْ ذَلِكَ بِبَغْتَتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الجن).

أَفَلَهُؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ سُلَّمٌ يَضَعُدُونَ فِيهِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَقَاعِدِ اسْتِرَاقِ

السَّمْعِ فِي السَّمَاءِ، وَبِهِ يَعْلَمُونَ أَحْدَاثًا مُسْتَقْبَلِيَّةً يَفْتِنُونَ بِهَا مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ.

إِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ لَهُ مِثْلُ هَذَا السَّلَامِ، وَهُوَ يَسْتَرِقُ السَّمْعَ كَمَا كَانَ الْجِنُّ يَفْعَلُونَ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَلَيَأْتِ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تُثَبِّتُ صِحَّةَ اسْتِمَاعِهِ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ ذَلِكَ وَلَوْ فِي عَضْرِ أَجْهَزَةِ الْإِتِّصَالِ الصَّوْتِيَّةِ اللَّاسِلِكِيَّةِ.

وَحَاطَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُثْرَبًا وَمُسَفِّهًا عُقُولَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ:

• ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٣٩): أي: بل: أَنْزَعُمُونَ افْتِرَاءً عَلَى رَبِّكُمْ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ فِي كَوْنِهِ أَنَّ أَوْلَادَ اللَّهِ هُمْ بَنَاتٌ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُوْنَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ بَنَاتٌ، وَتُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ أَوْلَادٌ ذُكُورٌ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُكُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ.

وَحَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ، وَسِيلَةً لِإِثْبَاتِ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْأَلْهُمْ أَجْرًا عَلَى دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْحَقِّ، حَتَّى يَنْفِرُوا مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لَهُ خَوْفًا مِنْ تَحْمُلِ ثَقْلِ الْأَجْرِ الَّذِي يُطَالِبُهُمْ بِهِ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ:

• ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٠): أي: بل: أَتَسْأَلُهُمْ أَجْرًا مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا عَلَى دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِ تَحْمُلِ مَغْرَمٍ يَنْفِرُونَ، لِئَلَّا يَكُونُوا بِتَحْمُلِهِ مُثْقَلِينَ.

الْمَغْرَمُ: الْعَرَامَةُ، وَهِيَ الْخَسَارَةُ.

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِخَطَابٍ عَامٍّ مُوجَّهٍ لِكُلِّ ذِي فِكْرٍ رَشِيدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١): أي: بل: أَعِنْدَهُمْ تَدْبِيرُ الْغَيْبِ

المُسْتَقْبَلِي، فَهُمْ يُقَدَّرُونَ وَيُدَبَّرُونَ مَا يَشَاءُونَ لِأَنْفُسِهِمْ آمِنِينَ، وَيَكْتُبُونَ مَا قَدَرُوا لَهَا، غَيْرَ خَائِفِينَ مَنْ أَنْ يَأْتِيَ قَدْرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ عَلَى مَا يَكْرَهُونَ، وَمِنْهُ هَلَاكُهُمْ وَتَعْذِيْبُهُمْ عَلَى كُفْرِيَاتِهِمْ، وَلَوَازِمَهَا فِي السُّلُوكِ.

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَيْضًا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾: أي: بل: أُرِيدُونَ كَيْدًا يَكِيدُونَهُ ضِدَّ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَضِدَّ الرُّسُولِ ﷺ وَضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَلْيَعْلَمُوا أَنََّّهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ هُمُ الْمَكِيدُونَ حَقًّا، الَّذِينَ يَنْزِلُ بِهِمْ أَشَدُّ مَا يَكْرَهُونَ، وَيُسَلِّمُ اللَّهُ دِينَهُ وَرَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ.

الْكَيْدُ: التَّدْبِيرُ الْخَفِيُّ أَوْ الظَّاهِرُ بِحَقِّ أَوْ بِبَاطِلٍ، وَفِيهِ مَكْرُوهٌ لِمَنْ دُبِّرَ ضِدَّهُ، وَيُطْلَقُ الْكَيْدُ عَلَى الْحَرْبِ، وَإِعْدَادِ وَسَائِلِهَا، وَعَلَى الْحِيلَةِ، وَعَلَى كُلِّ تَذْيِيرٍ يُحَقِّقُ لِصَاحِبِهِ النَّصْرَ أَوْ النِّجَاةَ، أَوْ يُرَادُ بِهِ ذَلِكَ.

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَيْضًا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿أَمْ لَمْ يَلَمْزْ إِلَّا عَنِ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾: أي: بل: أَلَمْ يَلَمْزْ إِلَّا هُوَ رَبُّ غَيْرِ اللَّهِ، فَهَذَا الْإِلَهُ يَحْمِيهِمْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِقَابِهِ، وَيَمْنَحُهُمْ مَا يُرِيدُونَ؟!.

فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ هُوَ إِلَهُ بِحَقِّ غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، وَتَنَزَّهَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

وَافْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْعِلَاجِيَّةُ إِنْذَارَهُمْ بِعَذَابٍ وَإِهْلَاكِ مُعْجَلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ وَعَذَّبَ كُفَّارَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

فَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَيْضًا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾:

أي: وَإِنْ يَرَوْا جَرْمًا عَظِيمًا سَاقِطًا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ لِتَعْذِيْبِهِمْ

وَاهْلَاكِهْمْ؛ لَاسْتَمَرُّوا فِي أَوْهَامِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ، وَلَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِهِمْ أَنَّهُ عِقَابٌ
مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَابِطٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَذُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ.

وَقَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُونَ: هَذَا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، فَظَهَرَ
لَأَعْيُنِنَا كَأَنَّهُ كُتْلَةٌ صَخْرِيَّةٌ سَوْدَاءٌ، وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا سَحَابًا نُّعَاثُ بِهِ.

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الدَّرْسِ مُعْظَمَ كُفْرِيَّاتِ أَهْلِ الْكُفْرِ
الْمُعَانِدِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَيْمَةُ الْكُفْرِ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الطور).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الطور) الآيات من (٤٥ - ٤٩) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

- ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾:

القراءات:

(٤٥) • قرأ أبو جعفر: [يُلَاقُوا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُلَاقُوا].

ومؤدّي القراءتين واحد.

(٤٥) • قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: [يُضَعِّقُونَ] بالمبني لما لم يُسمَّ فاعلهُ.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَضَعِّقُونَ].
أي: يُضَعِّقُونَ، فَهُمْ يَضَعِّقُونَ.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَرَّفَهُ تُجَاهَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ مَعَهَا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

وَفِيهَا بَيَانُ الدَّوَاءِ النَّفْسِيِّ وَالذِّنِّي؛ الَّذِي عَلَى الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُدَاوِيَ نَفْسَهُ بِهِ، لِيَمْنَحَهُ اللَّهُ الْمَدَدَ وَالْعَوْنَ، وَيَصْرِفَ عَنْهُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ لِلنَّفُوسِ فِي مِثْلِ الْوَضْعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ صَدْرٍ وَاكْتِتَابٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ الَّذِينَ بَلَغُوا دَرَكَةَ الْمَيُوسِ مِنْ إِضْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ:

• ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُضَعِّقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

• ﴿فَذَرَهُمْ﴾: أي: فاتركهم. أَمَاتَ الْعَرَبُ مَاضِي هَذَا الْفِعْلِ، وَهُوَ «وَذَرَ»، وَأَمَاتُوا مَصْدَرُهُ، وَهُوَ «وَذَرًا»، وَكَذَلِكَ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا مِنْهُ اسْمُ الْفَاعِلِ، وَهُوَ «وَاذِر».

وَأَبْقَى الْعَرَبُ مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ فِعْلِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرَ: «يَذَرُ» وَ«وَذَرُ».

• ﴿يُضَعِّقُونَ﴾: أي: يُهْلِكُونَ، فَيَكُونُونَ هَالِكِينَ مَوْتَى، فَهُمْ بِذَلِكَ

﴿يُصْعَقُونَ﴾: أي: يَمُوتُونَ. ويأتي فعل «صَعَقَ» بِمَعْنَى غُشِيَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْمَرَادَ هُنَا أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ.

• ﴿كَيْدُهُمْ﴾: أي: تَدْبِيرُهُمُ الَّذِي دَبَّرُوهُ ضِدَّ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَضِدَّ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، لِلتَّخْلُصِ مِنْهُمْ وَلَوْ بِالْحَرْبِ.

المعنى: فَاتْرَكُوهُمْ يَا مُحَمَّدٌ حَتَّى يَسْتَقْبِلُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ أَنْ يَمُوتُوا فِيهِ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ كَيْدُهُمُ الَّذِي كَادُوهُ قَبْلَ مَوْتِهِمْ شَيْئاً، وَلَا يُوجَدُ مِنْ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ هُمْ عَلَى مِثْلِ كُفْرِهِمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ فَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ مِنْ قِبَلِ نَاصِرٍ مَا، لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بَعْدَ انْتِهَاءِ رِحْلَةِ الْامْتِحَانِ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَهُ بِشَأْنِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتْرَكُوهُمْ:

• ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧):

ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِوَضْفِهِمْ بَدَلًا أَنْ يُكْنِيَ عَنْهُمْ بِالضَّمِيرِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ سَبَبَ تَعْذِيبِهِمْ هُوَ ظُلْمُهُمُ الْعَظِيمُ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَجُحُودِ حَقِّ رَبُّوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَالتَّمَرُّدِ عَلَى طَاعَتِهِ.

أي: وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَمِنْهُمْ الْمُتَحَدِّثُ عَنْهُمْ فِي سِيَاقِ النَّصِّ عَذَابًا يَمَسُّونَ آلَمَهُ قَبْلَ مَوْتِهِمْ، وَهُوَ دُونَ عَذَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ هُوَ عُقُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، بَلْ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّهُ مِنْ عَوَارِضِ الدَّهْرِ الطَّبِيعِيَّةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ رَسُولُهُ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨) وَمِنْ أَلْتِّلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ النُّجُومِ﴾ (٤٩):

هَذَا هُوَ النَّصُّ الْخَامِسُ عَشَرَ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ الَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ فِيهِ رَسُولَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ، وَجَاءَ فِيهِ التَّعْيِيرُ بِعِبَارَةِ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أَيُّ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمَ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُخَيَّرِينَ لِيَبْلُغُوهُمْ أَهْلُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَحَكَمَ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يُرْسِلَ لَهُمْ رَسُولًا مِنْهُمْ لِيُبَلِّغُوهُمْ مَطَالِبَ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَأَنْ يَقُومُوا بِنُصَحِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِمْ، وَأَنْ يَتَّخِذُوا مَا يَمْلِكُونَ مِنْ وَسَائِلَ لِإِقْنَاعِهِمْ بِالْحَقِّ رَغْبَةً فِي اسْتِجَابَتِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، وَهَذَا سَيُعَرِّضُ الرُّسُلَ إِلَى أَذَى كَثِيرٍ مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، خَوْفًا عَلَى زَعَامَاتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ أَنْ تُنْتَرَعَ مِنْهُمْ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ حُكْمِ اللَّهِ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رَسُولِيهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

وَتَلَطِيفًا لِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ شِدَّةٌ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: دَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ؛ عَلَى طَمَآنَتِهِ ﷺ بِأَنَّهُ مَحْرُوسٌ بِحِرَاسَةِ اللَّهِ، مَحْفُوظٌ بِحِفْظِهِ، لَا يَنَالُهُ مِنْ أَذَى أَعْدَاءِ رَسُولِيهِ وَدَعْوَتِهِ مَا يَضُرُّهُ، فَلْيَصْبِرْ عَلَى أَذَى لَا يَصِلُ إِلَى عُمُقِ النَّفْسِ مُؤْلِمًا لَهَا بِشِدَّةٍ، فَهُوَ مُحَاطٌ بِكُلِّ أَعْيُنِ رَبِّهِ الْحَارِسَةِ، وَبِقُدْرَتِهِ الْحَافِظَةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي النَّصِّ الْخَامِسِ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ قَوْلُ اللَّهِ لَهُ فِي سُورَةِ (ق/ ٣٤ نزول):

﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ (٤٠)﴾:

• قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ: وَهَذَا الْوَقْتُ يَمْتَدُّ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

• وَقَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: وَهَذَا الْوَقْتُ يَمْتَدُّ مِنْ بَدْءِ اضْفِرَارِ الشَّمْسِ حَتَّى غُرُوبِهَا.

• **وَأَثْنَاءَ اللَّيْلِ:** وَهَذَا يَكُونُ فِي وَقْتِ مَا أَوْ أَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

• **وَأَذْبَارَ السُّجُودِ:** أَي: وَعَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ.

وجاء في النّص الحادي عشر بِحَسَبِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ؛ قَوْلُ اللَّهِ لَهُ فِي سُورَةِ (غَافِر/ ٦٠ نزول):

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ﴾ (٥٥):

فَأَضَافَ هَذَا النَّصَّ أَمْرَ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ لِدَنْبِهِ، أَمَّا الْعَشِيُّ وَالْإِبْكَارُ؛ فَهُمَا تَوْكِيدٌ لِمَا جَاءَ فِي النَّصِّ الْخَامِسِ الَّذِي هُوَ مِنْ سُورَةِ (ق/ ٣٤ نزول): ﴿... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ﴾ (٣٩).
ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ النَّصَّ الَّذِي مِنْ سُورَةِ (الطور/ ٧٦ نزول) فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۖ﴾ (٤٩):

فَأَضَافَ هَذَا النَّصُّ إِلَى مَا سَبَقَ مَا يَلِي:

(١) التَّسْبِيحُ عِنْدَ حَرَكَةِ كُلِّ قِيَامٍ.

(٢) التَّسْبِيحُ عِنْدَ السَّحَرِ فِي وَقْتِ إِذْبَارِ النُّجُومِ.

إِنَّ دَوَاءَ التَّسْبِيحِ لِمُعَالَجَةِ ضَيْقِ النَّفْسِ، وَالْكَرْبِ الَّذِي يَضْغُطُ عَلَيْهَا؛ أَفْضَلُ عِلَاجٍ يَسْتَعْمِلُهُ الْمُؤْمِنُ الذَّاكِرُ لِرَبِّهِ.

والتَّغْيِيرُ الْمَأْثُورُ فِي هَذَا:

سُبْحَانَ اللَّهِ - سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ - سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ.

وَتَغْيِيرُ الاسْتِغْفَارِ: اَسْتَغْفِرُ الله .

وَمَا زَادَ مِنْ ذِكْرِ وَدُعَاءِ مَأْثُورٍ فَهُوَ خَيْرٌ، مِثْلُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ
سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (الطور) وهو ختام
السورة.

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحه .



(٨)

ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الطور)

في هذه السورة من الاختيارات البلاغية أمثلة متعدّدة، أقتصر منها
على ما يلي:

أولاً:

من التوكيد لوجود الداعي إليه: قول الله عزّ وجلّ في بداية السورة
مُقسِماً بِبَعْضِ مَا لَهُ فِي دِينِ اللَّهِ مَكَانَةً رَفِيعَةً، وَبَعْضِ آيَاتِ خَلْقِهِ فِي كَوْنِهِ؛
على أَنَّ عَذَابَهُ لِمُسْتَحَقِّي الْعَذَابِ مِنْ عِبَادِهِ الْمَجْرِمِينَ لِأَمْرٍ وَاقِعٍ لَا مَحَالَهَ،
وهذا التوكيد موجّه للكفرة المكذّبين، وللشاكّين، فقال تبارك وتعالى:

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾
وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ مَا لَهُ
مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ .

ثانياً:

من فنون المنهج البياني في القرآن: استقطاع النصوص من أزمانها

الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ، وَعَرَضُهَا بِالْفَاطِظِهَا دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ كَذَا فِيمَا سَوْفَ يَأْتِي مِنْ أَحْدَاثٍ.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ هَذَا الْفَرْقِ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقِ الْقُرْآنُ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ قَبْلِ الْبُلْغَاءِ؛
الْأَمْثَلَةُ التَّالِيَةُ:

المثال الأول:

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ
﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٤) أَصْلُهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا سَوَاءً
عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾.

المثال الثاني:

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (٧) فَكَهَيْنَ بِمَا ءَانَهُمْ رِيئُهُمْ وَقَفَنَهُمُ رِيئُهُمْ
عَذَابَ الْجَعِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾.

المثال الثالث:

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمُتَّقِينَ أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَلْئُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿فَرَسَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾.

وَأُكْتَفِيَ بِهِلِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةَ لِهَذَا الْمَلْحَقِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.

سُورَةُ الْمَلِكِ

٦٧ مصحف ٧٧ نزول

وتسمى سورة تبارك
وهي سورة مكيّة كلّها

(١)

نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَاتَّجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ اتَّجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْمُصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُقْبُوا فِيهَا سَغَوْا لَهَا شَيْقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ

٣ - قرأ حمزة، والكسائي: [تَفُوتٍ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَفَاوُتٍ].

والمؤدى فيما أرى واحد.

٤ - قرأ أبو جعفر: [خَاسِيًا] في الوصل والوقف، والأضبهاني عن ورش،

وقراها حمزة كذلك في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [خَاسِيًا].

مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
 كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ
 وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ
 فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
 حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن
 قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ
 وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ
 هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا
 فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا

١١ - • قرأ الكسائي، وابن وزدان بخلفهما، وابن جَمَّاز: [فَسُحْقًا] بضم الحاء.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [فَسُحْقًا] بإسكان الحاء. وهو الثاني للكسائي،
 وابن وردان.

وهما لغتان في مصدر فعل «سَحِقَ»، بِمَعْنَى: بَعُدَ أَشَدَّ الْبُعْدِ.

١٧ - • قرأ ورش: [نَذِيرِي] في الوصل، وكذلك قرأها يعقوب في الوصل والوقف.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نَذِيرٍ] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

١٨ - • قرأ ورش: [نَكِيرِي] في الوصل، وكذلك قرأ يعقوب في الوصل والوقف.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نَكِيرٍ] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

٢٠ - • قرأ السوسي: [يَنْصُرُكُمْ] بإسكان الراء، واختلاس ضمَّتْها، والدوري
 بالإسكان، والاختلاس، والضمَّة الكاملة.
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَنْصُرُكُمْ].

فِي عُتُورٍ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ
 يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ
 لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ
 الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
 مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ
 هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ
 مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ
 هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ
 مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ
 مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

٢٧ - • قَرَأَ يَغْفُوبُ: [تَدْعُونَ]. وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [تَدْعُونَ] بِتَشْدِيدِ الدَّالِ.

٢٨ - • قَرَأَ حِمَزة: [أَهْلَكَنِي اللَّهُ] بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

٢٨ - • قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَفْصٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ:

[وَمَنْ مَعِيَ أَوْ] بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

٢٩ - • قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: [فَسَتَعْلَمُونَ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [فَسَتَعْلَمُونَ].

وَبَيْنَهُمَا تَكَامُلٌ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ، إِحْدَاهُمَا بِالْخَطَابِ، وَالْأُخْرَى بِالْغَيْبَةِ.

(٢)

مما وَرَدَ فِي السَّنَةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (الملك)

(١) روى أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ سُورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾...». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) وروى النسائي وصححه، عن رافع بن خديج وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةٌ (تَبَارَكَ) وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ الْمَانِعَةُ فِي الْقُبُورِ».

أي: الَّتِي تَمْنَعُ عَنِ الْمَوَاطِبِ عَلَى تِلَاوَتِهَا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهَا عَذَابَ الْقَبْرِ.

(٣) وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ بِشَأْنِ سُورَةِ (تَبَارَكَ): «لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي».

(٣)

مَوْضُوعُ سُورَةِ (الملك)

يَدُورُ مَوْضُوعُ هَذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ مُعَالَجَةِ الْكُفْرِ الْمَكْذُوبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، فِي عِدَّةٍ قَصَايَا مِنْ كُفْرِيَّاتِهِمْ، بِأَسَالِيبَ بَيَانِيَّةٍ رَائِعَةٍ مُعْجِزَةٍ، تَهْزُ الْقُلُوبَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ مِنْ جُذُورِهَا، وَتَحِيْطُ بِالنُّفُوسِ الَّتِي لَمْ تَمُتْ إِحْسَاسَاتِهَا وَمَشَاعِرُهَا.

(٤)

دُرُوسُ سُورَةِ (الملك)

هَذِهِ السُّورَةُ تَصْلُحُ لِأَنَّ تَكُونَ بِمَثَابَةِ دَرْسٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ آيَاتِهَا مُتَعَانِقَةٌ تَعَانَقًا مُتَدَاخِلًا.

وَيُمْكِنُ تَفْسِيْمُهَا إِلَى دَرَسَيْنِ:

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْآيَاتُ مِنْ (١ - ٢٢):

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةٌ مُبَاشِرَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَفَرَةِ
وَالْمُشْرِكِينَ بِشَأْنِ طَائِفَةٍ مِنْ قَضَايَا كُفْرِيَّاتِهِمْ.

الدرس الثاني: الآيات من (٢٣ - ٣٠) آخر السورة:

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ تَكْلِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُوْلَهُ مُحَمَّدًا ﷺ،
وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ أَنْ يُتَابِعَ مُعَالَجَةَ الْمُقْصُوْدِيْنَ بِالْمُعَالَجَةِ
فِي السُّورَةِ، بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِيهَا.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من درسي سورة (الملك)

الآيات من (١ - ٢٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَرَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلُوكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَجْسَدَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّجِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ (٣) ثُمَّ أَنْجِ
الْبَصَرَ كَرَيْنًا يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِدًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ السَّعِيرُ ۝ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ (٧) تَكَادُ
تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ
جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ (٩) وَقَالُوا
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ (١٠) فَاعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا

لَا صَحْبَ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلَطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن
رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِ آمَنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ آمَنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ
نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَفَقَتِ وَيَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَنَ هَذَا
الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَمُرُّكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَنَ هَذَا
الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمَسُّ مِكْبَأً عَلَى
وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ :

القراءات:

(٣) • قرأ حمزة، والكسائي: [تَقُوتِ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَفَاوُتِ].

والمؤدّي فيما أرى واحد.

(٤) • قرأ أبو جعفر: [خَاسِيًا] في الوصل والوقف، والأصبهاني

عن ورش، وقرأها حمزة كذلك في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [خَاسِيًا].

(١١) • قرأ الكسائي، وابن وردان بخلفهما، وابن جَمَاز: [فَسُحِقًا]

بضمّ الحاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَسُحِقًا] بإسكان الحاء. وهو الثاني

للكسائي، وابن وردان.

سُحِقًا، وسُحِقًا: لغتان في مَصْدَرِ «سَحَقَ»، بِمَعْنَى بَعْدَ أَشَدِّ الْبُعْدِ.

(١٧) • قرأ ورش: [نَذِيرِي] في الوصل، وكذلك قرأها يَعْقُوبُ في

الوصل والوقف.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [نَذِير] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

(١٨) • قرأ ورش: [نَكِيرِي] في الوصل، وكذلك قَرَأَهَا يَعْقُوبُ في الوصل والوقف.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [نَكِيرِ] بِحَذْفِ ياء المتكلم في الوصل والوقف.

(٢٠) • قرأ السوسي: [يَنْصُرُكُمْ] بإسكان الراء، واختلاس ضمّتها، والدوري بالإسكان، والاختلاس، والضمّة الكاملة.
وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [يَنْصُرُكُمْ].

تَمْهِيد:

في آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةٌ مُبَاشِرَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَفَرَةِ والمُشْرِكِينَ، بِشَأْنِ طَائِفَةٍ مِنْ قَضَايَا كُفْرِيَّاتِهِمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾:

• ﴿تَبَارَكَ﴾: أي: تَنَامَى، وَتَزَايَدَ، وَتَعَاضَمَ اللَّهُ، بِالْإِطْلَاقِ الْعَامِّ، فَوْقَ كُلِّ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ مِنْ كَمَالَاتٍ.

ولفظ «تَبَارَكَ» على وَزْنِ «تَفَاعَلَ» مِنَ الْبَرَكَةِ، وَهِيَ فِي اللُّغَةِ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ فِي الْحَسَنَاتِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّاتِ. رُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْبَرَكَةَ الْكَثْرَةُ فِي كُلِّ خَيْرٍ.

• ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: الْمُلْكُ، وَالْمَلِكُ، وَالْمَلِكُ: حِيَارَةُ الشَّيْءِ،
والانفراد بِحَقِّ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وكذلك السُّلْطَانُ عَلَى الْحَيِّ الْمُرِيدِ بِالْأَمْرِ
وَالنَّهْيِ وَبِكُلِّ مَا يَسْرُهُ أَوْ يَسُوُّهُ، وَيُطْلِقُ قُدْرَاتِهِ أَوْ يَقِيدُهَا.
والذي بيده الملك هو الله جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

أي: بِبِيَدِهِ الْقَادِرَةِ عَلَى التَّصَرُّفِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: لَهُ الْمُلْكُ،
وَالْمَلِكُ، وَالْمَلِكُ.

أَمَّا بِمَعْنَى الْحِيَارَةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِحَقِّ التَّصَرُّفِ؛ فَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ
سُلْطَانُهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ،
فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَتَمْلِكُ الْعِبَادَ لِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ نَاتِجٌ عَنْ تَمْلِكِ اللَّهِ ذَلِكَ
لَهُمْ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِفْدَارٌ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ وَلَيْسَ تَمْلِكًا حَقِيقِيًّا، لِأَنَّهُمْ وَمَا
أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهِ مِنْكَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَمَنْ يَضَعُ لِحَصَانِهِ
طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَمَأْوَاهُ.

وَأَمَّا بِمَعْنَى السُّلْطَانِ عَلَى الْأَحْيَاءِ الْمُرِيدِينَ؛ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ وَخَدَهُ
الْمَلِكُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَلَهُ السُّلْطَانُ الْحَقِيقِيُّ
عَلَى كُلِّ الْأَحْيَاءِ الْمُرِيدِينَ، إِذْ هُمْ مَخْلُوقُونَ لَهُ، وَهُمْ عَبِيدُهُ.

وَبِحِكْمَتِهِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ؛ يُؤْتِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُلْكًا صَغِيرًا جُزْئِيًّا لَهُ
شَبَّةٌ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ بِالْمُلْكِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ لَهُ؛ بَعْضَ عِبَادِهِ فِي
مَجْتَمَعَاتِ النَّاسِ، نَظَرًا إِلَى أَنَّ حَيَاةَ الْإِبْتِلَاءِ حَيَاةُ أَسْبَابٍ وَمُسَبِّبَاتٍ.

• ﴿... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: وهو - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ
سُلْطَانُهُ - عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَشَاوُهُ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ قَدِيرٌ، إِيجَادًا أَوْ
إِعْدَامًا، أَوْ تَغْيِيرًا، أَوْ تَحْوِيلًا، أَوْ أَيَّ تَصَرُّفٍ مَهْمَا كَانَ عَظِيمًا أَوْ دَقِيقًا.

• ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾:

أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِذَا أَنَّ الْمَوْتَ أَثَرُ خَلْقِ رَبَّانِي، وَأَنَّ الْحَيَاةَ أَثَرُ خَلْقِ رَبَّانِي، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ ظَهَرَ لَنَا أَنَّ الْحَيَاةَ تَكُونُ بِاتِّصَالِ الرُّوحِ بِالنَّفْسِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ يَكُونُ بِانْفِصَالِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوَضْلَ مُسَاوٍ لِلْفَضْلِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا فِي الْوُجُودِ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الْخَلْقِ الرَّبَّانِي، وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، مَهْمَا كَانَ حَالُ هَذِهِ النَّفْسِ فِي كَوْنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، إِذْ كُلُّ نَفْسٍ سِوَى اللَّهِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، بِالنُّسْبَةِ إِلَى النَّاسِ؛ ابْتِلَاؤُهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَجَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى أَنَّ الْجَنِّ مِثْلُ الْإِنْسِ ابْتِلَاءً وَجَزَاءً، وَقُدِّمَ الْمَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ الْمَوْتَ تَكُونُ بَعْدَهُ الْحَيَاةُ الْآخَرَى.

• ﴿لِبَلِّئِكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: لِيَمْتَحِنَكُمْ وَلِيخْتَبِرَكُمْ وَيَكْشِفَ بِابْتِلَائِكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَيُجَازِي كُلَّ فَرْدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِ فِي عَمَلِهِ خِلَالَ رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ.

وَطَوَى النَّصُّ مَا يُقَابِلُ عِبَارَةَ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وَهِيَ عِبَارَةُ: «وَأَيُّكُمْ أَسْوَأُ عَمَلًا».

وَمِنْ الْمُظْهَرِ وَالْمَطْوِيِّ وَوَاقِعِ حَالِ الْمُؤْضُوعَيْنِ مَوْضِعِ الْامْتِحَانِ؛ نَفْهَمُ أَنَّ ذَوِي الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الدَّرَجَاتِ مِنْ أَذْنَاهَا إِلَى قِمَّتِهَا الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا أَئِمَّةُ الْمُرْسَلِينَ، وَنَفْهَمُ أَنَّ ذَوِي الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ يَتَنَازَلُونَ فِي الدَّرَكَاتِ حَتَّى أَحْسَهَا وَأَحْطَهَا، الَّتِي يَنْحَطُّ إِلَيْهَا إِبْلِيسُ وَشَيَاطِينُهُ وَاتَّبَاعُهُ مِنْ مُجْرِمِي الْإِنْسِ.

وَنَفْهَمُ مِنْ صِفَتِي الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ لِلَّهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ؛ أَنَّ لِكُلِّ أَصْحَابِ دَرَجَةٍ مِنَ الْجَزَاءِ بِالْفَضْلِ مَا يُلَايِمُ دَرَجَتَهُمْ، وَأَنَّ لِكُلِّ أَصْحَابِ دَرَكَةٍ مِنَ الْجَزَاءِ بِالْعَدْلِ مَا يُلَايِمُ دَرَكَتَهُمْ.

أَمَّا الْجَزَاءُ الْأَوْفَى بِالْفَضْلِ فَفِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَمَّا غَايَةُ الْجَزَاءِ الْحَكِيمِ بِالْعَدْلِ فَفِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، وَقَدْ أَعَدَّهُمَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَوْمِ الدِّينِ.

• ﴿... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢١): أي: وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ، يُجَازِي الْمُسِيئِينَ بِعِزَّتِهِ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ كُلَّ ذُنُوبِهِ أَوْ بَعْضَهَا.

الْعَزِيزُ: أي: الْقَوِيُّ الْعَالِبُ، الَّذِي لَا تُعَارِضُ وَلَا تُقَاوِمُ قُوَّةَ فِي الْوُجُودِ قُدْرَتَهُ.

الْغَفُورُ: أي: الْكَثِيرُ الْمَغْفِرَةُ بِسِتْرِ ذُنُوبِ عِبَادِهِ وَخَطَايَاهُمْ، أَضْلُ مَعْنَى «الْعَفْرِ»: السِّرُّ، وَصِيغَةُ «غَفُورٍ» صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ، وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَدُلُّ عَلَى أَفْصَى مَا يَلِيقُ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانِ بَعْضِ آثَارِ خَلْقِهِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَانْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٢٢) ثُمَّ انْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٢٣﴾:

تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مُرتَفَعَاتٍ عَالِيَاتٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ، وَأَمَّا كَوْنُهُنَّ طِبَاقًا:

فَقَدْ سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي سُورَةِ (نوح/ ٧١ نزول) أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (٢٤)؟!:

طِبَاقًا: اسمُ مَصْدَرٍ، يُقَالُ لُغَةً: «طَابَقَتْ، مُطَابَقَةٌ، وَطِبَاقًا»، وَالْمُطَابَقَةُ فِي اللُّغَةِ: الْمُوَافَقَةُ، وَالتَّسَاوِي، تَقُولُ لُغَةً: «طَابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ» أي: جَعَلْتُهُمَا عَلَى حَذْوٍ وَالزَّفْتُهُمَا، وَتَقُولُ: «طَابَقْتُ بَيْنَ الْقَمِيصَيْنِ، أَوْ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ» أي: لَبِسْتُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ طِبَاقًا، أَي: جَعَلَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ يَتَّبِعُ، كَثُوبٍ فَوْقَهُ ثُوبٌ آخَرَ، وَهَكَذَا إِلَى سَبْعَةِ أَثْوَابٍ، أَوْ مِثْلَ كُرَاتٍ مُتَدَاخِلَاتٍ، فَالْكُرَةُ الْوُسْطَى فَوْقَهَا كُرَةٌ أُخْرَى حَوْلَهَا، وَهَكَذَا إِلَى سَبْعِ كُرَاتٍ، كُلُّ كُرَةٍ تَالِيَةٌ تُحِيطُ بِالْكُرَةِ الدَّاخِلَةِ فِيهَا.

المعنى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ هُوَ الَّذِي خَلَقَ فِي كَوْنِهِ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَجَعَلَهَا طِبَاقًا.

• ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ ... ﴿٢٠﴾: وفي القراءة الأخرى: [مِن تَفَوتٍ]:

التفاوت: التَّبَايُنُ والاختلاف.

والتَّفَوُّتُ: الاختلاف والاضطراب.

المعنى: مَا تَرَىٰ أَيُّهَا النَّاطِرُ الْبَاحِثُ الْمُدَقِّقُ، فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ خَلَقَهُ فِي كَوْنِهِ؛ مِنْ تَبَايُنٍ وَاختِلَافٍ أَوْ اضْطِرَابٍ وَتَخَلُّلٍ عَنْ قُصُوصِ دَرَجَاتٍ إِنْتَقَانِهِ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَكُلُّ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ بِالْعَةِ قُصُوصِ دَرَجَاتٍ إِنْتَقَانِهَا لِمَا خُلِقَتْ لَهُ، فَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا تَبَايُنٌ وَلَا تَنَاقُضٌ وَلَا اضْطِرَابٌ، وَلَا نُقْصَانٌ عَنْ كَمَالِ إِنْتَقَانِهَا لِمَا خُلِقَتْ لَهُ، ضِمْنَ نِظَامِ الْكَوْنِ التَّكَامُلِيِّ الْقَائِمِ عَلَى وَحْدَةِ خُطَّةٍ عَامَّةٍ شَامِلَةٍ، كُلُّ جُزْءٍ فِيهَا يُؤَدِّي وَظِيفَتُهُ أَكْمَلَ أَدَاءٍ وَأَتَقَنَهُ، كَالَّذِي عَظِيمَةٍ ذَاتِ أَجْزَاءٍ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَ أَعْدَادِهَا إِلَّا خَالِقُهَا الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ مَوْضُوعٌ بِإِحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُؤَدِّي فِيهِ وَظِيفَتُهُ أَحْسَنَ أَدَاءٍ، دُونَ خَلَلٍ أَوْ اضْطِرَابٍ أَوْ تَبَايُنٍ وَتَنَاقُضٍ وَتَبَاعُدٍ عَنْ مَكَانِهِ.

• ﴿... فَاتَّبِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ اتَّبِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾:

• ﴿مِن فُطُورٍ﴾: أَي: مِنْ شُقُوقٍ، جَمْعُ «فَطَرَ».

• ﴿كَرَّيْنِ﴾: أي: رُجوعاً مَرَّتَيْنِ، الكَرَّةُ: وَاحِدَةُ الْكَرِّ، وَهُوَ: الإِعَادَةُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

• ﴿حَاسِبًا﴾: الْخَاسِئُ: الدَّلِيلُ الْمَظْرُودُ الْمُبْعَدُ.

• ﴿وَهُوَ حَسِيبٌ﴾: أي: وَهُوَ كَأَلٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُتَابَعَ وَيُدَقَّقَ، إِذْ لَا يَجِدُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ مَا هُوَ دُونَ كَمَالِ الْإِثْقَانِ، مَهْمَا اتَّخَذَ مِنْ أَدَوَاتٍ تُكَبِّرُ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ مَلَائِينَ الْمَرَّاتِ، وَتُقَرِّبُ الْأَشْيَاءَ الْبَعِيدَةَ فِي أَبْعَادِ السَّمَاءِ لِلْمُشَاهَدَةِ الْبَصَرِيَّةِ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي مَدَى خُطُوبٍ.

المعنى: فَأَعِذْ مُشَاهَدَتَكَ الْبَصَرِيَّةَ، وَانْتَظِرْ مُتَأَنِّياً بَاحِثاً مُدَقِّقاً، وَاتَّخِذْ مَا شِئْتَ مِنْ مَجَاهِرٍ مُكَبَّرَةٍ لِلصُّغَرِيَّاتِ، ثُمَّ كَرِّرْ مُشَاهَدَتَكَ بِتَعْظِيمِ الْمَكْبَرَاتِ وَتَحْسِينِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ بَصْرَكَ فِي آخِرِ مُحَاوَلَاتِ بَحْثِكَ وَتَدْقِيقِكَ رَاغِباً فِي أَنْ تَشْهَدَ تَفَاوُتاً أَوْ تَقْوُتاً فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ؛ يَنْقَلِبُ رَاجِعاً إِلَيْكَ حَالَةً كَوْنِهِ دَلِيلًا عَاجِزًا، وَكَأَلًا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجِدَ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مَا هُوَ دُونَ كَمَالِ الْإِثْقَانِ.

إِنَّ رِجَالَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، الْعَاكِفِينَ عَلَى مُشَاهَدَةِ الْجَرَائِمِ وَالْمَكْرُوبَاتِ بِالْمَكْبَرَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلصُّغَرِيَّاتِ؛ وَجَدُوا أَنَّ عَوَالِمَ الصُّغَائِرِ عَوَالِمٌ مُتَفَنَّةٌ غَايَةُ الْإِثْقَانِ، فَلَا تَفَاوُتَ فِيهَا وَلَا تَقْوُتَ، وَلَا تَبَاعَدَ عَنْ كَمَالِ الْإِثْقَانِ بِأَقَلِّ مَسَافَةٍ تَبَاعُدٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً لِلتَّنْبِيهِ عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ الْجَلِيلَةِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾:

• ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾: يُؤَكِّدُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ

سُلْطَانُهُ - بِالْقَسَمِ الْمُنَوِيِّ وَبِحَرْفِ «قَدْ» أَنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، وَهِيَ الْغِلَافُ الْغَازِيُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ بِمَصَابِيحٍ.

التَزْيِينُ: التَّحْسِينُ والتَّجْمِيلُ.

بِمَصَابِيحَ: جَمْعُ «مُصْبِحٍ»، وَهُوَ السَّرَاجُ الْمُضِيءُ، أَطْلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النُّجُومِ وَعَلَى الشُّهُبِ الَّتِي تُرَى فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا اسْمَ «مَصَابِيحٍ» لِمَا فِيهَا مِنْ إِضَاءَةٍ ذَاتِ زِينَةٍ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾: أَي: وَجَعَلْنَا قِسْمَ الشُّهُبِ مِنْهَا رُجُومًا يُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ، لِطَرْدِهِمْ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ نَيْازُكَ مُنْبَتَّةٌ فِي الْفَرَاغِ فَوْقَ الْغُلَافِ الْغَازِيِ الْمَحِيطِ بِالْأَرْضِ، وَهَذِهِ الشُّهُبُ ذَاتُ وَظِيفَتَيْنِ:

الوظيفة الأولى: وَظِيفَةُ الْمَشَارَكَةِ فِي تَزْيِينِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِلنَّاطِرِينَ فِي الْأَرْضِ.

الوظيفة الثانية: وَظِيفَةُ مُلَاحَقَةِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، الَّذِينَ يَصْعَدُونَ مُتَرَاقِبِينَ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْجِنِّ/ ٤٠) نَزُولِ).

أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشُّهُبَ ضَمْنَ عُمُومِ الْمَصَابِيحِ لِمَا فِيهَا مِنْ زِينَةٍ، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ وَظَائِفِهَا الْغَيْبِيَّةِ عَنْ إِدْرَاكِ النَّاسِ؛ أَنَّهَا رُجُومٌ لِلشَّيَاطِينِ.

• ﴿... وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝٥﴾: أَي: وَأَعَدَدْنَا وَهَيَّأْنَا بِعِنَايَةِ مُشَدَّدَةٍ لِلشَّيَاطِينِ عَذَابَ السَّعِيرِ، يُعَذَّبُونَهُ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ.

السَّعِيرِ: النَّارُ، وَقِيلَ: لَهَبُ النَّارِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِ مَا أَعْتَدَهُ لِلشَّيَاطِينِ، بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ بِوُجْهِ مَا مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ، عَظْفًا عَلَى مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ:

• ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَيَسَّى الْمَصِيرُ ۝٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا

لَمَّا شَهِقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلِّقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ :

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَرَضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ، الْخَاصَّةِ بِالْكَافِرِينَ بِرَبِّهِمْ.

• ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: أي: وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ بِوَجْهِ مَا مِنْ وُجُوهِ الْكُفْرِ، كَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَالتَّكْذِيبِ بِكِتَابِهِ، وَكَالتَّكْذِيبِ بِيَوْمِ الدِّينِ الَّذِي أَعَدَّهُ فِي حُطَّةِ التَّكْوِينِ لِلْجَزَاءِ، وَكَإِنْكَارِ إِلَهِيَّتِهِ وَحَقِّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْكُفْرِ؛ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ بِالْعَذْلِ خَالِدٌ فِي جَهَنَّمَ.

جَهَنَّمَ: اسْمٌ عَلَّمَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ دَارِ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِيُعَذَّبَ بِهَا الْكَافِرِينَ وَالْعُصَاةَ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ، وَيُقَالُ لُغَةً لِلْقَعْرِ الْبَعِيدِ: جَهَنَّمَ. وَبِئْرٌ جَهَنَّمَ: أي: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ.

وَعَذَابُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ عَذَابِ الْحَرِيقِ بِلَهَبِهَا، وَمِنْ عَذَابِهَا السَّمُومُ الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَنْفُذُ فِي مَسَامِ الْأَجْسَادِ، وَعَذَابُهَا دُورَكَاتُ بَعْضِهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ بِحَسَبِ أَحْوَالِ مُسْتَحَقِّي الْعَذَابِ فِيهَا مِنَ الْعِصَاةِ.

• ﴿رِيْسُ الْمَصِيرِ﴾: بِشَسْ: فِعْلٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، وَقَاعِلُهُ «الْمَصِيرُ»، أي: بِشَسِ الْمَكَانُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ، وَبِشَسِ الْحَالُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ، مِنْ فِعْلِ «صَارَ إِلَى كَذَا» أي: انْتَهَى إِلَيْهِ.

• ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ (٧):

الشَّهِيقُ: أَخَذَ النَّفْسَ بِقُوَّةٍ إِلَى دَاخِلِ الصَّدْرِ حَتَّى امْتَلَأَ الرُّئْتَيْنِ بِهِ، شُبَّةً بِهِ أَخَذَ جَهَنَّمَ الرِّيحَ مِنْ أَمَاكِنِ الرِّيحِ فِيهَا أَوْ مِنْ خَارِجِهَا إِلَى بَاطِنِهَا

بِقُوَّةٍ، حَتَّى يَمْتَلِئَ بَاطِنُهَا بِهَٰذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ نِظَامِ الْكَوْنِ أَنَّ دُخُولَ الرِّيحِ إِلَى بَاطِنِ شَيْءٍ مَا بِقُوَّةٍ يُعْطَى صَوْتًا خَاصًّا مُشَابِهًا لِشَهيقِ الْإِنْسَانِ إِلَّا أَنَّهُ أَشَدُّ.

• ﴿وَهِيَ تَقُورُ﴾: أي: وهي في حَالَةٍ شِدَّةٍ اشْتِعَالِ النَّارِ فِيهَا، يُقَالُ لُغَةً: «فَارَتِ النَّارُ» أي: اشْتَدَّ اشْتِعَالُهَا.

المعنى: إِذَا أَلْقَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَارُوا دَاخِلَ جَهَنَّمَ سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا يُشَابِهُ صَوْتَ الشَّهِيقِ، إِلَّا أَنَّهُ شَهيقٌ يُنَاسِبُ حَجْمَهَا وَكِبَرَ جَوْفِهَا، وَهُوَ صَوْتُ مُخِيفٍ مُرْعِبٍ إِرْعَابًا شَدِيدًا.

• ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي: تَكَادُ جَهَنَّمُ تَتَقَطَّعُ أَوْصَالَ دَاخِلِهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ لِتَنْفَجَرَ.

سُبِّهَتْ حَالَةُ الضَّغْطِ الْحَرَارِيِّ فِي دَاخِلِ جَهَنَّمَ بِالْغَيْظِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُحَسُّ بِهِ الْمُغْتَاطُ غَيْظًا شَدِيدًا، وَهَذَا مِنْ رَوَائِعِ التَّشْبِيهَاتِ، وَاسْتُعِيرَ لَفْظُ «الْغَيْظِ» لِحَالَةِ الضَّغْطِ الْحَرَارِيِّ الشَّدِيدِ دَاخِلَ جِبَالٍ وَضُخُورٍ فِي جَهَنَّمَ.

• ﴿... كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿٨﴾؟؟:

الفوج: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

خَزَنَتُهَا: أي: الْمَلَائِكَةُ الْمَكْلُفُونَ حِرَاسَةَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ.

المعنى: كُلَّمَا أُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ حَكَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِي جَهَنَّمَ؛ سَأَلَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ الْمَأْمُورُونَ بِحِرَاسَةِ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ صَادِقُونَ مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللَّهِ رَبِّكُمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، فَبَلَّغُوكُم مَطْلُوبَ اللَّهِ مِنْكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِمْ مَعَكُمْ أَنْ شَدَّدُوا فِي إِنْذَارِكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ، وَبِأَنَّهُ أَعْتَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا فِي هَٰذِهِ النَّارِ الَّتِي أُلْقِيتُمْ لَتُعَذِّبُوا فِيهَا بِالْحَرِيقِ خَالِدِينَ؟؟.

• ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾﴾:

أي: قَالُوا: بَلَىٰ، قَدْ جَاءَنَا رَسُلٌ صَادِقُونَ مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللَّهِ رَبِّنَا بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، والمعجزات الباهراتِ، فَبَلَّغُونَا مَطْلُوبَ اللَّهِ مِنَّا، وَأَبَانُوا لَنَا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا رَحْلَةٌ أَمْتِحَانٍ، وَأَنَّهَا تَنْتَهِي بِالْمَوْتِ، ثُمَّ نُبْعَثُ لاسْتِقْبَالِ حَيَاةٍ أُخْرَىٰ يَكُونُ فِيهَا حِسَابٌ، وَفَضْلُ قَضَاءٍ، وَتَنْفِيزُ جَزَاءٍ فِي إِحْدَىٰ دَارَيْنِ: فالجزاء بِالْعِقَابِ يَكُونُ فِي النَّارِ، والجزاء بِالثَّوَابِ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ.

فَلَمْ نَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ رَسُلِ رَبِّنَا، وَكَذَّبْنَاهُمْ فِيمَا بَلَّغُونَا عَنْهُ، وَقُلْنَا لَهُمْ: مَا نَزَّلَ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ الْكَوْنِ وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَاتَّهَمْنَاهُمْ بِالضَّلَالِ الْكَبِيرِ، وَقُلْنَا لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ، وَقَالُوا فِي اعْتِرَافٍ بِذُنُوبِهِمْ: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مَا نَصَحْنَا بِهِ رَسُلُ رَبِّنَا سَمَاعاً مُؤَثِّراً فِي اسْتِجَابَةِ إِيْمَانِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ، أَوْ لَوْ كُنَّا نَعْقِلُ نُفُوسَنَا بِإِرَادَةِ حَازِمَةٍ قَوِيَّةٍ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِنَا وَشَهَوَاتِنَا وَمَتَاعَاتِنَا مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ مَا كُنَّا فِي ضِمْنِ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْخُلُودَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ.

وَهُنَا يُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اعْتِرَافَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ بِالْبُعْدِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾﴾:

• ﴿فَسَحَقًا﴾: أي: فَبُعْدًا شَدِيدًا.

أي: فَاغْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمُ الْعَظَمَى الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ، فَبُعْدًا شَدِيدًا سَحِيقًا مُوجَّهًا لِأَصْحَابِ النَّارِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ:

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٦):

يُؤَكِّدُ اللهُ بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَهُمْ مُلْتَبِسُونَ بِغَيْبِ حَوَاسِهِمْ عَنْهُ، وَكُتِفُونَ بِالْإِيمَانِ بِعَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ إِيمَانًا فِكْرِيًّا؛ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مَغْفِرَةٌ مَا لِدُنُوبِهِمْ بِحَسَبِ مُقْتَضِيَّاتِ حُكْمَتِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَهُمْ عِنْدَهُ يَوْمَ الدِّينِ أَجْرٌ كَبِيرٌ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

• ﴿يَخْشَوْنَ﴾: أي: يَخَافُونَ خَوْفًا مَمَزُوجًا بِأَعْظَامِ وَإِكْبَارِ وَإِجْلَالِ وَحُبِّ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ كُلَّ الصَّالِحِينَ الْمُؤَهَّلِينَ لِخُطَابِهِ مِنْ عِبَادِهِ:

• ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٧) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٩﴾:

الإِسْرَارُ بِالْقَوْلِ: إِخْفَاؤُهُ وَعَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِهِ.

الْجَهْرُ بِالْقَوْلِ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِهِ حَتَّى يَسْمَعَهُ الْجُلَسَاءُ وَنَحْوُهُمْ.

المعنى: سواءً بالنسبة إلى عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَقْوَالِكُمْ أَنْ تُسِرُّوَهَا وَأَنْ تَجْهَرُوا بِهَا، إِنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ - عَلِيمٌ بِصَاحِبَةِ الصُّدُورِ الَّتِي تُلَازِمُهَا وَلَا تُفَارِقُهَا، كَالنِّيَّاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْإِرَادَاتِ، وَالْحُبِّ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَمَا يَظْهَرُ إِنَّمَا هِيَ آثَارُ تَدُلُّ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَقَدْ تَكُونُ الْآثَارُ كَاذِبَاتٍ، فَتَسْقُطُ دَلَالَتُهَا.

كَيْفَ لَا يَعْلَمُ - جَلَّ جَلَالُهُ - ذَوَاتِ الصُّدُورِ، وَهُوَ خَالِقُ مَنْ لَهُمُ الصُّدُورُ، وَخَالِقُ نُفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَكُلِّ صِفَاتِهَا وَقُدْرَاتِهَا؟!.

• ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢٠):

اللَّطِيفُ: أي: الَّذِي تَدْخُلُ آثَارُ صِفَاتِهِ وَمِنْهَا آثَارُ صِفَةِ عِلْمِهِ كُلِّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا دَقِيقًا، وَخَفِيًّا عَمِيقًا.

الْخَبِيرُ: أي: الْعَلِيمُ بِالدَّقَائِقِ وَالصِّفَاتِ الْبَاطِنَةِ عِلْمًا عَلَى سَبِيلِ الشُّهُودِ وَالْحُضُورِ الْمَصَاحِبِ لِكُلِّ أَجْزَاءِ الْعَمَلِ ظَوَاهِرِهِ وَبَوَاطِنِهِ، وَالشَّاهِدُ لِكُلِّ الظَّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ.

• ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥):

• ﴿ذُلُولًا﴾: أي: سَهْلَةً مُيسَّرَةً لِقَضَاءِ الْمَصَالِحِ عَلَيْهَا، لَا عُسْرَةَ وَلَا صَعْبَةً كَجِبَالِ ذَاتِ شَوَاهِقٍ كَالْمَسَلَّاتِ، بَلْ فِيهَا سُهُولٌ وَوُدْيَانٌ وَجِبَالٌ يَسْهُلُ ارْتِقَاؤُهَا، وَتَمْهِدُهَا، وَبِنَاءُ الْقُصُورِ عَلَيْهَا.

• ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: الْمُنْكِبُ: نَاحِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَجَمْعُهُ «الْمَنَاكِبُ».

• ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: أي: وَإِلَى حِسَابِ اللَّهِ، وَفَضْلِ قَضَائِهِ، وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ؛ الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. النُّشُورُ: الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

المعنى: الله - جَلَّ جَلَالُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ - رُبَّمَا بَعْدَ أَطْوَارٍ مِنَ التَّكْوِينِ - الْأَرْضَ سَهْلَةً مُيسَّرَةً لِقَضَاءِ مَصَالِحِكُمْ عَلَيْهَا. وَإِذْ جَعَلَهَا كَذَلِكَ فَامْشُوا فِي نَوَاحِيهَا الْمُرتَفِعَاتِ مِنْهَا، كَالْتَّلَالِ وَالْجِبَالِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى، عَامِلِينَ فِي احْتِسَابٍ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الَّذِي يُيسِّرُهُ لَكُمْ، مِنْ حَيَوَانٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ زَرْعٍ فَكُلُوا مِنْهُ وَانْتَفِعُوا بِهِ، وَاحْرِصُوا أَنْ يَكُونَ حَلَالًا طَيِّبًا، وَلَا تَغْفُلُوا عَنْ كَوْنِكُمْ فِي حَيَاةٍ ابْتِلَاءٍ تُخْتَبَرُ فِيهَا إِرَادَاتُكُمْ الْحُرَّةُ، فِي التَّزَامِ مَرَاضِي اللَّهِ عَلَى دَرَجَاتِهَا، أَوْ الانْحِدَارِ فِي مَسَاحِطِ اللَّهِ عَلَى دَرَكَاتِهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَى مَا تَقْدُمُونَ فِي رَحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ، وَمَجْزِيُونَ عَلَيْهِ بِحَسَبِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ يَبْعَثُكُمْ رَبُّكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ نُشُورَكُمْ سَوْفَ يَكُونُ إِلَى حِسَابِ اللَّهِ، وَفَضْلِ قَضَائِهِ، وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُوجَّهًا خِطَابُهُ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جَاءَهُمْ عَنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ
أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ (١٧) وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ
وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ
لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ
أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١):

• ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: أي: فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ وَتَتَدَاعَى
أَجْزَاؤَهَا، وَتَخْتَلِطُ أَوْصَالُ أَجْسَادِكُمْ بِالْأَجْزَاءِ الْمُتَحَرِّكَةِ الْمُضْطَرِبَةِ مِنْ
الْأَرْضِ.

• ﴿حَاصِبًا﴾: أي: رِيحًا تَحْمِلُ الثَّرَابَ وَالْحَصْبَاءَ (صِغَارَ الْحَجَارَةِ)،
فَتَضْرِبُ بِهَا الْأَشْيَاءَ، فَيُصِيبُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ.

• ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾: أي: كَيْفَ إِنْذَارِي لَكُمْ.

• ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: كَيْفَ إِنْكَارِي، وَكَيْفَ عِقَابِي،
النَّكِيرُ: يَأْتِي بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَبِمَعْنَى الْعِقَابِ.

• ﴿صَفَقَتْ﴾: أي: بِاسِطَاتِ أَجْنَحَتِهَا إِذْ يَكُونُ رِيشُ كُلِّ جَنَاحٍ
مُضْطَفًّا رِيشَةً إِلَى جَانِبِ رِيشَةِ بِنَظَامٍ بَدِيعٍ، يَجْعَلُ الرِّيحُ فِي الْجَوِّ يَحْمِلُ
الطَّيْرَ وَلَوْ تَوَقَّعْتَ عَنْ تَحْرِيكِ أَجْنَحَتِهِنَّ، وَهَذَا مِنْ إِبْدَاعِ خَلْقِ اللَّهِ وَإِتْقَانِ
صُنْعِهِ.

• ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: وَيَقْبِضْنَ أَجْنَحَتِهِنَّ، فَيَجْمَعْنَ رِيشَهَا إِلَى جِهَةِ
صُدُورِهِنَّ، وَهَذَا مِنْ إِبْدَاعِ خَلْقِ اللَّهِ وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ.

• ﴿هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾: أي: عَسَكْرٌ لَكُمْ، يُقَالُ: «هذا جُنْدٌ» بالإنفراد، لِأَنَّ لَفْظَ «جُنْدٍ» مُفْرَدٌ، مِثْلُ: جَيْشٍ، وَحِزْبٍ، وَجَمْعُ «جُنْدٍ» أَجْنَادٌ.

• ﴿فِي غُرُورٍ﴾: أي: مُنْغَمِسُونَ فِي خَدِيعَةٍ، وَطَمَعَ بِالْبَاطِلِ، الْغُرُورُ: مَضْدَرٌ «عَرَّةٌ»، يُقَالُ لُغَةً: «عَرَّةٌ، يَغُرُّهُ، غَرًّا، وَغُرُورًا، وَغَرَّةٌ» أي: خَدَعَهُ وَأَظْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ.

• ﴿بَلْ لَّعَنُوا﴾: أي: بَلْ ثَبَّتُوا مَلَازِمِينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ إِضْرَارًا عَلَى بَاطِلِهِمْ.

• ﴿فِ عَتُوٍّ﴾: أي: فِي اسْتِكْبَارٍ وَتَجَاوُزٍ فِي سُبُلِ الضَّرِّ وَالشَّرِّ وَالْفَسَادِ. الْعَتَايُ: الْجَبَّارُ، وَالشَّدِيدُ الدُّخُولِ فِي الْفَسَادِ وَالشَّرِّ.

• ﴿وَنُفُورٍ﴾: النُّفُورُ: الْإِعْرَاضُ وَالصَّدُّ وَالِابْتِعَادُ كَحَالَةِ الْمَذْعُورِ الشَّارِدِ.

المعنى: يُخَاطَبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكَفَرَةَ الْمَكْذُوبِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى مَوَاقِفِهِمُ الْكُفْرِيَّةَ، مُقْنِعًا، وَمُوبِّخًا، وَمُنْذِرًا، فَيَقُولُ لَهُمْ:

أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الَّذِي هُوَ رَبُّكُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ، فَيَغْيِبَكُمْ فِي بَاطِنِهَا، فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرُّبُ وَتَدَافِعُ أَجْزَاؤُهَا، فَتَخْتَلِطُ أَوْصَالُ أَجْسَادِكُمْ بِهَا، إِذْ هِيَ تَمُورُ.

بَلْ؛ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الَّذِي هُوَ رَبُّكُمْ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا، رِيحًا تَحْمِلُ التُّرَابَ وَصِغَارَ الْحَجَارَةِ، فَيَعَذِّبُكُمْ بِهَا ضَرْبًا وَإِهْلَاكًا.

إِذَا أَضْرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِيَّاتٍ، وَخَسَفَتْ بِكُمْ الْأَرْضُ، أَوْ أَرْسَلَتْ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا مِنْ فَوْقِكُمْ، فَعَذَّبْتُكُمْ ثُمَّ أَهْلَكْتُكُمْ؛ فَسَتَعْلَمُونَ قَبْلَ مَوْتِكُمْ كَيْفَ كَانَ إِنْذَارِي لَكُمْ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي حَيَاةٍ امْتِحَانِكُمْ مُجْرِمِينَ، وَتَسْتَحِقُّونَ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ الَّتِي

أَعْتَدْتُهَا لِلْكَافِرَةِ الْمُجْرِمِينَ، وَقَدْ كُنْتُ أَنْبَأْتُكُمْ بِهَذَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ.

وَتَوَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْتَفِتًا عَنْهُمْ، وَمُخَاطِبًا أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ
وَالرُّشْدِ، بِشَأْنِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى مُؤَكِّدًا بِالْقَسَمِ الْمُنَوِيِّ وبحرف «قد»:

• ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٨﴾﴾: أي: وأقسمُ لقد
كَذَّبَ كُفَّارُ قُرُونٍ سَابِقَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلِي وَبِمَا بَلَّغُوهُمْ عَنِّي؛ فَعَذَّبْتُهُمْ
بِمُهْلِكَاتٍ سَاحِقَاتٍ مَاحِقَاتٍ، فَتَفَكَّرُوا كَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي وَعِقَابِي.

وَتَابَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٩﴾﴾:

أي: أَفَقَدُوا أَبْصَارَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا نَاطِرِينَ إِلَى الطَّيْرِ حَالَةَ كَوْنِهِنَّ فِي
جَوْ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ، وَهُنَّ صَافَاتٍ بَاسِطَاتٍ أُجْنِحَتْهُنَّ، وَيَقْبِضْنَ أُجْنِحَتْهُنَّ
أَحْيَانًا، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا لِيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَنَّهُ مَا يُمَسِّكُهُنَّ فِي جَوْ السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ
الرَّحْمَنُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا، وَمِنْ إِتْقَانِ صُنْعِهِ أَنْ جَعَلَ نِظَامَ الْهَوَاءِ
يَحْمِلُ الطَّيْرَ فِي جَوْ السَّمَاءِ، وَظَهَرَ فِي عَصْرِنَا أَنَّهُ يَحْمِلُ الطَّائِرَاتِ الْكُبْرَى
بِلُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ فِي كَوْنِهِ.

• ﴿... إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٩﴾﴾: أي: فَهُوَ بِإِحَاطَةٍ بِصَرِّهِ كُلَّ
شَيْءٍ؛ يَحْمِي بِرَحْمَتِهِ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ مَا يَطِيرُ فِي جَوْ السَّمَاءِ، وَمَنْ
تَحْمِلُهُ الْمَرَائِبُ الطَّائِرَةُ فِي جَوْ السَّمَاءِ، وَإِذَا شَاءَ أَسْقَطَ مَا شَاءَ وَمَنْ
شَاءَ.

واقتضت حِكْمَةُ التَّنْوِيعِ فِي تَوْجِيهِ الْخِطَابِ الْعَوْدَةَ إِلَى خِطَابِ
الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ بِمَا جَاءَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فقال تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَهُمْ:

• ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿١٥﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنِ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿١٦﴾﴾ :

أي: بَلْ مَنْ الَّذِي تُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ: «هَذَا»، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ جُنْدٌ لَكُمْ مُتَوَحِّدُ الْقُوَّةِ كَجَيْشٍ مُتَرَابِطٍ بِنِظَامٍ وَاحِدٍ، وَلَهُ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَكُمْ وَهُوَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ، إِذَا أَرَادَ الرَّحْمَنُ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يُعَامِلَكُمْ بِالْعَدْلِ، وَيُنْزِلَ بِكُمْ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ وَأَنْ يُهْلِكَكُمْ!!؟؟.

اسْتَفْهَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَنْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ قَائِلِينَ: هَذَا جُنْدٌ لَنَا يَنْصُرُنَا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَنَا وَيُهْلِكَنَا. وَلِهَذَا جَاءَ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ عَقِبَ الاسْتَفْهَامِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: أي: مَا الْكَافِرُونَ إِلَّا مُنْعَمِسُونَ فِي مُحِيطٍ بِهِمْ، مِنْ خِدَاعٍ لَهُمْ وَإِظْمَاعٍ بِالْبَاطِلِ.

وَتَابَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَوْجِيهَ خِطَابِهِ لَهُمْ بِشَأْنِ رِزْقِهِمْ: فَقَالَ لَهُمْ مَا مَعْنَاهُ: بَلْ؛ مَنْ الَّذِي تُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ: «هَذَا»، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَرْزُقُكُمْ إِنِ أَمْسَكَ الرَّحْمَنُ عَنْكُمْ بِحُكْمَتِهِ الرِّزْقَ وَأَسْبَابَهُ، وَهُوَ مِنْ حَاجَاتِكُمُ الْيَوْمِيَّةِ الصَّرُورِيَّةُ!!؟؟.

اسْتَفْهَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَنْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ قَائِلِينَ: هَذَا الَّذِي يَرْزُقُنَا إِنِ أَمْسَكَ الرَّحْمَنُ بِحُكْمَتِهِ عَنَّا رِزْقَهُ.

ولِهَذَا جَاءَ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ عَقِبَ الاسْتَفْهَامِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿١٦﴾﴾: أي: لَا يَكُونُ مِنْهُمْ إِجَابَةٌ مَا عَلَى السَّوَالِ، بَلْ يُعَانِدُونَ ثَابِتِينَ مُلَازِمِينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرِيَّاتٍ إِضْرَاراً عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَيَكُونُ مِنْهُمْ عُتُوٌّ، اسْتِكْبَارٌ، وَتَجَاوُزٌ فِي سُبُلِ الضَّرِّ وَالشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَيَكُونُ مِنْهُمْ نُفُورٌ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ وَالْخَيْرِ،

كَحَالَةِ الْمَذْغُورِ الشَّارِدِ، لِكِنَّهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ مُعَانِدُونَ كَارِهُونَ قَبُولَ الْهُدَى
وَالِاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ.

وَبَعْدَ أَنْ جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ مِنَ السُّورَةِ أُدْلَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَأُدْلَةٌ مِنَ
الظَّاهِرَاتِ الْكُونِيَّةِ الْمَشْهُودَةِ، وَهَذِهِ الْأُدْلَةُ ذَاتُ دَلَالَاتٍ بُرْهَانِيَّةٍ وَإِقْنَاعِيَّةٍ
عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ الْخَالِقِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ -، وَبَعْدَ
أَنْ جَاءَ فِيهَا مُحَاصِرَةٌ لِنُفُوسِ الْمُكْذِبِينَ بِالرَّغْبِ وَالرَّهْبِ مِنْ مُخْتَلِفِ
جَوَانِبِهَا، حَتَّى لَا يَبْقَى لِذِي فِكْرٍ سَلِيمٍ، وَلُبٍّ حَصِيفٍ وَاعٍ؛ مَهْرَبٌ مِنْ
هَذَا الْحِصَارِ الْفِكْرِيِّ وَالنَّفْسِيِّ:

عِنْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ نُلَاحِظُ أَنَّ الْبَيَانَ الْأَدَبِيَّ الْبَلِيغَ الرَّفِيعَ؛ يَتَوَجَّهُ
لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ هَذَا الْحِصَارُ الْفِكْرِيُّ الْمَقْنِعُ لِأَرْبَابِ الْعُقُولِ
وَأُولِي الْأَلْبَابِ، وَلَا هَذَا الْحِصَارُ النَّفْسِيُّ الْمُحَرِّكُ لِمَحَاوِرِ الرَّغْبِ
وَالرَّهْبِ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فَهُوَ كَالدَّوَابِّ الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ
كَالْأَنْعَامِ، وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَضَعَ نَفْسَهُ فِي نَوْعِ الْبَشَرِ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ،
فَخَلَقَهُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَجَعَلَ لَهُمْ قَامَاتٍ مُتَنَصِّبَاتٍ، وَرُؤُوساً مُرْتَفِعَةً،
لِأَنَّ مَكَانَهُ إِذْ هَذِهِ حَالَتُهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الدَّوَابِّ الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، خَافِضَ
الرَّأْسِ مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ، ضِمْنَ قُطْعَانِ الْأَنْعَامِ وَالدَّوَابِّ الَّتِي تَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ.

لَكِنَّ النَّصَّ الْقِرَائِيَّ الْبَلَاغِيَّ الْأَدَبِيَّ الرَّفِيعَ لَمْ يَقُلْ عِنْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ:
فَمَنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ هَذَا الْحِصَارُ الْفِكْرِيُّ وَالنَّفْسِيُّ فَهُوَ مِنَ الْحَمِيرِ أَوْ غَيْرِهَا
مِنَ الدَّوَابِّ، أَوْ فَهُوَ مِنَ الْبَقَرِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَنْعَامِ.

بَلْ طَوَى النَّصُّ هَذَا الْحُكْمَ التَّشْبِيهِيَّ، وَقَدَّمَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ إِشَارَةً
بَارِعَةً يُذَرِّكُهَا الذِّكْيُ بِاللَّمَحِ، عَلَى طَرِيقَةٍ تَسَاوُلِ طَرَحِهِ لِانْتِزَاعِ الْاِغْتِرَافِ
بِنَفْيِ التَّسَاوِي بَيْنَ الْإِنْسَانِ الْمَفْكَرِ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي حَيَاتِهِ بِمُقْتَضَى فَهْمِهِ

السَّالِمِ لِلْأُمُورِ؛ وَبَيَّنَ الدَّوَابَّ الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، وَالْأَنْعَامَ الَّتِي تَتَدَفَعُ فِي قُطْعَانِهَا عَلَى غَرَائِزِهَا وَشَهَوَاتِهَا.

وَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا التَّسْأُولِ اسْتِخْدَامُ إِحْدَى الظَّوَاهِرِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ مَشِيهَا عَلَى أَرْبَعٍ وَأَعْنَاقُهَا وَرُؤُوسُهَا مُتَطَامِنَةٌ، فَهِيَ مُكَبَّةٌ عَلَى وَجُوهِهَا.

وَلَمْ يُذَكَّرْ فِي التَّسْأُولِ لَفْظُ الدَّوَابِّ أَوْ النَّعَمِ، وَلَا مَا يُقَابِلُهُ مِنْ لَفْظِ النَّاسِ أَوْ الْبَشَرِ، بَلْ جَاءَ فِيهِ لَفْظَةٌ لِجَانِبٍ جُزْئِيٍّ مِنَ الصُّورَةِ الدَّالَّةِ عَلَى النُّوعِ غَيْرِ الْإِنْسَانِيِّ، وَلَفْظَةٌ وَصْفِيَّةٌ أُخْرَى لِجَانِبٍ جُزْئِيٍّ مِنَ الصُّورَةِ الْمَقَابِلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ ذِكْرَ لَفْظَةِ تَصْوِيرِيَّةٍ مَا هِيَ مِنْ خَوَاصِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ كَافِيَةٌ لِأَنَّ تَدُلَّ عَلَيْهِ فِي الْأَسَالِيبِ الْأَدَبِيَّةِ الْبَلَاغِيَّةِ الرَّاقِيَةِ الْبَارِعَةِ الْمَهْدَبَةِ، وَيُعْطِيهَا الْبَلَاغِيُّونَ عُنْوَانَ «الِكِنَايَةِ».

■ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي طَرَحِ التَّسْأُولِ لَانْتِزَاعِ الْإِغْتِرَافِ الدَّالِّ عَلَى الْمَقْصُودِ، دُونَ تَوْجِيهِ الْخِطَابِ لِمَخَاطِبٍ أَوْ مُحَاطِطِينَ مُعَيَّنِينَ:

• ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ (٧٧):

• ﴿مُكَبًّا﴾: أَي: يَمْشِي مُنْكَسًّا رَأْسَهُ كَمَا يَمْشِي الْحِمَارُ وَالثَّوْرُ لَا كَمَا يَمْشِي الْإِنْسَانُ، يُقَالُ لُغَةً: «أَكَبَّ الرَّجُلُ عَلَى وَجْهِهِ يُكَبُّ إِكْبَابًا» أَي: نَكَسَ رَأْسَهُ.

وَيُظْهِرُ لِلْمُتَدَبِّرِ مِنَ التَّقَابُلِ الْمُتَبَايِنِ بَيْنَ مَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ؛ وَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّخَالُفِ فِي الْأُمُورِ النَّالِيَةِ:

(١) أَنَّ الثَّانِي يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ الْمِكَبِّ

عَلَى وَجْهِهِ، إِذْ هُوَ تَائِهٌ ضَالٌّ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا مُسْتَقِيمَةً وَاضِحَةً.

(٢) أَنَّ الثَّانِي يَمْشِي سَوِيًّا عَالِمًا طَرِيقَهُ مُشَاهِدًا لَهُ، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ، فَهُوَ يَمْشِي غَيْرَ سَوِيٍّ، وَهُوَ مُكِبٌّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَرَى طَرِيقَهُ.

(٣) أَنَّ الثَّانِي يُتَابِعُ سَبِيلَهُ دُونَ عَثَرَاتٍ، لِأَنَّهُ يَمْشِي سَوِيًّا مُشَاهِدًا طَرِيقَهُ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ غَيْرٍ مُتَعَرِّجٍ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ أَوْ مِنْ ذَاتِ الشَّامِلِ، وَلَيْسَ فِي سَطْحِهِ ارْتِفَاعَاتٌ وَانْخِفَاضَاتٌ وَحُفَرٌ وَعَقَبَاتٌ وَمَسَاقِطٌ، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ، إِذْ هُوَ يُتَابِعُ سَبِيلَهُ فِي مَتَاهَاتِهِ فَيَتَعَرَّضُ إِلَى عَثَرَاتٍ كَثِيرَاتٍ يَنْكَبُ فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ، لِأَنَّهُ يَمْشِي غَيْرَ سَوِيٍّ، وَلَا يُشَاهِدُ طَرِيقَهُ مُشَاهِدَةً تَامَةً، وَمَتَاهَاتُهُ لَا اسْتِقَامَةَ فِيهَا، بَلْ هِيَ مُتَعَرِّجَةٌ وَفِيهَا ارْتِفَاعَاتٌ وَانْخِفَاضَاتٌ وَحُفَرٌ وَعَقَبَاتٌ وَمَسَاقِطٌ وَمَزَالِقٌ.

فَأَيُّ الْمُتَقَابِلَيْنِ أَهْدَى؟!.

سُؤَالٌ لَا يَحْتَاجُ جَوَابًا يُصْرِّحُ بِهِ لِبِدَاهَتِهِ، وَهَكَذَا كَانَ الْاِخْتِيَارُ الْبَلَاغِيُّ الْقُرْآنِي.

الشرح الأدبي:

(١) عبارة: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ تَدُلُّ بِلَفْظِهَا التَّصْوِيرِيَّةَ عَلَى الدَّوَابِّ وَالنَّعَمِ، لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَمْشِي مُكِبَّةً عَلَى وُجُوهِهَا، أَي: تَمْشِي وَوُجُوهُهَا مُكِبَّةٌ غَيْرُ مُرْتَفِعَةٍ، وَصُورَةُ الْوُجْهِ الْمِكْبِ فِي اتِّجَاهِ الْأَرْضِ لِمَاشٍ عَلَيْهَا تَسْتَدْعِي فِي الدَّهْنِ تِلْقَائِيًّا أَنْ وَرَاءَهَا جِسْمٌ حِمَارٍ أَوْ بَغْلٍ أَوْ ثَوْرٍ أَوْ نَحْوَهَا مِنَ الدَّوَابِّ وَالنَّعَمِ لَا تَفْهَمُ وَلَا تَعِي دَلَالَاتِ النُّصُوصِ الْكَلَامِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَلَا تَقْتَنِعُ بِالْبَيِّنَاتِ الْخَاصَّةِ بِنُوعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

وَاسْتِخْدَامُ كَلِمَةِ «مَنْ» الْخَاصَّةِ بِالْعُقَلَاءِ؛ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْمُقْصُودَ بِالْوَصْفِ

إِنْسَانٌ مَسَخَ نَفْسَهُ بِتَوَلَّيْهِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَعَدَمَ اسْتِجَابَتِهِ لِرِوَسَائِلِ مُحَاصِرَتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، فَجَعَلَهَا بِمَثَابَةِ وَاحِدٍ مِنْ قُطْعَانِ الدَّوَابِّ أَوْ النَّعَمِ.

(٢) وَعِبَارَةٌ: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ تَذُلُّ بِلَقْطَتِهَا التَّصْوِيرِيَّةَ عَلَى إِنْسَانٍ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَتَذُلُّ ضِمْنًا عَلَى خَصَائِصِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ.

(٣) وَعِبَارَةٌ: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تَذُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ طَرَحِ التَّسَاوُلِ الْهَادِفِ إِلَى نَفْيِ التَّسَاوِي بَيْنَ النَّوعَيْنِ.

وَنَفْيُ التَّسَاوِي لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ مُجَرَّدَ التَّبَايُنِ فِي الصُّورَةِ الْخَلْقِيَّةِ بَيْنَ مُكَبِّ عَلَى وَجْهِهِ وَمَاشٍ نَاصِبٍ الْقَامَةِ سَوِيًّا، وَلَكِنْ بَيْنَ مَاشٍ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يُوصِلُهُ إِلَى الْغَايَةِ السَّعِيدَةِ الْمُنْشُودَةِ بِمُوجِّهِ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ الْهَدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ؛ وَمَاشٍ عَلَى غَيْرِ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَهُوَ يَتَخَبَّطُ فِي الْمَتَاهَاتِ، وَيُضِلُّ فِي السُّبُلِ، وَلَا يَصِلُ إِلَى غَايَتِهِ السَّعِيدَةِ الْمُنْشُودَةِ.

وَاجْتَفَى النَّصُّ بِذِكْرِ الْمَشْيِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بِجَانِبِ نَاصِبِ الْقَامَةِ السَّوِيِّ عَنْ ذِكْرِ مُقَابِلِهِ، إِذِ الصُّورَةُ فِي الْمُقَابِلِ تَذُلُّ عَلَى ضِدِّهَا فِي الْمُقَابِلِ الْآخَرِ، لِأَنَّ الطَّرْحَ قَدْ بَدَأَ بِتَسَاوُلٍ يَغْرِضُ فِي مَضْمُونِهِ نَفْيُ التَّسَاوِي بَيْنَ مُتَبَايِنَيْنِ.

وَقَدْ فَهَمْنَا بِالذِّكَاةِ ضِمْنَ أَسْلُوبِ التَّقَابُلِ بَيْنَ الصُّورِ الْمُتَضَادَّةِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى تَقْدِيرِ:

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ كَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ يَتَخَبَّطُ فِي السُّبُلِ عَلَى غَيْرِ هُدًى؛ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا نَاصِبِ الْقَامَةِ مَرْفُوعِ الرَّأْسِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يُوصِلُهُ إِلَى سَعَادَتِهِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَقْوَمِهِ.

وَاجْتَفَى النَّصُّ أَيْضًا بِدَلَالَةِ عِبَارَةِ: ﴿مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ فِي النَّوعِ

الأول؛ عَنْ ذِكْرِ عِبَارَةٍ: «نَاصِبَ الْقَامَةِ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ» فِي النَّوعِ الثَّانِي، لِأَنَّ التَّقَابِلَ بَيْنَ النَّوعَيْنِ هُوَ تَقَابُلُ تَضَادٍّ فِي الصِّفَاتِ.

وَاجْتَفَى النَّصُّ أَيْضاً بِدَلَالَةِ عِبَارَةٍ: ﴿سَوِيًّا﴾ فِي النَّوعِ الثَّانِي؛ عَنْ ذِكْرِ ضِدِّهَا فِي النَّوعِ الْأَوَّلِ.

فَإِذَا أَرَدْنَا إِبْرَازَ الْمَطْوِيَّاتِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا النَّصُّ بِإِشَارَاتِهِ، وَبِلَوَازِمِهِ الْفِكْرِيَّةِ، وَبِمُقْتَضَى التَّقَابِلِ بَيْنَ النَّوعَيْنِ فِي صِفَاتِهِمَا الْمُتَضَادَّةِ، وَمَا لَا بُدَّ أَنْ نَفْهَمَهُ بِمُقْتَضَى التَّقَابِلِ وَالتَّكَامُلِ، وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا أَمَامَ الْبَيَانِ التَّحْلِيلِيِّ التَّالِي:

أَقَمَنْ مَسَخَ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنَ الدَّوَابِّ أَوْ الْأَنْعَامِ، فَصَارَ كَالَّذِي يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ، يَتَخَبَّطُ فِي السُّبُلِ وَالْمَتَاهَاتِ عَلَى غَيْرِ هُدًى، ضَالًّا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، بِسَبَبِ تَوَلَّيْهِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَرَفُضِهِ لَوْسَائِلِ إِفْنَاعِهِ الْفِكْرِيِّ وَالنَّفْسِيِّ الَّتِي قَدَّمَهَا لَهُ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؛ أَكْثَرُ هِدَايَةٍ تُوصِلُهُ إِلَى مَا يَتَمَنَّى مِنْ وُجُودِهِ فِي الْحَيَاةِ؛ أَمَّنْ أَبْقَى لِدَايَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ الْعَاقِلَةِ الرَّشِيدَةِ، فَهُوَ يَمْشِي نَاصِبَ الْقَامَةِ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، يُوصِلُهُ إِلَى مَا يَتَمَنَّى مِنْ وُجُودِهِ فِي الْحَيَاةِ.

إِنَّ الْجَوَابَ الْحَثْمِيَّ لِهَذَا التَّسَاوُلِ الَّذِي يُجِيبُ بِهِ أُولُو الْأَلْبَابِ هُوَ مَا يَلِي:

إِنَّ النَّوعَ الثَّانِي هُوَ الْأَهْدَى لَا مَحَالَةَ، أَمَّا النَّوعُ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْهِدَايَةِ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ ضَالٌّ تَائِهٌ غَيِّ كَالْأَنْعَامِ أَوْ هُوَ أَضَلُّ سَبِيلًا.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿أَهْدَى﴾ الَّتِي قَدْ تَدُلُّ عَلَى الْمَشَارَكَةِ فِي أَضَلِّ الْهِدَايَةِ انْسِجَامًا مَعَ حَالِ الْمَشْبِّهِ بِهِ، إِذِ الدَّوَابُّ وَالْأَنْعَامُ لَهَا هِدَايَةٌ مَا يَغْرَازُهَا.

أَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي مَسَخَ نَفْسَهُ بِرَفُضِهِ آيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ

سَبِيلًا مِنَ الْأَنْعَامِ، لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُ، وَتَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، فَلَيْسَ لَهُ هِدَايَةٌ مَا، وَقَدْ تَرِكَ فَهُمْ هَذَا لِذِكَايِ الْمَتَدَبِّرِ لِمَرَامِي النَّصِّ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (المُلك).

والحمد لله على معُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من درسي سورة (المُلك) الآيات من (٢٣ - ٣٠) آخر السورة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَامِنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾:

القراءات:

(٢٧) • قرأ يعْقوب: [تَدْعُونَ] دون تَشْدِيد الدال.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَدْعُونَ] بِتَشْدِيد الدال.

(٢٨) • قرأ حمزة: [أَهْلَكْنِي اللَّهُ] بِإِسْكَان يَاءِ الْمُتَكَلِّم.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَهْلَكْنِي اللَّهُ] بِفَتْح يَاءِ الْمُتَكَلِّم.

(٢٨) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وحفص، وأبو جعفر: [وَمَنْ مَعِيَ أَوْ] يَفْتَحِ ياءِ المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكانِ ياءِ المتكلم.

(٢٩) • قرأ الكسائي: [فَسَيَعْلَمُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَسَتَعْلَمُونَ].

وبينَهُمَا تَكَامُلٌ فِي الأداءِ البياني، فإحداهما بِالخِطَابِ، والأُخْرَى بالغيبة.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَكْلِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُتَابَعَ مُعَالَجَةً الْمُقْصُودِينَ بِالْمُعَالَجَةِ فِي السُّورَةِ، بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي هَذَا الدَّرْسِ، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ ﷺ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾:

• ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾: الْإِنْشَاءُ: هُوَ الْإِحْدَاثُ الْمَضْحُوبُ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ

غَالِبًا، كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ وَيَتَكَامَلُ نَمَاؤُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

• ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: أَي: وَخَلَقَ لَكُمْ أَجْهَرَةً إِدْرَاكِ الْأَصْوَاتِ،

بَدْءًا مِنَ الْأَذَانِ فَالْمُوصِلَاتِ إِلَى مَرَاكِزِ إِدْرَاكِ الْأَصْوَاتِ فِي الدِّمَاغِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ تَسْمَعُوا مَا يَصِلُ إِلَى آذَانِكُمْ مِنْ أَصْوَاتٍ.

• ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾: أَي: وَخَلَقَ لَكُمْ أَجْهَرَةً إِدْرَاكِ الْمَرْتَبَاتِ، بَدْءًا مِنَ

الْأَعْيُنِ، فَالْمُوصَلَاتِ إِلَى مَرَائِزِ إِدْرَاكِ صُورِ الْمَرِيَّاتِ فِي الدِّمَاغِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ تَرَوْا مَا يَصِلُ إِلَى أَعْيُنِكُمْ، فَمَرَائِزِ إِدْرَاكِ صُورِ الْمَرِيَّاتِ فِي أَدْمِغَتِكُمْ.

• ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أي: وَخَلَقَ لَكُمْ فِي دَاخِلِ ذَوَاتِكُمْ مَرَائِزَ التَّفْكِيرِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ وَإِدْرَاكِ الْمَعَانِي، وَالْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةَ وَالْحُكْمَ عَلَى الْقَضَايَا بِالْإِثْبَاتِ أَوْ النِّفْيِ أَوْ التَّوَقُّفِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْقُدْرَةَ فِي أَدْمِغَتِكُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ التَّفْكِيرِيَّةِ، وَاسْتِخْدَامِ الْأَفْئِدَةِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ.

• ﴿ذَرَأُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يَأْتِي فِعْلُ «ذَرَأَ» بِمَعْنَى: «خَلَقَ»، وَيَأْتِي بِمَعْنَى: «بَثَّ»، فَمَعْنَى: ﴿ذَرَأُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عَلَى هَذَا: كَثَرْتُمْ عَنْ طَرِيقِ الذُّرِّيَّةِ، قَالُوا: كَأَنَّ الذَّرَأَ مُخْتَصَّ بِخَلْقِ الذُّرِّيَّةِ.

المعنى: يُعَلِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رَسُولِهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ أَنْ يَقُولَ فِي دَعْوَتِهِ لِلْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدَةِ:

اللَّهُ رَبُّكُمْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ بِأَحْدَاثٍ مَضْحُوبٍ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ فِي أَطْوَارِ خَلْقِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى صِرْتُمْ أَغْذِيَّةً، فِدْمَاءً، فَنُطْفَاءً فِي ظُهُورِ آبَائِكُمْ وَبَيْضَاتٍ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، فَأَجِنَّةً فِي الْأَرْحَامِ، ثُمَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْهَا أَطْفَالاً، وَنَمَّاكُمْ حَتَّى صِرْتُمْ رِجَالاً وَنِسَاءً مُكْتَمِلِي الْخَلْقِ.

وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ وَهُوَ يُنْشِئُكُمْ أَجْهَرَةَ السَّمْعِ الَّتِي تَسْمَعُونَ بِهَا الْأَصْوَاتِ.

وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ وَهُوَ يُنْشِئُكُمْ أَجْهَرَةَ الْبَصَرِ الَّتِي تَرَوْنَ بِهَا الْمَرِيَّاتِ.

وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ وَهُوَ يُنْشِئُكُمْ أَفْئِدَتَكُمْ الَّتِي هِيَ أَجْهَرَةُ عُلُومِكُمْ وَمَعَارِفِكُمْ، وَمَرَائِزُ أَحْكَامِكُمْ عَلَى الْقَضَايَا الْفِكْرِيَّةِ بِالْإِثْبَاتِ

وَالنَّفْيِ أَوْ التَّوَقُّفِ، وَمَرَاكِزُ إِذْرَاكِكُمْ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ.

فَاشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ. وَلَكِنَّكُمْ وَإِنْ شَكَرْتُمْ فَقَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ، لِأَنَّكُمْ لَا تُذَكِّرُونَ كَثْرَةَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ إِخْصَاءَهَا.

• ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: شُكْرًا قَلِيلًا جِدًّا تَشْكُرُونَ، فَلَفِظَ ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمفعولٍ مطلقٍ مَحذُوفٍ مُقَدَّمٍ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَفِظَ ﴿مَا﴾ إِبْهَامِيَّةً لَتَوْكِيدِ الْقَلَّةِ.

وَقُلْ لَهُمْ أَيْضًا:

اللَّهُ رَبُّكُمْ هُوَ الَّذِي بَشَّكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَكَثَّرَكُمْ عَنْ طَرِيقِ الذُّرِّيَّةِ وَالتَّنَاسُلِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعُونَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ وَالْابْتِلَاءِ، مِنْ قَبْلِ رَبِّكُمْ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَذَرَأَكُمْ، وَأَنَّكُمْ مُطَالِبُونَ بِإِيمَانٍ صَحِيحٍ صَادِقٍ، وَبِعَمَلٍ بِمَرْضَاةِ رَبِّكُمْ يُعَبِّرُ عَنْ صِحَّةِ إِيمَانِكُمْ وَصِدْقِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَجْزِيُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الْجَزَاءُ الْأَوْفَى يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ بَعْثِكُمْ أَحْيَاءَ، خَارِجِينَ مِنْ أَجْدَانِكُمْ لِمُلَاقَاةِ حِسَابِ رَبِّكُمْ وَفَصْلِ قَضَائِهِ وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ، حِينَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

الْحَشَرُ: الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَعْلِيمَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾:

أَي: وَيَقُولُ الْمَكْذُبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعُوكَ، وَيُكَرِّرُونَ قَوْلَهُمْ تَكْرِيرًا إِعْلَامِيًّا، لِيَصِدَّ جَمَاهِيرُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ الَّذِي يَعِدُ دِينُكُمْ بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي الْإِخْبَارِ بِهِ عَنْ رَبِّكُمْ؟؟.

فَأَجِبْهُمْ قَائِلًا لَهُمْ: مَا عَلِمَ يَوْمَ الدِّينِ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى مَتَى تَقُومُ سَاعَةُ أَنْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ مَتَى تَكُونُ سَاعَةُ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْأُخْرَى، وَمَتَى يَكُونُ بَدْءُ يَوْمِ الدِّينِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ نَبَأَ قِيَامِ السَّاعَةِ الْأُولَى، وَقِيَامِ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ سَاعَةُ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْأُخْرَى؛ نَبَأٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا إِلَّا مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، وَلَمْ يُعْطِنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَ الْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا الْوَعْدُ.

إِنِّي رَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا يَأْمُرُنِي بِأَنْ أُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنْ فِقَرَاتِ الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ فِي الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا فِقْرَةُ إِنْذَارِكُمْ بِمَا أَمَرُنِي أَنْ أَنْذِرَكُمْ بِهِ، فَمَا أَنَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي أَضْرَرْتُمْ فِيهَا عَلَى رَفْضِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ رَبِّكُمْ لَكُمْ، بَعْدَ مُعَالَجَاتٍ كَثِيرَاتٍ لَكُمْ خِلَالَ مَسِيرَتِي الدَّعْوِيَّةِ؛ مَا أَنَا إِلَّا مُنْذِرٌ لَكُمْ مُبِينٌ بِعَذَابِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ عَذَابٍ قَدْ تَفْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُقَدِّمُ مَشْهَدًا أَوَّلِيًّا مِنْ مَشَاهِدِ تَعْلِيلِهِمْ:

• ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾﴾: وَجَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [تَدْعُونَ].

العبارة جَاءَتْ اسْتِظْطَاعًا مِمَّا سَوْفَ يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقُدِّمَتْ بِفَنِيَّةٍ بَدِيعَةٍ كَأَنَّهَا أَمْرٌ وَقَعَ فِي الْمَاضِي.

المعنى: فَلَمَّا رَأَوْا مَا كَانُوا قَدْ وَعَدُوهُ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ؛ ظَهَرَتْ عَلَى وُجُوهِهِمُ الْكَابَةُ الدَّالَّةُ عَلَى اسْتِيَاءِ نَفْسِهِمُ الشَّدِيدِ مِمَّا هُمْ مُلَاقُوهُ مِنْ عَذَابٍ، وَقِيلَ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ السَّائِقَةُ لَهُمْ إِلَى النَّارِ بِعُنفٍ وَشِدَّةٍ: هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، وَكُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَأَنَّهُ لَا صِحَّةَ لِيَوْمِ الدِّينِ، وَلَا صِحَّةَ لِلْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَنْ يُعَجَّلَ لَكُمْ، إِغْلَامًا بِأَنَّهُ كَذِبٌ، وَأَنَّ نَبَأَهُ بَاطِلٌ.

«لَمَّا» حِينِيَّة، وَهِيَ ظَرَفٌ تَخْتَصُّ بِالْمَاضِي، وَيَكُونُ جَوَابُهَا فِعْلًا مَاضِيًا.

«زُلْفَةً» أَي: قُرْبًا، بِمَعْنَى «قَرِيبًا»، أُطْلِقَ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى مَا يَخْدُثُ مِنْهُ الْقَرَبُ.

• ﴿سَيَتَّ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أَي: ظَهَرَتْ الْكَابَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِهِ، وَهَذِهِ الْكَابَةُ تَكْشِفُ مَا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ اسْتِيَاءٍ شَدِيدٍ، وَخَوْفٍ مِنَ الْمَصِيرِ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ.

• ﴿بِهِ تَدْعُونَ﴾: أَي: تُكَذِّبُونَ بِهِ، وَتَدْعُونَ أَنَّهُ نَبَأٌ كَاذِبٌ.

• ﴿بِهِ تَدْعُونَ﴾: أَي: كُنْتُمْ تَدْعُونَ تَعْجِيلَهُ لَكُمْ، عَلَى سَبِيلِ التَّكْذِيبِ بِهِ، إِذْ كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ نَبَأً كَاذِبًا لَا صِحَّةَ لَهُ.

فِي التَّعْبِيرَيْنِ حَذَفَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى الْمَتَدَبَّرِ اكْتِشَافُهُ، بِمُسَاعَدَةِ الْقَرَائِنِ السَّابِقَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا تَعْلِيمَ رَسُولِهِ ﷺ بَعْدَ فَاصِلِ الْآيَةِ (٢٧):

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٨):

أَي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: يَا مَنْ تَتَمَنَّوْنَ مَوْتِي، وَقُلْتُمْ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ

الْمُنُونِ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنِّي وَمِنْ دَعْوَتِي وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَاتَّبَعُونِي؛ تَفَكَّرُوا لِيَتَرَوْا بِقَوْلِكُمْ إِنَّ آمَاتِي اللَّهُ وَأَمَاتَ الَّذِينَ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ رَحِمْنَا فَتَرَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى أَجَلِهِ الْمَقْدَرِ لَهُ، وَأَرَا حَكْمَ مَوْتُنَا مِنَّا؛ أَفِيَحْيِيكُمْ هَلَاكُنَا مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَهُوَ عَذَابٌ شَدِيدٌ أَلِيمٌ.

أخبروني: مَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ مُعَدٍّ لَهُمْ، وَيُعَذِّبُونَهُ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ اخْتِمَالِ تَعْذِيبِهِمْ عَذَابًا مُعْجَلًا فِي الدُّنْيَا، إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ ذَلِكَ؟!؟.

يقال لغة: «أَجَارَ فُلَانٌ فُلَانًا» أي: حَمَاهُ، وَحَفِظَهُ، وَوَقَاهُ، وَدَفَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَعْلِيمَ رَسُولِهِ ﷺ وَمَعَهُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ:

● ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩):

أي: قُلْ لِلْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ مِنَّا وَمِنْ دَعْوَتِنَا مَوْقِفَ الْعِدَاءِ وَإِرَادَةَ التَّخْلُصِ مِنَّا وَلَوْ بِالْقِتَالِ؛ اللَّهُ رَبُّنَا هُوَ وَحْدَهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي يَرْحَمُ أَوْلِيَائَهُ فَيَحْيِيهِمْ، وَيَرُدُّ كَيْدَ أَعْدَائِهِمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَنَحْنُ أَمَنَّا بِهِ الْإِيمَانَ الْمَطْلُوبَ مِنَّا، وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ تَوَكَّلْنَا لِيَرُدَّ عَنَّا كَيْدَ مَنْ يُرِيدُنَا بِسُوءٍ أَوْ ضُرٍّ أَوْ أَذًى.

وَأَنْتُمْ تَتَّهِمُونَنَا بِأَنَّنَا فِي ضَلَالٍ، فَسَتَعْلَمُونَ حِينَ يَنْزِلُ بِكُمْ عَذَابُ رَبِّكُمْ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِنَّكُمْ سَتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ مُنْعَمِينَ فِي ضَلَالٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَهَذَا الضَّلَالُ مُبِينٌ وَاضِحٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ التَّعْلِيمَ:

● ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠):

● ﴿غَوْرًا﴾: يُقَالُ لُغَةً: «مَاءٌ غَوْرٌ» أي: غَائِرٌ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ،

وصف بالمضدر.

• ﴿بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾: الماء المَعِينُ: هُوَ السَّهْلُ السَّائِلُ، والجاري سَاقِيَةً، أو نهراً.

أي: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ سَهْلٍ التَّنَاولِ، سَهْلٍ الْحُصُولِ عَلَيْهِ مِنَ الْآبَارِ، وَمِنْهُ أَنْهَرُ وَجَدَاوِلُ وَسَوَاقِي.

أخبروني: إِنَّ عَاقِبَتَكُمْ رَبُّكُمْ فَجَعَلَ مَاءَكُمْ غَائِراً فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ، فَأَصْبَحْتُمْ فَوَجَدْتُمُوهُ غَوِراً (أي: غَائِراً)؛ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ دُونِ رَبِّكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ، وَهُوَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ حَيَاتِكُمْ، لِأَنْفُسِكُمْ، وَلِدَوَابِّكُمْ، وَلِأَنْعَامِكُمْ، وَلِزُرُوعِكُمْ، وَلِأَشْجَارِكُمْ؟؟.

إِنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - يَأْتِي بِمَاءٍ مَعِينٍ، إِذَا جَعَلَ اللَّهُ الْمَاءَ غَائِراً فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ.

وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ انْتِزَاعُ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَأْتِيهِمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ، وَهَذَا مِنْ أَدِلَّةِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي يُلْزَمُ عَنْهُ عَقْلاً تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ، وَعِنْدَيْهِ يُلْزَمُهُمْ عَقْلاً نَبَذُ شُرَكِيَائِهِمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الملك)، وهو آخر السورة.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

ملحق: مُسْتَخَرَّجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الملك)

أَقْتَصِرُ فِي اسْتِخْرَاجَاتِ الْبَلَاغِيَّاتِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى مَا لَمْ يَتَكَرَّرْ فِي السُّورِ كَثِيراً، وَمِنْهَا مَا يَلِي:

أولاً:

مِنْ فُنُونِ الْمَنْهَجِ الْبَيَانِيِّ فِي الْقُرْآنِ؛ اسْتِثْقَاعِ النُّصُوصِ مِنْ أَرْمَانِهَا الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَعَرْضِهَا بِالْفَاطِمَةِ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ كَذَا فِيمَا يَأْتِي مِنْ أَحْدَاثٍ، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ فِي السُّورَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ رُؤْيَةِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ مَنَازِلَ عَذَابِهِمْ فِي الْجَحِيمِ:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾﴾: أي: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ وَتَدْعُونَ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ.

ثانياً:

مِنْ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ التَّنْوِيْعِ فِي الْبَيَانِ بَيْنَ الْخِطَابِ وَالْعَيْبَةِ، مَعَ أَنَّ الْبَيَانَ يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا، نَجِدُ هَذَا فِي الْآيَاتِ مِنْ (١٦ - ٢١): «أَأَمِنْتُمْ - أَمْ أَمِنْتُمْ - وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ - أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ - أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ».

ثالثاً:

مِنْ التَّشْبِيهِ الْمَكْنِيِّ؛ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَمِنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمِنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾﴾: شُبَّهَ الصَّالُّ بِالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، إِذْ رُمِزَ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهَا. وبهذا أُنْتَهِيَ مِنَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَةِ.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



سُورَةُ الْحَاقَّةِ

٦٩ مصحف ٧٨ نزول

وهي كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ بِلا خلاف

(١)

نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أُذْرِكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ
 ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾
 وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
 سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
 أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ
 فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ
 فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُورُ فِي الْجَارِيَةِ
 لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١١﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
 الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٢﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً
 فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٣﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
 وَاهِيَةٌ ﴿١٤﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ

٩ - • قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: [وَمَنْ قَبْلَهُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَنْ قَبْلَهُ].

٩ - • قرأ أبو جعفر: [بِالْخَاطِئَةِ]. وكذا قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بِالْخَاطِئَةِ].

١٢ - • قرأ نافع: [أُذُنٌ] بإسكان الدال.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أُذُنٌ] بِضَمِّ الدَّال.

ثُمَّ نَبِّئُكَ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي
مُلْكٌ حَسْبَاءِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي
الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٣) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ
أُوتِ كِتَابِي (٢٤) وَلَوْ أَدْرِي مَا حِسَابِي (٢٥) يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ
(٢٦) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي (٢٧) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي (٢٨) خُذُوهُ
فَعَلُوهُ (٢٩) ثُمَّ لَجِّمِ صَلْوَهُ (٣٠) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣١) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٢) وَلَا
يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٣) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٤) وَلَا
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٥) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٦) فَلَا أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٧) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
(٣٩) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤٠) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ

١٨ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [لَا يَخْفَى].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا تَخْفَى].

٤١ - • قرأ ابن كثير، ويعقوب، وابن عامر بخلف عن ابن ذكوان: [يُؤْمِنُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تُؤْمِنُونَ]. وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

٤٢ - • قرأ ابن كثير، ويعقوب، وابن عامر بخلف عن ابن ذكوان: [يَذْكُرُونَ] بياء

الغنية مع تشديد الدال.

وقراها حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذْكُرُونَ] بتخفيف الدال.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذْكُرُونَ] بقاء الخطاب وتشديد الدال، وهو

الوجه الثاني لابن ذكوان.

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا
 بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ
 ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
 الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
 الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ :

(٢)

مما ورد في السنة بشأن سورة (الحاقة)

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي
 الْفَجْرِ بِالْحَاقَّةِ وَنَحْوَهَا .

(٣)

موضوع سورة (الحاقة)

يَدُورُ الْبَيَانُ فِي سُورَةِ (الْحَاقَّةِ) حَوْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي جَاءَ نَبْؤُهُ فِي
 الْقُرْآنِ، وَأُمْتِلَةٌ مِنْ إِهْلَاكِ الْمَكْذِبِينَ بِهِ، وَبَعْضُ لَقَطَاتٍ مِّمَّا سَوْفَ يَجْرِي
 فِيهِ، وَالْقَسَمُ بِكُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ، مَعَ مُرَافَقَاتٍ تَفْصِيلِيَّةٍ قَضَتْ الْحِكْمَةَ الْبَيَانِيَّةَ ذِكْرَهَا .

(٤)

دروس سورة (الحاقة)

ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ يُمَكِّنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ :

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْآيَاتُ مِنْ (١ - ١٢) .

وفي آياتِ هذا الدَّرْسِ عَرَضُ إِهْلَاكِ بَعْضِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا سَوْفَ يَجْرِي فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الآيات من (١٣ - ٣٧).

وفي آياتِ هذا الدَّرْسِ بَيَانُ بَعْضِ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ قَبْلَ الْحِسَابِ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ يَوْمَ الدِّينِ مِنْ أَحْدَاثٍ كَوْنِيَّةٍ، وَبَعْدَهَا لَقَطَاتٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

الدرس الثالث: الآيات من (٣٨ - ٥٢) آخر السورة.

وفي آياتِ هذا الدَّرْسِ بَيَانُ يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى أَنْبَاءِ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دُرُوس سورة (الحاقة) الآيات من (١ - ١٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَعَثَرُوا مِنْ عُودَاهُمْ يَوْمَ الْعَارِجَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَمْلِكُوا يُرْبِعَ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَثَلَ خَاوِيَةٌ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَنَّفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَنَعَصَرُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُنْثَىٰ وَبِعِصْيَةِ (١٢) ﴿﴾

القراءات:

(٩) • قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: [وَمَنْ قَبْلَهُ].

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [وَمَنْ قَبْلَهُ].

(٩) • قرأ أبو جعفر: [بِالْخَاطِئَةِ]، وكذا قرأها حَمَزَةٌ فِي الْوَقْفِ.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [بِالْخَاطِئَةِ].

(١٢) • قرأ نافع: [أُذُنٌ] بِاسْكَانِ الدَّالِ.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [أُذُنٌ] بِضَمِّ الدَّالِ.

وهما لُعْتَان.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضٌ لِإِهْلَاكِ بَعْضِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا سَوْفَ يَجْرِي فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ التَّكْذِيبَ يَوْمَ الدِّينِ؛ هُوَ الْبَاعِثُ الْأَكْبَرُ لِانْطِلَاقِ الْإِنْسَانِ عَاتِيًا جَبَّارًا فَاجِرًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾:

• ﴿الْحَاقَّةُ﴾: اسْمُ «فَاعِلٍ» وَضِفًا لِمُؤَنَّثَةٍ مِنْ فِعْلٍ: «حَقَّ الْأَمْرُ، يَحِقُّ، حَقًّا، وَحَقَّةً، وَحَقُوقًا» أَي: ثَبَتَ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِيهِ، فَهُوَ أَمْرٌ وَقَعَ وَجُودًا أَوْ هُوَ وَقَعَ وَجُودًا، أَوْ سَيَقَعُ فِي الْوُجُودِ حَتْمًا بِلَا رَيْبٍ.

وَالْمُرَادُ بِلَفْظِ «الْحَاقَّةِ» هُنَا الْقِيَامَةُ وَأَحْدَاثُهَا وَكُلُّ مَا يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ مِنْ أُمُورٍ جِسَامٍ كُبْرَى، فَهِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ وَقَضَاهَا فِي خُطَّةِ الْوُجُودِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

• ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ عَظَمَةِ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَمَا يَجْرِي فِيهَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا بَعْدَ الْبُعْثِ.
أي: أَعْظَمُ مُتَعَجِّبًا أَتِيهَا الْمُتَفَكِّرُ الرَّشِيدُ؛ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ «الْحَاقَّةُ» مِنْ أَحْدَاثٍ وَكَائِنَاتٍ وَدَارٍ لِلْمُتَّقِينَ، وَأُخْرَى لِلْمُجْرِمِينَ، وَبُعْثٍ، وَحَشْرِ، وَحِسَابٍ، وَفَضْلِ قَضَاءٍ، وَتَنْفِيذِ جَزَاءٍ.

• ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾: «وَمَا أَدْرَاكَ» أي: وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ؟، فَلَفْظُ «مَا» اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَمَاهِيَّتِهِ، وَهِيَ جُمْلَةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ.

«مَا الْحَاقَّةُ»؟! أي: أَيَّةُ كَائِنَاتٍ وَأَحْدَاثٍ جَسَامٍ؛ سَوْفَ يَشْهَدُ الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ بَعْدَ الْبُعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَهِيَ جُمْلَةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ، هُوَ: «مَا» الاسْتِفْهَامِيَّةُ التَّعْجِيبِيَّةُ، وَخَبَرٍ هُوَ: «الْحَاقَّةُ».

وجملة «مَا الْحَاقَّةُ» فِي مَحَلِّ نَصْبٍ سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولَيْنِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا أَدْرَاكَ مُعْلِمًا إِيَّاكَ عَظَمَةَ الْحَاقَّةِ وَجَسَامَةَ أَحْدَاثِهَا.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي عِبَارَةِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ وَكَذَلِكَ نَظِيرُهُ فِي مِثْلِهَا؛ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى نَفْيِ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِمَا هُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَيْ: أَنْتَ لَا تَدْرِي مَهْمَا انْطَلَقَ بِكَ الْخَيَالُ فِي الْمَدَى الَّذِي بَلَغَتْهُ فِي الْعَظَمَةِ الْكُبْرَى: الْحَاقَّةُ، إِلَّا إِذَا أَعْلَمْنَاكَ بِذَلِكَ، أَوْ أَشْهَدْنَاكَ مَشَاهِدَهَا، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ عَلَى أَنَّ عَظَمَتَهَا فَوْقَ مَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ تَصَوُّرَهُ.

وقد تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِثْلُ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ حَتَّى صَارَ مَعْلُومًا أَنَّهُ أَسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْجِيبِ.

ولدى التحليل التَّدْبِيرِي يَظْهَرُ أَنَّهُ صِيغَةٌ مِنْ صِيغِ التَّعْجِيبِ الْقَرَأْنِيَّةِ الْمُبْتَكِرَةِ، ضَمَّنَ أَصُولَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ صِيغَتِي التَّعْجِيبِ وَالتَّعْجِيبِ: «مَا أَفْعَلَهُ!» و«أَفْعِلْ بِهِ!».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ
حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ
بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾:

جاء في الملحق الثالث لَتَدَبَّر سورة (النمل/ ٤٨ نزول) دراسة تكاملية
للنصوص القرآنية بشأن صالح عليه السلام، وقومه ثمود، وسبق في عِدَّة
مَوَاضِعٍ تَعْرِيفٌ بِصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِقَوْمِهِ، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ فِي الْمُلْحَقِ الثَّانِي لَتَدَبَّر سورة (هُود/ ٥٢ نزول) دِرَاسَةٌ تَكَامُلِيَّةٌ
لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ بِشَأْنِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمِهِ عَادَ، وَسَبَقَ فِي عِدَّةٍ
مَوَاضِعٍ تَعْرِيفٌ بِهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِقَوْمِهِ، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.
وَأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَحْلِيلِ فِقَرَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ.

• ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾﴾: الْقَارِعَةُ: سَبَقَ فِي سُورَةِ
(القارعة/ ٣٠) بَيَانُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَارِعَةِ الْقِيَامَةُ. وَأَصْلُ لَفْظِ «الْقَارِعَةُ» اسْمُ
«فَاعِلٍ»، مِنْ فَعَلَ «قَرَعَهُ، يَقْرَعُهُ»، بِمَعْنَى ضَرْبَهُ بِالْعَصَا، أَوْ بِالْمِقْرَعَةِ.

أَي: كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ: «ثَمُودُ» وَقَبِيلَةُ: «عَادٌ» بِالْقِيَامَةِ، فَكَذَّبُوا رَسُولِي
رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا بِمَا بَلَغَ كُلُّ مِنْهُمَا قَوْمَهُ، وَهُوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ
يُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ، فَاسْتَحَقَّ كُفَّارُ كُلِّ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مَا عَذَّبُهُمَا بِهِ وَأَهْلَكَهُمَا إِهْلَاكًا شَامِلًا سَاحِقًا مَاحِقًا،
فَأَبَادَهُمَا إِبَادَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمَا الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ يَتَأَلَوْنَهُ فِي الْآخِرَةِ.

• ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾: «الْفَاءُ» عَاطِفَةٌ عَظَمًا تَفْرِيعِيًّا
عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْقَارِعَةِ. وَ«أَمَّا» حَرْفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ وَالتَّوَكِيدِ دَائِمًا،
وَالْتَفْصِيلُ غَالِبًا، وَالتَّفْصِيلُ فِي هَذَا النَّصِّ وَاضِحٌ.

• ﴿فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾: أي: فَأَهْلِكُوا بالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ الَّتِي تَجَاوَزَتْ غَايَةَ الصَّيْحَاتِ الْمُعْتَادَاتِ اللَّاتِي لَا تُهْلِكُ، وَطَعَتْ حَتَّى صَارَتْ صَيْحَةً مُهْلِكَةً.

وَدَلَّ عَلَى أَنَّ «الطَّاغِيَةَ» أُريدَ بِهَا الصَّيْحَةُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول) بِشَأْنِهِمْ:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

• ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَمْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ﴾ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ حَاقِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾:

• ﴿بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ﴾: الرِّيحُ الصَّرْصَرُ هِيَ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْبُرُودَةِ، الْقُوَّةُ السَّرِيعَةُ، الَّتِي تَضْطَرِّدُ بِالْأَشْيَاءِ، فَتَنْطَلِقُ بِهَا أَصْوَاتٌ يَتَوَاتَرُ فِيهَا مَا يُشْبِهُ حَرْفِي الصَّادِ وَالرَّاءِ، فَسُمِّيَتْ صَرْصَرًا.

• ﴿عَلَيْهِ﴾: أي: طَاغِيَةٌ مُتَجَاوِزَةٌ حُدُودَ السَّلَامَةِ وَالِاخْتِمَالِ، فَهِيَ مُدْمَرَةٌ.

• ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: سَخَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الرِّيحَ الصَّرْصَرَ مُسَلَّطَةً عَلَيْهِمْ لِتُعَذِّبَهُمْ وَإِهْلَاكِهِمْ.

التَّسْخِيرُ: جَعْلُ الشَّيْءِ مُطَاوِعًا لِمَا يُرَادُ مِنْهُ، ضِمْنُ قَانُونٍ تَسْخِيرِهِ.

• ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾: أُطْلِقَ الْيَوْمُ وَأُرِيدَ بِهِ النَّهَارُ.

وَبِالتَّأَمُّلِ الْحِسَابِيِّ نُنْذِرُكَ أَنَّ هَذَا التَّسْخِيرَ بَدَأَ مَعَ فَجْرِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، وَاسْتَمَرَ حَتَّى غُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ الثَّامِنِ، فَتَكُونُ بَيْنَهُمَا سَبْعُ لَيَالٍ.

• ﴿حُسُومًا﴾: أي: مُتَتَابِعَةً مُتَوَالِيَةً فِي أَنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَمِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْسِمَ مَا دَتَّهُمْ وَتَسْتَأْصِلَهُمْ.

أَضْلُ الْحَسَمِ: القَطْعُ. يُقَالُ لُغَةً: «حَسَمَ الْعِرْقُ» أَي: قَطَعَهُ وَكَوَاهُ،
لِتَلَّا يَسِيلَ الدَّمُ مِنْهُ.

وَلَفْظُ: «حُسُومٌ» هُوَ جَمْعُ «حَاسِمٍ»، مِثْلُ «شَاهِدٍ» وَ«شُهُودٍ».

• ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: أَي: فَتَرَى أَيْهَا الرَّائِي لَوْ كُنْتَ شَهِدْتَ
إِهْلَاكَهُمْ فِي الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ذَوَاتِ الرِّيحِ الْحُسُومِ كُفَّارَ عَادٍ صَرْعَى، أَي: هَلَكَى.
• ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلِ خَاوِيَةٍ﴾: أَي: كَأَنَّهُمْ أَصُولُ نَخْلٍ فَارِغَةٍ، شُبِّهُوا
بِهَا لِتَصَوِيرِ حَالَةِ بَطُونِهِمُ الَّتِي بُقِرَتْ وَخَرَجَ مَا فِيهَا، فَصَارَتْ خَاوِيَةً.

• ﴿... فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾: أَي: فَهَلْ تَرَى لَهُمْ أَيْهَا
الْبَاحِثُ عَنْهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ آثَارِ بَاقِيَةٍ تَذُلُّ عَلَى مَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ بِهِ
عَلَى النَّاسِ؟؟، لَقَدْ صَارَ كُلُّهُ مُتَبَرِّأً تَتَبَرَّأً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ الْمُهْلِكِينَ مِنَ الْأُمَمِ

السَّالِفَةِ:

• ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ ٩ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ
أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ ١٠:

• ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾: أَي: وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَ عَادٍ وَثَمُودَ.
وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [وَمَنْ قَبْلَهُ]: أَي: وَمَنْ هُمْ فِي جِهَةِ فِرْعَوْنَ،
وَيُطْعِمُونَهُ وَيَتَّبِعُونَهُ، فَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

• ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾: هِيَ قُرَى قَوْمٍ لُوِطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمُرَادُ أَهْلُهَا.
وَالْمُؤْتَفِكَاتُ جَمْعُ: مُؤْتَفِكَةٍ أَي: الْمُنْقَلَبَةِ. الْإِثْنَاكَ: عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ:
الْإِنْقِلَابُ.

• ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: أَي: بِالْأَعْمَالِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ وَأَنْوَاعِ السُّلُوكِ
الَّتِي تُوصَفُ بِأَنَّهَا خَاطِئَةٌ. يُقَالُ لُغَةً: «خَطِئْتُ، يَخْطِئُ، خَطَأً، وَخَطَأً» أَي:
أَذْنَبَ وَعَصَى، وَمَجِيئُهُمْ بِالْخَاطِئَةِ إِذَانَةٌ لَهُمْ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الْكُبْرَى.

أي: وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ ذُنُوبًا كُتِبَ عَلَيْهِمْ يَسْتَحِقُّونَ بِسَبَبِهَا أَنْ يُعَذَّبُوا وَيُهْلَكُوا.

• ﴿فَقَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: تَفْرِيعٌ عَلَى كَوْنِهِمْ جَاءُوا بِالْخَاطِئَةِ، وَبَيَانٌ لَذَنْبِهِمُ الْكَبِيرِ.

أي: فَعَصَى كُلُّ قَوْمٍ مِنْهُمْ رَسُولَ رَبِّهِمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ لِعِبَادِهِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿... فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠): أي: فَاقْبَضَ رَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ الْكُبْرَى لِتُعَذِّبَهُمْ وَإِهْلَاكِهِمْ قَبْضَةً زَائِدَةً فِي شِدَّتِهَا وَعُنْفِهَا، نَامِيَةً فِي مَظْهَرِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَى إِهْلَاكِ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالطُّوفَانِ:

• ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمُ نَذِيرَةً وَنَعِيماً أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾:

أي: إِنَّا لَمَّا بَدَأْنَا تَنْفِيدَ مَا قَدَرْنَاهُ مِنْ طُغْيَانِ الْمَاءِ فَوْقَ كُلِّ حُدُودِ السَّلَامَةِ لِمَنْ هُمْ عَلَى الْأَرْضِ، لِإِهْلَاكِ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالطُّوفَانِ؛ حَمَلْنَاكُمْ دَاخِلَ ظُهُورِ أَجْدَادِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فِي السَّفِينَةِ الْجَارِيَةِ، الَّتِي صَنَعَهَا نُوحٌ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا، لِنُنَجِّيهِ وَنُنَجِّيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ.

دَلَّ هَذَا الْخِطَابُ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ عَلَى أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنَحْدِرُونَ مِنَ الَّذِينَ رَكِبُوا مَعَهُ فِي الْفُلِّ، وَدَلَّ نَصُّ آخِرِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ مِنْ بَعْدِ الطُّوفَانِ، فَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمُ نَذِيرَةً﴾: أي: لِنَجْعَلَ لَكُمْ نَجَاةَ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَنَجَاةَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي الْفُلِّ؛ قِصَّةَ تَارِيخِيَّةٍ تُذَكِّرُ بِمَا فَعَلْنَا مِنْ إِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا بِعُنَادِهِمْ وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ الْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ،

وَبِمَا فَعَلْنَا مِنْ تَنْجِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ أَنْزَلْنَاهُمْ مَنْرًا مَّبَارَكًا، عَقِبَ انْتِهَاءِ
الْغَرَضِ مِنْ حَادِثَةِ الطُّوفَانِ.

«تَذْكِرَةٌ»: مَصْدَرُ فِعْلِ «ذَكَرَ». وَاسْتُعْمِلَ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ،
أَي: مُذَكِّرَةٌ. وَالتَّذْكِيرُ: إِعَادَةُ الْفِكْرَةِ أَنَا فَاثًا لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

• ... وَتَعْبَهُ أَذُنٌ رَئِيسَةٌ ﴿١٣﴾: أُطْلِقَتِ الْأُذُنُ وَأُرِيدَ بِهَا جِهَازُ
السَّمْعِ، لِأَنَّ الْأُذُنَ أَدَاءٌ تَوْصِيلِ الْمُسْمُوعَاتِ إِلَى مَرْكَزِ السَّمْعِ فِي الدِّمَاغِ،
وَهُوَ مِنَ النَّفْسِ.

أَي: وَلِتُذَكِّرَكَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا نَفْسٌ وَاعِيَةٌ، وَلِتَحْفَظَهَا
وَتَفْهَمَهَا وَتَعْمَلَ بِمُقْتَضَى دَلَالَتِهَا.

يُقَالُ لُغَةً: «وَعَى فُلَانٌ الْأَمْرَ» أَي: أَدْرَكَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

وَيُقَالُ: «وَعَى فُلَانٌ الْحَدِيثَ» أَي: حَفِظَهُ، وَفَهِمَهُ، وَقَبِلَهُ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الحاقة).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِه.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الحاقة)

الآيات من (١٣ - ٣٧)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِبَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا
وَيَحِيلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِينَ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا
مَنْ أَوْفَى كِتَابًا بِإِسْمِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴿١٩﴾ إِنِّي طَلَنْتُ أَنْفِي مُلْكِي حِسَابِيَّةً ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا

بِمَا أَسْأَلْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةٍ ﴿٢٥﴾ وَلَرَأُوتَ مَا حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنِيهَا كَأَنَّ الْفَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَخْفَى عَنِّي مَا إِلَيْهِ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرُ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ تَرُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ :

القراءات:

(١٨) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [لَا يَخْفَى].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا تَخْفَى].

تمهيد:

في آياتِ هذا الدرس بيانُ بعضِ ما سوف يحدثُ قبلَ الحسابِ، وفَضْلُ القضاءِ يَوْمَ الدينِ مِنْ أَعْدَاتٍ كَوْنِيَّةٍ، وَبَعْدَهَا لَقَطَاتٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَإِذَا يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ :

الصُّورُ: مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ، إِحْدَى جِهَتَيْهِ فُتْحَةٌ دَائِرِيَّةٌ ضَيِّقَةٌ، وَالْأُخْرَى وَاسِعَةٌ جِدًّا وَبَاطِنُهُ فَارِعٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ، فَيُضْدِرُّ صَوْتًا بِحَسَبِ قُوَّةِ النَّفْخِ، وَلَهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فِيهِ نَفْخَةً إِنَّهَا طُرُوفُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فِيهِ نَفْخَةُ الْبَعْثِ.

والمشهور أن اسمَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ:

«إسرافيل»، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ، بَلْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ وَصَفَهُ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ بِالضَّعْفِ.

• ﴿ذَلِكُنَا ذِكَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾: الذِّكُّ: الدَّقُّ والدَّفْعُ حَتَّى تَسْوِيَةَ الْمَذْكُوكِ
بالأَرْضِ، أي: فَتَدُقُّ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الَّتِي عَلَيْهَا، حَتَّى تَكُونَ كَالْبَسَاطِ
الْمَنْشُورِ.

• ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحْدَاثَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ:
الوَاقِعَةُ، أي: وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ الْعَظِيمَةُ جِدًّا، وَوُقُوعُهَا: وَجُودُ أَحْدَاثِهَا فِي
الْوَقَاعِ.

المعنى: فَحِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ النَّفْحَةُ الثَّانِيَةُ نَفْحَةُ
الْبَعْثِ، وَسَبَقَهَا أَنْ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُقَّتَا دَقَّةً وَاحِدَةً لِيَجْعَلَ سَطْحُ
الْأَرْضِ سَطْحًا مُسْتَوِيًّا مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، لَا ارْتِفَاعَ فِيهَا وَلَا
انْخِفَاضَ، وَلَا عِوَجَ، تَهْنِئَةً مُنَاسِبَةً لظُهُورِ الْأَحْيَاءِ الْمَبْعُوثَةِ عَلَى سَطْحِهَا
ظُهُورًا تَامًا مُنْكَشِفًا؛ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ الْوَاقِعَةُ الْعُظْمَى قَدْ بَدَأَتْ تَتَابَعُ
أَحْدَاثُهَا، فَيُبْعَثُ الْأَحْيَاءُ، وَيُخْشَرُونَ، وَيُمَيِّزُ الْمُجْرِمُونَ عَنِ الْمُتَّقِينَ،
وَتُوزَعُ كُتُبُ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ تَقُومُ مَحْكَمَةُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَفِي آخِرِهَا
يُسَاقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا، وَيُسَاقُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ إِلَى
دَارِ الْعَذَابِ زُمَرًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ بَعْضِ أَحْدَاثِ الْوَاقِعَةِ الْعُظْمَى:

• ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾:

انْشِقَاقُ السَّمَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ نِظَامَ الْجاذِبِيَّةِ الَّتِي
هِيَ مِنْ أَمْرِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَالَّتِي تُمَسِّكُ أَجْرَامَهَا فِي مَوَاقِعِ مَسِيرَاتِهَا فِي
أَفْلَاكِهَا، فَإِذَا رَفَعَ الْجاذِبِيَّةَ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ وَأَخَذَتْ أَجْرَامُهَا تَبْتَعِدُ عَنْ
مَسِيرَاتِهَا، وَهَذَا تَمْهِيدٌ لِتَبْدِيلِ يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ، بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ
وَخَلْقِهِ، كَمَا يَحْدُثُ تَبْدِيلُ آخَرُ فِي الْأَرْضِ.

• ﴿... فِي يَوْمٍ ذُو مَعَادٍ﴾: أي: فالسَّمَاءُ حِينَ انْشِقَاقِهَا تَكُونُ ضَعِيفَةً التَّمَّاسُكِ، يُقَالُ لُغَةً: «وَهِيَ الْحَائِطُ» أَي: تَشَقَّقُ وَهَمَّ بالسُّقُوطِ.

لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمَسِّكُ بِأَجْرَامِهَا، وَيَجْعَلُ لَهَا نِظَاماً آخَرَ غَيْرَ النِّظَامِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

• ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: الأَرْجَاءُ: الأنحاءُ، أي: وَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ مُوزَّعِينَ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ وَأَنْحَائِهَا بَعْدَ انْشِقَاقِهَا، «ال» فِي الْمَلِكِ: للجنس، فَيُعْمُ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ.

• ﴿... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾: أي: وَيَحْمِلُ الْعَرْشَ مِنْ فَوْقِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوزَّعِينَ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ. وَدَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ كُلِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾: أي: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ أَيُّهَا الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ عَلَى رَبِّكُمْ، لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فِي نَفْسِكُمْ وَصُدُورِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، حَتَّى مَا كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ.

هَذِهِ وَاقِعَةُ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانٌ بَعْضِ أَحْدَاثِ الْوَاقِعَةِ الْعَظْمَى بِشَأْنِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ:

• ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءِ﴾ (٢٠) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾ (٢٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ﴾ (٢٤):

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَضُفَّ حَالِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِإِيمَانِهِمْ، بِشَارَةِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.

• ﴿أَمَّا﴾: حَرَفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ والتوكيدِ دائماً، ومعنى التفصيل غالباً كما هنا.

• ﴿هَآؤُمْ﴾: «ها» اسم فعل أمر بمعنى «خُذْ»، والهمزة جَرَى تَصْرِيفُهَا تَصْرِيفَ كَافِ الْخِطَابِ فِي «هَآكُم»، والميم علامة الجمع.

الهاء في ﴿كَلِمَةٍ﴾ وفي ﴿حِسَابَةٍ﴾ هي «هَاءُ» السَّكْتِ، وَهِيَ هُنَا مِنْ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُجْلَبُ لِأَخْرِ الْكَلِمَةِ فِيهَا هَاءُ السَّكْتِ جَوَازاً غَالِباً، وَوُجُوباً فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، عَلَى مَا ذَكَرَ النُّحَاةُ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْوَقْفِ.

• ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: الْعِيشَةُ: الْحَيَاةُ، يُقَالُ لُغَةً: «عَاشَ، يَعِيشُ، عَيْشاً، وَعِيشَةً، وَمَعِيشاً، وَمَعَاشاً، وَعَيْشُوشَةً».

رَاضِيَةٌ: الرِّضَا: هُوَ الشُّعُورُ بِالْإِذْنِ، وَالْإِكْتِفَاءِ، وَالْقَبُولِ، وَتَحْقِيقِ الْمَطْلُوبِ، أَوْ إِدْرَاكَ ذَلِكَ فِي النَّفْسِ.

وَجَاءَ وَصْفُ الْعِيشَةِ بِأَنَّهَا رَاضِيَةٌ مَعَ أَنَّ الرَّاضِيَّ صَاحِبُهَا؛ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ، بِنِسْبَةِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ مِنْ عِلَاقَاتِ الْمَجَازِ، وَهِيَ هُنَا عِلَاقَةُ الشَّيْءِ بِصَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ رَاضِياً كَانَتْ حَيَاتُهُ رَاضِيَةً سَعِيدَةً.

• ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةٍ﴾: كَانَ هَذَا الْمُؤْمِنُ يَتَرَدَّدُ فِكْرُهُ بَيْنَ ظَنَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ يُحَاسَبَ عَلَى خَطَايَاهُ، وَالظَّنُّ الْآخَرُ أَنَّ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ خَطَايَاهُ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

فَلَمَّا وَجَدَ أَنَّهُ فِي زُمْرَةِ الَّذِينَ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ قَالَ: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةٍ، وَظَنَنْتُ أَنَّ يُدْخِلَنِي اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيَّ.

وَيُلْحَقُ بِهِ مَنْ يُحَاسِبُهُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَغْفُو اللَّهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ

يُطَهِّرُهُ بَشِيْرٌ مِّنَ الْعُقَابِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ فِي جَنَّتِهِ، فَيَجْعَلُهُ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ.
وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ هَذَا فَيُحَاسِبُهُ اللَّهُ كَمَا ظَنٌّ وَلَا يَكُونُ
مِنَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

• ﴿فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾: أي: فِي جَنَّةٍ مُّرْتَفَعَةٍ هِيَ قِسْمٌ مِّنْ أَقْسَامِ
الْجَنَّةِ الْعَظْمَى، الَّتِي يُعْتَبَرُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا جَنَّةً مُتَّكِمِلَةً الصِّفَاتِ الْمُسَعِدَةِ
لِأَصْحَابِهَا.

• ﴿فُتُوْفُهَا دَانِيَةٌ﴾: أي: ثِمَارُ أَشْجَارِهَا قَرِيبَةٌ مِنْ قَاطِفِيهَا.

فُتُوْفٌ: جَمْعُ «قُظِفٍ»، وَهُوَ مَا يُقْطَفُ مِنَ الثَّمَرِ.

دَانِيَةٌ: أي: قَرِيبَةٌ، يُقَالُ لُغَةً: «دَنَا مِنْهُ، وَدَنَا إِلَيْهِ، وَدَنَا لَهُ، يَدْنُو،
دُنُوًا، وَدَنَاوَةً» أي: قَرُبَ، فَهُوَ دَانٍ، وَهِيَ دَانِيَةٌ.

• ﴿هَنِيئًا﴾: أي: سَائِغًا لَذِيذًا.

المعنى: وَيُعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ
الْامْتِحَانِ كُتُبُ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي أَسْلَفُوهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ:

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ مُبْتَهْجًا فَرِحًا لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَعَارِفِهِ
فِي الْمَوْقِفِ؛ هَاكُمُ افْرُؤُوا كِتَابِي، فَقَدْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ خَطَايَايَ، وَسَيَدْخُلُنِي
الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، أَوْ سَيَحَاسِبُنِي حِسَابًا يَسِيرًا، أَوْ يُطَهِّرُنِي تَطْهِيرًا غَيْرَ
شَدِيدٍ.

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّي سَأَلَا قِي حِسَابًا مُشَدَّدًا أَنَا قَشُ فِيهِ عَلَى كُلِّ خَطَايَايَ
الْكُبْرَى، لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ سَيُجْزَى بِحَيَاةٍ يَكُونُ فِيهَا رَاضِيًا رَضَى تَامًا
فِي جَنَّةٍ مُّرْتَفَعَةٍ فِي اتِّجَاهِ وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَهَذِهِ الْجَنَّةُ تَكُونُ ثِمَارُ أَشْجَارِهَا
قَرِيبَةً مِنْ قَاطِفِيهَا.

وَتَقُولُ لَهُ وَلِنُظَرَائِهِ مَلَائِكَةٌ يَكْلِفُونَ أَنْ يُكْرِمُوهُمْ: كُلُوا مَا يَطِيبُ وَيَلَذُّ لَكُمْ مِنْ مَأْكُولٍ، وَاشْرَبُوا مَا يَطِيبُ لَكُمْ وَيَلَذُّ مِنْ مَشْرُوبٍ سَائِغًا لَذِيذًا هَنِئًا بِسَبَبِ مَا أَسْلَفْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ رَضِيَ اللَّهُ بِهَا عَنْكُمْ، لِأَنَّكُمْ عَمِلْتُمُوهَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ الْمَاضِيَةِ، إِذْ كُنْتُمْ فِي رِحْلَةِ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ بَعْضِ أَحْدَاثِ الْوَاقِعَةِ الْعَظْمَى بِشَأْنِ أَصْحَابِ الشَّمَالِ:

• ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَّةً﴾ (٢٥) ﴿وَلَمْ أَدِرْ مَا حِسَابِي﴾ (٢٦) ﴿يَلْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) ﴿خَذُوهُ قُلُوبُهُ﴾ (٣٠) ﴿ثُمَّ لَجِجَ صُلُوبُهُ﴾ (٣١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوْثِقُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا يَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧):

«الهاء» في: ﴿كِتَابِيَّةٌ﴾ وفي: ﴿حِسَابِيَّةٌ﴾ وفي: ﴿مَالِيَّةٌ﴾ وفي: ﴿سُلْطَانِيَّةٌ﴾ هي «هاء» السُّكُوت.

• ﴿يَلْتَنِي﴾: تَمَنُّ مَعَ تَفْجُعٍ وَتَحَسُّرٍ وَخَوْفٍ شَدِيدٍ.

• ﴿يَلْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾: أَي: يَا لَيْتَ الْمَوْتَةَ الَّتِي مِثُّهَا بَعْدَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ كَانَتْ الْمَوْتَةَ الْقَاضِيَةَ عَلَى وُجُودِي قَضَاءً أَبَدِيًّا، وَيَا لَيْتَنِي لَمْ أُبْعَثْ.

• ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾: السُّلْطَانُ: يَأْتِي بِمَعْنَى الْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ، وَبِمَعْنَى الْحِجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَبِمَعْنَى الْمُلْكِ وَالْوِلَايَةِ عَلَى النَّاسِ.

وَهَذَا الْبَائِسُ الْحَزِينُ الصَّائِرُ إِلَى عَذَابٍ جَهَنَّمَ؛ يَقُولُ بِحَسَبِ حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ؛ قَالَ: فَنِي

مُتَّبِعِدَا عَنِّي كُلِّ مَا كَانَ لِي مِنْ قُوَّةٍ وَقَهْرٍ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَبَّةِ
وَالْجَدَلِ قَالَ: فَنِي مُتَّبِعِدَا عَنِّي كُلِّ مَا كُنْتُ أَحَاجُّ بِهِ وَأَجَادِلُ، فَقَدْ ظَهَرَ
الْحَقُّ لِلْعِيَانِ، وَأَسَكَّتِ الْوَاقِعُ كُلَّ لِسَانٍ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُلْكِ
وَالْوَلَايَةِ عَلَى النَّاسِ قَالَ: فَنِي مُتَّبِعِدَا عَنِّي مُلْكِي، وَصِرْتُ كَأَقْلُ النَّاسِ
وَأَضْعَفِهِمْ مَنُوبُذًا، لَا أَحَدٌ يَعْجُبُ بِأَمْرِي أَوْ نَهْيِي، بَلَّ الْجَمِيعُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ
نَظَرَ اخْتِقَارٍ وَإِهَانَةٍ وَإِذْلَالٍ.

• ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ الْمَأْمُورِينَ
بِتَغْذِيهِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي: خُذُوهُ فَاجْعَلُوا الْغُلَّ مُحِيطًا بِرَقَبَتِهِ، الْغُلُّ:
طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ جِلْدٍ، يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْأَسِيرِ وَنَحْوِهِ، أَوْ فِي يَدَيْهِ، وَقَدْ
تُجْمَعُ يَدُ الْمَغْلُولِ إِلَى عُنُقِهِ وَتَطَوَّقَانِ بِالْغُلِّ، وَتُعَقَّدُ بِالْغُلِّ سِلْسِلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ
أَوْ غَيْرِهِ لِحَبْرِهِ بِذَلِكَ.

يُقَالُ لُغَةً: «غَلَّهُ، يَغْلُهُ» أي: وَضَعَ الْغُلَّ فِي عُنُقِهِ، أَوْ يَدِهِ.

• ﴿ثُمَّ لَنَجْجِمْ صَلْوَهُ﴾ (٣١): أي: ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَمَرُّوا بِهِ مَغْلُولًا مُهَانًا فِي
أَرْضِ الْمَحْشَرِ؛ أَدْخَلُوهُ فِي الْجَحِيمِ لِيَحْتَرِقَ بِنَارِهَا.
يُقَالُ لُغَةً: «أَضْلَاهُ النَّارَ، وَأَضْلَاهُ بِهَا وَفِيهَا، وَكَذَلِكَ صَلَّاهُ» أي:
أَدْخَلَهُ فِي النَّارِ لِيَحْتَرِقَ بِلَهَبِهَا وَبِجَمْرِهَا.

• ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢): يُقَالُ لُغَةً: «سَلَكَ
الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ» أي: أَدْخَلَهُ فِيهِ وَجَعَلَهُ يَغْبِرُهُ، وَإِذْخَالَ هَذَا الْكَافِرِ
الْمُعَذَّبِ فِي السِّلْسِلَةِ؛ يَجْعَلُنَا نَذْرُكُ أَنَّهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ، فَهِيَ
أَنْبَابُ حَدِيدِيَّةٌ مَوْصُولٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَفَقْ نِظَامِ السَّلَاسِلِ، فَهِيَ تَتَحَرَّكُ مِثْلَ
تَحَرُّكِ السَّلَاسِلِ، وَتُحْمَى فِي الْجَحِيمِ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ، وَيُسَلَّكُ الْمُعَذَّبُ فِي
هَذِهِ الْأَنْبَابِ الْمُحَمَّاةِ زِيَادَةً فِي تَغْذِيهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «ذَرَعَ الثُّوبَ وَنَحْوَهُ، ذَرْعًا» أي: قَاسَهُ بِالذَّرْعِ، فَمَعْنَى:
﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: قِيَاسُهَا مِقْدَارُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا.

• ﴿إِنَّمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾:

أي: إِنَّهُ كَانَ جَاحِدًا كُنُودًا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ رَبِّهِ الْمُمِدُّ لَهُ بِالنَّعْمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا جُحُودًا، وَقَدْ كَانَ مُسْتَقِينًا فِي قَلْبِهِ بِالْحَقِّ، لَكِنَّهُ كَانَ جَحُودًا بِإِرَادَتِهِ الْحَرَّةِ الْمُخْتَارَةِ، وَاسْتَمَرَّ طَوَالَ حَيَاةِ امْتِحَانِهِ كَافِرًا كُفِرَ جُحُودٌ حَتَّى جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ كَافِرٌ.

وَكَانَ قَاسِي الْقَلْبِ جَافَّ الْعَاطِفَةِ تُجَاهَ الْبَائِسِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، فَلَا يَمُدُّ يَدَ الْعَوْنِ لَهُمْ، وَلَا يَحْضُ النَّاسَ بِلسَانِهِ عَلَىٰ إِطْعَامِ الْمَسْكِينِ الْجَائِعِ.

• ﴿فَلَيْسَ لَهُ آيِمٌ هَهُنَا حِمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾: أي: فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَوْمُ

الدِّينِ، هَهُنَا فِي دَارِ عَذَابِهِ فِي جَهَنَّمَ؛ قَرِيبٌ يَعْطِفُ عَلَيْهِ، أَوْ يُوَاسِيهِ بِمَشَاعِرِ أَلَمٍ، إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْمَشَاعِرَ.

الْحَمِيمُ: الْقَرِيبُ الَّذِي تَوَدُّهُ وَيَوَدُّكَ. إِنَّ الْقَرَابَاتِ وَالْمَوَدَّاتِ وَالصَّدَاقَاتِ؛ تَنْقَلِبُ إِلَى عَدَوَاتٍ إِذَا كَانَ أَصْحَابُهَا كُفَرَاءَ، فَلَا يَشْفُقُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى قَرِيبِهِ وَلَا خَلِيلِهِ.

• ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴿٣٦﴾﴾: أي: وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ لَيْسَدٌ

جُوعُهُ فِي الْجَحِيمِ؛ إِلَّا صِنْفٌ طَعَامِ سَيِّئٍ كَرِيهِ يُضْطَرُّ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهُ، سَمَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «غَسْلِينًا»، وَلَمْ يَأْتِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَصْفٌ لِنَوْعِ هَذَا الطَّعَامِ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُحَدِّدَهُ بِمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ، وَحَسَبْنَا أَنَّ نَفْهَمَ أَنَّهُ طَعَامٌ غَيْرُ مُسْتَسَاغٍ، بَلْ هُوَ سَيِّئٌ كَرِيهُ تَنْفَرُ مِنْهُ الْأَذْوَاقُ، فَإِذَا اضْطُرَّ الْمَعْدَبُ إِلَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ أَكَلَ مِنْهُ وَهُوَ كَارِهٌ، يَتَعَذَّبُ بِأَكْلِهِ مِنْهُ، إِذْ أَلَمَ الْجُوعِ أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ الْأَكْلِ مِنْهُ.

• ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾: أي: لَا يَأْكُلُ مِنْ غَسْلِينَ فِي

الْجَحِيمِ إِلَّا الْمُذْذِبُونَ ذُنُوبًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ. يُقَالُ لُغَةً: «خَطِيءٌ، يَخْطَأُ، خَطَأً، وَخَطَأٌ» أي: أَذْنَبَ عَنْ عَمْدٍ.

وأرى أن «غسليناً» أهونُ أكلًا من طلع شجرة الزقوم التي تنبت في أضل الجحيم، ويضطرُّ إلى الأكل منها كبار المجرمين، وأشدُّ من الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الحاقة).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، وميته، وفتحِه.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الحاقة) الآيات من (٣٨ - ٥٢) آخر السورة

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَلَا أَقِمْ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ
لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَحَقُّ
الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ :

القراءات:

(٤١) • قرأ ابن كثير، ويعقوب، وابنُ عامر بخلفٍ عن ابن ذكوان: [يُؤْمِنُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تُؤْمِنُونَ]، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٤٢) • قرأ ابن كثير، ويعقوب، وابنُ عامر بخلفٍ عن ابن ذكوان: [يَذْكُرُونَ]، بياء الغيبة مع تشديد الذال.

وقرأها حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ]، بِتَخْفِيفِ الدَّالِ.

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [تَذَكَّرُونَ]، بقاء الخطاب، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان مع تشديد الدال.

تَمْهِيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى أَنْبَاءِ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْقُرْآنِ:

• ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِّرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾:

• ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِّرُونَ ﴿٣٩﴾﴾:

في القاعدة «العشرين» مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيَّ، فِي كِتَابٍ: «قَوَاعِدُ التَّدْبِيرِ الْأَمْثَلِ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»؛ ظَهَرَ لِي أَنَّ الْقَسَمَ الْمُنْفِيَّ فِي الْقُرْآنِ بِحَرْفِ النَّفْيِ «لَا» هُوَ أَسْلُوبٌ بَيَانِيٌّ مُبْتَكَّرٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَوْضُوعَ الَّذِي يُرَادُ تَوْكِيدُهُ بِوَاسِطَةِ الْقَسَمِ بِالْمُقْسَمِ بِهِ الْمَخْتَارِ مَعَ حَالِ الْمُخَاطَبِينَ يَفْتَضِي اقْتِضَاءَيْنِ:

• أَحَدُهُمَا يَسْتَدْعِي الْبَيَانَ فِيهِ: الْقَسَمُ بِالْمُقْسَمِ بِهِ الْمَخْتَارِ لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ الَّذِي هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ.

• وَالْآخَرُ يَسْتَدْعِي الْبَيَانَ فِيهِ عَدَمَ الْقَسَمِ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُونَ

الْمُقْسَمِ لَهُمْ؛ يَجْهَلُونَ قِيَمَةَ الْمُقْسَمِ بِهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنَ الْقَسَمِ تَوْكِيداً.

لَكِنْ قَدْ يَأْتِي وَلَوْ بَعْدَ قُرُونٍ؛ مَنْ يَصِلُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ قِيَمَةِ الْمُقْسَمِ بِهِ، بِوَسَائِلِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ.

فَكَانَ الْحَلُّ الْمَبْتَكَّرُ فِي أَسَالِيبِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ اخْتِيَارَ أُسْلُوبِ ذِكْرِ لَفْظِ «الْقَسَمِ»، وَذِكْرِ «الْمُقْسَمِ بِهِ» تَنْبِيهاً عَلَيْهِ، مَعَ سَبْقِهِ بِأَدَاةِ النْفِي، كَمَا فِي النَّصِّ هُنَا.

إِنَّ الْمَخَاطِبِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ الَّذِينَ يُرَادُ تَوْكِيدُ الْخَبَرِ لَهُمْ، وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَا يَعْرِفُونَ قِيَمَةَ مَا لَا يُبْصِرُونَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كَوْنِهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ قِيَمَةَ كَثِيرٍ مِمَّا يُبْصِرُونَ، فَلَوْ قِيلَ لَهُمْ: أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ؛ لَقَالُوا: وَمَاذَا فِيمَا لَا تُبْصِرُ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ حَتَّى يَكُونَ صَالِحاً لِلْقَسَمِ بِهِ؟! لَكِنْ تَوَصَّلَ عُلَمَاءُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي الْكُوْنِيَّاتِ؛ إِلَى اكْتِشَافِ أَنَّ مَا لَا يُبْصِرُهُ النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ مِنْ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ أَعْظَمُ إِبْدَاعاً وَإِتْقَاناً وَإِذْهَاشاً مِمَّا يُبْصِرُونَ، وَهَؤُلَاءِ يُذَرِّكُونَ قِيَمَةَ الْقَسَمِ بِمَا لَا يُبْصِرُ النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنَ الْقَسَمِ تَوْكِيداً، فَحَالُ هَؤُلَاءِ يَقْتَضِي الْقَسَمَ.

وَالْحَلُّ الْبَدِيعُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

• ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾: أَي: إِنَّ الْقُرْآنَ لَقَوْلٌ نَطَقَ بِهِ؛ رَسُولٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَرِيمٌ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَلَّغَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَرْفاً فَحَرْفاً، وَكَلِمَةً فَكَلِمَةً، وَآيَةً فَآيَةً، كَمَا تَلَقَّاهُ عَنْ رَبِّهِ وَحياً.

كَرِيمٌ: أَي: مَحْمُودٌ بِالصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ، جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ

وَالْفَضَائِلَ، مُتَرَفِّعٍ عَنِ النَّقَائِصِ وَالذَّنَايَا، لَا يَعْصِي اللَّهَ بِشَيْءٍ وَيَفْعَلُ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ.

وَكَانَ يُرَاجِعُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ مَعَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي رَمَضَانَ لِلتَّائِيْدِ مِنْ حِفْظِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهَبَهُ ذَاكِرَةً لَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيَهُ إِيَّاهُ.

• ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ...﴾: أي: وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ، كَمَا تُشِيعُونَ أَيُّهَا الْمَكْذُبُونَ، افْتِرَاءً عَلَى الْحَقِّ، لَتَصُدُّوا جَمَاهِيرَكُمْ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، الَّتِي تَدْعُوكُمْ لِلدُّخُولِ فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ رَبُّكُمْ لِعِبَادِهِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿... قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١): أي: إِيْمَانًا قَلِيلًا جَدًّا تُؤْمِنُونَ، فَهُوَ لَا يُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِكُمْ فَيُوجِّهُهُ إِرَادَاتِكُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الْهُدَى وَسُلُوكِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وقد سَبَقَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ تَحْلِيلُ مِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

• ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ (٤٢): أي: وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَوْلٍ كَاهِنٍ كَمَا تُشِيعُونَ أَيُّهَا الْمَكْذُبُونَ، افْتِرَاءً عَلَى الْحَقِّ، لَتَصُدُّوا مَنْ يَقْبَلُ قَوْلَكُمْ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَلَكِنْكُمْ تَتَذَكَّرُونَ تَذَكُّرًا قَلِيلًا جَدًّا مُوجِّهًا لَكُمْ لِسُلُوكِ سَبِيلِ الْهُدَى، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

• ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣): أي: الْقُرْآنُ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَوْحَى بِهِ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَلَّغَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَنَا مِنَ الْبَشَرِ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَامِنُوا بِهِ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، وَادْخُلُوا فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً لِبَيَانِ الْقُرْآنِ بِضَمِيرِ الْعِظَمَةِ:

• ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾:

يُقَالُ لُغَةً: «تَقُولُ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ قَوْلًا» أَي: قَالَ قَوْلًا نَسَبَهُ إِلَيْهِ افْتِرَاءً وَكُذْبًا، فَهُوَ قَوْلٌ مُخْتَلَقٌ. وَالْأَقَاوِيلُ: جَمْعُ الْأَقْوَالِ.

الْوَتِينَ: الشَّرِيَانِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُغْذِي جِسْمَ الْإِنْسَانِ بِالدَّمِ النَّفْيِيِّ الْخَارِجِ مِنَ الْقَلْبِ.

جَاءَ فِي سُورَةِ (الطُّور/ ٧٦ نزول) بَيَانُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ اتَّهَمُوا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ يَقُولُ الْقُرْآنَ عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ تَعَالَى فِيهَا:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُكُمْ بَلْ لَا يَوْمُنُونَ ﴿٣٣﴾﴾:

فَجَاءَ هُنَا فِي سُورَةِ (الحاقة/ ٧٨ نزول) بَيَانُ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقُولَ عَلَيْنَا وَلَوْ بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، وَلَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا، لِأَنَّنَا سَنُسَكِّتُهُ فَوْرًا ثُمَّ نُمِيتُهُ بِقَطْعِ وَتِينِهِ.

وَلَوْ هَمَّ أَنْ يَقُولَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - عَلَى عِظَمَةِ رُبُوبِيَّتِنَا لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، مَهْمَا قَلَّ؛ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ أَخْذًا مُسَكِّتًا مَا نِعَا لَهُ مِنَ النُّطْقِ حَتَّى لَا يَسْمَعَ أَحَدٌ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَشَدَدْنَا عَلَيْهِ هَذَا الْأَخْذَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ عِقَابًا لَهُ، ثُمَّ لَأَمْتَنَاهُ بِقَطْعِ وَتِينِهِ، لِكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فَهُوَ مَعْصُومٌ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ طَوَالِ حَيَاتِهِ أَنْ فَعَلَهُ، بِدَلِيلِ أَنَّنَا لَمْ نُعَاقِبْهُ فَلَمْ نَأْخُذْ مِنْهُ بِالْيَمِينِ، وَلَمْ نَقْطَعْ مِنْهُ الْوَتِينَ.

• ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾: أَي: فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مُنْفَرِدِينَ وَلَا مُجْتَمِعِينَ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ تَحْجُزُوا عَنْهُ عِقُوبَتَنَا لَهُ، لَوْ أَنَّهُ يَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

• ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾:

• ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨): التَّذْكِرَةُ: الْوَسِيلَةُ الَّتِي يُسْتَذَكَّرُ بِهَا الشَّيْءُ، كِبِطَاقَةِ الدَّعْوَةِ، وَالرَّتِيمَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

أي: وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَوْسِيلَةٌ تُذَكَّرُ بِمَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ، وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ تُذَكَّرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّقِينَ، الْحَرِصِينَ عَلَى وَقَايَةِ نَفْسِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

• ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩): يُحَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، فَيُؤَكِّدُ لَهُمْ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ يَعْلَمُ أَنَّ زُمْرَةً مِنْهُمْ مُكَذِّبُونَ؛ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ ﷺ تَنْزِيلٌ مِنْ لَدُنْهُ، وَهَؤُلَاءِ الْمَكْذُبُونَ لَا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً تُذَكِّرُهُمْ بِمَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ، فَهُمْ يُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِعَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ خُلُوداً فِي الْجَحِيمِ.

• ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥٠): الْحَسْرَةُ: شِدَّةُ الْحُزْنِ مَعَ النَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَ.

أي: وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ بِهِ، وَبِمَنْ بَلَغَهُ عَنْ رَبِّهِ ﷺ. وَهَذِهِ الْحَسْرَةُ الْمُسَلَّطَةُ عَلَيْهِمْ لَا تَظْهَرُ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، بَلْ تَظْهَرُ يَوْمَ الدِّينِ حِينَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَتَسْتَمِرُّ مُصَاحَبَةً لَهُمْ حَتَّى يُشَاهِدُوهَا، وَحَتَّى يُلْقَوْا فِيهَا، وَحِينَ يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِي عَذَابِهَا. يَقُولُونَ: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ مُتَّقِينَ نَتَّخِذُ الْقُرْآنَ تَذْكِرَةً تُذَكِّرُنَا دَوَاماً بِمَطْلُوبِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - مِنَّا.

• ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١): أي: وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُؤَيَّدُ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ مِنْ وَسِيلَةِ خَبَرِيَّةٍ،

وَمُشَاهِدِيَّةٌ، وَإِذْرَاكِئِيَّةٌ بِسَائِرِ وَسَائِلِ الْإِذْرَاكِ الْفِكْرِيِّ، وَالنَّفْسِيِّ،
وَالْإِحْسَاسِيِّ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تُسَمَّى مَرْتَبَةُ «حَقِّ الْيَقِينِ»، وَدُونَهَا مَرْتَبَةُ «عَيْنِ
الْيَقِينِ»، وَدُونَهُمَا مَرْتَبَةُ «عِلْمِ الْيَقِينِ».

• ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٦﴾﴾: أي: فاذكُرِ الله آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَنَاءَ
النَّهَارِ، بِاسْمِ مَنْ أَسْمَاءِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ الْحُسْنَى، تَنْزِيهَا لَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا
يَلِيْقُ بِجَنَابِهِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ تَمْجِيدَهُ بِكُلِّ صِفَاتِهِ الْعَظْمَى وَكُلِّ أَسْمَائِهِ
الْحُسْنَى.

جاء في لِسَانِ الْعَرَبِ، وَرَوَى الْأَزْهَرِيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ
عَلِيًّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ «سُبْحَانَ اللَّهِ»، فَقَالَ: كَلِمَةٌ رَضِيَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ،
فَأَوْصَى بِهَا.

وبهذا انْتَهَى تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْحَاقَّةِ) وَهُوَ
آخِرُهَا.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الْحَاقَّةِ)

أولاً:

مَنْ تَشْبِيهِ مُدْرِكٍ بِالْحَسِّ بِمُدْرِكٍ بِالْحَسِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَشْبَهُ أَجْسَادَ
هَلَكَى عَاد:

﴿وَلَمَّا عَادُ فَأَمْضَوْا يَرِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَتَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ حَاقِيَةٍ ﴿٧﴾﴾:

أي: تُشَبِّهُ أَجْسَادَهُمُ الْهَلَكَى وَقَدْ بُقِرَتْ بُطُونُهُمْ وَخَرَجَ مَا فِيهَا فَصَارَتْ خَاوِيَةً؛ أَصُولُ نَخْلٍ مَرْمِيَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ يَابِسَةٍ فَارِغَةٍ.

هَذَا التَّشْبِيهِ ذِكْرٌ فِيهِ الْمُشَبَّهُ، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ، وَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ، وَلَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ وَجْهُ الشَّبَّهِ، فَهُوَ مِنْ قِسْمِ «التَّشْبِيهِ الْمُرْسَلِ الْمُجْمَلِ».

ثانياً:

من الاستفهام الذي يراؤ به التَّنْفِي قول الله تَعَالَى بِشَأْنِ كُفَّارِ قَوْمٍ عَادٍ بَعْدَ إِهْلَاكِهِمْ:

﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨): أي: فَلَا تَرَى أَيُّهَا الْبَاحِثُ عَنْ أَثَارِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، إِذْ أُيِّدَتْ أَوْ طُمِرَتْ.

ثالثاً:

من الاستِيعَارَةِ وَصَفُ أَخَذَةِ اللَّهِ لِبَعْضِ الْمَهْلَكِينَ بِأَنَّهَا أَخَذَتْ رَابِيَةً، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠):

اسْتُعِيرَتْ كَلِمَةُ «رَابِيَةً» لِلدَّلَالَةِ بِهَا عَلَى أَنَّهَا أَخَذَتْ عَظِيمَةً كُبْرَى.

رابعاً:

من المجاز بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ يَوْمَ الدِّينِ:

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِ ﴿٢٢﴾:

وُصِفَتْ عِيشَتُهُ فِي الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا رَاضِيَةٌ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الرَّاضِي، لِأَنَّ عِيشَتَهُ جُزْءٌ مِنْ وُجُودِهِ، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْجُزْءِ وَالْكُلِّ عِلَاقَةٌ يُسْتَخْدَمُ مَعَهَا هَذَا الْمَجَاز.

خامساً:

من الاستقطاع الرائع: استقطاع النصوص من أزمانها المستقبلية، وعرضها بألفاظها دون الإشارة إلى أنه سوف يكون كذا فيما سوف يكون من أحداث يوم الدين، ومن أمثلته في السورة ما يلي:

المثال الأول:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَرْضِ مَا سَوْفَ يُقَالُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي الْجَنَّةِ:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

المثال الثاني:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي بَيَانِ مَا سَوْفَ يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمُقْضِي عَلَيْهِ بِعَذَابٍ مُشَدَّدٍ فِي الْجَحِيمِ:

﴿حَذُوهُ فَذُلُوهُ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ لِنَجْعِمَ صَلْوَهُ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فِي سِلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٧﴾﴾.

سادساً:

من توكيد الجملة الخبرية لداع بلاغي ما في النصوص التالية:

١ - ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا بُصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا بُصِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾:

في هذا النص التوكيد بالقسم للكفرة الذين يكذبون بأن القرآن تنزيل من رب العالمين.

٢ - ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾:

في هذه الآية التوكيد بالمؤكدات: «إن - والجملة الاسمية - واللام المرحقة»، والمؤكد لهم المكذبون بأن القرآن تنزيل من رب العالمين.

٣ - ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ :

في كُلِّ آيَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تَوْكِيدٌ بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية - واللام المزحلقة، لِأَنَّ الْمَقْصُودِينَ الْأَوَّلِينَ بِالْخِطَابِ: الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَكْتَفَى بِهَذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



سُورَةُ الْمَعَارِجِ

٧٠ مصحف ٧٩ نزول

وہی مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِلَا خِلَافٍ

(١)

نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يَبْصُرُونَهُ يَوْمَذِي الْمُجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتْهُ أَلَّتِي تُوْبِهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

١ - • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [سَأَلَ] بِإِثْدَالِ الْهَمْزَةِ أَلْفًا.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [سَأَلَ].

وَوَقَفَ حَمْزَةً بِالتَّسْهِيلِ.

٤ - • قرأ الكِسَائِيُّ: [يَعْرُجُ] بِالْيَاءِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [تَعْرُجُ] بِالتَّاءِ.

وَهُمَا وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ.

١٠ - • قرأ أَبُو جَعْفَرٍ وَالْبَزْزِيُّ بِخَلْفِ عَنْهُ: [وَلَا يُسْأَلُ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [وَلَا يَسْأَلُ] بِفَتْحِ الْيَاءِ. وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي لِلْبَزْزِيِّ.

١١ - • قرأ نافع، والكِسَائِيُّ، وأبو جَعْفَرُ: [يَوْمِذٍ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [يَوْمِذٍ].

جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾
 تَدْعُوا مَن أَذْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ * إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ
 هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
 ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾
 وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ
 يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾
 إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾
 إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَن
 ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
 رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
 قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ
 كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
 مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾
 عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا

١٦ - • قرأ حفص: [نَزَّاعَةً] بالنصب.

وقراها باقي القراء العشرة: [نَزَّاعَةً] بالرفع.

٣٢ - • قرأ ابن كثير: [لِأَمَانَتِهِمْ] بالافراد.

وقراها باقي القراء العشرة: [لِأَمَانَتِهِمْ] بالجمع.

٣٣ - • قرأ حفص، ويعقوب: [بِشَهَادَاتِهِمْ] بالجمع.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِشَهَادَاتِهِمْ] بالافراد.

حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا
كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ
الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ :

٤٢ - • قرأ أبو جعفر: [يُلْقُوا].

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [يُلَاقُوا].

٤٣ - • قرأ حفص، وابنُ عامر: [نُصْبٍ] بضمَّ الثَّوْن والصاد.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [نَضْبٍ] بفتح النون وإسكانِ الصَّادِ.

والمعنى واحد، وهو ما يُنْصَبُ لِيُغَبَّدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(٢)

موضوع سورة (المعارج)

يَدُورُ مَوْضِعُ هَذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ الْعَذَابِ الْحَتِيمِ لِلْكَافِرِ الَّذِي يُنْهِي رَحْلَةَ امْتِحَانِهِ بِالْكُفْرِ وَيُلْقَى رَبَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَافِرًا. وَحَوْلَ وَصْفِ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ هَلُوعٌ بِاسْتِثْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِتَطْبِيقِ مَطْلُوبَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى مِنْهُمْ. وَحَوْلَ بَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِ فِتْنَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ حِينَ مُوَاجَهَتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَطَمَعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَتْ تُوجَدُ حَيَاةً أُخْرَى، وَمَعَالِجَةِ اللَّهِ لَهُمْ بِالْإِنذَارِ، وَتَوْصِيَةِ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَذَرُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُنْهَوْا حَيَاتُهُمْ كَافِرِينَ، فَالْمَعْنِيُّونَ مَيُؤَسُّونَ مِنَ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

(٣)

دروس سورة (المعارج)

ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ:

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الآيات من (١ - ١٨):

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ الْعَذَابِ الْحَثْمِيِّ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرُونَ، مَعَ تَكْلِيفِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَصْبِرَ صَبْرًا جَمِيلًا، وَمَعَ مُعَالَجَةِ الْكَافِرِينَ بِشَأْنِ اسْتِبْعَادِهِمْ الْآخِرَةَ وَنُزُولِ الْعَذَابِ بِالْكَافِرِينَ.

الدرس الثاني: الآيات من (١٩ - ٣٥):

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، بِاسْتِثْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِتَطْبِيقِ مَطْلُوبَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى مِنْهُمْ.

الدرس الثالث: الآيات من (٣٦ - ٤٤) آخر السورة:

وفي آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ بَعْضِ أَحْوَالِ فِتْنَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي مُوَاجَهَتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ وَمُعَالَجَتِهِمْ بِالْإِنْذَارِ، وَتَوْصِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَدْرَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَيُؤَسُّ مِنْهُمْ.

(٤)

التدبر التحليلي للدرس الأول من ذروس سورة (المعارج)
الآيات من (١ - ١٨)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّخْنَ الرَّحِيمَ﴾

﴿سَالَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَقْرَعُ السَّمَاءَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيٌّ حِمِيمًا ⑩ يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمَجْزُمِ ⑪ لَوْ يَقْدِرُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَبِيٍّ ⑫ وَصَنْجِبِهِ وَآخِيهِ ⑬ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ⑭ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑮ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ⑯ نَزَاعَةً لِلنَّسْوَى ⑰ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ⑱ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ⑲﴾

القراءات:

- (١) • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [سَأَلَ] بِإِثْدَالِ الْهَمْزَةِ أَلْفًا. وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [سَأَلَ].
ووقف حَمَزَةً بِالتَّسْهِيلِ.
- (٤) • قرأ الْكِسَائِيُّ: [يَعْرُجُ] بِالْيَاءِ. وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [تَعْرُجُ] بِالتَّاءِ. وهما وجهان عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ.
- (١٠) • قرأ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالْبَزْزِيُّ بخلف عنه: [وَلَا يُسْأَلُ] بِضَمِّ الْيَاءِ، أَي: وَلَا يُسْأَلُ حَمِيمٌ عَنْ حَمِيمٍ، بِنَزْعِ الْخَافِضِ. وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ، وهو الوجه الثاني للْبَزْزِيِّ: [وَلَا يَسْأَلُ] بفتح الياء، وهي ظاهرة.
- (١١) • قرأ نافع، وَالْكِسَائِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [يَوْمِيذٍ] عَلَى بِنَاءِ لَفْظِ «يَوْمٍ».
- وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [يَوْمِيذٍ] عَلَى الْإِعْرَابِ. وهما وجهان عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ، فَيَوْمٌ اسْمُ زَمَانٍ مَبْهُمٌ مُضَافٌ يَجُوزُ فِيهِ الْإِعْرَابُ، وَيَجُوزُ فِيهِ الْبِنَاءُ.
- (١٦) • قرأ حفص: [نَزَّاعَةً] بِالنَّضْبِ، عَلَى أَنَّهَا حَالٌ. وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [نَزَّاعَةً] بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ [لَظَى]، أَوْ عَلَى تَقْدِيرٍ: هِيَ نَزَّاعَةٌ.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ الْعَذَابِ الْحَتْمِيِّ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرُونَ، مَعَ مُعَالَجَتِهِمْ بِشَأْنِ اسْتِبْعَادِهِمْ الْآخِرَةَ، وَنَزُولِ الْعَذَابِ بِالْكَافِرِينَ.

وفيهما تكليفُ الله عزَّ وجلَّ رُسُولَهُ ﷺ بأنَّ يَضِرَّ صَبْرًا جَمِيلًا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾:

يَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ تَعْدِيَةُ فِعْلٍ «سَأَلَ» بِحَرْفِ «عَنْ» وَحَرْفِ «الْبَاءِ»، وَهِيَ بِمَعْنَى «عَنْ»، لَكِنِّي أَرَى أَنَّ ﴿بِعَذَابٍ﴾ مَعْمُولٌ لِمَطْوِيٍّ فِي الْجُمْلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: سَأَلَ سَائِلٌ فَرْدٌ أَوْ أَكْثَرُ، مُكَذِّبًا وَمُسْتَهْزِئًا بِعَذَابٍ وَاقِعٍ حَتْمًا، وَهَذَا الْعَذَابُ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ، لِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالسُّؤَالُ التَّكْذِيبِيُّ الِاسْتِهْزَائِيُّ يَكُونُ بِنَحْوِ قَوْلِهِمْ: أَيُوجَدُ عَذَابٌ لِلْكَافِرِينَ بِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ، وَهَذَا الْعَذَابُ يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَفَنَاءِ الْأَجْسَادِ، وَبَعْدَ الْبَعْثِ مِنَ الْأَرْضِ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَى؟!؟.

إِنَّهُ نَبَأٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُكَذَّبَ بِهِ وَيُسْتَهْزَأَ بِهِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُصَدِّقَهُ ذُو عَقْلٍ وَفَهْمٍ صَحِيحٍ، إِذْ هُوَ مُسْتَبْعَدٌ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ بَعْدَ شَاسِعَا.

وَذَكَرَ الْمَفْسَّرُونَ أَسْمَاءَ بَعْضِ هَؤُلَاءِ وَهُمْ مِنْ أَيْمَةِ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ، وَلَيْسَ مِمَّا يَغْنِي الْمْتَدَبِّرَ مَعْرِفَةَ أَسْمَاءِ السَّائِلِينَ، بَلْ يَكْفِي الْعِلْمُ بِأَنَّ السُّؤَالَ التَّكْذِيبِيَّ الِاسْتِهْزَائِيَّ قَدْ وُجَّهَ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾:

أَي: إِنَّ الْعَذَابَ الْمَخْصَصَ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ يُوجَّهُ الْقَضَاءُ بِهِ، وَالْأَمْرُ بِتَنْفِيزِهِ؛ مِنَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - فَلَا رَادَّ لَهُ.

المعارج: هي المصاعِدُ، وهي مخلوقاتٌ غَيْبِيَّةٌ بالنَّسْبَةِ إلى سُكَّانِ الْأَرْضِ.

وَحَسَنَ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِضَافَةُ الْإِعْلَامِ بِأَنَّ لِمَلَائِكَتِهِ مَعَارِجَ غَيْرَ مَشْهُودَةٍ، فَهِيَ غَيْبٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ، تَعْرُجُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ الْعُرُوجُ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ خَاصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

كَلِمَةُ «يَوْمٌ» مُسْتَعْمَلَةٌ بِمَعْنَى الْحِينِ وَالزَّمَنِ، فِي مُعْظَمِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ذِكْرٌ لِأَيَّامٍ مُخْتَلِفَةٍ أَطْوَالُهَا الزَّمَنِيَّةُ، فَيَوْمُ الدِّينِ يَوْمٌ يَبْدَأُ بِالْبَعْثِ وَهُوَ لَا نِهَايَةَ لَهُ إِذْ يُصَاحِبُهُ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الحج/ ١٠٣ نزول) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿وَسَتَجِدُنَا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَئِكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَافٍ سَنَةً مِمَّا تَعْدُونَ﴾ (٤٧):

وَيُظْهِرُ أَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي يُدَبِّرُ اللَّهُ لَهُ تَقْدِيرَاتِهِ وَقَضَائَاتِهِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (السَّجْدَةِ/ ٧٥ نزول) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ﴾ (٥):

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ سُورَةِ (السَّجْدَةِ/ ٧٥ نزول)، أَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (المعارج/ ٧٩ نزول) فَهُوَ يَوْمٌ آخَرُ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَهُوَ يَوْمٌ تَعْرُجُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَمِنْهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي مَعَارِجَ رَبَّانِيَّةٍ، مُخَصَّصَةٍ لِعُرُوجِهِمْ صُغُوداً إِلَيْهِ وَنُزُولاً لِتَنْفِيذِ مَا

يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الصُّعُودُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِجِ وَالنُّزُولُ مِنْهَا إِلَى مَوَاقِعِ التَّنْفِيزِ بِأَقْلَ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ، إِذِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَرَكَةَ عُرُوجِهِمْ وَنُزُولِهِمْ تَكُونُ فِي يَوْمٍ مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَا نَدْرِي بَعْدَ انْتِهَاءِ هَذِهِ الْمَدَّةِ مَاذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِذِهِ الْمَعَارِجِ، هَلْ يُجَدِّدُ لَهَا يَوْمًا آخَرَ، أَوْ يُحَدِّثُ فِي كَوْنِهِ نِظَامًا آخَرَ؟؟.

إِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُهُ، وَالتَّقْدِيرَ تَقْدِيرُهُ، وَالْقَضَاءَ قَضَاؤُهُ، وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «الرُّوحَ» وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْإِغْلَامِ بِأَنَّهُ يَغْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَارِجِ كَسَائِرِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَيْسَ لَهُ نِظَامٌ آخَرُ خَاصٌّ بِهِ دُونَ الْمَأْدُونِ لَهُمْ بِالْعُرُوجِ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ٥٠:

لَمَّا كَانَ سُؤَالُ السَّائِلِ الْمُكَذِّبِ بِعَذَابِ الْكَافِرِينَ مُتَضَمِّنًا تَكْذِيبَ الرَّسُولِ ﷺ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَهَذَا يُسَبِّبُ لِلرَّسُولِ ﷺ أَلَمًا نَفْسِيًّا؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّرْبَوِيَّةِ أَنْ يُوصِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَصْبِرَ صَبْرًا جَمِيلًا، وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الصَّبْرُ الْمُفْتَرِنُ بِالرِّضَا عَنِ اللَّهِ، وَالَّذِي لَا يُصَاحِبُهُ تَذَمُّرُ نَفْسِيٍّ أَوْ شَكٌّ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ، بَلْ يُصَاحِبُهُ مَزِيدُ ذِكْرِ وَتَسْبِيحٍ وَعِبَادَةٍ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَمَزِيدُ نَشَاطٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالنُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ.

الصَّبْرُ: قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْإِرَادَةِ، تُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ مِنْ ضَبْطِ نَفْسِهِ لِتَحْمُلِ الْمَتَاعِ وَالْمَشَقَّاتِ وَالْمَوْلِمَاتِ، وَضَبْطُهَا عَنِ الْإِنْدِفَاعِ بِعَوَامِلِ الضَّجَرِ، وَالْجَزَعِ، وَالسَّامِ، وَالْمَلَلِ، وَالْعَجَلَةِ، وَالرَّعُونَةِ، وَالْغَضَبِ، وَالطَّيْشِ، وَالْخَوْفِ، وَالطَّمَعِ، وَالْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْغَرَائِزِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا﴾ ٥١: أَي: إِنَّ الْمَكْذِبِينَ

صَغِيرَ، مَعَ أَنَّهُمْ يُبْصَرُونَ أَقْرَبَاءَهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّ أَقْرَبَاءَهُمْ يَمْلِكُونَ مُسَاعَدَتَهُمْ لَاسْتَعَاثُوا بِهِمْ، لَكِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ عِلْمًا قَاطِعًا أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ إِعَانَتِهِمْ وَإِعَاثَتِهِمْ بِشَيْءٍ، فَلَا يَسْأَلُونَهُمْ.

وَيَوَدُّ الْمَجْرِمُ يَوْمَئِذٍ مُتَمَنِّيًا: لَوْ يُقَدِّمُ فِدَاءً يَفْتَدِي بِهِ مِنْ عَذَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْخَاصِّ بِالْكَافِرِينَ:

١ - بَيْنَهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ.

٢ - وَبِصَاحِبَتِهِ الَّتِي كَانَتْ قَرِينَتُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٣ - وَبِأَخِيهِ الَّذِي كَانَ نَصِيرَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٤ - وَبِعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ، الَّذِينَ يَضُمُّونَهُ فِي النَّسَبِ، وَيَأْوِي إِلَيْهِمْ.

٥ - وَيَمْنٌ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.

إِذَا كَانَ هَذَا الْفِدَاءُ مَقْبُولًا، وَمُنْجِيًا لَهُ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى زَاجِرًا، وَمُقَرَّرًا وَقُوعَ عَذَابِهِ فِيهِ بِأَسْلُوبٍ غَيْرِ

مُبَاشَرٍ:

• ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ١٥ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ١٦ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ١٧ وَجَعَ

فَأَوَّعَى ١٨﴾:

لَأَطَىٰ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ عَلِمٌ لَا يُنُونُ.

الشَّوَى: قِخْفُ الرَّأْسِ، وَظَاهِرُ الْجِلْدِ.

أَدْبَرَ: أَعْطَى ظَهْرَهُ لِلشَّيْءِ، بِمَعْنَى رَفَضَ الِاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَتَوَلَّى: أَي: ابْتَعَدَ بَعْدَ أَنْ أَدْبَرَ، مُنْطَلِقًا فِي حَيَاتِهِ عَلَى كُفْرِيَّاتِهِ.

كَلَّا: أَدَاةُ زَجَرٍ، أَي: لَا تَظْمَعُ بِفِدَاءٍ وَلَا بِغَيْرِهِ مِمَّا تَحْسِبُ أَنَّهُ قَدْ يُخَفِّفُ عَنْكَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا.

وَبَعْدَ زَجْرِهِ يَكْشِفُ الْبَيَانُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ لَظَى، الَّتِي تُحْرِقُ الْجِسْمَ فَتَنْزِعُ قِحْفَ الرَّأْسِ وَظَاهِرَ الْجِلْدِ، وَلَظَى تَدْعُو بِلِسَانٍ حَالِهَا لِيُعَذَّبَ فِيهَا؛ مَنْ كَانَ قَدْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ، وَجَمَعَ مَالًا كَثِيرًا فَمَلَأَ أَوْعِيَةَ الْمَالِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (المعارج).
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (المعارج) الآيات من (١٩ - ٣٥)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ (٢١) إِلَّا الْمُصْلِينَ ۚ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۖ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ۖ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ ۖ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ ۖ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَحُونَ ۖ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۖ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۖ (٣٥)﴾

القراءات:

(٣٢) • قرأ ابن كثير: [لَأَمَانَتِهِمْ] بالإنفراد، واكتسب معنى الجمعية

بالإضافة.

وقراها باقي القراء العشرة: [لِأَمَانَتِهِمْ] بالجمع.

فمؤدّي القراءتين واحد.

(٣٣) • قرأ حفص، ويعقوب: [بشهاداتهم] بالجمع.

وقراها باقي القراء العشرة: [بشهادتهم] بالافراد.

ومؤدّي القراءتين واحد.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان أن الإنسان خلق هلوفاً، إذا مسه الشرُّ جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً، أي: يحب الحياة الدنيا ويؤثرها، باستثناء المؤمنين المتصفين بتطبيق مطلوبات الله الكبرى منهم في حياة امتحانهم.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا فِطْرَةَ فُطِرَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ:

• ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ﴾

دلّ هذا البيان الرباني على أن من الفطر التي فطر عليها الإنسان، وترك نفسه دون مقوم من دين الله الذي اضطفاه لعباده؛ كان من المكذبين بيوم القيامة وبِعذاب الله فيها، وانطلق مع أهوائه وشهواته ومتاعاته من الحياة الدنيا، دون وازع يرعه، ولا رادع يردعه.

هذه الفطرة هي أنه هلوفاً، وجاء في هذا البيان شرح كونه هلوفاً، فهو إذا مسه الشرُّ، أي: ما يراه في حياته شراً؛ كان شديد الجزع لا صبر له، وإذا مسه الخير، أي ما يراه في حياته خيراً، كالسعة من المال والوفرة من الأرزاق؛ كان شديد المنع والإمساك والشح.

جَزُوعٌ: صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ لاسم الفاعل «جَازِع» أي: كثير الجزع.

مُنُوعٌ: صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ لاسم الفاعل «مَانِع» أي: كثير المنع والإمساك.

وَلَدَى التَّحْلِيلِ النَّفْسِيُّ لِلْجَزُوعِ الْمُنُوعِ نَجِدُ أَنَّ سَبَبَهُمَا حُبُّ الدُّنْيَا وَشِدَّةُ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَالْحِرْصُ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ فِيهَا، فَإِذَا مَسَّهُ مَسًا مَا يَرَاهُ شَرًّا، كَحَسَارَةِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَجَائِحَةٍ أَتَلَفَتْ بَعْضُ مَا عِنْدَهُ مِنْ ثَمَرَاتٍ، وَمَرَضٍ نَزَلَ بِهِ؛ كَانَ جَزُوعًا، حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعَاتِهِ مِنْهَا، وَلَذَاتِهِ، وَمُرْضِيَّاتِ أَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ. وَإِذَا مَسَّهُ مَسًا مَا يَرَاهُ خَيْرًا، كَأَرْبَاحٍ تِجَارِيَّةٍ، وَوَفْرَةٍ مُتَّجَاتٍ زِرَاعِيَّةٍ، وَزِيَادَةِ أَجُورٍ عَلَى أَعْمَالٍ صِنَاعِيَّةٍ؛ كَانَ مُنُوعًا شَجِيحًا لَا يَبْذُلُ مِنْ مَالِهِ فِي سَبْلِ الْخَيْرِ، حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعَاتِهِ مِنْهَا، وَلَذَاتِهِ، وَمُرْضِيَّاتِ أَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ.

وَمُعَدِّلٌ هَذِهِ الْفِطْرَةَ فِي الْإِنْسَانِ وَمَقُومُهَا وَمُوجِّهُهَا لِسُلُوكِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ؛ هُوَ مَا أَبَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْاسْتِثْنَاءِ التَّالِي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ ٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِجِيمٌ مُشْفِقُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢٩﴾ فَمَنْ أَبْغَى وِرْلَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٤﴾:

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ ٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾: يَطْوِي قَبْلَ الْمُسْتَثْنَى فِيهِ رُكْنُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَيُفْهَمُ هَذَا بِاللُّزُومِ الْعَقْلِيِّ، إِذْ لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ اللَّهِ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَبِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

أي: إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمُ الْخُمُسِ الْمَفْرُوضَةِ دَائِمُونَ، يُؤَدُّونَهَا كَمَا فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوْقَاتِهَا.

وهذا معنى كونهم دائمين على صلاتهم، وليس المراد بالدوام استغراق كل أوقاتهم بالصلاة، فالمراد بالدوام المواظبة على أداء العمل المفروض.

إِنَّ صِفَةَ الْمَدَامَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ هِيَ الصِّفَةُ الْأُولَى بَعْدَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، لِلْمُسْتَتَى مِنْ وَضْفٍ «هَلُوع».

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾:

أي: وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمُ الَّتِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا مِنْ فَضْلِهِ؛ مِقْدَاراً مَعْلُوماً حَقّاً عَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوهُ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَهَذَا كَانَ قَبْلَ نَزُولِ فَرَضِ الزَّكَاةِ، وَبَيَانِ الْمِقْدَارِ الْوَاجِبِ بَذْلُهُ لِلْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَّةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِذْ كَانَ نَزُولُ فَرَضِ الزَّكَاةِ فِي الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ، وَهَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ.

وهذا الحق المعلوم لم يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ مِقْدَارَهُ فِي هَذَا النَّصِّ، وَتَرَكَهُ لِأَرْحِيَّةِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ الْمَدَامِ عَلَى صَلَاتِهِ.

وَكَانَ هَذَا الْبَيَانُ بِمَثَابَةِ التَّمْهِيدِ التَّدْرِجِيِّ فِي أَحْكَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الْخَاصَّةِ فِي النِّفَاقِ الْوَاجِبَةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

السَّائِلُ: هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ النَّاسَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، مُبْدِياً فَقْرَهُ وَحَاجَتَهُ إِلَى طَعَامِهِ وَطَعَامِ أُسْرَتِهِ وَضُرُورِيَّاتِ حَيَاتِهِمْ.

الْمَحْرُومُ: هُوَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ صَدَقَاتِهِمْ تَعَفُّفاً، مَعَ أَنَّهُ مَحْرُومٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ؛ مِمَّا يَكْفِيهِ لِحَاجَاتِهِ وَحَاجَاتِ أُسْرَتِهِ، لِيَمْتَحِنَ بِحِرْمَانِهِ دَوِي الْغِنَى.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ

﴿٢٦﴾: وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ أَي: يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَفِي خَاتِمَتِهِمْ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي نَبَأِ جَاءَ فِي كَلَامِ اللَّهِ الْحَقِّ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ، وَلَا يَشْكُونَ فِي نَبَأِ صَحِيحٍ حَقٌّ جَاءَ فِي كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ أَنْبَاءِ يَوْمِ الدِّينِ.

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾:

إِنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَاوُونَ، وَالْقَاعِدَةُ الْعَدْلِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ تُفِيدُ أَنَّ جَزَاءَ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ وَيَتَجَاوَزَ عَنِ الْجَزَاءِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، لَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ غَيْرُ مَضْمُونٍ، فَقَدْ يَغْفِرُ بِرَحْمَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ، وَقَدْ لَا يَغْفِرُ بِحُكْمَتِهِ، وَلِذَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَبْقَى مُشْفِقًا، أَي: خَائِفًا مِنْ عَذَابِ رَبِّهِ جَزَاءَ خَطَايَاهُ، لِأَنَّ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى الْخَطَايَا غَيْرُ مَأْمُونٍ أَنْ لَا يَتَحَقَّقَ بِغُفْرَانِ اللَّهِ وَتَجَاوُزِهِ عَنِ الْخَطَايَا، إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُعَاقِبَ.

الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ حَافِظُونَ

﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَى وَرَأَى ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾:

• ﴿حَافِظُونَ﴾: أَي: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ بِفُرُوجِهِمْ بِقَضَاءِ شَهَوَاتِهَا فِي غَيْرِ مَا أَدْنَى اللَّهُ بِهِ، وَحِفْظُ الشَّيْءِ يَكُونُ بِصِيَانَتِهِ، وَبِالْمَوَاطَبَةِ عَلَى رِعَايَتِهِ، وَكَفُّهُ عَمَّا يَجْلُبُ ضَرَرًا أَوْ أَذًى، وَمَنْعُهُ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ فِي الْمَوْبَقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ.

• ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: هُنَّ الرَّقِيقَاتُ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا أَيَّامَ انْتِشَارِ الرِّقِّ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ، أَمَا بَعْدَ أَنْ اتَّفَقَتِ الدُّوَلُ عَلَى إلْغَائِهِ؛

فَلَا أَرْقَاءَ، وَلَا رَقِيقَاتٍ، وَهَذَا أَمْرٌ حَسَنٌ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ حَثَّ عَلَى عِتْقِ الْأَرْقَاءِ إفراديًا.

- ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: أي: غَيْرُ مُذْنِبِينَ، وَغَيْرُ مُرْتَكِبِينَ مَا يُلَامُونَ عَلَيْهِ.
- ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: أي: فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الْمُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْمُرْتَكِبُونَ لِمَا حَرَّمَ، وَفِي الْعِبَارَةِ قَصْرٌ بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩): حَفِظَ الْفُرُوجَ فِي الدِّينِ يَكُونُ بِصِيَانَتِهَا وَإِمْسَاكِهَا عَنْ فِعْلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، كَالزَّنا، وَإِثْبَانِ الذُّكُورِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَإِثْبَانِ الْبَهَائِمِ، وَإِثْبَانِ النِّسَاءِ فِي أَذْبَارِهِنَّ.

- ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٣٠):

أَيُّ: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، مِنْ إِثْبَانِ أَحَدٍ أَنْثَى أَوْ ذَكَرٍ شَهْوَةً، إِلَّا قَصْرًا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ بِعَقْدِ شَرْعِيٍّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ إِمَاءٍ، فَإِنَّهُمْ إِذَا جَامَعُوا زَوَاجَتِهِمْ أَوْ إِمَاءَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْدُونِ بِهِ شَرْعًا فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ وَغَيْرُ مُذْنِبِينَ.

- ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٣١):

أَيُّ: فَمَنِ ابْتَغَىٰ طَالِبًا قَضَاءَ شَهْوَةٍ فَرَجِهِ وَرَاءَ ذَلِكَ الْحَدِّ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، فَأَرَادَ مُعَاشَرَةَ غَيْرِ زَوْجَتِهِ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ النِّسَاءِ، فِي فُرُوجٍ أَوْ أَذْبَارٍ؛ فَأُولَٰئِكَ الْبُعْدَاءُ الْعُصَاةُ الْمُتَسَفِّلُونَ هُمُ الْعَادُونَ الظَّالِمُونَ، الْمُتَجَاوِزُونَ لِلْحَدِّ الْمَأْدُونِ بِهِ شَرْعًا فِي السُّلُوكِ الْإِرَادِيِّ.

الصفة السادسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

الْأَمَانَةُ: تُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْوَفَاءِ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْوَدِيعَةِ، فَكُلُّ مَا يُسْتَأْمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ سِرٍّ، أَوْ خَبَرٍ، أَوْ تَكْلِيفٍ؛ هُوَ أَمَانَةٌ، وَالْوَفَاءُ بِتَحْقِيقِ مَطْلُوبٍ مِنْ اسْتَأْمَنَهُ أَمَانَةٌ، وَهَذَا هُوَ حِفْظُهَا وَرِعَايَتُهَا.

وَكُلُّ وَدِيعَةٍ تُوَضَّعُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ هِيَ أَمَانَةٌ، وَرِعَايَتُهَا تَكُونُ بِحِفْظِهَا، وَتَأْدِيَةِ مَطْلُوبٍ صَاحِبِ الْوَدِيعَةِ بِشَأْنِهَا.

وَبِالتَّوَسُّعِ فِي مَفْهُومِ الْأَمَانَةِ؛ نُلَاحِظُ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَعْطَى الْإِنْسَانَ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ، وَجَعَلَهَا أَمَانَةً عِنْدَهُ، وَكَلَّفَهُ أَنْ لَا يَخْتَارَ بِهَا مَا فِيهِ مَعْصِيَةٌ لَهُ، فِي السُّلُوكِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَحَذَرَهُ إِذَا اخْتَارَ مَعْصِيَتَهُ مِنَ الْعِقَابِ الْعَادِلِ عَلَيْهَا، وَأَطْمَعَهُ إِذَا اخْتَارَ طَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ؛ بِأَنْ يَجْزِيَهُ ثَوَابًا عَظِيمًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، مَعَ بَعْضِ ثَوَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ.

وَكُلُّ جَارِحَةٍ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَالْجَوَارِحِ الْبَاطِنَةِ؛ هِيَ أَمَانَةٌ عِنْدَهُ، لِأَنَّهَا مِلْكٌ لِلَّهِ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ وَدِيعَةً عِنْدَهُ، وَجَعَلَ لَا اسْتِخْدَامَهَا وَالانْتِفَاعَ بِهَا شُرُوطًا، وَكُلُّ مُخَالَفَةٍ لِهَذِهِ الشُّرُوطِ خِيَانَةٌ لِلْأَمَانَةِ.

الْعَهْدُ: يُطْلَقُ الْعَهْدُ فِي اللُّغَةِ عَلَى كُلِّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَصِيَّةِ، وَعَلَى الْيَمِينِ، وَعَلَى الْوَفَاءِ، وَعَلَى الْحِفَاطِ وَرِعَايَةِ الْحُرْمَةِ، وَعَلَى الْأَمَانِ.

ويُطْلَقُ الْعَهْدُ عَلَى مَا يَلْتَزِمُ بِهِ الْعَبْدُ تُجَاهَ رَبِّهِ، كَالْمَبَايَعَاتِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ.

أَمَّا الْعَهْدُ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمَكْلُوفِينَ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ؛ فَقَدْ تَضَمَّنَ مَا يَلِي:

(١) أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَبِصِفَاتِهِ الْعَظْمَى وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَبِمَا جَاءَ مِنْ

عِنْدَهُ، عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمُبْلَغِينَ عَنْهُ، الْمُؤَيَّدِينَ مِنْهُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ، مُعْتَرِفِينَ مُذْعِنِينَ.

(٢) أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ سِوَاهُ جَلٍّ جَلَالُهُ وَعَظْمَ سُلْطَانُهُ.

(٣) أَنْ لَا يَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ، بِطَاعَتِهِ وَالِاسْتِجَابَةِ لَوَسَاوِسِهِ وَاتِّبَاعِ خُطْوَاتِهِ.

فَمَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» مُؤْمِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا بِكُلِّ ذَلِكَ، وَهَذِهِ بَيْعَةٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ، وَهُوَ مُطَالِبٌ بِالْوَفَاءِ بِهَا.

• ﴿رَاعُونَ﴾: أَي: حَافِظُونَ، بِمُقْتَضَى حُقُوقِ الْأَمَانَاتِ، وَحُقُوقِ الْعَهْدِ، يُؤَدُّونَ وَاجِبَاتِ الْأَمَانَاتِ وَالْعُهُودِ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ فِيهَا.

رِعَايَةُ الشَّيْءِ: تَكُونُ بِحِفْظِهِ، وَبِالْقِيَامِ بِمَا يَلْزَمُ لَهُ مِنْ حِمَايَةٍ وَنَمَاءٍ.

الصِّفَةُ السَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣):

الشَّهَادَةُ: حُضُورُ حَدِيثٍ مَا وَالْعِلْمُ بِمَا جَرَى فِيهِ، وَمَنْ حَضَرَ الْحَدِيثَ فَقَدْ حَمَلَ شَهَادَةً تَتَضَمَّنُ عِلْمًا بِمَا كَانَ فِيهِ.

وَقَدْ يَكُونُ الْمَشْهُودُ يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمٍ فِيهِ إِبْثَاتُ حَقٍّ مَا لِلْإِنْسَانِ مَا، وَلِصَاحِبِ الْحَقِّ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ بِمَا عِلِمَ، وَيُخْبِرَ بِمَا شَهِدَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَعَلَى الشَّاهِدِ أَنْ يَقُومَ بِشَهَادَتِهِ مُخْبِرًا بِمَا رَأَى أَوْ سَمِعَ.

وَقَدْ يَتَوَقَّفُ إِبْثَاتُ الْحَقِّ عِنْدَ الْقَاضِي أَوْ عِنْدَ الْمُحَكِّمِينَ عَلَى أَنْ يَقُومَ الشَّاهِدُ بِمَا شَهِدَ، وَعِنْدَئِذٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ شَهَادَتَهُ، دُونَ إِضْرَارٍ

بِهِ فِي نَفَقَةٍ أَوْ غيرَهَا، وَبِتَحْمَلُ نَفَقَةَ إِحْضَارِهِ إِلَى مَجْلِسِ الْقَضَاءِ صَاحِبِ الْحَقِّ، أَوْ تَحْمَلُ الدَّوْلَةُ هَذِهِ النَّفَقَةَ ضِمْنَ مُقْتَضِيَّاتِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ.

فَالْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ الْمَصْلُونَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ الْمَفْرُوضَةُ مُوَاطَّبُونَ؛ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ بِشَهَادَاتِهِمُ الَّتِي تُثْبِتُ حَقًّا أَوْ تَنْفِي اتِّهَامًا قَائِمُونَ يُؤَدُّونَهَا وَهُمْ يَتَّقُونَ اللَّهَ عِنْدَ أَدَائِهَا، فَلَا يَزِيدُونَ عَلَى مَا شَهِدُوا فِي حُضُورِهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهُ شَيْئًا يَعْلَمُونَهُ.

الْصِّفَةُ الثَّامِنَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤): أَي: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمُ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَنُلاحِظُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي أَوَّلِ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَفِي آخِرِ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، فَمَا الْحِكْمَةُ مِنْ هَذَا الْإِجْرَاءِ؟

يَبْدُو لِي أَنَّ الصَّلَاةَ وَالْمَدَاوِمَةَ عَلَى الْمَفْرُوضِ مِنْهَا، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا؛ مِمَّا أَوْلَاهُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - عِنَايَةً خَاصَّةً، إِذْ هِيَ الْمُعْبَرَةُ عَنْ صَلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ بِصُورَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ، وَهِيَ بِمَثَابَةِ الْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ، اللَّذَيْنِ يَبْقِي الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِهِمَا سَائِرَ صِفَاتِهِ فِي السُّلُوكِ، لِيَلْتَزِمَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا مَا دَامَ مَدَاوِمًا وَمُحَافِظًا عَلَى صَلَاتِهِ بِرَبِّهِ فِيهَا، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ اغْتِبَارُهَا أَوْلَى صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ وَأَخْرَاهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَاتِمَةِ هَذَا الدَّرْسِ الثَّانِي مُبَيِّنًا الْجِزَاءَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ يَوْمَ الدِّينِ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمَدَاوِمِينَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى صَلَوَاتِهِمُ الْمَفْرُوضَةِ:

• ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (٣٥): أَي: أُولَئِكَ رَفِيعُوا الْمَكَانَةَ عِنْدَ

رَبُّهُمْ سَوْفَ يَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ بِنِعْمِ أَبْدِيٍّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ بِحَسَبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَهُمْ فِيهَا مُكْرَمُونَ.

مُكْرَمُونَ: أي: مُفَضَّلُونَ مَوْضُوعُونَ فِي أَمَاكِنِ تَفْضِيلٍ وَتَعْظِيمٍ، وَيُقَدَّمُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَسُرُّهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (المعارج).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (المعارج) الآيات من (٣٦ - ٤٤) آخر السورة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِثْمَ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَبْخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

القراءات:

(٤٢) • قرأ أبو جعفر: [يُلَاقُوا]، مِنْ فَعَلَ: «لَقِيَهُ»، بِمَعْنَى اسْتَقْبَلَهُ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةِ: [يُلَاقُوا]، مِنْ فَعَلَ: «لَاقَاهُ»، بِمَعْنَى قَابَلَهُ، فَمُؤَدَّى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ.

(٤٣) • قرأ حفص، وابن عامر: [نُصِبَ] بضم النون والصّاد.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةُ: [نُصِبَ] بفتح النون وإسكان الصّاد.

النُّصْبُ، والنُّصْبُ: مَا نُصِبَ وَعُيِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فالقراءتان بمعنى

واحد.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان بعض أحوال فئة من الكافرين إبان التنزيل، في مواجهتهم للرّسول ﷺ.

وفيها توصية الله عزّ وجلّ رَسوله ﷺ بأن يذرهم، لأنّهم ميؤوس من إصلاحهم عن طريق إراداتهم الحرة، والحكمة الابتلائية في الحياة الدُّنيا تقتضي عدم جبرهم.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَیْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾:

• ﴿بِلِقَاءِ مُهْطِعِينَ﴾: أي: مَادِّينَ أَعْنَاقَهُمْ وَمُصَوِّبِينَ رُؤُوسَهُمْ نَحْوَكْ، وَأَنْتَ تَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ وَتَتْلُو آيَاتِهِ.

• ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾: أي: فَمَا لَهُمْ جَمَاعَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ مُهْطِعِينَ نَحْوَكْ.

عِزِينَ: جَمْعٌ مُفْرَدُهُ «عِزَّة»، وَهِيَ الْفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ، جُمِعَ جَمْعٌ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ إِلْحَاقًا بِهِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.

ذَكَرَ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمَفْسُورِينَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ (أَي: أَثِمَّتَهُمْ) كَانُوا يَجْتَمِعُونَ جَمَاعَاتٍ عَنِ يَمِينِ الرَّسُولِ ﷺ وَشِمَالِهِ، وَيَسْتَمِعُونَ كَلَامَهُ وَيُكَذِّبُونَهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَقُولُونَ: لَئِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ؛ فَلَنَدْخُلْنَهَا قَبْلَهُمْ، وَلَيَكُونَنَّ لَنَا فِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْبَيَانَ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَرْفَعُ فِي تَكْوِينِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذْ فَضَّلَهُمُ الْخَالِقُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِأَمْوَالِهِمْ وَمَكَانَاتِهِمْ الاجْتِمَاعِيَّةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ - ﷺ -، فَلَئِنْ صَحَّ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ - ﷺ - بِشَأْنِ الْبُعْثِ وَالْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَلَا بُدَّ - فِي زَعْمِهِمْ - أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْخَالِقُ يَوْمَ الدِّينِ الْجَنَّةَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ مِمَّا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ - ﷺ -، لِأَنَّ اللَّهَ مَيَّزَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَفِي الَّذِي وَهَبَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَمْوَالٍ وَمَكَانَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ فِي حَيَاتِهِمْ.

فَمِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَكُونَ التَّعْقِيبُ الرَّبَّانِيُّ مُلَائِمًا لِمَا تَوَهَّمُوهُ لِأَنفُسِهِمْ:

• ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْآيِينَ وَعَنِ السَّمَاءِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

أَي: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مُسْتَكْبِرِينَ بَامْتِيَازِ ذَوَاتِهِمْ، الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يُقْبِلُونَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى مَجَالِسِكَ الدَّعْوِيَّةِ مُهْطِعِينَ، وَيَجْلِسُونَ عَنِ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ جَمَاعَاتٍ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ قَائِلِينَ: لَئِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَلَنَدْخُلْنَهَا قَبْلَهُمْ، وَلَيَكُونَنَّ لَنَا فِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ!؟.

• ﴿أَيُّطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾: اسْتَفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ طَمَعِهِمْ هَذَا. أَي: كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُمْ هَذَا الطَّمَعُ، وَهُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ رَبِّهِمْ، وَبِكِتَابِهِ، وَبِرَسُولِهِ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي أَعَدَّ جَنَّةً نَّعِيمٍ لِّمَنْ آمَنَ بِهِ وَأَسْلَمَ وَاتَّقَى!!؟.

وَأَعَدَّ دَارَ عَذَابٍ لِّمَن كَفَرَ بِهِ وَأَذْبَرَ وَتَوَلَّى عَنْ دَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ .

• ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) : أي: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِثْلَمَا خَلَقْنَا سَائِرَ النَّاسِ وَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ، مُتَسَلِّسٍ مِنْ مَّاءٍ وَطِينٍ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ مِيزَةٌ مَا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، أَمَّا التَّوسُّعَةُ لَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ، وَتَمْيِيزُهُمْ بِمَكَانَةٍ يَخْرُصُ عَلَيْهَا طُلَّابُ الرِّعَامَاتِ؛ فَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ اخْتِبَارُهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَيْكُونُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْ مِنَ الْكَافِرِينَ؟ أَيْكُونُونَ مِنَ الْجَا حِدِينَ أَمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ؟ .

وَإِذْ أَتَبْتُوا أَنَّهُمْ كَافِرُونَ جَا حِدُونَ كَانَ الْعَدْلُ يَفْتَضِي خُلُودَهُمْ فِي عَذَابِ النَّارِ .

وَيُقْسِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَسَمٍ مَنفِيٍّ بِحَرْفِ النَّفْيِ «لَا» مُرَاعَاةً لَّاغْتِبَارَيْنِ سَبَقَ بَيَانُهُمَا عِنْدَ تَدْبِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ من سورة (الْحَاقَّةُ/ ٧٨ نزول) فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (٤٠) عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ :

لَمْ يَكُنِ الْمُخَاطَبُونَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ يَعْلَمُونَ أَنَّ لِلشَّمْسِ مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ، بِحَسَبِ حَرَكََةِ الْأَرْضِ الدَّوْرَانِيَّةِ، بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَكَانَ الْقَسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ غَيْرَ مُفِيدٍ لَهُمْ تَوْكِيدًا، فَكَانَتْ مُرَاعَاتُهُمْ تَقْتَضِي نَفْيَ الْقَسَمِ بِالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، لَكِنْ سَيَأْتِي مَنْ يُدْرِكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مِنْ حَقَائِقِ نِظَامِ الْكُونِ، فَكَانَ الْحَلُّ ذِكْرَ الْقَسَمِ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَنَفْيَ الْقَسَمِ بِحَرْفِ النَّفْيِ «لَا»، فَهُوَ يُقْسِمُ لِمَنْ يُفِيدُهُ الْقَسَمُ تَوْكِيدًا، وَلَا يُقْسِمُ لِمَنْ لَا يُفِيدُهُ الْقَسَمُ التَّوْكِيدَ .

وَالْخَبَرُ الْمَوْكَّدُ بِالْقَسَمِ؛ هُوَ قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِ بَشَرٍ خَيْرٍ فِي تَكْوِينِ

ذَوَاتِهِمْ؛ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْتَزِينَ بَتَمِيزِهِمْ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ.

• ﴿... وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٤١): أي: لَا أَحَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ يَسْبِقُنَا غَالِبًا لَنَا فِيمَا نُرِيدُهُ وَنُقَدِّرُهُ وَنَقْضِيهِ، أَوْ مُعْجِزًا لَنَا عَنْ فِعْلٍ مَا نُرِيدُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُوصِي رَسُولُهُ ﷺ بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَرَتْ مُعَالَجَتُهُمْ فِي السُّورَةِ، وَبَلَّغُوا أَحْسَنَ دَرَكَاتِ الْإِجْرَامِ وَالْعِنَادِ وَالِإصرَارِ عَلَى الْبَاطِلِ:

• ﴿فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾:

ذَرَهُمْ: أي: دَعَهُمْ وَاتْرَكَهُمْ غَيْرَ عَابِيٍّ بِهِمْ، فَهَم مَيُؤَسُّ مِنْ إِضْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

يَخْوضُوا: أَضْلُ الْخَوْضِ الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ، وَبِهَذَا يَتَكَدَّرُ بِالْوَحْلِ الَّذِي هُوَ مُتَرَسِّبٌ فِي أَسْفَلِهِ، وَمِنْ التَّوَسُّعِ اسْتِعْمَالُ الْخَوْضِ فِي التَّصْرِفَاتِ السَّيِّئَةِ وَالضَّارَّةِ، وَفِي ارْتِكَابِ الْكِبَايِرِ مِنَ الْإِثْمِ.

الْأَجْدَاثُ: الْقُبُورُ، وَاجِدْهَا «جَدْتُ».

النُّصْبُ: مَا نُصِبَ لِيُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

يُوفُضُونَ: يُسْرِعُونَ.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: أي: تَغْشَاهُمْ وَتَعْلُو عَلَى وُجُوهِهِمْ آثَارُ ضَعْفٍ وَهَوَانٍ وَانْكِسَارٍ.

المعنى: فَدَعِ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ،

وَالْمِئُوسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةِ، وَاتْرَكُهُمْ غَيْرَ عَابِيٍّ بِهِمْ، وَوَجْهٌ مُجَاهِدَتِكَ لِلْمَطْمُوحِ بِاسْتِجَابَتِهِمْ.

دَعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ يَخُوضُوا فِي اِزْتِكَابِ قَبَائِحِهِمْ، وَالْإِنْطِلَاقِ مَعَ كُفْرِيَّاتِهِمْ وَلَوَازِمِهَا فِي السُّلُوكِ الْإِجْرَامِيِّ.

وَدَعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ يَتَحَرَّكُونَ فِي حَيَوَاتِهِمْ تَحَرُّكَ اللَّاعِبِينَ، الَّذِينَ يَسْتَعْرِقُونَ مُعْظَمَ أَوْقَاتِ فَرَاحِهِمْ مِنْ عَمَلٍ جَادٍّ مُفِيدٍ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ بِلَعَبٍ لَا خَيْرَ فِيهِ.

دَعُهُمْ حَتَّى يُوَاجِهُوا أَحْدَاثَ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَهُ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمُ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ يَكُونُ بَعْدَ بَعْثِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ مَدَافِنِهِمْ سِرَاعاً، كَأَنَّهُمْ يُوفَضُونَ مُسْرِعِينَ إِلَى أَوْثَانِهِمُ الَّتِي كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُسْرِعُونَ إِلَى عِبَادَتِهَا مُؤْمِنِينَ بِأَنَّ عِبَادَتَهَا تَنْفَعُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِهِمْ.

لَكِنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُسْرِعُونَ بِالْجَبْرِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ، تَغْشَاهُمْ وَتَعْلُوْ جُوهَهُمْ آثَارُ ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَهَوَانٍ، خَوْفاً مِنَ الْمَصِيرِ الَّذِي هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ فِي الْجَحِيمِ، لِيَذُوقُوا آلَامَ الْحَرِيقِ، وَالْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي يُعَذِّبُونَهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ جَحُوداً وَعِنَاداً مَعَ وَضُوحِ الْحَقِّ لَهُمْ.

وَيَخْتِمُ اللَّهُ الْبَيَانَ بِقَوْلِهِ: ﴿... ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝﴾.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (المعارج) وَهُوَ آخِرُ السُّورَةِ.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

ملحق: مُسْتَخْرَجَات بَلَاغِيَّة مِنْ سُورَةِ (المعارج)

فِي هَذِهِ السُّورَةِ اخْتِيارَات بَلَاغِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، مِنْهَا مَا يَلِي:

أولاً:

من التَّشْبِيهِ «المرسلِ المَجْمَلِ» فِي مَوْضِعَيْنِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩﴾:

فِي هَٰذَيْنِ التَّشْبِيهَيْنِ ذِكْرُ الْمَشَبَّهِ، وَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ، دُونَ ذِكْرِ وَجْهِ الشَّيْءِ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿... كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ ۝١٣﴾.

ثانياً:

تَنْزِيلُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا حَيَاةَ مَنْزِلَةَ الْعَاقِلِ الْحَيِّ الْمُدْرِكِ، وَمِنْهُ تَنْزِيلُ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْزِلَةَ ذِي الْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ وَالْإِرَادَةِ وَالنُّطْقِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ «الظُّلَى» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ دَارِ الْعَذَابِ جَهَنَّمَ:

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ۝١٥ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ۝١٦ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝١٨﴾:

أَي: تَدْعُوا أَنْ يُعَذَّبَ فِيهَا هَٰذَا الْكَافِرُ، أَي: هِيَ مُعَدَّةٌ لِهَٰذَا التَّعْذِيبِ.

ثالثاً:

تَعْرِيفُ الْكَلِمَةِ بَيَانٍ فِي النَّصِّ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾: فَتَعْرِيفُ الْهَلُوعِ، هُوَ مَا جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَهُ.

رابعاً:

مِنَ الْاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ فِتْنَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَیْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾.

وَأُكْتَفِيَ بِهَذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتِهِ،
وَفَتْحِهِ.



خاتمة المجلد الرابع عشر مِنْ كِتَابِ مَعَارِجِ التَّفَكُّرِ وَدَقَائِقِ التَّدَبُّرِ

مَعَ وَخَزَاتِ الْإِبْرِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا وَكَثْرَةِ انْطِرَاحِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ عَلَى السَّرِيرِ؛ فَقَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ أَنْ يُنْهِيَ لِي كِتَابَةَ هَذَا الْمُجَلِّدِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْمُشْتَمِلِ عَلَى تَدَبُّرِ السُّورِ التَّالِيَةِ:

(١) إِبْرَاهِيمَ .

(٢) الْأَنْبِيَاءَ .

(٣) الْمُؤْمِنُونَ .

(٤) السَّجْدَةِ .

(٥) الطُّورِ .

(٦) الْمُلْكِ .

(٧) الْحَاقَّةِ .

(٨) الْمَعَارِجِ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْجَلِيلِ الْوَهَّابِ عَلَى مَا امْتَنَّنَ بِهِ عَلَيَّ، وَأَعَانَنِي وَأَمَدَّنَنِي حَتَّى أَتِمَّ لِي تَدَبُّرَ هَذِهِ السُّورِ، وَكِتَابَةَ هَذَا الْمُجَلِّدِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ مَنَّانٌ .
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ .

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَةِ هَذَا الْمُجَلِّدِ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ٣٠ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٤٢٤هـ، الْمَوْافِقِ لـ ٢٤ تَشْرِينِ الثَّانِي ٢٠٠٣م .

عبد الرحمن جيتكه الميداني

الفهرس

الصفحة

الموضوع

سورة إبراهيم

١٤ مصحف ٧٢ نزول

- ٧ (١) نصّ السّورة وما فيها من قرّش القراءات
- ١٤ (٢) موضوع سورة (إبراهيم/ ٧٢ نزول)
- ١٥ (٣) دروس سورة (إبراهيم)
- ١٨ (٤) التدبّر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (١ - ٤) ..
- ١٨ - القراءات
- ١٩ - تمهيد
- ١٩ - التدبّر التحليلي
- • ﴿الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴿٢﴾﴾
- ١٩ • ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣﴾﴾
- ٢١ • ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾﴾
- ٢١ • ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾
- ٢٣ (٥) التدبّر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٥ - ٨)
- ٢٤ - تمهيد
- ٢٥ - التدبّر التحليلي

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ ٢٥
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَبَآءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ ٢٧
- ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُمْ لَبَنَ شَكَّرْتُمْ لِأَرْيَدْتُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ ٣٠
- ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَا اللَّهُ تَعَالَى حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ ٣٠
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٩ - ١٨) ٣٢
- القراءات ٣٢
- تمهيد ٣٣
- التدبر التحليلي ٣٤
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ ٣٤
- ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ ٣٦
- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ ٣٨
- ﴿مَا أَذِشُّوهُمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ ٣٨
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ٤١
- ﴿... فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَاكُنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَأْيِهِ جَهَنَّمَ رِيسًا وَيُسْقَى مِنْ مَلَأَ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ وَمِنْ وَرَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ ٤٢

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ
لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاحُ الْبَعِيدُ﴾ (٨) ٤٥
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (١٩ - ٢٣) ٤٦
- القراءات ٤٧
- تمهيد ٤٧
- التدبر التحليلي ٤٨
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾ (٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٠﴾ ٤٨
- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفَتَانِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُعْنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِسٍ﴾ (١١) ٤٩
- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا
أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
إِنَّ الْفَالِغِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٢) ٥١
- ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (١٣) ٥٣
- (٨) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من
(٢٤ - ٢٦) ٥٤
- القراءات ٥٤
- تمهيد ٥٤
- التدبر التحليلي ٥٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (١٤) تُوِّقُ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ ٥٥
- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ﴾ (١٦) ٥٦

الموضوع

الصفحة

(٩) التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من

٥٨ (٢٧ - ٣٠)

٥٨ - القراءات

٥٨ - تمهيد

٥٩ - التدبر التحليلي

• ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧)

٥٩ • ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَآحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨)

جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْفَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

٦١ (١٠) التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من

٦٣ (٣١ - ٣٤)

٦٤ - القراءات

٦٤ - تمهيد

٦٤ - التدبر التحليلي

• ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ

أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ (٣١)

٦٥ • ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٢)

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) وَءَاتٰكُم مِّن كُلِّ

مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤)

٦٧ (١١) التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من

٧٠ (٣٥ - ٤١)

٧١ - القراءات

٧١ - تمهيد

٧٢ - التدبر التحليلي

• ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥)

٧٢ • ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥)

الموضوع

الصفحة

- ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٦) ٧٣
- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) ٧٣
- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨) ٧٥
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٩) ٧٦
- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠) ٧٦
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) ٧٧
- (١٢) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (إبراهيم) الآيات من (٤٢ - ٥٢) آخر السورة ٧٨
- القراءات ٧٩
- تمهيد ٨٠
- التدبر التحليلي ٨٠
- ﴿وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عما يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ٨٠
- ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا مِنْ أَجْلِ قُرْبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ ﴿٤٤﴾ وَاسْكَنْتُمْ فِي مَسْجِدٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٤٥) ٨٢
- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَرْزُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٤٦) ٨٣
- ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) ٨٥

الموضوع

الصفحة

- ﴿يَوْمَ بُدِّلَ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّيِّئَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ تَقَشُّ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ . ٨٥
- ﴿هَذَا بَلَدٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ ٨٩
- (١٣) الملحق الأول: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (إِبْرَاهِيم) ٩٠
- (١٤) الملحق الثاني: إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٩٦

سورة الانبياء

٢١ مصحف ٧٣ نزول

- (١) نص السورة وَمَا فِيهَا مِنْ قُرْشِ الْقِرَاءَات ٢٤٣
- (٢) مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء) ٢٥٤
- (٣) مَوْضُوعُ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء) ٢٥٤
- (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء) ٢٥٥
- (٥) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدُّرُسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء) الْآيَاتُ مِنْ (١ - ٩) ٢٦١
- الْقِرَاءَات ٢٦١
- تَمْهِيد ٢٦٢
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ٢٦٣
- ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ ٢٦٣
- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾﴾ ٢٦٤
- ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ ٢٦٦
- ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلَامُ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ ٢٦٧
- ﴿مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ٢٦٨

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ ٢٦٩
- (٦) التدبّر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٠ - ١٥) ٢٧٢
- ٢٧٢ - القراءات
- ٢٧٢ - تمهيد
- ٢٧٢ - التدبّر التحليلي
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ ٢٧٣
- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِهِ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكَبُوا وَأَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِيكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْعَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ ٢٧٣
- (٧) التدبّر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (١٦ - ٢٤) ٢٧٦
- ٢٧٧ - القراءات
- ٢٧٧ - تمهيد
- ٢٧٧ - التدبّر التحليلي
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٧﴾﴾ ٢٧٧
- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ ٢٧٩
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ٢٨٠
- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ٢٨١

الموضوع

الصفحة

- (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٢٥ - ٢٩) ٢٨٥
- القراءات ٢٨٥
- تمهيد ٢٨٥
- التدبر التحليلي ٢٨٦
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) ٢٨٦
- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْخَرُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) ٢٨٧
- (٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٣٠ - ٣٣) ٢٨٩
- القراءات ٢٩٠
- تمهيد ٢٩٠
- التدبر التحليلي ٢٩٠
- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠) ٢٩١
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) ٢٩٣
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس من دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٣٤ - ٤١) ٢٩٥
- القراءات ٢٩٦
- تمهيد ٢٩٧
- التدبر التحليلي ٢٩٨
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوَكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) ٢٩٨

- ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَذَّكَّرُ أَلَّا هُمْ وَأَهْلُهَا الْغَافِلُونَ﴾ (٣٦) ٣٠١
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ فَأَمَّا إِلَىٰ أَيْنَ لَا تَسْجُدُونَ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)﴾ ٣٠٢
- ﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١) ٣٠٥
- (١١) التدبر التحليلي للدرس السابع مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٤٢ - ٤٧) ٣٠٦
- ٣٠٧ - القراءات
- ٣٠٧ - تمهيد
- ٣٠٨ - التدبر التحليلي
- ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِأَتْلِيلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الْغَيْثِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢) ٣٠٨
- ﴿بَلْ هُمْ مَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣) ٣٠٨
- ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) ٣٠٩
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّعْدُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥) ٣١١
- ﴿وَلَكِنْ مَسَّنَّهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُوا بِنُؤْنِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦) ٣١١
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) ٣١٢
- (١٤) التدبر التحليلي للدرس الثامن مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٤٨ - ٥٠) ٣١٤
- ٣١٤ - القراءات
- ٣١٤ - تمهيد
- ٣١٤ - التدبر التحليلي

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْفُرْقَانَ وَضِيَئَةً وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) ٣١٥
- ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُخْفَوُونَ﴾ (٤٩) ٣١٦
- ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠) ٣١٧
- (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الأنبياء) الآيات من (٥١ - ٧٣) ٣١٨
- القراءات ٣١٩
- تمهيد ٣٢٠
- التدبر التحليلي ٣٢٠
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) ٣٢٠
- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً﴾ (٥٣) ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ (٥٥) ﴿قَالَ بَلْ زَعَمْتَ رَبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٦) ٣٢١
- ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَدَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ (٥٧) ٣٢٣
- ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيراً لَمْ نَلْعَلْهُمُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) ٣٢٤
- ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١) ٣٢٤
- ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢) ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَيْدُهُمْ هَذَا فَتَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣) ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ٣٢٥
- ﴿ثُمَّ نَكِشُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥) ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَبِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) ٣٢٦
- ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَيْكَلِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ (٦٨) ٣٢٨
- ﴿فَلَمَّا بَسَّرْنَا كَوْفِي بَرَاءٍ وَسَلَّمْنَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) ٣٢٨

- ﴿وَنَجِّنُهُ لَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٣﴾﴾ ٣٢٩
- (١٤) التدبر التحليلي للدرس العاشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٧٤) - (٧٥) ٣٣١
- تمهيد ٣٣٢
- التدبر التحليلي ٣٣٢
- ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ ۚ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْسِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ٣٣٣
- (١٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٧٦) - (٧٧) ٣٣٤
- تمهيد ٣٣٤
- التدبر التحليلي ٣٣٤
- ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ٣٣٥
- (١٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيات من (٧٨) - (٨٢) ٣٣٦
- القراءات ٣٣٦
- تمهيد ٣٣٧
- التدبر التحليلي ٣٣٧
- ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ٣٣٧

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَلَسَلِّمَنَّ الْيَمَّ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوضُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ٣٤٢
- (١٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٨٣ - ٨٤) ٣٤٦
- القراءات ٣٤٦
- تمهيد ٣٤٦
- التدبر التحليلي ٣٤٦
- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) ٣٤٧
- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (٨٤) ٣٤٧
- (١٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٨٥ - ٨٦) ٣٤٨
- تمهيد ٣٤٩
- التدبر التحليلي ٣٤٩
- ﴿وَأَسْمِعِمْ وَإِذْ رِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ ٣٤٩
- (١٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٨٧ - ٨٨) ٣٥٠
- القراءات ٣٥١
- تمهيد ٣٥١
- التدبر التحليلي ٣٥١
- ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَلَبَّىٰ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ٣٥١
- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) ٣٥٣
- (٢٠) التدبر التحليلي للدرس السادس عشر مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء) الآيتان (٨٩ - ٩٠) ٣٥٤

الصفحة	الموضوع
٣٥٤	- القراءات
٣٥٤	- تمهيد
٣٥٥	- التدبر التحليلي
٣٥٥	• ﴿وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩)
	• ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُمُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ زَوْجَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠)
٣٥٦	(٢١) التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآية
٣٥٧	(٩١)
٣٥٧	- تمهيد
٣٥٧	- التدبر التحليلي
	• ﴿وَالْقَىٰ أَخَصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩١)
٣٥٨	(٢٢) التدبر التحليلي للدرس الثامن عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآيات
٣٥٨	من (٩٢ - ٩٤)
٣٥٩	- القراءات
٣٥٩	- تمهيد
٣٥٩	- التدبر التحليلي
٣٦٠	• ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٦)
٣٦٢	• ﴿وَتَقَطَّعُوا أَنفُسَهُمْ يَنفُتُهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (٩٦)
	• ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُوتٌ﴾ (٩٦)
٣٦٤	(٢٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة (الأنبياء) الآية (٩٥)
٣٦٤	- القراءات
٣٦٥	- التدبر التحليلي
٣٦٥	• ﴿وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥)
	(٢٤) التدبر التحليلي للدرس العشرين من دروس سورة (الأنبياء) الآيات ٩٦ -
٣٦٥	(٩٧)

الموضوع

الصفحة

- ٣٦٦ - القراءات
- ٣٦٦ - تمهيد
- ٣٦٦ - التدبر التحليلي
- ٣٦٧ • ﴿حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ...
- ٣٦٧ • ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَوَلَّائِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾
- ٣٦٧ (٢٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء)
- ٣٧٠ الآيات من (٩٨ - ١٠٠)
- ٣٧٠ - تمهيد
- ٣٧٠ - التدبر التحليلي
- ٣٧٠ • ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾﴾
- ٣٧٢ • ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾
- ٣٧٢ • ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
- ٣٧٢ (٢٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني والعشرين مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء)
- ٣٧٤ الآيات من (١٠١ - ١٠٤)
- ٣٧٤ - القراءات
- ٣٧٥ - تمهيد
- ٣٧٥ - التدبر التحليلي
- ٣٧٥ • ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
- ٣٧٥ • ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾
- ٣٧٧ • ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾
- ٣٧٨ (٢٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث والعشرين مِنْ دُرُوسِ سورة (الأنبياء)
- ٣٨٠ الآيتان (١٠٥ - ١٠٦)

الموضوع

الصفحة

- ٣٨٠ - القراءات
- ٣٨٠ - تمهيد
- ٣٨١ - التدبر التحليلي
- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٥٥) ٣٨١
- ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (١٦٦) ٣٨٣
- (٢٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع والعشرين من دروس سورة (الأنبياء)
- الآيات من (١٠٧ - ١١٢) ٣٨٤
- ٣٨٤ - القراءات
- ٣٨٤ - تمهيد
- ٣٨٥ - التدبر التحليلي
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٦٧) ٣٨٥
- ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦٨) ٣٨٦
- ﴿فَإِنْ قَوْلُوا فَقَدْ ءَاذَنُكُم عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَذَرْتِ أَقْرَبُ أَمَ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ (١٦٩) ٣٨٦
- ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (١٧٠) ٣٨٧
- ﴿وَإِنْ أَذَرْتَ لَعَلَّكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينٍ﴾ (١٧١) ٣٨٩
- ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٧٢) ٣٨٩
- (٢٩) ملحق: مُسْتَخَرَّجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الأنبياء) ٣٩٠

سورة (المؤمنون)

٢٣ مصحف ٧٤ نزول

- ٤٠١ (١) نص السورة وَمَا فِيهَا مِنْ قُرْشِ القراءات
- ٤١١ (٢) مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (المؤمنون)
- ٤١١ (٣) مَوْضُوعُ سورة (المؤمنون)
- ٤١٢ (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (المؤمنون)
- ٤١٥ (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول مِنْ دُرُوسِ سورة (المؤمنون) الآيات من (١ - ١١)

الموضوع

الصفحة

- ٤١٥ - القراءات
- ٤١٦ - تمهيد
- ٤١٧ - التدبر التحليلي
- ٤١٧ • ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)
- ٤١٧ • ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢)
- ٤١٨ • ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣)
- ٤١٨ • ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤)
- ٤١٨ • ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُذُنِهِمْ يَقْظُونَ﴾ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
- ٤١٩ • فَإِنَّهُمْ عُيْرٌ مَلْأَمِينٌ﴾ (٦)
- ٤١٩ • ﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧)
- ٤٢١ • ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ دَعُونَ﴾ (٨)
- ٤٢٢ • ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩)
- ٤٢٢ • ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ...
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (١٢ - ١٦)
- ٤٢٤ (١٢ - ١٦)
- ٤٢٥ - القراءات
- ٤٢٥ - تمهيد
- ٤٢٥ - التدبر التحليلي
- ٤٢٥ • ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢)
- ٤٢٦ • ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٣)
- ٤٢٦ • ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا
- ٤٢٦ • الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤)
- ٤٢٨ • ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦) ...
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (١٧ - ٢٢)
- ٤٢٩ (١٧ - ٢٢)
- ٤٢٩ - القراءات
- ٤٣٠ - تمهيد

الموضوع

الصفحة

- ٤٣٠ - التدبر التحليلي
- ٤٣٠ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِفَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿٧﴾﴾
- ٤٣٢ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ لِقَادِرُونَ ﴿٨﴾﴾ ..
- ٤٣٣ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٩﴾﴾
- ٤٣٣ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءَ تُبْتُ بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ ﴿١٠﴾﴾
- ٤٣٥ ﴿وَلَٰنَ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ ﴿١٢﴾﴾
- ٤٣٥ (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) الْآيَاتِ مِنْ
- ٤٣٧ (٢٣ - ٣٠)
- ٤٣٨ - القراءات
- ٤٣٨ - تمهيد
- ٤٣٩ - التدبر التحليلي
- ٤٣٩ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾﴾
- ٤٣٩ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾﴾
- ٤٤١ ﴿هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَعَصُوا بِهِ حَتَّىٰ جِئَ ﴿١٥﴾﴾
- ٤٤١ ﴿فَأَرْجَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعَ الْفَالِكِ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿١٦﴾﴾
- ٤٤١ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَالِكِ فَقُلْ أَلَمَدَهُ اللَّهُ الَّذِي بَعَثَنَا مِنَ الْقَوِيهِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُزْنَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿١٨﴾﴾
- ٤٤٤ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿١٩﴾﴾
- ٤٤٤ (٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) الْآيَاتِ مِنْ
- ٤٤٨ (٣١ - ٤١)
- ٤٤٨ - القراءات
- ٤٤٩ - تمهيد
- ٤٤٩ - التدبر التحليلي

الموضوع

الصفحة

- ٤٤٩ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا مَآخِرِينَ﴾ (٣١)
- ٤٥٠ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢) ...
- ٤٥٠ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ﴾ (٣٤)
- ٤٥٠ ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُودِينَ﴾ (٣٧)
- ٤٥٢ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨)
- ٤٥٣ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (٤٠) فَأَخَذَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَابًا مَبْعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١)
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) الْآيَاتِ مِنْ (٤٢ - ٤٤)
- ٤٥٤ - القراءات
- ٤٥٤ - تمهيد
- ٤٥٤ - التدبر التحليلي
- ٤٥٤ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا مَآخِرِينَ﴾ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ﴾ (٤٣)
- ٤٥٥ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ مَبْعَدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤)
- ٤٥٥ (١١) التدبر التحليلي للدرس السَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ) الْآيَاتِ مِنْ (٤٥ - ٤٩)
- ٤٥٦ - تمهيد
- ٤٥٧ - التدبر التحليلي
- ٤٥٧ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٤٥)
- ٤٥٧ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ فَاسْتَكَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦)
- ٤٥٨ ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨)

الموضوع

الصفحة

- ٤٥٨ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٤٩) ٤٥٨
- (١٢) التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (المؤمنون) الآية (٥٠) ٤٥٩
- ٤٥٩ - القراءات ٤٥٩
- ٤٥٩ - تمهيد ٤٥٩
- ٤٥٩ - التدبر التحليلي ٤٥٩
- ٤٥٩ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠) ٤٥٩
- (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من ٤٦١
- (٥١ - ٥٦) ٤٦١
- ٤٦١ - القراءات ٤٦٢
- ٤٦٢ - تمهيد ٤٦٢
- ٤٦٢ - التدبر التحليلي ٤٦٢
- ٤٦٢ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) ٤٦٢
- ٤٦٣ ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) ٤٦٣
- ٤٦٤ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣) ٤٦٤
- ٤٦٤ ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤) ٤٦٤
- ٤٦٤ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ﴾ (٥٥) ٤٦٤
- ٤٦٦ ﴿سَأَجْعُلْهُمْ فِي الْغَيْرَتِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦) ٤٦٦
- (١٤) التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من ٤٦٧
- (٥٧ - ٦٧) ٤٦٧
- ٤٦٧ - القراءات ٤٦٨
- ٤٦٨ - تمهيد ٤٦٨
- ٤٦٨ - التدبر التحليلي ٤٦٨
- ٤٦٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقِفُونَ﴾ (٥٧) ٤٦٨
- ٤٦٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٨) ٤٦٨
- ٤٦٨ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٥٩) ٤٦٨
- ٤٦٨ ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْغَيْرَتِ وَهُمْ لَهَا سَنِقُونَ﴾ (٦٠) ٤٦٨
- ٤٧٠ ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبْلُغُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (٦١) ٤٧٠
- ٤٧١ ﴿بَلَّ قُلُوبُهُمْ فِي عَمَرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ (٦٢) ٤٧١

الموضوع

الصفحة

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنًا لَا تَصْرُوهَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي عَلَيْكُمْ فَأَنْكِحُوا عَلٰٓىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِحُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ٤٧١
- (١٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٦٨ - ٧٧) ٤٧٣
- القراءات ٤٧٤
- تمهيد ٤٧٤
- التدبر التحليلي ٤٧٥
- ﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَن جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَمْلِكُوا ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَآكَرَهُمُ الْحَقُّ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنَسْنَاهُمْ لِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَيْرًا فَخَرَّاجٌ رَّيَّاكٌ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧١﴾ وَلَئِكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٢﴾﴾ ٤٧٥
- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفَفْنَا مَا فِيهِمْ مِن ضَرٍّ لِّلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِيَعْلَمَهُمْ وَمَا يَصْرَعُونَ ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ٤٧٨
- (١٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات من (٧٨ - ٨٣) ٤٨١
- القراءات ٤٨١
- تمهيد ٤٨١
- التدبر التحليلي ٤٨٢
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ٤٨٢
- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ٤٨٣
- ﴿بَلْ قَالُوا يَسْأَلُ الْآلُوتُ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ٤٨٤

(١٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات

من (٨٤ - ٩٢) ٤٨٥

- القراءات ٤٨٥

- تمهيد ٤٨٦

- التدبر التحليلي ٤٨٦

• ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ٤٨٦

• ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ

أَفَلَا نَنْقُوتُ﴾ (٨٧) ٤٨٨

• ﴿قُلْ مَنْ يَدِيرُ أَمْرَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩) ٤٨٩

• ﴿بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) ٤٩١

• ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا كَاتٍ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

فَعَمَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٢) ٤٩١

(١٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (المؤمنون) الآيات

من (٩٣ - ٩٨) ٤٩٣

- القراءات ٤٩٣

- تمهيد ٤٩٤

- التدبر التحليلي ٤٩٤

• ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رُفِئَ بَنِيَّ مَا يُوْعَدُونَ﴾ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ (٩٤) ٤٩٤

• ﴿أَدْفَعْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيَئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٥) ٤٩٥

• ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٦) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (٩٧) ٤٩٦

(١٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (المؤمنون)

الآيات من (٩٩ - ١١٨) آخر السورة ٤٩٧

- القراءات ٤٩٧

الموضوع

الصفحة

- تمهيد

٤٩٩

- التدبر التحليلي

٤٩٩

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُعْعَتُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ٥٠٠
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلَفَعَ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ ٥٠١
- ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ ءَابَتِي تُنَالِ عَلَيْنَا مَكُنتُمْ فِيهَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالِ أَخَشِئُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِرْقَيْنِ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرًا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾﴾ ٥٠٤
- ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتَاكُمْ كُنْتُمْ تَقْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ ﴿١١٦﴾﴾ ٥٠٩
- ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ٥١٠
- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ ٥١١
- (٢٠) ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (المؤمنون) ٥١١

سورة السجدة

٣٢ مصحف ٧٥ نزول

- (١) نص سورة (السجدة) وَمَا فِيهَا مِنْ فَرْشٍ الْقِرَاءَات ٥٢٣
- (٢) مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (السجدة) ٥٢٦
- (٣) مَوْضُوعُ سُورَةِ (السجدة) ٥٢٦

الموضوع

الصفحة

- ٥٢٦ (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (السَّجْدَةِ)
- (٥) التَّدْبِيرُ التحليلي للدرس الأول مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الآيَاتِ مِنْ
- ٥٢٨ (٩ - ١)
- ٥٢٩ - القراءات
- ٥٢٩ - تمهيد
- ٥٢٩ - التَّدْبِيرُ التحليلي
- ٥٢٩ • ﴿الْعَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾
- • ﴿أَمَرُ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ
- ٥٣٠ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾
- • ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
- ٥٣٢ الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا سَفِيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾
- • ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
- ٥٣٤ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾
- • ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
- وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝
- ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا
- ٥٣٥ تَشْكُرُونَ ۝﴾
- (٦) التَّدْبِيرُ التحليلي للدرس الثاني مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الآيَاتِ مِنْ
- ٥٣٨ (١٠ - ١٢)
- ٥٣٨ - القراءات
- ٥٣٩ - تمهيد
- ٥٣٩ - التَّدْبِيرُ التحليلي
- ٥٣٩ • ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
- ٥٤٠ • ﴿... بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾
- ٥٤٠ • ﴿قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾
- • ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُخْرِجُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
- ٥٤٢ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝﴾

الموضوع

الصفحة

(٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (السجدة) الآيتان (١٣) -

٥٤٣ (١٤)

٥٤٣ - تمهيد

٥٤٣ - التدبر التحليلي

• ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

٥٤٣ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

• ﴿ثَذُقُوا مَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا

٥٤٤ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (السجدة) الآيات من

٥٤٥ (١٥ - ٢٢)

٥٤٦ - القراءات

٥٤٦ - تمهيد

٥٤٦ - التدبر التحليلي

• ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا

٥٤٦ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

• ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

٥٤٦ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

• ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

٥٥٠ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ

النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي

٥٥١ كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

• ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

٥٥٢ ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

٥٥٣ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾

(٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (السجدة) الآيتان (٢٣) -

٥٥٤ (٢٤)

- ٥٥٤ - القراءات
- ٥٥٤ - تمهيد
- ٥٥٥ - التدبر التحليلي
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٣٣)
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (١٣٤) ..
- ٥٥٦ (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الْآيَاتِ مِنْ
- ٥٥٧ (٢٥ - ٣٠) آخر السورة
- ٥٥٧ - تمهيد
- ٥٥٧ - التدبر التحليلي
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥)
- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦)
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧)
- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِسْنَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٢٩)
- ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ (٣٠)
- ٥٦٢ (١٠) مُلْحَق: مُسْتَخْرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (السَّجْدَةِ)

سورة الطور

٥٢ مصحف ٧٦ نزول

- ٥٦٩ (١) نص السورة وَمَا فِيهَا مِنْ فَرْشِ الْقِرَاءَاتِ
- ٥٧٢ (٢) مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (الطور)
- ٥٧٢ (٣) مَوْضُوعُ سُورَةِ (الطور)
- ٥٧٣ (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (الطور)
- ٥٧٤ (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الطور) الْآيَاتِ مِنْ (١ - ٢٨) .

الموضوع

الصفحة

- ٥٧٤ القراءات -
- ٥٧٦ تمهيد -
- ٥٧٦ التدبر التحليلي -
- ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣﴾ وَالْيَتِّبَ الْمَعْمُورِ ٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ مَا لَكُمْ مِنْ
دَافِعٍ ٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾ ٥٧٦
- ﴿قَوْلٍ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى
نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ
أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ ٥٨٠
- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ فَكَيْهِنَ يَمَّا ءَانَتْهُمْ رَيْحٌ وَوَقَّهَتْهُمْ رِيحُهُمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ
مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ ٥٨٢
- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ آلِهَتِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا إِلَهُهُمْ مِنْ
شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾ ٥٨٤
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ يَشْتَبُونَ ٢٢﴾ يَنْشُرُونَ فِيهَا كُفَّاسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا
تَأْنِيَةٌ ٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زِلْفَاتُ لَهْمٍ كَانَتْهُمْ لُؤْلُؤًا مَّكُونًا ٢٤﴾ ٥٨٦
- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ
٢٦﴾ فَمَنْزِلَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨﴾ ٥٨٧
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الطور) الآيات من (٢٩ - ٤٤) ... ٥٨٩
- ٥٩٠ القراءات -
- ٥٩٠ تمهيد -
- ٥٩٠ التدبر التحليلي -
- ﴿ذَكَرَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصَ
بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَعْلَانَهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢﴾ ٥٩٠

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ٥٩٣
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْفُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ٥٩٤
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُصْطَبُونَ﴾ (٣٧) ٥٩٥
- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨) ٥٩٥
- ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (٣٩) ٥٩٦
- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٠) ٥٩٦
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) ٥٩٦
- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) ٥٩٧
- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣) ٥٩٧
- ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (٤٤) ٥٩٧
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الطُّور) الآيات من (٤٥) - (٤٩) آخر السورة ٥٩٨
- القراءات ٥٩٨
- تمهيد ٥٩٩
- التدبر التحليلي ٥٩٩
- ﴿فَدَرَّهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ٥٩٩
- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) ٦٠٠
- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ الْقِيلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ ٦٠٠
- (٨) مُلْحَق: مُسْتَخْرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الطُّور) ٦٠٣

سورة الفُلك «تبارك»

٦٧ مصحف ٧٧ نزول

- (١) نص السورة وَمَا فِيهَا مِنْ قُرْشِ القراءات ٦٠٧

الصفحة

الموضوع

- ٦١٠ (٢) مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ بِشَأْنِ سُورَةِ (الملك)
- ٦١٠ (٣) مَوْضُوعُ سُورَةِ (الملك)
- ٦١٠ (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (الملك)
- ٦١١ (٥) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الملك) (الآيات من ١ - ٢٢)
- ٦١٢ - القراءات
- ٦١٣ - تمهيد
- ٦١٣ - التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ
- ٦١٣ • ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾
- ٦١٦ • ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّجِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَنْجِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِسًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾
- ٦١٨ • ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾
- ٦٢٠ • ﴿وَاللَّيْلِ كَعُمْرَا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِيَكُمُ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾
- ٦٢٠ • ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾
- ٦٢٣ • ﴿وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَنجَبُوا بِعْدَةِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٤﴾﴾
- ٦٢٣ • ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٥﴾﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٦﴾﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمِسُّهُمْ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٨﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَكُمْ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢٠﴾﴾
- ٦٢٥ • ﴿فَإِنَّكُمْ لَمِنْ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

الموضوع

الصفحة

- ٦٣٠ ﴿٢٣﴾ ٦٣٠
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الملك) الآيات من (٢٣) -
- ٦٣٤ (٣٠) آخر السورة ٦٣٤
- ٦٣٤ - القراءات ٦٣٥
- ٦٣٥ - تمهيد ٦٣٥
- ٦٣٥ - التدبر التحليلي ٦٣٥
- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣)
- ٦٣٥ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ٦٣٥
- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ٦٣٧
- ٦٣٧ ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦) ٦٣٨
- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجْهُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ (٢٧) ٦٣٨
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
- ٦٣٩ أَلِيمٍ﴾ (٢٨) ٦٤٠
- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩) ٦٤٠
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠) ٦٤١
- (٧) ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الملك) ٦٤١

سورة الحاقة

٦٩ مصحف ٧٨ نزول

- ٦٤٥ (١) نص السورة وما فيها من قرش القراءات ٦٤٧
- ٦٤٧ (٢) مما ورد في السنة بشأن سورة (الحاقة) ٦٤٧
- ٦٤٧ (٣) موضوع سورة (الحاقة) ٦٤٧
- ٦٤٧ (٤) دروس سورة (الحاقة) ٦٤٨
- ٦٤٨ (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الحاقة) الآيات من (١ - ١٢) ٦٤٨
- ٦٤٨ - القراءات ٦٤٩
- ٦٤٩ - تمهيد ٦٤٩
- ٦٤٩ - التدبر التحليلي ٦٤٩

الموضوع

الصفحة

- ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْهَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْهَاقَّةُ (٣) كَذَبْتَ تُمُودَ وَعَادَ
بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا تُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ غُجُلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)
• ﴿رَجَاءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَيَّدَاتِ بِالْحَاقَّةِ﴾ (٩) فَصَوَّرَ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَاخَذَهُمْ أَخَذَةً
رَآيَةً (١٠)
٦٥٣
• ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكِ فِي الْبَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكَ تَذَكُّرًا وَنَعِيًّا أَدْنَى رِجِيَةٍ﴾ (١٢) ..
٦٥٤
(٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الحاقة) الآيات من (١٣ - ٣٧) ..
٦٥٥
- تمهيد
٦٥٦
- القراءات
٦٥٦
- التدبر التحليلي
٦٥٦
• ﴿وَإِذَا يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤)
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)
٦٥٦
• ﴿وَانْفَقَتِ السَّمَاءُ فَبِئْسَ يَوْمِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)
٦٥٧
• ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابِهِ بِسَمِيئِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حَسِيَةٍ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي حَنَاقٍ عَالِيَةٍ (٢٢) فَطُوفُهَا دَائِرَةٌ (٢٣)
كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ (٢٤)
٦٥٨
• ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابِهِ بِشَإِلِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِي (٢٥) وَلَرَأَوْتُ مَا حَسِيَةٍ
(٢٦) يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْفَاجِيَةُ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩)
خُدُوهُ فَقُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ لَتَجِمْ صَلَوُهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)
(٣٣) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوْثِقُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٤) وَلَا يَحْضَرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ (٣٥) فَلَيْسَ
لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حِيمٌ (٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٧) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ (٣٨)
٦٦١
(٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الحاقة) الآيات من
٦٦٤
(٣٨ - ٥٢) آخر السورة
٦٦٤
- القراءات
٦٦٤
- تمهيد
٦٦٥
- التدبر التحليلي
٦٦٥

- ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ٦٦٥
- ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ ٦٦٨
- ﴿وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ﴾ (٤٨) لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ٦٦٩
- ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمُ الْمُنَافِقِينَ﴾ (٥٠) ٦٦٩
- ﴿وَإِنَّهُ لَحَصْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥١) ٦٦٩
- ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥٢) ٦٦٩
- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٣) ٦٦٩
- (٨) مُلْحَقٌ: مُسْتَخَرَّجَاتٌ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الْحَاقَّةِ) ٦٧٠

سورة المعارج

٧٠ مصحف ٧٩ نزول

- ٦٧٧ (١) نص السورة وَمَا فِيهَا مِنْ قُرْشٍ القراءات
- ٦٧٩ (٢) مَوْضُوعُ سورة (المعارج)
- ٦٧٩ (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (المعارج)
- (٤) التدبُّر التحليلي للدُّرُسِ الأولِ مِنْ دُرُوسِ سورة (المعارج) الآيات من
- ٦٨٠ (١٨ - ١)
- ٦٨١ - القراءات
- ٦٨١ - تمهيد
- ٦٨٢ - التدبُّر التحليلي
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ٦٨٢
- ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٣) تَصْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ٦٨٢
- ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) ٦٨٤
- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ٦٨٤

الموضوع

الصفحة

- ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ۝ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ (٩) وَلَا يَنْتَلِ حِمِيدٌ حِمِيمًا ۝ (١٠) يُصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ يَبْنِيهِ ۝ (١١) وَصَحْبَتُهُ وَأَخِيهِ ۝ (١٢) وَفَصْلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۝ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ (١٤)﴾ ٦٨٥
- ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ۝ (١٥) نَزَاعَةً لِلنَّشْوَى ۝ (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝ (١٨)﴾ ٦٨٦
- (٥) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (المعارج) الآيات من (١٩ - ٣٥) ٦٨٧
- القراءات ٦٨٧
- تمهيد ٦٨٨
- التدبر التحليلي ٦٨٨
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا ۝ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ (٢١) إِلَّا الْفَاصِلِينَ ۝ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ۝ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصْرِفُونَ يَوْمَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ (٢٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ (٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ فَاطِنُونَ ۝ (٢٨) إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ (٢٩) فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ (٣٠) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ۝ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ (٣٣) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝ (٣٤)﴾ ٦٨٩
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (المعارج) الآيات من (٣٦ - ٤٤) آخر السورة ٦٩٦
- القراءات ٦٩٦
- تمهيد ٦٩٧
- التدبر التحليلي ٦٩٧
- ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَكَ مُهْطَمِينَ ۝ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ (٣٧) أَبْطَمَعُ كُلُّ آتَرِيٍّ وَتَنَّهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ (٣٩)﴾ ... ٦٩٧
- ﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الشَّرِّ وَالْعَرَبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ۝ (٤٠) عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ حَبْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ (٤١)﴾ ٦٩٩
- ﴿فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ (٤٢) يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُفُسٍ يُوَفَّوْنَ ۝ (٤٣) خَنِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَفُهُمْ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ (٤٤)﴾ ٧٠٠
- (٧) ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (المعارج) ٧٠٢
- خاتمة المجلد الرابع عشر ٧٠٤
- فهرس المجلد الرابع عشر ٧٠٥